تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa





تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

تحقيق

مجموعة من الباحثين

بإشراف

إدارة الشؤون الإسلامية

الجزء الثامن

من تفسير الآية ٣٠ من الأحزاب حتى نهاية الأحقاف

إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر



قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝٣٠ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۝٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٣٢﴾.

قال أَبو رافع / : كان عمر كثيراً ما يقرأُ سورة يوسف وسورة الأَحزاب في الصبح، [٤/ ٢٠٩] وكان إذا بلغ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ رفع بها صوتَه، فقيل له؛ فقال: أُذكِّرهن العهد[١].

وقرأَ الجمهور: [﴿مَن يَأۡتِ﴾ بياءٍ وكذلك، ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ﴾؛ حملاً على لفظ (من)][٢].

وقرأَ عمرو بن فايد، والجحدري، ويعقوب: (من تَأْتِ)[٣] و(تَقْنُتْ) بتاءٍ منقوطة من فوق؛ حملاً على المعنى[٤].

وقال قوم: الفاحشةُ إِذا وردت معرفةً فهي الزنا واللواط، وإِذا وردت منكرة فهي سائر المعاصي وكل ما يستفحش، وإِذا وردت[٥] منعوتة بالبيان فهي عقوق الزوج وفساد عشرته، ولذلك نصفها بالبيان إِذ لا يمكن سترها، والزنا وغيره هو مما يُتَستَّر به فلا يكون مبيناً، ولا محالة أَن الوعيد واقع على ما خفي منه وما ظهر.

وقالت فرقة: بل قوله: ﴿بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ يعم جميع المعاصي، وكذلك الفاحشة حيث وردت.

ولما كان أَزواج النبي ﷺ في مهبط الوحي وفي منزل أَوامر الله ونواهيه قَوِيَ

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٣) من طريق أحمد بن منيع، عن يزيد، عن حمّاد ابن سلمة، عن ثابت عنه.

(٢) «بياء» سقطت من الأصل، وفي المطبوع وأحمد٣: «بياء وتاء، (يقنت) بياء حملًا على اللفظ».

(٣) في المطبوع، وأحمد٣: زيادة: «بتاءَين»، ولفظة «منقوطة» زيادة من الحمزوية ونجيبويه.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في: البحر المحيط (٨/ ٤٧٣)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤)، المحتسب (٢/ ١٧٩).

(٥) في المطبوع: «ردت»، وفي المطبوع والسليمانية وفيض الله: «منعوتة» بدل «موصوفة».

الأَمرُ عليهن ولَزِمَهُنَّ بسبب مكانتهن أَكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن الأَجر والعذاب، والإِشارة بالفاحشة إِلى الزنا وغيره.

وقرأ ابن كثير، وشبل، وعاصم: ﴿مُبَيَّنَة﴾ بفتح الياءِ.

وقرأ نافع، وأَبو عمرو، وقتادة: ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ بكسرها[١].

وقرأَت فرقة: (يُضَاعِفْ) بالياء [بكسر العين][٢] على إِسناد الفعل إلى الله تعالى.

وقرأَ أَبو عمرو [فيما روى عنه خارجة][٣]: (نضَاعِفْ) بنون مضمومة ونصب (العَذَابَ)، وهي قراءَة ابن محيصن، وهذه مُفاعلة من واحد؛ كطارقتُ النعل، وعاقبتُ اللِّص.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي: ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بياءٍ مضمومة وعين مفتوحة ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ رفعاً.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿يُضَعَّفْ﴾ [بتشديد العين][٤] على بناءِ المبالغة بالياء[٥] ﴿العَذَابُ﴾ رفعاً، وهي قراءَة الحسن، وابن كثير، وعيسى[٦].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر: ﴿نُضَعِّفْ﴾ بالنون وكسر العين المشددة ﴿الْعَذَابَ﴾ نصباً، وهي قراءَة الجحدري[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، الفتح لابن كثير وشعبة، والكسر للباقين، انظر: التيسير (ص: **٩٥**).

(٢) من المطبوع وأحمد**٣**، وليس فيهما بالياء، وهي شاذة، عزها الهذلي في الكامل (ص: **٦٢٠**) لابن مقسم.

(٣) في المطبوع: «فيما روي عنه»، وهي شاذة، عزاها في الكامل (ص: **٦٢٠**) لأحمد بن موسى، ومحبوب، وخارجة عن أبي عمرو.

(٤) من المطبوع وأحمد**٣**.

(٥) من فيض الله.

(٦) في فيض الله: «موسى».

(٧) هذه ثلاث قراءات سبعية، وعاصم مع نافع، انظر: التيسير (ص: **١٧٩**)، والسبعة (ص: **٥٢١**)، ولم أجد ذكراً لابن كثير في الثانية.

وقوله: ﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾ معناه: يكون العذاب عذابين، أَي: يضاف[١] إلى عذاب سائر الناس عذاب آخر مثله.

وقال أَبو عبيدة، وأَبو عمرو فيما حكى الطبري عنهما: بل يضاف إِليه عذابان مثله فيكون ثلاثة أَعذبة، وضَعَّفه الطبري[٢]، وكذلك هو غير صحيح، وإِن كان له باللفظ تعلُّقُ احتمال، وكون الأَجر مرتين مما يفسد هذا القول؛ لأَن العذاب في الفاحشة بإِزاءِ الأَجْرِ في الطاعة، والإِشارة بذلك إِلى تضعيف العذاب.

و﴿يَقۡنُتۡ﴾ معناه: يطع ويخضع بالعبودية، قاله الشعبي وقتادة[٣].

وقرأَ نافع، وابن كثير، وعاصم، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿يَقۡنُتۡ﴾ بالياءِ، ﴿وَتَعۡمَلۡ﴾ بالتاءِ، ﴿نُّؤۡتِهَآ﴾ بالنون، وهي قراءَة الجمهور، قال أَبو علي: أُسند ﴿يَقۡنُتۡ﴾ إِلى ضمير، فلما تبيَّن أَنَّه لمؤنث [حمل في (تعمل)][٤] على المعنى.

وقرأَ حمزة، والكسائي [الثلاثة المواضع][٥] بالياءِ حملًا في الأولينِ على لفظ ﴿مَن﴾[٦]، وهي قراءة الْأَعمش، وأَبي عبد الرحمن، وابن وثاب.

وقرأَ الأَعمش أَيضاً: (فَسَوْفَ يُؤْتِهَا الله أَجْرَهَا)[٧].

و«الإِعْتَادُ»: التَّيْسير والإِعْدادُ، و«الرِّزْقُ الكريمُ»: الجنة، ويجوز أَن يكون في

---

(١) في الحمزوية ونجيبويه والأصل: «يضاعف».

(٢) ولفظه في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٥): وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو، فتأويل لا نعلم أحداً من أهل العلم ادعاه غيره، وغير أبي عبيدة معمر بن المثنى، ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذي يجب التسليم له.

(٣) انظر قولهما في: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٦)، وانظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٧).

(٤) في الأصل: «عمل فيما يعمل»، وانظر قوله في كتابه الحجة (٥/ ٤٧٤).

(٥) في المطبوع: «كل المواضع»، وفي فيض الله والسليمانية: «كل الثلاثة المواضع».

(٦) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٩)، والسبعة (ص: ٥٢١).

(٧) لم نجد للمؤلف في نسبة هذه القراءة سلفاً ولا خلفاً.

ذلك وعْدٌ دنياوي، أَي: أَن رزقها في الدنيا على الله، وهو كريمٌ من حيث هو حلالٌ وقصد وبرضا من الله في نيله.

وقال بعض المفسرين: العذاب الذي تُوُعِّدْن به ضعفين هو عذاب الدنيا، ثم عذاب الآخرة، وكذلك الأَجر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، اللهم إِلَّا أَن يكون أَزواج النبي ﷺ لا تدفع عنهن حدودُ الدنيا عذابَ الآخرة، على ما هي حالُ الناس عليه، بحكم حديث عُبادة بن الصامت[١]، وهذا أَمرٌ لمْ يُروَ في أَزواج النبي ﷺ، ولا حُفِظَ تقرُّرُهُ.

ثم خاطبهن الله تعالى بأَنهن لَسْنَ كأَحد من نساءِ عصرهن فما بَعْدُ، بل هُنَّ أَفضل بشرط التقوى؛ لما منحهن الله من صحبة الرسول ﷺ، وعِظَم المحلِّ منه، ونزول القرآن في لحفهن[٢].

وإِنما خصص النساءَ؛ لأَن فيمن تقدم آسيةُ ومريم، فتأَمَّله، وقد أَشار إِلى هذا قتادة[٣].

ثم نهاهُنَّ الله عمَّا كانت الحال عليه في نساءِ العرب من مكالمة الرجال برخيم القول[٤].

و(لا تخضعن) معناه: لا تَلِنَّ، وقد يكون الخضوع في القول في نفس الأَلفاظ ورخامتها وهيئتها[٥]، وإِن لم يكن المعنى مُريباً، والعرب تستعمل لفظة الخضوع بمعنى الميل والغزل.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٩٤) (٦٨٠١) (٧٢١٣) ومسلم (١٧٠٩) ولفظه: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه».

(٢) في المطبوع والحمزوية والسليمانية: «حقِّهن»، ولعله تحريف.

(٣) بلفظ يعني من نساء هذه الأمة، انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٠).

(٤) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «الصوت».

(٥) سقط من الأصل.

ومنه قول ليلى الأَخيلية حين قال لها الحجاج: هل رأَيْت قط من تَوْبَةَ[١] شيئاً تنكرينه؟ فقالت: لا والله أَيُّها الأَمير؛ إِلَّا أَنه أنشدني يوماً شعراً ظننت منه أنه خضع لبعض الأَمر، فأَنشدته أنا:

[الطويل]

وَذِي حاجَـةٍ قُلْنَـا لَـهُ لَا تَبُـحْ بِهَا ... فَلَيْـسَ إِلَيْهَـا ما حَيِيتَ سَـبِيلُ[٢]

الحكاية.

وقال ابن زيد: الخضوعُ بالقول: ما يُدخلُ في القلوب الغزلَ[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿فَيَطْمَعَ﴾ بالنصب على أَنه نصب بالفاءِ في جواب التمني.

وقرأَ الأَعرج، وأَبان بن عثمان: (فَيَطْمَعِ) بالجزم وكُسِر للالتقاءِ[٤]، وهذه فاءُ عطف محضة، وكأن النهي دون جواب ظاهر.

وقراءَة الجمهور أَبلغ [في النهي][٥]؛ لَأنها تُعطي أن الخضوع سبب[٦] الطمع.

قال أَبو عمرو الداني: قرأَ الأَعرج، وعيسى بن عمر: (فَيَطْمِعَ) بفتح الياءِ وكسر الميم[٧].

و«الْمَرَضُ» في هذه الآية: قال قتادة: هو النفاق.

---

(١) في الأصل بدلها بياض، وهو توبة بن الحميّر الشاعر المعروف، تقدم ذكره في (سورة آل عمران).

(٢) انظر القصة في التعازي للمبرد (ص: ١٠٦)، وأمالي القالي (١/ ٨٨)، ونَسَب البيت مع آخر باختلاف يسير (٢/ ٨٧): لزينب بنت فروة المرية، في ابن عم لها يقال له: المغيرة، واعترضه البكري في التنبيه (ص: ٩١)، وسمط اللآلي (١/ ٧١٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٨).

(٤) في فيض الله: «لالتقاء الساكنين»، وهي شاذة، عزاها لهما في المحتسب (٢/ ١٨١)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٥).

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) في المطبوع: «بسبب»، وفيه قلب للعبارة.

(٧) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٥) لابن محيصن، ونقل عن القتيبي أحسب أنها بضم الياء.

وقال عكرمة: الفِسْق والغزل[١]، وهذا أَصوبُ، وليس للنفاق مدخلٌ في هذه الآية.

و«القول المعروف»: هو الصوابُ الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

قرأَ الجمهور بكسر القاف، وقرأ عاصم / ونافع بالفتح[٢]. [٤/ ٢١٠]

فأَما الأُولى فيصح أَن تكون من الوقار، تقول: وَقَر يَقِرُ وقاراً، وقِرْنَ مثل: عِدْن، ويصح أن تكون من القَرار، تقول: قَرْرت بالمكان ـ بفتح الراءِ ـ أَقِرُّ، والأَصل: أَقْرِرْنَ، حذفت الراءُ الواحدة تخفيفاً، كما قالوا في ظَلَلْتُ: ظَلْتُ، ونقلوا حركتها إِلى القاف، واستغني عن الأَلف.

وقال أَبو عليٍّ: بل أعلَّ بأَن أُبدلت الراءُ ياءً فنُقلت حركتُها إِلى القاف ثم حذفت الياءُ لسكونها وسكون الراءِ بعدها[٣].

وأَمَّا [من فتح القاف][٤] فعلى لغة العرب: قَرِرْتُ ـ بكسر الراءِ ـ أَقَرُّ ـ بفتح القاف ـ في المكان، وهي لغة ذكرها أَبو عبيد في «الغريب المُصَنَّف»، وذكرها الزَّجَّاج وغيره، وأَنكرها قوم منهم المازني وغيره، قالوا: وإِنما يقال قَرِرْتُ ـ بكسر الراءِ ـ من قرَّتِ العينُ، وأَمَّا من القَرَار فإِنما هو قَرَرْتُ، بفتح الراءِ[٥].

(١) انظر القولين في: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٩)، والسبعة (ص: ٥٢١).

(٣) الحجة لأبي علي (٥/ ٤٧٥).

(٤) في المطبوع: «الثانية»، وهو اختصار بالمعنى.

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٢٥)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٧٧)، وفي المطبوع وأحمد٣: «قرة العين».

وقرأ عاصم: ﴿فِي بِيُوتِكُنَّ﴾ بكسر الباء[١].

وقرأ ابن أَبي عبلة: (وَاقْرِرْنَ) بِأَلِف وصل ورَاءَيْن الأُولى مكسورة[٢].

فأَمر الله تعالى في هذه الآية نساءَ النبي ﷺ بملازمة بيوتهن، ونهاهُنَّ عن التَّبَرُّج، وأَعْلَم أنه فِعْل الجاهلية الأُولى.

وذكر الثعلبي وغيره: أَن عائشة رضي الله عنها كانت إِذا قرأَت هذه الآية تبكي حتى تَبُلَّ خمارها[٣]، وذكر أَنَّ سَوْدَةَ قيل لها: لِمَ لا تَحُجِّين ولا تعتمرين كما تفعل أَخواتك؟ فقالت: قد حَجَجْتُ واعتمرتُ وأَمرني الله أَن أَقَرَّ في بيتي، قال الراوي: فوالله ما خرجت من باب حُجرتها حتَّى أُخرجت جنازتُهَا[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وبكاءُ عائشة رضي الله عنها إِنما كان بسبب سفرها أَيام الجمل، وحينئذ قال لها عمَّار: إِن الله قد أَمرك أَن تقرِّي في بيتك[٥].

و«التَّبَرُّج»: إِظهار الزينة والتصنع بها، ومنه: البُرُوج؛ لظهورها وانكشافها للعيون.

واختلف الناسُ في ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾:

---

(١) هذه قراءة الجمهور وهم السبعة إلا حفصاً عن عاصم وورشاً وأبا عمرو، فبالضم، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٨٠).

(٢) وهي شاذة، انظرها في: الشواذ للكرماني (ص: **٣٨٥**).

(٣) أخرجه الثعلبي (**٨/ ٣٤**) من طريق: عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدّثني أبي، عن عبد الرحمن ابن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى قال: حدّثني من سمع عائشة تقرأ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فتبكي حتّى تبلّ خمارها. وأبهم أبو الضحى من حدثه. وعزاه في الدر المنثور (**١٢/ ٣٠**) إلى ابن أبي شيبة وابن سعد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن مسروق رضي الله عنه قال: كانت عائشة رضي الله عنها إذا قرأت... وهذ صحيح إن صح إلى مسروق ولم يكن أرسله.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (**٨/ ٣٤**) من طريق: داود بن سليمان، عن عبدالله بن حميد، عن يزيد ابن هارون، عن هشام، عن محمد قال: نُبئت أنَّه قيل لسودة.. وأبهم ابن سيرين من حدثه، وكذلك عزاه في الدر المنثور (**١٢/ ٣٠**) لعبد بن حميد وابن المنذر عن بن سيرين.

(٥) لم أقف عليه مسنداً.

فقال الحكم بن عُيَيْنَة[١]: ما بين آدم ونوح عليهما السلام، وهي ثمان مئة سنة، وحكيت لهم سير ذميمة.

وقال ابن الكلبي وغيره: ما بين نوح وإِبراهيم عليهما السلام.

وقال ابن عباس: ما بين نوح وإِدريس عليهما السلام، وذكَر قصصاً[٢].

وقالت فرقة: ما بين موسى وعيسى عليهما السلام.

وقال عامر الشعبي: ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وقال أَبو العالية: هو زمان سليمان وداود عليهما السلام، كان فيه للمرأَة قميص من الدُّرِّ غير مخيط الجانبين[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر عندي: أَنه أَشار إِلى الجاهلية التي لحِقْنها، فأُمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة، لأَنهم كانوا لا غيرة عندهم، فكان[٤] أَمر النساءِ دون حجبة، وجعلها (أُولى) بالإِضافة إِلى حالة الإِسلام، وليس المعنى أَن ثَمَّ جاهلية أُخرى، وقد مرَّ اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبيل الإِسلام فقالوا: جاهلي في الشعراءِ، وقال ابن عباس في البخاري: سمعت أَبي في الجاهلية يقول[٥]، إِلى غير هذا.

و﴿ٱلرِّجْسَ﴾ اسم يقع على الإِثم، وعلى العذاب، وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أَهل البيت.

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وقد تابع المؤلف على ذلك أبو حيان وابن عرفة وغيرهما، وهو كذلك في تفسير السمرقندي، ولعل الصواب: «بن عتيبة»، كما في بعض طبعات القرطبي.

(٢) حسن، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٦٠-٢٦١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٨)، وعنه البيهقي في الشعب (٥٤٥١) من طريق موسى بن إسماعيل التبوذكي، عن داود بن الفرات، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، به.

(٣) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٥)، وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٠٠).

(٤) في الأصل: «وكل».

(٥) البخاري (٣٨٣٩).

ونصب ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ على المدح، أَو على النداءِ المضاف، أو بإِضمار: أَعْني.

واختلف الناسُ في أَهل البيت من هم؟:

فقال عِكْرِمَة، ومقاتل، وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا [يدخل][(١)] رجل معهن، وذهبوا إِلى أَن ﴿ٱلْبَيْتِ﴾ أُريد به مساكن النبي ﷺ[(٢)].

وقالت فرقة هي الجمهور: أَهْلُ البيت: عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم، وفي هذا أَحاديث نبوية [عن النبي ﷺ][(٣)]، قال أَبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ، وفي عليٍّ، وفاطمة، والحسن، والحسين»[(٤)].

ومن حُجة الجمهور قوله تعالى: ﴿عَنكُمُ﴾، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالميم، ولو كان للنساءِ خاصة لكان: (عَنْكُنَّ)، و(يُطَهِّرْكُنَّ). والذي يظهر لي: أَن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتَّة، فأَهل البيت زوجاته وبنتُه وبنوها وزوجُها، وهذه الآية تقتضي أن الزوجات من أَهل البيت؛ لأَن الآية فيهن، والمخاطَبَة لهن، أَمَا إِن أُمَّ سلَمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي، فدعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسَناً وحُسَيْناً، فدخل معهم تحت كساءٍ خَيْبَرِيٍّ، وقال: «هؤلاءِ أَهل بيتي»، وقرأَ الآية، وقال: «اللهم أَذهب عنهم الرِّجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أُمُّ سَلَمة: فقلت: وأَنا يا رسول الله؟ فقال: «أَنْتِ من أزواج النبي ﷺ، وأَنت إلى خير»[(٥)].

---

(١) من المطبوع وأحمد٣.

(٢) انظر قول عكرمة في: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٢)، وقول مقاتل في تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٩)، والقولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦)، وأما قول ابن عباس فلم أقف عليه.

(٣) ليس في المطبوع وأحمد٣، وسقطت لفظة «نبوية» من فيض الله والسليمانية.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٦٣) من طريق: مندل، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً، وعطية هو العوفي، ضعيف مدلِّس ليس بعمدة.

(٥) هذا الحديث له طرق، منها ما أخرجه الطبري في الموضع السابق من طريق: هلال، يعني ابن مقلاص، عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة به، ومن طريق: عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن أم سلمة، ومن طريق: حسن بن عطية، قال: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد، عن أم سلمة، =

وقال الثعلبي: هم بنو هاشم(١)، فهذا على أن ﴿ٱلْبَيْتَ﴾ يراد به بيت(٢) النسب، فيكون العباسُ وأعمامُه وبنو أعمامه منهم، ورُوي نحوه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

اتصال هذه الألفاظ [التي هي ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾](٤) يعطي أن ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نساؤه.

= وأخرجه الترمذي من طريق: سفيان عن زبيد بمثل الطريق الأول (٣٨٧١) وقال: هذا حديث حسن، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.اهـ، وقد أورد هذا الحديث من طريق شهر عن أم سلمة: البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٦٩-٧٠) وقال: شهر يتكلمون فيه، وأخرجه الطبري أيضاً من طريق: سعيد بن زربي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن أم سلمة، ومن طريق: خالد بن مخلد، قال: ثنا موسى بن يعقوب، قال: ثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرني أم سلمة، ومن طريق: محمد بن سليمان الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد المكي، عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة، قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة، قال الترمذي (٣٢٠٥): هذا حديث غريب من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة، وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥١) من طريق: عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ثنا شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أم سلمة به، ومن طريق: العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي قال: سمعت الأوزاعي يقول: حدثني أبو عمار قال: حدثني واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: جئت أريد علياً. ولا يكاد يخلو طريق من هذه الطرق من مقال، لكن أخرج مسلم (٢٤٢٤) من حديث عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٤٤) حيث ذكر هذا القول بعد ذكر الأقوال الأخرى دون ترجيح، واستدل له بحديث زيد بن أرقم.

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وعلى قول الجمهور هي ابتداءُ مخاطبة، أَمر الله تعالى أَزواج النبي ﷺ ـ على جهة الموعظة وتعديد النعمة ـ بذكر ما يُتلى في بيوتهن.

ولفظ «الذكر» هنا يحتمل مقصدين كلاهما موعظة وتقدير نعمة:

أَحدهما أَن يريد: (اذكُرْنَ)، أَي: تذكَّرْنه واقْدُرنه قدره، وفكِّرْن في أَنَّ مَنْ هذه حاله ينبغي أَن تحسن أَفعاله.

والآخر أَن يريد: (اذكُرْنَ) بمعنى: احفَظْن واقرأْن وأَلزمنه الأَلسنة، وكأَنه يقول: واحفظن أوامر الله ونواهيه، وذلك الذي يُتلى في بيوتكن من آيات الله، وذلك مؤدٍّ بكن[١] / إلى الاستقامة. [٤/ ٢١١]

و(الحِكْمَة): هي سُنَّة الله تعالى على لسان نبيّه ﷺ دون أَن تكون في قرآن مَتْلُوٍّ.

ويحتمل أن تكون وصفاً للآيات.

وفي قوله: ﴿لَطِيفًا﴾ تأْنيسٌ وتعديد نعمة؛ أي: لطيف بِكُنَّ في هذه النعمة.

وفي قوله: ﴿خَبِيرًا﴾ تحذيرٌ مَّا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية؛ رُوي عن أُمِّ سلَمة: أن سببها أَنها قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، يذكر الله تعالى الرجال في كتابه في كل شيءٍ، ولا يذكرنا؟! فنزلت الآية في ذلك[٢].

---

(١) في المطبوع: «مؤديكن»، وفي نجيبويه: «مؤديهن».

(٢) له طرق لا تخلو من مقال، منها ما أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٣١) من طريق: شريك عن محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة، وشريك هو القاضي سيء الحفظ، وأخرجه أحمد (٢٦٥٧٥) من حديث عبد الواحد بن زياد ثنا عثمان بن حكيم عن عبد الرحمن بن شيبة وعبد الله بن رافع مفرقين عن أم سلمة، وكذلك رواه النسائي أيضاً، ورواه أبو معاوية محمد بن خازم عن محمد بن عمرو واختلف عنه، فرواه يحيى الحماني ـ كما عند الطبراني (٢٣/ ٤٥٤) ـ عن أبي معاوية، عن محمد بن عمرو، بمثل إسناد شريك المتقدم. ويحيى الحماني ضعيف أيضاً، ورواه أبو كريب محمد بن العلاء =

وروى قتادة: أَن نساءً من الأَنصار دخلن على أَزواج النبي ﷺ، فقُلْن لهُنَّ: ذَكَرَكُنَّ الله تعالى في القرآن ولم يذكر سائر النساءِ بشيءٍ، فنزلت الآية في ذلك[١].

وروي عن ابن عباس: أَن نساءَ النبي قلن له: ما له تعالى يذكر المؤمنين ولم يذكر المؤمنات؟! فنزلت الآية في ذلك[٢].

وبدأَ تعالى بذكر الإِسلام الذي يعُمُّ الإِيمان وعمل الجوارح[٣].

ثم ذكر الإِيمان تخْصيصاً له وتنبيهاً على أَنه عُظْم الإِسلام ودعامته.

و«الْقَانِتُ»: العابد المطيع.

و«الصَّادقُ» معناه: فيما عوهد عليه أَن يفي به ويكمله[٤].

و«الصابر»: عن الشهوات وعلى الطاعات في المَكْرَه والمَنْشَط.

و«الخاشعُ»: الخائفُ لله، المستكينُ لربوبيته، الوقورُ.

و«الْمُتَصَدِّق» بالفرْض والنَّفْل، وقيل: بل هي في الفرض خاصةً، والأَول أَمدح.

و«الصائم» كذلك في الفَرْض والنَّفْل، و«حِفْظ الفَرْج» هو من الزنا وشبهه، وتدخل مع ذلك [الصيانة من جميع][٥] ما يؤدي إلى الزنا أو هو في طريقه.

= كما عند الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٠) عن أبي معاوية، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أم سلمة، به، وأخرجه الطبري (٢٢/ ١٠)، والحاكم (٢/ ٤١٦) من طريق مجاهد، عن أم سلمة، به. ولم يذكروا لمجاهد سماعاً من أم سلمة، وفي الباب عن ابن عباس عند الطبري (٢٢/ ١٠)، وفي إسناده قابوس بن أبي ظبيان، وفيه لين، وآخر من حديث أم عمارة الأنصارية عند الترمذي (٣٢١١)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٦٩) عن قتادة من قوله مرسلًا.

(٢) هوخبر قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس الذي سبقت الإشارة إليه في التخريج السابق.

(٣) كتبت في المطبوع: «الجوارج».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «ويكلمه».

(٥) في المطبوع بدله: «كل».

وفي قوله: ﴿وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ﴾ حذف ضمير يدل عليه المتقدم، تقديره: والحافظاتها.

وفي ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ أيضاً مِثْلُه.

و«المغفرةُ»: هي سَتْرُ ذنوبهم والصَّفْحُ عنها.

و«الأَجْرُ الْعَظِيمُ»: الجَنَّةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ﴾ لفظُه النفي ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا، وهذه العبارة: «ما كان» و«ما ينبغي» ونحوها تجيءُ [لحظر الشيءِ والحكم بأنه لا يكون](1).

وربما كان امتناع ذلك الشيءِ عقلاً، كقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠].

وربما كان العِلْم بامتناعه شرعاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٥١].

وربما كان حظْرُه بحكم شرعي لهذه الآية.

وربما كان في المندوبات، كما تقول: ما كان لك يا فلان أَن تترك النوافل، ونحو هذا.

وسبب هذه الآية فيما قال قتادة، وابن عباس، ومجاهد: أَن رسول الله ﷺ خَطَب زينب بنت جحش، فظنَّت أَن الخطبة لنفسه، فلمَّا بيَّن أَنه إنما يريدها لزيد بن حارثة

---

(١) في فيض الله: «لنفي الشيء كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾».

كرهت وأَبت، فنزلت الآية، فأَذعنت زينب حينئذ وتزوَّجته[١].

وقال ابن زيد: إِنما أُنزلت بسبب أَن أُم كلثوم بنت عقبة بن أَبي مُعَيْط وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوَّجها من زيد بن حارثة، فكرهت ذلك هي وأَخوها، وقالا: إِنما أَردنا رسول الله ﷺ فزوَّجها غيْرَه، فنزلت الآية بسبب ذلك، فأَجابا إلى تزويج زيد[٢].

و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: مصدر بمعنى التَّخَيُّر، وهذه الآية في ضمن قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وهذه الآية تُقَوِّي في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] أن تكون ﴿مَا﴾ نافية[٣] لا مفعولة.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وأَبو جعفر، وشَيْبَة، والأَعرج، وعيسى: ﴿أن تكون﴾ بالتَّاءِ على لفظ ﴿الْخِيَرَة﴾.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي، والحسن، والأعمش، وأَبو عبد الرحمن: ﴿يَكُونَ﴾ بالياء[٤] على معنى ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾، وأَنّ تأْنيثها غير حقيقي.

وقوله تعالى في الآية الأُخرى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ دون علامة تأْنيث يُقَوِّي هذه القراءَة التي بالياء.

ثم توعَّد تعالى وأَخْبرَ أَن من يَعْص الله ورسوله فقد ضلَّ، وهذا العصيانُ يعُمُّ الكفر فما دونه، وكُلُّ عاص آخِذٌ من الضلال بقدر معصيته.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٧١) من طريق عطية العوفي وطريق ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس، وكلاهما ضعيف، وانظر قول قتادة في تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠)، والهداية لمكي (٩/ ٥٨٣٨)، وانظر معناه عن مجاهد في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٧٢) من قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا مرسلًا.

(٣) في المطبوع: «أن تكون ما نافيه»، بالهاء.

(٤) من السليمانية، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٢)، والتيسير (ص: ١٧٩)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، إلا أن فيهما لهشام بالياء، وانظر موافقة الحسن والأعمش في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٥٥)، وسقط «الحسن» من الأصل والسليمانية.

ثم عاتب تعالى نَبِيَّه ﷺ بقوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ ﴾ الآية؛ واختلف الناس في تأْويل هذه الآية: فذهب قتادة، وابن زيد، وجماعةٌ من المفسرين منهم الطبريُّ وغيره: إِلى أَن النبي ﷺ وقع منه اسْتِحْسَانٌ لزينب وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً على أَن يطلقها زيدٌ فيتزوَّجها هو، ثم إِنَّ زيداً لما أَخبره بأَنه يريد فراقها، ويشكو منها غِلْظَةَ قولٍ وعِصْيَانَ أَمْرٍ وأَذًى باللِّسان وتَعظُّماً بالشرف قال له: «اتق الله»؛ أَي: فيما تقول عنها، و«أمسك عليك زوجك»، وهو يخفي الحرصَ على طلاق زيد إِيَّاها، وهذا هو الذي كان يخفي في نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأَمر بالمعروف، وقالوا: خَشِيَ رسول الله ﷺ قَالَةَ الناس في ذلك، فعاتبه الله على جميع هذا[1].

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (مَا اللهُ مُظْهِرُهُ)[2].

وقال الحسن: ما نزل على رسول الله ﷺ شيء[3] أَشَدّ عليه من هذه الآية[4].

وقال هو وعائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية؛ لِشِدَّتها عليه[5].

وروى ابن زيد في نحو هذا القول: أن النبي ﷺ طلب زيداً في داره فلم يجده، / [٤/ ٢١٢] ورأى زينب حاسرةً فأَعجبته فقال: «سبحان الله مُقَلِّب القُلُوب»[6].

---

(١) ليست في المطبوع، وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٢)، وفيه أن ابن زيد تأولها في أم كلثوم بنت عقبة، وانظر قول قتادة في تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٦).

(٢) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٥).

(٣) من السليمانية.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٦).

(٥) مرسل، أخرج خبر عائشة: الطبري (٢٠/ ٢٧٤) من طريق: داود، عن عامر، عنها. وعامر هو الشعبي، وحكى ابن أبي حاتم في المراسيل، عن ابن معين قوله: الشعبي عن عائشة مرسل.

(٦) ضعيف معضل، أخرجه الطبري في نفس الموضع، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أعضله، وهو مع ذلك ضعيف.

قال القاضي أبو محمد: ورُوي في هذه القصة أَشياء يطول ذكرها، وهذا الذي ذكرنا مُسْتَوْف لمعانيها.

وذهب قوم من المتأَوِّلين إلى أَن الآية لا كبير عتب[١] فيها، ورَوَوْا عن علي بن الحسين: أَن النبي ﷺ قد كان أُوحي إليه أَن زيداً يطلق زينب، وأَنه يتزوجها بتزويج الله إِياها، فلما تشكَّى زيد للنبي ﷺ خُلُقَ زينب وأَنها لا تطيعه، وأَعلمه بأَنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأَدب والوصية: «اتَّقِ الله»؛ أَي: في أَقوالك، «وأَمسك عليك زوجك»، وهو يعلم أَنه سيفارقها[٢]، وهذا هو الذي أَخفى في نفسه، ولم يُرِد أَن يأْمره بالطلاق لما علم أَنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أَن يلحقه قول من الناس في أَن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أَمره بطلاقها.

فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خَشِي الناس في شيءٍ قد أَباحه الله له بأَن قال: «أَمْسِكْ» مع علمه بأَنه يطلق، وأَعلمه أَن الله أَحق بالخشية؛ أَي: في كل حال.

وقوله تعالى: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أَي: بالإِسلام وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ يعني: بالعتق، وهو زيد بن حارثة، وزينب هي بنت جحش هي بنت أُميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

ثم أَعلم تعالى أَنه زوَّجها منه لما قضى زيدٌ وطره منها لتكون سُنَّة للمسلمين في أَزواج أَدعيائهم، وليُبيِّن أَنها ليست كحرمة البنوة.

ورُوي: أَن النبي ﷺ قال لزيد: «ما أَجد في نفسي أوثق منك، فاخطب زينب عَلَيَّ»، قال: فذهبتُ وولَّيْتها ظهري توقيراً للنبي ﷺ، وخطبتُها، ففرحت وقالت: ما أَنا بصانعة شيئاً حتَّى أُؤَامر ربِّي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، فتزوَّجها النبي ﷺ ودخل بها[٣].

---

(١) في السليمانية وفيض الله: «عيب».

(٢) ضعيف معضل، أخرجه الطبري كذلك من طريق: علي بن زيد بن جدعان عن علي بن الحسين، وابن جدعان ضعيف، وهو مع ذلك معضل.

(٣) يحكيه أهل السير، ولم أقف عليه مسنداً.

و«الْوَطَرُ»: الحاجة والبُغْية، والإِشارة إلى الجماع.

وروى جعفر بن محمد عن آبائه عن النبي ﷺ: «وَطَراً زَوَّجْتُكَهَا»[١].

قال القاضي أبو محمد: وذهب بعض الناس من هذه الآية ومن قول شعيب: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص: ٢٧] إلى أَن ترتيب هذا المعنى في المهور[٢] ينبغي أَن يكون: (أَنْكَحَهُ إِيَّاهَا)، فَتُقَدِّم ضمير الزوج كما في الآيتين. وهذا عندي غير لازم، لأَن الزوج في الآية مُخَاطَب فَحَسُن تقديمه، وفي المهور الزوجان غائبان، فقدِّم من شئت، ولم يبق ترجيح إلَّا بدرجة الرجال وأَنهم القوامون[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ فيه حذفُ مضاف تقديره: وكان حكم أَمر الله، [أَو: مُضَمَّن أَمر الله][٤]، وإِلَّا فالأَمر قديمٌ لا يوصف بأَنه مفعول.

ويحتمل على بُعْد أَن يكون (الأَمْرُ) واحدَ الأُمور التي شأْنها أَن تُفْعل.

ورُوي: أَن عائشة وزينب تفاخرتا، فقالت عائشة رضي الله عنها: أَنا التي سِيقَتْ صفتي لرسول الله ﷺ من الجنة في سَرَقَة حرير[٥]، وقالت زينب رضي الله عنها: أنا التي زَوَّجني الله من فوق سبع سماوات[٦].

---

(١) زاد في السليمانية قبله: «قرأ»، وكأنها ملحقة، والقراءة شاذة، عزاها في الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٣)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٠) لأهل البيت، قالا: وقيل لجعفر بن محمد: أليس تقرأ عليَّ غير ذلك، فقال: لا والذي لا إله إلا هو، ما قرأتها على أبي إلا كذلك، ولا قرأها الحسين بن عليّ على أبيه إلا كذلك، ولا قرأها علي بن أبي طالب على النبي ﷺ إلا كذلك.

(٢) المقصود بالمهور: صيغ عقود التوثيق.

(٣) في المطبوع: «القائمون».

(٤) سقط من نجيبويه.

(٥) لم أقف عليه مسنداً بهذا السياق، لكن في صحيح البخاري (٥٠٧٨) من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام مرتين إذا رجل يحملك في سرقة حرير فيقول هذه امرأتك فأكشفها فإذا هي أنت فأقول إن يكن هذا من عند الله يمضه».اهـ.

(٦) في صحيح البخاري (٧٤٢٠): من حديث أنس قال: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه، =

وقال الشعبي: كانت زينب تقول لرسول الله ﷺ: إني لأَدِلُّ عليك بثلاثٍ مَا مِنْ نسائك امرأَةٌ تَدِلُّ بهن، إنَّ جدِّي وجدَّك واحد، وإنَّ الله أنكحك إياي من السماءِ، وإن السفير في ذلك جبريل[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الأُمَّة، أَعلمهم أَنه لا حرج على رسول الله ﷺ في نيل ما فرض الله له وأَباحَه، من تزوُّجه لزينب بعد زيد، ثم أَعلم أَن هذا ونحوه هو السَّنَن الأَقدم في الأَنبياءِ، من أَن ينالوا ما أَحلَّه الله لهم.

وحكى الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي: أَن الإِشارة إلى داود عليه السلام، حيث جمع الله بينه وبين من فُتن بها[2].

و﴿سُنَّةَ﴾ نصب على المصدر، أَو على إضمار فعل تقديره: الزم، أَو نحوه، أَو على الإِغراءِ، كأَنه قال: فَعَلَيْهِ سُنَّةَ الله.

و﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾: هم الأَنبياءُ، بدليل وصفهم بعْدُ بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾.

= قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات.

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٧٦) مرسلًا.

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٤٩) بتصرف، وفي نجيبويه بدله: «الشعبي».

و﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية، أَي: مأمورات الله والكائنات عن أَمره، فهي مقدورة.

وقوله: ﴿قَدَرًا﴾ فيه حذف مضاف، أَي: ذا قَدَر، [وعَنْ قَدَر][١].

وقرأ ابن مسعود: (الَّذين بلَّغوا رِسَالاتِ اللَّهِ)[٢].

وقوله: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تعريض بالعتاب الأَول في خشية النبي ﷺ النَّاسَ، ثم ردَّ الأَمر كله إِلى الله، وأَنَّه المحاسب على جميع الأعمال والمعتقدات، وكفى به لَا إِله إِلَّا هو.

ويحتمل أَن يكون ﴿حَسِيبًا﴾ بمعنى: مُحْسِب؛ أَي: كافياً.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [إلى قوله تعالى: ﴿كَرِيمًا﴾][٣]؛ أَذْهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس منافقين وغيرهم من بعد[٤] تزوج رسول الله ﷺ زينبَ زوجة دَعِيِّه زيد؛ لأَنهم كانوا استعظموا أن يتزوج زوجة ابنه، فنفى القرآن تلك [الصورة في][٥] البنُوَّة، وأَعلم أن محمداً لم يكن في حقيقة أَمره أَبا أَحد من رجال المعاصرين له.

ولم يُقْصد بهذه الآية: أن النبي ﷺ لم يكن له ولد / فيحتاج إلى الاحتجاج في أَمر بنيه بأَنهم كانوا ماتوا، ولا في أَمر الحسن والحسين بأَنهما كانا طفلين، ومن احتج بذلك فإِنَّه تأَوَّل نَفْيَ البُنُوَّة عنه بهذه الآية على غير ما قُصد بها. [٤/ ٢١٣]

وقرأ ابن أَبي عبلة وبعض الناس: (ولكن رسولُ الله) بالرفع[٦] على معنى: هو رسولُ الله.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢١).

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في نور العثمانية والأصل: «نقد».

(٥) من المطبوع.

(٦) وهي شاذة، عزاها له ولزيد بن علي في البحر المحيط (٨/ ٤٨٥)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٢٠) =

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وعاصم، والأَعرج، وعيسى: ﴿رَسُولَ﴾ بالنصب، على العطف على ﴿أَبَآ﴾، وهؤلاءِ قرؤُوا ﴿وَلَٰكِن﴾ بالتخفيف.

وقرأَت فرقة: (وَلَكِنَّ) بشد النون، ونصب (رَسُول) على أَنه اسم (لَكِنَّ)، والخبر محذوف(١).

وقرأَ عاصم وحده، والْحَسَن، والشعبي، والأَعرج بخلاف: ﴿وَخَاتَمَ﴾ بفتح التاءِ، بمعنى: أنهم به خُتِمُوا، فهو كالخَاتَم والطَّابع لهم.

وقرأَ الباقون والجمهور بكسر التاء(٢)، بمعنى: أَنه خَتَمَهم، أَي: جاءَ آخرهم.

وروت عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال: [«أنا خاتَم الأنبياء» بفتح التاء(٣).

وروي عنه ﷺ أنه قال:](٤) «أَنا خاتم أَلْف نبي»(٥).

وهذه الأَلفاظ عند جماعة علماءِ الأُمة خَلَفاً وسَلَفاً مُتَلَقَّاةٌ على العموم التام، مُقْتَضية نصّاً أَنه لا نَبيَّ بعده.

= مع رفع (وخاتم) للزعفراني، وابن أبي عروة عن قتادة، وعمرو بن عبيد، وسعيد بن أبي الحسن عن الحسن، والنصب للجمهور العشرة وغيرهم.

(١) وهي شاذة، رواها عن أبي عمرو عبد الوهاب كما في المحتسب (٢/ ١٨١)، وعبد الوارث كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٢٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٦)، وفي المطبوع: «فينتصب رسول على أنه ... إلخ»، والتخفيف قراءة الجمهور العشرة وغيرهم.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٩)، السبعة (ص: ٥٢٢).

(٣) أخرجه البزار وفي إسناده: موسى بن عبيدة، هكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٧٠) وموسى هو الربذي وهو ضعيف جداً. لكن ليس فيه أنه بفتح التاء. وعزاه في كنز العمال (٣٤٩٩٩) إلى الديلمي وابن النجار.

(٤) سقط من أحمد٣ والمطبوع والحمزوية.

(٥) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة كما في إتحاف الخيرة (٧/ ٦٢) من طريق: مجالد عن الشعبي عن جابر به مرفوعاً، ومجالد ضعيف وقد تغير وكان يلقن.

وما ذكره القاضي ابن الطَّيِّب في كتابه المسمَّى بـ«الهداية» من تجويز الاحتمال في أَلفاظ هذه الآية ضعيفٌ[١].

وما ذكره الغزالي في هذه الآية وهذا المعنى في كتابه الذي سمَّاه بـ«الاقتصاد» إِلْحادٌ عندي، وتَطرُّقٌ خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد ﷺ النُّبُوَّة، فالحذَر الحذَر منه، والله الهادي برحمته[٢].

وقرأَ ابن مسعود: (مِنْ رِجَالِكُمْ ولَكِنْ نَبِيّاً ختم النَّبِيِّين)[٣].

قال الرُّمَّاني: خُتم به ﷺ الاستصلاح، فمن لم يصلح به فميئوسٌ من صلاحه[٤].

قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا﴾ عمومٌ، والمقصد به هنا: علمه تعالى بما رآه الأصلح[٥] لمحمد ﷺ، وما قدَّره في الأَمر كله.

ثم أَمر تعالى عباده بأَن يذكروه ذكراً كثيراً، وجعل تعالى ذلك دون حدٍّ ولا تقدير لسهولته على العبيد، ولِعِظَم الأَجر فيه.

قال ابن عباس: لم يعذر أَحدٌ في ترك ذكر الله إِلَّا من غلب على عقله، وقال:

---

(١) مثله في تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٨٥). ولفظ «ضعيف» سقط من الأصل.

(٢) ولفظه في الكتاب المذكور (ص: ١٣٧) أن قائلًا لو قال: يجوز أن يبعث رسول بعد نبينا ﷺ، فيبعد التوقف في تكفيره ومستند استحالة ذلك عند البحث تستمد من الإجماع لا محالة، فإن العقل لا يحيله، وما نقل فيه من قوله: لا نبي بعدي ومن قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فلا يعجز هذا القائل عن تأويله......، ولكن الرد على هذا القائل أن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبداً وعدم رسول الله أبداً وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الإجماع.

(٣) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٤٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢١٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٧).

(٥) في المطبوع: «الأصح».

الكثيرُ: أَلَّا تنساهُ أَبداً[١]، وروى أَبو سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، «أَكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»[٢].

وقوله: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أَراد: في كل الأوقات، فحدَّدَ الزمن بطرفي نهاره وليله.

وقال قتادة، والطبري وغيرهما: الإِشارة إلى [صلاة الغَدَاة وصلاة العصر][٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية مدنية فلا يتعلق بها من زعم أن الصلاة إِنما فُرضت أَوَّلاً صلاتين في طَرَفي النهار، والرواية بذلك ضعيفة.

و«الأَصيلُ»: من العصر إلى الليل.

ثم عدَّد تعالى على عباده نعمته في الصلاة عليهم، وصلاةُ الله تعالى على العبد هي رحمته له، وبركته لديه، ونشره [عليه الثناء][٤] الجميل، وصلاةُ الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين، وروت فرقة: أَن النبي ﷺ قيل له: يا رسول الله، كيف صلاة الله على عباده؟ قال: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رحمتي سبقت غضبي»[٥].

قال القاضي أبو محمد: واختُلف في تأْويل هذا القول، فقيل: إِنه كله من كلام الله، وهي صلاتُه على عباده.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٠) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد (١٨/ ١٩٥) وابن حبان (٨١٧) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٨) وغيرهما من طريق: دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٩)، وفي المطبوع وأحمد٣ بدلاً منه: «صلاتي الغداة والعصر».

(٤) في المطبوع بدله: «إليهم»، وفي أحمد٣: «إلينا».

(٥) الذي وقفت عليه ما أخرجه الطبراني في الأوسط (١١٤)، وفي الصغير (٤٣) من طريق أبي مسلم قائد الأعمش عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «هل يصلي ربك؟ قال: نعم. قلت: وما صلاته؟ قال: سبوح قدوس، سبقت رحمتي غضبي»، وأبو مسلم متفق على ضعفه وقد روي مرسلاً عن عطاء ولا يثبت، وانظر: السلسلة الضعيفة (٣/ ٥٧٠).

وقيل: «سُبُّوحٌ قُدُّوس» هو من كلام محمد ﷺ، تقدِمة[1] بين يَدَي نُطقه باللفظ الذي هو صلاة الله، وهو: «رحمتي سبقت غضبي»، وقدم ﷺ هذا من حيثُ فهم من السائل أَن تَوَهَّم في صلاة الله على عباده وجْهاً لا يليق بالله عز وجل، فقدَّم التنزيه لله والتعظيم بين يدَيْ إِخباره.

وقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ أي: صَلَاتُه وصلاة ملائكته لكي يهديكم وينقذكم من الكفر إلى الإِيمان، ثم أَخبر تعالى برحمته بالمؤمنين تأْنيساً لهم.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾، قيل: يوم القيامة المؤمن تحييه الملائكة بالسلام، ومعناه: السلامة من كل مكروه.

وقال قتادة: يوم دخولهم الجنة يُحَيِّي بعضهم بعضاً بالسلام[2]، أَي: سلمنا وسلمتَ من كل همٍّ وتخوف، وقيل: تحييهم الملائكة يومئذ.

و«الأَجر الكريم»: جنة الخلد في جواره تبارك وتعالى.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

هذه الآيات فيها تأْنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين، وتكريم لجميعهم.

وقوله: ﴿شَـٰهِدًا﴾ معناه: على أُمتك بالتبليغ إِليهم، وعلى سائر الأُمم في تبليغ أَنبيائهم، ونحو ذلك.

وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ معناه: مُبَشِّراً للمؤمنين برحمة الله وبالجنة.

---

(١) في المطبوع: «يقدمه».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٠).

﴿ وَنَـذِيرًا ﴾ معناه: للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ عَلِيّاً ومُعَاذاً رضي الله عنهما، فبعثهما إِلى اليمن، وقال: «اذهبا فَبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا، فإِني قد أُنزل عَليَّ ... وقرأ الآية»[١].

و«الدُّعاءُ إِلى الله»: هو تبليغ التوحيد والأخذ به، ومكافحة الكفرة.

و﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ معناه هنا: بأَمره إِيَّاكَ وتقديره ذلك في وقته وأوانه.

و(سراجاً منيراً) استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه، فكأَن المهتدين به والمؤمنين يخرجون بنوره[٢] من ظُلْمة الكفر.

وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ﴾، الواو عاطفة جملة على جملة، والمعنى منقطع من الذي قبله، أَمره تعالى بأَن يبشِّر المؤمنين / بالفضل الكبير من الله. [٤/ ٢١٤]

قال القاضي أَبو محمد: قال لنا أَبي رضي الله عنه: هذه من أَرجى آية عندي في كتاب الله تعالى: لأَن الله سبحانه قد أَمر نبيَّه أَن يبشر المؤمنين بأَن لهم عنده فضلاً كبيراً، وقد بيَّن الله تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِي رَوۡضَـٰتِ ٱلۡجَنَّـٰتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الشورى: ٢٢]، فالآية التي في هذه السورة آية خبر، والتي في ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ﴾ تفسير لها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ ﴾ نهيٌ له عن السماع منهم في أَشياءَ كانوا يطلبونها مما لا يجب، وفي أَشياءَ كانوا يدخلونها مدخل النصائح وهي غشٌّ، إِلى نحو هذا المعنى.

وقوله: ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ ﴾ يحتمل معنيَيْن:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل: «به».

أَحدهما: أَن يأْمره بترك أَن يؤذيهم هو ويعاقبهم، فكأَن المعنى: فاصفح عن زلَلهم ولا تؤذهم، فالمصدر ـ على هذا ـ مضاف إلى المفعول، ونُسخ من الآية على هذا التأْويل ما يخص الكافرين، وناسخه آية السيف.

والمعنى الثاني: أن يكون قوله: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ بمعنى: أعرض عن أَقوالهم وما يؤذونك، فالمصدر ـ على هذا التأْويل ـ مضاف إلى الفاعل، وهذا تأْويل مجاهد[١].

ثم أَمره تعالى بالتوكل عليه، وآنسه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾، ففي قوة الكلام وعْدٌ بنصر.

وتقدم القول في (كفى بالله).

و«الوكيل»: الحافظ القائم على الأَمر.

ثم خاطب تعالى المؤمنين بحكم الزوجة تطلَّق قبل البناءِ، واستدل بعض الناس بقوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾، وبمهلة ﴿ثُمَّ﴾ على أَن الطلاق لا يكون إِلَّا بعد نكاح، وأَن من طلَّق المرأَة قبل نكاحها ـ وإِن عيَّنَهَا ـ فإِن ذلك لا يلزمه، وقال هذا نيِّف على ثلاثين من صاحب وتابع وإِمام، سمَّى البخاري منهم اثنين وعشرين[٢].

وقالت طائفة عظيمة من أَهل العلم: إِن طلاق المعيَّنة الشخصِ أَو القبيل أَو البلد لازم قبل النكاح، منهم مالك وجميع أَصحابه وجمع عظيم من علماءِ الأُمة[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٥٩).

(٢) ومنهم علي وعائشة وابن عباس وسعيد بن المسيب وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وإسحاق وأبو ثور كما في الأوسط (٩/ ٢٣٠-٢٣١)، والشافعي كما في المهذب (٢/ ٩٩)، وأحمد كما في مسائل أحمد برواية ابن هانئ (١١٣٥).

(٣) المدونة (٢/ ٧٢)، وهو قول الشعبي والنخعي والأوزاعي وابن أبي ليلى كما في الأوسط (٩/ ٢٣١). و«عظيمة» من السليمانية وفيض الله.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾، وقرأَ حمزة، والكسائي، وطلحة، وابن وثاب: ﴿تُماسُّوهُنَّ﴾[١].

والمعنى فيهما الجماعُ، وهذه العِدَّة إِنما هي لاسْتِبراء الرحم وحِفْظ النسب في الحمل، فمن لم تمسّ؛ فلا يلزم ذلك فيها.

وقرأَ جمهور الناس ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ بتشديد الدال على وزن: تفتعلونها، من العدد[٢].

وروى ابن أَبي بزة عن ابن كثير: (تَعْتَدُونَهَا) بالتخفيف، من العدوان، كأَنه قال: فما لكم من عدة تلزمونها[٣] عدواناً وظلماً لهن، والقراءَة الأُولى أَشهر عن ابن كثير، وتخفيف الدال وَهْمٌ من ابن أَبي بزة[٤].

ثم أَمر تعالى بتمتيع المطلقة قبل البناءِ، واختلف الناسُ في المُتْعة:

فقالت فرقة: هي واجبة[٥]، وقالت فرقة: هي مندوب إِليها، منهم مالك وأصحابه[٦].

وقالت فرقة: المتعة لِلَّتي لم يُفرض لها، ونصف المهر لِلَّتي فُرض لها[٧].

وقال سعيد بن المسيب: بل المتعة كانت لجميعهن بهذه الآية، ثم نسخت آيةُ البقرة بالنصف لمن فُرض لها ما تضمَّنته هذه الآية من المتعة[٨].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٢٢).

(٢) في المطبوع: «العد»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «تعتدونها».

(٤) وهي شاذة، ليست من طرق التيسير، بل من رواية مضر عنه كما في السبعة (ص: ٥٢٢)، وجامع البيان (٤/ ١٤٩٦)، وفي الأصل والحمزوية ونجيبويه وفيض الله والسليمانية بدل «ابن كثير»: «عن أبي بكر» في الموضعين، وفي المطبوع والحمزوية: «برزة»، في الموضعين أيضاً.

(٥) ممن قال بهذا الحسن وأبي قلابة وأبي العالية وسعيد بن المسيب، كما في الاستذكار (٦/ ١٢٠).

(٦) انظر قول مالك وصحابه في: المدونة (٢/ ٢٣٩)، والنوادر (٥/ ٢٨٩).

(٧) ممن قال بهذا أبو عبيد والثوري وغيرهم، انظر الأوسط (٩/ ٤٣٥).

(٨) انظر قول سعيد بن المسيب في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٣).

وهذه الآية خصصت آيتين: إحداهما ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فخصَّصَتْ هذه الآية من لم يُدْخل بها، وكذلك خصصت من ذوات الثلاثة الأَشْهُر، وهُنَّ من قَعَدْنَ عن المحيض، ومن لم يحضن من صغير المطلقات قبل البناءِ.

و«السَّرَاحُ الجميلُ»: هو الطلاق تتبعه عِشْرَةٌ حسنة، [وكلمةٌ طيِّبة، دون مشادة ولا أَذى][1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

قرأ الجمهور: ﴿ٱلَّٰتِيٓ﴾ بتاءٍ من فوق، وقرأ الأَعمش: (اللَّايِي) بياءين[2] من تحت.

وذهب ابن زيد، والضحاك في تفسير قوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ إِلى أَن المعنى: أَن الله تعالى أَحلَّ له أَن يتزوَّج كل امرأَة يُؤتيها مهرها، وأَباح له تعالى كلَّ النساءِ بهذا الوجه، وأَباح له ملك اليمين، وأَباح له بنات العم والعمة والخال والخالة ممن هاجر معه، وخصص هؤلاءِ بالذكر تشريفاً وتنبيهاً منهن[3]؛ إِذْ قد تناولَهُنَّ على تأْويل ابن زيد قولُه: ﴿أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾، وأَباحَ له الوَاهبات خاصَّةً له، فهذه على تأْويل ابن زيد: إِباحةٌ مُطلقة في جميع النساءِ

---

(١) سقط من الأصل، و«مشادة» ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «مشارة».

(٢) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «بياءٍ» مع التنبيه على النسخة الأخرى، وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف.

(٣) ليس في المطبوع.

حاشَا ذوات المحارم، لا سيَّما على ما ذكره الضَّحَّاك أن في مصحف ابن مسعود «وَبَنَاتِ خالاتِكَ واللَّاتي هاجَرْنَ مَعَكَ»[١].

ثم قال بعد هذا: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾؛ أَي: من هذه الأَصناف كلها، ثم تجري الضمائر بعد ذلك على العموم إِلى قوله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ فيجيءُ هذا الضمير مقطوعاً من الأول عائداً على أزواجه التسع فقط، على الخلاف في ذلك.

وتأَول غير ابن زيد في قوله: ﴿أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾: أن الإشارة إلى عائشة وحفصة ومَنْ في عصمته مِمَّن تزوَّجن بمهر، وأن مِلْك اليمين بَعْدُ حلالٌ له، وأن الله تعالى أَباح له ﷺ مع المذكورات بناتِ عمه وعماته وخاله وخالاته ممَّن هاجر معه، والواهباتِ خاصة له ﷺ[٢]، فيجيءُ الأَمر على هذا [التأْويل أَضيق على النبي ﷺ.

[٤/ ٢١٥] ويؤيد هذا][٣] التأْويل: ما قاله ابن عباس: / كان رسول الله ﷺ يتزوَّج في أَي الناس شاءَ، وكان ذلك يشق على نسائه، فلما نزلت هذه الآية وحرّم عليه الناس إِلَّا من سُمِّي، سُرَّ نساؤُه بذلك[٤].

قال القاضي أَبو محمد: لأَن ملك اليمين إِنما تعلقه[٥] في النادر من الأَمر، وبنات العم والعمات والخال والخالات يسير[٦]، ومن يمكن أَن يتزوج منهن محصور عند نسائه، لا سيَّما وقد قيِّد ذلك بشرط الهجرة، وكذا الواهبة من النساءِ قليل، فلذلك سُرَّ

(١) وهي شاذة، انظر في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٤٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٥)، مع قول الضحاك وابن زيد.
(٢) راجع تفسير الثعلبي (٨/ ٥٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٩٦).
(٣) سقط من السليمانية.
(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٨) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.
(٥) في الأصل: «يفعله»، وفي الحمزوية: «معلقه».
(٦) قال في حاشية المطبوع: سقطت كلمة «يسير» من جميع الأصول.

أَزواجه بانحصار الأَمر، ثم يجيءُ قوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ إشارة إلى من تقدم ذكره، ثم يجيءُ قوله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ إشارة إلى أَزواجه اللواتي تقدم النَّص عليهن بالتحليل، فيأْتي الكلام متسقاً[١] مطَّرداً أَكثر من اطِّراده على التأْويل الأَول.

و«الأُجور»: المهور.

وقوله: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾؛ أَي: ردَّه عليك في الغنائم، يُريد: أو على أُمَّتك لأَنه فيءٌ عليه، ومِلْك اليمين أَصله الفيءُ من الغنائم، أَو ما تناسل ممن سُبي، والشراءُ من الحربيين كالسباءِ، [ومباح السباء هو][٢] من الحربيِّين.

ولا يجوز سبيُ من له عهدٌ، [ولا تَمَلُّكُه][٣]، ويُسَمَّى سبي الخِبْثَة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ يريد قرابته، رُوي عن أُم هَانِئ بنت أَبي طالب أنها قالت: خطبني رسول الله ﷺ، فاعتذرت إِليه فعذرني، ثم نزلت هذه الآية فحرَّمني عليه لأَني لم أُهاجر معه، وإِنما كنتُ من الطُّلَقاءِ[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ بكسر الأَلف، وهذا يقتضي استئناف الأَمر، أَي: إِنْ وقع فهو حلال له، على أنه قد رُوي عن ابن عباس أَنه قال: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأَة إِلَّا بعقد نكاح أَو مِلْك يمين، وأَمَّا بالْهِبَة فلم يكن عنده منهن أَحد[٦].

---

(١) في المطبوع: «منسَّقاً».

(٢) في المطبوع وفيض الله: «ويباح السباءُ».

(٣) سقط من الأصل، وهذا بإجماع العلماء، انظر: الإقناع (٣/ ١٠٥٨).

(٤) انظر: تسمية السبي المحرم بسبي الخبثة في: (لسان العرب)، مادة: (خبث).

(٥) ضعيف جداً، أخرجه الترمذي (٣٢١٤) وغيره من طريق: إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ بنت أبي طالب.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٨) من طريق: عنبسة بن الأزهر، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها. واللفظ الذي أورده المصنف هو لفظ الطبري نفسه تعبيراً عن هذا المذهب، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة.

وقرأَ الحسن البصري، وأُبيُّ بن كعب، والثَّقفي، والشَّعبي: (أَنْ وَهَبَتْ) بفتح الأَلف[١]، فهي إشارةٌ إلى ما وقع من الواهبات[٢] قبل نزول الآية.

قال القاضي أبو محمد: وكسر الأَلف يجري مع تأْويل ابن زيد الذي قدَّمناه، وفتحها يجري مع التأْويل الآخر، ومن قرأَ بالفتح قال: الإِشارة إِلى من وهب نفسه للنبي ﷺ [من النساءِ][٣] على الجملة.

قال ابن عباس ـ فيما حكى الطبري ـ: هي ميمونة بنت الحارث[٤].

وقال علي بن الحسين: هي أُمُّ شُريك[٥].

وقال عُروة والشَّعبيُّ: هي زينب بنت خزيمة أُمُّ المساكين[٦].

وقال أَيضاً عُروة بن الزبير: هي خولة بنت حكيم بن الأوقص السلمي، [ممن وهبت نفسها للنبي ﷺ][٧].

وفي مصحف ابن مسعود: (وامرأَةً مُؤْمِنَةً وَهَبَت)، دون (إِنْ)[٨].

وقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾؛ أَي: هِبَةُ النِّساءِ أَنفسهن خاصَّةٌ ومزِيَّة[٩]، لا يجوز

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٦).

(٢) في السليمانية وفيض الله: «الهبات».

(٣) من المطبوع والسليمانية، وهي ملحقة في هامش فيض الله.

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٨) من طريق: سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس، وقتادة لم يدرك ابن عباس.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٦١).

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٤١٥)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٠٩).

(٧) سقط من المطبوع، وانظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٠/ ٣١٤٣).

(٨) وهي شاذة، انظرها: في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٤٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٦٢).

(٩) زاد في المطبوع هنا: «لا تجوز»، قال في الحاشية: زيادة عن القرطبي الذي نقل كلام ابن عطية، وقد =

أَن تهب المرأَة نفسها لرجل، وأَجمع الناس على أَن ذلك لا يجوز، [وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح][(١)]؛ إِلَّا ما رُوي عن أَبي حنيفة، ومحمد بن الحسن، وأَبي يوسف أنهم قالوا: إِذا وَهَبَتْ وأَشهدَ هو على نفسه بِمَهْرٍ؛ فذلك جائز[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: [فليس في قولهم إِلَّا تجويز العبارة بلفظة[(٣)] الْهِبَة، وإِلَّا فالأَفعال التي اشترطوها هي أَفعال النكاح بعينه][(٤)].

ويظهر من لفظ أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: أَن معنى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ يراد به جميع الإِباحة، لأَن المؤمنين قُصِروا على مَثْنى وثُلاث ورُباع.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ الآية، يريد: فَرَضْنا الوليَّ والشاهدَ والمهرَ والاقتصار على أَربع، قاله قتادة ومجاهد[(٥)].

وقال أُبيُّ بن كعب: هو مثنى وثُلاث ورُباع[(٦)].

وقوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ﴾[(٧)] أَي: بيَّنا هذا البيان، وشرحنا هذا الشرح؛ لئلا يكون عليك حرج ويُظن بك أَنَّك قد أَثِمت عند ربِّك في شيءٍ.

ثم آنس الجميع من المؤمنين بغفرانه ورحمته.

= سقطت هذه الزيادة من الأصول.

(١) سقط من المطبوع، وانظر الإجماع على ذلك في: الاستذكار (٥/ ٤٠٨).

(٢) انظر: قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن في: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٣٧)، وسقط «أبو يوسف» من الأصل.

(٣) في الأصل وفيض الله: «ولفظة».

(٤) سقط من نجيبويه.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٠)، وتفسير ابن ابي حاتم (١٠/ ٣١٤٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٥).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨٧) من طريق: داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، عن زياد رجل من الأنصار، عن أبي بن كعب. ومحمد بن أبي موسى هذا لا يعرف.

(٧) كتبت في المطبوع: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾، وهو خلاف لفظ الآية المقصودة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾.

﴿تُرۡجِي﴾ معناه: تؤخر.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿تُرۡجِئ﴾ بالهمز.

وقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة، والكسائي: ﴿تُرۡجِي﴾ بغير همز(١)، وهما لغتان بمعنى.

﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾ معناه: تَضُم وتُقَرِّب.

وقال المبرد: هو مُعَدَّى رَجَا يَرْجُو، تقول: رَجَا الرجل وأَرْجَيْتُه: جعلتُه ذا رجاءٍ(٢).

ومعنى هذه الآية: أَن الله تعالى فسح لنبيِّه فيما يفعله في جهة النساءِ، والضمير في ﴿مِنۡهُنَّ﴾ عائد على من تقدم ذكره من الأَصناف حسب(٣) الخلاف المذكور في ذلك.

وهذا «الإِرجاءُ» و«الإِيواءُ» يحتمل معاني: منها [أن معناه](٤) في القَسْم؛ أَي: تُقَرب من شِئْت في القِسْمة لها من نفسك، وتُؤَخر من شئت، وتُكثر لمن شئت، [وتقل لمن شئت](٥) لا حرج عليك في ذلك، فإِذا علمن هن أَن هذا هو حُكم الله وقضاؤُه زالت

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٣)، وعاصم الأول من رواية شعبة.

(٢) الهداية لمكي (٤/ ٢٤٨٤).

(٣) في المطبوع: «حيث».

(٤) ليست في المطبوع والحمزوية وأحمد٣.

(٥) سقط من المطبوع والحمزوية، وأحمد٣.

الأَنفة والتغاير عنهن، ورضين[١] وقرَّت أَعينهن؛ هذا تأْويل مجاهد، وقتادة، والضحاك[٢].

قال القاضي أبو محمد: لأَن سبب الآية إِنما كان تغايُراً وقع بين زوجات النبي ﷺ عليه، فشقي بذلك، ففسح الله تعالى له، وأَنَّبهن بهذه الآيات.

وقال أبو رزين[٣]، وابن عباس: في طلاق من شاءَ ممَّن حصل في عصمته، وإِمساك من شاءَ[٤].

قال أبو زيد[٥]: وكان ﷺ قد همَّ بطلاق بعض نسائه، فقلن له: اقسم لنا ما شئت، فكان ممن أَرْجأَ سودةُ وجويريةُ[٦] وصفية وأُم حبيبة وميمونة، وآوى إليه عائشة وأُمَّ سَلَمة وحفصة وزينب، رضي الله عنهن أَجمعين[٧].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: المعنى: في تزوج من شاءَ من النساءِ وترك من شاءَ[٨].

/ وقالت فرقة: المعنى: في ضمِّ من شاءَ من الواهبات وتأْخير من شاءَ. [٤/ ٢١٦]

قال القاضي أبو محمد: وعلى كلٍّ معنى: فالآية معناها التوسعة على رسول الله ﷺ والإِباحة له؛ قالت عائشة رضي الله عنها: لما قرأَ عليَّ رسول الله ﷺ هذه الآية قلت: ما أَرى ربك إِلا يسارع في هواك[٩].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٦٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩١)، وفي نور العثمانية: «أبو زيد»، وفي أحمد٣ والحمزوية: «ابن زيد»، وكذا المطبوع مع الإشارة للمثبت.

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٩٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «ابن زيد»، وفي الحمزوية ونجيبويه: «ابن رزين»، وفي فيض الله والسليمانية ونور العثمانية: «أبو رزين».

(٦) كتبت في المطبوع: «جويرة»، سهواً.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٥)، وفيه: أبو زيد.

(٨) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٥).

(٩) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٨٨) (٥١١٣)، ومسلم (١٤٦٤).

قال القاضي أبو محمد: وذهب هِبَةُ الله في «الناسخ والمنسوخ» له إلى أن قوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ﴾ الآية ناسخٌ لقوله ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ الآية، وقال: ليس في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخَ سوى هذا[١].

قال القاضي أبو محمد: وكلامه يضعف من جهات.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ يحتمل معاني:

أَحدها: أن تكون ﴿مَن﴾ للتبعيض، أَي: مَنْ أَردتَه وطلبته نفسك مِمَّن كنت عَزَلْتَه وأَخَّرته فلا جُناح في ردِّه إِلى نفسك وإِيوائِه إِليك بعد عزلته.

ووجه ثان: وهو أَن يكون مُقَوِّياً ومُؤَكِّداً لقوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾، فيقول بعْدُ: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ فذلك سواءٌ لا جناح عليك في جميعه[٢]، وذلك كما تقول: [مَنْ لقيك ممن لم يلقك جميعهم لك شاكر، وأنت تريد][٣]: من لقيك ومن لم يلقك، وهذا المعنى يصحُّ أَن يكون في معنى القَسْم، ويصح أَن يكون في الطلاق والإِمساك، وفي الواهبات، وبكل واحدٍ قالت فرقة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ برفع (الأَعيُن).

وقرأَ ابن محيصن: (أن تُقِرَّ أَعْيُنَهُنَّ) بضم التاءِ من (تُقِرَّ) وكسر القاف ونصب (الأعين)[٤].

وقوله: ﴿بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾؛ أَي: من نفسك ومالك.

---

(١) انظر كتابه الناسخ والمنسوخ (ص: ١٤٤)، وانظر: أيضاً تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٦).

(٢) كتبت في الأصل والسليمانية: «جمعه».

(٣) سقط من الحمزوية، في المطبوع: «شاكرين».

(٤) وهي شاذة، انظرها في الكامل: للهذلي (ص: ٦٢١)، و«كسر القاف» من أحمد٣ والمطبوع.

وقرأ جمهور الناس: ﴿كُلُّهُنَّ﴾ رفعاً على التأْكيد للضمير في (يَرْضَينَ)، ولم يُجوِّز الطبري غيرها[١].

وقرأ جويرية بن عابد: (كُلَّهُنَّ) بالنصب[٢] على تأكيد ضمير ﴿ءَاتَيْتَهُنَّ﴾.

قال القاضي أبو محمد: والمعنى: أَنَّهُنَّ يُسلِّمن لله ولحكمه، وكنّ قبل لا يتسامحن بينهن للغيرة، ولا يسلِّمن للنبي ﷺ أَنفةً. نحا إِلى هذا المعنى ابن زيد، وقتادة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ خبرٌ عام، والإِشارة إلى ما في قلب رسول الله ﷺ من محبة شخص دون شخص، وكذلك يدخل في المعنى أَيضاً المؤمنون.

وقوله: ﴿حَلِيمًا﴾ صفة تقتضي منه تبارك وتعالى صفحاً وتأْنيساً في هذا المعنى؛ إِذ هي خواطر وفِكَرٌ لا يملكها الإِنسان في الأَغلب.

واتفقت الروايات على أَنه ﷺ عدل بينهن في القسمة حتى مات[٤]، ولم يمتثل ما أُبيح له معهن ضبطاً لنفسه، وأَخذاً بالفضل، غير أَن سوْدة وهبت يومها[٥] لعائشة تَوصُّلاً[٦] لمسرَّة رسول الله ﷺ[٧].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾، قيل كما قدَّمنا: إِنما حظرت عليه النساءُ إِلَّا التسع اللَّواتي كنَّ عنده، فكأَنَّ الآية ليست متصلة بما قبلها.

---

(١) انظر كلامه على الآية في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٥).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «جويرة»، والصواب أنه جؤية بن عائذ، كما في المحتسب (٢/ ١٨٢)، وسيأتي في (سورة الجن).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٦).

(٤) أخرجه البخاري بمعناه (٢٥٩٣) (٢٦٨٨) بلفظ: كان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها.

(٥) في الأصل والحمزوية: «يومها».

(٦) في الأصل والسليمانية وفيض الله: «تقمناً»، وفي الحمزوية ونور العثمانية: «تغنماً»، وفي نجيبويه مكانها بياض.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٩٣) (٢٦٨٨) (٥٢١٢)، ومسلم (١٤٦٣).

قال ابن عباس، وقتادة: لما هجرهن رسول الله ﷺ شهراً وآلى منهن، ثم خرج وخيَّرهن فاخترن الله ورسوله، جازاهن الله بأَن حظر عليه النساءَ غيرهن، وقنَّعه بهن، وحظر عليه تبديلهن، ونسخ بذلك ما أَباحه له من قبل من التوسعة في جميع النساءِ[١].

وقال أُبيُّ بن كعب، وعكرمة: قوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أَي: من بعد الأَصناف التي سميت[٢]، ومن قال: بأَن الإِباحة كانت له مطلقة؛ قال هنا: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ معناه: لا يحل لك اليهوديات ولا النَّصرانيات.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأْويلٌ فيه بُعْدٌ، وإِن كان رُوي عن مجاهد[٣].

وكذلك قدّر[٤]: ولا أَن تُبَدِّل اليهوديات والنصرانيات بالمسلمات، وهو قول أَبي رَزين، وسعيد بن جبير[٥].

وقال أُبي بنُ كعب: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ يعني: لا يحلُّ لك العماتُ ولا الخالاتُ ونحو ذلك[٦]، وأُمر مع ذلك أَلَّا يَتبَدَّل بأَزواجه التِّسع، منع من أَن يُطلِّق منهن ويتزوَّج غيرهن، قاله الضَّحَّاك[٧].

وقيل: بمن تَزَوَّج وحصل في عصمته، أَي: لا يُبَدِّلها بأن يأْخذ زوجة إِنسان

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٩٧) من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: نهى رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئاً، وانظر: تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٩٨) من طريق: داود، عن محمد بن أبي موسى، عن زياد الأنصاري، قال: قلت لأبي بن كعب.. وقد سبق التعليق على هذا الإسناد قريباً، وانظر قول الضحاك فيه وفي تفسير الثعلبي (٨/ ٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤١٧).

(٤) في الأصل: «روي».

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٥٦).

(٦) لم أجده عن أُبي بهذا اللفظ.

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٥٦).

ويعطيه هو زوجته، وقال ابن زيد: وهذا شيءٌ كانت العرب تفعله[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف أَنكره الطبري وغيره في معنى الآية[٢]، وما فعلت العرب هذا قط.

وما رُوي من حديث عُيَيْنَة بن حصن: أَنه دخل على النبي ﷺ وعنده عائشة رضي الله عنها فقال: مَنْ هذه الحميراءُ؟ فقال له النبي ﷺ: «هذه عائشة»، فقال عُيَيْنَة: يا رسول الله، إِنْ شِئْتَ نزلْتُ لك عن سيدة نساءِ[٣] العرب جمالًا ونسباً[٤]؛ فليس بتبديل، ولا أراد ذلك، وإِنما احتقر عائشة لأَنها كانت صبيَّة، فقال هذا القول.

وقرأَ أبو عمرو بخلاف: ﴿لا تَحِلُّ﴾ بالتاءِ على معنى: جماعة النساءِ.

وقرأَ الباقون بالياءِ من تحت[٥]، على معنى: جميع النساءِ.

وهما حسنان؛ لأَن تأْنيث لفظ النساءِ ليس بحقيقي.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «نساء»: ليست في الأصل.

(٤) ضعيف جداً، أخرجه البزار من طريق: عبد السلام بن حرب عن إسحاق بن عبد الله القرشي، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل لرجل: بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي. أن تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾، قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على النبي ﷺ وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله: فأين الاستئذان؟! قال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحميراء التي جنبك؟ فقال رسول الله: «هذه عائشة أم المؤمنين» قال: فلا أنزل لك عن أحسن الخلق قال: «ياعيينة إن الله تبارك وتعالى قد حرم ذلك» قال فلما أن خرج قالت عائشة من هذا؟ قال: أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه. وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن أبي هريرة بهذا الإسناد، ورواه إسحاق بن عبد الله وإسحاق لين الحديث جداً، وإنما ذكرنا هذا الحديث لأنا لم نحفظه عن رسول الله إلا من هذا الوجه فذكرناه لهذه العلة وبينا العلة فيه، إسحاق بن عبد الله هو ابن أبي فروة، متروك.

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: **١٧٩**)، والوجه الثاني لأبي عمرو ـ الموافق للجمهور ـ هو رواية القطعي عن محبوب بالياء كما في السبعة (ص: **٥٢٣**).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾، قال ابن عباس: نزل ذلك بسبب أَسماءَ بنت عُميس، أَعجبت[١] رسول الله ﷺ حين مات عنها جعفر بن أَبي طالب[٢].

وفي هذه اللَّفظة: ﴿أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ دليل على جواز أَن ينظر الرجل إِلى من يريد زواجها، وقد أَراد المغيرة بن شعبة زواج امرأَةٍ، فقال له النبي ﷺ: «انظر إِليها فإِنه أَجدر أَن يُؤْدَم بينكما»[٣].

وقال ﷺ لآخر: «انظر إِليها فإِن في أَعين الأَنصار شيئاً»[٤]، قال الحميدي: يعني: صغراً[٥].

وقال سهل بن أَبي حَثْمة: رأَيت محمد بن مَسْلَمة[٦] يطارد بثينة بنت الضحاك[٧]

---

(١) في المطبوع: «أعجب..... حُسنُها».

(٢) زاد في المطبوع: «فأَراد أَن يتزوجها»، قال في الحاشية: زيادة وردت في كتب التفسير. ولم أقف عليه مسنداً، وإنما هو شيء يتناقله المفسرون.

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٨٧) وحسنه، والنسائي في الكبرى (٣/ ٢٧٢) وابن ماجه (١٨٦٥) (١٨٦٦) وغيرهم، وله طريقان، ومداره الصحيح على عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله المزني عن المغيرة ابن شعبة كما صرح به الدارقطني في العلل (٧/ ١٣٧) وقيل له: سمع من المغيرة، قال: نعم، لكن قال ابن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين: لم يسمع بكر من المغيرة. تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٤)، وقد روى الحديث عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس قال: أراد المغيرة رضي الله عنه أن يتزوج امرأة... فقال الدارقطني: هذا وهم، وإنما رواه ثابت، عن بكر مرسلاً، وقد روى عبد الرزاق هذا الحديث في مصنفه (٦/ ١٥٦) عن الثوري عن عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله المزني وأنا معمر عن ثابت البناني عن بكر بن عبد الله المزني أن المغيرة بن شعبة قال، قلت: فجمعهما ولعله بسبب ذلك وهم كما قال الدارقطني.

(٤) أخرجه مسلم (١٤٢٤).

(٥) في المطبوع: «صفراءَ».

(٦) هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد الأوسيّ الأنصاريّ الأوسيّ الحارثي، شهد المشاهد: بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك، فإنه تخلف بإذن النبي ﷺ له أن يقيم بالمدينة، وكان ممن ذهب إلى قتل كعب بن الأشرف، وكان من فضلاء الصحابة، توفي سنة (٤٣هـ). الإصابة (٦/ ٢٨).

(٧) في المطبوع: «بُبَيْتَة»، وفي الإصابة (٨/ ٦١): ثبيتة بنت الضحاك بن خليفة، قال أبو عمر: ولدت على =

على إِجَّار من أَجاجير[1] المدينة، فقلت له: أَتفعل هذا؟ فقال: نعم: قال النبي ﷺ: «إذا أَلقى الله في قلب أحدكم خِطبة امرأَة فلا بأْس أَن ينظر إليها»[2].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾؛ ﴿مَا﴾ في موضع رفع بدل من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾.

[ويجوز أَن تكون في موضع نصب على الاستثناءِ، وفي النصب ضعف][3].

ويجوز أَن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، والتقدير: إِلَّا ملك يمينك، وبمعنى: مملوك، وهو في موضع نصب؛ لأَنه استثناءٌ من غير الجنس الأَول.

و«الرَّقيبُ» فعيل بمعنى فاعل، أَي: راقب / . [٤/ ٢١٧]

= عهد رسول الله ﷺ، وذكرها بالنون بدل الموحدة، وتفرد بذلك، وذكرها أبو نعيم في الباء الموحدة، وقبل الهاء نون، والمشهور أنها بالمثلثة، قاله أبو موسى.

(١) قال ابن سيده: الإِجَّار والإِجَّارة: سطح ليس عليه سُترة.

(٢) هذا الحديث إسناده مختلف فيه، وهو على كل حال ضعيف، هذا الحديث أخرجه ابن ماجه (١٨٦٤) وغيره، وقد اختلف في إسناده، حكى هذا الخلاف البخاري في ترجمة محمد بن سليمان ابن أبي حثمة من التاريخ الكبير (١/ ٩٧) وكأن محمداً هذا يعرف بهذا الخبر، وحكى الخلاف أيضاً الدارقطني في العلل (١٤/ ١٣)، وهو حديث محمد بن سليمان بن أبي حثمة، حدث به إبراهيم ابن صرمة، عن يحيى بن سعيد، عنه، عن عمه سهل بن أبي حثمة، عن محمد بن مسلمة، أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٢) وقال: هذا حديث غريب وإبراهيم بن صرمة ليس من شرط هذا الكتاب، ورواه الحجاج بن أرطاة عنه، واختلف عليه فيه، فرواه عبد الواحد بن زياد، ويحيى بن سعيد الأموي، ويزيد بن هارون، عن الحجاج بن أرطاة، عن محمد بن سليمان بن أبي حثمة، عن عمه سهل، عن محمد بن مسلمة، وخالفهم أبو معاوية الضرير، فقلب إسناده ولم يضبطه، فقال: عن الحجاج، عن سهل بن محمد بن أبي حثمة، عن عمه سليمان بن أبي حثمة، عن محمد بن مسلمة، ورواه حماد بن سلمة، عن الحجاج، عن محمد بن سهل بن حنيف، عن أبيه، عن محمد بن مسلمة، ووهم أيضاً، والصحيح قول عبد الواحد بن زياد ومن تابعه، عن الحجاج. قاله الدارقطني، والحجاج ضعيف لا يعتمد عليه، ومحمد بن سليمان ـ وعليه مدار الحديث ـ لم يوثق توثيقاً يعتد به.

(٣) سقط من الأصل، وهو في السليمانية ملحق في الهامش.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾.

هذه الآية تتضمن قصتين: إِحداهما الأَدب في أَمر الطعام والجلوس، والثانية أَمر الحجاب.

فأَمَّا الأُولى: فالجمهور من المفسرين على أَن رسول الله ﷺ لمَّا تزوج زينب بنت جحش أَولَم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت، فثقل على رسول الله ﷺ مكانهم، فخرج ليخرجوا بخروجه ومرَّ على حجر نسائه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم وزينب في البيت معهم، فلما دخل ورآهم انصرف، فخرجوا عند ذلك.

قال أنس: فأُعلم أَو أَعْلَمْتُه بانصرافهم فجاءَ، فلمَّا وصل الحجرة أَرخى الستر بيني وبينه ودخل، ونزلت الآية بسبب ذلك[1].

وقال قتادة، ومقاتل ـ في كتاب الثعلبي ـ: إن هذا السبب جرى في بيت أُمِّ سَلمة، والأَول أَشهر[2].

وقال ابن عباس: نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أَن يدرك، ثم يأْكلون ولا يخرجون[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٩٣)، ومسلم (١٤٢٨).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٥٨)، وفي نجيبويه: «الشعبي».

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

وقال إسماعيل بن أَبي حكيم[١]: هذا أَدب أَدَّب الله به الثقلاءَ[٢].

وقال ابن عائشة[٣] ـ في كتاب الثعلبي ـ : بحسبك من الثقلاءِ أَن الشرع لم يحتملهم[٤].

وأَما آية الحجاب: فقال أَنس بن مالك وجماعة: سببها [أَمْر القعود في بيت زينب، القصة المذكورة آنفاً، وقالت فرقة: بل في بيت أُمِّ سَلَمَة.

وقال مجاهد:][٥] سبب آية الحجاب: [أن رسول الله ﷺ أكل معه قوم وعائشة معهم فمست يدها يد رجل منهم][٦]، فنزلت آية الحجاب بسبب ذلك[٧].

وقالت عائشة وجماعة: سبب الحجاب كلام عمر رضي الله عنه، وأَنه كلَّم رسول الله ﷺ مراراً في أَن يحجب نساءَه، فكان رسول الله ﷺ لا يفعل، وكان عمر يُتابع، فخرجت سودةُ ليلاً لحاجتها ـ وكانت امرأَة تفرع النِّساءَ طولاً ـ فناداها عمر رضي الله عنه: قد عرفناك يا سودة ـ حرصاً على الحجاب ـ وقالت له زينب بنت جحش: عجباً لك

---

(١) هو إسماعيل بن أبي حكيم المدني أخو إسحاق مولى قريش، روى عن القاسم بن محمد وسعيد ابن مرجانة وجماعة، وعنه مالك وزهير بن محمد وإسماعيل بن جعفر وآخرون، وثقه ابن معين وغيره، وكان كاتب عمر بن عبد العزيز، توفي سنة (١٣٠هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٢٤).

(٣) في المطبوع: «ابن أبي عائشة»، والمثبت هو الموافق للمصدر، وهو عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي التيمي البصري من ولد عائشة بنت طلحة، روى عن حماد بن سلمة وابن عيينة وغيرهما، وعنه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما، كان ثقة جواداً عالماً بالعربية وأيام الناس، رُمي بالقدر ولم يصح عنه، توفي سنة (٢٢٨هـ). انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ١٤٧)، وتقريب التهذيب (ص: ٣٧٤).

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٥٩).

(٥) سقط من الأصل.

(٦) سقط من أحمد٣ والحمزوية والمطبوع.

(٧) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣١٤) من طريق: هشيم، عن ليث، عن مجاهد. وهشيم مدلس وليث ضعيف.

يا بن الخطاب، تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا؟ فما زال عمر رضي الله عنه يتابع حتى نزلت آية الحجاب[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت ربِّي في ثلاث: منها الحجاب، ومقام إبراهيم، و﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، الحديث[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وكانت سيرةُ القوم إِذا كان لهم طعام وليمة أَو نحوه أَن يُبَكِّر من شاءَ إِلى دار الدعوة، ينتظرون طبخ الطعام ونضجه في حديث وأُنْس، وكذلك إِذا فرغوا منه جلسوا كذلك، فنهى الله تعالى المؤمنين عن أَمثال ذلك في بيت النبي ﷺ، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله لهم في ذلك، فمنعهم من الدخول إِلَّا بإِذن عند الأَكل، لا قَبْلَهُ لانتظار نضج الطعام.

و﴿نَٰظِرِينَ﴾ معناه: منتظرين.

و﴿إِنَىٰهُ﴾ مصدرُ أَنَى الشيءُ يأْنِي، إِذا فرغ وحانَ إِنًى، ومنه قول الشاعر:

[الوافر]

تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَنَى ولِكُلِّ حامِلَةٍ تَمَامُ[٣]

وقرأَ الجمهور بفتح النون من ﴿إِنَىٰهُ﴾، وأَمالها حمزة والكسائي[٤].

ثم أَكَّدَ المنع وحصر وقت الدخول بأَن يكون عند الإِذن، ثم أَمر بعد الطعام بأَن يفترق جمعهم وينتشر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ عطف على قوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾، و﴿غَيْرَ﴾

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٦)، ومسلم (٢١٧٠) بنحوه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٠٢) ومسلم (٢٣٩٩).

(٣) في الأصل: «لكل خاتمة»، البيت للنابغة كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٨)، وعزاه في سيرة ابن هشام (١/ ٦٩) لخالد بن حق الشيباني، وفي الاختيارين (ص: ١٦٤) للحارث بن مسهرٍ الغساني، وفي الصحاح (٣/ ١١٠٥) لعمرو بن حسان أحد بني همام بن مرة.

(٤) السبعة (ص: ٥٢٣)، وقللها ورش بخلفه على قواعدهم.

منصوبة على الحال من الكاف والميم في ﴿لَكُمْ﴾، أَيْ: غَيْرَ ناظرين ومستأْنسين.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (غَيْرِ) بكسر الراءِ[١]، وجوازه على تقدير: غير ناظرين إِناهُ أَنْتُمْ.

وقرأَ الأَعمش: (آنَاءهُ) على جمع (إِنَى) بمدَّةٍ بعد النون[٢].

وقرأَت فرقة: ﴿فَيَسْتَحْيِۦ﴾ بإِظهار الياءِ المكسورة قبل الساكنة.

وقرأَت فرقة: (فَيَسْتَحِي) بسكون الياءِ دون ياءٍ مكسورة قبلها[٣].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ﴾ معناه: لا يقع منه تَرْكُ قول الحق، ولما كان ذلك يقع من البَشَر لِعِلَّةِ الاستحياءِ نفى عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾ الآية هي آية الحجاب، و«المتاع» عامٌّ في جميع ما يمكن أَن يطلب على عُرْف السكنى والمجاورة من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد الخواطر التي تعرض [للرجال في أمر النساء][٤] وللنساءِ في أَمر الرجال.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ الآية، رُوي أَنها نزلت بسبب أَن بعض الصحابة قال: لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فتأَذَّى به، هكذا كنَّى عنه ابن عباس بـ«بعض الصحابة»[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظرها في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٦)، والكامل للهذلي (ص: ٦٢١).

(٢) وهي شاذة، انظرها في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩٩)، وفي المطبوع وأحمد٣: «إناه».

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٦) للأزرق عن أبي عمرو وعن ابن محيصن، والأولى هي المتواترة.

(٤) سقط من المطبوع وأحمد.

(٥) قال في الإصابة (٣/ ٤٣٣): قد ذكر ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس القصة المذكورة، ولم يسمّ القائل.

وحكى مكي عن مَعْمر أَنه قال: هو طلحة بن عبيد الله[١].

قال القاضي أَبو محمد: لله درُّ ابن عباس، وهذا عندي لا يصحُّ على طلحة[٢]، الله عاصمه منه.

ورُوي: أَن رجلاً من المنافقين قال حين تزوج رسول الله ﷺ أُمَّ سَلَمَة بعد أَبي سَلَمَة، وحفصة بعد خُنَيْس بن حُذَافة[٣]: ما بال محمد يتزوج نساءَنا، والله لو قد مات لأَجَلنا السهام على نسائه، فنزلت الآية في هذا[٤]، حرَّم الله نكاح أَزواجه بعده، وجعل لهن حكم الأُمهات.

ولما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب ثم رجعت تزوج عكرمة بن أَبي جهل قيلة بنت الأَشعث بن قيس[٥]، وكان رسول الله / ﷺ قد تزوجها ولم يَبْن بها، فصعب ذلك على أَبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقَلِقَ له، فقال له عمر رضي الله عنه: مهلاً [يا خليفة رسول الله][٦]، إِنها ليست من نسائه، إِنه لم يخيرها ولا أَرخى عليها حجاباً، وقد [٤/ ٢١٨]

(١) الهداية لمكي (٩/ ٥٨٦٤).

(٢) ابن عبيد الله الذي هو ابن عثمان بن عمرو بن كعب أحد العشرة المبشرين بالجنة، والصواب أنه ابن عمه: طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب التيميّ، قال في الإصابة (٣/ ٤٣٣): ذكره أبو موسى في الذّيل عن ابن شاهين بغير إسناد، وقال: إن جماعة من المفسّرين غلطوا فظنوا أنه طلحة أحد العشرة، قال: وكان يقال له طلحة الخير، كما يقال لطلحة أحد العشرة.

(٣) في نجيبويه: «أبي حنيش»، وهو خنيس بن حذافة بن قيس القرشي السهمي، أخو عبد الله، كان من السابقين، وهاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد بدراً، وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها، الإصابة (٢/ ٢٩٠).

(٤) كسابقه لا يعرف له إسناد.

(٥) في فيض الله والسليمانية: «قتيلة»، قال في القسم الرابع من الإصابة (٨/ ٢٩٢): هي قيلة بنت قيس ابن معديكرب الكندية، أخت الأشعث، تزوّجها رسول الله ﷺ سنة عشر، ومات ولم تك قدمت عليه ولا رآها ولا دخل بها، فتزوجها عكرمة بحضرموت، ولم تلد له.

(٦) سقط من أحمد٣ والمطبوع.

أَبانتها منه ردَّتُها مع قومها، فسكن أَبو بكر رضي الله عنه[١].

وذهب عمر إِلى أَلَّا يشهد جنازة زينب بنت جحش إِلَّا ذو محرم منها مراعاة للحجاب، فدلَّته أَسماءُ بنت عميس على سترها في النعش بالقبة، وأَعلمته أَنها رأَت ذلك في بلاد الحبشة، فصَنَعه عمر[٢]، ورُوي: أَن ذلك صُنع في جنازة فاطمة بنت النبي ﷺ[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الآية؛ توبيخ ووعيدٌ لمن تقدم التعريض به في الآية قبلها، ممن أُشير إِليه بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، ومن أُشير إِليه في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، فقيل لهم في هذه الآية: إِن الله يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة، ويُجازيكم عليها.

ثم ذكر تبارك وتعالى الإِباحة فيمن سمَّى من القرابة؛ إِذ لا تقتضي أَحوال البشر إِلَّا مداخلة من ذَكَر، وكثرة تَرْداده، وسلامة نفسه من أَمر الغزل؛ لما تتحاشاه النفوس من ذوات المحارم، فمن ذلك الآباءُ والأَولاد والإِخوة وأَبناؤُهم وأَبناءُ الأَخوات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ دخل فيه الأَخوات والأُمهات وسائر القرابات ومن يتصل من المتصرفات لهن، هذا قول جماعة من أَهل العلم، ويؤيد قولَهم هذه الإِضافة المخَصَّصة في قوله: ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾.

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣١٧) من طريق: داود بن أبي هند عن الشعبي مرسلًا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

وقال ابن زيد وغيره: إِنما أَراد جميع النساءِ المؤمنات، وتخصيص الإِضافة إِنما هو في الإِيمان[١].

قوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ﴾، قالت طائفة: من الإِماءِ دون العبيد، وقالت طائفة: من العبيد والإِماءِ، ثم اختلفت هذه الطائفة ـ فقالت فرقة: ما مَلَكَتْه من العبيد دون من ملك سواهن، وقالت فرقة: بل من جميع العبيد، كان في مِلكهن أَو مِلك غيرهن، والمُكَاتَب إِذا كان عنده ما يؤَدي فقد أَمر رسول الله ﷺ بضرب الحجاب دونه، وفعلت ذلك أُمُّ سَلَمَة مع مُكَاتَبها نبهان، ذكره الزهراوي[٢].

وقالت فرقة: دخل الأعمامُ في الآباءِ، وقال الشعبي، وعكرمة: لم يذكرهم لإِمكان أَن يصفوا لأَبنائهم، وكذلك الخال، وكرها أَن تضع المرأَة خمارها عند عمها أَو خالها[٣].

واختلف المتأَولون في المعنى الذي رفع فيه الجُنَاح بهذه الآية:

فقال قتادة: هو الحجاب. أَيْ: أُتيح لهذه الأَصناف الدخول على النساءِ دون الحجاب ورؤيتهن.

وقال مجاهد؛ ذلك في وضع الجلباب وإِبداءِ الزينة[٤].

ولما ذكر الله تعالى الرخصة في هذه الأَصناف، وانجزمت الإِباحة، عَطَف بأمرهن[٥]

---

(١) انظر تفسير القرطبي (٢٠/ ٣١٩).

(٢) ضعيف، أخرجه أبو داود (٣٩٣٠) والترمذي (١٢٦١) والنسائي في الكبرى (٩٢٢٨) وابن ماجه (٢٥٢٠) وغيرهم من طريق: الزهري عن نبهان مكاتب أم سلمة قال: سمعت أم سلمة تقول: قال لنا رسول الله ﷺ: «إن كان لإحداكن مكاتب فكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه»، وقد تفرد به نبهان، وفيه جهالة، وقد تفرد بحديثين، هذا أحدهما، قاله أحمد كما في شرح منتهى الإرادات (٠٢/ ٦٢٦) وغيره.

(٣) انظر قول الشعبي وعكرمة في: تفسير الطبري (٢/ ٣١٩).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٣١٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٢٠)، وانظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٦٠).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «فأَمرهن»، وفي الأصل ونور العثمانية: «يأَمرهن».

بالتقوى عطف جملة [على جملة][١]، وهذا في غاية البلاغة والإِيجاز، كأنه قال: اقْتَصِرْن على هذا واتَّقِين الله فيه أَن تتعدَّينه إِلى غيره.

ثم توعَّد تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

هذه الآية شرَّف الله بها رسوله ﷺ، وذكر منزلته منه، وظهر بها سوءُ فعل من استصحب في جهته [فكرة سُوءٍ][٢] في أَمر زوجاته، ونحو ذلك.

وقوله: ﴿يُصَلُّونَ﴾، قالت فرقة: الضمير فيه للَّهِ وللملائكة، وهذا قول من الله تعالى شرَّف به ملائكته، فلا يصحبه الاعتراض الذي جاءَ في قول الخطيب عند النبي ﷺ: «من أَطاع الله ورسوله رَشَد، ومن يعصهما فقد ضل»، فقال له رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أَنت»[٣]، قالوا: لأَنه ليس لأَحد من البشر أن يجمع ذكر الله تعالى مع غيره في ضمير واحد، وللَّهِ أَن يفعل من ذلك ما يشاءُ.

وقالت فرقة: في الكلام حذف تقديره: إِن الله يصلي على النبي وملائكته يصلُّون، ودلَّ الظاهر من القول على ما تُرِكَ، وليس في الآية اجتماع في ضمير، وذلك جائز للبشر فعلُه، ولم يقل رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أَنت» لهذا المعنى، وإِنما قاله لأَن الخطيب وقف على «ومن يعصهما»، وسكت سكتة.

---

(١) من السليمانية ونور العثمانية وفيض الله.

(٢) في الحمزوية: «مكراً أو سوءاً».

(٣) أخرجه مسلم (٨٧٠).

ومما يؤيد هذا: أَن في كلام النبي ﷺ في «مصنَّف أَبي داود»: «ومن يعصهما»[١]، فجمع ذكر الله وذكر رسوله في ضمير.

ومما يؤيد القول الأَول: أَن في «كتاب مسلم»: «بئس الخطيب أَنتَ، قل: ومن يعص الله ورسوله»[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا يحتمل أَن يكون لمَّا خطَّأَه في وقفه وقال له: «بئس الخطيب أَنت» [أَصْلَح له بعد ذلك جميع كلامه؛ لأَن فصل ضمير اسم الله تعالى من ضمير غيره أَولى لا محالة، فقال له: «بئس الخطيب أَنت»][٣] لموضع خطئه في الوقف، وحمله على الأَولى في فصل الضميرين وإِن كان جمعهما جائزاً.

وقرأ الجمهور: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ نصباً عطفاً على المكنون.

وقرأ ابن عباس: (وَمَلائِكَتُهُ) بالرفع[٤] عطفاً على الموضع قبل دخول (إِنَّ). وفي هذا نظر.

وصلاة الله تعالى رحمةٌ منه وبركة، وصلاة الملائكة دعاءٌ وتعظيم، والصلاة على رسول الله ﷺ في كل حين من الواجبات وجوب/ السُّنَن المؤكَّدة التي لا يسع[٥] تركها، ولا يغفلها إِلَّا من لا خير فيه[٦]. [٤/ ٢١٩]

(١) ضعيف، سنن أبي داود (١٠٩٩) من طريق: عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن ابن مسعود مرفوعاً، قال علي بن المديني: عبد ربه الذي روى عنه قتادة مجهول: لم يرو عنه غير قتادة.اهـ، ثم رواه أبو داود من طريق: ابن وهب عن يونس أنه سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله ﷺ يوم الجمعة فذكر نحوه قال: ومن يعصهما فقد غوى وهذا مرسل.

(٢) في الموضع المشار إليه آنفاً.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٧).

(٥) في المطبوع: «يصح».

(٦) الصلاة على النبي ﷺ؛ فرض في العمر مرة واحدة بلا خلاف بين العلماء، انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٦٢٣).

وقال ﷺ: «أَكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة فإِنه يوم مشهود»[(١)].

وصِفتُها على ما ورد عنه ﷺ في كتاب الطبري من طريق ابن عباس[(٢)] رضي الله عنه: أنه لما نزلت هذه الآية، قال له قوم من الصحابة؛ هذا السلام عليك يا رسول الله عرفناه، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إِبراهيم وآل إِبراهيم، [وارحم محمداً وآل محمد كما رحمت وباركت على إِبراهيم وآل إِبراهيم][(٣)] في العالمين، إِنك حميد مجيد»[(٤)]، وفي بعض الروايات زيادة ونقص، وهذا معناه.

وقرأ الحسن: (يا أيها الذين آمنوا فصلوا عليه)[(٥)].

وهذه الفاءُ تُقَوِّي معنى الشرط، أَي: صلَّى اللهُ فصلُّوا أَنتم، كما تقول: أَعطيتُك فَخُذ.

وفي حرف عبد الله: (صلُّوا عليه كما صلَّى الله عليه وسلِّموا تسليماً)[(٦)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ﴾ الآية، قال الجمهور معناهُ: بالكفر ونِسْبة الصاحب والولد والشريك إِليه، ووصفه بما لا يليق به.

وفي الحديث: «قال الله: شتمني عبدي فقال: إِن لي ولداً، وكذَّبني فقال: إِنه لن يُبعث»[(٧)].

---

(١) منقطع، أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧) من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء مرفوعاً. قال البخاري: زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي، مرسل. التاريخ الكبير (٣/ ٣٨٧).

(٢) في المطبوع: «ومن طريق ابن عباس».

(٣) سقط من الحمزوية، وسقط ذكر البركة من أحمد٣ والمطبوع.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٩٨) (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٥)، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٠)، وما بعدها.

(٥) وهي شاذة، انظرها في: المحتسب (٢/ ١٨٣).

(٦) وهي شاذة مخالفة للرسم، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٧) لطلحة.

(٧) أخرجه البخاري (٣١٩٣) (٤٤٨٢) (٤٩٧٤) (٤٩٧٥) بلفظ: «قال الله تعالى: يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني وما ينبغي له؛ أما شتمه، فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه؛ فقوله: ليس يعيدني كما بدأني».

وقال عكرمة: معناه بالتصوير والتعرُّض لفعل ما لا يفعله إِلَّا الله[١] بنحت الصُّور وخلقها[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المصورين»[٣].

وقالت فرقة: ذلك على حذف مضاف، تقديره: يؤذون أَولياءَ الله.

و«إِذاية الرسول ﷺ»: هي بما يؤذيه به من الأَقوال في غير معنى واحد، ومن الأَفعال أَيضاً.

وقال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتَّخَذ صفيَّة بنت حُيَي[٤].

قال القاضي أَبو محمد: والطَّعنُ في تأْمير أُسامة إِذايةٌ له ﷺ أَيضاً.

وقوله: ﴿لُعِنُواْ﴾ معناه: أُبعدوا من كل خير.

و«إِذاية المؤمنين والمؤمنات»: هي أَيضاً بالأَفعال والأَقوال القبيحة والبُهتان والكذب الفاحش المختلق.

ورُوي: أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً لأُبيٍّ بن كعب: إِنِّي قرأْتُ هذه الآية البارحة ففزعت منها ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ الآية، والله إِنِّي لأَضربهم وأَنهرهم، فقال له أُبيٌّ: لست منهم يا أَمير المؤمنين، إنما أنت مُعَلِّم ومُقَوِّم[٥].

وذكر أَبو حاتم: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأَ: (إِنَّ الذينَ يُؤذونَ

---

(١) لفظ الجلالة «الله» ليس في المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٢٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٦٣)، بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٤٧) بلفظ: ولعن المصورين. يعني النبي ﷺ.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢٢) من طريق عطية العوفي وهو ضعيف.

(٥) لم أقف عليه مسنداً.

الْمؤمنين والْمُؤمنات)، ثم قال لأُبيّ رضي الله عنه: كيف تقرأُ هذه الآية؟ فقرأَها كما قرأَها عمر رضي الله عنه[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾.

لما كانت عادة العربيات التبذل في معنى الحجبة، وكنَّ يكشفن وجوههن كما تفعل الإِماءُ، وكان ذلك داعياً إِلى نظر الرجال إِليهن وتشعب الفكرة فيهن، أمر الله رسوله ﷺ بأمرهن بإِدناءِ الجلابيب ليقع تسترهن، فيكُفَّ عن معارضتهن من كان غَزِلاً أَو شابّاً.

ورُوي: أنه كان في المدينة قوم يجلسون على الصُّعُدات لرؤية النساءِ ومعارضتهن ومراودتهن، ونزلت الآية بسبب ذلك[٢].

و«الجِلْباب»: ثوب أَكبر من الخمار، ورُوي عن ابن عباس، وابن مسعود أَنه الرداءُ[٣].

واختلف الناس في صورة إِدنائه:

فقال ابن عباس أيضاً[٤]، وعَبيدة السَّلْماني: ذلك أَن تلويه المرأَة حتى لا يظهر منها إِلَّا عين واحدة تبصر بها[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً[٦]، وقتادة: ذلك أَن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأَنف وإِن ظهرت عيناها، لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه[٧].

---

(١) لم أقف عليها، وهي شاذة.

(٢) أخرج نحو ذلك الطبري (٢٠/ ٣٢٥) من طريق ضعيف.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (١٩/ ٢١٧) من طرق عدة عن ابن مسعود، ولم أره عن ابن عباس مسنداً.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٥)، وتفسير ابن ابي حاتم (١٠/ ٣١٥٥)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٧٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: أن تقنع وتشد على جبينها.

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٥).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾؛ أَي: على الجملة بالفرق حتَّى لا يختلطن بالإِماءِ، فإِذا عُرِفْن لم يقابلن بأذى[١] من المعارضة مراقبةً لرتبة الحرية، وليس المعنى أن تُعرف المرأَة حتَّى تُعلم من هي، وكان عمر رضي الله عنه إِذا رأَى أَمَةً قد تقنَّعت قنعها بالدِّرّة محافظة على زيِّ الحرائر[٢].

وباقي الآية ترْجية ولُطْف وحضٌّ على التوبة وتطميع في رحمة الله، وفيها تأْنيس للنساءِ في ترك الجلابيب قَبْل هذا الأَمر المشروع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾.

اللَّام في ﴿لَّئِن﴾ هي المؤذنة بمجيءِ الْقَسَم، واللَّام في ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ﴾ هي لام القَسَم، وتوعَّد الله تعالى هذه الأَصناف في هذه الآية، وقَرَن توعُّده بقرينة متابعتهم في تركهم الانتهاءَ، فقالت فرقة: إن هذه الأَصناف لم تنته، ولم ينفذ الله عليهم هذا الوعيد، فهذه الآية دليل على بُطلان القول بإِنفاذ الوعيد في الآخرة[٣].

وقالت فرقة: إِن هذه الأَصناف انتهت، وتستَّر جميعُهم بأَمرهم وكفوا، وما بقي من أَمرهم أَنفذ الله وعيداً بإِزائه، وهو مثل نهي النبي ﷺ عن الصَّلاة عليهم، إِلى غير ذلك مما أَحلَّه رسول الله ﷺ بالمنافقين: من الإِذلال في إِخراجهم من المسجد، وبما نزل فيهم من سورة براءَة، وغير ذلك، فهم لم يمتثلوا الانتهاءَ جملة، ولا نفذ عليهم الوعيد كاملاً.

و﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ صنف يظهر الإِيمان ولا يبطنه.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «بأدنى».
(٢) لم أقف عليه.
(٣) ممن قال بهذا القول المهدوي في التحصيل (٥/ ٣٠٧)، وانظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٨).

و(الذين في قلوبهم مرض) هو الغَزل وحب الزِّنا، قاله عكرمة[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

و(المرجفون في المدينة) هم قومٌ من المنافقين كانوا يتحدثون بغزو العرب المدينة، وبأَن رسول الله ﷺ سيُغلَب، إلى نحو هذا مما يرجفون به نفوسَ المؤمنين، فيحتمل أن تكون هذه الأَصناف متفرقة بعضها من بعض، ويحتمل أَن تكون داخلة في جملة المنافقين لكنه نص على هاتين الطائفتين وقد ضمَّهم عموم لفظة النفاق تنبيهاً عليهم، وتشريداً بهم، وغضّاً منهم.

و(نُغرِيَنَّكَ) معناه: نحضك عليهم بعد تعيينهم لك، قال ابن عباس: لنُسَلِّطَنَّك عليهم[٢].

وقال قتادة: لنحرسنَّك بهم[٣].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾؛ أي: بعد الإِغراءِ؛ لأَنك تنفيهم بالإِخافة والقتل.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل أَن يريد: إِلَّا جِوَاراً قليلاً ووقتاً قليلاً.

ويحتمل أَن يريد: إِلَّا عدداً قليلاً كأَنه قال: إِلَّا أَقِلَّاءَ.

قوله: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ يجوز أن ينتصب على الذَّم، قاله الطبري[٤].

ويجوز أَن يكون بدلاً من (أَقِلَّاءَ) الذي قدرناه قبل في أَحد التأْويلات.

ويجوز أَن يكون حالاً من الضمير في ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾، [كأَنه قال: ينتفون من

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٢٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٧٩).
(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢٨) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٧٩).
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٨).

المدينة ملعونين، فلما تقدر (لا يُجاورنَك)][(١)] تقدير (يَنْتَفُونَ) حَسُن هذا.

و«اللَّعنة»: الإبعاد.

و﴿ ثُقِفُوٓاْ ﴾ معناه: حُصِرُوا وقُدِر عليهم.

و﴿ أُخِذُواْ ﴾: معناه: أُسِرُوا، والأَخِيذُ: الأَسير، ومنه قول العرب: أَكْذَبُ من الأَخيذِ الصبْحانِ[(٢)].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَقُتِّلُواْ ﴾ بشد التاءِ، ويؤَيِّدها المصدر بعدها.

وقرأَت فرقة بتخفيف التاءِ، والمصدر على هذه القراءَة على غير المصدر[(٣)].

قال الأَعمش: كلُّ ما في الْقرآن غير هذا الموضع فهو ﴿قُتِلُوٓاْ ﴾ بالتخفيف[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر، ويجوز فيه الإِغراءُ على بعد.

و﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ ﴾ هم منافقو الأُمم.

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾؛ أَي: من غالبٍ يستقر تبديله، فيخرج عن هذا تبديل العُصاة والكفرة، ويخرج عنه ما يبدله الله من سُنَّة بِسُنَّة في النسخ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾.

---

(١) سقط من نور العثمانية، في الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع: «تقرر»، و«من المدينة» من المطبوع.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٤/ ١٥٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٥٦).

(٣) في المطبوع: «القياس»، وفي الأصل محلها بياض. وهي شاذة، ذكرها في البحر المحيط (٨/ ٥٠٦)، وأشار لجوازها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٧).

(٤) لم أقف على قول الأعمش.

سُئل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة متى هو؟ فلم يُجب في ذلك بشيءٍ[١]، ونزلت الآية آمرةً أَن يَرُدَّ العلم فيها إِلى الله؛ إِذ هي من مفاتيح الغيب التي استأْثر الله بعلمها.

ثم توعَّد[٢] العالم بِقُربها في قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ الآية؛ أَي: ينبغي أَن تحذر.

و﴿قَرِيبًا﴾: لفظة واحدٍ جمعاً وإفراداً ومذكراً ومؤنثاً، ولو كان صفة للسَّاعَة لكان: قريبة.

ثم توعَّد الكافرين بعذاب لا وليَّ لهم منه ولا ناصر.

وقوله: ﴿يَوْمَ﴾ يجوز أَن يكون متعلقاً بما قبله، والعامل فيه ﴿يَجِدُونَ﴾، وهذا تقدير الطبري[٣]، ويجوز أَن يكون العامل فيه (يَقُولُونَ) ويكون ظرفاً للقول.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾ على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، بضم التاءِ وشد اللَّام المفتوحة.

وقرأَ أَبو حيوة: (تَقَلَّبُ وجُوهُهُم) بفتح التَّاءِ، بمعنى: تَتَقَلَّب.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (تَتَقَلَّبُ) بتاءَيْن.

وقرأَ خارجة، وأَبو حيوة: (نُقَلِّبُ) بالنون.

وقرأَ عيسى بن عمر الكوفي (تُقْلِبُ) بالتاءِ المضمومة وكسر اللَّام؛ أَيْ: تُقْلِب السعيرُ، وبنصب (الوجوه) [في هاتين القراءتين][٤]، فيومئذ يتمنون الإِيمان وطاعة الله ورسوله حين لا ينفعهم التمنِّي.

---

(١) ثبت ذلك في أحاديث كثيرة، منها حديث جبريل المشهور، وهو متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠) وغير موضع، ومسلم (٨، ٩)، ومنها حديث أنس عند البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩) أيضاً.

(٢) في السليمانية: «وعد».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٠).

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣، وهذه أربع قراءات شاذة، انظر الأولى والأخيرة: في المحتسب (٢/ ١٨٤)، والثالثة لأبي حيوة في الكامل للهذلي (ص: ٦٢١)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٧)، وكذا الثانية لابن أبي عبلة إلا أنهما ضبطاها بتاء واحدة مشددة.

ثم لاذوا بالتَّشَكِّي من كبرائهم في أَنهم أَضلُّوهم.

وقرأ جمهور الناس: ﴿سَادَتَنَا﴾، وهو جمع سيِّد.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن، وابن عامر وحده من السبعة، وأبو عبد الرحمن، وقتادة وأَبو رجاءٍ، والعامة في المسجد الجامع بالبصرة: ﴿ساداتِنا﴾، على جمع الجمع[1].

و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ مفعول ثان؛ لأَنَّ (أَضَلَّ) مُعَدَّى بالهمزة، و(ضَلَّ) يتعدَّى إلى مفعول واحد، [فيما هو مقيم كالطريق والمسجد][2]، وهي سبيل الإِيمان والهُدى.

ثم دعَوْا بأَن يضاعف الله للكُبَراءِ المُضِلِّين العذاب، أَي: عن أَنفُسِهم وعمَّن أَضَلُّوا.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحُذَيْفة بن اليمان، والأَعرج بخلاف عنه: ﴿لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ بالباءِ، من الكِبَر.

وقرأ الباقون والجمهور: ﴿لعناً كثيراً﴾ بالثاءِ ذات الثلاث[3]، والكَثْرة أَشبه بمعنى اللَّعنة من الكِبَر، أَي: الْعَنْهم مرات كثيرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

(الذين آذَوْا موسى): هم قوم من بني إِسرائيل.

واختلف الناس في الإِذاية التي كانت وبرَّأه الله منها:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٩)، وانظر عزوها للحسن في الطبري (٢٠/ ٣٣١)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ٥٠٧).

(٢) سقط من أحمد٣ والمطبوع والحمزوية.

(٣) وهما سبعيتان، والأولى لعاصم في التيسير (ص: ١٧٩)، وانظر الخلاف عن هشام في النشر (٢/ ٣٤٩)، الكامل للهذلي (ص: ٦٢١)، وعن ابن ذكوان في السبعة (ص: ٥٢٣)، وعنهما في جامع البيان (٤/ ١٤٩٨)، وليس ذلك من طرق التيسير.

فقالت فرقة: هي قصة قارون وإدخاله المرأَة البغي في أن تدَّعي على موسى، ثم تبرئتها موسى وإِشهارها لمداخلة قارون، وقد تقدمت القصة في ذكر قارون.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: هي أَن موسى وهارون عليهما السلام خرجا من فحص التِّيهِ إِلى جبل، فمات هارون فيه، فجاءَ موسى وحده، فقال قوم: هو قتله، فبعث الله ملائكته حملوا هارون حتى طافوا به في أَسباط بني إسرائيل، ورأَوا آية عظيمة دلَّتهم على صدق موسى عليه السلام، ولم يكن فيه أَثر[١]، وروي أَنه حيِيَ فأَخبرهم بأَمره وببراءَة موسى.

وقال ابن عباس، وأَبو هريرة، وجماعة: هي ما تضمنه حديث النبي ﷺ، قال: «كان بنو إِسرائيل يغتسلون عراة، وكان موسى عليه السلام يتستَّر كثيراً ويُخفي بدنه، فقال قوم: هو آدَر أَوْ أَبرص أَو به آفة، فاغتسل موسى يوماً وحده وجعل ثيابه على حجر، ففَرَّ الحجر بثيابه واتَّبعه موسى يقول: ثوبي حَجَرُ، ثوبي حَجَرُ، فمرَّ في اتِّباعه في ملإٍ من بني إِسرائيل فرأَوه سليماً مما ظُنَّ به» الحديث بطوله خرَّجه البخاري[٢]، فبرَّأَه الله مما قالوا.

و«الْوَجِيهُ»: المكرم الوجه.

وقرأَ الجمهور: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾، وقرأَ عبد الله بن مسعود: (وكان عبداً للَّهِ)[٣].

ثم وصَّى الله المؤمنين بالقول السداد، وذلك يعُمُّ جميع الخيرات، وقال عكرمة: أَراد: لا إِله إِلَّا الله[٤]، والسَّداد يعُمُّ جميع هذا، وإِن كان ظاهر الآية يُعطي أنه إِنما أشار إِلى ما يكون خلافاً للأَذى الذي قيل في جهة الرسول ﷺ وجهة المؤمنين.

---

(١) زاد في المطبوع: «القتل»، قال في الحاشية: زيادة من كتب التفسير، وقد تقدم هذا الأثر في (سورة الأعراف) آية (١٥٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٤٠٤)، وهو في مسلم أيضاً (٣٣٩).

(٣) وهي شاذة، عزاها له في المحتسب (٢/ ١٨٥)، وظاهر مختصر الشواذ (ص: ١٢١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٣): أنها: عبدُ الله.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٦٧).

ثم وعد تعالى بأَنه يجازي على القول السَّداد بإِصلاح الأعمال وغفران الذنوب.

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

اختلف الناسُ في الأَمانة:

فقال ابن مسعود رضي الله عنه: هي في أَمانات المال كالودائع ونحوها[١].

ورُوي عنه: أنه في كل الفرائض[٢]، وأَشدُّها أمانةُ المال.

وذهبت فرقة هي الجمهور: إِلى أنها كل شيءٍ يؤْتمن الإِنسان عليه، من أَمر ونهي وشأْنِ دِينٍ وَدُنيا، فالشرع كله أمانة.

قال أُبي بن كعب رضي الله عنه: من الأَمانة أَن ائتمنت المرأة على فرجها[٣].

وقال أَبو الدرداءِ رضي الله عنه: غسل الجنابة أَمانة[٤].

---

(١) إسناده جيد، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٤٠) من طريق: شريك عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن ابن مسعود.

(٢) إنما روي هذا عن ابن عباس من طرق، أما عن ابن مسعود فلم أقف عليه مسنداً.

(٣) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٣٩) من طريق: الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن أبيّ.

(٤) إسناده فرد لين، أخرجه أبو داود (٤٢٩) من طريق: عمران القطان حدثنا قتادة وأبان كلاهما عن خليد العصري عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: «خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها قال وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً وأدى الامانة»، قالوا يا أبا الدرداء وما أداء الامانة؟ قال: الغسل من الجنابة فإن الله =

ومعنى الآية: إنَّا عرضنا على هذه المخلوقات العظام أن تحمل الأَوامر والنواهي، وتقتضي الثواب إِن أَحسنت والعقاب إِن أَساءَتْ، فأَبت هذه المخلوقات وأَشفقت.

ويحتمل أَن يكون هذا العَرْض بإِدراكٍ يخلقه الله لها.

ويحتمل أَن يكون هذا العرض على من فيها من الملائكة.

ورُوي أَنها قالت: ربِّ ذَرْني مسخَّرة لما شئت أَنت، طائعة فيه، ولا تَكِلْني إِلى نظري وعملي، ولا أُريد ثواباً.

و«حَمَلَ الإِنسان الأمانة»؛ أَي: الْتزم القيام بحقِّها، وهو في ذلك ظلوم لنفسه، جهول بقدر ما دخل فيه، وهذا تأْويل ابن عباس[1]، وابن جُبير[2].

وقال الحسن: ﴿وَحَمَلَهَا﴾: معناه خان فيها[3]، والآية في الكافر والمنافق.

قال القاضي أَبو محمد: والعصاة على قدرهم.

وقال ابن عباس[4] وأَصحابه، والضحاك، وغيره: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: آدم، تحمَّل الأَمَانة، فما تمَّ له يوم حتى عصى المعصية التي أَخرجته من الجنة[5].

ورُوي: أَن الله تعالى قال له: يا آدم، إِنِّي عرضت الأَمانة على السماوات والأَرض والجبال فأَبَيْنَ أَن يحملنها، وأَشْفَقْن منها، أَفتحملها أَنت بما فيها؟ قال: وما فيها؟ قال:

= لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها (١٠هـ)، وهو حديث فرد لا يعرف إلا من طريق عمران القطان أبي العوام، كما قاله المزي في تهذيب الكمال (٨/ ٣١٢) وعمران ليس بحجة.

(١) صحيح لغيره: هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠/ ٣٣٧) من طريق سعيد بن جبير، وعلي بن أبي طلحة، وعطية العوفي جميعهم، عن ابن عباس قال: عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك، قال: قد قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٦).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٨٧)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٨٣).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٣٧) من طريق: شعبة عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٨)، ولفظة «وأصحابه» سقطت من السليمانية.

إِن أَحسَنْتَ أُجِرْتَ، وإِن أَسأْتَ عوقبت، قال: نعم قد حملتها، قال ابن عباس: فما مرَّ[١] له ما بين الأُولى والعصر حتى عصى ربَّه[٢].

وقال ابن مسعود، وابن عباس: ﴿ٱلۡإِنسَـٰنُ﴾: ابن آدم، قابيل الذي قتل أَخاه، وكان قد تحمَّل لأَبيه أَمانة[٣] أَن يحفظ الأَهل بعده، وكان آدم عليه السلام سافر عنهم إِلى مكة، في حديث طويل ذكره الطبري وغيره[٤].

وقال بعضهم: ﴿ٱلۡإِنسَـٰنُ﴾: النوعُ كلُّه، وهذا حسن مع عموم الأَمانة.

وقال الزَّجاج: معنى الآية: إِنا عرضنا الأَمانة في نواهينا وأَوامرنا على هذه المخلوقات، فقمن بأَمرها، وأَطعن فيما كلفناها، وتأَبَّيْنَ من حمل المذمة في معصيتنا، وحَمَل الإِنسان المذمة فيما كلفناه من أَوامرنا وشرعنا[٥]. والإِنسانُ على تأْويله: الكافرُ والعاصي، وتستقيم هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

فعلى التأْويل الأَول الذي حكيناه: يكون قوله: ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ إِجابةً لأَمر أُمرت به، وتكون هذه الآية إِبايةً وإِشفاقاً من أَمر عُرض عليها وخُيِّرت فيه.

رُوي: أَن الله عرض الأَمانة على هذه المخلوقات فأَبت، فلما عرضها الله تعالى على آدم عليه السلام قال: أنا أَحملها بين أُذني وعاتقي، فقال الله: إِنِّي سأُعينك، وقد جعلت لبصرك حجاباً فأَغلقه عما لا يحلُّ لك، ولِفَرْجك لباساً فلا تكشفه إِلَّا على ما أَحْلَلْتُ لك[٦].

---

(١) في الأصل: «فما بقي».
(٢) بالإسناد الصحيح السابق.
(٣) ليست في الأصل.
(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٤١) من طريق: أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ به. والإسناد فيه كلام مشهور، ولعله مأخوذ عن أهل الكتاب.
(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨٣) بتصرف.
(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٩).

قال القاضي أَبو محمد: ورُوي في هذا المعنى أَشياءُ تركتها اختصاراً لعدم صحتها.

وقال قوم: إِن الآية من المجاز؛ أَيْ: إِنا إِذا قايَسْنَا ثِقَل الأَمانة بقوة السماوات والأَرض والجبال رأَينا أَنها لا تُطيقها، وأَنها لو تكلمت لأَبَتْها وأَشفقت، فعُبِّر عن هذا المعنى بالآية، وهكذا كما تقول: عرضتُ الحِمْل على البعير فأَباه، وأَنت تريد بذلك: قايَسْتُ قوَّته بثِقَل الحِمْل فرأَيْتُ أَنها تقصر عنه.

قوله تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ﴾ هي لام العاقبة؛ لأَن الإِنسان لم يحمل ليقع العذاب، لكن حمل فصار الأَمر وآلَ إِلى أَن يُعَذِّب من نافق أَو أَشرك، وأَن يتوب على من آمن.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَيَتُوبَ ﴾ نصباً، عطفاً على قوله: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ﴾.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (ويتوبُ) بالرفع على القطع والاستئناف[1].

وباقي الآية بيِّن.

نجزت السورة، والحمد لله.



(١) شاذة، عزاها له في الهداية لمكي (٩/ ٥٨٨٠)، وفي الأصل: «على العطف» بدل «القطع».



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة سبأ

هي مكِّيَّة، واختُلف في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ الآية[١] فقالت فرقة: هي مكِّيَّة، والمراد المؤمنون بالنبي ﷺ، وقالت فرقة: هي مدنية، والمراد من أَسلم بالمدينة من أَهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام وأَشباهه[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

الأَلف واللَّام في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ لاستغراق الجنس، أَي: الحمد على تنوُّعه هو لله تعالى من جميع جهات الفكرة، ثم جاءَ بالصفات التي تستوجب[٣] المحامد، وهي: مُلْكُه جميع ما في السماوات وما في الأَرض، وعِلْمُه المحيط بكل شيءٍ، وحكمتُه وخبرته بالأَشياءِ، إِذْ وجودها إِنما هو به جلَّت قدرته، ورحمتُه بأَنواع خلقه، وغفرانُه لمن سبق في علمه أن يغفر له [من مؤمن][٤].

---

(١) هي الآية رقم (٦) من هذه السورة.

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥٨).

(٣) في المطبوع: «تسوجب».

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «في الآخرة».

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ يحتمل أن تكون الأَلف واللَّام للجنس أَيضاً، وتكون الآية خبراً أن الحمد في الآخرة هو له وحده لإِنعامه وأَفضاله وتغمُّده وظهور قدرته وغير ذلك من صفاته.

ويحتمل أَن تكون الأَلف واللَّام فيه للعهد والإِشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، أَو إِلى قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤].

و﴿يَلِجُ﴾ معناه: يدخل، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَّلِجْنَ مَوَالِجاً ... تضايَقُ عَنْهَا أَن تَوَلَّجَهَا الإِبَرْ[1]

و﴿يَعْرُجُ﴾ معناه: يصعد.

وهذه الرُّتب حصرت كلَّ ما يصح عمله من شخص أَو قول أَو معنى.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (وما يُنَزِّل من السماء) بضم الياءِ وفتح النُّون وشدّ الزاي[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

رُوي: أن قائل هذه المقالة هو أَبو سفيان بن حرب، قال: واللَّات والعزَّى ما ثَمَّ

---

(١) البيت لطرفة بن العبد، كما في البيان والتبيين (١/ ١٤٥)، ومجاز القرآن (١/ ٢٥٤)، والخصائص (١/ ١٥).

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٨) ولكن ضبطها ننزل بالنون، وكذلك عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٢١) لعلي.

ساعة تأْتي، ولا قيامة ولا حشر. فأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يُقْسم بربِّه مقابلة لِقَسَم أَبي سفيان، قيل: ردّاً وتكذيباً وإِيجاباً لما نفاه[1].

وأجاز نافع الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾[2].

وقرأَ الجمهور: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالتَّاءِ من فوق.

وحكى أَبو حاتم قراءَة: (لَيَأْتِيَنَّكُمْ) بالياءِ[3] على المعنى في البعث.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، والكسائي بخلاف عنه: ﴿عَٰلِمِ﴾ بالخفض على البدل من ﴿رَبِّى﴾.

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿عالِمُ﴾ بالرفع على القطع، أَي: هو عالمُ.

ويصح أَن يكون (عَالِمُ) رفع بالابتداءِ، وخبره ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ وما بعده، ويكون الإِخبارُ بأَن الْعَالِمَ لا يعزب عنه شيءٌ إِشارةً إِلى أَنه قدَّر وقتها وعَلِمَهُ، والوجه الأَول أَقرب.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿علَّامِ﴾ على المبالغة مخفوضاً[4] على البدل.

و﴿يَعْزُبُ﴾ معناه: يغيب ويبعد، وبه فسَّر مجاهد وقتادة[5].

وقرأ جمهور القراء: ﴿يَعْزُبُ﴾ بضم الزّاي.

[وخفضها الكسائي، وابن وثاب][6]، وهما لغتان.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) الهداية لمكي (٩/ ٥٨٨٥).

(٣) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ١٨٦) لهارون عن طُلَيْق المعلِّم، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٨) لليماني.

(٤) ثلاث قراءات سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٨٠)، وعاصم مع ابن كثير، وليس للكسائي في الأولى خُلف بل اختلف فيها على شعبة كما في جامع البيان (٤/ ١٥٠٠)، فيكون الصواب وعاصم، بدل الكسائي.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٠).

(٦) في فيض الله والسليمانية: «وقرأ الكسائي وابن وثاب بكسرها»، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٦).

و﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ معناه: مقدار تثاقلها، وهذا في الأجرام بيِّن، وفي المعاني بالمقايسة.

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ بالرفع عطفاً على قوله: ﴿مِثْقَالُ﴾.

وقرأ نافع، والأَعمش، وقتادة: (أَصْغَرَ)، وَ(أَكْبَرَ) بالنصب عطفاً على ﴿ذَرَّةٍ﴾، ورُويت عن أَبي عمرو[1].

وفي قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ضمير تقديره: إِلَّا هو في كتاب مبين.

و«الكِتاب الْمُبِينُ»: هو اللوح المحفوظ.

واللَّام في قوله: ﴿لِّيَجْزِيَ﴾ يصح أَن تكون متعلِّقة بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

ويصح أَن تكون متعلِّقة بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾.

ويصحُّ أَن تكون متعلِّقة بما في قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ من معنى الفعل؛ لأَن المعنى: إِلَّا أَثْبَتَّه في كتاب مبين.

و«الْمَغْفِرَة»: تغمُّد الذنوب.

و«الرِّزْقُ الكريم»: الجنَّة.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ معطوف على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأُولى، أَي: وليجزي الذين سَعَوْا.

و﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ معناه: محاولين تعجيز قدرة الله فيهم.

وقرأَ الجحدري، وابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ دون أَلف[2]، أَي: معجزين قدرة الله تبارك وتعالى بزعمهم.

وقال ابن الزُّبير: معناه: مُثَبِّطين عن الإيمان من أَراده، مدخلين عليه العجز في نشاطه[3]، وهذا هو سعيهم في الآيات، أَي: في شأْن الآيات.

---

(١) وهي شاذة، لم أجد فيها شيئاً لنافع، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢) للأعمش وقتادة، وزاد الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٩) الحسين عن أبي عمرو، وزاد لزيد بن علي الجر على الصرف.

(٢) والباقون بالمد والتخفيف وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٨).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في التفسير (١٤٨٢٤).

ثم بيَّن تعالى جزاءَ هؤلاءِ الساعين، كما بيَّن قبل جزاءَ المؤمنين.

وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع على النَّعت، والباقون بالكسر[١] على نعت الرِّجْزِ.

و«الرِّجْزُ»: هو العذاب السَّيء جداً.

وقرأ ابن محيصن: (رُجْزٍ) بضم الرَّاءِ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾.

قال الطبريُّ والثعلبي وغيرهما: (يَرَى) معطوف على ما قبله من الأَفعال[٣].

والظاهر أنه مُسْتأْنف، وأن الواو إنما عطفت جملة على جملة، وكأَن المعنى الإِخبارُ بأَن أَهل العلم يروْن الوحي المنزل على محمد ﷺ حقاً وأنه يهدي إلى صراطٍ مستقيم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ مفعول بـ(يَرَى)، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ مفعول ثانٍ، و﴿هُوَ﴾ عماد.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ قيل: هم مَن أَسلم من أَهل الكتاب.

وقال قتادة: هم أُمة محمد ﷺ المؤمنون به كائناً من كان[٤].

و(يهْدي): معناه: يُرْشد.

و«الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ»: الطريق المعتدل، وأَراد طريق الشَّرع والدين.

---

(١) وهما سبعيتان، ومع حفص ابن كثير، انظر: التيسير (ص: ١٨٠)، والسبعة (ص: ٥٢٦).

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٧٠)، بتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦١).

ثم حكى عن الكفَّار مقالتهم التي قالوها على جهة التَّعجُّب والهُزْءِ، أَي: قالها بعضهم لبعض، كما يقول الرجل لمن يريد أَن يُعجِّبه: هل أَدُلك على أُضحوكة نادرة[١]؟ فلما كان البعث عندهم من البعيد المحال جعلوا من يخبر بوقوعه في حيِّز من يُتعجَّب منه.

والعامل في ﴿ إِذَا ﴾ فعل مضمر قبلها فيما قال بعض النَّاس، تقديره: يُنبِّئُكُم بأَنَّكم تُبعثون إِذا مُزِّقتم، ويصح أَن يكون العامل ما في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ من معنى الفعل؛ لأَن تقدير الكلام: يُنَبِّـئُـكُم إِنكم لفي خلقٍ جديد إِذا مُزِّقتم.

وقال الزَّجَّاج: العامل في ﴿إِذَا﴾ هو ﴿ مُزِّقْتُمْ ﴾[٢].

وهو خطأٌ وإِفساد للمعنى المقصود، ولا يجوز أَن يكون العامل ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ بوجه.

و﴿ مُزِّقْتُمْ ﴾ معناه: بِالْبِلَى وتَقَطُّع الأَوصال في القبور وغيرها.

وكُسر الأَلف من ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ لأَن ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ في معنى: يقول لكم، ولمكان اللَّام التي في الخبر.

و﴿ جَدِيدٍ ﴾: بمعنى: مُجَدَّد.

وقولهم: ﴿ أَفْتَرَىٰ ﴾ هو من قول بعضهم لبعض، وهي أَلف الاستفهام دخلت على أَلف الوصل، فحذف أَلف الوصل، وبقيت مفتوحة غير ممدودة، فكأَن بعضهم استفهم بعضاً عن محمد ﷺ: أَحالُ الفِرْية على الله هي حالُه أَمْ حالُ الجنون؟ لأَن هذا القول إِنما يصدر عن أَحد هذين، فأَضرب القرآن عن قولهم وكذَّبه، فكأَنه قال: ليس الأَمر كما قالوا، ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾، والإِشارة بذلك إِليهم.

﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾، يريد: عذاب الآخرة؛ لأَنهم يصيرون إِليه.

---

(١) في فيض الله والسليمانية: «ونادرة».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٤١).

ويحتمل أَن يريد: في العذاب في الدنيا بمكابدة الشَّرع ومكايدته، ومحاولة إِطفاءِ نور الله وهو يتِمُّ، وهذا كله عذاب، وفي الضلال البعيد، أَي: قَوِيت الحَيْرةُ وتمكَّنَ التَّلَفُ لأَنه قد أَبعد صاحبه عن الطريق الذي ضلَّ منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)﴾.

الضمير في ﴿يَرَوْا﴾ لهؤلاءِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخرة، وقفهم الله على قدرته، وخوَّفهم من إِحاطتها بهم، المعنى: أَليس يرون أمامهم ووراءَهم سمائي وأَرضي، لا سبيل لهم عن فقد ذلك عن أَبصارهم، ولا عدم إِحاطته بهم.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ﴾، ﴿نُسْقِطْ﴾ بالنون في الثلاثة.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿إن يشأ يخسف﴾، ﴿يسقط﴾ بالياءِ فيهن، وهي قراءَة ابن وثَّاب، وابن مصرِّف، والأَعمش، وعيسى، واختارها أَبو عبيد[1].

و«خَسْفُ الأَرض»: هو إِهْوَاؤُها بهم وتهوُّرها وغرقهم فيها.

و«الكِسَفُ» قيل: هو مفردٌ اسم القطعة، وقيل: هو جمع كَسْفَة، على مثال: تَمْرَةٍ وتَمْرٍ، ومشهور جمعها كِسَفٌ كسِدْرَة وسِدَر.

وأَدغم الكسائي الفاءَ في الباءِ في قوله تعالى: ﴿يَخْسِف بِهِم﴾[2].

قال أَبو علي: وذلك لا يجوز؛ لأَن الباءَ أَضعف في الصوت من الفاءِ فلا تدغم فيها، وإِن كانت الباء تدغم في الفاءِ في قولك: اضرب فّلاناً، وهذا كما تدغم الباءَ في

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٧)، والتيسير (ص: ١٨٠).
(٢) والباقون بالإظهار وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٢٧).

الميم في قولك: اضرب مُّحمداً، ولا تدغم الميم في الباءِ في قولك: أَصَمَمٌ بك؛ لأَن الباءَ انْحطت عن الميم بفعل الغُنَّة التي في الميم[١].

والإِشارة بقوله: ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ إِلى إِحاطة السماءِ بالمرءِ، ومماسَّة الأَرض له على كل حال.

و«الْمُنِيب»: الرَّاجع التائب[٢].

ثم ذكر تعالى نعمته على داود وسليمان احتجاجاً على ما منح محمداً ﷺ، أَي: لا تستبعدوا هذا فقد تفضَّلنا على عبيدنا قديماً بكذا، فلما فرغ التمثيل بمحمد[٣] ﷺ رجع التمثيل لهم بسَبَإٍ وما كان من هلاكهم بالكفر والعُتُوِّ، والمعنى: قلنا: يا جبال.

و﴿أَوِّبِي﴾ معناه: رجِّعي معه؛ لأَنه مضاعف آب يؤُوب:

فقال ابن عباس[٤] وقتادة وابن زيد وغيرهم: معناه سبِّحي معه[٥]، أَي: يُسبِّح هو وترجِّع هي معه التَّسبيح، أَي: تردُّ بالذكر، ثم ضوعف الفعل للمبالغة.

وقيل: معناه: سيري معه؛ لأَن التأْويب سيْر النهار، كأَن الإِنسان يسير باللَّيل ثم يرجِّع السير بالنهار، أَي: يُردِّده، فكأَنه يُؤَوِّبه، فقيل له: التأويب، ومنه قول الشاعر:

يَوْمَانِ يَـوْمُ مُقَامَـاتٍ وأَنْدِيَـةٍ ... وَيَوْمُ سيْرٍ إِلى الأَعداءِ تأْويبُ[٦] [البسيط]

---

(١) الحجة للفارسي (٦/ ٨).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في نور العثمانية: «لمحمد»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠/ ٣٥٧) من طريق عن سعيد بن جبير، ومن طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٨).

(٦) البيت لسلامة بن جندل، كما في تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٣٦)، ومجاز القرآن (٢/ ١٠).

ومنه قول ابن مقبل:

لَحِقْنَـا بِحَـيٍّ أَوَّبـوا السَّـيْرَ بَعْدَمَـا دَفَعْنَا شُعَاعَ الشَّمْسِ والطَّرْفُ يَجْنَحُ[١] [الطويل]

وقال مُؤرِّج: ﴿أَوِّبِي﴾: سبِّحي بلغة الحبشة[٢]. وهذا ضعيف غير معروف.

وقال وهب بن مُنَبِّه: المعنى: نوحي معه والطير تسعدك[٣] على ذلك، قال: فكان داود عليه السلام إِذا نادى بالنِّياحة والحنين أَجابته الجبال وعكفت الطير عليه من فوقه، قال: فمن حينئذ سُمع صدى الجبال[٤].

وقرأَ الحسن، وقتادة، وابن أَبي إِسحاق: (أُوبِي) بضم الهمزة وسكون الواو[٥].

أَي: ارجعي معه، أَي في السير أَو في التسبيح.

وأَمَر الجبال كما تؤمر الواحدة المؤنثة؛ لأَن جميع مالا يعقل كذلك يُؤْمر، وكذلك يكنى عنه ويوصف، ومنه المثل: يا خيلَ الله اركبي، ومنه ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، وهذا كثير.

وقرأ الأَعرج، وعاصم بخلاف وجماعةٌ من أَهل المدينة: (والطَّيْرُ) بالرفع عطفاً على لفظ قوله: ﴿يَـٰجِبَالُ﴾[٦].

وقرأَ نافع، وابن كثير، والحسن، وابن أَبي إسحاق، وأَبو جعفر: ﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ بالنصب:

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٨/ ٧١).

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (٨/ ٥٢٤)، وهو قول أبي ميسرة كما في تفسير الطبري (١/ ١٣).

(٣) من الإسعاد، قال في العين (١/ ٣٢٣): ولا يستعمل إلا في البكاء والنّوح. وفي المطبوع: «تساعدك»، ولعله تحريف.

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٧١).

(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٢٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٩).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها للأعرج في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢)، والرواية عن عاصم في الكامل للهذلي (ص: ٦٢٢)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، وبالنصب قرأ السبعة والعشرة من طرق التيسير والنشر إلا ما انفرد به ابن مهران عن روح عن يعقوب.

فقيل: ذلك عطف على ﴿فَضْلًا﴾، وهو مذهب الكسائي.

وقال سيبويه: هو على موضع قوله: ﴿يَـٰجِبَالُ﴾؛ لأَن موضع المنادى المفرد نصب.

وقال أَبو عمرو: نَصْبُهَا بِإِضمار فعل تقديره: وسخَّرنا الطيرَ[1].

وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ معناه: جعلناه لَيِّناً، وروى قتادة: أَن الحديد كان له كالشمع لا يحتاج في عمله إِلى نار[2]، وقيل: أَعطاهُ قُوَّةً يَثْني بها الحديد.

ورُوي: أَنه لقي مَلَكاً ـ وداود عليه السلام يظنه إِنساناً ـ وداودُ متنكِّر خرج ليسأَل الناسَ عن نفسه في خفاءٍ، فقال داود لذلك الشخص الذي تمثَّل فيه الملَك: ما قولك في هذا الملِك داود؟ فقال له الملَك: نِعْمَ العبد لولا خلَّة فيه، فقال داود: وما هي؟ قال: يرتزق من بيت المال، ولو أَكل من عمل يده لَتَمَّت فضائله، فرجع فدعا الله في أَن يعلِّمه صنعة ويُسَهِّلها عليه، فعلَّمه صنعة اللبوس، وأَلان له الحديد، فكان ـ فيما رُوي ـ يصنع فيما بين يومه وليلته دِرْعاً تُساوي أَلف درهم، حتى ادَّخر منها كثيراً وتوسَّعت معيشته، وكان ينفق بيت المال في مصالح المسلمين[3].

وقوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ﴾، قيل: إِنَّ (أَنْ) مفسِّرةٌ لا موضع لها من الإِعراب.

وقيل: هي في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ.

و«السَّابغات»: الدروع الكاسيات ذوات الفضول[4]، قال قتادة: داود أَول من صنعها[5].

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٨٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٣٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٩)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٩٦)، بتصرف.

(٣) لم أقف على هذا النقل.

(٤) في المطبوع: «القفول».

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٩)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٦).

ودرع الحديد مؤنثة، ودرع المرأة مذكَّر.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾، اختلف المتأولون، في أَيِّ شيءٍ هو التقدير من أَشياءِ السَّرْد؟ إِذ السَّرْد هو إِتْباع الشيءِ بالشيءِ من جنسه، قال الشماخ:

.... كَمَا تَابَعَتْ سَرْدَ الْعِنَانِ الْخَوَارِزُ[1] [الطويل]

ومنه: سَرَدَ الحديثَ، وقيل للدرع: مسرودة؛ لأَنها تُوبعت فيها الحلق بالحلق، ومنه قول الشاعر:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[2] [الكامل]

وقول دُرَيْد:

.... في الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ[3] [الطويل]

قال ابن زيد: التقدير الذي أُمِر به هو في قدْر الحلقة، أَي: لا تعملها صغيرة فتضعف حتى لا تقوى الدرع على الدفاع، ولا كبيرة فَيُنَالُ لابسها من خلالها[4].

وقال ابن عباس: التقدير الذي أُمر به هو في المسمار[5]، يريد: [ثقبه حين يشد نتيرها، وذكر البخاري في مصنفه ذلك فقال: المعنى: لا ترق][6] المسامير فتسلس،

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٨/ ٧٢)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٥٣)، وأساس البلاغة (١/ ٤٤٩)، وصدره عنده: شككن بأحساء الذناب على هوًى.

(٢) البيت لأبي ذؤيب، كما في المفضليات (ص: ٤٢٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦)، وقد تقدم في أول (سورة يونس).

(٣) تمامه: فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج... سراتهم بالفارسي المسرد، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٨) من (سورة البقرة).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٩٧).

(٥) إنما المروي عن ابن عباس: يعني بالسرد: ثقب الدروع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٠) من طريق: عطية العوفي عنه.

(٦) في المطبوع بدله: «قدِّر المسامير والحلق حتى لا تدق»، وفي فيض الله: «حين يسد بسيرها»، وسقط من أحمد٣ من «المسمار» إلى «المسامير».

ويروى: فَيُسَلْسِل، ولا تغلظه فينقصم، بالقاف؛ وبالفاءِ أَيضاً رواية[١].

وروى قتادة: أَن الدروع كانت قبله صفائح فكانت ثقالاً، فلذلك أُمر هو بالتقدير فيما يجمع بين الخفَّة والحصانة، أَي: [قدِّر ما يأْخذ من هذين المعينين][٢] بقسطه، أَي: لا يقصد الحصانة فيثقل، ولا الخفة وحدها فيزيل المنعة.

قوله: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾، لمَّا كان الأمر لداود وآله حُكِي وإِن كان لم يَجْرِ لهم ذكر لدلالة المعنى عليهم.

ثم توعَّدهم بقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾؛ أَي: لا يخفى عليَّ حَسَنُه من قبيحه، وبحسب ذلك يكون جزائي لكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾.

قال الحسن: عقر سليمان عليه السلام الخيلَ أَسفاً على ما فوَّتته من وقت صلاة العصر، فأَبدله الله خيراً منها وأَسرع الريح بأَمره[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بالنصب على معنى: ولسليمان سخَّرنا الريح.

وقرأَ عاصمٌ في رواية أَبي بكر والأَعرجُ: ﴿الرِّيحُ﴾ بالرفع[٤] على تقدير: تسخَّرت الريحُ، أَو على الابتداءِ، والخبر في المجرور، وذلك على حذف مضاف تقديره: ولسليمان تسخير الريح.

وقرأَ الحسن: ﴿ولسليمان الرياح﴾، وكذلك جَمَع في كل القرآن[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٦٠).

(٢) في فيض الله: «أي قدرها في أحد من هذين المعنين»، وانظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٣٥٩).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «يأمُره»، انظر قول الحسن في تفسير الثعلبي (٨/ ٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٢).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ١٨٠)، والسبعة (ص: ٥٢٧).

(٥) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٢٣)، واقتصر عليه في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٥٨).

قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾:

قال قتادة: إِنها كانت تقطع به في الغُدُوِّ إِلى قرب الزَّوال مسيرة شهر[١].

ورُوي عن الحسن البصري أنه قال: كان يخرج من الشام من مُسْتَقَرِّه بتدمر التي بنتها له الجن بالصفاح والعمد فيقيل في إِصْطَخْر، ويروح منها فَيبيت في كابل من أَرض خراسان، ونحو هذا[٢].

وكانت الأَعاصير تُقِل بساطه وتحمله بعد ذلك الرُّخاءُ، وكان هذا البساط يحمل ـ فيما رُوي ـ أَربعة آلاف فارس وما يشبهها من الرجال والعُدد ويتسع لهم، ورُوي أَكثر من هذا بكثير، ولكن عدم صحته مع بُعْد شبهه أَوجب اختصاره.

وقد قال ﷺ: «خير الجيوش أَربعة آلاف»[٣]، وما كان سليمان ليعدو الخير.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (غدْوَتُهَا شَهْرٌ وَروْحَتُهَا شَهْرٌ)[٤].

وكان سليمان عليه السلام إِذا أَراد قوماً لم يُشْعَر به حتى يُظلَّهم في جوِّ السماءِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾، رُوي عن ابن عباس[٥]، وقتادة: أَنه كان يسيل له باليمن عين جارية من نحاس يُصنع له منها جميع ما أَحب[٦].

و﴿ٱلۡقِطۡرِ﴾: النُّحاس.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٧).

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٢،٣٦٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٧).

(٣) مرسل أشبه، أخرجه ابن خزيمة (٢٥٣٨) وابن حبان (٤٧١٧) والحاكم (١/ ٦١١) وقال: إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه والخلاف فيه على الزهري من أربعة أوجه قد شرحتها في كتاب التلخيص، وسئل أبو حاتم عن الاختلاف في هذا الإسناد فقال: مرسل أشبه، لا يحتمل هذا الكلام يكون كلام النبي ﷺ. اهـ. العلل (١٠٢٤).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٤) من طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٧).

وقالت فرقة: ﴿ٱلۡقِطۡرِ﴾: الفِلِزُّ كله؛ النحاس والحديد وما جرى مجراه، كانت تسيل منه عيون.

وقالت فرقة: بل معنى ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾: أذَبْنا له النحاس، على نحو ما كان الحديد يلين لداود، قالوا: وكانت الأَعمال تتأَتَّى منه لسليمان وهو بارد دون نار.

و﴿عَيۡنَ﴾ ـ على هذا التأْويل ـ بمعنى المذاب، وقالوا: لم يَلِن النحاس ولا ذاب لأَحد قبله.

وقوله: ﴿مَن يَعۡمَلُ﴾ يحتمل أَن تكون ﴿مَن﴾ في موضع نصب على الإِتباع لما تقدم بإِضمار فعل تقديره: وسخَّرنا مِن الجن مَنْ يعمل.

ويحتمل أَن تكون في موضع رفع على الابتداءِ، والخبر في المجرور، و﴿يَزِغۡ﴾ معناه: يَمِل؛ أَي: ينحرف عاصياً.

وقال: ﴿عَنۡ أَمۡرِنَا﴾ ولم يقل: عن إِرادتنا؛ لأَنه لا يقع في العالم شيءٌ يخالف الإِرادة، وقد يقع ما يخالف الأَمر.

قال الضحاك: وفي مصحف عبد الله: (وَمَنْ يَزِغْ عَنْ أَمْرِنَا) بغير (مِنْهُمْ)[١].

وقوله: ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾، قيل: عذاب الآخرة، وقيل: بل كان قد وكل بهم مَلَك بيده سوط من نار السَّعير، فمن عصى ضربه فأَحرقه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾.

«المحاريب»: الأَبنية العالية الشريفة، قال قتادة: القصور والمساجد.

وقال ابن زيد: المساكن[٢].

---

(١) وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٨).

والمحراب أَشرف موضع في البيت، والمحراب موضع العبادة أشرف ما يكون منه، وغلب عُرف الاستعمال في موضع وقوف الإِمام لشرفه، ومن هذه اللَّفظة قول عديٍّ بن زيد:

كَدُمَى الْعَاجِ في المحَاريبِ أَو كالْـ بَيْضِ في الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ[1] [الخفيف]

و«التماثيل»، قيل: كانت من زجاج ونحاس، تماثيل أَشياءَ ليست بحيوان، وقال الضحاك: كانت تماثيل حيوان[2]، وكان هذا من الجائز في ذلك الشرع.

قال القاضي أَبو محمد: ونُسخ بشرع محمد ﷺ.

وقال قوم: حرم التصوير لأَن الصُّور كانت تُعبد[3].

وحكى في «الهداية»: أَن فرقة تجوِّز التصوير وتحتج بهذه الآية[4].

وذلك خطأٌ، وما أَحفظ من أَئِمَّة العلم مَنْ يجوِّزه.

و«الجَوَابي»: جمع جابية، وهي البِرْكة التي يجيءُ إليها الماءُ الذي يجتمع، قال الراجز:

فَصَبَّحَتْ جَابِيَةً صُهَارِجَا كَأَنَّهُ جِلْدُ السَّمَاءِ خَارِجَا[5] [الرجز]

وقال مجاهد: هي جمع جَوْبَة، وهي الحفرة العظيمة في الأَرض[6]. وفي هذا نظر.

ومنه قول الأَعشى:

---

(١) انظر عزوه له في البيان والتبيين (١/ ٦٠)، وعيون الأخبار (١/ ٤٢٤)، والكامل للمبرد (٣/ ٤١)، والاختيارين (ص: ٧٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٩٩) بتصرف.

(٣) انظره مع جوازه في شرعهم ونسخه بشرعنا في أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٨).

(٤) انظر قول مكي في الهداية (٩/ ٥٨٩٧).

(٥) البيت لهميان كما في تهذيب اللغة (٧/ ٢٦)، وسمط اللآلي (١/ ٥٧٢)، وفي فيض الله: «صهراجا.... مهراجا».

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣٩)، والهداية لمكي (٩/ ٥٨٩٧).

[الطويل] نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ[1]

وأَنشده الطبريُّ: تَروحُ عَلَى آلِ الْمُحَلَّقِ[2].

ويروى: (السَّيْح) بالسِّين المهملة والحاءِ المهملة، وهو الماءُ الجاري على وجه الأَرض.

ويروى بالشين والخاءِ منقوطتين، فيقال: أَراد كسرى، ويقال: أَراد شيخاً من فلاحي سواد العراق غيْرَ مُعيَّن، وذلك أَنه لضعفه يدَّخر الماءَ في جابية فهي تَفْهق أَبداً، فشبهت الجفنة بها لعظمها[3].

وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد: الجوابي: الحياض[4].

وقرأَ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ بغير ياءٍ في الوصل والوقف.

وقرأَ أَبو عمرو، وعيسى بغير ياءٍ في الوقف، وبياءٍ في الوصل، وقرأَ ابن كثير بياءٍ فيهما[5].

وَوَجه حذف الياءِ والتخفيف والإِجاز، وهذا كحذفهم الياءَ في: القاضِ، والغَازِ، والهادِ، وأَيضاً فلمَّا كانت الأَلف واللَّام تعاقب التنوين، وكانت الياءُ تحذف مع التنوين وجب أَن تحذف مع ما عاقبته، كما يُعْمِلون الشيءَ أَبداً عمل نقيضه.

---

(١) انظر عزوه له في الكامل للمبرد (١/ ٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٠)، والعمدة لابن رشيق (١/ ٤٩).

(٢) وهي رواية الأكثر، انظر غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ١٠٦)، والزاهر (٢/ ١٠٤)، وأمالي القالي (٢/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٦).

(٣) انظر الروايتين في الكامل للمبرد (١/ ٩)، وأمالي القالي (٢/ ٢٩٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٧)، والهداية لمكي (٩/ ٥٨٩٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٩٩). ولم أقف على قول ابن زيد.

(٥) وكلها سبعية، إلا أن ورشاً وافق أبا عمرو، انظر: التيسير (ص: ١٨٢).

و﴿رَّاسِيَـٰتٍ﴾ معناه: ثابتات لكبرها، ليست مما يُنقل ولا يُحمل، ولا يستطيع عمله إِلَّا الجن، وبالثبوت فسَّرها الناس.

ثم أُمروا مع هذه النِّعم بأَن يعملوا بالطَّاعات.

وقوله: ﴿شُكۡرًا﴾ يحتمل أَن يكون نصبه على الحال، أَي: اعملوا بالطَّاعة في حال شكر منكم لله على هذه النِّعم.

ويحتمل أَن يكون نصبه على جهة المفعول، أَي: اعملوا عملاً هو الشُّكر، كأَن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي نفسها الشكر إِذْ سدَّت مسدَّه.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ صعد المنبر فتلا هذه الآية، ثم قال: «ثلاثٌ من أُوتيهنَّ فقد أُوتي في العمل شكراً: العدلُ في الغضب والرِّضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السِّرِّ والعلانية»[١].

وروي: أَن داود عليه السلام قال: يا رب كيف أُطيق شكرك على نِعَمِكَ وإِلْهَامي وقُدرتي على شكركَ نِعمةٌ لك؟ فقال: الآن يا داود عرفتني حق معرفتي[٢].

وقال ثابت: روي: أَنَّ مُصَلَّى آل داود لم يَخْل قَط من قائم يصلي ليلاً ونهاراً، كانوا يتناوبونه دائماً[٣].

---

(١) ضعيف، ورد هذا الحديث بلفظ: «ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وثلاث مهلكات: هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه»، روي عن أنس بن مالك وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن أبي أوفى وعبد الله ابن عمر، وطرق الجميع بين شديد الضعف وضعيف ومن لا يمكن الاستشهاد به مع تواطؤ الضعفاء عليه، راجع السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني (١٨٠٢)، وقد حسنه تبعاً للمنذري.

(٢) رواه أحمد في الزهد (ص: ٨٨) من طريق: جابر بن زيد عن المغيرة بن عيينة قال: قال داود عليه السلام. ومثله في عدة الصابرين لابن القيم (ص: ١٠٣) ووقع في شعب الإيمان (٤/ ١٠٠) بإسناده إلى أحمد: المغيرة بن عقبة، ووقع في تاريخ دمشق (١٧/ ٩٦): المغيرة بن عتيبة. ولم أتبين من هو؟ وعلى كل حال فهو كلام مرسل لا يعلم مخرجه، وهو أشبه أن يكون مأخوذاً عن أهل الكتاب.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ١٨).

وكان سليمان عليه السلام ـ فيما رُوي ـ يأْكل الشعير، ويطعم أَهله الخُشْكَار، ويطعم المساكين الدَّرْمك[١].

ورُوي: أنه ما شبع قط، فقيل له في ذلك فقال: أَخاف إِن شبعت أَن أَنسى الجياع.

وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ يحتمل أَن تكون مخاطبة لآل داود.

ويحتمل أَن تكون مخاطبة لمحمد ﷺ، وعلى كل حال ففيها تنبيه وتحريض.

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال له: ما هذا الدُّعاءُ؟ فقال: أَردت قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾، فقال عمر: كل الناس أَعلم من عمر[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، والقِلَّة أَيضاً بمعنى الخمول منحة من الله تعالى، فلهذا الدعاءِ محاسن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

الضمير عائد على سليمان عليه السلام.

و﴿قَضَيْنَا﴾ بمعنى: أنفذنا وأَخرجناه إلى حيِّز الوجود، وإِلَّا فالقضاءُ الأَخير به متقدم في الأَزل.

وروي عن ابن عباس، وابن مسعود في قَصَصها: أَن سليمان عليه السلام كان يتعبَّد في بيت المقدس، وكان ينبت في محرابه كل سنة شجرة، فكان يسأَلها عن منافعها

---

(١) الدَرْمَك: دقيق الحُوَّارى، وهو الدقيق الأبيض، والخُشْكَارُ: الخبز الأسمر غير النقي.

(٢) في إسناديه انقطاع، أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٣٢٢) من طريق: يزيد بن هارون، عن العوام، عن إبراهيم التيمي، قال: قال رجل عند عمر، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب الزهد لأبيه فقال ثنا محمد بن عبادة ثنا سفيان عن مسعر قال سمع عمر إلى آخره. هكذا في تخريج الكشاف للزمخشري (٣/ ١٤١) لكن لم يدرك إبراهيم التيمي ومسعر عمراً.

ومضارها وسائر شأْنها فتخبره، ويأْمر بها فتقلع وتصرف في منافعها، أو تُغرس لتتناسل، فلما كان عند موته خرجت شجرة فقال لها: ما أنت؟ قالت: أَنا الخروب، خرجت لخراب مُلْكك هذا، فقال: ما كان الله ليخربه وأَنا حيٌّ، ولكنه لا شكَّ حضور أَجلي، فاستعد عليه السلام وغرسها، وصنع منها عصاً لنفسه، وجدَّ في عبادته، وجاءَه بعد ذلك مَلَك الموت، فأَخبره أَنه قد أُمر بقبض روحه، وأنه لم يبق له إِلَّا مدة يسيرة، فروي أنه أَمر الجن حينئذ فصنعت له قُبَّة من زجاج تشفُّ، وحصل فيها يتعبد، ولم يجعل لها باباً، وتوكأَ على عصاه على وضع يتماسك معه وإِن مات، ثم توفي عليه السلام على تلك الحالة[1].

ورُوي: أَنه استعد في تلك القبة بزاد سَنَة، وكان الجن يتوهمون أنه يتغذى باللَّيل، وكانوا لا يقربون من القُبَّة، ولا يدخلون من كُوًى كانت في أَعاليها، ومن رام ذلك منهم احترق قبل الوصول إِليها، هذا في مدة حياة سليمان في القُبَّة، فبقيت تلك الهيبة على الجن.

وروي: أَن القبة كان لها باب، وأَن سليمان أَمر بعض أَهله بكتمان موته عن الجن والإِنس، وأَن يترك على حاله تلك سنةً، وكان غرضه في هذه السنة أَن يعمل الجن عملاً كان قد بُدئ في زمن داود عليه السلام، وقدَّر أَنه بقي منه عمل سنة، فأَحب الفراغ منه.

فلما مضى لموته سنة خرَّ عن عصاه، وقد أَكلتها الأَرضة، وهي الدودة التي تأْكل العود، فرأَت الجن انخراره فتوهمت موته، فجاءَ جَسور منهم فاقترب فلم يحترق، ثم عاد فقرب أكثر، ثم قرب حتى دخل من بعض الكُوى فوجد سليمان ميتاً فأَخبر بموته، فنظر ذلك الأَجل فقدر أَنه منذ سنة[2].

---

(١) ضعيف، وهو من الإسرائيليات، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٧٢) من طريق: إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به مرفوعاً، وعطاء اختلط، وسماع إبراهيم منه بعد الاختلاط، ومن طريق: أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ به ولم يرفعوه، وهذا الإسناد قد أكثر الطبري من إيراده وقال عنه في (١/ ٣٥٤): فإن كان ذلك صحيحاً ـ ولست أعلمه صحيحاً، إذ كنت بإسناده مرتاباً.اهـ.

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٠)، ولفظة «منذ» من السليمانية وفيض الله.

وقال بعض الناس: جُعلت الأَرضة فأَكلت يوماً وليلة، ثم قيس ذلك بأَكلها في العَصَا فَعُلم أَنها أَكلت منذ سنة، فهكذا كانت دلالة دابة الأَرض على موته.

وللمفسرين في هذا القصص إكثارٌ عُمْدتُهُ ما ذكرناه.

وقال كثير من المفسرين: ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: سوسة العود، وهي الأَرضة.

وقرأَ ابن عباس، والعباس بن الفضل: (الأَرَضِ) بفتح الرَّاءِ[١]، جمع أَرضة.

فهذا يقوي ذلك التأْويل.

وقالت فرقة: دابة الأرض: حيوان من الأَرض، شأْنه أَن يأْكل العود، وذلك موجود، وليست السُّوسة من دوابِّ الأَرض.

وقالت فرقة منها أَبو حاتم اللغوي: الأَرْضُ هنا مصدر أَرِضَت الأَثوابُ والخشبُ: إِذا أَكلتها الأَرَضة[٢]، كأَنه قال: دابة الأَكل الذي هو بتلك الصورة، على جهة التَّسَوُّس.

وفي مصحف عبد الله: (الأرض أَكَلَتْ مِنسَأَتَهُ)[٣].

و«المِنْسأَة»: هي العصا، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] إِذَا دَبَبْتَ عَلَى المِنْسَاةِ مِنْ كِبَرٍ فَقَدْ تَبَاعَدَ مِنْكَ اللَّهْوُ والْغَزَلُ[٤]

وكذا قرأَت جماعة من القُرَّاءِ بغير همز، منها أَبو عمرو، ونافع، قال أَبو عمرو: ولا أَعرف له اشتقاقاً، فأَنا لا أَهمزها؛ لأَنها إِن كانت مما لا يُهمز فقد احتطْتُ؛ لأَنه لا

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها للعباس الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٩).

(٢) البحر المحيط (٨/ ٥٣٠)، وانظر تهذيب اللغة لابن فارس (١٢/ ٤٥).

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٨٨)، ولفظة «الأرض» ليست في أحمد٣ والمطبوع.

(٤) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١٤٥)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٢). وفي فيض الله والسليمانية: «عنك» بدل «منك».

يجوز لي همز ما لا يهمز[١]، وقال غيره: أَصلها الهمز، وهي من المنسأَة بهمزة مفتوحة، من: نَسأْتُ الإِبلَ والغنمَ والنَّاقَةَ: إِذا سُقْتَهَا، ومنه قول طرفة:

أَمـونٌ كعيـدانِ الأَرانِ نَسَـأْتُهَا   عَلَى لاحِبٍ كأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُد[٢]   [الطويل]

ويُروى: وعَنْسٍ كأَلْواح[٣].

وخففت همزتها جملة، وكان القياسُ أَن تخفف بيْنَ بيْنَ.

وقرأَ باقي السبعة على الأَصل بالهمز[٤].

وقرأَ حمزة: (مَنْسَاتَهُ) بفتح الميم وبغير همز[٥].

وقرأَت فرقة: ﴿مِنسأْتهُ﴾ [بهمزة ساكنة][٦].

وهذا لا وجه له إِلَّا التخفيف في تسكين المتحرك لغير علة، كما قال امرؤُ القيس:

فالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ   إِثْماً مِـنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِـلِ[٧]   [السريع]

وقرأَت فرقة: (مِنْ سَأَتِهِ) بفصل (مِنْ) وكسر التَّاءِ في (سَأَتِهِ)[٨].

وهذه تنحو إِلى: سِيَة القوس؛ لأَنه يقال: سِيَة وسأَة، فكأَنه قال: (من سأَتِه) ثم سكن الهمزة، ومعناه: من طرف عصاه، أَنزل العصا منزلة القوس.

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٥٧).

(٢) جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٠٨)، والعين (٦/ ٢٠٥)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٤٤)، والشعر والشعراء (١/ ١٣٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٣)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٥٦)، والمحكم (٨/ ٣٥٤)، وكلهم بلفظ: «كألواح» بدل «كعيدان».

(٣) وهي رواية العين (٧/ ١٦١)، ومجاز القرآن (١/ ٥٠).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٠).

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٩) للأعمش، ولم أجد فيها شيئاً لحمزة.

(٦) من السليمانية وفيض الله، وهي أيضاً سبعية لابن ذكوان كما في التيسير (ص: ١٨٠).

(٧) تقدم في تفسير الآية (٥٥) من (سورة البقرة).

(٨) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ١٨٦) لعمرو بن ثابت عن سعيد بن جبير.

وقال بعض الناس: إِن سليمان عليه السلام لم يمت إِلَّا في سفر مضطجعاً، ولكنه كان في بيت مبني عليه، وأَكلت الأَرَضَة عتبة الباب حتَّى خَرَّ البيت فعلم موتُه، وهذا ضعيف.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ بإِسناد الفعل إِليها، أَي: بانَ أَمْرُهَا، كَأَنه قال: افتضحت الجنُّ، أَي للإنس، هذا تأْويل.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ بمعنى: علمت الجنُّ وتحقَّقت.

ويريد بالجن: جمهورهم والفَعَلَة منهم والخدَمة، ويريد بالضمير في ﴿كَانُوا۟﴾ رؤَساءَهم وكبارهم؛ لأَنهم هم الذين يدَّعون علم الغيب لأَتباعهم من الجنِّ والإِنس ويُوهمونهم ذلك، قاله قتادة[1].

فَتَـبَيَّن الأَتباعُ أن الرؤوس لو كانوا عالمين ما لبثوا، و(أَنْ) ـ على التأْويل الأَول ـ بدل من (الْجِن)، وعلى التأْويل الثاني مفعولة محضة.

وقرأَ يعقوب: ﴿تُبُـيِّـنَتْ الجنّ﴾ على بناء الفعل للمفعول[2]، أَي: تَبيَّنَها النَّاسُ.

و(أنْ) على هذه القراءَة بدلٌ، ويجوز أَن تكون في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ، أَي: بأَنْ، على هذه القراءَة، وعلى التأْويل الأول من القراءَة الأُولى.

قال القاضي أَبو محمد: مذهب سيبويه أَنّ (أَنْ) في هذه الآية لا موضع لها من الإِعراب، وإِنما هي مُؤذنة بجواب ما تَنَزَّلَ منزلة القَسَم من الفعل الذي معناه التَّحقُّق واليقين[3]؛ لأَن هذه الأَفعال التي هي: تبيَّنت وتحقَّقت وعَلمت وتيقَّنت ونحوها، تحلُّ محلَّ القَسَم في قولك: علمتُ أَن لو قام زيد ما قام عمرٌو، وكأَنَّك قُلْتَ: والله لو قام

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٧٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٣)، بتصرف.
(٢) في المطبوع: «على الفعل للمجهول»، وهي عشرية، من رواية رويس كما في النشر (٢/ ٣٥٠).
(٣) في السليمانية: «التيقن».

زيد ما قام عمرٌو، فقوله: ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ ـ على هذا القول ـ جواب ما تنزَّل منزلة القَسَم لا جواب (لَوْ)، وعلى الأَقوال الأُول جواب (لَوْ).

وفي «كتاب النحاس» إِشارةٌ إِلى أَنه يقرأُ بنصب (الْجِنَّ)[١]، أَي: تَبَيَّنَت الإِنْسُ الجِنَّ.

و﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: هو العمل في تلك السُّخرة، والمعنى: أَن الجن لو كانت تعلم الغيب لما خفي عليها أَمر سليمان عليه السلام، وقد ظهر أَنه خفي عليها بدوامها في الخدمة الصعبة وهو ميت، فالمُهِينُ: المُذِلُّ، من الهوان.

قال الطبريُّ: وفي بعض القراءَات: (فَلَمَّا خرَّ تَبَيَّنَتِ الإِنْسُ أنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا)، وحكاها أَبو الفتح عن ابن عباس، والضحاك، وعلي بن الحسين، وذكر أَبو حاتم أَنها كذلك في مصحف ابن مسعود[٢].

وأَكْثَرَ المفسرون في قصص هذه الآية بما لا صحة له، ولا تقتضيه أَلفاظ القرآن، وفي معانيه بُعْد، فاختصرته لذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾.

هذا مثل لقريش بقوم أنعم الله عليهم وأَرسل إِليهم الرُّسل فكفروا وعصوا[٣] فانتقم منهم، أَي: فأَنتم أَيها القوم مثلهم. وسبأٌ هنا: أَراد به القبيل.

---

(١) ولفظه في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٥): ومن قرأ (تبينت الجن) أراد: تبينت الإنس الجن، وردَّها الطبري (٢٠/ ٣٧٤).

(٢) وهي شاذة، انظرها في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩١٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٠٥)، والمحتسب (٢/ ١٨٨)، والهداية لمكي (٩/ ٥٩٠٤)، ولم أجدها في تفسير الطبري ولا تاريخه، والله أعلم.

(٣) في المطبوع والحمزوية ونور العثمانية وفيض الله: «وأعرضوا».

واخُتلف لِمَ سُمِّي القبيل بذلك؟

فقالت فرقة: هو اسم لامرأة كانت أُمَّ القبيل.

وقال الحسن بن أَبي الحسن ـ في كتاب الرُّمَّاني ـ : هو اسم موضع، فَسُمِّي القبيل به[١].

وقال الجمهور: هو اسم رجل هو أبو القبيل كله[٢]؛ قيل: هو ابن يشجب بن يعرب.

ورُوي في هذا القول حديث: أَن النبي ﷺ سأَله فَرْوة بن مُسَيْك عن سبأٍ، ما هو؟ فقال: «هو اسم رجل مِنْهُ تناسلت قبائل اليمن»[٣].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع وفي الحمزاوية: «هو اسم رجل كان أَباً للقبيل»، إلا أن في الحمزية: «كلها» بدل «كله».

(٣) ضعيف، أخرجه أبو داود (٣٩٨٨) والترمذي (٣٢٢٢) والطبري (٢٠/ ٣٧٥) كلهم من طريق حماد بن أسامة، عن الحسن بن الحكم، عن أبي سبرة النخعي، عن فروة بن مسيك به، قال الترمذي: حديث حسن غريب. اهـ، وهذا إسناد ضعيف، أبو سبرة النخعي، هو: عبد الله بن عابس، فيه جهالة، انظر تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٤٠)، ورواه الإمام أحمد في العلل ـ رواية عبد الله ـ (٢/ ١٥٦) والطبري (٢٠/ ٣٧٥) والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٢٣) كلهم من طريق أبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي، عن يحيى بن هانئ بن عروة المرادي، عن فروة بن مسيك به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل أبي جناب الكلبي، فهو ضعيف الحديث، مكثر من التدليس، وقد عنعنه، انظر تهذيب الكمال (٣١/ ٢٨٤)، ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٥٨) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٣٢٢) من طريق فرج بن سعيد، عن عمه ثابت بن سعيد، عن أبيه سعيد أن فروة بن مسيك حدثه...فذكره، وهذا إسناد ضعيف، سعيد هو ابن أبيض بن حمال، ذكره الذهبي في الميزان (٢/ ١٢٦) وقال: فيه جهالة، وابنه ثابت بن سعيد قال فيه الذهبي في الميزان (١/ ٣٦٤): لا يعرف، ورواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٢٤) من طريق عباد بن كثير الرملي، قال: ثنا ثور بن يزيد، عن البراء بن عبد الرحمن، عن فروة به، وهذا أيضاً إسناد ضعيف، عباد بن كثير الرملي ضعيف الحديث، وفيه البراء بن عبد الرحمن، لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، والحديث يروى من وجه آخر، رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٦٤) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة السبائي، عن عبد الرحمن بن وعلة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وعبد الله ابن لهيعة ضعيف الحديث.

وقرأَ نافع، وعاصم، وأَبو جعفر وشيبة، والأَعـرج: ﴿لِسَبَإٍ﴾ بهمزة منونة مكسورة، على معنى الحَيِّ، وقرأَ أَبو عمرو، والحسن: ﴿لِسَبأَ﴾ بهمزة مفتوحة غير مصروف[١]، على معنى القبيلة.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿في مَسَاكِنِهم﴾؛ لأَن كلَّ أَحد له مسكن.

وقرأَ الكسائي وحده: ﴿فِي مَسْكِنِهِم﴾ بكسر الكاف، أَي: في موضع سكناهم، وهي قراءَة الأَعمش، وعلقمة، قال أَبو علي: والفتح حَسَنٌ أَيضاً، لكن هذا كما قالوا: مَسْجِد، وإِن كان سيبويه يرى هذا اسم البيت، وليس موضع السجود، قال: هي لغة الناس اليوم، والفتح هي لغة الحجاز، وهي اليوم قليلة[٢].

وقرأَ حمزة، وحفص: ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بفتح الكاف، على المصدر، وهو اسم جنس يراد به الجمع، وهي قراءَة إِبراهيم النخَعي[٣]، وهذا الإِفراد هو كما قال الشاعر:

.... كُلُوا فـي بَعْـض بَطْنِكُـمُ تعفُّـوا[٤] [الوافر]

وكما قال الآخر:

.... قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ[٥] [البسيط]

---

(١) وهما سبعيتان، ومع أبي عمرو: البزي، وبقيت ثالثة لقنبل بسكون الهمز والباقون مع نافع، انظر: التيسير (ص: ١٦٧).

(٢) الحجة للفارسي (٦/ ١٣).

(٣) ثلاث قراءات سبعية، انظرها في التيسير في القراءات السبع (ص: ١٨٠)، وانظر موافقة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٥٩)، والنخعي في تفسير الثعلبي (٨/ ٨٢)، وعلقمة في البحر المحيط (٨/ ٥٣٣).

(٤) عجزه: فإن زمانكم زمن خميص، ولا يعلم قائله، وهو بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ٢١٠)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٤٩)، وتفسير الطبري (١/ ٣٦١)، والأصول في النحو (١/ ٣١٤)، وخزانة الأدب للبغدادي (٧/ ٥٥٩) وفي المطبوع: «تخفوا».

(٥) البيت لجرير، كما تقدم في تفسير الآية (٤٥) من (سورة النحل).

و﴿ءَايَةٌ﴾: معناه: عبرة وعلامة على فضل[١] الله وقدرته.

و﴿جَنَّتَانِ﴾ ابتداءٌ، وخَبَرُه في قوله: ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، أو خبر ابتداءٍ تقديره: هي جنَّتان، وهي جملةٌ بمعنى: هذه حالهم، والبدل من ﴿ءَايَةٌ﴾ ضعيف، وقد قاله مكيٌّ وغيره[٢].

وقرأ ابن أَبي عبلة: (آية جنتين) بالنصب[٣].

وروي: أَنه كان في ناحية اليمن وادٍ عظيم بين جبلين، وكانت جنبتا[٤] الوادي [منبت فواكه وزروع وكان قد بني في رأس الوادي][٥] عند أَول الجبلين جسر عظيم من حجارة من الجبل إلى الجبل فارتدع الماءُ فيه وصار بحيرة عظيمة[٦]، وأُخذ الماءُ من جَنبَتَيْها فمشى مرتفعاً يسقي جنات جنبتي الوادي، قيل: بَنَتْه بلقيس، وقيل: بناه حِمْير أَبو القبائل اليمنية كلها، كانوا بهذا الحال في أَرغد نِعم، وكانت لهم بعد ذلك قُرًى ظاهرة مُتَّصلة من اليمن إِلى الشَّام، وكانوا أَرباب تلك البلاد في ذلك الزمان.

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ﴾: فيه حذف، كأَنه قال: قيل لهم: كُلُوا.

و﴿طَيِّبَةٌ﴾ معناه: كريمة التربة، حَسَنَة الهواءِ، رغدة من النَّعيم، سليمة من الهوامِّ والمضار، هذه عبارات المفسرين.

وكان ذلك الوادي ـ فيما رُوي عن عبد الرحمن بن عوف ـ لا يدخله برغوث ولا قملة ولا بعوضة ولا عقرب ولا شيءٌ من الحيوان الضَّار، وإِذا جاءَ به أَحد من سفر

---

(١) في فيض الله: «فعل».
(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٨٥).
(٣) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٨/ ٥٣٤).
(٤) في المطبوع وأحمد٣: «حُقَّتا»، وفي فيض الله: «جنتا».
(٥) سقط من المطبوع.
(٦) في الأصل: «عظيماً».

سقط عند أَول الوادي[1]، ورُوي: أَن الماشي [كان إِذا مَشَى][2] بمِكْتَل فوق رأْسه بين أَشجاره كان يمتلئ مِكْتَله دون أَن يمدَّ يداً.

ورُوي: أَن هذه المقالة من الأَمر بالأَكل والشرب والتوقيف على طيب[3] البلد والغفران من الرَّبِّ مع الإِيمان هو من قول الأَنبياءِ لهم.

وقرأَ رُوَيْسٌ عن يعقوب: (بلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبّاً غَفُوراً) بالنصب في الكلِّ[4].

وبعث إِليهم ـ فيما رُوي ـ ثلاثة عشر نبيّاً فكفروا بهم وأَعرضوا، فبعث الله على ذلك السَّدِّ جرذاً[5] أَعمى توالد فيه وخَرَّقَه شيئاً بعد شيءٍ، وأَرسل سيلًا في ذلك الوادي فحمل ذلك السَّدَّ[6].

فيُروى: أَنه كان من العِظَم وكثرة الماءِ بحيث ملأَ ما بين الجبلين وحمل الجنَّات وكثيراً من الناس ممن لم يمكنه الفِرار، ورُوي أَنه لما خرق السَّد كان ذلك سبب يُبْس الجنَّات فهلكت بهذا الوجه، ورُوي: أَنه صرف الماءَ من موضعه الذي كان فيه أَولاً فتعطَّل سقْيُ الجنَّات.

واختلف الناس في لفظة ﴿ٱلْعَرِمِ﴾:

فقال المغيرة بن حكيم[7]، وأَبو ميسرة: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾ في لغة اليمن جمع عِرْمَة، وهو

---

(١) كذا نسب المؤلف الأثر لعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، والصواب أنه من قول عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم، كما جاء عند الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٧٦) وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور (١١/ ١٣٥).

(٢) من المطبوع وأحمد٣.

(٣) في الأصل: «طلب».

(٤) وليست من طرق النشر، بل شاذة، عزاها في الكامل (ص: ٦٢٢) لحميد بن الوزير عن يعقوب، وأبي بشر القطان عنه، وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٠٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٩٠).

(٥) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «جراداً»، ونقطة الذال غير واضحة في النسخ الأخرى.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٨٣).

(٧) هو المغيرة بن حكيم الصنعاني من أبناء فارس، روى عن أبيه، وابن عمر، وصفية بنت شيبة، وأم =

[٤/ ١٢٨] كل ما بُني أَو سُنِم لِيُمْسك الماءَ، ويقال لذلك بلغة الحجاز: المُنسأة[١]./

قال القاضي أبو محمد: كأَنها الجسور والسِّداد ونحوها، ومن هذا المعنى قول الأعشى:

[المتقارب]

وفي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ ومَأْرَبُ عفا عَلَيْهَا الْعَرِمْ
رِخَامٌ بَنَاهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ إِذا جَاءَ مَوَّارُهُ لَمْ يَرِمْ[٢]

ومنه قول الآخر:

[المنسرح]

مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهَا الْعَرِمَا[٣]

وقال ابن عباس، وقتادة، والضَّحاك: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾: اسم وادي ذلك الماء بعينه الذي كان السَّدُّ بني له[٤].

وقال ابن عباس أَيضاً: إن سيل ذلك الوادي كان يصل إِلى مكة ويُنتفع به[٥].

وقال ابن عباس أيضاً: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾: الشديد[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وكأَنه صفة لِلسَّيْل، من العَرَامة، والإِضافة إِلى الصفة مبالغة، وهي كثيرة في كلام العرب، وقالت فرقة: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾: اسم الجُرُذِ.

= كلثوم بنت وطاوس، وغيرهم، وعنه، ابن جريج، وجرير بن حازم، وعبد العزيز بن أبي رواد، وعقيل ابن خالد، وآخرون، وثقه ابن معين وغيره. تاريخ الإسلام (٧/ ٤٧٤).

(١) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «المسنأة»، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ٣٧٩).

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ١٤٦)، وسيرة ابن هشام (١/ ١٤)، والحيوان (٥/ ٢٩٠)، بلفظ: «قفى»، وفي المطبوع: «عضّ».

(٣) البيت للنابغة الجعدي، كما تقدم في تفسير الآية (٢٠) من (سورة النمل).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وانظر فيه قول قتادة والضحاك أيضاً.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿ٱلْعَرِمِ﴾: صفة[١] للمطر الشديد الذي كان عند ذلك السَّيْل.

وقوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ قولٌ فيه تجوُّزٌ واستعارة؛ وذلك أَن البدل من الخَمْطِ والأَثْل لم يكن جَنَّات، لكن هذا كما تقول لمن جُرِّد ثوباً جيداً وضُرب ظهره: هذا الضَّرْبُ ثوبٌ صالحٌ لك، ونحو هذا.

وقوله: ﴿ذَوَاتَىْ﴾ تثْنية ذات.

و«الْخَمْطُ»: شجر الأَرَاكِ، قاله ابن عباس وغيره[٢].

وقيل: الْخَمْطُ: كل شجر له شوك، وثمرته كريهة الطعم بمرارة، أَو حمضة[٣]، أو نحوه، ومنه تَخَمَّط اللَّبنُ: إِذا تغيَّر طعمه.

و«الأَثْلُ»: ضربٌ من الطَّرْفاءِ، هذا هو الصحيح، وكذا قال أَبو حنيفة[٤] في كتاب النبات[٥].

قال الطبري: وقيل: هو شجر شبيه بالطرفاءِ، وقيل: إِنَّه السَّمُر[٦].

و«السِّدْرُ» معروف، وله نبق شبيه العنَّاب، لكنه دونه في الطعم بكثير.

ولِلْخَمْطِ ثمرٌ غثٌّ هو البَريرُ، ولِلأَثْلِ ثمر قليل الغَنَاءِ غير حسن الطعم.

وقرأَ ابن كثير، ونافع: ﴿أُكْلٍ﴾ بضم الهمزة وسكون الكاف.

---

(١) في الأصل: «اسم».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٣) في المطبوع: «حمصه».

(٤) هو أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري، كان نحوياً لغوياً مع الهندسة والحساب، راوية ثقة ورعاً زاهداً، أخذ عن البصريين والكوفيين، صنف كتاب لحن العامة، الشعر والشعراء، النبات، لم يؤلف في معناه مثله، توفي سنة (٢٨٢هـ). بغية الوعاة (١/ ٣٠٦).

(٥) البحر المحيط (٨/ ٥١٧)، وانظر المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ١٧٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٨٣).

وقرأَ الباقون بضم الهمزة وضم الكاف، ورُوي أَيضاً عن أَبي عمرو سكون الكاف[١].

وهما بمعنى الْجَني والثَّمرة، ومنه قوله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥]؛ أَي: جَناهَا.

وقرأَ جمهور القراء بتنوين ﴿أُكُلٍ﴾، وصِفَتُه بـ﴿خَمْطٍ﴾ وما بعده.

قال أَبو علي: البدل في هذا لا يحسن؛ لأَن (الْخَمْط) ليس بالأُكل، و(الأُكُل) ليس بالخمط نفسه، والصفة أَيضاً كذلك؛ لأَن الخَمْط اسمٌ لا صفة، وأَحسن ما فيه عطف البيان، كأَنه بيَّن أن (الأُكُل) هذه الشجرة ومنها[٢].

ويُحَسِّن قراءَة الجمهور أَن هذا الاسم قد جاءَ مجيءَ الصفة في قول الهُذَليِّ:

[الطويل]
عُقَـارٌ كَمَـاءِ النِّـيءِ ليْسَـتْ بِخَمْطَةٍ ... وَلَا خلَّةٍ يَكْوِي الشُّرُوب شهابهَا[٣]

وقرأَ أَبو عمرو بإِضافة ﴿أُكُلِ﴾ إِلى ﴿خَمْطٍ﴾ وبضم الكاف[٤]، أَي: ﴿أُكُلِ خمطٍ﴾.

ورجَّح أَبو علي قراءَة الإضافة[٥].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارة إِلى ما أَجراه عليهم.

وقوله: ﴿وهل يُجازَى﴾ أَي: يُنَاقش ويقارض[٦] بمثل فعله، قدراً بقدر؛ لأَن جزاءَ

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٨٣)، والوجه الثاني لأبي عمرو من رواية عباس كما في السبعة (ص: ٥٢٨).

(٢) الحجة للفارسي (٦/ ٤٧١).

(٣) انظر عزوه له في أدب الكاتب (ص: ١٦٧)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٦٨٧)، والمخصص (٣/ ١٥٣). وفي الأصل: «شبابها».

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٨٠)، والسبعة (ص: ٥٢٨).

(٥) الحجة للفارسي (٦/ ١٤).

(٦) في الحمزوية: «ويقاصُّ»، وفي نجيبويه والمطبوع والسليمانية: «يُعارض».

المؤمنين إِنما هو بتفضُّلٍ وتضعيف، وأَمَّا الذي لا يُزادُ ولا ينقص فهو الكفور، قاله الحسن ابن أَبي الحسن.

وقال طاوس: هي المناقشة، وكذلك إِن كان المؤمن ذا ذُنوب فقد يُغفر له ولا يجازى، والكافر يُجازى ولا بُدّ[(١)]، وقد قال عليه السلام: «من نُوقِش الحساب عُذِّب»[(٢)].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يُجازَى﴾ بالياءِ وفتح الزَّاي.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿نُجَٰزِيٓ﴾ بالنون وكسر الزَّاي ﴿ٱلۡكَفُورَ﴾ بالنصب[(٣)].

وقرأ مسلم بن جُنْدب: (وهل يجزى)، وحكى عنه أَبو عمرو الدَّاني أَنه قرأ: (يُجْزِي) بضم الياءِ وكسر الزَّاي[(٤)].

قال الزجاج: يقال: جَزَيْتُ في الخير، وجازيت في الشَّر[(٥)].

قال القاضي أَبو محمد: فَتَتَرَجَّح قراءَة[(٦)] الجمهور، [والله أعلم][(٧)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾.

هذه الآية وما بعدها وصف لحالهم قبل مجيءِ السَّيل، وهي أَن الله تبارك وتعالى ـ مع ما كان منحهم[(٨)] من الجَنَّتَيْن والنِّعمة الخاصة بهم ـ كان قد أَصلح لهم البلاد المتَّصلة

---

(١) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٧)، والأول منهما في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٨٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٧١) ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به.

(٣) وافقهما حفص، فالقراءتان سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٠)، السبعة (ص: ٥٢٨).

(٤) وكلتاهما شاذة، عزاهما الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٠)، لأبي البرهسم، وعزا لمسلم الأولى فقط، وكذا عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢)، والمحتسب (٢/ ١٨٨)، ولم أقف على النقل عن الداني.

(٥) المحتسب (٢/ ١٨٨).

(٦) في الأصل: «فتترجح هذه قراءة»، وفي نجيبويه: «فترجح قراءة» إلخ.

(٧) من فيض الله.

(٨) في المطبوع: «مع ما كان منهم منحهم ... إلخ».

بهم وعمَّرها، وجعلهم أَربابها، وقدَّر السَّير فيها بأَن قرَّب القُرَى بعضها من بعض، حتى كان المسافر من مأْرب إِلى الشام لَيَبِيتُ في قرية ويَقِيلُ في قرية، فلا يحتاج إِلى حَمْل زاد.

و﴿ٱلْقُرَى﴾: المدن، ويقال للجمع الصغير قرية أَيضاً، وكلها من: قَرَيْتُ، أَي جَمعْتُ.

والقُرى التي بورك فيها هي بلاد[1] الشام بإِجماع من المفسرين.

و«القرى الظَّاهرة»: هي التي بين الشَّام ومأْرب، وهي الصغار التي هي البوادي.

[قال ابن عباس: هي قرى عربية بين المدينة والشَّام، وقاله الضحاك][2].

واختلف في معنى ﴿ظَٰهِرَةً﴾:

فقالت فرقة: معناه: مُستعلية مرتفعة في الآكام والظِّراب، وهي أَشرف القرى.

وقالت فرقة: معناه يظهر بعضها من بعض، فهي أَبداً في قبضة عين المسافر، ولا يخلو من رؤْية شيءٍ منها بهذا الوجه.

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر لي أَن معني ﴿ظَٰهِرَةً﴾: خارجة عن المدن، فهي عبارة عن القرى الصغار التي هي في ظواهر المدن، وإِنما فصل بهذه الصِّفة بين القرى الصغار وبين القرى المطلقة التي هي المُدن؛ لأَن ظواهر المدن ما خرج عنها في الفيافي والفحوص، ومنه قولهم: نزلنا بظاهر فلانة، أَي: خارجاً عنها.

وقوله: ﴿ظَٰهِرَةً﴾ نظير تسمية النَّاس إِيَّاها البادية والضاحية، ومن هذا قول الشاعر:

[الطويل] فَلَـوْ شَـهِدَتْني مِـنْ قُرَيْـشٍ عِصَابَـةٌ قُرَيْشُ الْبِطَاحِ لَا قُرَيْشُ الظَّواهِرِ[3]

---

(١) في المطبوع: «قرى».

(٢) سقط من الأصل، والأثر أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٨٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وانظر فيه قول الضحاك.

(٣) البيت لذكوان مولى عمر بن الخطاب للضحاك بن قيس الفهري حين ضربه كما في الطبقات الكبرى (١/ ٧١)، وأنساب الأشراف (١١/ ٥٣)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٧/ ٣٢٢)، وفي تهذيب =

يعني: الخارجين عن بطحاء مكة، وفي حديث الاستسقاءِ: وجاءَ أَهل الضواحي يشتكون: الغرق الغرق[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ هو ما ذكرناه من أَن السائر[٢] فيها كان يَقيل في قرية ويبيت في أُخرى على أَيِّ طريقٍ سَلك، لا يعوزه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿سِيرُواْ﴾ معناه: قلنا لهم.

و﴿ءَامِنِينَ﴾ معناه: من الخوف / من الناس المفسدين، وآمنين من الجوع والعطش وآفات المسافر. [٤/ ٢٢٩]

ثم حكى عنهم مقالةً قالوها على جهة البَطَر والأَشَر، وهي طلب البُعْد بين الأَسفار، أو الإِخبار بأَنها بعيدة على القراءَات الأُخرى.

وذلك أَن نافعاً، وعاصماً، وحمزةَ، والكسائيَّ قرأوا: ﴿بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ بكسر العين على معنى الطلب.

[وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والحسن ومجاهد: ﴿بعِّد بين أسفارنا﴾ بشد العين وكسرها على معنى الطلب][٣] أَيضاً، فهاتان القراءتان معناهما: الأَشر بأَنهم ملُّوا النِّعمة بالقُرب، وطلبوا استبدال الذي هو أَدنى بالذي هو خير.

= اللغة (٤/ ٢٣٠): قال ابن الأعرابي: قريش البطاح هم الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة، وقريش الظواهر: الذين ينزلون خارج الشعب، وأكرمهما قريش البطاح.

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣١٣) من طريق: أحمد بن رشيد بن خثيم الهلالي، حدثنا أبو معمر سعيد بن خثيم عمي، عن مسلم الملائي، عن أنس بن مالك به وهو حديث طويل، وأخرجه ابن عدي في ترجمة سعيد بن خثيم من الكامل (٣/ ٤٠٨) وقال: روى سعيد هذا الحديث الذي ذكرته وغير ما ذكرت أحاديث ليست بمحفوظة من رواية أحمد بن رشد عنه... ولسعيد غير ما ذكرت من الحديث قليل ومقدار ما يرويه غير محفوظ.

(٢) في نجيبويه وأحمد٣ والمطبوع: «المسافر».

(٣) سقط من المطبوع، وهما سبعيتان، وابن ذكوان بالمد، وهشام بالتشديد انظر التيسير (ص: ١٨١).

وفي «كتاب الرُّماني» أنهم قالوا: لو كان جنيُ ثمارنا أَبعد لكان أَشهى[١] وأَكثر قيمة.

وقرأَ ابن السَّميفع، وسفيان بن حسين، وسعيد بن أَبي الحسن أَخو الحسن، وابن الحنفية: (رَبَّنَا) بالنصب (بَعُدَ بين أسفارنا) بفتح الباءِ وضم العين، وبنصب (بَيْنَ) أَيضاً.

وقرأَ سعيد بن أَبي الحسن ـ من هذه الفرقة ـ: (بَيْنُ) بالرفع وإِضافته إِلى الأَسفار.

وقرأَ ابن عباس، وأَبو رجاءٍ، والحسن البصري، وابن الحنفية أيضاً: ﴿رَبُّنَا﴾ بالرفع ﴿بَاعَدَ﴾ بفتح العين والدال.

وقرأَ ابن عباس، وابن الحنفية أَيضاً، وعمرو بن فايدة، ويحيى بن يَعْمَر: (رَبُّنَا) بالرفع (بَعَّدَ) بفتح العين وشدها وفتح الدال[٢].

فهذه القراءَة معناها: الأشر[٣] بأَنهم استبعدوا القريب، ورأَوْا أَن ذلك غير مقنع لهم، حتى كأَنهم أَرادوها متَّصلة الدور، وفي هذا تعسُّف وتسحب[٤] على أَقدار الله تعالى وإِرادته، وقلَّة شكر على نعمته، بل هي مقابلة النعمة بالتَّشَكِّي والاستضرار[٥].

وفي هذا المعنى ونحوه مما اقترن بكفرهم ظلموا أَنفسهم فغرَّقهم[٦] الله تعالى، وخَرَّب بلادهم، وجعلهم أَحاديث، ومنه المثل السائر: تفرَّقوا أَيادي سبأَ، وأَيدي سبأَ[٧]، يقال المثل بالوجهين، وهذا هو تمزُّقهم كل مُمَزَّق.

---

(١) في المطبوع: «أشهر»، وقول الرماني لم أقف عليه.

(٢) أربع قراءات، الثالثة عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٥٠)، والبواقي شاذة انظر الأولى والرابعة في المحتسب (٢/ ١٨٨)، والثانية لسعيد في البحر المحيط (٨/ ٥٣٨).

(٣) في الحمزوية: «الأشهر»، وفي المطبوع: «الإخبار».

(٤) في المطبوع: و«تسخطٍ»، وفي أحمد٣: و«نسخت»، وفي السليمانية: و«تسحّت».

(٥) ليست في المطبوع، وفي السليمانية وأحمد٣: و«الاستقرار».

(٦) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «ففرقهم»، وفي أحمد٣: «فمزقهم».

(٧) تهذيب اللغة (١٣/ ٧٢).

وروي: أَن رسول الله ﷺ قال: «إِن سبأَ أَبو عشرة[١] قبائل، فلما جاءَ السَّيْلُ على مأْرب وهو اسم بلدهم تيامَن منهم ستة قبائل، أي تبددت في بلاد اليمن، وتشَاءَمَتْ منها أَربعة، فالمُتيَامِنة كِنْدة والأَزْد وأَشْعَر ومَذْحِج وأَنمار التي منها بَجِيلَة وخَثْعَم، وطائفة قيل لها: حِمْيَر، بقي عليها اسم الأَب الأَول، والتي تشاءَمت لَخْم وجُذَام وغَسَّان وخُزَاعة، نزلت تهامة، ومن هذه المتشائمة أَولاد قَيْلة، وهم الأَوس والخزرج، ومنها عاملة وغير ذلك»[٢].

ثم أَخبر تعالى محمداً ﷺ وأُمَّته ـ على جهة التنبيه ـ أَن هذه القصص فيها آياتٌ وعِبَرٌ لكل مؤمن على الكمال، ومن اتصف بالصبر والشُّكر فهو المؤمن الذي لا تنقصه خلَّة جميلة بوجه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

قرأَ نافع، وأَبو عمرو[٣]، وابن عامر: ﴿ولقد صدَق﴾ بتخفيف الدال ﴿إِبْلِيسُ﴾ رفعاً ﴿ظَنَّهُ﴾ نصباً على المصدر، وقيل: على الظرفية، أَي: في ظَنِّه، وقيل: على المفعول، على معنى أَنه لما ظن عمل عملاً يصدق به ذلك الظن، فكأَنه إِنما أَراد أن يصدق ظنه، وهذا نحو من قولك: أَخطأْتُ ظَنِّي وأَصبْتُ ظَنِّي.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿صَدَّقَ﴾ بتشديد الدَّال، و(الظَّنُّ) على هذا

---

(١) في المطبوع: «عشر».

(٢) سبق تخريجه وهو حديث فروة بن مسيك وابن عباس، وإسناده لا ينهض.

(٣) في المطبوع: «عمرة».

مفعول بـ﴿ صَدَّقَ ﴾، وهي قراءَة ابن عباس، وقتادة، وطلحة، وعاصم[(١)]، والأعمش[(٢)].

وقرأ الزُّهري، وأَبو الهجهاج[(٣)]، وبلال بن أَبي بُرْدَة: (صَدَقَ) بتخفيف الدال (إِبْلِيسَ) نصباً (ظَنُّهُ) رفعاً.

وقرأَت فرقة: (صَدَقَ) بتخفيف الدال (إِبْلِيسُ) بالرفع (ظَنُّهُ) بالرفع[(٤)] على البدل، وهو بدل الاشتمال.

ومعنى الآية: أَن ما قال إِبليس من أَنه سيفتن بني آدم ويُغويهم، وما قال من أَن الله لا يجد أَكثرهم شاكرين، وغير ذلك كان ظنّاً منه يصدق فيه[(٥)].

وأَخبر الله تعالى عنهم أَنَّهم اتَّبعوه، وهو اتِّباعٌ في كُفْرٍ؛ لأَنه في قصة قوم كفَّار.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ يدل على ذلك، و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض؛ لأن التبعيض يقتضي أن فريقاً من المؤمنين اتبعوا إِبليس.

و«السُّلْطَانُ»: الحُجَّة، وقد يكون الاستعلاءَ والاستقدار؛ إِذ اللَّفظ من التَّسَلُّط، وقال الحسن بن أَبي الحسن: والله ما كان له سيف ولا سوطٌ، ولكنه استمالهم فمالوا بتزيينه[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: لنعلمه موجوداً؛ لأَن العلم به متقدم أَزلاً[(٧)].

---

(١) في حاشية المطبوع هكذا بالتكرار في جميع النسخ الأصلية.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨١)، وموافقة ابن عباس في تفسير الثعلبي (٨/ ٨٥)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٥٣٩).

(٣) في الحمزوية: «المحاح». وفي نور العثمانية وفيض الله: «الجماح»، ولم أقف له على ترجمة.

(٤) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ١٩٠)، وعزا الثانية في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢) لعبد الوارث عن أبي عمرو.

(٥) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «وصدق فيهم».

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٩٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٨٦) بتصرف.

(٧) في المطبوع: «أولًا».

وقرأَت فرقة: (إلا ليُعلم) [بالياءِ على ما لم يسم فاعله][(١)].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية: آية تعجيز وإِقَامةِ حجَّة، ويُروى أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشاً.

[والجمهور على ﴿قُلُ ادعوا﴾ بضم اللَّام.

وروى عباسٌ عن أَبي عمرو: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ﴾ بكسر اللام[(٢)].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يريد الملائكة والأَصنام؛ وذلك أَن قريشاً][(٣)] والعرب كان منهم من يعبد الملائكة والأصنام[(٤)]، ومنهم من يقول: نعبدها لتشفع لنا، ونحو هذا، فنزلت هذه الآية معجزة للكلِّ منهم.

ثم جاءَ بصفة هؤلاءِ الذين يدعونهم آلهةً، من أَنهم لا يملكون مِلْك الاختراع مثقال ذَرَّة في السماءِ ولا في الأَرض، وأَنهم لا شِرْكَ لهم فيها، وهذان فيهما نوعا المِلْك: إِمَّا استبدادٌ، وإِمَّا مُشاركة، فنفى عنهم جميع ذلك، ونفى أَن يكون منهم لله تعالى معينٌ في شيءٍ من قدرته.

و«الظَّهيرُ»: / المُعين. [٤/ ٢٣٠]

ثم تقرَّر في الآية بَعْدُ أَن الذين يظنون أنهم يشفعون لهم لا تصح منهم شفاعة لهم؛ إِذ هؤلاءِ كفرة، ولا يأْذن الله في الشفاعة في كافر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «مضمومة على المجهول»، وهي شاذة نسبها في مختصر الشواذ (ص: ١٢٢) للزهري.

(٢) وهما سبعيتان، والثانية لعاصم وحمزة أيضاً، انظر التيسير (ص: ٧٨)، وانظر نسبتها لعباس في: السبعة (ص: ٥٢٩).

(٣) سقط من الأصل.

(٤) من فيض الله.

المعنى: إن كلَّ من دعوتم إلهاً من دون الله لا يملكون مثقال ذرَة، ولا تنفع شفاعتهم إلَّا بإِذن الله[١] فيمن آمن، فكأَنه قال: ولا هم شفعاءُ على الحدِّ الذي ظننتم أَنتم.

واختلف المتأَولون في قوله: ﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾:

فقالت فرقة: معناه: لمن أَذن[٢] له [أن يشفع فيه][٣]، وقالت فرقة: معناه: لمن أَذن له أن يشفع هو.

قال القاضي أَبو محمد: واللَّفظ يعمُّهما؛ لأَنه[٤] إِذا انفرد للشافع فلا شك أن المشفوع فيه مُعَيَّن له، وإِذا انفرد للمشفوع فيه فالشافع لا محالة عالمٌ مُعين لذلك. وانظر أن اللام الأُولى تشير إلى المشفوع فيه من قوله: ﴿لِمَنۡ﴾، تقول: شفعتُ لفلان.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الأَلف، وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿أَذِنَ﴾ بفتحها[٥].

والضمير في ﴿قُلُوبِهِمۡ﴾ عائد على الملائكة الذين دعوهم آلهة، ففي الكلام حذف يدل عليه الظاهر، كأَنه قال: ولا هم شفعاء كما تحسبون أَنتم، بل هم عَبَدَة ومُستسلمون أَبداً حتى إِذا فُزِّع عن قلوبهم.

قال القاضي أبو محمد: وتظاهرت الأَحاديث عن رسول الله ﷺ أَن هذه الآية، أَعني قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ إنما هي في الملائكة إِذا سمعت الوحيَ إِلى جبريل بالأَمر يأْمُر الله به سمعت كجَرِّ سلسلة الحديد على الصفوان، فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة[٦].

---

(١) من الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع.

(٢) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «أراد».

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في نور العثمانية وفيض الله: «لأن الإذن»، وفي فيض الله: «قال القاضي» مكررة.

(٥) وهما سبعيتان، وعاصم بالفتح كما في التيسير (ص: ١٨١)، وفي السبعة (ص: ٥٣٠) أن الكسائي روى عن شعبة الضم.

(٦) أخرجه البخاري (٤٧٠١) من حديث أبي هريرة، مرفوعاً، به.

وقيل: خوف أَن تقوم الساعة، فإذا فَرَغ ذلك ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾، أَي: أُطير الفزع عنها وكُشف، فيقول بعضهم لبعض ولجبريل: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾؟ فيقول المسؤولون: «قال الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ». وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تَـتَّسق هذه الآية على الأُولى، ومن لم يشعر أَن الملائكة مُشَارٌ إليهم من أَوَّل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها، فلذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها، حتى قال بعضهم في الكفار ـ بعد حلول الموت ـ فُزِّع عن قلوبهم بفقد الحياة فرأَوْا الحقيقة، وزال فزعهم من شُبه ما يقال لهم في حياتهم، فيقال لهم حينئذ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾؟ فيقولون: قال الحق، يُقِرُّون حين لا ينفعهم الإِقرار.

وقالت فرقة: الآية في جميع العالم، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ يريد: في القيامة.

قال القاضي أَبو محمد: والتأْويل الأول في الملائكة هو الصحيح، وهو الذي تظاهرت به الأَحاديث، وهذان بعيدان.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿فُزِّعَ﴾ بضم الفاءِ وكسر الزَّاي، ومعناه: أُطير الفزع عنهم، وهذه الأَفعال جاءَت مخالفة لسائر الأَفعال، لأَن (فَعَّل) أَصلها الإِدخال في الشيءِ، [كعلمت ونحوها][(١)]، وقولك: فزَّعتُ زيداً معناه: أَزلتُ الفَزَع عنه، وكذلك: جزَّعته: أَزلت الجزعَ عنه، ومنه في الحديث: فدخل ابن عباس على عمر فجزَّعَهُ[(٢)]. ومنه: مَرَّضتُ فلاناً: أَزلتُ عنه المرض.

قال القاضي أَبو محمد: وانظر أن مطاوع[(٣)] هذه الأفعال يلحق بـ: تَحَنَّث وتحرَّج وتَفَكَّه وتأَثَّم وتخوَّف[(٤)].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٢) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه به.

(٣) في المطبوع: «مضارع».

(٤) في المطبوع: و«تَخَوَّتَ»، قال في الحاشية: تَخَوَّت الشيء: اختطفه.

وقرأَ ابن عامر: ﴿فَزَّعَ﴾ بفتح الفاءِ والزَّاي وشد الزاي، وهي قراءَة ابن مسعود، وابن عباس، وطلحة، وأَبي المتوكل الناجي[(١)]، واليماني[(٢)].

وقرأَ الحسن البصري بخلاف: (فُزِعَ) بضم الفاءِ وكسر الزاي وتخفيفها[(٣)]، كأنه بمعنى: أَقلع.

ومَن قال إنها في العالم أجمعه قال: معنى هذه القراءَة: فُزع الشيطان عن قلوبهم، أَي: بادر.

وقرأَ أَيوب عن الحسن أَيضاً: (فُرِّغَ) بضم الفاءِ وبراءٍ مهملة مشدَّدة وبغين منقوطة، من التفريغ، قال أَبو حاتم: ورواها عن الحسن نحو من عشرة أَنفس، وهي قراءَة أَبي مجلز[(٤)].

وقرأَ مطر الورَّاق، عن الحسن: (فَزِعَ) على بناءِ الفعل للفاعل، وهي قراءَة مجاهد.

وقرأَ الحسن أَيضاً: (فَرغَ) بالراءِ [غير منقوطة][(٥)] مخففة، من الفراغ.

قال أَبو حاتم: ما أَظن الثِّقات رَوَوْها عن الحسن على وجوه إِلَّا لصعوبة المعنى عليه، فاختلفت أَلفاظه فيه.

---

(١) هو أبو المتوكل الناجي البصري اسمه علي بن دؤاد، حدث عن عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعنه: قتادة، وحميد، وخالد الحذاء، وكان ثقة نبيلاً من جلة التابعين، توفي سنة (١٠٢هـ). تاريخ الإسلام (٧/ ٢٩٨).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٣٠)، والتيسير (ص: ١٨١)، والبحر المحيط (٨/ ٥٤٥). وفي نور العثمانية: «وقرأ ابن كثير عامر».

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٤٦٠)، والمحتسب (٢/ ١٩٠).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: تفسير الطبري (٢٢/ ٩٣)، وانظر نسبتها لأبي مجلز في البحر المحيط (٨/ ٥٤٥).

(٥) في المطبوع: «المهملة»، وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٩١)، والثانية له مع قول أبي حاتم في: المحتسب (٢/ ١٩٢).

وقرأَ عيسى بن عمر: (حتى إذا افْرنْقعَ)، وهي قراءَة ابن مسعود[١].

ومعنى هذا كله: وقع فراغُها من الفزع والخوف، ومن قرأَ شيئاً من هذا على بناءِ الفعل للمفعول فقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ في موضع رفع، [ومن قرأ على بناء الفعل للفاعل فقوله: ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ في موضع نصب][٢].

وافْرَنْقع معناه: تفرَّق.

وقوله تعالى: ﴿مَاذَا﴾ يجوز أن تكون (ما) في موضع نصب بـ﴿قَالَ﴾.

ويصح أَن تكون في موضع رفع بمعنى: أَيُّ شيءٍ قال؟

والنصب في قولهم: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ على نحوه في قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠][٣]، لأنهم حقَّقُوا أَن ثمَّ ما أُنْزِلَ، وحَقَّقُوا هنا أَنَّ ثَمَّ ما قِيلَ.

[وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾][٤] تحميدٌ وتمجيد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ على جهة الاحتجاج، وإِقامة الدليل على الرازق لهم من السماوات والأَرض [أَن يسأَلهم][٥]: من هو؟

---

(١) انظر نسبتها لابن مسعود في: مختصر الشواذ (ص: ١٢٣)، وانظر عزوها لعيسى في المحتسب (٢/ ١٩١).

(٢) سقط من أحمد٣ والمطبوع.

(٣) وأشار في حاشية المطبوع إلى أن في بعض الأصول خلطاً بينها وبين الآية (٢٤) من السورة نفسها.

(٤) في المطبوع: «وباقي الآية».

(٥) من المطبوع، قال في الحاشية: زيادة يحتاج إليها المعنى.

[٤/ ٢٣١] ثم أَمره أن يقتضب الاحتجاج / بأن يأْتي بجواب السؤال؛ إِذْ هم في بَهْتَة ووجْمَة من السؤال، وإِذ لا جواب لهم ولا لمفطُورٍ إِلَّا بأن يقول: هو الله. وهذه السبيل في كل سؤال جوابه في غاية الوضوح؛ لأن المحتجَّ يريد أَن يقتضب ويتجاوز إلى حجة أُخرى يوردها. ونظائر هذا في القرآن كثير.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ﴾ تلَطُّف في الدعوى والمحاورة والمعنى، كما تقول لمن خالفك في مسأَلة: أَحدنا مُخْطِئٌ، أَي: تَثَبَّتْ وتَنَبَّه، والمفهوم من كلامك أَن مخالفك هو المخطئُ، فكذلك هذا معناه: وإِنَّا لَعَلَى هُدًى أَو في ضلالٍ مبين، وإِنَّكم لعلى هُدًى أَو في ضلال مبين، فلْتَتَبَيَّنْهُ، والمقصد أن الضلال في حيِّز المخاطبين، وحذف أحد الخبرين لدلالة الباقي عليه.

وقال أَبو عبيدة: ﴿أَوۡ﴾ في الآية بمعنى واو النَّسق، والتقدير: وإِنا وإِيَّاكم لعلى هدًى أَو في ضلال مبين، وهما خبران غير مبتدأَين[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول غير متَّجه واللَّفظ لا يساعده، وإِن كان المعنى ـ على كل قول ـ يقتضي أن الهدى في حيِّز المؤمنين والضلال في حيِّز الكفرة.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا﴾ الآية، مهادنة ومتاركة، وهي منسوخة بآية السيف.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا﴾ الآية، إِخبارٌ بالبعث من القبور.

وقوله: ﴿يَفۡتَحُ﴾ معناه: يحكم، والفتَّاح: القاضي، وهي مشهورة في لغة اليمن، وهذا كله منسوخ بآية السيف.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرُونِيَ﴾ يحتمل أَن تكون رؤْية قلب، فيكون قوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولاً ثالثاً[٢]، وهذا هو الصحيح، أي: أَرُوني بالحُجَّة والدليل كيف وجه الشركة؟

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٤٨).

(٢) في الأصل: «ثانياً».

وقالت فرقة: هي رؤية بصر، و﴿شُرَكَآءَ﴾ حال من الضمير المفعول بـ﴿أَلْحَقْتُم﴾ والعائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، لأَن استدعاءَ رؤية العين في هذا لا غناء له.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ لما تقرَّر من مذهبهم في الإِشراك بالله تعالى.

وَوَصَفَ نفسه عزَّ وجلَّ باللائق من العزَّة والحكمة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

هذا إعلامٌ من الله تبارك وتعالى بأنه بعث محمداً ﷺ إلى جميع العالم.

و«الكَافَّةُ»: الجمع الأَكمل من الناس، و﴿كَآفَّةً﴾ نصب على الحال، وقدَّمها للاهتمام.

وهذه إِحدى الخصال التي خُصَّ بها محمد ﷺ من بين الأَنبياءِ، والتي حصرها في قوله ﷺ: «أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَهُنَّ أَحدٌ قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وأُحِلت لي الغنائم ولم تحلّ لأَحد قبلي، وأُوتيت جوامع الكلم، وجُعلت لي الأَرض مسجداً وطهوراً، وبُعث كلُّ نبيٍّ إِلى خاص من الناس وبُعِثْت إِلى الأَسود والأحمر»[١]، وفي هذه الخصال زيادة في «كتاب مسلم»[٢].

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يريد بها العموم في الكفرة، والمؤمنون هم الأَقل.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما مرفوعاً، بنحوه.

(٢) صحيح مسلم (٥٢٣) من حديث جابر رضي الله عنهما.

ثم حكى عنهم مقالتهم في الهُزْءِ بأَمر البعث، واستعجالهم ـ على معنى التكذيب ـ بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾؟ فأَمر الله تعالى نبيَّه أَن يخبرهم عن ميعاد يوم[١] هو يوم القيامة، لا يتأَخر عنه أحد ولا يتقدمه.

قال أَبو عبيدة: الوعد والوعيد والميعاد بمعنى واحد[٢]. وخولف في هذا، والذي عليه الناس أَن الوعد في الخير، والوعيد في المكروه، والميعاد يقع لهذا ولهذا.

قال القاضي أَبو محمد: وأَضاف الميعاد إلى اليوم تَجَوُّزاً من حيث كان فيه، وتحتمل الآية أَن يكون استعجال الكفرة لعذاب الدنيا، ويكون الجواب عن ذلك أَيضاً، ولم يجر للقيامة ذكر على هذا التأْويل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

حُكيت في هذه الآية مقالة قالها بعض قريش، وهي أَنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا بما أنزل[٣] بين يديه من التوراة والإنجيل والزَّبور، وكأَنهم كذَّبوا بجميع كتب الله، وإِنما فعلوا هذا لما وقع الاحتجاج عليهم بما في التوراة من أَمر محمد ﷺ.

وقالت فرقة: (والَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ): هي الساعة والقيامة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا خطأٌ لم يفهم قائله أَمر (بَيْنَ الْيَد) في اللغة، وأنه المتقدم في الزمن، وقد بَيَّنا معناه فيما تقدم.

ثم أَخبر الله تعالى نبيَّه عن حالة الظالمين في صيغة التَّعجب من حالهم، وجواب

(١) في الحمزوية: «عن ميعاد يوم القيامة».

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٤٩). ولفظ «واحد» ليس في المطبوع.

(٣) من نور العثمانية وفيض الله.

﴿لَوْ﴾ محذوف، وقوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ يريد[١]: أي يتحاورون ويتجادلون، ثم فسَّر ذلك الجدل بأَن الأَتباع والضعفاءَ من الكفرة يقولون للكبار[٢] والرؤوس ـ على جهة التَّذْنيب والتوبيخ وردِّ اللائمة عليهم: لولا أَنتم لآمَنَّا نحن واهتدينا، أَي: أَنتم أَغويتمونا وأَمرتمونا بالكفر، فقال لهم الرُّؤَساءُ ـ على جهة التقرير والتكذيب ـ : ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾، أَي: دخلتم في الكفر ببصائركم، وأَجرمتم بنظر منكم، ودعوتنا لم تكن ضربة لازم عليكم؛ لأَنا دعوناكم بغير حجة ولا برهان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله يتضمن اللفظ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا / كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾. [٤/ ٢٣٢]

هذه مراجعة من الأَتباع للرؤَساءِ حين قالوا لهم: إِنما كفرتم ببصائركم ومن أَنفسكم، فقال المستضعفون: بل كفرنا بمَكْرِكم بنا باللَّيل والنهار، وأَضاف المكر إِلى اللَّيل والنهار من حيث هو فيهما، ولتدلَّ هذه الإِضافة على الدُّؤوب والدوام[٣]، [وهذه الإِضافة][٤]، كما قالوا: ليلٌ نائم ونهار صائم، وأَنشد سيبويه:

.... فَنَامَ لَيْلِي وتَجَلَّى هَمِّي[٥] [الرجز]

وهذه قراءَة الجمهور.

---

(١) في الأصل وأحمد٣ والسليمانية: «يرد».

(٢) في الأصل: «للكفار».

(٣) في الحمزوية والمطبوع: «الزمان»، وفي نجيبويه: «الدومان».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) البيت لرؤبة، كما في الطبري (١/ ٣١٧)، ومجاز القرآن (١/ ٢٧٩)، وانظر استشهاد سيبويه في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٣٩).

وقرأ قتادة بن دعامة: (بَلْ مكرٌ اللَّيلَ والنَّهارَ) بتنوين (مكرٌ) ونصب (اللَّيلَ والنَّهارَ) [على الظرف.

وقرأ سعيد بن جبير: (بل مكَرُّ) بفتح الكاف وشد الراء مِنْ: كر يكر، وبالإضافة إلى الليل والنهار][1]، وذُكرت عن يحيى بن يَعْمَر[2]، وكأَن معناها الإحالةُ على طول الأمل والاغترار بالأَيام، مع أمْرِ هؤلاءِ الرُّؤساءِ بالكفر بالله.

و«النِّدُّ»: المثيل والشَّبيه، والضمير في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ عام في جميع من تقدم من المستضعفين والمستكبرين، و﴿وَأَسَرُّواْ﴾ معناه: اعتقدوها في نفوسهم، ومعتقدات النفس كلها سِرٌّ، لا يعقل غير ذلك، وإِنما يظهر ما يصدر عنها من كلام أَو قرينة.

وقال بعض الناس: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ معناه: أَظهروا، وهي من الأَضداد.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلام من لم يعتبر المعنى، أما نفس الندامة فلا تكون إِلَّا مُسْتَسَرَّة[3] ضرورة، وأَما الظاهر عنها فغيرها، ولم يثبت قطٌّ في لغة أن (أَسرَّ) من الأَضداد.

وقوله تعالى: ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أَي: وافوه وتيقَّنوا حصولهم فيه، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ١٩٢)، والثانية فيه وفي مختصر الشواذ (ص: ١٢٣)، والبحر المحيط (٨/ ٥٥٢).

(٣) في نور العثمانية وفيض الله: «مستترة».

هذه تسلية للنبي ﷺ عن فعل قريش وقولها، أَي: هذه يا محمد سيرة الأُمم، فلا يهمنك أَمر قومك، و(القرية): المدينة، و«المُتْرف»: المنعم البطال الغنيُّ القليلُ تعب النفس والجسم، فعادتهم المبادرة بالتكذيب.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ يحتمل أَن يعود الضمير على (المُتْرَفين)، ويكون ذلك من قولهم مع تكذيبهم، ثم لمَّا كانت قريش مثلهم أَمره الله تعالى بأَن يقول: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ الآية، يحتمل أَن يكون[1] الضمير في (قالوا) لقريش، ويكون كلامُ (المُترفين) قد تمَّ[2]، ثم تطَّرد الآية بعد.

وقولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ معناه: الاحتجاج بأَن الله لم يعطنا هذا وقدَّره لنا إِلَّا لرضاه عنَّا وعن طريقتنا، ونحن ممن لا يُعَذَّب البتَّة؛ إِذ الله الذي تزْعُم أَنت عِلْمَه بجميع الأَشياءِ وإِحاطته قد قدَّر علينا النِّعم، فهو إِذاً راضٍ عنَّا.

وقال بعض المفسرين: معنى قولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أَي: بالفقر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ليس كالأَول في القوة، فأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يقول: إِن الأَمر ليس كما ظنُّوا، بل بَسْط الرزق وقدره مُعلَّق بالمشيئة في كافر ومؤمن، وليس شيءٌ من ذلك دليلاً على رضا الله تعالى والقرب منه؛ لأَنه قد يُعطي ذلك أَملاً واستدراجاً، ولكن كثيراً من الناس لا يعلم ذلك كأَنتم أَيُّها الكفرة.

وقرأَت فرقة: ﴿وَيَقْدِرُ﴾، [وقرأت فرقة: (ويُقَدِّر) بضم الياء وفتح القاف وشد الدَّال][3]، وهي راجعة إِلى معنى التَّضْييق الذي هو ضد البَسْط.

ثم أَخبرهم أَن أَموالهم وأَولادهم ليست بمقرَّبة من الله ﴿زُلْفَىٰ﴾، وهي مصدر

---

(١) في الأصل: «يعود».

(٢) في الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «تقدم».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «وفرقة بالتشديد»، وهي شاذة، انظر نسبها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٦١) للأعمش.

بمعنى القُرب، وكأَنه قال: تقربكم عندنا تقريباً.

وقرأ الضحاك: (زُلَفاً) بفتح الَّلام وتنوين الفاء[١].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ استثناءٌ منقطع[٢]، و﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بالاستثناءِ.

وقال الزجاج: هي بدل من الضمير في ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾[٣].

وقال الفراء: ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع، وتقدير الكلام: ما هو مقرِّب إِلَّا من آمن[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ بالإِضافة.

وقرأ قتادة: (جَزَاءٌ) منوناً (الضِّعْفُ) رفعاً.

وحكى عنه الدَّاني: [(جزاءً) بالنصب (الضعفَ) بنصب الفاء][٥].

و«الضِّعْفُ» هنا: اسم جنس، أَي: التَّضعيف؛ إِذ بعضهم يجازى إِلى عشرة، وبعضهم أَكثر صاعداً إِلى سبع مئة بحسب الأَعمال ومشيئة الله فيها.

وقرأ الجمهور: ﴿فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ بالجمع.

وقرأ حمزة وحده: ﴿في الغرفة﴾ على اسم الجنس يراد به الجمع، ورويت عن

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٨/ ٥٥٤).

(٢) ليست في أحمد٣ والمطبوع.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٥٥).

(٤) معاني القرآن للفراء (٤/ ٥٧).

(٥) في المطبوع وأحمد٣ بدلاً منه: (جزاءً) نصباً منوناً (الضِّعْفَ) نصباً، وهذه القراءة بنصب الكلمتين شاذة، لم أجدها لغير المصنف، والذي في البحر المحيط (٨/ ٥٥٥)، عن الداني عن قتادة بالنصب مع الرفع، وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٣٥١)، وتحتملها القراءة الأولى التي ذكر المصنف لأنه لم يصرح بضبط (جزاء)، والظاهر أنه يقصد رفع الكلمتين، وهي شاذة، عزاها لقتادة في البحر المحيط، وهي له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٣)، بلا ضبط، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٢) للضحاك، وزاد وجهاً آخر بالرفع مع النصب.

الأَعمش، وهما في القراءَة حسنتان[١].

قال أَبو علي: وقد يجيءُ هذا الجمع بالألف والتاءِ (الغُرُفاتِ) ونحوه للتكثير[٢].

ومنه قول حسَّان:

لنَا الْجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأَسْيافُنَا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدةٍ دَما[٣] [الطويل]

فلم يُرد إِلا كثرة جفان.

قال القاضي أبو محمد: وتأَمَّل نقد الأَعشى في هذا البيت[٤].

وقرأَ الأَعمش، والحسن، وعاصم بخلاف: (في الغُرْفاتِ) بسكون الراءِ[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾.

لما ذكر تعالى المؤمنين العاملين للصالحات وثوابهم عقَّب بذكر ضدهم وذكر جزائهم ليظهر تَبايُن المنازل.

وقرأَت فرقة: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾، وفرقة: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾، وقد تقدم تفسيرها، [في صدر السورة][٦].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨١)، وموافقة الأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٠).

(٢) الحجة لأبي علي (٦/ ٢٢).

(٣) انظر عزوه له في الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٧٨)، والحيوان (٧/ ٨٦)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢١٩)، والكامل للمبرد (٢/ ١٤٣).

(٤) الأغاني (٩/ ٣٨٣)، وفيه أنه قال للبيد: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك.

(٥) وهي شاذة، عزاها للحسن والأعمش في إتحاف فضلاءالبشر (ص: ٤٦١)، ولرواية عصمة عن أبي بكر عن عاصم في جامع البيان (٤/ ١٥٠٥)، وفي المطبوع: «الأعشى» بدل «الأعمش».

(٦) سقط من المطبوع، والقراءتان سبعيتان، كما تقدم قريباً، وضبطت الثانية في المطبوع: «معْجزين»، ولا وجه لها.

و﴿مُحۡضَرُونَ﴾ من الإِحضار والإِعداد.

ثم كرَّر[١] بسط الرِّزق وقَدْرَهُ تأكيداً وتَبْييناً، وقصد به هنا رزق المؤمنين، وليس سوقُه على المعنى الأول الذي جُلب / للكافرين، بل هذا هنا على جهة الوعظ والتَّزهيد في الدنيا، والحض على النفقة في الطَّاعات، ثم وعد بالخُلْف في ذلك وهو بشرط الاقتصاد والنِّيَّة في الطَّاعة ودفع المضرَّات وعدٌ منجز، إما في الدنيا، وإما في الآخرة. [٤/ ٢٣٣]

ورَوى أَبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله قال لي: أَنْفِق أُنْفِق عليك»[٢].

وفي البخاري: «إِنَّ المَلك يُنَادي كل يوم، اللهم أَعط مُنفقاً خَلَفاً، ويقول مَلك آخر: اللهم أَعْط مُمْسِكاً تَلَفاً»[٣].

وقال مجاهد: المعنى: إن كان خلف فهو موليه وميسره، وقد لا يكون الخلف[٤].

وأَما قوله: ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فمن حيث يقال في الإِنسان: إِنه يرزق عياله، والأَمير جُنده، لكن ذلك من مالٍ يملك عليهم، والله تعالى من خزائن لا تفنى، ومن إِخراج من عدم إِلى وجود.

وقرأَ الأَعمش: (وَيُقَدِّر) بضم الياءِ وشدِّ الدال[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ۝٤١ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي

---

(١) في نور العثمانية: «ذكر فيها» وفي وفيض الله: «القول ببسط».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٠٧) ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٣٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٩٢)، بتصرف.

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦١).

كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

هذه آية وعيد للكفار، والمعنى: واذكر يومَ.

وقرأ الجمهور: ﴿نَحْشُرُهُمْ جميعاً ثم نقول﴾ بالنون فيهما، ورواها أبو بكر عن عاصم، وقرأ حفص عن عاصم بالياءِ فيهما، وذكرها أبو حاتم عن أبي عمرو[1].

والقول للملائكة هو توقيف تقوم منه الحجة على الكفار عَبَدَتِهِم، وهذا نحو قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وإِذْ قال الله تعالى للملائكة هذه المقالة قالت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾، أي: تنزيهاً لك عما فعل هؤلاءِ الكفرة.

ثم بَرَّأوا أنفسهم بقولهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ يريدون البراءَة من أن يكون لهم عِلْم أو رضاً أو مشاركة في أن يعبدهم البشر.

ثم قرروا أن البشر إنما عبدوا الجنَّ برضا الجنِّ وبإغوائها للبشر، فلم تنفِ الملائكة عبادة البشر إيَّاها، وإنما قررت أنها لم تكن لها في ذلك مشاركة، ثم ذنَّبت الجن.

وعبادة البشر للجن هي فيما نعرفه نحن: طاعتهم إياهم، وسماعهم من وسوستهم وإغوائهم، فهذا نوع من العبادة، وقد يجوز أن كان في الأُمم الكافرة من عبد الجنَّ، وفي القرآن آياتٌ يظهر منها أن الجن عُبِدت في (سورة الأنعام) وغيرها.

ثم قال سبحانه: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾، وفي الكلام حذف، تقديره: فيقال لهم، أي: لمن عَبَدَ ولِمنْ عُبِدَ: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ ذكر في هذه الآية أقوالهم وأنواع كلامهم

---

(١) وهما سبعيتان، الثانية لحفص، كما في السبعة (ص: ٥٣٠)، ولم أجد فيها لأبي عمرو شيئاً. و«قرأ الجمهور» سقطت من الأصل.

عندما يُقرأُ عليهم القرآن، ويسمعون حِكَمه وبراهينه البيِّنَة، فقائِلٌ طعن على النبي ﷺ بأَنه يقدح في الأَوثان ودين الآباءِ، وقائلٌ طعن عليه بأَن هذا القرآن مفترى، أَي: مصنوع من قِبَلِ محمد ويدَّعي أنه من عند الله، وقائل طعن عليه بأَن ما عنده من الرقة واستجلاب النفوس واستمالة الأَسماع إِنما هو سحْرٌ يجلب به ويستدعي، تعالى الله عن أَقوالهم، وتقدَّست الشريعة عن طعنهم.

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾.

معنى هذه الآية: أنهم يقولون بآرائهم في كتاب الله تعالى، فيقول بعضهم: سحرٌ، وبعضهم: افتراءٌ، وذلك منهم تَسَوُّرٌ[١] لا يستندون فيه إلى أَثارة علم، ولا إِلى خبر من يُقبل خبره، فإِنا ما آتيناهم كتباً يدرسونها، ولا أَرسلنا إِليهم نذيراً فيمكنهم أَن يدَّعوا أَن أَقوالهم تستند إِلى أَمره.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَدْرُسُونَهَا﴾ بسكون الدال.

وقرأَ أَبو حيوة: (يَدَّرِسُونَهَا) بفتح الدال وشدها وكسر الراءِ[٢].

والمعنى: ما أَرسلنا من نذير يشافِهُهُم بشيءٍ، ولا يباشر أَهل عصرهم ولا من قَرُب من آبائهم، وإِلَّا فقد كانت النِّذارة في العالم وفي العرب مع شعيب وصالح وهود، ودعوة الله وتوحيده قائم[٣]، ولم تخل الأرض من داع إِليه، فإِنما معنى هذه الآية: مِنْ نَذِيرٍ يختص بهؤلاءِ الذين بعثناك إِليهم، وقد كان عند العرب كثير من نذارة إِسماعيل،

(١) في المطبوع: «تجرُّؤٌ».
(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ١٩٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٣).
(٣) في أحمد٣: «قديم»، وفي المطبوع: «أَمر قديم».

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، ولكن لم يتجرَّد للنذارة ولا قاتل عليها إِلَّا محمدٌ ﷺ.

ثم مثَّل لهم بالأُمم المكذبة قبلهم.

وقوله: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يحتمل ثلاثة معان:

أَحدها: أَن يعود الضمير في ﴿بَلَغُواْ﴾ على قريش، وفي ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ على الأُمم الذين من قبلهم، والمعنى: من القوة والنعم والظهور في الدنيا، قاله ابن عباس(١)، وقتادة، وابن زيد(٢).

[والثاني: أن يعود الضمير في ﴿بَلَغُواْ﴾ على الأمم المتقدمة وفي ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ على قريش، والمعنى: من الآيات والبيان والنور الذي جئتهم به.

والثالث: أن يعود الضميران على / الأمم المتقدمة، والمعنى: من شكر النعمة وجزاء المنة](٣). [٤/ ٢٣٤]

و«المِعْشَارُ»: العُشْر، ولم يأْت هذا البناءُ إِلَّا في العشرة والأَربعة، فقالوا: مِرْبَاع ومِعْشار.

وقال قوم: المِعْشَارُ: عُشْرُ العُشْر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ليس بشيءٍ.

و«النَّكِيرُ» مصدر كالإِنكار في المعنى، وكالعديد(٤) في الوزن، وسقطت الياءُ منه تخفيفاً؛ لأَنها آخر آية.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤١٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤١٦، ٤١٧).

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «والثاني بالعكس، والمعنى: من الآيات والبيان والنور الذي جئتهم به، والثالث أَن يعود الضمير على الأُمم المتقدمة».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «كالعرين»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «النذير».

و(كَيْفَ) تعظيم للأَمر، وليست استفهاماً مجرداً، وفي هذا تهديد لقريش، أَي: إِنهم مُعَرَّضون لنكير مثله.

ثم أَمر نبيه ﷺ أَن يدعوهم لعبادة الله، والنظر في حقيقة نُبُوَّته هو، ويعظهم بأَمر يقرب للأَفهام، فقوله: ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾ معناه: بقضية واحدة إِيجازاً لكم وتقريباً عليكم.

وقوله: ﴿أَن﴾ مفسرة، ويجوز أن تكون بدلاً من (وَاحِدَةٍ).

وقوله: ﴿تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ يحتمل أَن يريد بالطاعة والإِخلاص والعبادة، فتكون الواحدة التي وعظ بها هذه، ثم عطف عليها أن تَتَفَكَّرُوا في أَمره هو، هل به جِنَّة أَو هو بريءٌ من ذلك؟ والوقف عند أَبي حاتم ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[1].

قال القاضي أبو محمد: فيجيءُ ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ نفياً مُستأْنفاً، وهو عند سيبويه جواب ما تنزل منزلة القَسَم؛ لأَن (تَفَكَّرَ) من الأَفعال التي تعطي التحقيق كـ: تَبَيَّن، وتكون الفكرة ـ على هذا ـ في آيات الله والإِيمان به، ويحتمل أَن يريد بقيامهم أَن يكون لوجه الله في معنى التفكير في أمر محمد ﷺ، فتكون الواحدة التي وعظ بها: أن يقوموا، والمعنى: أن تقوموا للفكرة في أَمر حاجتهم[2].

وكأَن المعنى: أَن يفكر الواحد بينه وبين نفسه، ويتناظر الاثنان[3] على جهة طلب التحقيق، هل بمحمد جِنَّة أم لا؟ وعلى هذا لا يوقف على الفكرة.

وقدم المثنى؛ لأَن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أَجرى[4] من فكرة واحدٍ، فإِذا انقدح الحقُّ بين الاثنين فكَّر كل واحد منهما بعد ذلك فيزيد بصيرة، وقد قال الشاعر:

[الطويل] إِذَا اجْتَمَعُوا جَاءُوا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ فَيَزْدَادُ بَعْضُ الْقَوْمِ من بَعْضِهِمْ عِلْماً[5]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٣١١).

(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «صاحبهم».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: و«تتناظم الآيتان»، وفي الحمزوية: و«يتناظر الآيتان».

(٤) في الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع: «أجدى».

(٥) البحر المحيط (٨/ ٥٦١)، بلا نسبة.

وقرأ يعقوب: ﴿ثم تَّفكروا﴾ بتاءٍ واحدة[١].

وقال مجاهد: ﴿بوَاحِدَةٍ﴾ معناه: بلا إله إلَّا الله، وقيل غير هذا مما لا تعطيه الآية[٢].

وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ يترتب على أن محمداً ﷺ جاءَ في الزمان من قبل العذاب الشديد الذي تُوُعِّدُوا به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾.

أمره الله تعالى في هذه الآية بالتَّبَـرِّي من طلب الدنيا وطلب الأجر على الرسالة، وتسليم كل دنيا إِلى أَربابها، والتوكل على الله في الأَجر وجزاءِ الجدِّ[٣]، والإقرار بأَنه شهيد على كل شيءٍ من أَفعال البشر وأَقوالهم وغير ذلك.

قوله: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾، يريد: بالوحي وآيات القرآن، واستعار له القذف من حيث كان الكفار يرمون بآياته وحكمه.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿عَلَّٰمُ﴾ بالرفع، أَي: هو علَّام.

وقرأ عيسى بن عمر، وابن أَبي إِسحاق: (علَّامَ) بالنصب[٤]، إِما على البدل من اسم ﴿إِنَّ﴾، أَو على المدح.

وقرأَ الأَعمش: (بالحق وهو عَلَّامُ الغُيوب)[٥].

---

(١) وهي عشرية من رواية رويس بالإدغام الكبير كما في النشر (١/ ٣٠٠)، وهي في المطبوع بتخفيف التاء، ولم أجدها.

(٢) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٣٦).

(٣) في الحمزوية والمطبوع: «الحد».

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١٢٣).

(٥) وهي شاذة، نسبها في كتاب المصاحف (ص: ١٨٢) لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وقرأ عاصم: ﴿الغِيُوب﴾ بكسر الغين[١].

قوله: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ يريد: الشرعَ وأَمْرَ الله ونهْيه، وقال قوم: يعني السيف.

وقوله: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ قالت فرقة: الباطلُ غيْرُ الحق؛ من الكذب والكفر ونحوه، استعار له الإِبداءَ والإِعادة ونفاهما عنه، كأَنه قال: وما يصنع الباطل شيئاً.

وقالت فرقة: الباطلُ: الشيطان، والمعنى: وما يفعل الباطل شيئاً مفيداً، أَي: ليس يخلق ولا يرزق.

وقالت فرقة: ﴿مَا﴾ استفهام، كأَنه قال: وأَيُّ شيءٍ يصنع الباطل؟

وقرأ جمهور النَّاس: ﴿ضَلَلْتُ﴾ بفتح اللام، ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ﴾ بكسر الضاد.

وقرأ الحسن، وابن وثاب: (ضَلِلْتُ) بكسر اللام، (أَضَلُّ) بفتح الضاد[٢]، وهي لغة بني تميم[٣].

وقوله: ﴿فَبِمَا﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الذي، ويحتمل أَن تكون «ما» مصدرية.

و﴿قَرِيبٌ﴾ معناه: بإِحاطته وإِجابته وقدرته.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ الآية:

فقال ابن عباس[٤]، والضحاك: هذا في عذاب الدنيا[٥].

---

(١) ليس كذلك فهذه رواية شعبة خاصة، وبها قرأ حمزة كذلك، والباقون بالضم، فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠١).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «بفتح اللام»، ولعله خطأ.

(٣) مثله في البحر المحيط (٨/ ٥٦٤)، وهي شاذة فيهما، عزاها في (ضللت) لابن وثاب وطلحة في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٣)، ونقل لغة تميم عن أبي عمرو، وعزاها في (أضل) الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٢) لأبي حيوة.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٢١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٢٥).

ورُوي أن ابن أَبزى قال: ذلك في جيش يغزو الكعبة فيخسف بهم في بيداءَ من الأَرض، ولا ينجو إِلَّا رجلٌ من جُهينة، فيخبر الناس بما نال الجيش، وقالوا: وبسببه قيل:

.... وعِنْـدَ جُهَيْنَـةَ الْخَبـرُ الْيَقِيـنُ[1] [الوافر]

وهذا قول سعيد[2]، وروي في هذا المعنى حديث مطوَّل عن حذيفة، وذكر الطبريُّ أَنه ضعيف السَّنَد مكذوب فيه على داود[3] بن الجَرَّاح[4].

وقال قتادة: ذلك في الكفار [عند الموت[5].

وقال ابن زيد: ذلك في الكفار][6] في بدر ونحوها[7].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: ذلك في الكفار عند خروجهم من القبور للقيامة[8].

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَرجح الأَقوال عندي.

وأما معنى الآية فهو التعجيب من حالهم إذا فزعوا من أخذ الله إياهم ولم يتمكن لهم أن يفوت منهم أحد.

---

(١) صدره: تسائل عن حصين كلّ ركب، وهو للأخنس الجهني كما في الأمثال لابن سلام (ص: ٢٠٢)، وعيون الأخبار (١/ ٢٧٧).

(٢) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٤٠)، وفي المطبوع: «بعيد»، وفي أحمد٣ وحاشية المطبوع: «وروي أن أبْزى».

(٣) في المطبوع: «ابن روَّاد»، وفي أحمد٣ وحاشية المطبوع: «عَلَى روَّاد بن الجَرَّاح».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٢-٤٢٣) وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤٨) لما أورد هذا الحديث: وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا، فإنه موضوع بهذا السند، وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير، وفيه منكرات كثيرة جدًّا، ولا سيما في أول (سورة بني إسرائيل) في ذكر المسجد الأقصى، والله أعلم.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨).

(٦) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢١)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٥٨).

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٢٥).

وقوله: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ معناه: أنهم للقدرة قريبٌ حيث كانوا، قيل[١] من تحت الأَقدام، وهذا يتوجه على بعض الأَقوال، والذي يعُمُّ جميعها أَن يقال: إِنَّ الأَخذ يجيئُهم من قرب في طمأْنينتهم ويعاقبها[٢]، بينا الكافر يُؤَمِّل ويظُنُّ ويترجَّى إِذ غشيه الأَخَذ، ومن غشيه أَخذٌ من قريب، فلا حيلة له ولا روِيَّة.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَأُخِذُواْ﴾.

وقرأَ طلحة بن مصرِّف: (فلا فَوْتَ وَأَخْذٌ)، كأَنه قال: وحالهم[٣] أخذ من مكان قريب.

[٤/ ٢٣٥] / قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى، وقيل: على محمد ﷺ وشرعه والقرآن.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وعامة القراءِ: ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بضم الواو دون همز.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم أَيضاً: ﴿التناؤش﴾ بالهمز[٤].

والأُولى معناها: التَّناول، من قولهم: ناشَ ينوشُ: إذا تناول[٥]، وتناوَشَ القومُ في الحرب: إِذا تناول بعضهم بعضاً بالسلاح، ومنه قول الرَّاجز:

---

(١) في الأصل: «قبل».

(٢) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «وبعقابها».

(٣) سقطت من السليمانة، وفي الأصل: «وجاء لهم»، وهي شاذة، وانظر عزوها لطلحة في مختصر الشواذ (ص: ١٢٣).

(٤) فهما سبعيتان، وعاصم الأول حفص، والثاني شعبة، انظر: التيسير (ص: ١٨١)، والسبعة (ص: ٥٣٠).

(٥) في المطبوع: «تنازل».

فَهْيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشاً مِن عَلَا نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلا[(١)] [الرجز]

فكأَنه قال: وأَنَّى لهم تناولُ مرادهم وقد بُعدوا عن مكان إِمكان ذلك.

وأَما ﴿التناؤش﴾ بالهمز فيحتمل أن يكون مما تقدم وهُمزت الواو لمَّا كانت مضمومة بضمة لازمة، كما قالوا: أُقِّتَتْ، وغير ذلك.

ويحتمل أَن يكون من الطلب، تقول: تَنَاءَشْتُ الشيءَ[(٢)]: إِذا طلبته من بعيد.

وقال ابن عباس: تَنَاوُش الشيءِ: رُجوعُه[(٣)]، حكاه عنه ابن الأَنباري، وأَنشد:

تَمَنَّى أَنْ تَؤُوبَ إِلَيْكَ مَيٌّ وَلَيْسَ إِلى تَنَاوُشِهَا سَبِيلُ[(٤)] [الوافر]

وكأَنه قال في الآية: وأَنَّى لهم طلب مرادهم وقد بَعُد؟

قال مجاهد: المعنى: من الآخرة إِلى الدنيا[(٥)].

وقرأَ الجمهور: ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ بفتح الياءِ وكسر الذَّال، على إِسناد الفعل إِليهم، أَي: يرجمون بظنونهم، ويرمون بها الرسول وكتابَ الله، وذلك غَيْبٌ عنهم، في قولهم: سحْرٌ وافتراءٌ وغير ذلك، قاله مجاهد[(٦)].

وقال قتادة: قذفهم بالغيب هو قولهم: لا بعث ولا جنة ولا نار[(٧)].

---

(١) البيت لغيلان بن حريث، كما في شرح المعلقات التسع (ص: ٢٤٤)، ومجاز القرآن (٢/ ١٥٠)، وعزاه في معجم ديوان الأدب (٤/ ٢٢)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٣٥) لأبي النجم، وجعله في خزانة الأدب (٩/ ٤٣٩) من أبيات سيبويه التي لا يعلم قائلها.

(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «اتناءشت الشرَّ»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٣) لم أقف عليه هكذا، ولكن جاء عند الطبري (٢٠/ ٤٢٧) وابن أبي الدنيا في الأهوال (١٠٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٤) كلهم من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أربدة التميمي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التناوش من مكان بعيد: يسألون الرد وليس بحين رد.

(٤) الزاهر للأنباري (١/ ٢١٥)، بلا عزو، ولم أجد فيه النقل عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٥٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٢٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٩).

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٩)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٥٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٩٦).

وقرأ مجاهد: (ويُقْذَفُونَ) بضم الياءِ وفتح الذَّال[١]، على معنى: ويَرْجُمهم الوحي بما يكرهون من السماءِ.

وقوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الآية؛ قال الحسن: معناه: من الإِيمان والتوبة والرجوع إِلى الأمانة[٢] والعمل الصالح، وذلك أَنهم اشتهوه في وقت لا تنفع فيه التوبة، وقاله أَيضاً قتادة[٣].

وقال مجاهد: معناه: حِيلَ بينهم وبين نعيم الدنيا ولذّاتها[٤].

وقيل: معناه: حِيلَ بينهم وبين الجنة ونعيمها، وهذا يتمكن جدّاً على القول بأَن الأَخْذَ والفزع المذكورين هو في يوم القيامة.

قوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾، الأشياع: الفِرَق المشابهة لهم، [فأشياع هؤلاء هم الكفرة][٥] من كل أُمَّة، وهو جمع شِيعَة، وشِيَع[٦].

وقوله: ﴿مِّن قَبْلُ﴾ يصلح على بعض الأَقوال المتقدمة تعلُّقه بـ﴿فُعِلَ﴾، ويصلح ـ على قول من قال: إِن الفزع هو في يوم القيامة ـ تعلقه بـ(أَشْيَاعِهِمْ)، أَي: بمن اتصف بصفتهم من قبل في الزمان الأَول؛ لأَن ما يُفعل بجميعهم إِنما هو في وقت واحد، لا يقال فيه: من قبل.

و«الشَّكُّ المُرِيبُ»: أَقوى ما يكون من الشَّكِّ وأَشَدُّه إِظلاماً، والله أعلم.

كمل بعون الله وتوفيقه تفسير (سورة سبأ)

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ١٩٦).

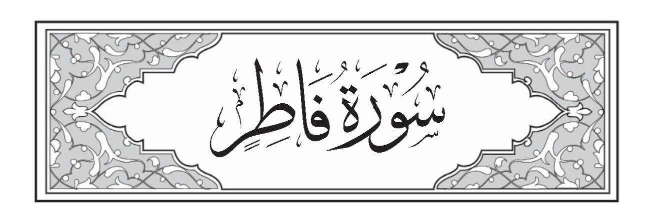
(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «الإنابة».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٣٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٦٠) بتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٣١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٩).

(٥) من نور العثمانية وفيض الله.

(٦) من نور العثمانية وفيض الله.



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة فاطر

هذه السورة مكِّيَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾.

الألف واللام في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ لاستغراق الجنس على أَتَمِّ عموم؛ لأَن الحمد بالإِطلاق على الأَفعال الشريفة[1] وبالكمال هو لله، والشكر مستغرق فيه؛ لأَنه فضل من فضوله.

و﴿فَاطِرِ﴾ معناه: خالق، لكن يزيد في المعنى الانفراد بالابتداءِ لخلقها[2]، ومنه

---

(١) في نور العثمانية وفيض الله زيادة: «بإطلاق».

(٢) في المطبوع: «لخلقتها».

قول الأَعرابي المتخاصم في البئر [عند ابن عباس][(١)]: أَنا فطرْتُهَا. أَراد: ابتدأْت حفرها، قال ابن عباس: ما كنت أَفهم معنى (فَاطِر) حتى سمعت قول الأَعرابي[(٢)].

وقرأَ الزهري: (الحمد لله فطر)[(٣)].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿جَاعِلِ﴾ بالخفض.

وقرأَت فرقة: (جَاعِلُ) بالرفع[(٤)]، على قطع الصفة.

وقرأَ خليد بن نشيط: (جَعَلَ) على صيغة الماضي (المَلَائِكَةَ) نصباً[(٥)]. فأَما على هذه القراءَة الأَخيرة فنصب قوله: (رُسُلاً) على المفعول الثاني.

وأما على القراءَتين المتقدمتين فقيل: أَراد بـ(جَاعِلِ) الاستقبالَ؛ لأَن القضاءَ في الأزل[(٦)]، وحذف التنوين منه تخفيفاً، وعمِل عَمل المستقبل في (رُسُلًا).

وقالت فرقة: (جاعِل) بمعنى المضيِّ، و(رُسُلاً) نصب بإِضمار فعل.

و﴿ رُسُلًا ﴾ معناه: بالوحي وغير ذلك من أَوامره، فجبريل وميكائيل وعزرائيل وإِسرافيل رُسُلٌ، والملائكة المتعاقبون رُسُل، والمُسدِّدون لحكام العدل رُسُل، وغير ذلك.

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) في إسناده لين، أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٣) من طريق سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ١٩٨)، والكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٣) للضحاك، وفي البحر المحيط (٩/ ٩) له وللزهري.

(٤) وهي شاذة عزاها للحسن في المحتسب (٢/ ١٩٧).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في: المحتسب (٢/ ١٩٧) وغيره، ولم أجد له ترجمة، وفي المطبوع: «خالد»، فإن كان فهو خالد بن نشيط أبو العريان روى عن أنس والحسن البصري روى عنه أبو إسحاق الفزاري ومروان بن معاوية، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/ ٣٥٥)، والثقات لابن حبان (٤/ ٢٠١)،، لكني لم أقف على نسبتها له في شيء من المصادر.

(٦) في الحمزوية: «بالأول».

وقرأ الحسن: (رُسْلاً) بسكون السِّين[١].

و﴿أُوْلِيٓ﴾ جمعٌ واحِدُه ذو، وتقول[٢]: التَّقِيُّ ذو نُهية، والقوم أُولوا نُهَى.

وروي عن الحسن أنه قال في تفسير قول مريم عليها السلام: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٨]: علمت مريم أن التَّقيَّ ذو نُهية[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ ألفاظ معدولة من اثنين وثلاثة وأربعة، فعُدلت في حالة التنكير فتعرفت بالعدْل، فهي لا تنصرف للعدْل والتعريف، وقيل: للعَدْل والصفة، / وفائدة العدل: الدلالة على التكرار: لأن (مَثْنَى) بمنزلة قولك: اثنين اثنين. [٤/ ٢٣٦]

وقال قتادة: إن أنواع الملائكة هي هكذا، منها ما له جناحان، ومنها ما له ثلاثة، ومنها ما له أربعة، ويشذّ منها ما له أكثر من ذلك[٤].

ورُوي: أن لجبريل عليه السلام ست مئة جناح منها اثنان يبلغان من المشرق إلى المغرب.

وقالت فرقة: المعنى: إن في كل جانب من المَلك جناحين[٥]، [ولبعضهم ثلاثة في كل جانب][٦]، ولبعضهم أربعة، وإلَّا فلو كانت ثلاثة لكل واحد لما اعتدلت في معتاد ما رأينا نحن من الأجنحة، وقيل: بل هي ثلاثة لكل واحد كالحوت، والله أعلم بذلك.

وقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾ تقدير[٧] لما يقع في النفوس من التعجب

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ومنه»، و«التقي» ليست في فيض الله.

(٣) تقدم للمؤلف في (سورة مريم) أنه من كلام أبي وائل، وعزاه في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٤) لابن زيد، ولم أجده للحسن.

(٤) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٧٧٤)، تفسير الطبري (٢٠/ ٤٣٤).

(٥) في الأصل والحمزوية: «جناحان».

(٦) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٧) في المطبوع وأحمد٣: «تقرير».

والاستغراب عند الخبر بالملائكة أُولي الأَجنحة، أَي: ليس هذا ببدع[١] في قدرة الله تعالى؛ فإِنه يزيد في خلقه ما يشاءُ.

ورُوي عن الحسن، وابن شهاب أَنهما قالا: المزيد هو حسن الصوت[٢].

قال الهيثم الفارسي: رأَيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك، جزاك الله خيراً[٣].

وقيل: الزيادة: الخطُّ الحسن، [وقال ﷺ: «الخط الحسن][٤] يزيد الحقَّ[٥] وضوحاً»[٦].

وقال قتادة: الزيادة: ملاحة العينين[٧].

قال القاضي أبو محمد: وقيل غير هذا، وإِنما ذكَر هذه الأَشياءَ مَنْ ذكرها على جهة المثال، لا أَن المقصود هي فقط، وإِنما مثلوا بأَشياءَ هي زيادات خارجة عن الغالب المعتاد الموجود كثيراً. وباقي الآية بيِّن.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ﴾ ﴿مَّا﴾ شرطٌ، و﴿يَفْتَحِ﴾ جزم بالشرط.

وقوله: ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ عام في كل خير يعطيه الله للعباد جماعتهم وأَفذاذهم[٨].

---

(١) في نور العثمانية وفيض الله: «بمدح».

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٣٦).

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٩٨)، وفيه: «الهيثم القارئ»، وكذا في مصاعد النظر للبقاعي (١/ ٣١٩) عن ابن أبي الدنيا، والهيثم لم أعرفه.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من المطبوع ونور العثمانية وفيض الله.

(٥) في فيض الله: «الخلق».

(٦) منكر جداً، أخرجه الخطيب في الجامع (٥٣٢) من طريق الحكم بن نافع، عن عاصم بن مهاجر، عن الحسن، عن أنس، أو عن عاصم بن المهاجر، عن أبيه، مرفوعاً، به، وفي سنده عاصم بن المهاجر، ذكره الذهبي في الميزان (٢/ ٣٥٨) وقال بعد أن أورد حديثه هذا: هذا خبر منكر.

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ٩٨).

(٨) في المطبوع ونور العثمانية: «أفرادهم».

وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ فيه حذف مضاف، أَي: من بعد إِمساكه، ومن هذه الآية سَمَّتِ الصوفيةُ ما يُعطاه الصُّوفيُّ من الأَموال والمطاعم وغير ذلك: الفتوحات.

ومنها كان أَبو هريرة يقول: مُطرنا بنَوءِ الفتح، ويقرأُ الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآية، خطابٌ لقريش، وهو متَّجه لكل كافر، ولا سيَّما لعُبَّادِ غير الله، وذكَّرهم تعالى بنعمة الله عليهم في خلقهم وإيجادهم، ثم استفهمهم على جهة التقرير والتوقيف بقوله: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾؟ أَي: فليس الإِله إِلَّا الخالق، لا ما تعبدون أَنتم من الأَصنام.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿غَيْرِ﴾ بالخفض نعت على اللفظ، وخبر الابتداءِ ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ وهي قراءة أبي جعفر، وشقيق، وابن وثاب.

وقرأَ الباقون ﴿غَيۡرُ﴾ بالرفع، وهي قراءَة شيبة ابن نصاح، وعيسى، والحسن بن أَبي الحسن[٢]، وذلك يحتمل ثلاثة أَوجه:

أحدها: النعتُ على الموضع والخبر مضمر، تقديره: في الوجود، أو في العالم.

وأَن يكون ﴿غَيۡرُ﴾ خبر الابتداءِ الذي هو في المجرور.

والرفع على الاستثناءِ، كأَنه قال: هل خالقٌ إِلَّا اللهُ؟ فجرت ﴿غَيۡرُ﴾ مجرى الفاعل الذي بعد إِلَّا.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد: بالمطر، ومن (الأرض) يريد: بالنبات.

وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾؛ أَي: فلأيِّ وجهٍ تصرفون عن الحق[٣].

---

(١) من بلاغات مالك، وهو معضل، أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٤٥٣) أنه بلغه أن أبا هريرة كان يقول:....فذكره.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، وموافقة أبي جعفر في النشر (٢/ ٣٥١)، والحسن للجمهور في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٢)، والباقين في البحر المحيط (٩/ ١٣).

(٣) في فيض الله: «فلأي شيء»، وفي المطبوع: «فلا وجه تصرفون (فيه)».

ثم سلَّى نبيَّه ﷺ بما سلف من حال الرُّسل مع الأُمم.

و﴿ٱلْأُمُورُ﴾ تعم[1] جميع الموجودات المخلوقات، إلى الله مصير جميع ذلك على اختلاف أَحوالها، وفي هذا وعيد للكفار وَوْعد للنبي ﷺ.

ثم وعظَ عزَّ وجلَّ جميع العالَم وحذَّرهم غرور الدنيا بنعيمها وزُخرُفِها، الشاغلة عن المعاد الذي له يقول الإِنسان: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، ولا ينفعه (لَيْت) يومئذ، وحذَّر غرور الشيطان.

وقوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ عبارة عن جميع خبره عزَّ وجلَّ في خير وتنعيم، أَو عذاب وعقاب.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين، وهو الشيطان، قاله ابن عباس[2].

وقرأَ سماك العبدي، وأَبو حيوة: (الْغُرُورُ) بضم الغين[3].

وذلك يحتمل أَن يكون جمع غارٍّ؛ كجالِسٍ وجُلُوس.

ويحتمل أَن يكون جمع غرٍّ، وهو مصدر غَرَّه يغُرُّه غَرّاً.

ويحتمل أَن يكون مصدراً وإِن كان شاذّاً في الأَفعال المتعدية أَن يجيءَ مصدرها على (فُعُول)، لكنه قد جاءَ: لَزِمَه لُزُوماً، ونَهَكَهُ المرضُ نُهُوكاً، فهذا مثله، وكذلك هو مصدر في قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

---

(١) في الحمزوية: «تجمع».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٩٣) من طريق: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في: تفسير الثعلبي (٨/ ٩٩)، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٤٥)، وسماك هو ابن حرب.

كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ الآية؛ يُقَوِّي قراءَة من قرأَ: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين.

وقوله: ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ أَي: بِالمُبَايَنَةِ والمقاطعة والمخالفة له باتِّباع الشَّرع.

و«الحزْبُ»: الحاشية والصاغية.

واللام في ﴿لِيَكُونُوا۟﴾ لام الصيرورة: لأَنه لم يدعهم إِلى السعير، وإِنما اتَّفق أن صار أَمرهم عن دعائه إِلى ذلك.

و﴿ٱلسَّعِيرِ﴾: طبقة من طبقات جهنم، وهي سبع طبقات.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في موضع رفع بالابتداءِ، وهذا هو الحسن لعطف ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عليه بعد ذلك، فهما جملتان تعادلتا.

وجوَّز بعض الناس في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أَن يكون بدلاً من الضمير في (يَكُونُوا).

[وجوَّز غيره أَن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب بدلاً من ﴿حِزْبَهُۥ﴾][1].

وجوَّز بعضهم أن يكون في موضع خفض بدلاً من ﴿أَصْحَٰبِ﴾، وهذا محتمل، غير أَن الابتداءَ أَرجح.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ الآية توقيف، وجوابه محذوف، تقديره عند الكسائي: تذهب نفسك حسرات / عليهم[2]. [٤/ ٢٣٧]

ويمكن أَن يتقدر: كمن اهتدى، ونحو هذا من التقدير، وأحسنُها ما دلَّ اللفظ بعْدُ عليه.

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٦٢).

وقرأ طلحة: (أَمَنْ زين) بغير فاءٍ[(١)].

وهذه الآية تسلية للنبي ﷺ عن كفر قومه، ووجب التسليم لله تعالى في إِضلال من شاءَ وهداية من شاءَ، وأَمر نبيَّه ﷺ بالإِعراض عن أمرهم، وأَلَّا يبخع نفسه أَسفاً عليهم.

وقرأَ جمهور الناس[(٢)]: ﴿تَذْهَبْ﴾ بفتح التاءِ والهاءِ ﴿نَفْسُكَ﴾ بالرفع.

وقرأَ أَبو جعفر، وقتادة، وعيسى، والأَشهب: ﴿تُذْهِبْ﴾ بضم التاءِ وكسر الهاءِ ﴿نَفْسَكَ﴾ نصباً، ورويت عن نافع[(٣)].

و«الحسرة»: همُّ النفس على فوات أَمر، واستشهد ابن زيد لذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ثم توعَّد الكفرة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾.

هذه آية احتجاج على الكفرة في إِنكارهم البعث من القبور، فدلَّهم على المثال الذي يعاينونه وهو سواءٌ مع إِحياءِ الموتَى.

و«البَلَدُ المَيِّتُ»: هو الذي لا نبت فيه، قد اغبرَّ من القحط، فإِذا أَصابه الماءُ من السحاب اخضَرَّ وأَنْبت، فتلك حياته.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٤)، ولم يتعرض لضبط الميم، وهي في المطبوع مشددة.

(٢) في أحمد٣: «الحسن»، وكذا المطبوع وضبطت فيه (تذهبَ) بفتح الباء، ولم نقف على قراءة بذلك.

(٣) وهي عشرية لأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٥١)، وانظر: موافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ١٥).

و﴿ٱلنُّشُورُ﴾ مصدر: نشر الميت: إِذا حييَ، ومنه قول الأَعشى:

.... يا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ[١] [السريع]

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ يحتمل ثلاثة معانٍ:

أحدها: أن يريد من كان يريد العزَّة بمغالبةٍ فَلِلّهِ العزَّة، أَي: ليست لغيره، ولا تَتِمُّ إِلَّا لَهُ، وهذا المُغالب مغلوب، ونحا إِليه مجاهد، وقال: من كان يريد العزَّة بعبادة الأَوثان[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تمسُّك بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١].

والمعنى الثاني: مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ وطريقها القويم، ويُحب نَيْلها على وجهها، فَـلِلَّهِ العزَّة، أَي: بِهِ وعن أَمره، لا تُنال عزَّته إِلَّا بطاعته، ونحا إِليه قتادة[٣].

والمعنى الثالث ـ وقاله الفراءُ ـ: مَنْ كانَ يُرِيدُ علم الْعِزَّة فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ، أَي: هو المتصف بها[٤]، و﴿جَمِيعًا﴾ حال.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أَي: التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحوه.

وقرأَ الضحاك: (إِليه يُصْعَدُ) بضم الياءِ[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْكَلِمُ﴾ وهو جمع كَلِمَة.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (الْكَلامُ)[٦].

---

(١) صدر البيت: حتى يقول الناس مما رأوا، وقد تقدم في تفسير الآية (٢٥٩) من (سورة البقرة).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٣٩) بتصرف.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٦٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٦٤).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٧)، بتصرف.

(٥) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٤).

(٦) وهي شاذة، انظرها في تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٠)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٤) لابن مسعود، وابن خالويه (ص: ١٢٤) لعلي.

و﴿الطَّيِّبُ﴾: الذي يُسْتحسن سماعه الاستحسان الشرعي.

وقال كعب الأَحبار: إن لـ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إِله إِلَّا الله، والله أَكبر؛ لدويّاً حول العرش كدويِّ النحل، تذكِّر بصاحبها[١].

قوله: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ اختلف الناس في الضمير في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ على من يعود؟: فقالت فرقة: يعود على (العَمَل)، ثم اختلفت هذه الفرقة؛ فقال قوم: الفاعل بـ(يَرْفَعُ) هو ﴿ٱلْكَلِمُ﴾، أَي: والعمل يرفعه الكَلِمُ، وهو قول: لا إله إِلَّا الله؛ لأَنه لا يُرفع عملٌ إِلَّا بتوحيد، وقال بعضهم: الفعل مسند إِلى الله تعالى، أَي: والعمل الصالح يرفعه هو.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَرجح الأَقوال.

وقال ابن عباس، وشهر بن حوشب، ومجاهد، وقتادة: الضمير في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ عائد على ﴿ٱلْكَلِمُ﴾، أَي: إِنَّ العملَ الصالح هو يرفع الكَلِمَ[٢]، واختلفت عبارات أَهل هذه المقالة:

فقال بعضها: رُوي عن ابن عباس: أَن العبد إِذا ذكر الله تعالى، وقال كلاماً طيباً، وأَدَّى فرائضه، ارتفع قولُه مع عمله، وإِذا قال ولم يُؤَدِّ فرائضه رُدَّ قولُه على عمله[٣]، وقيل: عملُه أَوْلى به، وهذا قولٌ يردُّه معتقد أَهل الحق والسُّنَّة[٤]، ولا يصحُّ[٥] عن ابن عباس.

والحقُّ: أَن العاصي التَّارك للفرائض إِذا ذكر الله تعالى، وقال كلاماً طيِّباً فإِنه مكتوبٌ له، مُتَقَبَّلٌ منه، وله حسناته، وعليه سيئاته، والله يتقبل مِنْ كل مَن اتَّقى الشِّرك.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) انظر شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥٩-٦٠).

(٥) في نور العثمانية وأحمد٣ وفيض الله: «والأَصَحُّ عن ابن عباس»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

وأَيضاً: فإن الكَلِم الطيِّب عملٌ صالح، وإنما يستقيم قول من يقول: إن العمل هو الرَّافعُ للكَلِم؛ بأَن يُتَأَوَّل أَنَّه يزيد في رفعه وحُسْن موقعه إِذا تعاضد معه؛ كما أَن صاحب الأَعمال من صلاة وصيام وغير ذلك ـ إِذا تخلَّل أَعمالَه كَلِمٌ طيِّبٌ، وذكرُ الله ـ كانت الأَعمال أَشرف.

فيكون قوله: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ موعظةً وتذكرةً وحضّاً[1] على الأعمال.

وذكر الثعلبي: أَن النبي ﷺ قال: «لا يقبل الله قولاً إِلَّا بعمل، ولا عملاً إِلَّا بِنِـيَّةٍ»[2].

ومعناه: قولاً يتضمن أن قائله عمِل عملاً، أَو يعمل في الآنف، وأَما الأَقوال التي هي أَعمالٌ في نفوسها ـ كالتوحيد والتسبيح ـ فمقبولةٌ على ما قدمناه.

وقرأَت فرقة: (والعَمَلَ الصالِحَ) بالنصب فيهما[3].

وعلى هذه القراءة فـ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ مُسْنَدٌ إِمَّا إلى الله تعالى، وإِمَّا إلى ﴿ٱلْكَلِمُ﴾، والضمير في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ عائد على العمل لا غير.

---

(١) في نور العثمانية وفيض الله: «ودعاء»، بدل: «وحضا».

(٢) منكر، أخرجه الخطيب في الجامع (٦٩٠) من طريق أبي عتبة أحمد بن الفرج، نا بقية، نا إسماعيل بن عبد الله، عن أبان، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، أحمد بن الفرج، ضعيف الحديث، انظر ميزان الاعتدال (١/ ١٢٨)، وأبان هو: ابن أبي عياش، متروك الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢/ ١٩)، ورواه ابن حبان في المجروحين (١/ ١٤٩-١٥٠) من حديث ابن مسعود من طريق أحمد بن الحسن بن أبان المصري، عن ابن إبرهيم بن بشار، عن ابن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن ابن مسعود، مرفوعاً به، وأحمد بن الحسن هذا، قال فيه ابن حبان: كذاب، دجال من الدجاجلة، يضع الحديث عن الثقات وضعاً. وروي من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه رواه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٧٦) بإسناد فيه زكريا بن يحيى الوقار، قال فيه ابن عدي: يضع الحديث، وأخبرني بعض أصحابنا عن صالح جزرة أنه قال: ثنا أبو يحيى الوقار، وكان من الكذابين الكبار. انظر الكامل (٣/ ٢١٥).

(٣) وهي شاذة، عزاها لعيسى وابن أبي عبلة، في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤)، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٢٩٠).

وقوله تعالى: ﴿يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إِمَّا أَنه عدَّى ﴿يَمْكُرُونَ﴾ لمَّا أَحلَّه محل: يكسبون.

وإِمَّا أنه حذف المفعول وأَقام صفته مقامه، وتقديره: يمكرون المكرات السيئات.

و﴿يَمْكُرُونَ﴾ معناه: يتخابثون ويخدعون وهم يُظهرون أَنهم لا يفعلون.

و﴿يَبُورُ﴾ معناه: يفسد ويبقى لا نفع فيه، وقال بعض المفسرين: يدخل في الآية أَهلُ الرِّياء.

قال القاضي أَبو محمد: ونزول الآية أَولاً في المشركين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ / وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١١)﴾. [٤/ ٢٣٨]

هذه الآية آية تذكير بصفات الله تعالى على نحو ما تقدم، وهذه المحاورة إِنما هي في أَمر الأَصنام وفي بعث[١] الأجساد من القبور، وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ والله تعالى خلقكم من تراب من حيث خلق آدم أَبانا منه، وقوله: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾؛ أَي: بالتناسل من مَنِي الرجال.

و﴿أَزْوَٰجًا﴾ قيل: معناه: أَنواعاً، وقيل: أَراد تزويج الرجال النساءَ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ الآية؛ اختلف الناس في عود الضمير في قوله: ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾:

فقال ابن عباس، وغيره ما مقتضاه أَنه عائد على ﴿مُّعَمَّرٍ﴾ الذي هو اسم جنس، والمراد: غيرُ الذي يُعَمَّر[٢]، أَي: أَن القول يتضمن شخصين، يُعمَّر أَحدهما مئة سنة أَو

---

(١) في المطبوع: «بعض».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

نحوها، ويُنْقَص من الآخر بأَن يكون عاماً واحداً أَو نحوه، وهذا قول الضحاك، وابن زيد[١]، لكنه أَعاد الضمير إيجازاً واختصاراً، والبيان التام أَن يقول: ولا يُنْقَصُ من عمر مُعَمَّر؛ لأَن لفظ (مُعَمَّر) هي بمنزلة: ذي عُمْر.

قال القاضي أبو محمد: كأَنه قال: ولا يُعَمَّر من ذي عُمْر، ولَا يُنقص من عُمْر ذي عمر.

وقال ابن عباس أَيضاً، وأَبو مالك، وابن جبير: المراد شخص واحد، وعليه يعود الضمير[٢]، أَي: ما يُعَمَّر إِنسانٌ ولا يُنْقص من عُمره، بأَن يُحصى ما مضى منه، إِذا مرَّ حولٌ كتب ذلك، ثم حولٌ، ثم حول، فهذا هو النقص، قال ابن جبير: ما مضى من عمره فهو النقص، وما يُسْتَقْبَل فهو الذي يُعَمَّر[٣].

ورُوي عن كعب الأَحبار أَنه قال: المعنى: وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ، أَي: لا يخرم[٤] بسبب قدرة الله تعالى، ولو شاءَ لأَخر ذلك السبب[٥].

قال القاضي أبو محمد: ورُوي أَنه قال حين طُعِن عُمَرُ رضي الله عنه: لو دعا الله لزاد في أَجله، فأَنكر عليه المسلمون ذلك، وقالوا: إِنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤][٦]، فاحتجَّ بهذه الآية.

وهو قولٌ ضعيف مردودٌ، يقتضي القول بالأَجَلَيْن، وبنحوه تمسَّكت المعتزلة[٧].

---

(١) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٦١).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٦٥)، بتصرف، ولم أجده لابن عباس.

(٣) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٤٥)، والهداية (٩/ ٥٩٦١).

(٤) في الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «يخترم».

(٥) الهداية لمكي (٩/ ٥٩٦١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٤٥)، بتصرف.

(٦) وتكرر في الآية (٦١) من (سورة النحل)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٤٥).

(٧) انظر نسبة القول بالأجلين للمعتزلة في: الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٤٩).

وقرأَ الحسن، والأَعرج، وابن سيرين: (يَنْقُصُ) على بناء الفعل للفاعل، أَي: يَنْقُصُ اللهُ[١].

وقرأَ: (منْ عُمْرِهِ) بسكون الميم: الحسنُ، وداودُ[٢].

و«الكتاب» المذكور في الآية: اللَّوحُ المحفوظ.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى تحصيل هذه الأَعمار وإحصاء[٣] دقائقها وساعاتها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

هذه آية أُخرى يستدل بها كل عاقل، ويقطع أَنها مما لا مدخل لصنم فيه.

و﴿الْبَحْرَانِ﴾ يريد بهما جميع الماءِ الملح وجميع الماءِ العذب حيث كان، فهو يعني به جملة هذا وجملة هذا.

و«الْفُراتُ»: الشديد العذوبة، و«الأُجاج»: الشديد الملوحة التي تميل إِلى المرارة من ملوحته.

قال الرماني: هو من: أَجَّجْتُ النَّار، كأَنه يحرق من حرارته[٤].

وقرأَ عيسى الثقفي: (سَيِّغٌ شَرابُهُ) بغير أَلف وبشدِّ الياءِ.

وقرأَ طلحة: (مَلِحٌ) بفتح الميم وكسر اللام[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٣)، وموافقة الباقين في: تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٢).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٣) ولم أقف على نسبتها لداود.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «واختصار».

(٤) الصحاح للجوهري (٢/ ٣٢٠).

(٥) وهما شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ١٩٧-١٩٨).

و«اللَّحم الطري»: الحوت، وهو موجود في البحرين، وكذلك «الفُلْك» تجري في البحرين، وبقيت «الحِلْيَةُ» وهي اللُّؤْلؤ والمرجان، فقال الزَّجاج وغيره: هذه عبارة تقتضي أَن الحِلْية تخرج منهما، [وهي إِنما تخرج من الملح، وذلك تجوُّزٌ، كما قال في آية أُخرى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا]⁽¹⁾ ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢][2]، وكما قال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والرسل إِنما هي من الإِنس.

وقال بعض الناس: بل الحِلْية تخرج من البحرين؛ وذلك أَن صَدف اللؤلؤ إِنما يلقحه ـ فيما يزعمون ـ ماءُ النسيان[3]، فمنه ما يخرج ويوجد الجوهر فيه، ومنه ما ينشق في البحر عند موته ويقطعه فيخرج جوهره بالعطش وغير ذلك من الحيل، فهذا هو من الماءِ الفُرات، فنُسب إِليه الإِخراج لما كان من الحلية بسبب[4].

[وأيضاً: فإِن المرجان يزعم طلَّابه في البحر أنه إنما يوجد وينبت في موضع بإزائها انصباب ماء أنهار في البحر][5]، وأَيضاً: فإِن البحر الفرات كله ينصب في البحر فيجيءُ الإِخراج منهما جميعاً، وقد خُطِّئَ أَبو ذُؤَيب في قوله في صفة الجوهر:

فَجَاءَ بها ما شِئْتَ مِنْ لَطَمِيَّةٍ عَلَى وَجْهِهَا ماءُ الْفُرَاتِ يَمُوجُ[6] [الطويل]

وليس ذلك بخطإ على ما ذكرنا من تأْويل هذه الفرقة.

و﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾ في هذا الموضع جمع؛ بدليل صفته بجمع.

و﴿مَوَاخِرَ﴾ جمع ماخِرَةٍ، وهي التي تمخر الماءَ، أي: تشُقُّه، وقيل: الماخرة: التي تشق

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من الحمزوية والمطبوع ونور العثمانية وفيض الله.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٦٦).

(٣) في الحمزوية: «البستان»، وفي المطبوع وأحمد ٣: «السماء».

(٤) في نور العثمانية وفيض الله: «سبقت» بدل «بسبب».

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) تقدم الكلام عليه في تفسير الآية (١٥) من (سورة النحل).

الريح، وحينئذ يحدث الصوتُ، والمَخْر: الصوت الذي يحدث من جري السفينة بالريح.

وعبَّر المفسرون عن هذه بعبارات لا تختص باللفظة، فقال بعضهم: المواخر هي التي تجيءُ وتذهب بريح واحدة.

وقال مجاهد: الريح تمخر السفن، ولا تمخر الريح من السفن إِلَّا الفلك العظام، هكذا وقع لفظه في البخاري[1]، والصواب أَن تكون الفُلْك هي الماخرة لا الممخورة.

وقوله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ يريد بالتجارة والحج والغزو وكل سفر له وجه شرعي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾.

﴿يُولِجُ﴾ معناه: يُدْخِلُ، وهذه عبارة عن أَنَّ ما نقص من الليل زاد في النهار، فكأَنه دخل فيه، وكذلك / ما نقص من النهار يدخل في الليل. [٤/ ٢٣٩]

والأَلف واللام في ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ هي للعهد، وقيل: هي زائدة لا معنى لها ولا تعريف، وهذا أَصوب.

و«الأَجل المُسَمَّى»: هو قيام الساعة، وقيل: آماد الليل وآماد النهار، فـ(أَجَلٌ) ـ على هذا ـ اسم جنس.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاءِ، وقرأَ يعقوب والحسن بالياءِ من تحت[2].

و«الْقِطْمِيرُ»: القشرة الرقيقة[3] التي على نوى التمرة، هذا قول الناس الحُجَّة.

---

(١) صحيح البخاري، باب التجارة في البحر (٥/ ٢٢٨)، وتفسير الطبري (١٧/ ١٨١)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٨٢).

(٢) وهي رواية انفرد بها المبهج من طريق المعدل عن روح، انظره مع عزوها للحسن في النشر (٢/ ٣٥٢)، وليست في الدرة.

(٣) في الحمزوية، وأحمد٣ والمطبوع: «الرفيعة».

وقال جُوَيْبِر[١] عن رجاله: القِطْمِير: القمع الذي في رأْس التمرة، وقاله الضحاك.

والأَول أَشهر وأَصوب[٢].

ثم بيَّن تعالى أَمر الأَصنام بثلاثة أَشياءَ، كلُّها تعطي بطلانها:

أَوَّلها: أَنها لا تسمع إِن دُعيَت.

والثاني: أَنها لا تُجيب إِنْ لو سمعتْ، وإِنما جاءَ بهذا لأَن لقائل متعسف أَن يقول: عساها تسمع.

والثالث: أَنها تتبرَّأُ يوم القيامة من الكفار.

و﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾؛ أَي: بأَن جعلوهم شركاءَ لله، فأَضاف الشِّرْك إِليهم من حيث هم قرَّروه، فهو مصدر مضاف إِلى الفاعل.

وقوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يحتمل أَن يكون بكلام وعبارة يقدر الله الأَصنام عليها، ويخلق لها إِدراكاً يقتضيها، ويحتمل أَن يكون بما يظهر هنالك من جمودها وبطولها عند حركة كل ناطق، ومدافعة كل محتج، فيجيءُ هذا على طريق التجوز، كقول ذي الرمة:

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي ... تُخَاطِبُنِي آثَارُهُ وَأُخَاطِبُه

وأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ ... تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُه[٣]

وهذا كثيرٌ.

وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ قال المفسرون: قتادة وغيره: الْخَبِير هنا: أَراد به

---

(١) هو جويبر بن سعيد أبو القاسم الأزدي البلخي، نزيل بغداد، روى عن أنس والضحاك وجماعة، وعنه سفيان الثوري ومعمر وابن المبارك وجماعة، قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء. تاريخ الإسلام (٩/ ٩٤).

(٢) انظر قول جويبر في تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥٢)، وقول الضحاك في الدر المنثور (٧/ ١٥). وفي المطبوع وأحمد٣: «وقال الضحاك».

(٣) تقدم في تفسير الآية (١١٢) من (سورة آل عمران)، وفي المطبوع وأحمد٣: «ناطق» بدل «ناقتي».

تعالى نفسه، فهو الخبير الصادق الخَبَر، نبَّأَ بهذا فلا شكَّ في وقوعه[١].

ويحتمل أَن يكون قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ من تمام ذكر الأَصنام، كأنه قال: ولا يُخبرك مثلُ من يُخْبِر عن نفسه، [أي: لا أصدق في تبريها من شرككم منها، فيريد بالخبير على هذا المثل له، كأنه قال: ولا ينبئك مثل خبير عن نفسه][٢]، وهي قد أَخبرت عن أَنفسها بالكفر بهؤلاءِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

هذه آية موعظة وتذكير، والإنسان فقير إلى الله تعالى في دقائق الأُمور وجلائلها، لا يستغني عنه طرفة عين، وهو مُسْتغن عن كل أَحد، والله تعالى غني عن الناس، وعن كل شيءٍ من مخلوقاته، غني على الإطلاق.

و﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المحمود بالإِطلاق.

وقوله تعالى: ﴿بِعَزِيزٍ﴾؛ أَي: بممتنع.

و﴿تَزِرُ﴾ معناه: تحمل، والوِزْر: الثقل، وهذه الآية في الذنوب والآثام والجرائم، قاله قتادة، وابن عباس، ومجاهد[٣].

وسببها: أَن الوليد بن المغيرة قال لقوم من المؤمنين: اكفروا بمحمد وعَلَيَّ

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٧). وفي نور العثمانية وفيض الله: «قال قتادة».

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٥٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر فيه قول قتادة ومجاهد، وفي تفسير الماوردي (٤/ ٤٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٤٩).

وِزْرُكم، فحكم الله بأَنها لا يحملها أَحد عن أحد، ومن تطرَّق من الحكَّام إِلى أَخذ قريب بقريب في جريمة ـ كفعل زياد ونحوه ـ فإِن ذلك لأَن المأْخوذ ربَّما أَعان المجرم بمؤازرة ومواصلة، أَو اطلاع على حالةٍ وتقرير لها، فهو قد أخذ من الجُرم بنصيب.

وهذا هو المعنى في قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، لأَنهم أَغْوَوْهم.

وهو معنى قوله ﷺ: «من سنَّ سُنَّة حسنة فله أَجرها وأَجر مَن عَمِل بها بعده، ومَن سنَّ سُنَّة سيِّئة فعليه وزرها وَوِزْر مَن عَمِلَ بها بعده»[1].

وأنث ﴿وَازِرَةٌ﴾ لأنه ذهب بها مذهب النفس، وعلى ذلك أجريت ﴿مُثْقَلَةٌ﴾، و«الحمل»: ما كان على الظهر في الأجرام، ويستعار للمعاني كالذنوب ونحوها، فيجعل كل محمول متصلا بالظهر، كما يجعل كل اكتساب منسوباً إلى اليد.

واسم ﴿كَانَ﴾ مضمر، تقديره: ولو كان الداعي.

ثم أَخبر تعالى نبيَّه ﷺ أَنه إِنما ينذر أَهل الخشية، وهم الذين يُمنحون العلم، أَي: إِنما ينتفع بالإنذار هم، وإِلَّا فَلِنِذارة جميع العالم بَعَثَهُ.

وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾؛ أَي: وهو بحال غيبة عنه، إِنما هي رسالة، ثم خصَّص من الأَعمال إِقامة الصلاة تنبيهاً عليها وتشريفاً لها.

ثم حضَّ سبحانه وتعالى عَلَى التَّزَكِّي؛ بأَنْ رجَّى عليه غاية الترجية.

وقرأ طلحة: (وَمَنِ ازَّكَّى فَإِنَّمَا يَزَّكَّى لِنَفْسِهِ)[2].

ثم توعَّد تعالى بعد ذلك بقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: وكل عبارة مُقَصِّرَةٌ عن تَبْيينِ فصاحة هذه الآية، وكذلك

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير البجلي رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٦)، ونسبها في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤) لابن مسعود.

كتابُ الله كلِّه، ولكن يظهر الأَمر لنا نحن في مواضع أكثر منه في مواضع بحسب تقصيرنا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾.

مضمون هذه الآية طعن على الكفرة، وتمثيل لهم بالعُمْي والظلمات، وتمثيل المؤمنين ـ بإِزائهم ـ بالبصراءِ والأَنوار.

وقوله: ﴿وَلَا النُّورُ﴾ ودخول (لا) فيها وفيما بعدها إِنما هو على نيَّة التكرار، كأَنه قال: ولا الظلمات والنور، ولا النور ولا الظلمات، فاستغنى بذكر الأَوائل عن الثواني، / ودلَّ مذكور الكلام على متروكه. [٤/ ٢٤٠]

و﴿الْحَرُورُ﴾: شدة حرِّ الشمس، قال رؤْبة بن العَجَّاج: الْحَرور بالليل، والسَّموم بالنهار.

وليس كما قال، وإِنما الأَمر كما حكى الفراءُ وغيره: إِن السموم يختص بالنهار، والحرور يقال في حرِّ الليل وفي حرّ النهار[1].

وتأَول قوم (الظِّلّ) في هذه الآية: الجنة، والحرور: جهنم.

وشبه المؤمنين بالأَحياءِ، والكفرة بالأَموات، من حيث لا يفهمون الذكر ولا يُقبلون عليه، ثم ردَّ الأَمر إِلى مشيئة الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ تمثيل بما [يحسُّه البشر ويشاهدونه، فهم يرون أن الميت الذي في القبر لا يسمع، وأَمَّا الأَرواح فلا تَرِدُ؛ إِذ][2] تتضمن الأَحاديث

---

(١) انظر قولي رؤبة والفراء في تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٥١)، وانظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٩).

(٢) سقط من أحمد٣، وفي نور العثمانية وفيض الله: «فلا تقول» بدل «فلا ترد».

أَن أَرواح المؤمنين في شجر عند العرش في قناديل وغير ذلك، وأن أَرواح الكفرة في سجِّين ونحوه[١].

وفي بعض الأَخبار: أَن الأَرواح عند القبور، فربما سمعت، وكذلك أهل قليب بدر إنما سمعت أَرواحهم[٢]، وكذلك سماع الميِّت خفق النِّعال[٣]، إِنما هو برَدِّ روحه عليه عند لقاءِ الْمَلَكَيْن، فهذه الآية لا تعارض حديث القليب؛ لأَن الله تعالى ردَّ على أُولئك أَرواحهم في القليب ليُوَبِّخهم، وهذا على قول عُمَر وابنه عبد الله ـ وهو الصحيح: إِن رسول الله ﷺ قال: «ما أَنتم بأَسمع منهم»[٤].

وأَما عائشة فمذهبها: أن رسول الله ﷺ لم يُسْمعهم، وإِنما قصد توبيخ الأَحياءِ من الكفرة، وجَعَلتْ هذه الآية أَصلاً، واحتجت بها، فمثَّل الله تعالى في هذه الآية الكفرة بالأَشخاص التي في القبور.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (بِمُسْمِعِ مَنْ) على الإِضافة[٥].

---

(١) منقطع، أخرجه أبو داود (٢٥٢٠) وأبو يعلى (٤/ ٢١٩) وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند (٤/ ٢١٩) وغيرهم من طريق عبد الله بن إدريس الأودي، عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل ابن أمية، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً به، وقد خالف الأودي كلٌّ من: إبراهيم بن سعد الزهري، كما عند أحمد (٤/ ٢١٨) ومحمد بن فضيل بن غزوان، كما في مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٤٩) وسلمة بن الفضل، كما عند الطبري (٧/ ٣٨٥) وإسماعيل بن عياش، كما عند ابن أبي عاصم في الجهاد (١٩٥) كلهم عن ابن إسحاق قال: حدثني إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير المكي، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، بدون ذكر سعيد بن جبير في السند، وهذا أولى بالصواب لاجتماعهم، وأبو الزبير مدلس، وقد عنعنه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧٦٠) ومسلم (٩٣٢) من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧٥٧) ومسلم (٢٨٧٣) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٥) وهي شاذة، عزاها له تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٠)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٩٦) للضحاك، وابن خالويه (ص: ١٢٤) لعلي رضي الله عنه.

ثم سلَّاه بقوله: ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أَي: ليس عليك غير ذلك، والهداية والإِضلال إِلى الله تعالى.

و﴿بَشِيرًا﴾ معناه: بالنعيم الدَّائم لمن آمن، و(نذيراً) معناه: من العذاب الأَليم لمن كفر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ معناه: إِن دعوة الله تعالى قد عمَّت جميع الخَلق، وإِن كان فيهم من لم تباشره النِّذارة فهو ممّن بَلَغته؛ لأن آدم عليه السلام بُعث إلى بنيه، ثم لم تنقطع النذارة إِلى وقت محمد ﷺ، والآيات التي تتضمن أَن قريشاً لم يأْتهم نذيرٌ معناه: نذيرٌ مباشر، وما ذكره المتكلمون من فرض أَصحاب الفترات ونحوهم فإِنما ذلك بالفرض، لا أَنه توجد أُمَّة لم تعلم أَن في الأَرض دعوة إِلى عبادة الله تعالى.

ثم سلَّى نبيَّه ﷺ بما سلف من الأُمم لأَنبيائهم.

و(الْبَيِّنَات) و(الزُّبُر)، و(الْكِتَاب الْمُنِير) شيءٌ واحد، لكنه أَكَّدَ أوصافه بعضها ببعض، وذكره بجهاته، و«الزُّبُر» من: زبرْتُ الْكِتَابَ: إِذا كتبته.

ثم توعَّد قريشاً بذكره أَخذ الأُمم الكافرة.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمۡرٌ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

«الرُّؤْية» في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ رُؤْية القلب، وكل توقيف في القرآن على رُؤْية فهي رؤية القلب؛ لأَن الحُجَّة بها تقوم، ولكن رُؤْية القلب لا تتركَّب البتَّة إِلَّا على حاسَّة، فأَحياناً تكون بحاسة البصر، وقد تكون غيره[1]، وهذا يُعرف بحسب الشيءِ المُتكلَّم فيه.

و﴿أَنَّ﴾ سادَّة مسدَّ المفعولين اللَّذيْن للرُّؤْية، وهذا مذهب سيبويه، لأَن (أَنَّ) مع

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «عَبْرة».

ما دخلت عليه جملة، ولا يلزم ذلك في قولك: رأَيت أَو ظننت ذلك؛ لأَن قولك ذلك ليس بجملة كما هي (أَنَّ)، ومذهب الزجَّاج أَن المفعول الثاني محذوف، تقديره: أَلم ترَ أَن اللهَ أَنزلَ منَ السماء[1] ماءً حقّاً[2].

ورجع من خطاب يذكر الغائب إِلى المتكلم بنون العظمة لأَنه أَهْيَب في العبارة.

قوله تعالى: ﴿أَلْوَٰنُهَا﴾ يحتمل أَن يريد الصُّفْرة والحُمْرة والبياض والسواد وغير ذلك، ويؤيد هذا اطِّراد ذكر هذه الأَلوان فيما بعد.

ويحتمل أَن يريد بالأَلوان الأَنواع، والمعتبر فيه ـ على هذا التأْويل ـ أَكثر عدداً.

و﴿جُدَدٌۢ﴾ جمع جُدَّة، وهي الطريقة تكون من الأَرض والجبل كالقطعة العظيمة المتصلة طولاً.

ومنه قول امرئ القيس:

كَأَن سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ متنه ... كَنَائِنُ يَجْرِي فوقهن دَلِيصُ[3] [الطويل]

وحكى أَبو عبيدة في بعض كتبه أنه يقال: جُدَدٌ في جمع جديد[4]، ولا مدخل لمعنى الجديد في هذه الآية.

وقرأَ الزهري: (جَدَدٌ) بفتح الجيم[5].

وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ لَفْظَان لمعنى واحد، قال النبي ﷺ: «إِنَّ الله يُبْغض

---

(١) في المطبوع: «الماء».

(٢) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٣٦).

(٣) عزاه له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٩)، والمعاني الكبير (١/ ٣)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٤٧). وفي المطبوع: «ظهره»، وفيه: «بينهن»، وكذا السليمانية، وفيها: «شدة».

(٤) نقله عنه تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٢)، والبحر المحيط (٩/ ٢٩)، عن صاحب اللوامح. وفي المطبوع: «في معنى جديد».

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ١٩٨).

الشيخ الغِرْبيب»[١]، أَي الذي يخضب بالسواد.

وقدم الوصف الأَبلغ وكان حقه أن يتأَخر، وكذلك هو في المعنى، لكن[٢] كلام العرب الفصيح يأْتي كثيراً على هذا النحو.

وقوله: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ قَبْلَهُ محذوف إِليه يعود الضمير، تقديره: والأَنعام خَلْق مختلف أَلوانه، و﴿الدوابُّ﴾ يعُم الناس والأنعام[٣]، ولكن ذُكِرَا تَنْبِيهاً منهما.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يحتمل أن[٤] يكون من الكلام الأول فيجيءُ الوقف عليه حسناً، وإِلى هذا ذهب كثير من المفسرين، ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني، يخرج مخرج السبب، كأَنه قال: كما جاءَت القدرة في هذا كله، ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾؛ أي: المحصلون[٥] لهذه العِبرَة، الناظرون فيها.

قال القاضي أبو محمد: وقال بعض المفسرين: الْخَشْيَة: رأْس العلم[٦]، وهذه عبارة وعظية لا تثبت عند النقد، بل الصحيح المطرد أَن يقال: العِلْمُ رأْس الخشية وسبَبُها.

والذي ورد عن النبي ﷺ أَنه قال: «خشية الله رأْسُ كلِّ حكمة»[٧]، وقال: «رأْسُ

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن عدي في كامله (٣/ ١٥٧) من طريق رشدين بن سعد، عن أبي صحر حميد ابن زياد، عن يزيد بن قسيط، عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل رشدين بن سعد، متفق على تضعيفه، انظر: تهذيب الكمال (٩/ ١٩١)، ولما ترجم ابن عدي لرشدين ابن سعد، أورد حديثه هذا في مناكيره.

(٢) في نور العثمانية وفيض الله والسليمانية: «لأن».

(٣) في المطبوع: «والدواب نعم الناس».

(٤) في المطبوع: «أضن»، وهو سبق قلم.

(٥) في نور العثمانية والسليمانية وأحمد٣ وفيض الله: «المخلصون».

(٦) نقله عنه تفسير ابن عرفة (٣/ ٣٣٤)، واعترض على اعتراضه، وفي فيض الله: «نصف العلم».

(٧) ضعيف جدًّا، أخرجه ابن أبي الدنيا في الورع (١١) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٨٦) من طريق القاسم ابن هاشم السمسار، قال: حدثتنا سعيدة بنت حكامة، قالت حدثتني حكامة بنت عثمان بن دينار، عن أبيها، عن أخيه مالك بن دينار، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد =

الحكمة مخافة الله»[١]، فهذا هو الكلام المنير[٢].

وقال ابن عباس [في تفسير هذه الآية][٣]: كفى بالزهد علماً[٤].

وقال مسروق: كفى بالمرءِ علماً أَن يخشى الله[٥]، وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «أَعْلمكُمْ بالله أَشدكم له خشية»[٦].

وقال الربيع بن أَنس: من لم يخش الله فليس بعالم.

ويقال: إِن فاتحة الزَّبور: رأْس الحكمة خشية الله[٧].

وقال ابن مسعود: كفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً[٨].

= ضعيف جدًّا، في إسناده عثمان بن دينار، أورده العقيلي في الضعفاء (٣/ ٢٠٠) وقال: تروي عنه حكامة ابنته أحاديث بواطيل، ليس لها أصل، ثم قال في آخر ترجمته: أحاديث حكامة تشبه حديث القصاص، ليس لها أصول.

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٧٠-٤٧١) من طريق بقية بن الوليد، عن عثمان ابن زفر، عن أبي عمار الأسدي، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال البيهقي: ضعيف. وفي سنده: أبو عمار الأسدي، قال فيه أبو حاتم: مجهول. انظر الجرح والتعديل (٩/ ٤١٣)، والراوي عنه: عثمان بن زفر، وهو الجهني، فيه جهالة. انظر تهذيب الكمال (١٩/ ٣٧٣).

(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «المميز».

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) نقله تفسير الثعالبي (٤/ ٣٨٨)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٦).

(٦) لم أقف له على إسناد، وأورده الثعلبي (٨/ ١٠٦)، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٠٥٩)، وقال: غريب.

(٧) انظره بمعناه، مع قول الربيع في تفسير الماوردي (٤/ ٤٧١)، وانظر تفسير السمعاني (٤/ ٣٥٧).

(٨) منقطع، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٩١) من طريق القاسم بن عبد الرحمن، عن ابن مسعود رضي الله عنه به. وهذا إسناد ضعيف، القاسم، عن ابن مسعود، مرسل. انظر: جامع التحصيل (٦٢٤).

وقال مجاهد والشعبي: إنما العالم من يخشى الله[١].

و﴿ إِنَّمَا ﴾ في هذه الآية لتخصيص العلماءِ لا للحصر، وهي لفظة تصلح للحصر، وتأْتي أَيضاً دونه، وإنما يُعلم ذلك بحسب المعنى الذي جاءَت فيه، فإذا قلتَ: إِنَّما الشُّجاعُ عنترة، وقلت: إنما الله إِلهٌ واحدٌ، بان لك الفرقُ بينهما، فتأَمله.

وهذه الآية بجملتها دليل على الوحدانية والقدرة، والقصد بها إقامة الحجة على كفار قريش.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

قال مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير: هذه آية القُرَّاءِ[٢].

وهذا على أن ﴿يَتْلُونَ ﴾ بمعنى: يقرؤون، وإن جعلناها بمعنى: يتَّبعون، صحَّ معنى الآية[٣]، وكانت في القُرَّاءِ وغيرهم ممن اتصف بأَوصاف الآية.

و﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: هو القرآن، و«إِقامةُ الصَّلاةِ»: إقامتها بجميع شروطها، و«النَّفَقةُ»: هي في الصدقات ووجوه البرِّ، فالسِّرُّ من ذلك هو التطوع، والعلانية هو المفروض.

و﴿ يَرْجُونَ ﴾ جملة في موضع رفع خبر ﴿ إِنَّ ﴾.

و﴿تَبُورَ ﴾ معناها: تكسد ويتعذَّر رِبْحها، ويقال: نعوذ بالله من بوار الأَيِّم[٤].

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٠٦).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «صحَّ معنى القراءة».

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١٥٥).

واللام في ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ ﴾ متعلِّقة بفعل مضمر يقتضيه لفظ الآية، تقديره: وعدهم بأَلَّا تبور إن فعلوا ذلك كلَّه وأَطاعوه، ونحو هذا من التقدير.

وقوله: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قالت فرقة: هو تضعيف الحسنات من العشر إِلى السبع مئة، وتوفية الأُجور ـ على هذا ـ هي المجازاة مقابلة.

وقالت فرقة: إِن التضعيف داخل في توفية الأُجور، وأَما الزيادة من فضله فهي؛ إِما النَّظرُ إِلى وجهه الكريم، وإِمَّا الشفاعة في غيرهم، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

و﴿غَفُورٌ﴾ معناه: متجاوز عن الذنوب ساتر لها.

و﴿شَكُورٌ﴾ معناه: مُجَازٍ عن اليسير من الطاعة، مُقَرِّب لعبده به.

ثم ثبَّت تعالى أَمر نبيِّه بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية.

و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكِّدة، والذي بين يدي القرآن هو التوراة والإِنجيل.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ وعيد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿أَوْرَثْنَا﴾ معناه: أَعطيناه فرقة بعد موت فرقة.

و«الميراث» ـ حقيقةً ومجازاً ـ إِنما يقال فيما صار لإِنسانٍ بعد موت آخر.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأَحكامه وعقائده، فكأَن الله تعالى لما أَعطى أُمَّة محمد ﷺ [القرآن، وهو قد تضمَّن معاني الكتب المُنَزَّلة قبله، فكأَنه ورَّث أُمة محمد ﷺ][1] الكتاب الذي كان في الأُمم قبلها.

---

(١) سقط من الأصل.

و﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ يريد بهم أُمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس وغيره[١]، وكأَن اللفظ يحتمل أَن يريد به جميع المؤمنين من كل أُمة، إِلَّا أن عبارة توريث الكتاب لم تكن إِلَّا لأُمة محمد ﷺ، والأُوَل لم يُوَرَّثوه.

و﴿ٱصۡطَفَيۡنَا﴾: اخترنا وفضلنا.

و«العِبادُ» عامٌّ في جميع العالم مُؤمنهم وكافرهم.

واختلف الناسُ في عود الضمير من قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾:

فقال ابن عباس، وابن مسعود ما مُقتضاه: أَن الضمير عائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والأَصنافُ الثلاثة هي كلها في أُمة محمد ﷺ: فـ«الظَّالم لنفسه»: العاصي المُسْرف، و«المقتصد»: مُتَّقي الكبائر، وهو الجمهور من الأُمَّة، و«السَّابِقُ»: المُتَّقي على الإِطلاق.

وقالت هذه الفرقة: الأَصناف الثلاثة في الجنة، وقاله أَبو سعيد الخدري[٢].

والضمير في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ عائد على الأَصناف الثلاثة، قالت عائشة: دخلوا الجنة كلهم[٣].

وقال كعب الأَحبار: استوت مناكبهم وربِّ الكعبة وتفاضلوا بأَعمالهم، وفي رواية: تحاكَّت مناكبهم.

وقال أَبو إِسحاق السبيعي: أَما الذي سمعت منذ ستِّين سنة، فكلُّهم ناج[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٦٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٢) أثر ابن عباس هو الذي تقدم، وأثر ابن مسعود، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٦٥) بإسناد فيه يزيد بن الحارث، وهو الثعلبي، ففيه جهالة. وقول أبي سعيد لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٢) من طريق: المعتمر بن سليمان حدثني أبو شعيب الصلت ابن عبد الرحمن حدثني عقبة بن صهبان الحراني قال: قلت لعائشة، قال الذهبي في تلخيص المستدرك: الصلت قال النسائي: ليس بثقة، وقال أحمد: ليس بالقوي.

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٦). وفي المطبوع وأحمد٣: «مساكنهم» بدل «مناكبهم» الأولى.

وقال ابن مسعود: هذه الأُمة يوم القيامة أَثلاث: ثُلُث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يجيئون بذنوب عظام، فيقول الله: من هؤلاءِ؟، وهو أَعلم بهم، فتقول الملائكة: هم مذنبون إِلَّا أَنهم لم يشركوا، فيقول عزَّ وجلَّ: أَدخلوهم في سعة رحمتي[١].

وقالت عائشة ـ في كتاب الثعلبي ـ : «السَّابقُ»: من أَسلم قبل الهجرة، و«المقتصد»: من أَسلم بعدها، و«الظالم»: نحن[٢].

وقال الحسن: «السَّابق»: من رجحت حسناته، و«المقتصد»: من استوت بسيئاته، / و«الظالم»: من خفَّت موازينه. [٤/ ٢٤٢]

وقال سهل بن عبد الله: «السابق»: العالِمُ، و«المقتصد»: المتعلِّم، و«الظالم»: الجاهل.

وقال ذو النُّون المصري[٣]: «الظَّالم»: الذَّاكرُ الله بلسانه فقط، و«المقتصد»: الذَّاكرُ بقلبه، و«السابق»: الذي لا ينساه.

وقال الأَنطاكي[٤]: «الظالم»: صاحبُ الأَقوال، و«المقتصد»: صاحب الأَفعال، و«السابق»: صاحب الأَحوال[٥].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٦٥) عن ابن حميد قال: ثنا الحكم بن بشير قال: ثنا عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى، عن يزيد بن الحارث، عن شقيق أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل ابن حميد فليس بحجة.

(٢) انظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٩).

(٣) ذو النون المصري الزاهد، اسمه ثوبان بن إبراهيم، كان عالماً واعظاً فصيحاً حكيماً، مولى لقريش، أصله من النوبة، روى عن مالك، والليث، وقال الدارقطني: روى عن مالك أحاديث فيها نظر، توفي سنة (٢٤٥هـ). تاريخ الإسلام (١٨/ ٢٦٥).

(٤) هو أحمد بن عاصم الأنطاكي، أبو عبد الله الزاهد الواعظ، كتب العلم وحدث عن أبي معاوية، ومخلد بن الحسين، وآخرين، سكن دمشق مدة، وكان صاحب مواعظ وزهد، من أقران بشر الحافي، وسري السقطي. تاريخ الإسلام (١٦/ ٤٣).

(٥) انظر الأقوال الأربعة في تفسير الثعلبي (٨/ ١١١).

وروى أُسامة بن زيد: أَن النبي ﷺ قرأَ هذه الآية وقال: «كلُّهم في الجنة»[١].

وقرأَ عمر بن الخطاب هذه الآية ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفورٌ له»[٢].

وقال ﷺ: «أَنا سابق العرب، وسلمان سابق الفرس، وصُهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة»[٣].

قال القاضي أبو محمد: أَراد ﷺ أَن هؤلاءِ رؤُوس السابقين.

وقال عثمان بن عفان: سابقنا أَهل جهادنا، ومقتصدنا أَهل حضرنا، وظالمنا أَهل بدونا، لا يشهدون جماعة ولا جمعة[٤].

---

(١) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما يُحكى هذا التفسير من قول كعب الأحبار، كما في الزهد لابن المبارك (١٥٧١).

(٢) ضعيف، أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٣) من طريق الفضل بن عميرة القيسي، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول...فذكره، وهذا إسناد ضعيف، من أجل الفضل بن عميرة، قال العقيلي لما ترجم له في ضعفائه: لا يتابع على حديثه. ثم استنكر عليه حديثه هذا.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٤) والحاكم في مستدركه (٣/ ٣٨٤-٣٨٥) من طريق أبي حذيفة، عن عمارة بن زاذان، عن ثابت، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، عمارة بن زاذان هذا ضعيف الحديث، ولا سيما في روايته عن ثابت، عن أنس، فإن غالبها منكرة، كما قال الإمام أحمد، وله طريق أخرى عن أم هانئ، رضي الله عنها، رواها الطبراني في الكبير، بإسناد فيه فائد العطار، وهو متروك الحديث، وله طريق أخرى من حديث أبي أمامة، رضي الله عنه، رواه ابن أبي حاتم في علله (٢/ ٣٥٣) والطبراني في الكبير (٨/ ١٣١) من طريق عطية بن بقية، عن أبيه، قال: حدثني محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة، مرفوعاً، به، قال أبو حاتم، وأبو زرعة: هذا حديث باطل لا أصل له بهذا الإسناد.

(٤) ضعيف، أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٣٠٨) ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور (٦٦) قال: ثنا فرج بن فضالة، حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي، قال: حدثني من سمع عثمان بن عفان، رضي الله عنه،... فذكره. وفرج بن فضالة ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٢٣/ ١٥٦)، وشيخ أزهر: لا يعرف.

وقال عكرمة، والحسن، وقتادة ما مقتضاه: أَن الضمير في (مِنهُمْ) عائد على (العباد)، و«الظَّالم لنفسه»: الكافر والمنافق، و«المقتصد»: المؤمن العاصي، و«السابق»: التَّقي على الإِطلاق، قالوا: وهذه الآية نظير قوله تعالى [في سورة الواقعة][(١)]: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ٧- ١٢][(٢)].

والضمير في قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ على هذا القول خاصٌّ على الفرقتين: المقتصد والسابق، والفرقة الظالمة في النار.

قالوا: وبعيد أَن يكون ممن اصْطُفِي ظالمٌ كما يقتضي التأْويل الأَول.

ورُوي هذا القول عن ابن عباس[(٣)].

وقال بعض العلماءِ: قُدِّم الظَّالم لأَنه لا يتكل إِلَّا على رحمة الله، والمقتصد هو المعتدل في أُموره، لا يُسرف في جهة من الجهات، بل يلزم الوسط، وقال عليه ﷺ: «خير الأمور أوساطها»[(٤)].

وقالت فرقة ـ لا معنى لقولها ـ: إِن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ هم الأَنبياءُ، والظالم منهم لنفسه من وقع في صغيرة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قولٌ مردودٌ من غير ما وجه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾.

---

(١) من نور العثمانية وفيض الله.

(٢) انظر قولهم في تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٧-٤٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٦٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) لا يصح مرفوعاً، الحديث ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٥٥) وقال: ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول، عن علي مرفوعاً به، وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله. قلت: وأثر مطرف أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٤٧٩) وغيره بإسناد صحيح.

وقرأ أَبو عمران الجوني: (سبَّاقٌ بالخيرات)[١].

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ معناه: بأَمره ومشيئته فيمن أَحبَّ من عباده، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ إِشارة إِلى الاصطفاءِ وما يكون من الرحمة.

وقال الطبري: السُّبوق بالخيرات: هو الفضل الكبير[٢].

قال في كتاب الثعلبي: جمعهم في دخول الجنة لأَنه ميراثٌ، وَالْبَارُّ والعاقُّ سواءٌ في الميراث مع صحة النسب، فكذلك هؤلاءِ مع صحة الإِيمان[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿جَنَّٰتُ﴾ بالرفع على البدل من ﴿ٱلْفَضْلُ﴾.

وقرأ الجحدري: (جَنَّاتِ) بالنصب بفعل مضمر يُفَسِّرهُ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾.

وقرأ زِرُّ بن حُبيْش: (جنة عدن) على الإِفراد[٤].

وقرأ أَبو عمرو وحده: ﴿يُدْخَلُونها﴾ على بناءِ الفعل للمجهول، ورويت عن ابن كثير.

وقرأ الباقون: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ بفتح الياءِ وضم الخاءِ[٥].

و«الأَساوِرُ» جمع أَسْوِرة، وأَسْوِرة جمع سُوار، بضم السين وكسرها.

وفي حرف أُبيٍّ: (أَسَاوِير)[٦]، وهو جمع أَسْوار، وقد يقال ذلك في الحليِّ، ومشهور أَسْوار أنه الجيِّد الرَّمْي من جند الفرس.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤)، وفي الأصل أبو عمرو، وتقدم ذكر الجوني في (سورة الأعراف).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧١).

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ١١١).

(٤) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٦)، والأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٢٤).

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٢)، وليست فيه موافقة ابن كثير لأبي عمرو لكنها في السبعة (ص: ٥٣٤).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٥٣)، والهداية لمكي (٩/ ٥٩٨١).

و﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ معناه: رجالا ونساءً.

وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر، ونافعٌ: ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ بالنصب عطفاً على موضع أَساوِر.

وكان عاصم في رواية أَبي بكر يقرأُ: [﴿ولُولُؤاً﴾ بسكون الواو الأُولى دون همزٍ ويهمز الثانية، ورُوي عنه ضد هذا، [همز الأولى، ولا يهمز الثانية][(١)].

وقرأَ الباقون: ﴿وَلُؤۡلُؤٖ﴾ بالهمز والخفض عطفاً على ﴿أَسَاوِرَ﴾][(٢)].

و«الْحَزَن» في هذه الآية عام في جميع الأَحزان، وخصَّص المفسرون في هذا الموضع:

فقال أَبو الدرداءِ: حزن أَهوال يوم القيامة وما يُصيب هنالك من ظلم نفسه من الغم والحزن[(٣)].

وقال ابن عباس: حزن جهنم[(٤)].

وقال عطية: حزن الموت[(٥)].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من الأصل، والقراءتان بالخفض والنصب سبعيتان: النصب لنافع وعاصم بتمامه، وكذا القراءة بإبدال الهمزة الأولى لشعبة والسوسي، أو بتحقيقهما، سبعيتان، انظر التيسير (ص: **١٥٦**)، وما أورده المصنف جزء من نص السبعة (ص: **٥٣٥**)، وبقي منه عزو إبدال الهمزة الثانية بدلاً من الأولى للمعلى عن شعبة، والخفض عن عاصم للمفضل، وانظر جامع البيان (**٣/ ١٣٧٨**).

(٣) روي مرفوعاً ولا يصح، أخرجه البخاري في الكنى (**١٣٧**) والحاكم في المستدرك (**٢/ ٤٢٦**) من طريق الأعمش، عن رجل، عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل جهالة شيخ الأعمش، وقد اختلف على الأعمش فيه اختلافاً كبيراً، على ما ذكره المصدران السابقان لهما، ولا يصح منه شيء من طرقه، كما صرح به البخاري. ولفظة «يوم» من المطبوع ونور العثمانية وفيض الله.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (**٢٠/ ٤٧٢**) من طريق عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف، عمرو بن مالك، هو النكري، فيه ضعف. انظر: تهذيب الكمال (**٢٢/ ٢١١**) وهامشه.

(٥) تفسير الطبري (**٢٠/ ٤٧٢**)، وتفسير الماوردي (**٤/ ٤٧٥**).

[وقال شمر[1]: حزن معيشة الدنيا: الخبز ونحوه][2].

وقال قتادة: حزن الدنيا في الخوف أَلَّا تُتقبَّل أَعمالهم[3].

وقيل غير هذا ممَّا هو جزءٌ من الحزن.

قال القاضي أبو محمد: ولا معنى لتخصيص شيءٍ من هذه الأَحزان؛ لأَن الحزن أَجمع قد ذهب عنهم.

وقولهم: ﴿لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وصفوه بأَنه تعالى يغفر الذنوب، ويجازي على القليل من الأَعمال الصالحة بالكثير من الثواب، وهذا هو شكره لا ربَّ سواه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ٱلْمُقَامَةِ﴾: الإِقامة، من: أَقام، والمَقَامة بفتح الميم: القيام، وهي من: قام.

و﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾: الجَنَّة.

و«النَّصَبُ»: تعب البدن.

و«اللُّغُوب»: تعب النفس اللازم عن تعب البدن، وقال قتادة: اللُّغوب: الوجع[4].

---

(١) في الحمزوية: «سمن»، وهو شمر بن عطية الكاهلي الكوفي، روى عن أبي وائل، وزر بن حبيش، وشهر بن حوشب، وعنه الأعمش، وفطر بن خليفة، وقيس بن الربيع، وجماعة، وكان عثمانياً، وثقه النسائي. تاريخ الإسلام (٧/ ٣٨٠).

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣، وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١١٢)، وفيهما: «شمر».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٧٥)، بتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٧٥).

وقراءَة الجمهور: ﴿لُغُوبٌ﴾ بضم اللَّام.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، والسُّلَمي: (لَغُوبٌ) بفتح اللام[١]، أَي: شيءٌ يُعْيِينا.

ويحتمل أَن تكون مصدراً، كالوَلُوغ والوَضوءِ.

ثم أَخبر تعالى عن حال الذين كفروا معادلاً بذلك الإِخبار قبلُ عن الذين اصطفى، وهذا يؤيد تأويل من قال: إِن الثلاثة الأَصناف هي كلُّها في الجنة؛ لأَن ذكر الكافرين إِنما جاءَ هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ﴾ معناه: لا يُجْهَزُ؛ لأَنهم لو ماتوا لبطلت حواسهم فاستراحوا.

وقرأَ الحسن البصريُّ، والثقفيُّ: (فَيَمُوتُونَ)[٢].

ووجْهُها العطف على ﴿يُقْضَىٰ﴾، وهي قراءَةٌ ضعيفة.

وقوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ / لا يعارضه قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]؛ لأَن المعنى: لا يُخَفَّف عنهم نوعُ عذابهم، والنوع في نفسه يدخله أَن يخبو وأن يسعر، ونحو ذلك. [٤/ ٢٤٣]

وقرأَ جمهور القراء: [﴿نَجْزِي كُلَّ﴾ بنصب ﴿كُلَّ﴾ وبالنون في ﴿نَجْزِي﴾][٣].

وقرأَ أَبو عمرٍو ونافع بخلاف: ﴿يُجْزَى﴾ بياءٍ مضمومة على الفعل المجهول، ﴿كُلُّ﴾ رفعاً[٤].

و﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يفتعلون، من الصُّراخ، أَصله: يَصْتَرِخُونَ، فأُبدلت التاءُ طاءً لقرب

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب ٢(/ ١٩٩).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٢٠٠).

(٣) في المطبوع: «نَجْزِي» بنون، «كُلَّ» بالنصب.

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، ورواها أبو حاتم عن نافع كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٢٤). وفي نور العثمانية وفيض الله: «الفعل للمفعول».

مخرج الطاءِ من الصاد، وفي الكلام محذوف تقديره: [يقولون: ﴿رَبَّنَآ﴾، وطلبوا الرجوع إلى الدنيا في مقالتهم هذه، فالتقدير][١]: فيقال لهم: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾؟ على جهة التوقيف والتوبيخ.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ﴾ ظرفية، واختلف الناس في المدة التي هي حدٌّ للتذكير:

فقال الحسن بن أَبي الحسن: البلوغ[٢]، يريد أَنه أَول حالِ التذكير.

وقال قتادة: ثمانِ عشرة سنة[٣].

وقالت فرقة: عشرون سنة[٤].

وحكى الزجاج سبع عشرة سنة[٥].

وقال ابن عباس: أَربعون سنة[٦]. وهذا قول حسن ورويت فيه آثارٌ.

ورُوي: أَن العبد إِذا بلغ أَربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان على وجهه، وقال: بأبي وجه لا يُفلح[٧].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٧٦).

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ١١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٦٨).

(٤) نُسب القول به لعمر بن عبد العزيز، كما في البحر المحيط (٩/ ٣٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧٢).

(٦) الأصح عن ابن عباس: ستون سنة، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٧٧) من طريق بشر بن المفضل، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، قال: سمعت ابن عباس، رضي الله عنه، ...فذكره بلفظ: أربعون سنة. وبشر بن المفضل خولف في متنه، خالفه كل من الثوري، وعبد الله بن إدريس، فروياه جميعاً، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: ستون سنة، رواهما الطبري (٢٠/ ٤٧٧)، وقد صحح رواية الثوري وعبد الله بن إدريس: الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٥٣).

(٧) لم أقف عليه، ولفظة: «بأبي» ليست في المطبوع.

وقال مسروق بن الأَجدع: من بلغ أَربعين سنة فليأْخذ حذره من الله[(١)]، ومنه قول الشاعر:

إِذَا الْمَرْءُ وَفَّى الأَرْبَعِينَ وَلم يَكُن ... لَهُ دُونَ مَا يَأْتي حَيَاءٌ وَلَا سِتْرُ [الطويل]

فَدَعْهُ وَلَا تَنْفِسْ عَلَيْهِ الَّذي ارْتَأَى ... وَإِن جَرَّ أَسْبَابَ الحيَاةِ لهُ العمر[(٢)]

وقال قومٌ: الحدُّ خمسون، ومنه قول الشاعر:

أَخُو الْخَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي ... ونَجَّذني في مُدَاوَرَةِ الشُّؤونِ[(٣)] [الوافر]

وقال آخر:

وإِنَّ امْرَأً قد سار خَمْسِينَ حِجَّةً ... إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَرِيبُ[(٤)] [الطويل]

وقال ابن عباس أيضا وغيره: الحدُّ في ذلك ستُّون سنة، وهي سن الإِعذار[(٥)].

وهذا أَيضاً قولٌ حسنٌ مُتَّجه.

وروي: أَن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نودي: أَين ابن السِّتِّين؟ وهو العمر الذي قال الله فيه: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾»[(٦)].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٧).

(٢) من أبيات لابن الأعرابي، كما في أمالي القالي (١/ ٧٨). وفي أحمد٣ والحمزوية والمطبوع: «الدَّهر».

(٣) البيت لسحيم بن وثيل، كما في الغريب لابن سلام (١/ ٣٥٤)، والكنز اللغوي (ص: ١٦١)، والكامل للمبرد (٢/ ٨١)، ونجذني: حنكني. وفي المطبوع: «ونجدٌ في».

(٤) البيت لأبي محمد التيمي، كما في البيان والتبيين (٣/ ١٣٣)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٤٧). وفي أحمد٣ والمطبوع: «عاش».

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٧٧) من طريق كل من سفيان الثوري، وعبد الله بن إدريس، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد صحيح، وقد سبق قريباً، وفي الأصل: «من الإعذار».

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٧٧) والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٦٤) من طريق إبراهيم بن الفضل المخزومي، عن ابن أبي حسين، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، وإبراهيم متفق على تضعيفه. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٥٢).

وقال عليه السلام: «من عمَّره الله ستين سنة فقد أَعذر إِليه في العمر»[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾.

وقرأ الأعمش: (ما يذكر فيه من أذكر)[٢].

و﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ في قول الجمهور: الأَنبياءُ، كل نبيٍّ نذير أُمته ومعاصريه، ومحمد ﷺ نذير العالَم في غابر الزمن.

وقال الطبريُّ: وقيل: النذيرُ الشَّيْبُ[٣].

وهو قول حسن إِلَّا أَن الحُجَّة إِنما تقوم بالنِّذراة الشرعية.

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

هذا ابتداءُ تذكير بالله تعالى، ودلالة[٤] على وحدانيته وصفاته التي لا تُبْتَغى الأُلوهية إِلَّا معها.

و«الغَيْبُ»: ما غاب عن البشر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، بلفظ: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة».

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٨).

(٤) في المطبوع: «ودلائل».

و«ذاتُ الصُّدورِ»: ما فيها من المعتقدات والمعاني، ومنه [قول أَبي بكر: ذو بطن بنت خارجة][١]، ومنه قول العرب: الذئب مغبوط بذي بطنه[٢]؛ أَي بالنفخ الذي فيه، فمن رآه ظنَّه شابعاً[٣] قريب عهد بأَكل.

و﴿ خَلَٰٓئِفَ ﴾ جمع خليفة؛ كسفينة وسفائن، ومدينة ومدائن.

وقوله تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾ فيه حذف مضاف، تقديره: فعليه وبال كفره وضرره.

و«الْمَقْتُ»: احتقارك الإِنسان من أَجل معصيته، [أو ذنبه][٤] الذي يأْتيه، فإذا احتقرت تعسُّفاً منك فلا يُسمى مقتاً.

و«الْخَسَار» مصدر: خسِر [الرجل يخسر، أَي: خسروا آخرتهم ومعادهم بأَن صاروا إِلى النار والعذاب.

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ﴾ الآية، احتجاج على الكفار في بطلان أمر أَصنامهم، وقفَهم النبي ﷺ ـ بأَمر ربه ـ على [أصنامهم وطلب منهم أن يعرضوا عليه الشيء الذي خلقته آلهتهم لتقوم][٥] حجتهم التي يزعمون أنها حقٌّ، ثم وَقَفَهم ـ مع اتضاح عجزهم عن خلق شيءٍ ـ على السماوات، هل لهم فيها شِرْك؟ وظاهرٌ أَيضاً بُعْدُ هذا.

ثم وَقَفَهم هلْ عندهم كتاب من الله تعالى ليُبَيِّن لهم فيه ما قالوه؟ أَي: ليس ذلك كله عندهم، ثم أَضرب بعد هذا الجحد المقدَّر فقال: إِنما يَعِدون أَنفسهم غروراً.

و﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ تتنزَّل عند سيبويه منزلة: أَخبروني[٦]، ولذلك لا تحتاج إِلى مفعولين.

---

(١) سقط من الأصل، وهو صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (٢٧٨٣) من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة، عن أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) المخصص لابن سيده (٤/ ١٤٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٣٦).

(٣) في المطبوع: «سابغاً».

(٤) في المطبوع: «أو بغضه لدينه»، وفي أحمد٣: «بغضه لذنبه».

(٥) سقط من أحمد٣ والمطبوع.

(٦) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٦٣).

وأَضاف الشركاءَ إليهم من حيث جعلوهم شركاءَ لله، أَي: ليس للأَصنام شركة بوجه إِلَّا بقولكم، فالواجب إِضافتها إِليكم، و﴿تَدْعُونَ﴾ معناه: تعبدون.

والرُّؤْية في قوله: ﴿أَرُونِي﴾ رؤْية بصر.

و«الشِّرْكُ»: الشَّركة، مصدر أَيضاً.

وقرأَ نافع، وابن عامر، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بالجمع.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والأَعمش، وابن وثاب، ونافع بخلاف عنه: ﴿بَيِّنَتٍ﴾ بالإِفراد، والمراد به الجمع[1].

ويحتمل أن يراد به الإِفراد، كما تقول: أنا من هذا الأَمر على واضحة، أَو على جلِيَّة.

و«الغُرُورُ» الذي كانوا يتعاطونه قولهم: إنَّ الأَصنام تُقَرِّب من الله زُلفى، ونحوه ممَّا يغبطهم[2].

ولمَّا ذكر الله تعالى ما يُبيِّن فساد أَمر الأَصنام، ووقف على الحُجَّة على بُطلانها، عقَّب ذلك بذكر عظمته وقدرته، ليتبَيَّن الشيءُ بضده، وتتأَكد حقارة الأَصنام بذكر عظمة الله تعالى، فأَخبر عن إِمساكه السماوات والأَرض بالقدرة.

[٤/ ٢٤٤] وقوله: / ﴿أَن تَزُولَا﴾ معناه: كراهةَ أن تزولا، [أي: لئلا تزولا][3]، ومعنى الزوال هنا التنَقُّلُ من مكانها، والسقوط من عُلُوِّهَا.

وقال بعض المفسرين: معناه: أن تزولا عن الدوران، ويظهر من قول عبد الله بن مسعود أَن السماءَ لا تدور وإِنما تجري فيها الكواكب، وذلك أَن الطبري أَسند أَن

---

(١) وهما سبعيتان، وبقي عليه حفص في الثانية، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، وانظر موافقة الأعمش في الإتحاف للدمياطي (ص: ٤٦٤)، وابن وثاب في البحر المحيط (٩/ ٣٩)، وما نسبه لنافع من قراءة الإفراد في (بينة) لم أقف عليه.

(٢) في الحمزوية: «يعبطهم»، وفي المطبوع: «يغيظهم».

(٣) سقط من الأصل.

جُندباً البَجَليَّ[(١)] رحل إِلى كعب الأَحبار ثم رجع، فقال له عبد الله بن مسعود: حدِّثنا ما حدَّثك، فقال: حدثني أن السماءَ في قطب كقطب الرَّحى، والقطب عمود على منكب ملَك، فقال له عبد الله بن مسعود: لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك ورَحْلك، ثم قال: ما تربكت[(٢)] اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ وكفى بها زوالاً أن تدور، ولو دارت لكانت قد زالت[(٣)].

وقوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ قيل: أراد يوم القيامة عند طيِّ السماء ونسف الجبال، فكأَنه قال: ولئن جاءَ وقت زوالهما، وقيل: بل ذلك على جهة التوهُّم والفرض، ولئن فرضنا زوالهما، وكأَنَّه قال: ولو زالتا، قال بعضهم: ﴿لئِنْ﴾ في هذا الموضع بمعنى: لو.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قريب من الذي قبله.

وكذا قرأَ ابن أَبي عبلة: (وَلَوْ زَالَتَا)[(٤)].

وقوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: من بعد تركه الإِمساكَ، وقالت فرقة: اتِّصافه تعالى بالحلم والغفران في هذه الآية إِنما هو إِشارة إِلى أَن السماءَ كادت تزول والأَرض كذلك لإِشراك الكفرة، فيمسكهما الله تعالى حِلْماً منه عن المشركين، وتربُّصاً ليغفر لمن آمن منهم، كما قال في آية أخرى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ [مريم: ٩٠] الآية.

---

(١) هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي، أبو عبد الله، صحابي جليل له رواية كثيرة، وقد ينسب إلى جده فيقال: جندب بن سفيان، سكن الكوفة ثم البصرة، قدمها مع مصعب بن الزبير، وروى عنه أهل المصرين، الإصابة (١/ ٦١٣).

(٢) في الحمزوية: «سكنت»، وفي المطبوع ونور العثمانية وفيض الله: «تَنْتكِت». وفي القاموس واللسان: ربكه: خالطه.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٨٢) من طريق إبراهيم النخعي، عن جندب بن عبد الله، وابن مسعود رضي الله عنهما، به. وهذا إسناد ضعيف لإرساله، فإبراهيم لم يسمع أحداً من صحابة رسول الله ﷺ، قاله ابن المديني. انظر جامع التحصيل (١٣).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٧).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ لكفار قريش، [وذلك أنه روي: أن كفار قريش][1] كانت قبل الإِسلام تأْخذ على اليهود والنصارى في تكذيب بعضهم بعضاً، وتقول: لو جاءَنا نحن رسول لكنا أَهدى من هؤلاءِ وهؤلاءِ[2].

و﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ منصوب على المصدر، أَي: بغاية اجتهادهم.

و﴿إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ يريد:[3] اليهود والنصارى.

و«النُّفُور»: البُعْد عن الشيءِ والفزع منه والاستبشاع له.

و﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾: قيل فيه: بدل من النُّفُور، وقيل: مفعول من أَجله، أَي: نَفَروا من أَجل الاستكبار.

وأَضاف ﴿ٱلْمَكْرُ﴾ إلى ﴿ٱلسَّيِّئُ﴾ وهو صفة، كما قالوا: دار الآخرة، ومسجد الجامع، وجانب الغربي.

وقرأ الجمهور بكسر الهمزة من ﴿ٱلسَّيِّئُ﴾، [وقرأ حمزة وحده: ﴿السَّيِّءْ﴾ بسكون الهمزة][4]، وهو في الثانية يرفع الهمزة كالجماعة[5]، ولحَّنَ هذه القراءَة الزَّجاجُ[6]،

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٠٨) من طريق أبي هلال، أنه بلغه أن قريشاً كانت تقول... فذكره معضلاً، به.

(٣) في الحمزوية والمطبوع: «يريدون».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «وأَسكنها حمزة وحده».

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧٥).

وَوَجَّهَها أَبو عليٍّ الفارسي بوجوه، منها: أَن يكون قد أَسكن لتوالي الحركات[١]، كما قال:

.... قُلْتُ صاحِبْ قَوِّمِ[٢] .... [الرجز]

على أَن المُبَـرِّد روى هذا: قلتُ صاحِ قَوِّمِ[٣]، وكما قال امرؤُ القيس:

فالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْماً مِـنَ اللَّهِ وَلا واغِـلِ[٤] [السريع]

على أَن المَبرِّد قد رواه: فاليوم فاشْرَبْ، وكما قال جرير:

سِيرُوا بَني الْعَمِّ فالأَهْوازُ مَنْزِلُكُمْ ونَهْرُ تِيرَى فَلَنْ تَعْرِفْكُمُ الْعَرَبُ[٥] [البسيط]

وقرأ ابن مسعود: (وَمَكْراً سَيِّئاً)[٦]، قال أَبو الفتح: يعضده تنكير ما قبله من قوله: ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾.

و﴿يَحِيقُ﴾ معناه: يُحيط ويَحِلُّ وينزل، ولا يُستعمل إِلا في المكروه.

وقوله: ﴿إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ معناه: أَنه لا بُدَّ أَن يحيق بهم إِما في الدنيا وإِلَّا ففي الآخرة، فعاقبته الفاسدة لهم، وإِن حاق في الدنيا بغيرهم أَحياناً فعاقبة ذلك على أَهله.

وقال كعب الأَحبار[٧] لابن عباس: إِن في التوراة: من حفر حفرة لأَخيه وقع فيها، فقال ابن عباس: أَنا أُوجدك هذا في كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٨].

و﴿يَنظُرُونَ﴾: معناه: ينتظرون.

و«السُّنَّةُ»: الطريقة والعادة.

---

(١) الحجة للفارسي (٦/ ٣٢).

(٢) تقدم في تفسير الآية (٥٤) من (سورة البقرة).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٧٨)، مع الرواية في البيت الثاني أيضاً.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٥٤) من (سورة البقرة).

(٥) تقدم في تفسير الآية (٥٤) من (سورة البقرة).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢٠١) مع التوجيه.

(٧) من المطبوع.

(٨) لم أقف عليه مسنداً.

وقوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾؛ أي: لتعذيبه الكفرة المكذبين، وفي هذا وعيدٌ بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾﴾.

لمَّا توعدهم تعالى في الآية قبلها بسُنَّة الأَوَّلين، وأَن الله تعالى لا يُبَدِّلها ولا يُحَوِّلها في الكفرة، وقفهم في هذه الآية على رؤْيتهم لِمَا رَأَوْا من ذلك في طريق الشام وغيره، كديار ثمود ونحوها.

و«يُعْجِزه» معناه: يفوته ويُفْلِته.

و﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن شَيۡءٖ﴾ زائدة مؤكدة.

و﴿عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ صفتان لائقتان بهذا الموضع[1]؛ لأَن مع العلم والقدرة لا يتعذر شيءٌ.

ثم بيَّن تعالى الوجه في إِمهاله من أَمهل من عباده، إِن ذلك إِنما هو لأن الآخرة من وراءِ الجميع، وفيها يستوفي[2] جزاءَ كلِّ أَحد، ولو كان عزَّ وجلَّ يجازي على الذنوب في الدنيا لأَهلك الجميع.

وقوله تعالى: ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾ مبالغة، والمراد بنو آدم لأَنهم المجَازَوْن، وقيل: المراد معهم[3] الجن والإنس[4]، وقيل: كل ما دبَّ من الحيوان وأَكثره إِنما هو لمنفعة بني آدم وبسببهم.

---

(١) في المطبوع: «الوضع»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «النوع».

(٢) في الأصل: «يستوي».

(٣) من المطبوع ونور العثمانية وفيض الله.

(٤) سقط من المطبوع.

والضمير في ﴿ظَهْرِها﴾ عائدٌ على الأَرض المتقدم ذكرها، ولو لم يتقدم لها ذكر لأَمكن في هذا الموضع لبيان الأَمر، ولكانت كقوله تعالى: ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، ونحوها.

و«الأَجَلُ المُسَمَّى»: يوم[1] القيامة.

[وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ توعدٌ، وفيه للمتقين وعدٌ][2].

كمل تفسير (سورة فاطر)، والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

(١) من المطبوع، وضبب عليها في أحمد٣.

(٢) في المطبوع: «وباقي الآية توعُّدٌ»، وفيه: «وعدٌ للمؤمنين».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة يس

/ هذه السُّورة مكِّيَّةٌ بإِجماع، إِلَّا أَنَّ فرقة قالت: إِن قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ نزلت في بني سَلِمَة من الأَنصار حين أَرادوا أَن يتركوا ديارهم وينتقلوا إِلى جوار مسجد رسول الله ﷺ، فقال لهم: «ديَارَكُم تُكتَبْ آثَارُكم»، وكره رسول الله ﷺ أَن يُعْرُوا المدينة[١]، وعلى هذا فالآية مدنية، وليس الأَمر كذلك، وإِنما نزلت الآية بمكة، ولكنه احتج بها عليهم في المدينة، ووافقها قول النبي ﷺ في المعنى، فمِنْ هنا قال من قال: إنها نزلت في بني سلمة. [٤/ ٢٤٥]

وروى أَنس بن مالك رضي الله عنه: أَن رسول الله ﷺ قال: «إِن لكل شيءٍ قلباً، وإِن قلب القرآن يس»[٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٨٨) من حديث أنس بن مالك، ومسلم (٦٦٥) من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً، به.

(٢) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣١٠٦) من طريق الحسن بن صالح، عن هارون أبي حميد، عن مقاتل ابن حيان، عن قتادة، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة إلا من هذا الوجه. وهارون أبو محمد شيخ مجهول، انتهى. ولا يصح في فضل (سورة يس) حديث.

وروت عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال: «إِنَّ في القرآن سُورة يُشفَّع قارئها[١]، ويُغْفر لمستمعها، وهي يس»[٢].

وقال يحيى بن أَبي كثير: بلغنا أَنَّه من قرأَ سورة ﴿يسٓ﴾ ليلاً لم يزل في فرح حتَّى يصبح، [وكذا في النهار][٣]. ويُصَدِّق ذلك التجربة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾.

أَمالَ حمزة والكسائي الياء في ﴿يسٓ﴾ غير مفرطين، والجمهور يفتحونها، ونافع وسط في ذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ يَدْخُلُه من الأَقوال ما تقدم في الحروف المقطَّعة في أَوائل السُّور.

ويختصُّ هذا بأَقوال منها:

أَن سعيد بن جبير قال: إِنه اسم من أَسماءِ محمد ﷺ، ودليله ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[٥].

وقال السيد الحميري[٦]:

[البسيط]

يا نَفْسُ لا تَمْحَضي بالنُّصْح مجتهداً عَلَى المَـوَدَّةِ إِلَّا آلَ يَاسِـينَا[٧]

---

(١) في المطبوع: «تشفع لقارئها».

(٢) الحديث ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٧١) من رواية الثعلبي (٨/ ١١٩)، وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة.

(٣) من المطبوع وأحمد٣، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ١١٩).

(٤) الإمالة والفتح سبعيتان، وشعبة مع حمزة، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، والسبعة (ص: ٥٣٨)، وزاد وجهاً بالتوسط عن نافع.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٠).

(٦) هو أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن مفرغ الحميري، كان شاعراً محسناً، بديع القول، إلا أنه رافضي جلد، زائغ عن الحق، له مدائح جمة في أهل البيت، ويقال: إن جعفر الصادق عرفه خطأه فرجع وتاب، توفي سنة (١٧٨هـ). تاريخ الإسلام (١١/ ١٥٨).

(٧) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٠)، وفيه: «جامدة»، وفي الأصل: «جاهدة».

وقال ابن عباس: معناه: يا إِنسانُ، بلسان الحبشية[١].

وقال ابن عباس أَيضاً ـ في كتاب الثعلبي ـ : هو بِلُغَة طَيِّىء[٢]، وذلك أنهم يقولون: يا إِيسان، بمعنى: إِنسان، ويجمعونه على: أَياسين، فهذا منه.

وقالت فرقة: الياءُ حرف نداءٍ، والسِّين أُقيمت مقام إِنسان انتزع منه حرف فأُقيم مقامه.

ومن قال: إنه اسم من أَسماءِ السورة أَو من أسماء القرآن[٣]، فذلك مُشترك في جميع السُّوَر.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿يسٓ﴾ و﴿ نٓ ﴾ بسكون النون وإِظهارها، وإِن كانت النون الساكنة تخفى مع حروف الفم فإِنَّما هذا على الانفصال، وأَن حقَّ هذه الحروف المقطعة في الأَوائل أن تظهر.

وقرأَ عاصم، وابن عامر بخلاف عنهما ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ بإِدغام النُّون في الواو على عُرف الاتصال[٤].

وقرأَ ابن أَبي إسحاق بخلافٍ بنصب النون، وهي قراءَة عيسى بن عمر، ورواها عن الغنوي[٥].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٨٨) عن محمد بن حميد الرازي، عن أبي تميلة، عن الحسين ابن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف، ابن حميد الرازي ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧)، وسقط ذكر «نون» من المطبوع.

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٠)، وتسمية «ابن عباس» هنا سقطت من المطبوع وأحمد٣.

(٣) في الأصل: «السورة»، وهو تصحيف، و«من أسماء» الثانية سقطت من المطبوع وأحمد٣.

(٤) وهما سبعيتان، ورش بخلف وشعبة وابن عامر والكسائي يدغمون، والباقون بالإظهار، انظر: التيسير (ص: ١٨٢).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٢٠٢)، ولم يذكر الغنوي، ولعله أبو سوار الذي تقدم في (سورة الفاتحة).

وقال قتادة: ﴿يسٓ﴾ قَسَمٌ[١].

وقال أَبو حاتم: قياسُ هذا القول نصب النون، كما تقول: الله لأَفعلن كذا[٢].

وقرأَ الكلبي بضمها وقال: هي بلغة طيِّىءٍ: يا إِنسان[٣].

وقرأَ أَبو السّمال، وابن أَبي إسحاق[٤] بخلاف بكسرها[٥]، وهذه الوجوه الثلاثة هي للالتقاءِ، قال أَبو الفتح: ويحتمل الرفعُ أَن يكون اجتزاءً بالسين من: يا إِنسان.

وقال الزجاج: النصب كأَنه قال: اتْلُ يس، وهو مذهب سيبويه على أَنه اسمٌ للسُّورة[٦].

و﴿يسٓ﴾ مشبهة الجملة من الكلام فلذلك عُدَّت آيةً، بخلاف ﴿طسٓ﴾ [النمل: ١]، فلم تنصرف ﴿يسٓ﴾ للعجمة والتعريف.

و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحْكَم، فيكون فعيل بمعنى: مفعول[٧]، أَي: أُحْكِمَ في مواعظه وأَوامره ونواهيه، ويحتمل أَن يكون ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ بناءَ فاعِلٍ، أَي ذو الحكمة.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يجوز أَن تكون جملة في موضع رفع على أَنها خبر بعد خبر، ويجوز أَن يكون في موضع نصب على أنها في موضع الحال من ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

و«الصِّرَاطُ»: الطريق، والمعنى: على طريق هدًى ومَهْيَع رشاد.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿تَنْزِيلُ﴾ بالرفع على خبر الابتداءِ، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، والحسن، والأَعرج، والأَعمش.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٠).

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٧٤٨).

(٣) تفسير السمعاني (٣/ ٣١٨).

(٤) في المطبوع: «عن ابن أبي إسحاق»، مع التنبيه على المثبت في الحاشية.

(٥) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٠٢).

(٦) معاني القرآن للزجاج وإعرابه (٤/ ٢٧٧).

(٧) في الأصل: «مفعل».

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿تَنزِيلَ﴾ بالنصب على المصدر، واختلف عن عاصم، وهي قراءَة طلحة، والأَشهب، وعيسى بن عمر، والأَعمش، بخلاف عنهما[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

اختلف المفسرون في قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ﴾[٢]:

فقال عكرمة: ﴿مَّآ﴾ بمعنى الذي، والتقدير: الشيءَ الذي أُنْذِرَه الآباءُ من النار والعذاب[٣].

ويحتمل أَن تكون ﴿مَّآ﴾ مصدرية [على هذا القول من أن الآباء أنذروا.

قال القاضي أبو محمد: فالآباء][٤] ـ على هذا كله ـ هم الأَقدمون على مرِّ الدهر.

وقوله: ﴿فَهُمْ﴾ ـ مع هذا التأْويل ـ بمعنى: فإِنَّهُمْ، دخلت الفاءُ لقطع الجملة من الجملة.

وقال قتادة: ﴿مَّآ﴾ نافية[٥]، أَي: إِن آباءَهم لم يُنْذروا، فالآباءُ ـ على هذا ـ هم القريبون منهم، وهذه الآية كقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، وهذه النِّذارة المنفيَّة هي نذارة المباشرة والأَمر والنهي، وإِلَّا فدعوة الله تعالى من الأَرض لم تنقطع قط.

وقوله: ﴿فَهُمْ﴾ ـ على هذا ـ الفاءُ منه واصلة بين الجملتين، ورابطة للثانية بالأُولى.

---

(١) وهما سبعيتان، وقرأ شعبة بالأولى، وحفص بالثانية، انظر التيسير (ص: ١٨٢)، والنشر (٢/ ٣٥٣).
(٢) في المطبوع: قوله تعالى: ﴿مَّآ أُنذِرَ﴾ اختلف المفسرون في «مَا».
(٣) انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩١)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٩٩).
(٤) في المطبوع: «أَي: ما أُنْذِرَ آبَاؤُهم، والآباءُ».
(٥) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٧٤) بتصرف.

و﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ معناه: وجب العذابُ وسبق القضاءُ به، وهذا فيمن لم يؤمن مِنْ قريش، كمن قُتل ببدرٍ وغيرهم.

[٤/ ٢٤٦] وقوله تعالى: / ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الآية؛ قال مكّيّ: هي حقيقية في أحوال الآخرة إذا دخلوا النار[١].

قال القاضي أبو محمد: وقوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الآية، يُضْعف هذا القول؛ لأَن بصر الكافر يوم[٢] القيامة إِنما هو حديد، يرى قُبْح حاله.

وقال الضحاك: معناه: منعناهم من النفقة في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩][٣].

وقال ابن عباس[٤]، وابن إسحاق: الآية استعارة لحال الكفرة الذين أَرادوا محمداً ﷺ بِسُوءٍ، فجعل الله تعالى هذه [مثالاً لهم في كفِّه إياهم عن محمد ﷺ، ومنعه منه إذايته][٥] حين بيَّتوهُ[٦].

وقال عكرمة: نزلت حين أَراد أَبو جهل ضربه بالحجر العظيم، فمنعه الله تعالى منه[٧]، وفي غير ذلك من المواطن.

وقالت فرقة: الآية مستعارة المعنى من مَنْع الله إِياهم وحَوْلِهِ بينه وبينهم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَرجح الأَقوال؛ لأَنه تعالى لمَّا ذكر أَنهم لا يُؤْمنون

---

(١) الهداية لمكي (٩/ ٦٠٠٤).
(٢) في المطبوع وأحمد٣: «بعد» بدل: «يوم».
(٣) انظر قوله في الهداية لمكي (٩/ ٦٠٠٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٧٥).
(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٠/ ٤٩٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.
(٥) في المطبوع وأحمد٣: «مثلًا لهم في كفِّ أَذاهم عنه».
(٦) الهداية لمكي (٩/ ٦٠٠٨)، بتصرف.
(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٩٥) من طريق عكرمة، به معضلًا.

لِمَا سبق لهم في الأَزل، عقَّب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإِحاطة الشقاوة ما حالُهم معه حال المغللين[(١)].

و«الغُلُّ»: ما أَحاط بالعُنُق على معنى التَّضْييق والتثبيت والتعذيب والأَسْر، ومع العُنق اليدان أَو اليد الواحدة، هذا معنى التَّغليل.

وقوله تعالى: ﴿فَهِيَ﴾ يحتمل أَن يعود على الأَغْلال، أَي: هي عريضة تبلغ بحرفها.

و﴿ٱلْأَذْقَانِ﴾ والذَّقْن: مجتَمَع اللَّحْيَيْن، فيضطر المغلول إِلى رفع وجهه نحو السماءِ، وذلك هو الإِقْمَاحُ، وهو نحو الإِقناع في الهيئة، ونحوُه ما يفعله الإِنسان والحيوان عند شرب الماءِ البارد وعند الملوحات والحموضة القوية ونحوه.

ويحتمل ـ وهو قول الطبري ـ أَن تعود ﴿هِيَ﴾ على الأَيدي ـ ولم يتقدم لها ذكر ـ لوضوح مكانها من المعنى[(٢)]، وذلك أَن الغُلَّ إنما يكون في العُنق مع اليدين.

ورُوي في مصحف ابن مسعود وأُبيٍّ: (إِنا جعلنا في أَيمانِهِمْ)[(٣)].

وفي بعضها: (في أَيديهم)[(٤)]، وقد ذكرنا معنى الإِقماح.

وقال قتادة: المُقْمَح: الرافعُ رأْسه.

وقال قتادة أَيضاً: ﴿مُّقْمَحُونَ﴾: مضللون[(٥)] عن كلِّ خير[(٦)].

---

(١) في الحمزوية: «المغلغلين»، وفي أحمد٣ والمطبوع: «المغلوبين».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٣)، بتصرف.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود رضي الله عنه في: تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٠)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٣).

(٤) وهي شاذة، أشار له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٥٩) بلا عزو.

(٥) لم أقف على هذا القول لقتادة. وفي الحمزوية والمطبوع: «مغللون».

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٤)، والهداية (٩/ ٦٠٠٥).

وأَرَى الناسَ عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه الإِقماح، فجعل يديه تحت لَحْيَيْه وأَلصقهما ورفع رأْسه[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿سُدّاً﴾ بضم السين في الموضعين[٢].

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وابن مسعود، وطلحة، وابن وثَّاب، وعكرمة، والنَّخَعي، وابن كثير: ﴿سَدًّا﴾ بفتح السين[٣].

وقال أَبو عليٍّ: قال قوم: هما بمعنى واحد، أَي: حائِلاً يسُدُّ طريقهم[٤].

وقال عكرمة: ما كان مما يفعله البشر؛ فهو بالضم، وما كان خِلْقة؛ فهو بالفتح[٥].

قال القاضي أبو محمد: و«السَّدُّ»: ما سَدَّ وحالَ، ومنه قول الأَعرابي في صفة سحاب: طَلَع سُدٌّ مع انتشار الطفل[٦]، أَي: سحابٌ سدَّ الأُفق، ومنه قولهم: جرادٌ سُدٌّ، ومعنى الآية: أَن طريق الهُدى سُدَّ دونهم.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ بالغين منقوطة، أَي: جعلنا على أَعينهم غشاوة.

وقرأَ ابن عباس، وعكرمة، وابن يَعْمر، وعمر بن عبد العزيز، والنَّخَعي، وابن سيرين: (فأعشيناهم) بالعَيْن مهملة غير منقوطة، ورويت عن النبي ﷺ[٧]، وهي من العَشَاءِ؛ أَي: أَضعفنا أَبصارهم، والمعنى: فهم لا يُبْصرون رشداً ولا هدًى.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع: «فيهما».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٢)، والسبعة (ص: ٥٣٩).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٣٧).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٨).

(٦) أمالي القالي (١/ ١٧٣).

(٧) وهي شاذة انظر: المحتسب (٢/ ٢٠٣)، وأوردها الطبري (٢٠/ ٤٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلا إسناد، فلا تصح.

وقرأ يزيد البربري: (فأَغْشَيْتُهُم) بتاءٍ[١] دون ألف، وبالغين منقوطة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

هذه مخاطبة لمحمد ﷺ، مُضَمَّنها تسلية عنهم، أَي: إنهم قد حتم عليهم بالكفر، فسواءٌ إِنذارك وتركه، والأَلف في قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ أَلِف التسوية؛ لأَنها ليست باستفهامٍ، بل المستَفْهِم[٢] والمستَفهَم مستويان في عِلْم ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿ءانذرتهم﴾ بالمدِّ.

وقرأ ابن محيصن، والزهري: (أَنْذَرْتَهُمْ) بهمزة واحدة على الخبر[٣].

و(سواء) رفع بالابتداءِ، وقوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ جملة من فعلين متعادلين يُقَدَّرَان تقدير فعل واحد هو خبر الابتداءِ، كأَنه قال: وسواءٌ عليهم جميعُ فِعْلكَ، ففسّر هذا الجميع بـ: أَنْذرتهم أَمْ لم تُنْذرهم، ومثله قولهم: سواءٌ عندي قمتَ أَم قعدتَ، هكذا ذكر أَبو علي في تحقيق الخبر، [في مثل هذا، إذ من الأَصول أن الابتداء هو الخبر][٤]، والخبر هو الابتداءُ[٥].

وقوله ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ ليس على جهة الحصر بـ: ﴿ إِنَّمَا ﴾، بل على جهة تخصيص من ينفعه الإِنذار.

---

(١) في المطبوع: «بياء»، وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٨)، والبربري تقدم ذكره. وفي المطبوع وأحمد٣: «اليزيدي»، وفي السليمانية: «ابن يزيد البربري».

(٢) في المطبوع: «المتفهم»، ولعله خطأ.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٤٠٤)، والمقصود بالمد في قراءة الجمهور الاستفهام، وهم على أصولهم في الهمزتين.

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٥) انظر الحجة للفارسي (١/ ٢٦٤).

و«اتِّباعُ الذِّكْر»: هو العملُ بما في كتاب الله تعالى والاقتداءُ به، قال قتادة: الذكرُ القرآن[١].

وقوله تعالى ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: بالخلوات عند مغيب الإِنسان عن عيون البشر.

ثم قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ فوحَّد الضمير مراعاة لِلَفْظ ﴿مَنِ﴾.

و«الأَجر الكريم»: كل[٢] ما يأْخذه الأَجير مقترناً بحمدٍ على الإِحسان وتكرمة، وكذلك هي للمؤمنين الجنة.

ثم أَخبر تعالى بإِحيائه الموتى ردّاً على الكفرة، ثمَّ توعَّدهم بذكره كتب الآثار وإِحصاءَ كلِّ شيءٍ، وكلُّ ما يصنعه الإِنسان فيدخل فيما قدم ويدخل في آثاره، ولكنه تعالى ذكر الأمر من الجهتين، وليُنَبِّه على الآثار التي تبقى وتُذكر بعد الإِنسان من خيرٍ أَو شرٍّ، وإِلَّا فذلك كله داخل فيما يقدم ابن آدم.

وقال قتادة: ﴿مَا قَدَّمُواْ﴾ معناه: من عمل، وقاله ابن زيد، ومجاهد[٣].

وقد يبقى للمرءِ أن يُسْتَنَّ / به بعد موته[٤] فيؤجر أَو يأْثم. [٤/ ٢٤٧]

ونظير هذه الآية: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، وقوله: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣][٥].

وقرأَت فرقة: ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ بالنصب، وقرأَ مسروق: (وَآثَارُهُمْ) بالرفع[٦].

وقال ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأَبو سعيد الخدري: إِن هذه الآية نزلت في

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٩).

(٢) في الأصل: «هو».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٧).

(٤) في نجيبويه: «عمل يستن»، وفي الأصل: «ما يستن»، وفيهما وفي فيض الله والسليمانية: «بعده».

(٥) قد سقطت هذه الآية من المطبوع وأحمد٣.

(٦) وهي شاذة، وقرأ كذلك: (وَيُكتب)، بالياء المضمومة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٨)، والبحر المحيط (٩/ ٥٢).

بني سَلمة حين أَرادوا النّقلة إِلى جانب المسجد[١]، وقد بيَّنا ذلك في أَول السُّورة.

وقال ثابت البُنَاني: مشيتُ مع أَنس بن مالك إِلى الصلاة فأَسرعتُ فحبسني، فلما انقضت الصلاة [قال لي: مشيت مع زيد بن ثابت إِلى الصلاة فأَسرعت في مشي فحبسني، فلما انقضت الصلاة][٢]، قال: مشيت مع النبي ﷺ إلى الصلاة فأسرعت في مشي فحبسني، فلما انقضت الصلاة قال لي: «يا زيد، أَما علمتَ أن الآثار تُكْتب»؟[٣].

قال القاضي أبو محمد: فهذا احتجاج بالآية.

وقال مجاهد، وقتادة، والحسن: الآثار في هذه الآية: الخُطَا[٤].

وحكى الثعلبي عن أَنس أنه قال: الآثار: هي الخُطَا إِلى الجمعة[٥].

---

(١) صح مرفوعاً بدون ذكر الآية، أولًا: أثر ابن عباس، أخرجه ابن ماجه (٧٨٥) والطبري (٢٠/ ٤٩٨) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة.
ثانياً: حديث جابر أخرجه مسلم (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنه مرفوعاً، به، ولكن لم يأت فيه ذكر نزول الآية الكريمة.
ثالثاً: حديث أبي سعيد أخرجه الترمذي (٣٥٠٦) من طريق أبي سفيان طريف السعدي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، طريف السعدي متفق على تضعيفه، انظر تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٧).
ثم إنه خولف فيه، فقد خالفه كل من: سعيد الجريري، كما عند مسلم (٦٦٥) وداود بن أبي هند، كما عند الدارقطني في علله (١٣/ ٣٩٧) فروياه عن أبي نضرة، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الدراقطني: والأول ـ يعني: حديث جابر ـ أصح.

(٢) سقط من الحمزوية والمطبوع، وأحمد٣، وعليه في السليمانية تضبيب. و«في مشي» في الموضعين من الأصل.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٩٨) عن محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٨١).

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٣).

[وقيل: الآثار: ما يبقى من ذكر العمل فيقتدى به فيكون للعامل أجر من عمل بسنته من بعده، وكذلك الوزر في سنن الشر][١].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصب بفعل مضمر يدل عليه ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾، كأَنه قال: وأحصينا كل شيءٍ أَحصيناه.

و«الإِمامُ»: الكتاب المقتدى به الذي هو حجَّة.

قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: أَراد اللَّوح المحفوظ[٢].

وقالت فرقة: أَراد صحف الأَعمال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾.

«ضرب المثل»: مأْخوذ من الضرب؛ أَي المُشْبِه في النوع، كما تقول: هذا ضرب هذا، واختُلف، هل يتعدى فعل ضرب المثل إِلى مفعولين أَو إِلى واحد؟ فمن قال: إِنه يتعدى إِلى مفعوليْن؛ جعل هذه الآية (مَثَلاً) و(أَصْحَابَ) مفعوليْن لقوله: (اضْرِبْ)، ومن قال: إِنه يتعدى إِلى مفعول واحد؛ جعله (مَثَلاً)، وجعل (أَصْحَابَ) بدلاً منه. ويجوز أَن يكون المفعولُ (أَصْحَابَ)، ويكون قوله: (مَثَلاً) نصب على الحال، أَي: في حال تمثيل منك.

و﴿الْقَرْيَةِ﴾ على ما رُوي عن ابن عباس، والزهري وعكرمة: أَنطاكية[٣].

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٩)، بتصرف.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٦٨) من رواية ابن إسحاق، عن ابن عباس، به معضلًا، وانظر قول الباقين في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٨٢)، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٧٢). و«عكرمة» ليس في المطبوع.

واختلف المفسرون في المرسلين:

فقال قتادة وغيره: كانوا من الحواريين الذين بعثهم عيسى عليه السلام حين رُفع وصُلب الذي أُلقي عليه شبهه، فافترق الحواريُّون في الآفاق، فقصَّ الله هنا قصة الذين نهضوا إِلى أنطاكية[١].

وقالت فرقة: بل هؤُلاءِ أَنبياءُ مِنْ قِبَل الله تعالى.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يرجِّحه قول الكفرة: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ فإِنها محاورة إِنما تقال لمن ادَّعى[٢] الرسالة من الله، والآخر محتمل.

وذكر النقاش في قصص هذه الآية شيئاً يطول، وصحَّته غير مُتيَقَّنة؛ فاختصرته.

واللازم من الآية: أن الله تعالى بعث إِليها رسولين فَدَعَيا أَهل القرية إِلى عبادة الله تعالى وحده وإِلى الهدى والإِيمان فكذبوهما، فشدَّد الله تعالى أمرهما بثالث، وقامت الحجة على أهل القرية، وآمن منهم الرجل الذي جاءَ يسعى، وقتلوه في آخر أَمره وكفروا، فأَصابتهم صيحة من السماءِ فخمدوا.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ بتشديد الزاي الأُولى، على معنى: قوَّينا وشدَّدنا، وبهذا فسَّر مجاهد وغيره[٣].

وقرأَ عاصم في رواية المفضل عن أَبي بكر: ﴿فعزَزنا﴾ بالتَّخفيف للزَّاي[٤]، على معنى: غلبناهم أمرهم.

وفي حرف ابن مسعود: (بالثالث) بأَلف ولام[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٠) بتصرف.

(٢) في المطبوع: «أدَّى».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠١)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٠)، وفي أحمد٣ والحمزوية والمطبوع: «جميع القراء».

(٤) وهما سبعيتان، الثانية لشعبة، انظر: التيسير (ص: ١٨٢)، وله وللمفضل في السبعة (ص: ٥٣٩)، الكامل للهذلي (ص: ٦٢٤).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٨٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٥).

وهذه الأُمَّة أَنكرت النُّبُوَّات بقولها: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ وراجعتهم الرُّسل بأَن رَدُّوا العلم إِلى الله، وقنعوا بعلمه، وأَعلموهم أنهم إِنما عليهم البلاغ فقط، وما عليهم من هُداهم وضلالهم، وفي هذا وعيدٌ لهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾.

قال بعض المتأَوِّلين: إِن أَهل القرية أَسرعَ فيهم الجذام عند تكذيبهم المرسلين، فلذلك قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾، وقال مقاتل: احتبس عنهم المطر فلذلك قالوه(١).

ومعناه: تشاءَمنا بكم، مأْخوذ من الحكم بالطَّير، وهو معنى متداولٌ في الأُمم، وقلَّما يستعمل (تَطَيَّرْتُ) إِلَّا في الشُّؤم، وأَما حكم الطير عند مستعمليه؛ ففي التَّيمُّن وفي الشُّؤْم، والأظهر: أن تطيُّرَ هؤلاءِ إِنما كان بسبب ما دخل قريتهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس، وهذا على نحو تطيُّر قريش بمحمد ﷺ، وعلى نحو ما خوطب به موسى.

وقال قتادة: قالوا: إِن أَصابنا شرٌّ فإِنما هو من أَجلكم.

و﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ معناه: بالحجارة، قاله قتادة(٢).

وقولهم عليهم السلام: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ معناه: حظكم وما صار إِليه(٣) من خيرٍ وشرٍّ معكم، أَي: من أَفعالكم ومن تكسباتكم، ليس هو من أَجْلنا ولا بِسَبَبِنَا، بل ببغيكم وكفركم، وبهذا / فسَّر النَّاسُ. [٤/ ٢٤٨]

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٥).

(٢) انظر القولين عن قتادة في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٢).

(٣) في الحمزوية والسليمانية وأحمد٣ والمطبوع: «لكم»، وفي نجيبويه: «بكم».

وسُمِّي الحظ والنصيب طائراً استعارة، أي هو مما يحصل عن النظر[١] في الطائر.

وكَثُرَ استعمال هذا المعنى حتى قالت المرأَة الأَنصارية: طار لنا حين اقتُسِم المهاجرون عثمانُ بن مظعون[٢]، ويقول الفقهاءُ: طار لفلان في المحاصَّة كذا وكذا.

وقرأ ابن هُرمز، والحسن، وعمرو بن عبيد: (طَيْرُكُمْ معكم)[٣].

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر: ﴿أَإِن﴾ بهمزتين الثانية مكسورة، على معنى: أَئِن ذُكِّرتم تتطيَّرون؟

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن كثير بتسهيل هذه الهمزة الثانية وردِّها ياءً ﴿أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾[٤].

وقرأَ الماجشون: (أَنْ) بفتح الأَلف[٥].

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن: (إِنْ ذُكِّرْتُمْ) بكسر الأَلف[٦].

وقرأ أَبو عمرو في بعض ما رُوي عنه، وزِرُّ بن حبيش [﴿آأن ذكرتم﴾ بمدة قبل الهمزة المفتوحة.

وقرأ زر بن حبيش][٧] أَيْضاً: (أَأَنْ) بهمزتين مفتوحتين[٨]، وشاهده قول الشاعر:

---

(١) في نور العثمانية: «التطير».

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٥) من حديث أم العلاء الأنصارية.

(٣) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٢٥).

(٤) وهما سبعيتان، وأدخل قالون وأبو عمر وهشام حسب أصولهم التي تقدمت الإشارة لها.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢٠٤).

(٦) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٩٨).

(٧) سقط من الأصل والمطبوع وأحمد٣ والسليمانية.

(٨) عزاها لزر الكرماني في الشواذ (ص: ٣٩٨)، دون تعرض لتحقيق الهمز من عدمه، ثم إن الأولى إن كانت بتشديد الكاف فشاذة، وإلا فعشرية لأبي جعفر كما في النشر (١/ ٣٧١)، لأنه يقرأ بالإدخال، وأما أبو عمرو فلم أجد له فيها شيئاً.

[الطويل] أَأَنْ كنتَ ذَا بُرْدَيْن أَحْوَى مُرَجَّلاً فَلَسْتَ بِرَاعٍ لابنِ عَمِّكَ مَحْرَمَا[(١)]

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع، والأَعمش: (أَيْنَ) بسكون الياءِ (ذُكِرْتُمْ) بتخفيف الكاف، فهي (أَيْنَ) المنقولة في الظرف، وهذه قراءَة خالد، وطلحة، وقتادة، والحسن في تخفيف الكاف فقط[(٢)].

ثمَّ وصفهم تعالى بالإِسراف والتَّعدِّي.

وأَخبر تعالى ذكره عن حال رجل جاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ، سمع المرسلين وفهم عن الله، فجاءَ يسعى على قدميه وسمع قولهم، فلما فهمه رُوي أَنه تعقَّب أَمرهم وسَبَرَه بأن قال لهم: أَتطلبون على دعوتكم هذه أَجراً؟ قالوا: لا، فدعا عند ذلك قومه إِلى اتباعهم [والإِيمان بهم][(٣)] إِذ هو الحق، ثم احتجَّ عليهم بقوله: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾، أَي: وهم على هدًى من الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية حاكمة بنقص من يأْخذ أُجرة[(٤)] على شيءٍ من أَفعال الشرع التي هي لازمة له كالصلاة ونحوها[(٥)]، فإِنها كالتبليغ لمن بعث، بخلاف ما لا يلزمه كالإمارة والقضاءِ[(٦)]، وقد ارتزق أَبو بكر الصديق رضي الله عنه[(٧)].

---

(١) البيت لعمرو بن العاص، كما في سيرة ابن اسحاق (ص: ١٦٩)، وهو في الأغاني (٩/ ٧٢)، وعيون الأخبار (١/ ١٥)، ونسب قريش (ص: ٣٢٢)، بلفظ: «وإن كنت»، وفي أنساب الأشراف (١/ ٢٣٣): «إذا كنت».

(٢) الأولى شاذة، انظر عزوها للأعمش في مختصر الشواذ (ص: ١٢٥)، وأما الثانية، فهي عشرية لأبي جعفر، انظر: النشر (٢/ ٣٥٣).

(٣) سقط من الأصل.

(٤) سقط من الأصل.

(٥) انظر هذا المعنى في بدائع الصنائع (٤/ ١٩١)، وحاشية ابن عابدين (٥/ ٣٤)، ومغني المحتاج (٢/ ٣٤٤).

(٦) لأنه رزق من بيت المال أو الوقف وهو جائز الأخذ، انظر: المغني (٣/ ٢٣١).

(٧) أخرج ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٤) قال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال أخبرنا هشام الدستوائي قال أخبرنا عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب =

ورُوي عن أَبي مجلز، وكعب الأَحبار، وابن عباس: أَن اسم هذا الرجل حبيب، وكان نجاراً[١].

وكان ـ فيما قال وهب بن مُنَبِّه ـ قد تجذَّم، وقيل: كان في غار يعبد ربَّه[٢].

وقال ابن أَبي ليلى: سُبَّاق الأُمم ثلاثة لم يكفروا بالله قطُّ طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون[٣].

وذكر الناسُ في أَسماءِ الرسل: صادق ومصدوق وشلوم، وغير هذا، والصِّحَّة معدومة، فاختصرتُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّىٓ إِذٗا لَّفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِى يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾.

قرأَ الجمهور: ﴿وَمَا لِىَ﴾ بفتح الياءِ، وقرأَ الأَعمش، وحمزة بسكون الياءِ[٤]، وقد تقدم مثل هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ﴾ تقرير لهم ـ على جهة التوبيخ ـ في هذا الأَمر الذي يشهد العقل بصحته، إِنَّ من فَطَر واخترع وأَخرج من العدم إِلى الوجود فهو الذي يستحق أَن

= يتجر بها فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن: أين أطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة. وعطاء لم يدرك أبا بكر، وقد اختلط عطاء، وسماع الدستوائي منه في الاختلاط.

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٠٤) من طريق ابن إسحاق، فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

(٢) انظره مع قول كعب وأبي مجلز في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٤)، بتصرف.

(٣) انظره مع الأسماء التي بعده في تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٦).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٥).

يُعبد، ثم أَخبرهم بأَنهم يُحشرون إِليه يوم القيامة. ثم وقفهم أَيضاً ـ على جهة التوبيخ ـ على اتخاذ الآلهة من دون الله، وهي لا تَرُدُّ عن الإنسان المقادير التي يريدها الله به، لا بقوَّة منها ولا بشفاعة.

وقرأَ طلحة السَّمان، وعيسى الهمْداني: ﴿إِن يُرِدْنيَ﴾ بياءٍ مفتوحة، ورُويت عن نافع، وعاصم، وأَبي عمرو[١].

ثم صَدَع رضي الله تعالى عنه بإِيمانه وأَعلن فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾، واختلف المفسرون: فقال ابن عباس[٢]، وكعب، وَوَهْب: خاطب بها قومه[٣].

قال القاضي أبو محمد: على جهة المبالغة والتَّنْبيه.

وقيل: خاطب بها الرُّسل على جهة الاستشهاد بهم، والاستحفاظ للأَمر عندهم.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ بكسر النون على نيَّة الياءِ بعدها.

وروى أَبو بكر عن عاصم: (فاسمعونَ) بفتح النون، قال أَبو حاتم: هذا خطأٌ لا يجوز؛ لأَنه أَمْرٌ، فإِما حذفُ النون، أَو كسرُها على نيَّة الياءِ[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهنا محذوف تواترت به الأَحاديث والروايات، وهو أَنهم قتلوه[٥]، واخْتُلف، كيف؟

(١) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٦)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: **٣٩٩**) لطلحة وعيسى، ولم أجدها للباقين.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (**٢٠/ ٥٠٤**) من طريق ابن إسحاق، فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

(٣) تفسير الطبري (**٢٠/ ٥٠٦**)، ومعاني القرآن للنحاس (**٥/ ٤٨٧**).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها لعاصم في الشواذ للكرماني (ص: **٣٩٩**)، وقول أبي حاتم في البحر المحيط (**٩/ ٥٧**).

(٥) ضعيف، الحديث رواه أبو يعلى في مسنده (**٣/ ١٧٣**) من طريق علي بن زيد بن جدعان، به معضلاً، ورواه الحاكم (**٣/ ٦١٥-٦١٦**) من طريق ابن لهيعة، به معضلاً كذلك.

قال قتادة وغيره: رجموه بالحجارة[١].

وقال ابن مسعود: مَشوْا عليه بأَقدامهم حتى خرج قُصْبُه من دُبُره[٢].

فقيل له عند موته: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وذلك ـ والله أعلم ـ بأَن عُرِض عليه مقعده منها، وتحقَّق أَنه من سكانها برؤْيته ما أَقَرَّ عينه، فلما تحصَّل له ذلك تمنَّى أَن يعلم قومه بذلك.

وقيل: أَراد بذلك الإِشفاق والنُّصح لهم، أَي: لو علموا بذلك لآمنوا بالله.

وقيل: أَراد أَن [يعلموا ذلك][٣] فيندموا على فعلهم به ويحزنهم ذلك، وهذا موجود في جِبِلَّة البشر، إِذا نال خيراً في أَرض غربة ودَّ أَن يعلم ذلك جيرانه وأَترابه الذين نشأَ فيهم؛ ولا سيَّما في الكرامات، ونحو من ذلك قول الشاعر:

والعِزُّ مَطْلُوبٌ ومُلْتَمَسٌ وأَحَبُّهُ ما نيل في الْوَطَنِ[٤] [الكامل]

قال القاضي أبو محمد: والتأْويل الأَول أَشبه بهذا العبد الصالح، وفي ذلك قال النبي ﷺ: «نصح قومه حيّاً وميتاً»[٥]، وقال قتادة بن دِعامة: نصحهم على حالة الغضب والرضا، وكذلك لا تجد المؤمن إِلَّا ناصحاً للناس[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٨٧).

(٢) لا يصح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٠٨) عن ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن بعض أصحابه: أن ا بن مسعود كان يقول.

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣، وفيهما: «يندموا» بلا فاء.

(٤) البحر المحيط (٩/ ٥٨)، بلا نسبة، وكان الصاحب ينشده كثيراً، كما في «أحسن ما سمعت» للثعالبي (ص: ٥٥)، وانظر: يتيمة الدهر (٣/ ٢٣٦)، ومعجم الأدباء (٤/ ١٧٩٩). وفي المطبوع وأحمد٣: «ما كان».

(٥) ضعيف جداً، أخرجه ابن مردويه في تفسيره، كما في تخريج الكشاف (٣/ ١٦٣) من حديث المغيرة بن شعبة، رضي الله عنه مرفوعاً، به، وفي إسناده: عمر بن إسماعيل بن مجالد، وهو متروك الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٢٧٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٩).

و(ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَا﴾ يجوز أَن تكون مصدرية، أَي: بغفران ربِّي لي، ويجوز أن تكون بمعنى الذي، وفي ﴿غَفَرَ﴾ ضمير عائد.

قال الزهراوي: ويجوز أَن تكون استفهاماً، ثم ضعَّفه[١].

[٤/ ٢٤٩] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا / عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

هذه مخاطبة لمحمد ﷺ، فيها توعُّد لقريش، إِذ هو المروِّع لهم من المثال أَنْ ينزل بهم من عذاب الله ما نزل بقوم حبيب النجار، فنفى عزَّ وجلَّ؛ أي: أَنه أَنزل على قوم هذا الرجل جنداً من السماءِ، قال مجاهد: أَراد أَنه لم يرسل رسولاً ولا استَعْتَبَهُم[٢].

وقال ابن مسعود: أَراد أَنه لم يحتج في تعذيبهم إِلى جُند من جُنْد الله كالحجارة والغرق والريح وغير ذلك، بل كانت صيحة واحدة؛ لأَنهم كانوا أَيسر وأَهون من ذلك[٣].

قال قتادة: والله ما عاتب اللهُ تعالى قومه بعد قتله حتى أَهلكهم[٤].

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾:

فقالت فرقة: (ما) نافية، وهذا يجري مع التأْويل الثاني في قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ﴾.

---

(١) لم أقف عليه، وفي أحمد٣ والمطبوع: «الزهري»، وهذا قول الفراء في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٤)، وانظر: البحر المحيط (٩/ ٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥)، بتصرف.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥١٠) من طريق ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود. وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٠) بتصرف.

وقالت فرقة: ﴿مَا﴾ عطفٌ على ﴿جُندٍ﴾، أَيْ: مِن جُنْد ومِنَ الذي كنَّا منزلين على الأُمم مثلهم قبل ذلك.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِلَّا صَيْحَةً﴾ بالنصب على خبر (كان)، أَي: ما كان عذابهم إِلَّا صيحةً واحدةً.

وقرأَ أَبو جعفر، ومعاذ بن الحارث[1]: ﴿إِلَّا صَيْحَةٌ واحِدَةٌ﴾ بالرفع[2]، وضعفها أَبو حاتم[3]، والوجه فيها أنها ليست (كان) التي تطلب الاسم والخبر، وإِنما التقدير: ما وقعت أَو حدثت إِلَّا صيحةٌ واحدةٌ.

وقرأَ ابن مسعود، وعبد الرحمن بن الأَسود: (إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً)[4].

وهي الصيحة من الديك ونحوه من الطير.

و﴿خَامِدُونَ﴾: ساكتون موتى لاطئون بالأَرض، شُبِّهوا بالرماد الذي خمدت ناره وطُفئت.

وقوله: ﴿يَاحَسْرَةً﴾ نداءٌ لَها على معنى: هذا وقتُ حضوركِ وظُهوركِ، هذا تقدير نداءِ مثلِ هذا عند سيبويه، وهو معنى قويم في نفسه، وهو منادى منكور على هذه القراءَة.

وقال الطبريُّ: المعنى: يا حسْرَةَ العبادِ على أَنفسهم، وذكر أَنها في بعض القراءَات كذلك[5].

---

(١) هو معاذ بن الحارث بن الأرقم الأنصاريّ الخزرجي، أبو حليمة، القاري، قال أبو عمر: شهد الخندق. وقيل: لم يدرك من حياة النبي ﷺ إلا ست سنين، وقد روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وروى عنه نافع مولى ابن عمر، الإصابة (٦/ ١٠٩).

(٢) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٣)، وانظر موافقة معاذ بن الحارث في المحتسب (٢/ ٢٠٦).

(٣) انظر قول أبي حاتم في تفسير القرطبي (١٥/ ٢١).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٢٠٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٤).

(٥) انظر ذلك في تفسير الطبري (٢٣/ ٢)، وهي شاذة كما سيأتي.

وقال ابن عباس: المعنى: يا ويلاً للعباد[١].

وقرأ ابن عباس، والضحاك، وعلي بن الحسين، ومجاهد، وأُبيٌّ بن كعب: (يا حسرة العباد) بالإِضافة[٢].

وقولُ ابن عباس حَسَنٌ مع قراءَته.

وتأْويل الطبري في ذلك القراءَة الأُولى ليس بالبَيِّن، وإِنما يتجه أَن يكون المعنى تلهُّفاً على العباد كأن الحال يقتضيه، وطباعُ كل بشر تُوجب عند سماعه حالهم وعذابهم على الكفر وتَضْييعَهم أَمر الله تعالى أَن يُشفق ويتحسر على العباد.

وقال أَبو العالية: المراد بالعباد الرسل الثلاثة، فكأَن هذا التحسُّر هو من الكفار، حين رأَوْا عذاب الله تلَهَّفُوا على ما فاتهم[٣]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ الآية، يدافع هذا التأْويل.

و«الحسرة»: التَّلَهُّفَات التي تترك صاحبها حسيراً.

وقرأ الأَعرج، ومسلم بن جندب، وأَبو الزناد: (يَا حَسْرَهْ) بالوقف على الهاءِ[٤]، وذلك على الحرص على بيان معنى التحسر[٥] وتقريره للنفس، والنطقُ بالهاءِ في مثل هذا أَبلغ في التشفيق وهزِّ النفس، كقولهم: أَوَّهْ، ونحوه.

وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ الآية، تمثيل لفعل قريش.

ثم عَنَاهم بقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾، و﴿كَمْ﴾ هنا خبرية، و﴿أَنَّهُمْ﴾ بدلٌ منها، والرُّؤْية رُؤْية البصر.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥١٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (٢/ ٢٠٧)، وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٩٩).

(٣) تفسير الماوردي (٥/ ١٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٢٧).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (٢/ ٢٠٧).

(٥) في المطبوع: «الحسرة».

وفي قراءَة ابن مسعود: (أَولم يَرَوْا مَن أَهلَكنا)[١].

وقرأ جمهور القراء: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بفتح الألف.

[وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (إنهم) بكسرها][٢].

وقرأ جمهور الناس: ﴿لَمَا﴾ بتخفيف الميم، وذلك على زيادة (ما) للتأْكيد، والمعنى: لَجَميعٌ.

[وقرأ الحسن وابن جبير وعاصم: ﴿لَّمَّا﴾ بشد الميم][٣]، وقالوا: هي منزلة بمنزلة: إِلَّا.

وقيل: المراد: (لَمِمَّا) حذفت الميم الواحدة[٤]، وفيه ضعف.

وفي حرف أُبَيٍّ: (وَإِنَّ منهم إِلَّا جميعٌ)[٥].

قال قتادة: محشورون يوم القيامة[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٥).

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٩٠). وفي المطبوع وأحمد٣: «وكَسَرَها الحسن البصريُّ».

(٣) وهما سبعيتان، ومع عاصم حمزة وابن عامر، انظر: التيسير (ص: ١٢٦)، وفي المطبوع: «وشدَّدها الحسن، وابن جُبَيْر، وعاصم».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «حذفت إحداهما».

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٩١).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٤).

(آيةٌ) معناه: علامة على الحشْر وبعث الأَجساد، والضمير في ﴿لَّهُمُ﴾ يراد به كفار قريش.

وقرأَ نافع، وشيبة، وأَبو جعفر: ﴿الْمَيِّتَةُ﴾ بكسر الياءِ وشدها.

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم بسكون الياءِ خفيفة[1]، وإِحياؤُها بالمطر.

وقرأ الجمهور: ﴿ثَمَرِهِۦ﴾ بفتح الثاءِ والميم.

وقرأَ طلحة، وابن وثاب، وحمزة، والكسائي بضمهما[2].

وقرأَ الأعمش: (من ثُمْره) بضم الثاءِ وسكون الميم[3].

والضمير في ﴿ثَمَرِهِۦ﴾ قالت فرقة: هو عائد على الماءِ الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾؛ لأَن التقدير: (ما).

وقالت فرقة: هو عائد على جميع ما تقدم مُجْمَلاً، كأَنه قال: من ثَمَر ما ذكرنا.

وقال أَبو عبيدة: هو من باب أَن يذكر الإِنسان شيئْين أَو ثلاثة ثم يعيد الضمير على واحد ويكني عنه[4]، كما قال الأَزرق بن طرفة بن العمرّد الفراصيُّ[5] الباهليُّ:

[الطويل]
رَمَانـي بأَمْرٍ كنْـتُ منْـهُ وَوَالِدِي ... بَريئاً ومِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَاني[6]

(١) من المطبوع وأحمد٣، وهما سبعيتان، الأولى لنافع والتخفيف للباقين، انظر: التيسير (ص: ١٠٦)، النشر (٢/ ٢٢٤).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٠٥).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٧٠)، وانظر: تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٧). وكتبت في المطبوع: «الأعمس».

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١٦١)، بتصرف يسير.

(٥) سقط «بن العمرد الفراصي» من السليمانية، وفي أحمد٣: «القرصي»، وفي مجاز القرآن (٢/ ١٦١) أنه من بني فراص من باهلة.

(٦) كذا في مجاز القرآن (٢/ ١٦١)، والمجموع اللفيف (ص: ٤٧٢)، والمعروف أنه لابن الأحمر، كما تقدم في أول تفسير (سورة يونس).

قال القاضي أبو محمد: وهذا الوجه في الآية ضعيف.

و(مَا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾، قال الطبريُّ: هي اسم معطوف على (الثمر)، أَي: ويقع الأَكلُ من الثَّمر وممَّا عملته الأَيدي بالغرس والزراعة ونحوه[1].

وقالت فرقة: هي مصدرية، وقيل: هي نافية، والتقدير: إِنهم يأْكلون من ثمره وهو شيءٌ لم تعمله أيديهم، بل هي نعمة من الله تعالى عليهم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿عَمِلَتْهُ﴾ بهاءِ الضمير.

وقرأَ حمزة والكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر، وطلحة وعيسى: ﴿عَمِلَتْ﴾ بغير ضمير[2].

ثم نزَّه تعالى نفسه تنزيهاً مطلقاً في كل ما يُلحد به ملحد، أَو يشرك به مشرك.

و﴿الْأَزْوَاجَ﴾: الأَنواع من جميع الأشياء.

وقوله: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ نظيره قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾. [٤/ ٢٥٠]

هذه الآيات جعلها الله تعالى أَدلة على القدرة ووجوب الأُلوهية له.

و﴿نَسْلَخُ﴾ معناه: نكشِطُ ونَقْشر، فهي استعارة.

و﴿مُظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظلام.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٥)، بتصرف يسير، وسقط «قال الطبري» من الأصل.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٥٤٠)، التيسير (ص: ١٨٤). وفي الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «جمهور القراء».

واستدل قوم من هذه الآية على أَن اللَّيل أَصل والنهار فرع طارئ عليه. وفي ذلك نظر.

و«مُسْتَقَرُّ الشَّمْسِ» ـ على ما روي في الحديث عن النبي ﷺ من طريق أَبي ذرٍّ ـ بيْن يدي العرش، تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها(١).

وفي حديث آخر: أَنها تسجد في عين حمئة ولها ثَمَّ وجبة عظيمة(٢).

وقالت فرقة: مُسْتَقَرُّهَا: هو في يوم القيامة حين تُكوَّر، فهي تجري لذلك المستَقَرِّ.

وقالت فرقة: مُسْتَقَرُّهَا: كناية عن غيوبها؛ لأَنها تجري كل وقت إِلى حدٍّ محدود تَغْرُب فيه.

وقيل: مُسْتَقَرُّهَا: آخر مطالعها في المنقلبَيْن لأَنها(٣) نهايتا مطالعها، فإِذا استقر وصولها كرَّت راجعة، وإِلَّا فهي لا تستقر عن حركتها طرفة عين، ونحا إِلى هذا ابن قُتَيْبَة(٤).

وقالت فرقة: مُستقرها وقوفها عند الزوال في كل يوم، ودليل استقرارها وقوف ظلال الأَشياءِ حينئذ.

وقرأَ ابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وعطاءُ بن أَبي رباح، وأَبو جعفر محمد ابن علي، وجعفر بن محمد: (الشمس تجري لا مستقر لها)(٥).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٢٧) ومسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٢) لا بأس بإسناده، لكن حديث الصحيحين أولى، وأخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه (٣٩٩٨) من طريق يزيد بن هارون، ثنا سفيان بن حسين، عن الحكم بن عتيبة، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً، به. وفي الأصل: «تغرب».

(٣) في فيض الله: «لأنهما».

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص: ٣١٦)، بتصرف.

(٥) وهي قراءة شاذة لمخالفتها للرسم، انظر: المحتسب (٢/ ٢١١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٢٨). وسقط ذكر «ابن مسعود» من الأصل.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرٍو، والحسن، والأَعرج: ﴿والْقَمَرُ﴾ بالرفع عطفاً على قوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ ﴾، عطف جملة على جملة.

ويصح وجه آخر، وهو أَن يكون قوله ﴿ وَءَايَةٌ ﴾ ابتداءً وخبره محذوف، كأنه قال: في الوجود والمشاهدة، ثم فسَّر ذلك بجملتين من ابتداءٍ وخبر وابتداءٍ وخبر، [الأولى منهما: ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾، والثانية: ﴿وَٱلۡقَمَرُ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾][١].

وقرأَ الباقون: ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ ﴾ بنصب (القمر) على إِضمار فعل يُفَسِّره ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾، وهي قراءَة أَبي جعفر، وابن محيصن، والحسن بخلاف عنه[٢].

و﴿مَنَازِلَ﴾ نصب على الظرف، وهذه المنازل هي المعروفة عند العرب، وهي ثمانية وعشرون منزلاً، يقطع القمر منها في كل ليلة أَقلَّ من واحدة فيما يزعمون، وعودتُه هي استهلاله رقيقاً، وحينئذ يُشبه العرجون، وهو الغُصن من النخلة الذي فيه شماريخ التمر، فإِنه ينحني ويصفَرُّ إِذا قدم، ويجيءُ أَشبه شيءٍ بالهلال، قاله الحسن بن أَبي الحسن[٣]، والوجود يشهد به.

وقرأ سليمان التيميُّ: (كَالْعِرْجَوْنِ) بكسر العيْن[٤].

و﴿ٱلۡقَدِيمِ ﴾ معناه: العتيق الذي قد مرَّ عليه زمن طويل.

و﴿ يَنۢبَغِي﴾ هنا مستعملة فيما لا يمكن خلافه؛ لأَنها لا قدرة لها على غير ذلك.

وقرأَ الجمهور: ﴿سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ بالإِضافة.

وقرأ عمارة: (سابقُ النهارَ) بدون تنوين في القاف وبنصب (النَّهَارَ)، ذكره

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «الليلُ واحدة، والقمر ثانية».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٤)، النشر (٢/ ٣٥٣)، وانظر قراءة ابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٥).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٦).

الزهراوي؛ وقال: حذف التنوين تخفيفاً[١].

و«الْفَلَكُ» فيما روي عن ابن عباس: متحرك مستدير كفلكة المغزل، فيه جميع الكواكب[٢].

و﴿يَسْبَحُونَ﴾ معناه: يجرون ويعومون.

قال مكي: لما أسند إليها فعل من يعقل جُمعت بالواو والنون[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿وَءَايَةٌ﴾ معناه: وعلامةٌ ودليلٌ، ورفعها بالابتداءِ، وخبره في قوله: ﴿لَّهُمْ﴾، و﴿أَنَّا﴾ بدلٌ من (آيةٌ)، وفيه نظر، ويجوز أن تكون (أَنْ) مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب.

و«الحَمْلُ»: منعُ الشيءِ أن يذهب سفلاً.

وذكر الذريَّة لضعفهم عن السفر، فالنعمة فيهم أَمكن.

وقرأَ نافع، وابن عامر، والأَعمش: ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ بالجمع.

وقرأَ الباقون بالإِفراد، وهي قراءَة طلحة، وعيسى[٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٨٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٧). وعمارة هو بن عقيل بن بلال بن جرير، تقدم ذكره في (سورة البقرة). وفي السليمانية والحمزوية وأحمد٣ ونجيبويه والمطبوع: «عبادة».

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٢٠) عن محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم ابن عبد الله العجلي، قال: ثنا شعبة، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وشعبة لم يدرك البطين، وعن ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله، وهذا إسناد صحيح.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/ ٤٧٩)، بتصرف.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٤)، والسبعة (ص: ٥٤٠).

والضمير المتصل بالذرِّيَّات هو ضمير الجنس، كأَنه قال: ذريات جنسهم أو نوعهم، هذا أَصحُّ ما يتَّجه في هذا، وخلط بعض الناس في هذا حتى قالوا: الذُّرِّيَّة تقع على الآباءِ، وهذا لا يُعرف لغةً[١].

وأَما معنى الآية؛ فيحتمل تأْويلين:

أَحدهما: قاله ابن عباس وجماعة، وهو أَن يريد [بالذرِّيَّات المحمولين: أَصحابَ نوح عليه السلام في السفينة، ويريد بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾][٢]: السُّفُنَ الموجودة في جنس بني آدم إِلى يوم القيامة، وإِيَّاها أَراد بقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾[٣].

والتأْويل الثاني: قاله مجاهد، والسدي، وروي عن ابن عباس أَيضاً[٤]، هو أَن يريد بقوله: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ الآية، السُّفُنَ الموجودة في بني آدم إِلى يوم القيامة، ويريد بقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ الآية، الإِبلَ وسائر ما يُركب، فتكون المماثلة في أَنه مركوب مُبلِّغ إِلى الأَقطار فقط، ويعود قوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ على السُّفن الموجودة في الناس[٥].

وأَما من خلط القولين فجعل الذرِّية والفلك في قوم نوح وسفينته، وجعل ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ في الإِبل، فإِن هذا نظر فاسد يقطع به قوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، فتأَمله.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ جمعٌ، وعلى وزنه هو الإِفرادُ، ولكن ليست حركاتُ الجمع حركات الإِفراد.

و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: / معناه: المُوقَر. [٤/ ٢٥١]

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٥/ ١٩).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٢٣) من طريق محمد بن فضيل بن غزوان، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف، عطاء، هو ابن السائب، وكان قد اختلط، ولم يذكر أحدٌ رواية ابن غزوان عنه فيمن سمع منه قبل اختلاطه.

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ١٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٢٩)، والهداية لمكي (٩/ ٦٠٤١) بتصرف.

و﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ يتَّجه على أَحد التأْويلين أَن تكون للتبعيض، وعلى التأْويل الآخر أَن تكون لبيان الجنس، فانظره، ويقال: الإِبل مراكب البر.

و«الصَّريخُ» هنا بناءُ الفاعل، بمعنى: المُصْرِخ، وذلك أَنك تقول: صارخ بمعنى مستغيث، ومُصْرِخ بمعنى مُغيث، ويَجيءُ صريخ مرةً بمعنى هذا ومرة بمعنى هذا؛ لأَن فعيلاً من أَبنية اسم الفاعل، فمرة: يجيءُ من أَصْرَخَ، ومرة: من صرخ: إذا استغاث[١].

وقوله: ﴿إِلَّا رَحۡمَةً﴾ قال الكسائي: نصب ﴿رَحۡمَةً﴾ على الاستثناءِ، كأَنه قال: إِلا أن يرحمهم رحمة[٢].

وقال الزجاج: نصب على المفعول من أَجله، كأَنه قال: إِلَّا لأَجل رحمتنا إِيَّاهم[٣].

وقوله: (متاعاً) عطف على قوله ﴿رَحۡمَةً﴾.

وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ يريد: إلى آجالهم المضروبة لهم.

قال القاضي أبو محمد: والكلام تامٌّ في قوله: ﴿وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ﴾، وقوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ استئناف إِخبار عن السائرين في البحر، ناجين كانوا أَم مغرقين، فهم بهذه الحال لا نجاة لهم إِلَّا برحمة الله. وليس قوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ مربوطاً بالمُغْرقين، وقد يصح ربطه به، والأَول أَحسن فتأَمله.

ثم ابتدأَ الإِخبار عن عُتوِّ قريش بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ الآية.

و«مَا بَيْنَ أَيْديهم»: قال مقاتل، وقتادة: هو عذاب الأُمم التي سبقتهم في الزمن، و«ما خلفهم»: هو عذاب الآخرة التي يأْتي من بعدهم في الزمن، وهذا هو النظر.

وقال الحسن: خُوِّفوا بما مضى من ذنوبهم وبما يأْتي منها[٤].

---

(١) في المطبوع: «فمرة: يجيءُ من صَرَخَ إِذا استغاث، ومرة: يجيءُ من أَصْرَخَ إِذا أَغاث».

(٢) سقط من الحمزوية والمطبوع.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٨٩)، بتصرف يسير، وقد سقط قوله هذا من الأصل.

(٤) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٩).

قال القاضي أبو محمد: وهذا نحو الأَول في المعنى؛ لأَن التخويف بالذنب إِنما هو من عقابه والمجازاة عليه. وقال مجاهد: (ما بين أيديهم): هو الآخرة، و(ما خلفهم): هو عذاب الأُمم.

قال القاضي أَبو محمد: فجعل التَّرتيب كأَنهم يسيرون من شيءٍ إلى شيءٍ، ولم يعتبر وجود الأَشياءِ في الزمن، وهذا النظر يكسره[1] عليه قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦]، وإِنما المُطَّرد أن يقاس ما بين اليد والخلف بما يسوقه الزمن، فتأَمله. وجواب ﴿إِذَآ﴾ في هذه الآية محذوف، تقديره: أَعرضوا، يفسره قوله عزَّ وجلَّ بعد ذلك: ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

و«الآيات»: العلاماتُ والدلائل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾ لِقُرَيش، وسبب هذه الآية: أَن الكفار لما أَسلم حواشيهم من الموالي وغيرهم من المستضعفين، قطعوا عنهم نفقاتهم وجميع صِلاتهم، وكان الأَمر بمكة أَولاً فيه بعض الاتصال في وقت نزول آيات المُوَادعة، فندب أُولئك المؤمنون قرابتهم من الكفار أَن يصلوهم، وأَن ينفقوا عليهم مما رزقهم الله، فقالوا عند ذلك: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ قال الرماني: ونسوا ما يجب من التعاطف وتأَلف المحقين[2].

---

(١) في المطبوع: «يكره».

(٢) سبب النزول وكلام الرماني لم أقف عليهما. وفي المطبوع وأحمد٣: «الجنس». وفي نور العثمانية وفيض الله: «التحقيق».

وقالت فرقة: سببها: أَن قريشاً شحَّت ـ بسبب أَزْمة ـ على المساكين جميعاً من مؤمن وغيره، وندبهم النبي ﷺ إِلى النفقة على المساكين، فقالوا هذا القول[١].

وقولهم يحتمل معنيين من التأْويل:

أَحدهما: يخرج على اختبارات لجهال العرب، فقد رُوي: أَن أَعرابياً كان يرعى إِبله، فيجعل السِّمان في الخصب، والمهازيل في المكان الجدب، فقيل له في ذلك فقال: أُكرم ما أَكرم الله وأُهين ما أَهان الله[٢]، فيخرج قول قريش على هذا المعنى، كأَنهم رأَوا الإِمساك عمَّن أَمسك الله عنه رزقه؛ ومن أَمثالهم: كن مع الله على المدبر[٣].

والتأْويل الثاني: أَن يكون كلامهم بمعنى الاستهزاءِ بقول محمد ﷺ: إِن ثمَّ إِلهاً هو الرَّزَّاق، فكأَنهم قالوا: لِمَ لا يرزقهم إِلهُكَ الذي تزعم؟ أَي: نحن لا نطعم من لو يشاءُ هذا الإله الذي زعمت لأَطعمه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كما يدَّعي الإِنسان أَنه غنيٌّ ثم يحتاج إِلى معونتك في مال فتقول له على جهة الاحتجاج والهُزْء به: أَتطلب معونتي وأَنت غنيٌّ؟ أَي: على قولك.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل أَن يكون من قول الكفرة للمؤمنين، أَي: في أَمركم لنا في نفقة أَموالنا، وفي غير ذلك من دينكم، ويحتمل أَن يكون من قول الله عزَّ وجلَّ للكفرة، استأْنف زجرهم بهذا.

ثم حكى عنهم ـ على جهة التقرير عليهم ـ قولَهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ أي: متى يوم القيامة الذي تزعم؟ وقيل: أَرادوا: متى هذا العذاب الذي تتهدَّدُنا به؟ وسمَّوا ذلك

---

(١) لم أقف على تفسير مأثور لهذه الآية الكريمة.

(٢) نقله تفسير الثعالبي (٥/ ١٥).

(٣) قال الخوارزمي في الأمثال المولدة (ص: ٢٠٢): يستعمل للرجل إذا كان يتبع كل ريح، ونقله في محاضرات الأدباء (١/ ٥٨٦) من قول بعض اللصوص لبعض أصحابه. وفي الأصل ونجيبويه: «كالمدبر».

وعداً من حيث تفيد قرائن الكلام أَنه في شرٍّ، والوعد متى وَرَدَ مطلقاً فهو في خير، وإِذا قُيِّد بقرينة الشَّرِّ استعمل فيه، والوعيد دائماً هو في الشَّرِّ.

و﴿يَنظُرُونَ﴾ معناه: ينتظرون، و﴿مَا﴾ نافية، وهذه الصيحة هي صيحة القيامة والنفخة الأُولى في الصُّور، رُوي ذلك عن عبد الله بن عمر[1]، وأَبي هريرة عن النبي ﷺ، وفي حديث أَبي هريرة: أن بعدها نفخة الصَّعق، ثم نفخة الحشر، وهي التي تدوم فما لها من فَواق[2].

وقـرأَ ابن كثير، وأَبـو عمرو، والأَعـرج، وشبل، وابن قسطنطين المكي[3]: ﴿يَخَصِّمُونَ﴾ بفتح الياءِ والخاءِ وتشديد الصاد المكسورة، وأَصلها يَخْتَصِمُونَ، نقلت حركة التاءِ إِلى الخاءِ وأُدغمت التاءُ الساكنة في الصَّاد / . [٤/ ٢٥٢]

---

(١) أخرج ابن عدي في ترجمة بهلول بن عبيد من الكامل (٢/ ٦٥) من طريق: الحسن بن قزعة ثنا بهلول سمعت سلمة بن كهيل عن بن عمر قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا في النشور وكأني بهم عند الصيحة وهم ينفضون شعورهم من التراب يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»، قال ابن عدي: ولبهلول هذا غير ما ذكرت من الحديث قليل وأحاديثه عمن روى عنه فيه نظر، وهذه الصيحة هي الصيحة الثانية وهي صيحة البعث من القبور، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (١/ ٨٣) من طريق ابن عدي ثم قال: هذا مرسل عن سلمة بن كهيل، عن ابن عمر، وبهلول بن عبيد تفرد به وليس بالقوي، ثم أخرجه من طريق: عبد الباقي بن قانع، ثنا حمزة بن داود بن سليمان المؤدب، بالأيلة، ثنا الحسن بن عرعرة، حدثنا بهلول بن عبيد، عن سلمة بن كهيل، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، وكأني بهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» وقال: كذا في الأمالي: الحسن بن عرعرة. ولعل الصواب الحسن بن قزعة. اهـ. وليس فيه ذكر الصيحة.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٣٣) ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، شيخ الإقراء بمكة، أبو إسحاق، مولى بني مخزوم، ويقال له: إسماعيل القسط، قرأ على ابن كثير، وصاحبيه شبل، ومعروف، أقرأ مدة، قرأ عليه: أبو الإخريط وغيره، توفي سنة (١٧٠هـ)، أو (١٩٠هـ). تاريخ الإسلام (١١/ ٤٠).

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو أَيضاً: ﴿يَخْصِّمُونَ﴾ بفتح الياءِ وسكون الخاءِ وشدِّ الصَّاد المكسورة، وفي هذه القراءَة جمع بين ساكنين ولكنه جمع ليس بمحْض، ووجَّهها أَبو علي[١]، وأَصلها: يَخْتَصِمُونَ، حذفت حركة التاءِ دون نقل ثم أُدغمت في الصاد.

وقرأ عاصم، والكسائي، وابن عامر، ونافع أَيضاً، والحسن، وأَبو عمرٍو بخلاف عنه: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بفتح الياءِ وكسر الخاءِ وشدِّ الصاد المكسورة، أَصلها: يَخْتَصِمُونَ، أُعِلَّت كالتي قبلها ثم كسرت للالتقاءِ[٢].

وقرأَت فرقة: ﴿يِخِصِّمُونَ﴾ بكسر الياءِ والخاءِ وشدِّ الصاد المكسورة، عللت[٣] كالتي قبلها ثم أُتبعت كسرة الخاءِ كسرة الياءِ.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب (يَخْتَصِمُونَ)[٤].

ومعنى هذه القراءَات كلها: أنهم يتحاورون ويتراجعون الأَقوال بينهم ويتدافعون في شؤونهم.

وقرأ حمزة: ﴿يَخْصِمُونَ﴾، وهذه تحتمل معنيين:

أَحدهما: ما في القراءَات قبلها، أَي: يخصم بعضهم بعضاً.

والثاني: أنهم يخصمون أَهل الحق في زعمهم وظنهم[٥]، كأنه قال: تأْخذهم الصيحة وهم يظنون بأَنفسهم أَنهم خَصَموا أَو غَلَبوا؛ لأَنك تقول: خاصمت فلاناً فخَصَمْتُهُ: إِذا غلبتَه.

---

(١) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٤٢).

(٢) هذه ثلاث قراءات سبعية، الأولى لابن كثير وورش وهشام، والثانية لأبي عمرو وقالون، ولهما وجه آخر بالاختلاس، والثالثة لعاصم والكسائي وابن ذكوان، وكذلك قراءة حمزة سبعية وستأتي، انظر التيسير (ص: ١٨٤)، وانظر الأوجه الأخرى في السبعة (ص: ٥٤١).

(٣) سقط من المطبوع، وهذه القراءة نقلها في السبعة (ص: ٥٤١) عن أحمد بن جبير عن شعبة عن عاصم، وليست من طرق التيسير.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٥٠٢).

(٥) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ عبارة عن إِعجال الحال، و«التَّوْصِيَةُ» مصدر من: وصَّى.

وقوله: ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ يحتمل ثلاث[1] تأويلات:

أحدها: ولا يرجع أَحدٌ إِلى منزله وأَهله لإِعجال الأَمر، بل تقبض نفسه حيثما أَخذته الصيحة.

والثاني معناه: ولا إِلى أَهلهم يرجعون قولاً، وهذا أَبلغ من الاستعجال، وخصَّ بالذكر الأَهل لأَن القول معهم في ذلك الوقت أَهم على الإِنسان من الأَجْنَبِيِّين وأَوْكد في نفوس البشر.

والثالث تقديره: وَلا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ أَبداً، فخرج هذا عن معنى وصف الاستعجال إِلى معنى ذكر انقطاعهم وانبتارهم من دنياهم.

وقرأَ الجمهور: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بفتح الياءِ وكسر الجيم.

وقرأَ ابن محيصن بضم الياءِ وفتح الجيم[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

هذه نفخة البعث، و﴿ٱلصُّورِ﴾: القَرْنُ في قول جماعة المفسرين، وبذلك تواردت الأَحاديث.

وذهب أَبو عبيدة إِلى أنه جمع صُورة، خرج مخرج بُسْر وبُسْرَة، وكذلك قال: سُوْرة البناءِ جَمْعُها سُورٌ، والمعنى عنده وعند من قال بقوله: نُفِخ في صور بني آدم فعادوا أَحياءَ[3].

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد ٣.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٦٢)، بتصرف. ولفظة «قال» من الأصل ونجيبويه والسليمانية.

و﴿ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾: [جمع جدث وهي][(١)] القبورُ.

وقرأ الأَعرج: (في الصُّوَرِ) بفتح الواو، جمع صُورَةٍ[(٢)].

و﴿ يَنسِلُونَ ﴾ معناه: يمشون بسرعة، و«النسلان»[(٣)]: مشية الذئب، ومنه قول الشاعر:

[الرمل] عَسَلَانَ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِباً بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ[(٤)]

وقال ابن عباس: ﴿يَنسِلُونَ﴾: يخرجون[(٥)].

وقرأ جمهور الناس بكسر السين.

وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو عمرو أيضاً: (يَنْسُلون) بضمها[(٦)].

ونداؤُهم الوَيْل هو بمعنى: هذا وقْتُكَ وأَوَان حضوركَ، وهو منادى مضاف.

ويحتمل أَن يكون نصب الويل على المصدر والمنادى محذوف، كأنهم قالوا: يا قومنا وَيْلَنا.

وقرأَ ابن أَبي ليلى: (يا ويلتنا) بتاءِ التأْنيث[(٧)].

وقرأَ الجمهور: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾ [بفتح الميم][(٨)] على معنى الاستفهام.

---

(١) من نور العثمانية.

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها هنا في البحر المحيط (٩/ ٧٣)، وتقدمت في (سورة الأنعام) للحسن، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٠٠) لقتادة.

(٣) سقط من الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «وفيهن: يمشون مشية الثعلب بسرعة».

(٤) للنابغة الجعدي، كما تقدم في تفسير الآية (٩٦) من (سورة الأنبياء).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٥٣١) وابن أبي حاتم (١٨٠٩٧) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في المطبوع وأحمد٣: «وضمَّها ابنُ أَبي إسحاق، وأَبو عمرو»، وهي شاذة، انظر عزوها لابن أبي إسحاق في مختصر الشواذ (ص: ١٢٦).

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٢٦).

(٨) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

وروي عن عليٍّ وابن عباس رضي الله عنهما أَنهما قرأا: (مِن بعْثِنا) بكسر الميم مِنْ (مِنْ) [على معنى أنها لابتداء الغاية][1] وبسكون العين وكسر الثاءِ في (بَعْثِنَا)[2] على المصدر.

وفي قراءَة ابن مسعود: (مَنْ أَهَبَّنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)، [أي: من نبَّهنا][3].

وفي قراءَة أُبَيٍّ: (مَنْ هَبَّنَا)، قال أَبو الفتح: لم أَر لها في اللغة أَصلاً، ولا مرَّ بنا: مَهْبُوب، ونسبها أَبو حاتم إِلى ابن مسعود رضي الله عنه[4].

وقولهم: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ يحتمل أنهم يريدون موضع الرقاد حقيقة، ويُروى عن أُبَيِّ بن كعب[5]، وقتادة، ومجاهد: أن جميع البشر ينامون نومةً قبل الحشر[6].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا غير صحيح الإِسناد، وإِنما الوجه في قولهم: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ أنها استعارة وتشبيه، كما تقول في قتيل: هذا مرقده إِلى يوم القيامة، وفي «كتاب الثعلبي»: أنهم قالوا: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ لأَن عذاب القبر كان كالرقاد في جنب ما صاروا إِليه من عذاب جهنم[7].

وقال الزجاج: يجوز أَن يكون ﴿هَٰذَا﴾ إِشارة إِلى المرقد، ثم استأْنف بقوله: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، يُضمر الخبر: حَقٌّ، أو نحوه[8].

---

(١) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

(٢) زاد في المطبوع هنا: «نصباً»، ولا وجه لها لأن الكلمة مجرورة، والقراءة شاذة، انظر عزوها لعلي في المحتسب (٢/ ٢١٢).

(٣) سقط من المطبوع، وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٥٠٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٢).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لأبيّ، وتوجيه ابن جني، وقول أبي حاتم: في المحتسب (٢/ ٢١٣).

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٣٢) من طريق: خيثمة، عن الحسن، عن أبي بن كعب. والحسن لم يدرك أبياً.

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٣).

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ١٣٠)، بتصرف.

(٨) معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٢٩١)، بتصرف.

وقال الجمهور: ابتداءُ الكلام: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، واختُلف في هذه المقالة، من قالها؟

فقال ابن زيد: هي من قول الكفار لمَّا رأَوْا البعث والنشور الذي كانوا يُكذِّبون به في الدنيا، [قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾][(١)].

وقالت فرقة: ذلك من قول الله تعالى لهم على جهة التوبيخ والتوقيف.

وقال الفراءُ: هو من قول الملائكة[(٢)].

وقال قتادة ومجاهد: هو من قول المؤمنين للكفار على جهة التقريع[(٣)].

ثم أَخبر تعالى أَن أمر القيامة والبعث من القبور ما هو إِلَّا صيحة واحدة فإِذا الجميع حاضر محشور.

وقرأَت فرقة: ﴿إِلَّا صَيْحَةً﴾ بالنصب.

وقرأَت فرقة: ﴿إلا صيحةٌ﴾ بالرفع[(٤)]، وقد تقدم إعراب نظيرها.

وقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ نصب على الظرف، ويريد يوم القيامة[(٥)] والحشر المذكور، وهذه مخاطبة يحتمل أَن تكون لجميع العالم.

قوله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ / وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾. [٤/ ٢٥٣]

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٣).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٤)، بتصرف يسير.

(٤) القراءة بالرفع للسبعة وبالنصب عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٣) هنا وفي الموضع الأول، أما الثاني فمتفق على نصبه.

(٥) سقط من المطبوع وأحمد٣.

هذا إخبارٌ من الله عزَّ وجلَّ عن حال أَهل الجنة بعقب ذكره أَهوال يوم القيامة وحالة الكفار.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو، وابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والحسن، وطلحة، وخالد بن إِلياس: ﴿في شُغْل﴾ بضم الشِّين وسكون الغين.

وقرأَ الباقون: ﴿فِى شُغُلٍ﴾ بالضم فيهما، وهي قراءَة أَهل المدينة والكوفة[١].

وقرأَ مجاهد، وأَبو عمرٍو أَيضاً بالفتح فيهما، وقرأَ ابن هُبَيْرَة[٢] على المنبر بفتح الشِّين وسكون الغَيْن[٣]، وهي كلها بمعنى واحد.

واختلف الناسُ في تعْيين هذا الشغل:

فقال ابن مسعود، وابن عباس[٤]، وابن المسيب: في افتضاض الأَبكار[٥].

وحكى النقاش عن ابن عباس: سماع الأَوتار[٦]، وقال مجاهد: معناه: نعيم قد شغلهم[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٨٤)، والسبعة (ص: ٥٤١).

(٢) لعله عمر بن هبيرة أبو المثنى الفزاري ولاه يزيد بن عبد الملك العراقين، فلما استخلف هشام عزله. تاريخ الإسلام (٧/ ٢٠٦).

(٣) وهما شاذتان، انظر عزو الأولى لمجاهد في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠١)، وعزا الثانية لأبي هريرة، ولعله تصحيف.

(٤) لا يصح عنهما، أما أثر ابن مسعود فأخرجه الطبري (٢٠/ ٥٣٤) بإسناد فيه: محمد بن حميد الرازي، وليس هو بالعمدة، وأما أثر ابن عباس فأخرجه الطبري (٢٠/ ٥٣٤) من طريق سليمان التيمي، عن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وأبو عمرو هذا، هو محمد بن عبد الرحمن، بياع الملاء، فيه جهالة. انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٠٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٥).

(٦) لا يصح، أخرجه الخطيب البغدادي في الموضح (٢/ ٣٤١) من طريق أبي عمرو القاص، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وأبو عمرو القاص هو محمد بن عبد الرحمن بياع الملاء الذي سبق، وقد أعله أبو حاتم الرازي، كما في علل ابنه (٢/ ٧٠) بأن صواب الرواية: «افتضاض الأبكار»، وقد تصحفت إلى: «ضرب الأوتار».

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٤).

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو القول الصحيح، وتعيين شيءٍ دون شيءٍ لا قياس له.

ولمَّا كان النعيم كلُّه نوعاً واحداً من حيث هو نعيم؛ وَحَّدَهُ فقال: ﴿فِى شُغُلٍ﴾، ولو اختلف لقال: في أَشغال.

وحكى الثعلبي عن طاوس أَنه قال: لو علم أَهل الجنة عمَّن شغلوا ما هنأَهم ما شُغلوا به.

قال الثعلبي: وسُئل بعض الحكماء عن قوله ﷺ: «أَكثر أَهل الجنة البُلْهُ»[١]، فقال: لأَنهم شغلوا بالنعيم عن المُنْعم[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَـٰكِهُونَ﴾.

ومعناه: أَصحابُ فاكهة، كما تقول[٣]: لابِنٌ، وتامِرٌ، وشاحِمٌ، ولاحِمٌ.

وقرأَ أَبو رجاء، ومجاهد، ونافع أَيضاً، وأَبو جعفر: ﴿فَكِهُونَ﴾[٤].

ومعناه: فرحون طرِبون، مأْخوذ من: الفكاهة، أَي: لاهَمَّ لهم.

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه البزار (١٣/ ٣٢) وابن عدي في كامله (٣/ ٣١٣) والدارقطني في الغرائب والأفراد (١١٢٦ ـ أطراف) كلهم من طريق سلامة بن روح الأيلي، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال ابن عدي: وهذ الحديث بهذا الإسناد منكر، لم يروه عن عقيل، غير سلامة هذا، وقال الدارقطني: تفرد به سلامة بن روح، عن عمه عقيل، وسلامة بن روح هذا ضعيف الحديث، وقد استنكر عليه الأئمة حديثه هذا. انظر تهذيب الكمال (١٢/ ٣٠٤)، وأخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ١٢٥) من طريق مصعب بن ماهان، عن الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال البيهقي: وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر. اهـ، ومصعب ابن ماهان ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٩).

(٢) انظر النقلين في تفسير الثعلبي (٨/ ١٣٢)، في المطبوع وأحمد٣: «العلماء» بدل «الحكماء»، وسقطت «قال الثعلبي» من الأصل.

(٣) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «يقال».

(٤) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٤)، وله ولمجاهد في الكامل للهذلي (ص: ٦٢٥)، ولم أجدها لنافع.

وقرأَ طلحة، والأعمش، وفرقة: (فَاكِهِينَ)، جَعَلَتِ الخبرَ في الظرف الذي هو قوله: ﴿فِي شُغُلٍ﴾ ونصبت (فَاكِهِينَ) على الحال[1].

قوله تعالى: ﴿هُمْ﴾ ابتداءٌ، ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ معطوف عليه، ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ خبره.

ويحتمل أن يكون ﴿هُمْ﴾ بدلاً من قوله: ﴿فَٰكِهُونَ﴾، ويكون قوله: ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ في موضع الحال، كأَنه قال: مُسْتَظِلِّينَ.

وقرأَ الجمهور: ﴿ظِلَٰلٍ﴾، وهو جمع: ظِلٍّ؛ إِذ الجنة لا شمس فيها، وإِنما هواؤُها سَجْسَجٌ[2] كوقت الإِسفار قبل طلوع الشمس.

ويحتمل أن يكون جمع: ظُلَّة، قال أَبو عليٍّ: كَبُرْمة وبِرَام، وغير ذلك[3].

وقال منذر بن سعيد: ﴿ظِلَٰلٍ﴾: جمع ظِلَّة بكسر الظَّاءِ[4].

قال القاضي أَبو محمد: وهي لغة في ظُلَّة.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿في ظُلَل﴾، وهي جمع ظُلَّة، وهي قراءَة عبد الله، وأَبي عبد الرحمن وطلحة[5]، وهذه عبارة عن الملابس والمراتب من الحجال والستور ونحوها من الأَشياءِ التي تُظِلُّ وهي زينة.

و﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرُرُ المفروشة، قال بعض الناس: من شروطها أن تكون عليها حَجَلَةٌ[6]

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠١).

(٢) يوم سَجْسَجٌ، كجَعْفَر: لا حَر مُؤْذ، ولا قَرٌّ، وكل هواءٍ معتدلٍ طَيِّبٍ: سَجْسَجٌ، وظِلٌّ سجسَجٌ ورِيح سَجْسَجٌ: لَيِّنَةُ الهواءِ مُعتدِلةٌ.

(٣) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٤٤).

(٤) البحر المحيط (٩/ ٧٦).

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٤)، والسبعة (ص: ٥٤٢).

(٦) الحَجَلَةُ: ساتر كالقبة يزيَّن بالثياب والستور للعروس.

وإِلَّا فليست بأَريكة، وبذلك قيَّدها ابن عباس[١]، ومجاهد، والحسن، وعكرمة[٢].

وقال بعضهم: الأَريكة: السَّرير كان عليه حَجَلَة أَو لم تكن.

وقوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ بمنزلة: ما يتمنَّون، قال أَبو عبيدة: العرب تقول: ادَّعِ عليَّ ما شئت، بمعنى: تمنَّ عليَّ[٣]، وتقول: فلانٌ فيما ادَّعى، أَي: فيما دعا به؛ لأَنَه افْتَعَل، من دعا يدعو، وأَصل هذا الفعل: يَدْتَعِيُون، نُقلت حركة الياءِ إِلى العيْن قبلها، وحذفت الياءُ لاجتماعها مع الواو الساكنة، فبقي: يَدْتَعُون، قلبت التاءُ دالاً وأُدغمت في الأُخرى، وخُصَّت الدالُ بالبقاءِ دون التاءِ لأَنها حرف جلد والتاءُ حرف همس.

قال الرماني: المعنى: إِن من ادَّعى شيئاً فهو له: لأَنه قد هذّبت طباعهم فهم لا يدعون إِلَّا ما يحسنُ منهم[٤].

قوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾، قيل: هي صفة لـ﴿مَا﴾، أَي: مُسَلَّم لهم وخالصٌ.

وقيل: هو ابتداءٌ، وقيل: خبر ابتداءٍ.

وقرأَ ابن مسعود وعيسى الثقفيُّ وأُبيُّ بن كعب والغنوي: (سَلَاماً) بالنصب على المصدر[٥].

وقرأَ محمد بن كعب القرظي: (سِلْمٌ) وهو بمعنى سلام[٦].

و﴿قَوْلًا﴾ نصب على المصدر.

---

(١) إسناده قوي، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٣٨) من طريق حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٩).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣٦٤).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها لأبي وابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ١٢٦)، ولعيسى في المحتسب (٢/ ٢١٤).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢١٣).

وقوله: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ﴾ الآية، فيه حذف تقديره: ويقول للكفرة، وهذه معادلة لقوله تعالى لأَصحاب الجنة: ﴿سَلَامٌ﴾.

و﴿وَامْتَازُوا﴾ معناها: انفصلوا وانحجزوا[١]؛ لأَن العالم في الموقف إِنما هم مختلطون، ثم خاطبهم تعالى بما يميزون به توبيخاً لهم وتوقيفاً على عهده إِليهم ومخالفتهم عهده.

وقرأ الجمهور: ﴿أَعْهَدْ﴾ بفتح الهاءِ.

وقرأ الهُزَيلُ[٢]، وابن وثَّاب: (أَلمِ اِعْهَد) بكسر الميم والهمزة وفتح الهاءِ، وهي على لغة من يكسر أَول المضارع سوى الياءِ.

وروي عن ابن وثَّاب: (اعْهِدْ) بكسر الهاءِ[٣]، ويقال: عَهِد وعَهَد.

و«عبادة الشيطان»: طاعتُه والانقياد لأَعوانه.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: ﴿وأَنُ اعْبُدُونِي﴾ بضم النون من (أَن)، وأَتْبَعُوا بِهَا ضمة الباءِ والدال وواو الجماعة أَيضاً.

وقرأ عاصم، وأَبو عمرٍو، وحمزة: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ بكسر النون على أَصل الكسر للالتقاءِ[٤].

وقوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ إِشارةٌ إِلى الشرائع، فمعنى هذا: أَن الله عهد إِلى بني آدم وقت إِخراج نسمهم من ظهره: أن لا تعبدوا الشيطان وأَن تعبدوا الله، وقيل

---

(١) في الأصل: «وانحازوا».

(٢) كذا في نجيبويه، وهو الصواب أنه الهزيل بن شرحبيل الأودي من مذحج، روى عن علي وعبد الله وكان ثقة، الطبقات الكبرى (٦/ ١٧٦). في المطبوع وأحمد٣: «الهذلي»، وفي فيض الله: «الزهيل»، وفي سائر النسخ: «الهذيل».

(٣) وهما شاذتان، انظر عزوها لابن وثاب في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٢)، وزاد في الأولى طلحة، وانظر عزوها للهزيل في البحر المحيط (٩/ ٧٧) عن صاحب اللوامح.

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٢).

لهم: هذه الشرائع موجودة، وبعث آدم إِلى ذرِّيَّته، ولم تخْل الأَرض من شريعة إِلى ختم الرسالة بمحمد ﷺ.

و«الصِّراطُ»: الطريق، ويقال: إِنها دخيلة في كلام العرب وعرَّبَتْها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

هذه أَيضاً من المخاطبة للكفار على جهة التقريع.

[٤/ ٢٥٤] و«الجِبِلُّ»: / الأُمة العظيمة، قال النقاش عن الضحاك: أَقلُّها عشرة آلاف، ولا حدَّ لأَكثرها[١].

وقرأَ نافع، وعاصم بكسر الجيم والباءِ وشدِّ اللام، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، وأَهل المدينة، وأَبي رجاءٍ، والحسن بخلاف عنه.

وقرأَ الأَشهب العقيلي: (جِبْلاً) بكسر الجيم وسكون الباءِ والتخفيف[٢].

وقرأَ الزهري، والحسن، والأَعرج: (جُبُلّاً) بضم الجيم والباءِ والتَّشديد، وهي قراءَة ابن أَبي إسحاق، وعيسى، وابن وثَّاب[٣].

وقرأَ أَبو عمرٍو، وابن عامر، والهذيل بن شرحبيل: ﴿جُبْلاً﴾ بضم الجيم وسكون الباءِ[٤]، والتخفيف.

[وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿جُبُلاً﴾ بضم الجيم والباءِ والتخفيف][٥].

---

(١) انظر قول الضحاك في البحر المحيط (٩/ ٧٨).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢١٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٠٢).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في: المحتسب (٢/ ٢١٥).

(٤) في حاشية المطبوع: في الأصول: «بضم الجيم والباء والتخفيف».

(٥) سقط من أحمد٣، وأشار لذلك في حاشية المطبوع، والقراءتان سبعيتان، وكذا الأولى، انظر التيسير (ص: ١٨٤).

وذكر أَبو حاتم عن بعض الخراسانِيِّين بكسر الجيم وبياءٍ بنقطتين ساكنة[(١)].

وقرأَ الجمهور: ﴿أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأَ طلحة [وعيسى: (أفلم يكونوا يعقلون)][(٢)] بالياءِ.

ثم وقفهم على جهنم التي كانوا يُوعدون فَيُكَذِّبُونَ، و(جَهَنَّم) أَوَّل طبقة من النار.

و﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾ معناه: باشِروها.

ثم أَخبر الله تعالى محمداً ﷺ إخباراً تشاركه فيه أُمَّتُه بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾؛ أَي: في ذلك اليوم يكون ذلك، وروي في هذا المعنى: أَن الله تعالى يجعل الكفرة يتخاصمون، فإِذا لم يأْتوا بشيءٍ تقوم لهم به حجة رجعوا إِلى الإِنكار فناكروا الملائكة في الأَعمال، فعند ذلك يختم الله على أفواههم فلا ينطقون بحرف، ويأْمر الله جوارحهم بالشهادة فتشهد.

وروى عقبة بن عامر أنه ﷺ قال: «إِن أَول ما يتكلم من الكافر فخذه اليسرى»، وقال أَبو سعيد الخدري: اليمنى، ثم سائر جوارحه[(٣)].

وروي: أَن بعض الكفرة يقول يومئذ لجوارحه: تَبّاً لكِ وسُحْقاً، فعنك كنت

---

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٠٢) لابن مسعود، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٩٣) لعلي.

(٢) سقط من المطبوع، وهي شاذة، انظر عزوها لهما في البحر المحيط (٩/ ٧٨).

(٣) ضعيف، الحديث ذكره ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٨٧) قال: رواه الهيثم بن خارجة، وهشام بن عمار، ومحمد بن إسماعيل بن عياش، فقالوا: عن إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً، به، وخالف هؤلاء الثلاثة، كل من: الحكم بن نافع، رواه الإمام أحمد (١٧٣٧٤) وإبراهيم بن الضحاك الزبيدي، ذكره ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٨٧) كلاهما عن إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عمن حدثه، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً، به، بذكر الرجل المبهم ما بين شريح بن عبيد، وعقبة بن عامر، وهو ما خلا ذكره في الرواية الأولى، قال أبو رزعة: هذا أصح. وقول أبي سعيد لم أجده مسنداً.

أُماحل، ونحو هذا من المعنى[١]، وقد اختلفت فيه أَلفاظ الرّواة.

وروى عبد الرحمن بن محمد بن طلحة[٢] عن أَبيه عن جده أَنه قرأَ: (وَلِتُكَلِّمَنا أَيْديهم ولِتَشْهَدَ أَرْجلهم) بزيادة لامِ (كي) والنصب[٣]، وهي مخالفة لخط المصحف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

الضمير في ﴿أَعْيُنِهِمْ﴾ مُرادٌ به كفار قريش، ومعنى الآية يُبَيِّن أَنهم في قبضة القدرة وبمَدْرج[٤] العذاب إِن شاءَهُ الله تعالى لهم.

وقال الحسن بن أبي الحسن وقتادة: أَراد الأَعين حقيقة[٥]، والمعنى: لأَعميناهم فلا يَرَوْن كيف يمشون، ويؤيد هذا مجانسة المسخ للعمى[٦] الحقيقي.

وقال ابن عباس: أَراد أَعين البصائر[٧]، والمعنى: ولو شئنا لختمنا عليهم بالكفر فلم يهتد منهم أَحد أبداً[٨].

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٦٩) من حديث أنس مرفوعاً بلفظ: «بعداً لكنَّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل». وفي المطبوع: «أماحك».

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف روى عن أبيه وعنه يحيى بن آدم، ليس بقوي، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ٢٨١)، وأبوه محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي أحد العلماء الثقات، روى عن: أبيه، والحكم، وسلمة بن كهيل، وزبيد اليامي، وعدة، وعنه: ابن مهدي، قال أبو زرعة: صدوق، وضعفه ابن معين، توفي سنة (١٧٦هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٢٩).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في: المحتسب (٢/ ٢١٥).

(٤) في المطبوع: «بروج».

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٥).

(٦) في المطبوع: «محاسبة»، وفي الحمزوية: «النسخ»، وسقطت منهما «للعمى».

(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٨) «أبداً» سقطت من المطبوع وأحمد٣.

و«الطَّمْسُ»: إِذْهَابُ الشيء من الآثار والهيئات حتى كأَنه لم يكن، أَي: جعلنا جلود وجوههم متصلة حتى كأَن لم يكن فيها أَعين قط.

قوله: ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ﴾ معناه: على الفرض، والتقدير: كأنه قال: ولو شئنا لأَعميناهم فاحسبْ أَو قدِّرْ أَنهم يستبقون الصِّراط، أَي: الطريق، فأَنَّى لهم بالإِبصار وقد أَعميناهم؟ و(أَنَّى) لفظة استفهام فيه مبالغة، وقدَّره سيبويه: كيف؟ ومن أَين؟[1]

و(مَسَخْنَاهُمْ) ظاهره: تبديل خِلْقَتِهِم لتصير كالقردة والخنازير ونحوه مما تقدم في بني إِسرائيل وغيرهم.

وقال الحسن، وقتادة، وجماعة من المفسرين: معناه: لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرفاً[2].

وقال ابن سلام: هذا التوعُّد كلُّه يوم القيامة[3].

وقرأ جمهور القراء: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾ بالإِفراد، بمعنى المكان، كما يقال: دارٌ ودارةٌ.

وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾ بالجمع، وهي قراءَة الحسن، وابن أَبي إِسحاق[4].

وقرأَ جمهور القراء: ﴿مُضِيّٗا﴾ بضم الميم، [وقرأ أبو حيوة (مَضِيّاً) بفتحها][5].

ثم بيَّن تعالى دليلاً في تنكيسه المعمَّرين، وأَن ذلك مما لا يفعله إِلَّا الله.

---

(١) الكتاب (٣/ ٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٩).

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٧٧)، وانظر تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٨١٧).

(٤) سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٢)، وموافقة الحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٧٤)، وابن أبي إسحاق في القرطبي (١٥/ ٥٠).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «وفَتَحَهَا أَبو حيْوَة»، وهي شاذة، تابعه عليها في تفسير القرطبي (١٥/ ٥٠)، وأشار لها في البحر المحيط (٩/ ٧٩) بلانسبة، ونسب لأبي حيوة كسر الميم ولأحمد بن جبير الأنطاكي عن الكسائي، وهو في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٢) للأنطاكي، وفي الكامل (ص: ٦٢٦) للثغري في قول الرازي، ولم يذكرا الفتح.

وقرأ الجمهور: ﴿نَنْكُسْهُ﴾ بفتح النون الأُولى وسكون الثانية وضم الكاف خفيفة.

وقرأ حمزة وعاصم بخلاف عنه: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ بضم الأُولى وفتح الثانية وكسر الكاف مُشَدَّدَة على المبالغة[١]، وأَنكرها أَبو عمرٍو على الأَعمش[٢].

ومعنى الآية: نُحَوِّل خَلْقه من القوة إلى الضعف، ومن الفهم إِلى الْبَلَه، ونحو ذلك.

وقرأَ نافع، [وابن عامر في رواية ابن ذكوان]، وأَبو عمرٍو في رواية عباس: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بالتاءِ، على معنى: قل لهم.

وقرأَ الباقون بالياءِ على ذكر الغائب[٣].

ثم أَخبر تعالى عن حال نَبِيِّه ﷺ، وردَّ قول من قال من الكفرة: إِنه شاعر، وإِن القرآن شعر بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾، ولذلك كان رسول الله ﷺ لا يقول الشِّعر ولا يرويه ولا يَزِنُه، وكان إِذا حاول إِنشاء بيت قديم متمثِّلاً كسر وزنه، وإِنما كان يُحْرِزُ المعاني فقط، من ذلك أَنه أَنشد يوماً بيت طرفة[٤]:

سَتُبْدي لكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهِلاً ... ويَأْتيكَ مَنْ لم تُزَوِّدْ بالأَخْبَارِ[٥] [الطويل]

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٥)، والخلاف عن عاصم في السبعة (ص: ٥٤٣).

(٢) في فيض الله: «وأنكرها أبو عمرو على رواية عياش الأعشى»، وقد عزاها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٩) للأعمش.

(٣) وهما سبعيتان، الأولى لنافع وابن ذكوان كما في التيسير (ص: ١٨٥)، ولنافع وعباس بن الفضل عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٥٤٣)، ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر زيادة من السليمانية، وليست فيها رواية عباس، وفي الأصل: «عياش».

(٤) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٤٠/ ٢٤) والنسائي في الكبرى (٢٤٠٢٣) من طريق هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن الشعبي، عن عائشة، رضي الله عنها، به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، الشعبي لم يسمع من عائشة، انظر جامع التحصيل (٣٢٢)، ورواه الإمام أحمد (٤١/ ٥١٦) والترمذي (٣٠٦٢) من طريق شريك، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن عائشة، به، وهذا إسناد ضعيف، شريك هو ابن عبد الله النخعي، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (١٢/ ٤٦٢).

(٥) وإنما أصله: ويأتيك بالأخبار من لم تزوِّدِ. انظر عزوه إلى طرفة في جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٤١)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٨١)، والشعر والشعراء (١/ ١٨٩).

وأَنْشَدَ يوماً ـ وقد قيل له: من أَشعر الناس؟ ـ فقال: الذي يقول[١]:

أَلَـمْ تَرَيَانِـي كُلَّمَـا جِئْـتُ طَارِقـاً وَجَـدْتُ بها وإِنْ لَمْ تَطَيَّـبْ طِيباً[٢] [الطويل]

وأَنشد يوماً[٣]:

أَتَـجْعَـلُ نَـهْبي ونَـهْـبَ الْـعَبِيـ ـدِ بَـيْـنَ الأَقْـرَع وعُـيَـيْنَـةَ[٤] [المتقارب]

وقد كان ﷺ ربما أَنشد البيت المستقيم في النادر، رُوي أَنه أَنشد بيت ابن رواحة:

يَبِيتُ يُجَافِـي جَنْبَـهُ عَـنْ فِرَاشِـهِ إِذا اسْتَثْقَلَت بالمشْرِكين المَضَاجِعُ[٥] [الطويل]

/ وقال الحسن بن أَبي الحسن: أَنشد النبي ﷺ: [٤/ ٢٥٥]

. . . . كَفَى بالإِسْلام والشَّيْبِ للمرءِ نَاهِياً

فقال أَبو بكر وعمر رضي الله عنهما: نشهد أنك رسول الله، إنما قال الشاعر:

. . . . كَفَى الشَّيْبُ والإِسْلَامُ للمَرْءِ ناهِيَا[٦] [الطويل]

حكاه الثعلبي[٧].

---

(١) لم أقف له على سند.

(٢) وأصل الشطر الثاني: وَجَدْتُ بها طِيباً وإن لَمْ تَطَيَّبِ، وهو لامرئ القيس، كما في الأغاني (١٥/ ٢٧٥)، والكامل للمبرد (٣/ ٨٦).

(٣) ضعيف، أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٨١) من طريق موسى بن عقبة، به، معضلًا.

(٤) وأصله: بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَع، وهو للعباس ابن مرداس، كما في أنساب الخيل (ص: ٤٧)، والفاضل (ص: ٩)، والاشتقاق (ص: ٣١٠).

(٥) تقدم هذا البيت في تفسير الآية (١٦) من (سورة السجدة)، والذي وقفت عليه، أنه من رواية أبي هريرة، عن عبد الله بن رواحة، رضي الله عنه كما أخرجه البخاري في صحيحه (١١٠٤).

(٦) البيت لسحيم عبد بني الحسحاس، كما تقدم في تفسير الآية (٢٤) من (سورة النساء)، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٣٥).

(٧) ضعيف مرسل، أخرجه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير (٦/ ٥٨٨) من طريق علي بن زيد، عن الحسن، به مرسلاً.

قال القاضي أبو محمد: وإصابته الوزن أَحياناً لا توجب أنه يعلم الشعر، [وكذلك قد يأتي أَحياناً في][1] نثر كلامه ما يدخل في وزن، كقوله يوم حُنين:

[مجزوء الرجز]

أَنَــــا الــنَّــبــيُّ لا كَــــذِبْ أَنَــا ابْــنُ عَـبْـدِ الْـمُـطَّـلِـبْ[2]

وكذلك يأْتي في آيات القرآن الكريم، وفي كل كلام، وليس ذلك بشعر ولا في معناه.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الآية تقتضي ـ عندي ـ غضاضة على الشِّعر ولا بدّ، ويؤيد هذا قولُ عائشة رضي الله عنها: إن الشعر أَبغض الحديث إِلى رسول الله ﷺ، وكان يتمثل بشعر أَخي قيس طرفة فيعكسه، فقال له أَبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا، فقال: «ما أَنا بشاعر ولا ينبغي لي»[3].

وقد ذهب قوم إِلى أَن الشعر لا غضَّ عليه، وإِنما منعه من التَّحَلِّي بهذه الحلية الرفيعة ليجيءَ القرآن من قِبَلِهِ أَغرب، فإِنه لو كان له إِدراك الشِّعر لقيل في القرآن: إن هذا من تلك القوة.

قال القاضي أَبو محمد: وليس الأمر عندي كذلك، وقد كان ﷺ من الفصاحة والبيان في النثر في المرتبة العليا، ولكن كلام الله تعالى يبين بإِعجازه، ويبْرُز برصْفه،

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «ورُوي أنه ﷺ أَتى».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٠٩) ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٣) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٤٠/ ٢٤) والنسائي في الكبرى (٢٤٠٢٣) من طريق هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن الشعبي، عن عائشة، رضي الله عنها، به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، الشعبي لم يسمع من عائشة رضي الله عنها. انظر جامع التحصيل (٣٢٢)، ورواه الإمام أحمد (٤١/ ٥١٦) والترمذي (٣٠٦٢) من طريق شريك، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، به، وشريك هو ابن عبد الله النخعي، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (١٢/ ٤٦٢).

ويُخرجه إِحاطة علم الله عن كل كلام، وإِنما منعه الله تعالى من الشِّعر ترفيعاً له عمَّا في قول الشعراءِ من التَّخيل وتزويق الكلام، وأَما القرآن فهو ذكر الحقائق والبراهين، فما هو بقول شاعر، وهكذا كان أُسلوب كلامه ﷺ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، والشِّعر نازل الرتبة عن هذا كله.

والضمير في ﴿عَلَّمْنَاهُ﴾ عائد على محمد ﷺ قولاً واحداً.

والضمير في ﴿لَهُۥٓ﴾ يحتمل أَن يعود على محمد ﷺ، أو يعود على القرآن الكريم، وإِن كان لم يذكر لدلالة المجاورة عليه، ويُبَيِّن ذلك قولُه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾.

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ بالتَّاءِ على مخاطبة محمد ﷺ.

وقرأَ الباقون: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياءِ؛ أَي: لِيُنْذِرَ القرآن، أو لِيُنْذِرَ محمدٌ ﷺ[١].

واللام متعلقة بـ﴿مُّبِينٌ﴾.

وقرأَ محمد اليماني: (لِيُنْذَرَ) بضم الياء وفتح الذال [على الفعل المجهول][٢].

قال أَبو حاتم: ولو قرئ: (لِيَنْذَر) بفتح الياءِ والذَّال ـ أَي: ليتحفظ ويأْخذ بحظِّه ـ لكان جائزاً، وحكاها أَبو عمرٍو الدَّانيُّ قراءة[٣] عن محمد اليماني[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾؛ أَي: حيَّ القلب والبصيرة، ولم يكن ميتاً لكفره، وهذه استعارة، قال الضحاك: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ معناه: عاقلاً، ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ معناه: يحتم العذاب ويجب الخلود، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الزمر:٧١].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٥)، والسبعة (ص: ٥٤٤).

(٢) من المطبوع، وأحمد٣ وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٣)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٢٦) للجحدري.

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٢٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٠٣). ولم أقف على كلام أبي حاتم ولا الداني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ (٧٥) فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)﴾.

هذه مخاطبة في أَمر قريش وإِعراضها عن الشَّرع وعبادتها الأَصنام، فَنَبَّهَهُم الله تعالى [على الألوهية، بما لا يحصى من الأدلة كثرة وبياناً، فنبه][1] بهذه الآية على إِنعامه عليهم بِبَهيمة الأَنعام.

وقوله تعالى: ﴿أَيْدِينَا﴾ عبارة عن القدرة، عبَّر عنها بـ(يَد) وبـ(يَدَيْن) وبـ(أَيْد)، وذلك من حيث كان البشر إِنما يقيمون[2] القدرة والبطش باليد، فعبَّر لهم بالجهة التي اقتربت من أَفهامهم، واللهُ تعالى مُنَزَّهٌ عن الجارحة والتَّشبيه كُلِّه[3].

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ تنبيه على أن النِّعمة في أَن هذه الأَنعام ليست بعاتية ولا مُبْتَزَّة، بل تُقتنى وتقرب منافعها.

وقوله: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ معناه: سخَّرناها ذليلةً.

و«الرَّكُوبُ»: المركوب، وهذا فَعُولٌ بمعنى: مَفْعُول، وليس إِلَّا في أَلفاظ محصورة، كالرَّكُوب، والحَلُوب، والقَروع[4].

وقرأَ الجمهور: ﴿رَكُوبُهُمْ﴾ بفتح الراءِ، وقرأَ بضمها: الحسن، والأَعمش[5].

وقرأَ أُبيُّ بن كعب، وعائشة: (رَكُوبَتُهُمْ)[6].

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) في المطبوع وفيض الله: «يفهمون»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٣) الذي عليه أهل السنة والجماعة أن اليد صفةٌ لله عَزَّ وجَلَّ، نثبتها كما يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تعطيل. انظر التوحيد لابن خزيمة (١/ ١١٨).

(٤) في الحمزوية: «الفزوع»، وفي نجيبويه: «القارع»، وفي المطبوع: «القدوع».

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٦٩).

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في المحتسب (٢/ ٢١٥)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٦).

و«الْمَنَافِعُ» إشارة إلى الأَصواف والأَوبار وغير ذلك، و«الْمَشَارِبُ»: الأَلبانُ.

ثم عنَّفهم في اتخاذ آلهة طَلَباً للاستنصار بها والتعاضد، ثم أَخبر أَنهم لا يستطيعون نصراً.

ويحتمل أَن يكون الضمير فيه للكفار، في نَصْرِهُمْ للأَصنام.

ويحتمل الأمر[1] عكس ذلك؛ لأن الوجهين صحيحان في المعنى.

كذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ يحتمل أَن يكون الضمير الأَول للكفار والثاني للأَصنام، على معنى: وهؤلاءِ الكفار مُجَنَّدون مُتَحَزِّبون لهذه الأَصنام في الدنيا، لكنهم لا يَسْتطيعون التناصر مع ذلك.

ويحتمل [أن يكون الضمير الأول للأصنام والثاني للكفار][2]؛ أَي: يحضرون لهم في الآخرة عند الحساب، على معنى التوبيخ والنقمة، وسمَّاهم جُنْداً في هذا التأْويل إِذ هم عُدَّة للنقمة منهم وتوبيخهم، وجرت ضمائر الأَصنام في هذه الآية مجرى من يعقل إِذْ أُنزلتْ في عبادتها منزلة ذي عقل، فعوملت في العبارة بذلك.

ثم آنس نَبِيَّه ﷺ بقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾.

وتوعَّد الكفار بقوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠)﴾ / . [٤/ ٢٥٦]

هذه الآيات قال فيها ابن جُبَيْر: إنها نزلت بسبب أَن العاص بن وائل السهمي جاءَ

---

(١) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ بدلًا منه: «العكس».

إلى النبي ﷺ بِعَظْم رميم، فَفَتَّه وقال: يا محمد، من يُحْيي هذا؟[١]

وقال مجاهد وقتادة: إن الذي جاءَ بالعظم النَّخر أُمَيَّة بن خلف، وقاله الحسن، وذكره الرماني[٢].

وقال ابن عباس: الجائي هو عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهو وَهْم مِمَّن نسبه إلى ابن عباس؛ لأَن السُّورة والآية مكيَّة بإجماع، ولأَن عبد الله بن أُبيٍّ لم يجاهر قطُّ هذه المجاهرة.

واسم (أُبَيٍّ) هو الذي خلط على الرواة؛ لأَن الصحيح هو ما رواه ابن وهب عن مالك، وقاله ابن إسحاق وغيره: من أَنَّ أُبيَّ بن خلف أَخا أُميَّة بن خلف هو الذي جاءَ بالعظم الرميم بمكَّة ففتَّه في وجه النبي ﷺ وحياله[٤]، وقال: من يُحيي هذا يا محمد؟ ولأُبيٍّ هذا مَعَ النبي ﷺ مقامات ومقالات إلى أَن قتله بيده يوم أُحد بالحربة بجرح في عنقه[٥]، ورُوي: أن رسول الله ﷺ قال لأبيٍّ حين فتَّ العظم: «الله يُحْييك ويُحييه ويُدخلك جهنم»[٦].

ثم نزلت الآيات مُبَيِّنَة ومقيمة[٧] للحجة في أَن الإِنسان نطفة ثم يكون بعد ذلك خصيماً مبيناً، فهل هذا إِلَّا إِحياءٌ بعد موت وعدم حياة؟

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٤) من طريق سعيد بن جبير، به مرسلًا.

(٢) انظر قول مجاهد وقتادة في الطبري (٢٠/ ٥٥٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٣٧)، وانظر فيه قول الحسن. ولم أقف على نقل الرماني.

(٣) منكر، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والأثر أورده ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٩٤) من رواية ابن جرير، وقال: وهذا منكر، لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي بن سلول كان بالمدينة. و«الجائي» ليست في المطبوع.

(٤) سقط من المطبوع، وفي الحمزوية: «وحثا له»، وفي أحمد٣: «حباله».

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٥٥) من طريق مقسم مولى ابن عباس، به معضلًا.

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٤) من طريق قتادة، به معضلًا.

(٧) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقوله: ﴿وَنَسِيَ﴾ يحتمل أَن يكون نسيان الذهول، ويحتمل أَن يكون نسيان الترك.

و«الرَّميمُ»: البالي المُفَتَّت، وهو الرفات.

ثم دَلَّهم تعالى على الاعتبار بالنشأة الأُولى.

ثم عقَّب ذلك تعالى بدليل ثالث في إِيجاد النار في العود الأَخضر المرتوي ماءً، وهذا هو زناد العرب، والنار موجودة في كل عود غير أَنها في المتخلخل المفتوح المسامِّ أَوْجد، وكذلك هو المرْخُ والعَفَار.

وأَعاد الضمير على الشجر مُذَكَّراً من حيث راعى اللفظ، فجاءَ كالتَّمر والحصى وغيره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

هذا تقرير وتوقيف على أَمرٍ تدل صحتُه على جواز بعث الأَجساد من القبور وإِعادة الموتى.

وجَمَعَ الضمير جَمْع من يعقل في قوله سبحانه: ﴿مِثْلَهُم﴾ من حيث كانتا متضمنتين مَنْ يعقل من الملائكة والثقلين، هذا تأْويل جماعة من المفسرين.

وقال الرماني وغيره: الضمير عائد على الناس[1].

[قال القاضي أَبو محمد: فهم مثال للبعث، وتكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾][2] [غافر: ٥٧].

---

(١) انظر قوله في البحر المحيط (٩/ ٨٥).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من الأصل.

وقرأَ سَلَّام أَبُو الْمُنْذِرِ، وابن أَبي إِسحاق، ويعقوب، والأَعرج: ﴿يَقْدِرُ﴾ [على يفعل مستقبل][(١)].

وقرأَ الجمهور: ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ على اسم الفاعل.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْخَلَّـٰقُ﴾، وقرأَ الحسن: (الْخَالِقُ)[(٢)]، ورفع ﴿فَيَكُونُ﴾ على معنى: فهو يكون، وهي قراءَة الجمهور.

وقرأَ ابن عامر، والكسائي: ﴿فَيَكُونَ﴾ بالنصب[(٣)].

قال أَبو عليٍّ: لا ينصب الكسائي إِذا لم يتقدم (أَن)، وينصب ابن عامر وإِن لم تتقدم (أَن)، والنصب هنا قراءَة ابن محيصن[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿كُن﴾ أَمْرٌ للشيءِ الْمُخْتَرَع عند تعلُّق القدرة به لا قبل ذلك ولا بعده، وإِنما يؤمر تأْكيداً للقدرة وإِشارة بها، وهذا أَمر[(٥)] دون حروف ولا أَصوات، بل من الكلام القائم بالذات [لا رب سواه][(٦)].

ثمَّ نزَّه الله تعالى نفسه تنزيهاً عامّاً مطلقاً.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مَلَكُوتُ﴾.

---

(١) في المطبوع: «على الاستقبال»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «على فعل مستقبل»، وهي عشرية ليعقوب من رواية رويس عنه، وأما روح فهو موافق للجمهور، كما في النشر (٢/ ٣٥٥).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٠).

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٤)، وسقط «الكسائي» من الأصل، وفي المطبوع وأحمد٣: «ابن عباس» بدل «ابن عامر».

(٤) انظر الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٤٧)، وانظر العزو لابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٩٠).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «وهي أوامر».

(٦) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقرأَ طلحة والتَّيمي والأَعمش: (مَلَكَةُ)[١]، ومعناه: ضبْطُ كلِّ شيءٍ والقدرة عليه.

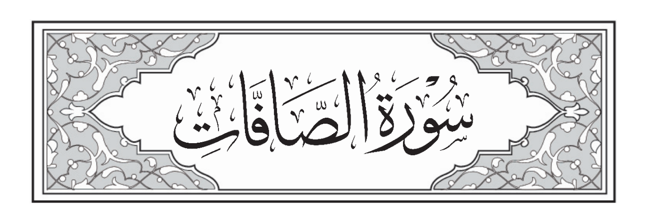
وباقي الآية بيِّن[٢].

كمل تفسير (سورة يس)، والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ٢١٦). وفي الأصل: «ملكوت»، وسقط «طلحة» من المطبوع وأحمد٣.

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الصافات

هي مكِّيَّة، وعددها في المدني والشامي والكوفي مئة آية واثنان وثمانون آية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧)﴾.

أَقسم الله تعالى في هذه الآيات بأَشياءَ من مخلوقاته، واختلف الناس في معناها:

فقال ابن مسعود[١]، ومسروق، وقتادة: هي الملائكة التي تصفّ في السماءِ في عبادة الله تعالى وذِكْرِه صفوفاً[٢].

وقالت فرقة: أَراد كل من يصف من بني آدم في قتال في سبيل الله، أَو في صلاة وطاعة، والتقدير: والجماعات الصَّافات.

قال القاضي أبو محمد: واللفظ يحتمل أَن يعم هذه المذكورات كلها.

---

(١) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٧) من طريق شعبة، عن سليمان الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦).

[ومما أقسم به عزَّ وجل: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾، واختلف الناس في معناها أيضاً: فقال][1] مجاهد، والسدي: الملائكة التي تزجر السحاب وغيره من مخلوقات الله.

وقال قتادة: (الزاجرات): هي آيات القرآن المتضمنة النواهي الشرعية[2].

وقوله: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ معناه: القارئات.

وقال مجاهد، والسدي: أَراد الملائكة التي تتلو ذكره.

وقال قتادة: أَراد بني آدم الذين يتلون كُتبه المنزَّلة، وتسبيحه وتكبيره، ونحو ذلك[3].

وقرأَ أَبو عمرٍو، وحمزة بإدغام التاء في الذال، وهي قراءَة ابن مسعود، ومسروق، والأَعمش، وقرأَ الباقون وجمهور الناس بالإِظهار، وكذلك في كُلِّها[4].

قال أَبو حاتم: والبيان اختيارنا[5].

وأَمَّا (الْحَامِلاتِ وِقْراً) و(الجاريات يُسْراً)، فلا يجوز فيهما الإِدغام لِبُعْد التاءِ من الحرفين.

ثم بيَّن تعالى المُقْسَمَ عليه أنه توحيده، وأَنَّه واحد، أَي: مُتَّحد من جميع الجهات التي ينظر فيها المفكر، ثم وصف تعالى نفسه بِرُبُوبيَّته جميع المخلوقات.

وذكر المَشَارِقَ لأَنها مطالع الأَنوار، والعيون بها أَكْلَف، وفي ذِكْرها غُنْية من ذِكْر

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣، وفيهما فقط: «والزاجرات زجراً، قال مجاهد ... إلخ».

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٨)، والثاني في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٣٩).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٩)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٣٩).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٥)، والسبعة (ص: ٥٤٦).

(٥) لم أقف عليه، وفي الحمزوية والمطبوع: «الإظهار» بدل «البيان».

المغَارب؛ إِذ مُعَادَلتُهَا لها / مفهومة عند كل ذي لُبٍّ، وأَراد تعالى مشارق الشمس[1] [٤/ ٢٥٧] وهي مئة وثمانون في السَّنة فيما يزعمون، من أَطول أَيام السَّنة إِلى أَقصرها.

ثم أَخبر تعالى عن قدرته من تَزيين السماءِ بالكواكب، وانتظم في ذلك التَّزيين أَن جعلها حفظاً وحِرْزاً من الشياطين المردة، وهم مسترقو السمع.

وقرأَ جمهور القراء بإِضافة (الزِّينَةِ) إِلى (الكواكب).

وقرأَ حمزة، وحفصٌ عن عاصم بتنوين (زِينَةٍ) وخَفْض ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ على البدل من الزينة، وهي قراءَة ابن مسعود، ومسروق بخلاف عنه، وأَبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير، وابن وثاب، وطلحة.

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم: ﴿بِزِينَةٍ﴾ بالتنوين ﴿الْكَوَاكِبَ﴾ بالنصب، وهي قراءَة ابن وثاب، وأَبي عمرٍو، والأَعمش، ومسروق[2].

وهذا في الإِعراب نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١٤-١٦].

وحكى الزهراوي قراءَةً: بتنوين (زِينَةٍ) ورفع (الْكَوَاكِبُ)[3].

و«الْمَارِدُ»: المتجرِّد للشرِّ[4]، ومنه: شجرة مرداءُ، أَي: لا ورق عليها، ومنه: الأَمْرَدُ.

وخصَّ تعالى السماءَ الدنيا بالذكر لأَنها التي تُباشرها أَبصارنا، وأَيضاً فالحفظ من الشياطين إِنما هو فيها وحدها.

﴿وَحِفْظًا﴾ نصب على المصدر، وقيل: مفعول من أَجله، والواو زائدة.

---

(١) زاد في نور العثمانية: «ومغاربها».

(٢) والثلاث سبعية، انظر، انظر التيسير (ص: ١٨٥) والسبعة (ص: ٥٤٦)، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٧٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣٨)، وقد نسبها فيه لزيد بن علي، أما ما نسبه للزهراوي فلم أقف عليه.

(٤) سقط من الأصل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿ ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾: أَهل السماءِ الدنيا فما فوقها، وسمّى الكلَّ منهم (أَعْلَى) بالإِضافة إِلى مَلإِ الأَرض الذي هو أَسفل، والضمير في ﴿ يَسَّمَّعُونَ ﴾ للشياطين.

وقرأ جمهور القراءِ والناس: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بسكون السِّين وتخفيف الميم.

وقرأ حمزة، وعاصم في رواية حفص، وابن عباس بخلاف عنه، وابن وثاب، وعبد الله بن مسلم، وطلحة، والأَعمش: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾[1] بشدِّ السِّين والميم، بمعنى: لا يتسمعون.

فينتَفي على القراءَة الأُولى سماعُهم وإِن كانوا يَتَسَمَّعون، وهو المعنى الصحيح، ويعضده قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٢]، ويَنْتَفي على القراءَة الأَخيرة أَن يقع منهم استماعٌ أَو سماعٌ، وظاهر الأَحاديث أَنهم يستمعون حتى الآن لكن لا يسمعون، وإِنْ سمع منهم أَحد شيئاً لم يفلت الشهاب[2]، قبل أَن يلقي ذلك السمع إِلى الذي تحته[3]؛ لأَن من وقت محمد ﷺ مُلِئَت السماءُ حرساً شديداً وشُهُباً، وكان الرجم في الجاهلية أخف.

ورُوي في هذا المعنى أَحاديث صحاحٌ مُضَمَّنُهَا: أَن الشياطين كانت تصعد إِلى السماءِ فتقعد للسمع واحداً فوق آخر، يتقدم الأَجْسَرُ نحو السماءِ، ثم الذي يَلِيه، ثم الذي يَلِيه، فيقضي الله تعالى الأَمر من الأمور في الأَرض فيتحدث به أَهل السماءِ، فيسمعه منهم ذلك الشيطان الأَدْنى، فيلقيه إلى الذي تحته، فربما أَحرقه شهاب وقد أَلْقى الكلام، وربما لم يحرقه جملة، فتنزل تلك الكلمة إِلى الكُهَّان فيكذبون معها مئة

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٧)، والتيسير (ص: ١٨٦).

(٢) «الشهاب» ليست في أحمد٣، ولا في المطبوع، لكن أشار لها في الهامش.

(٣) في المطبوع: «يجيؤه».

كذبة، فتصدق تلك الكلمة، فيصدق الجاهلون الجميع، فلما جاءَ الله بالإِسلام حُرِسَت السماءُ بشدة فلم يُفْلت شيطان سمع بتَّةً[١]، ويروى: أَنها لا تسمع شيئاً الآن، والكواكب الراجمةُ هي التي يراها الناس تَنْقَضُّ منقضية[٢].

قال النقاش، ومكي: وليست بالكواكب الجارية في السماءِ، لأَن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الراجمة تُرى حركتها لقربها منَّا[٣].

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا نظر.

و(يُقْذَفُونَ) معناه: يُرْجمون.

و«الدُّحُورُ»: الإِصغار والإِهانة؛ لأن الزَّجْرَ: الدفعُ بعنف، قال مجاهد: مَطْرُودين[٤].

وقرأَ الجمهور بضم الدال، وقرأَ أَبو عبد الرحمن السُّلَمي: (دَحُوراً) بفتح الدال[٥].

و«الْوَاصِبُ»: الدائم، قاله مجاهد، وقتادة، وعكرمة.

وقال السدي، وأَبو صالح: الواصِبُ: الْمُوجع[٦]، ومنه: الوصب، والمعنى: هذه الحال الغالبة على جميع الشياطين، إِلَّا من شذَّ فخطف خبراً أَو نبأً فأَتْبعه شهابٌ فأَحرقه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿خَطِفَ﴾ بفتح الخاءِ وكسر الطاءِ خفيفة.

وقرأ الحسن، وقتادة: (خِطِّفَ) بكسر الخاءِ والطَّاءِ وتشديد الطاءِ[٧].

---

(١) منها ما أخرجه البخاري في صحيحه (٧٣٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) «منقضية» ليست في المطبوع، وفي الأصل: «التي تلي يراها».

(٣) الهداية لمكي (٩/ ٦٠٨٦)، ولم أقف على قول النقاش.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٥).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢١٨)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٧).

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ١٧)، والهداية لمكي (٩/ ٦٠٨٤).

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧١)، ولهما ولعيسى في: مختصر الشواذ (ص: ١٢٨).

قال أَبو حاتم: يقال: إنها لغة بكر بن وائل، وتميم بن مرة[١].

ورُوي عن ابن عباس بكسر الخاءِ والطَّاءِ مخففة[٢].

و«الثَّاقِبُ»: النافذ بضوئه وشعاعه المنير، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد[٣]، وحَسَبٌ ثاقب: إِذا كان سَنيّاً منيراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

«الاستفتاءُ»: نوعٌ من أَنواع السؤال، وكأَنه سؤال من يُهْتبَل بقوله ويجعل حُجَّة، وكذلك هي أَقوالهم في هذا الفصل[٤]، لا يمكنهم أَن يقولوا إِلا أَن خَلْق مَنْ سواهم مِنَ الأُمم والملائكة والإِنس والجن والسماوات والأَرض والمشارق وغير ذلك، هو أَشدُّ من هؤلاءِ المخاطَبين، وبأَنَّ الضمير في ﴿خَلَقْنَآ﴾ يُراد به ما تقدم ذكره.

وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: في مصحف عبد الله بن مسعود: (أَمْ مَنْ عَدَدْنَا) يريد من الصَّافَّات وغيرها، والسماوات والأَرض وما بينهما[٥]، وكذلك قرأَ الأَعمش.

وقرأَ أَيضاً: (أَمَنْ) مُخَفَّفة الميم دون (أَم)[٦].

---

(١) نقله عنه في البحر المحيط (٩/ ٩٣).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٩/ ٩٣).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٨-١٩).

(٤) في المطبوع: «الفاصل».

(٥) وهي شاذة، تخالف الرسم، انظر نسبتها للثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ١٩، ٢٠)، وسقطت «وغيرهما» من أحمد٣، وفي غير السليمانية والأصل: «وفي مصحف بالواو».

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٩/ ٩٣).

ثم أَخبر تعالى إِخباراً جزماً عن خلْقه لآدم الذي هو أَبو البشر، وأَضاف الخلق من الطين إِلى جميع الناس من حيث الأَب مخلوق منه / . [٤/ ٢٥٨]

وقال الطبري: خُلق ابن آدم من تراب وماء ونارٍ وهواءٍ، هذا كله إِذا اختلط صار طيناً لازباً[١]، وهو اللاَّزم، أَي: يلازم ما جاوره ويلصق به، وهو الصَّلصال كالفخار.

وعبَّر ابن عباس[٢]، وعكرمة عن اللازب بالحرِّ[٣]؛ أَي: الكريم الجيِّد، وحقيقة المعنى ما ذكرناه، يقال: ضربَة لازِبٍ ولازمٍ، بمعنى واحد.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاءِ، أَي: يا محمدُ من إِعراضهم عن الحقِّ وعَماهُم عن الهدى، وأَن يكونوا كافرين مع ما جئتهم به من عند الله.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿بل عجبتُ﴾ بضمِّ التاءِ، ورُويت عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن وثاب، والنَّخَعي، وطلحة، وشقيق، والأَعمش[٤].

وذلك على أَن يكون تعالى هو المتعجِّب، ومعنى ذلك مِنَ الله: أَنه صفة فعل، كقول النبي ﷺ: «يعجب الله تعالى إلى قوم يساقون إِلى الجنة في السلاسل»[٥]، وقوله عليه السلام: «يعجب الله من الشابِّ ليست له صَبْوة»[٦]، فإنما هي عبارة عما يظهره

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠).

(٢) صحيح، أخرجه الطبري (٢١/ ٢١) من طريق الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) في الأصل: «بالجر»، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ٤٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ٢٢)، ولفظ عكرمة فيه: «اللزج».

(٤) سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٦)، والسبعة (ص: ٥٤٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٤٠). وفي الحمزوية والمطبوع: «سفيان» بدل «شقيق».

(٥) أخرجه البخاري (٣٨٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به.

(٦) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٢٨/ ٦٠٠) وابن عدي في كامله (٤/ ١٤٧) من طريق ابن لهيعة، عن أبي عشانة، عن عقبة بن عامر، رضي الله عنه مرفوعاً، به. وهذا إسناد ضعيف بسبب عبد الله بن لهيعة.

تعالى في جانب [المتعجب منه من التعظيم والتحقير حتى يصير الناس متعجبين منه][(١)].

فمعنى هذه الآية: بل عجبتُ من ضلالهم وسُوءِ نحلتهم[(٢)]، وجعلتها للناظرين فيها وفيما اقترن معها من شرعي وهداي متعجباً.

ورُوي عن شُريح إِنكار هذه القراءَة، وقال: إِن الله لا يعجب، قال الأَعمش: فذكرتُ ذلك لإِبراهيم فقال: إِن شُرَيْحاً كان مُعْجَباً بعلمه، وإِنَّ عبد الله أَعلمُ منه[(٣)].

وقال مكيٌّ، وعليٌّ بن سليمان ـ في كتاب الزهراوي ـ: هو إِخبار من النبي ﷺ عن نفسه، كأَن المعنى: قل: بل عجبتُ[(٤)].

وقوله: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾؛ أَي: وهم يسخرون من نُبُوَّتك والحقِّ الذي عندك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يريد: بالآية، وهي العلامة والدلالة، ورُوي أَنها نزلت في رُكانة، وهو رجلٌ مكيٌّ مشرك، لقي النبي ﷺ في جبل خال وهو يرعى غنماً له، وكان أَقوى أَهل زمانه، فقال له: يا رُكانة، إِنْ أَنا صرعتك أَتُؤْمن بي؟ قال: نعم، فصرعه ثلاثاً، ثم عرض عليه آياتٍ من دعاءِ شجرة وإِقبالها، ونحو ذلك مما اختلفت فيه العلماء[(٥)] وأَلفاظ الحديث، فلما فرغ من ذلك كلِّه لم يُؤْمن، وجاءَ إِلى مكة فقال: يا بني هاشم، ساحِروا بصاحبكم هذا أَهْل الأَرض، فنزلت هذه الآية فيه وفي نظرائه[(٦)].

---

(١) ليس في المطبوع، وفيه فقط: «منه». والذي عليه عليه السنة والجماعة: أن صفة العجب صفةٌ من صفاتِ الله عَزَّ وجلَّ الفعليَّة الخبريَّة الثابتة له بالكتاب والسنة. انظر تفسير الطبري (١٩/ ٥١٣)، والسنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٤٩)، والحجة لقوام السنة الأصبهاني (٢/ ٤٥٧).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «تخيُّلهم».

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٤)، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٥).

(٤) الهداية لمكي (٩/ ٦٠٨٧)، بتصرف، ولم أقف على نقل الزهراوي والأخفش.

(٥) زيادة من الأصل، وليست في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع ونور العثمانية وفيض الله.

(٦) ضعيف، أخرج بعضه الترمذي في سننه (١٨٨٧) من طريق أبي الحسن العسقلاني، عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة، عن أبيه، أن ركانة صارع النبي ﷺ..، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وإسناده ليس بالقائم، ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني، وابن ركانة.اهـ.

وقوله: ﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ معناه: يطلبون أَن يكونوا ممن يسخر، ويجوز أَن تكون بمعنى: يَسْخَر، كقوله: ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ [التغابن: ٦]، فيكون فَعِل واسْتَفْعَل بمعنى، وبـ(يسخرون) فسَّره مجاهد وقتادة[١].

وفي بعض القراءات القديمة: (يَسْتَسْحِرونَ) بالحاءِ غير منقوطة[٢].

وهذه عبارة عمَّا قال رُكانة؛ لأَنه اسْتَسْحر النبي ﷺ.

وقرأَ: ﴿مُتنا﴾ بضم الميم أَبو جعفر، وابن أَبي إسحاق، وعاصم، وأَبو عمرٍو، والعامَّة. وقرأ بكسر الميم الحسن، والأعرج، وشيبة، ونافع[٣].

وقرأَ أَبو جعفر ونافع وشيبة أيضاً: ﴿أَوْ آبَاؤُنا﴾ بسكون الواو، وهي التي للقسمة أَو التخيير.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾ بفتح الواو، وهي واو العطف دخلت عليها أَلف الاستفهام[٤].

ثم أَمره الله تعالى أَن يجيب تقريرهم بـ﴿نَعَمۡ﴾ وأن يزيدهم في الجواب أَنهم ـ مع البعث ـ في صَغار وذلَّة واستكانة[٥].

وقرأ ابن وثاب: ﴿نعِم﴾ بكسر العين[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٤)، وتفسير ابن ابي حاتم (١٠/ ٣٢٠٧).

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٩٥).

(٣) وهما سبعيتان، الكسر لنافع وحفص وحمزة والكسائي، والضم للباقين، انظر التيسير (ص: ٩١)، والنشر (٢/ ٢٤٢).

(٤) وهما سبعيتان، الأولى لقالون وابن عامر كما في التيسير (ص: ١٨٦)، وأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٥٧)، والثانية للباقين.

(٥) سقطت من المطبوع وأحمد٣.

(٦) ليست في المطبوع، وتابعه في البحر المحيط (٩/ ٩٦)، مع أنها سبعية للكسائي كما في السبعة (ص: ٢٨١)، والتيسير (ص: ١١٠).

و«الدَّاخِرُ»: الصاغر الذليل، وقد تقدم غير مرة ذكر القراءَات في [قوله: ﴿أَءِذَا﴾ على الخبر والاستفهام وما يلحقها من مد وتركه وإظهار همز وتسهيله][١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

هذا استئناف إِخبار جرَّه ما قبله، فأَخبر تعالى أَن بعثهم من قبورهم إِنما هو زجرةٌ واحدة، هي نفخة البعث في الصُّور.

وقوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ يحتمل أَن يريد: بالأَبصار، أَي: ينظرون ما هُمْ فيه، وصدق ما كانوا يُكذِّبون به.

ويحتمل أَن يكون بمعنى: ينتظرون؛ أي: ما يُفعَل بهم ويُؤْمرون به، ثم أَخبر عنهم أَنهم في تلك الحال يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾، يُنادون الويل، بمعنى: هذا وقتُ حضورك وأَوانُ حُلُولك.

ورأَى أَبو حاتم الوقف هاهنا، وجعل قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ من قول الله تعالى أَو الملائكة لهم[٢]، ورأَى غيره: أَن قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ هو من قول الكفرة الذين قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾، و﴿ٱلدِّينِ﴾: الجزاء والمقارضة كما يقولون: كما تَدين تُدان، وأجمعوا أن قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ إلى آخر الآية؛ ليس من قول الكفرة، وإِنما المعنى: يُقَال لهم: هذا يوم الفصل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ معناه: وأَنواعهم وضرباءَهم، قاله عمر بن الخطاب

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣، وفيهما بدله: «الاستفهامين»، وانظر ما تقدم في (سورة الرعد).

(٢) نقله في البحر المحيط (٩/ ٩٦)، وفي الأصل: «وروى أبو حاتم».

رضي الله عنه[١]، وابن عباس، وقتادة[٢]، ومنه قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]؛ أَي: نُوِّعت، رُوي: أَنه يُضم عند هذا الأَمر كلُّ شكل إِلى شكله، وكل صاحب من الكفرة إِلى شكله وصاحبه، ومعهم ما كانوا يعبدون من دون الله، مِنْ آدميٍّ رَضِيَ بذلك، ومن صنم، ووثن، توبيخاً لهم وإِظهاراً لسوءِ حالهم.

قال الحسن: المعنى: وأَزواجهم المشركات من النساءِ[٣]، ورُوي ذلك عن ابن عباس[٤]، ورجَّحه الرماني[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ / معناه: قوِّموهم واحملوهم[٦] على طريق الجحيم. [٤/ ٢٥٩]

و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ طبقة من طبقات جهنم يقال إِنها الرابعة، ثم يأْمر الله تعالى بوقفهم.

و(وَقَفَ) يتعدى بنفسه، تقول: وقفْتُ زيداً، ووقَّفْتُ زيداً، وأَمْرُه بذلك على جهة التوبيخ لهم والسؤال.

واختلف الناس في الشيءِ الذي يُسأَلون عنه:

فرُوي عن ابن مسعود أَنه قال: يُسْأَلون: هل يحبون شرب الماءِ البارد؟[٧] وهذا على طريق الهزءِ بهم.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧) من طريق سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، فسماك جل روايته عن التابعين، فمن دونهم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وانظر فيه قول قتادة أيضاً.

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ١٤١).

(٤) لم أقف له على إسناد.

(٥) انظر البحر المحيط (٧/ ٣٤١).

(٦) في الأصل: «واجعلوهم».

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٣) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف، أبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ الكندي، خال سلمة بن كهيل، ذكره البخاري في الكبير (٥/ ٢٢١) وقال: لا يتابع على حديثه.

وقال ابن عباس: يسأَلون عن لا إِله إِلَّا الله[١].

وقال الجمهور من المفسرين: عن أَعمالهم، ويوقفون على قُبْحها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول مُتَّجه عام في الكفر[٢] وغيره.

ورُوي عن أَنس بن مالك عن النبي ﷺ أَنه قال: «أَيما رجل دعا رجلاً إلى شيءٍ كان لازماً له، وقرأَ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾»[٣].

ورَوى ابن مسعود عن النبي ﷺ أَنه قال: «لا تزول قدما عَبْد من بين يدي الله حتى يسأَله عن خمس: عن شبابه فِيمَ أَبلاه، وعن عمره فيم أَفناه، وعن ماله كيف اكتسبه وفيم أَنفقه، وعمَّا عمل فيما علم»[٤].

---

(١) لم أجده مسنداً.

(٢) في الحمزوية: «الكفرة»، وفي الأصل: «الهزء».

(٣) ضعيف، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٨٦) والترمذي (٣٥٠٨) من طريق معتمر بن سليمان، عن ليث بن أبي سليم، عن بشر، عن أنس، رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال الترمذي: هذا حديث غريب. وفي إسناده: ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف الحديث، ثم إنه اضطرب في إسناده ومتنه، كما أورده البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٨٦).

(٤) له طرق عدَّة، بعضها واهٍ، وأحسنها حديث أبي برزة، وصحَّ موقوفاً عن معاذ بنحوه، حديث ابن مسعود أخرجه الترمذي (٢٥٨٣) وابن عدي في كامله (٢/ ٣٥٣) من طريق الحسين بن قيس الرحبي، عن عطاء، عن ابن عمر، عن ابن مسعود، رضي الله عنهم، به مرفوعاً، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ، إلا من حديث حسين بن قيس، وحسين بن قيس يُضعف في الحديث، وله طريق أخرى من حديث أبي برزة الأسلمي، رضي الله عنه، رواه الترمذي (٢٥٨٤) من طريق شاذان، عن أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي برزة الأسلمي، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٣٤٨) من طريق: أبي بكر بن عياش عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عامر عن أبي برزة مرفوعاً، وأبو بكر بن عياش فيه لين مشهور، وسعيد قال فيه أبو حاتم: مجهول، وأخرج البزار (٧/ ٨٨) من طريق: سفيان عن ليث عن عدي بن عدي عن الصنابحي عن معاذ أحسبه رفعه، قال البزار: وأخبرناه يوسف بن موسى قال أخبرنا جرير ابن عبد الحميد قال: أخبرنا ليث عن عدي بن عدي عن الصنابحي عن معاذ بنحوه ولم يرفعه، =

ويحتمل عندي أَن يكون المعنى على نحو ما فسَّره بقوله: [﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾؛ أَي: إنكم مسؤولون عن امتناعهم عن التَّناصر، وهذا على جهة التوبيخ في هذا الفصل خاصّة؛ أعني:][(١)] الامتناع من التناصر.

وقرأ بتاءٍ واحدة خفيفة شيبة، ونافع.

وقرأ خلف بتاءَين، وكذلك في حرف عبد الله[(٢)].

وقرأ أَبو جعفر بن القعقاع بإِدغام التَّاءِ في التاءِ من قراءَة عبد الله بن مسعود[(٣)].

وقال الثعلبي: قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ جواب أَبي جهل حين قال في بدر: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤][(٤)].

ثم أَخبر تعالى بجوابهم في ذلك اليوم في حالة الاستسلام والإلقاءِ باليد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

هذه الجماعة التي يقبل بعضها على بعض هي إِنْس وجنٌّ، قاله قتادة[(٥)].

= ومن هذا الطريق: أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٤٦) في المصنف موقوفاً على معاذ.

(١) في أحمد٣ بدله: «ما لكم لا تناصرون أي تسألون عن»، وكذا المطبوع إلا أنها كتبت فيه: «ما لكن».

(٢) وهي شاذة، بلا نسبة في البحر المحيط (٩/ ٩٧)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٣٩)، وعزاها في تفسير الألوسي (١٢/ ٧٩) للبزي، ولم أجدها لابن مسعود ولا خلف، على أن في الثعالبي (٥/ ٢٦): «خلق»، وفي الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «خالد»، وليست فيهما «خفيفة».

(٣) فهي سبعية للبزي وكذلك الأولى للباقين، انظر التيسير (ص: ٨٣)، وموافقة أبي جعفر في النشر (٢/ ٢٣٤).

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٣).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥). وفي المطبوع: «قال قتادة».

وتَساؤُلُهم: هو على معنى التقريع واللوم والتسخط، والقائلون: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾؛ إما أَن يكون الإِنْسُ يقولونها للشياطين، وهذا قول مجاهد، وابن زيد[١].

وإمَّا أن يكون ضَعَفَة الإِنْس يقولونها للكُبراءِ والقادة.

واضطرب المتأَولون في معنى قولهم: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾، وعبَّر ابن زيد وغيره عنه بطريق الجنة والخير، ونحو هذا من العبارات التي هي تُفَسِّر بالمعنى ولا تختص بنفس اللفظة، وبعضهم نحا في تفسير اللفظة إلى ما يخصها، والذي يتحصل من ذلك معان:

منها: أَن يريد باليمين: القُوَّةَ والشِّدَّةَ، فكأَنهم قالوا: إِنكم كنتم تُغْوُونَنَا بقوة منكم، وتحملوننا على طريق الضلالة بمتابعة منكم في شدَّة، فعبَّر عن هذه المعاني باليمين، كقول العرب: بِيَدَيْنِ مَا أَوْرَدَ[٢]، وكما قالوا: اليد ـ في غير موضع ـ عن القوَّة، وقد ذهب بعض الناس ببيت الشَّماخ هذا المذهب، وهو قوله:

[الوافر] إِذَا مَـــا رَايَـةٌ رُفِـعَـتْ لِمَجْـدٍ تَلَـقَّـاهَــا عَرابَـــةُ بالْيَـمِـيـنِ[٣]

فقالوا: معناه: بقُوَّة وعزيمة، وإِلَّا فكلُّ أحد يتلقَّاها بيمينه لو كانت الجارحة، وأَيضاً فلما استعار الراية للمجد، فكذا لم يرد باليمين الجارحة.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أَن يريدوا: إِنكم كنتم تأْتوننا من الجهة التي يُحَسِّنُهَا تمويهكم وإِغواؤُكم[٤]، ويظهر فيها أَنَّها جهة الرشد والصواب، فتصير عندنا كاليمين الذي نتيمَّن بالسَّانح الذي يجيئُنا من قِبَلِهَا.

قال القاضي أبو محمد: فكأَنهم شبَّهوا أَقوال هؤلاءِ المُغْوِين بالسوانح التي هي

---

(١) انظر قول مجاهد وابن زيد في تفسير الطبري (٢١/ ٣١،٣٢)، مع قول ابن زيد الآتي.

(٢) المثل كاملًا هو: «بيدين ما أوردها زائدةُ»، مجمع الأمثال للميداني، (١/ ٩٠)، والأمثال لابن سلام (ص: ١٩).

(٣) انظر عزوه له في الشعر والشعراء (١/ ٣٠٧)، والكامل للمبرد (١/ ١٠٨).

(٤) في الحمزوية ونجيبويه: «إغراؤكم»، وفي الأصل: «إغراركم».

عندهم محمودة، كأَن التمويه في هذه الغوايات قد أظهر فيها ما يوشك أَن يُحمد به.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أَن يريدوا: إِنكم كنتم تأْتوننا؛ أَي: تقطعون بنا عن أَخبار الخير واليمين، فعبَّر عنها باليمين؛ إِذ اليمين هي الجهة التي يُتَيَمَّن بها وبكل ما كان منها وفيها.

ومن المعاني التي تحتملها الآية أَن يريدوا: إِنكم كنتم تجيؤوننا من جهة الشهوات وعدم النظر؛ والجهة الثقيلة من الإِنسان هي اليُمْنى لأَن كبده فيها، وجهة شماله فيها قلبه، وهي أَخف، وهذا معنى قول الشاعر:

تَرَكْنَا لَهُمْ شِقَّ الشِّمَالِ[1] .... [الطويل]

أَيْ: نزلنا لهم عن موضع الهروب؛ لأَن المنهزم إِنما يرجع على شقِّه الأَيسر، إِذْ هو أَخَفُّ شِقَّيْه، وإِذْ قلب الإِنسان في شماله وثَمَّ نظره، فكأَنْ هؤلاءِ كانوا يأْتون من جهة الشهوات والثِّقل.

قال القاضي أبو محمد: وأَكثر ما يتمكن هذا التأْويل مع إِغواءِ الشياطين، وهو قَلِقٌ مع إِغواءِ بني آدم.

وقيل: المعنى: تحلفون لنا وتأْتوننا إِتْيان مَنْ إِذا حَلَف لنا صدَّقناه.

قال القاضي أبو محمد: فاليمين على هذا: القَسَمُ.

وقد ذهب بعض الناس في ذكر إبليس جهات بني آدم في قوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧]، إلى ما ذكرناه من جهة الشهوات، فقال: ما بين يديه هي مغالطته فيما يراه، وما خلْفه هي مسارقته في الخفاءِ، وعن يمينه هو جانب شهواته، وعن شماله هو موضع نظره بقلبه وتحرزه[2] فقد يغلبه الشيطان فيه، / [٤/ ٢٦٠]

(١) تمامه: فأصبحوا * جميعاً يزجون المطي المخزما، وهو لحسان بن نشبة العدوي كما في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٢٣).

(٢) في الحمزوية والمطبوع والسليمانية: «وتحذيره»، وفي الأصل: «بقبله»، ولعله سبق قلم.

وهذا فيمن جعله في جهات ابن آدم الحاضرة لديه، ومنهم من جعلها في جهات أُموره وشؤونه، فيتَّسع التأْويل على هذا.

ثم أَخبر تعالى عن قول الجِنِّ المجيبين لهؤلاءِ: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ليس الأمر كما ذكرتم، بل كان لكم اكتسابُ الكفر به والبصيرة فيه، وإِنما نحن حملناكم على ما حملنا عليه أَنفسنا، وما كان لنا عليكم حجَّة ولا قوة إِلَّا طغيانُكم وإِرادتكم الكفر، فقد حقَّ القولُ على جميعنا، وتعيَّن العذابُ لنا، وإِنَّا جميعاً لذائقون.

و«الذَّوْق» هنا مستعار، وبنحو هذا فسَّر قتادة وغيره أنه قول الجنِّ إِلى ﴿غَٰوِينَ﴾[1].

ثم أَخبر الله تعالى أَنهم اشتركوا جميعاً في العذاب وحصل كلهم فيه، وأَن هذا فعله بأَهل الجُرْمِ واحْتِقَاب[2] الْإِثم والكفر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

هؤلاءِ أَهل الجُرْم الذين جهلوا الله سبحانه، وعظَّموا أَصناماً وأَوثاناً، فإِذا قيل: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ـ وهي كلمة الحق والعروة الوثقى ـ أَصابهم كِبْرٌ، وعَظُم عليهم أَن يتركوا أَصنامهم وأَصنام آبائهم، ونحو هذا فعل أَبي طالب حين قال له رسول الله ﷺ: «أَيْ عمِّ، قل لا إِله إِلَّا الله كلمة أَحاج[3] لك بها عند الله»، فقال أَبو جهل: أَترغب عن مِلَّة عبد المطلب؟ فقال آخرَ ما قال: أَنا على ملَّة عبد المطلب[4].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥).

(٢) الجُرْم: الذنب، واحْتَقَب الإثم: ارْتَكَبَه.

(٣) في الأصل: «أشهد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٩٤) ومسلم (٣٩) من حديث المسيب بن حزن، رضي الله عنه مرفوعاً، به.

وبعرضه ﷺ قول: «لا إِله إِلَّا الله» جرت السُّنة في تلقين الموتى المحتضرين ليخالفوا الكفرة ويخضعوا لها[١].

وأَما الطائفة التي قالت: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ فهي من قريش، وإِشارتهم بالشاعر المجنون هي لمحمد ﷺ، فردَّ الله تعالى عليهم، أَي: ليس الأَمر كما قالوا من أَنه شاعر، بل جاءَ بالحق من عند الله، وصدَّق الرسلَ المتقدمة له؛ كموسى وعيسى وإِبراهيم وغيرهم عليهم الصلاة والسلام.

ثم أَخبر تعالى مخاطباً لهم ـ ويجوز أَن يكون التأْويل: قل لهم يا محمد: ﴿إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ﴾.

قرأَ قوم بنصب (الْعَذَابَ)[٢]، وَوَجْهُها أَنه أَراد: لذائقون، فحذفت النون تخفيفاً، وهي قراءَة قد لحنت.

وقرأَ أَبو السمال: (لَذَائِقٌ) بالتنوين، (الْعَذَابَ) بالنصب[٣].

و﴿ٱلۡأَلِيمِ﴾: الْمُؤلم.

ثم أَعلمهم أَن ذلك جزاءٌ لهم بأَعمالهم واكتسابهم، ثم استثنى عبادَ الله استثناءً منقطعاً، وهم المؤمنون الذين أَخلصهم الله تعالى لنفسه.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، بفتح اللام.

وقرأَ الحسن، وقتادة، وأَبو رجاءٍ، وأَبو عمرٍو بكسر اللام، ورُويت هذه التي في (الصافَّات) عن الحسن بفتح اللام[٤].

---

(١) انظر نقل إجماع العلماء على تلقين المحتضر في شرح النووي على مسلم (٦/ ٢١٩).

(٢) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٢٧) لأبي السمال، وأبان بن تغلب عن عاصم.

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٥).

(٤) فهما سبعيتان، الثانية ـ التي بكسر اللام ـ لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وانظر نسبتها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى العباد المخلصين.

وقوله تعالى: ﴿مَّعْلُومٌ﴾ معناه: عندهم، فقد قرَّت عيونهم بعلم ما يستدرُّ عليهم من الرزق، وبأَن شهواتهم تأْتيهم لحينها، وإِلَّا فلو كان ذلك معلوماً عند الله فقط لما تخصَّص أَهلُ الجنَّة بشيءٍ.

وقوله: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ تَتْميمٌ بليغٌ للنِّعم؛ لأَنه رُبَّ مرزوق غير مُكْرم، وذلك أَعظم التنكيد(١).

و«السُّرُرُ»: جمع سرير.

وقرأَ أَبو السَّمال: (على سُرَر) بفتح الراءِ الأُولى(٢).

وفي هذا التقابل(٣) حديث مروي عن النبي ﷺ أنه قال: «في أحيان(٤) ترفع عنهم ستور فينظر بعضهم إلى بعض»(٥)، ولا محالة أَن أعظم(٦) أَحيانهم فيها متحيزون(٧) في قصورهم.

---

(١) في المطبوع: «التنكيل».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الكامل للهذلي (ص: ٦٤١).

(٣) في الحمزوية: «القول»، وفي المطبوع: «التأويل»، وفي أحمد٣: «الحائل».

(٤) في المطبوع: «أنهم في الجنان».

(٥) ضعيف، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٨٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩٣٢) وذكره في علله (٢/ ٣٦١) من طريق يحيى بن معن المدني، عن إبراهيم القرشي، عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى، مرفوعاً به، قال البخاري: وهذا إسناد مجهول، لا يتابع عليه، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض، وقال أبو حاتم: هذا حديث منكر، وفي إسناده مجهولون، وقال أيضاً، كما في الجرح والتعديل (٤/ ٣٣): سعيد بن شرحبيل مجهول، وإبراهيم مجهول.

(٦) في الأصل: «بعض».

(٧) في الحمزوية والسليمانية: «متحيرون»، وفي الأصل: «متخيرون».

و﴿يُطَافُ﴾ معناه: يطوف الوِلْدان، حسب ما فسَّرته آية أُخرى.

وَ«الْكَأْسُ» قال الزجاج، والطبري، وغيرهما: هو الإِناءُ الذي فيه خمر أوما يجري مجراه من الأَنبذة ونحوها[١]، ولا تُسَمَّى كأْساً إلا وفيها[٢] هذا المشروب المذكور.

وقال الضحاك: كلُّ كأس في القرآن هو خمر[٣].

وذهب بعض الناس إِلى أَن الكأْسَ بِنْيةٌ[٤] مخصوصةٌ في الأَواني، وهو كلُّ ما اتَّسع فمه ولم يكن له مقبض، ولا يُراعى في ذلك كونه بخمر أَم لا.

وقوله تعالى: ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ يريد: من جارٍ مطَّرد، فالميم في ﴿مَّعِينٍ﴾ أَصلية؛ لأَنه من الماءِ المعين، ويحتمل أَن يكون من العين فتكون الميم زائدة، أَي: ممَّا يُعيَّن بالعين غير مستور ولا في خزن[٥]، وخمر الدنيا إِنما هي معصورة مختزنة، وخمر الآخرة جارية أَنهاراً.

وقوله: ﴿بَيْضَآءَ﴾ يحتمل أَن يعود على الكأْس، ويحتمل أن يعود على الخمر، وهو الأَظهر.

قال الحسن بن أَبي الحسن: خمر الجنة أَشد بياضاً من اللَّبن[٦].

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (صَفْرَاءَ)[٧]، فهذا موصوف به الخمر وحدها.

و﴿لَذَّةٍ﴾ أَي: ذات لذَّة، فوصفها بالمصدر اتساعاً، وقد استعمل هذا حتى قيل: لذَّة بمعنى: لذيذة، ومنه قول الشاعر:

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٠٣)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٦).
(٢) في المطبوع وأحمد٣: «حتى يكون فيها».
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١).
(٤) في نجيبويه والأصل: «آنية».
(٥) في نجيبويه والمطبوع: «حرز»، وفي أحمد٣: «ولا مخزون».
(٦) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٤).
(٧) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٨).

[الكامل] بِحَدِيثِكِ اللَّذِّ الذِي لوْ كُلِّمَتْ أُسْدُ الْفَلَاةِ بِهِ أَتَيْنَ سِراعاً[١]

وقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لم تعمل (لا)؛ لأَن الظرف حال بينها وبين ما شأْن التبرئة[٢] أَن تعمل فيه.

و«الْغَوْلُ»: اسم عامٌّ في الأَذى، يقال: غاله كذا وكذا: إِذا ضرَّه في خفاءٍ، ومنه الغِيلة في القتل، وقال ﷺ في الرضاع: «لقد همَمْتُ أَن أَنهى عن الغِيلَةِ»[٣]، ومن اللفظة قول الشاعر:

[الطويل] مَضَى أَوَّلُونا ناعِمِينَ بِعَيْشِهِمْ جميعاً وَغَالَتْني بِمَكَّةَ غُولُ[٤]

أَي: عاقتني عوائق، فهذا معنى من معاني الغَوْل.

[٤/ ٢٦١] ومنه قول العرب في / مَثَل من الأَمثال: ما له غيل ما أغاله. يُضرب للرجل الحديد الذي لا يقوم لأَمر إِلَّا أَغنى فيه، أَو للرَّجل يدعى له بأَن يؤذي ما أَذاهُ[٥].

وقال ابن عباس[٦]، ومجاهد، وابن زيد ـ في الآية ـ: الغَوْلُ: وجعٌ في البطن[٧].

وقال ابن عباس أَيضاً[٨]، وقتادة: هو صداع في الرَّأْسِ[٩].

---

(١) لم أقف عليه في المصادر المتقدمة، وهو في البحر المحيط (٩/ ٨٨)، بلا نسبة.

(٢) في المطبوع: «شأنها».

(٣) أخرجه مسلم (١٤٤٢) من حديث جدامة بنت وهب الأسدية، رضي الله عنها، مرفوعاً، به.

(٤) البيت لرجل من جرهم، كما في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/ ٦١)، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (١/ ٢٢٧).

(٥) في نجيبويه والمطبوع: «يؤذي ما أدَّاه»، وهذا المثل لم أقف عليه، وجاء في المطبوع: «ما له عمل»، وسقطت «ما غاله» من أحمد٣.

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٧) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨).

(٨) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٩) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٤).

قال القاضي أَبو محمد: الاسم أَعم من هذا كله، فنفى عن خمر الجنة جميعَ أَنواع الأَذى، إِذ هي موجودة في خمر الدنيا، وقد نحا إِلى هذا العموم سعيد بن جبير[1]، ومنه قول الشاعر:

وَمَا زَالَتِ الْخَمْرُ تَغْتَالُنَا وتذهب بالأَوَّلِ الأَوَّلِ[2] [المتقارب]

أَي: تؤذينا بذهاب العقل.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرٍو، وابن عامر: ﴿يُنزَفُونَ﴾ بفتح الزاي، وكذلك في سورة الواقعة، من قوله: نُزِفَ الرجلُ: إِذا سَكِرَ، ونَزَفَتْهُ الخمرُ، والنَّزيفُ: السكرانُ، ومنه قول الشاعر:

فَلَثَمْتُ فَاهَا آخِذاً بِقُرونِهَا شُرْبَ النَّزيفِ لبَرْدِ ماءِ الْحَشْرَجِ[3] [الكامل]

وبإِذهاب العقل فسَّر ابن عباس[4]، ومجاهد، وقتادة ﴿يُنزَفُونَ﴾[5].

وقرأَ حمزة، والكسائي بكسر الزاي، وكذلك في الواقعة، من: أَنْزَف ينزِف بمعنيين: أَحدهما: سَكِرَ، ومنه قول الأُبَيْرِد الرِّياحيِّ[6]:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدَامَى أنتم آلَ أَبْجَرَا[7] [الطويل]

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨).

(٢) استشهد به بلا نسبة في البحر المحيط (٩/ ٨٨).

(٣) البيت لجميل، وقيل لعمرو بن ربيعة، كما تقدم في تفسير الآية (٨٣) من (سورة الكهف)، وفي المطبوع: «ببرد».

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣١١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٤).

(٦) هو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم شاعر فصيح بدوي من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية وليس بمكثر ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم، انظر أخباره في الأغاني (١٣/ ١٤٠).

(٧) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ١٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٦)، وتفسير الطبري (٢١/ ٤٠). وفي المطبوع: «كنتم» بدل «أنتم».

والثاني: نزف[١] شَرَابُهُ، يقال: أَنْزَفَ الرجل: إِذا تمَّ شرابُه، فهذا كله منفيٌّ عن أهل الجنة.

وقرأَ عاصم هنا بفتح الزاي، وفي (الواقعة) بكسر الزاي[٢].

وقرأَ ابن أبي إسحاق بفتح الياءِ وكسر الزاي[٣].

و﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾؛ قال ابن عباس[٤]، ومجاهد، وابن زيد، وقتادة: معناه: على أَزواجهن، لا ينظرن إِلى غيرهم، ولا يمتد طرف إِحداهنَّ إِلى أَجنبي[٥]، فهذا هو قَصر الطَّرْف.

و﴿عِينٌ﴾: جمعُ عيناءَ، وهي الكبيرة العين في جَمَال.

وأَما قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾ فقد اختلف الناس [في الشيء المشبه به][٦]؛ ما هو؟

فقال السدي، وابن جُبَير: شبَّه أَلوانهن بلون قشر البيضة الداخلي، وهو الغِرْقِئ[٧]، وهو المكنونُ، أَي: المصون في كِنٍّ، ورجَّحه الطبري، قال: وأَما خارجُ قِشْر البيضة فليس بمكنون.

وقال الجمهور: شبَّه أَلوانهن بلون قشر بيض النعام، وهو بياض قد خالطته صفرة حسنة، قالوا: والبيْضُ نفسه في الأَغلب هو المكنون بالريش، ومتى شذَّت به حالٌ فلم

---

(١) في الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «بعد».

(٢) في الآية (١٩)، وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٧)، و«ينزف» ليست في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع.

(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٤١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤١).

(٦) سقط من المطبوع.

(٧) الغِرْقِئُ: القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيض، انظر قولهما وقول الطبري في: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣)، والهداية لمكي (٩/ ٦١٠٣).

يكن مكنوناً خرج عن أَن يُشَبَّه به، وهذا قول الحسن، وابن زيد[١]، ومنه قول امرئ القيس:

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الماءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ[٢] [الطويل]

وهذا المعنى كثير في أَشعار العرب.

وقال ابن عباس ـ فيما حكى الطبري ـ: البيضُ المكنون: أراد به الجوهر المصون[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول لا يصح عندي عن ابن عباس؛ لأَنه يردُّه اللفظ من الآية.

وقالت فرقة: إِنما شبَّهَهُنَّ تعالى بالبيض المكنون تشبيهاً عامّاً، جملة المرأَة بجملة البيضة، وأَراد بذلك: تناسب أَجزاء المرأَة، وكل جزءٍ منها نِسْبته في الجودة إِلى نوعه نِسْبة الآخر من أَجزائها إِلى نوعه، فنسبة شعرها إِلى عينها مستويةٌ، إِذ هما غايةٌ في نوعهما، والبيضة أَشدُّ الأَشياءِ تناسُبَ أَجزاءٍ؛ لأَنك من حيث جئتها فالنظر واحد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

هذا التساؤُل الذي بين أَهل الجنة هو تساؤُل راحةٍ وتنعُّم، يتذاكرون أُمورهم في الجنة وأمر الدنيا وحال الطاعة والإِيمان فيها، فأَخبر تعالى عن قول قائل منهم في قصته، فهو مثال لكل من له قرين سوءٍ، ويعطي هذا المثال التَّحفظ من قرناءِ السوءِ، واستشعار معصيتهم، وعبَّر عن قول هذا الرجل بالمضي من حيث كان أَمراً متيقَّناً حاصلاً لا محالة.

وقال ابن عباس وغيره: كان هذان من البشر؛ مؤمنٍ وكافر[٤].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٢)، والهداية لمكي (٩/ ٦١٠٤) بتصرف.

(٢) عزاه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٧)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٥٢). وفي فيض الله والسليمانية ونجيبويه: «مقاناة».

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٤٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالت فرقة: هما اللذان ذكر اللهُ في قوله: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٨].

وقال مجاهد: كان إِنسيّاً وجنِّيّاً من الشياطين الكفرة[١].

قال القاضي أبو محمد: والأَول أَصوب.

وقرأ جمهور الناس: ﴿لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ﴾ بتخفيف الصاد، من التصديق.

وقرأَت فرقة بالتشديد للصاد[٢]، من التَّصَدُّق.

وقال فُراتُ بن ثعلبة البهراني[٣] في قصص هذين: إِنما كانا شريكين بثمانية آلاف دينار، فكان أحدهما يعبد الله ويقصر[٤] من التجارة والنظر، وكان الآخر كافراً مُقْبلاً على مالِه، فحلَّ الشركة مع المؤمن وبقي وحده لتقصير المؤمن، ثم إِنه جعل كلما اشترى شيئاً ـ من دارٍ وجاريةٍ وبستان ونحوه ـ عَرَضَه على ذلك المؤمن وفَخَر عليه به، فيمضي المؤمن عند ذلك ويتصدق بنحو ذلك الثمن ليشتري به من الله في الجنة، فكان من أَمرهما في الآخرة ما تضمنته هذه الآية[٥].

قال الطبريُّ: وهذا الحديث يؤيد قراءَة من قرأ: (من المصّدّقين) بتشديد الصاد.

و(مَدِينُونَ) معناه: مجازَوْن محاسبون، قاله ابن عباس[٦]، وقتادة، والسدي[٧].

و«الدِّين»: الجزاءُ، وقد تقدم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥).

(٢) وهي شاذة، لابن كيسة عن حمزة كما في جامع البيان (٤/ ١٥٢٦)، والكامل للهذلي (ص: ٦٢٧)، والأولى هي المتواترة.

(٣) شامي أدرك النبيّ ﷺ، ولا تصح له رؤية، وحديثه مرسل، روى عنه ضمرة والمهاجر ابنا حبيب، وسليم بن عامر. الإصابة (٥/ ٢٩٣).

(٤) في الأصل: «ويقصد».

(٥) انظره مع قول الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٦).

(٦) ضعيف: أخرجه الطبري (٢١/ ٤٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

في الكلام حذف تقديره: فقال لهذا الرجل حاضروه من الملائكة: قرينك هذا في جهنم يُعَذَّب، فقال عند ذلك: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾، ويحتمل أن يخاطب بـ﴿أَنتُم﴾ الملائكة.

ويحتمل أن يخاطب رفقاءَه في الجنة، / ويحتمل أن يخاطب خَدَمَته، وكلَّ هذا حكى المهدوي[1]. [٤/ ٢٦٢]

وقرأ جمهور القراء: ﴿مُّطَّلِعُونَ﴾ بفتح الطاءِ مشددةً.

وقرأ أبو عمرٍو في رواية حسين بسكونها مع فتح النون[2].

وقرأ أبو البرهسم بسكونها وكسر النون على أنها ضمير المتكلم[3].

ورَدَّ هذه القراءَة أبو حاتم وغيره ولَحَّنُوها؛ وذلك أنها جمعت بين نون الإضافة ونون المتكلم، والوجه أن يقال: مُطْلِعِيَّ، ووجَّه القراءَة أبو الفتح بن جنِّي وقال: أنزل الفاعل منزلة الفعل المضارع[4]، وأنشد الطبريُّ على هذا:

وَمَـا أَدْرِي وَظَـنِّـي كُـلُّ ظَنٍّ أَمُسْلِمُنِي إِلَى قَوْمِي شَراحِي[5] [الوافر]

قال الفراءُ: يريد: شراحيل[6].

(١) التحصيل للمهدوي (٥/ ٤٣٢).

(٢) وهي شاذة، ليست من طريق التيسير، انظرها في السبعة (ص: ٥٨٤).

(٣) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٩/ ١٠٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٠٥) لابن أبي عبلة.

(٤) انظر التوجيه مع قول أبي حاتم في المحتسب (٢/ ٢١٨).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٩)، بلا نسبة، وهو ليزيد بن محرم الحارثي في شرح شواهد المغني (٢/ ٧٧٠)، والمقاصد النحوية (١/ ٣٨٥).

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٦).

وقرأَ الجمهور: ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ بصلة[١] الأَلف مشدَّدة الطاءِ المفتوحة.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية الحسين: بضم الأَلف وسكون الطاءِ خفيفة وكسر اللام، وهي قراءَة أَبي البرهسم[٢].

قال الزجاج: هي قراءَة من قرأَ: (مُطْلِعُونِ) بكسر النون[٣].

ورُوي: أَن لأَهل الجنة كوى وطاقات يشرفون منها على أَهل النار إِذا شاؤوا[٤] على جهة النقمة[٥] والعبرة؛ لأَن لهم في عذاب أَهل النار وتوبيخهم سروراً وراحةً، حكاه الرماني عن أبي عليٍّ[٦].

و﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وسَطُه، قاله ابن عباس، والحسن، والناس[٧].

وسُمِّي بسواءِ الجحيم؛ لاستواءِ المسافة منه إِلى الجوانب.

و«الجحيمُ»: متراكمُ جمْر النار.

ورُوي عن مطرف بن عبد الله، وخُلَيْد العَصَري[٨]: أَنه رآه قد تغيَّر خبره وسبره[٩]، أَي: تبدَّلت حالُه، ولولا ما عرَّفه الله إِيَّاهُ لم يميِّزه، فقال له المؤمن عند ذلك: ﴿تَٱللَّهِ إِن

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «موصولة».

(٢) وهي شاذة، ليست من طرق التيسير ولا من طرق النشر، انظرها في السبعة (ص: ٥٤٨).

(٣) في الأصل: «اللام»، انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٠٤)، وربط بينهما أيضاً في المحتسب (٢/ ٢١٨).

(٤) سقط من الحمزوية، وفي الأصل: «شاقوا».

(٥) سقط من الحمزوية، وفي المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «النعمة».

(٦) لم أقف عليه.

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٦) من طريق عطية العوفي، ومن طريق علي بن أبي طلحة، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) خليد بن عبد الله العصري أبو سليمان البصري، روى عن أبي ذر وأبي الدرداء، وعنه قتادة وأبو الأشهب. تاريخ الإسلام (٧/ ٧٣).

(٩) في الحمزوية ونجيبويه: «خبره وسيره»، وفي المطبوع: «حبره وسبره»، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٤٨).

كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾، أَي: تهلكني بإِغوائك، والرَّدى: الهلاكُ، ومنه قول الأَعشى:

أَفي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى   وَكَـمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَـرِمْ[١] [المتقارب]

وفي مصحف ابن مسعود: (إِن كدتَّ لَتُغْوِينِ) بالواو، من الغَيِّ، وذكرها أَبو عمرو الداني بالراءِ، من الإِغراءِ، والتَّاءُ في هذا كله مضمومة[٢].

ورفع ﴿نِعۡمَةُ رَبِّي﴾ بالابتداءِ، وهو إِعراب ما كان بعد (لولا) عند سيبويه، والخبر محذوف تقديره: تداركته ونحوه.

و﴿ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ معناه: في العذاب.

وقولُ المؤمن: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ﴾ إِلى قوله: ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾ يحتمل أَن يكون مخاطبة لرفقائه [في الجنة][٣]، لَمَّا رأَى ما نزل بقرينه ونظر إِلى حاله في الجنة وحال رفقائه قدَّر النعمة قدرها، فقال لهم على جهة التوقيف على النعمة: أفما نحن بميتين ولا معذبين، ويجيءُ على هذا التأْويل قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ إِلى قوله: ﴿ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ متَّصلاً بكلامه، خطاباً لرفقائه.

ويحتمل قوله: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ﴾ إِلى قوله: ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾ أَن يكون مخاطبة لقرينه على جهة التوبيخ، كأَنه يقول: أَين الذي كنت تقول: من أَنَّا نموت وليس بعد الموت عقاب ولا عذاب؟

ويكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ﴾ إِلى قوله: ﴿ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ يحتمل أَن يكون من خطاب المؤمن لقرينه، وإِليه ذهب قتادة[٤].

---

(١) عزاه له تفسير الطبري (٢١/ ٥٠)، وعيار الشعر (ص: ٦٧)، والموشح للمرزباني (ص: ٥٨)، وديوان المعاني للعسكري (٢/ ١٩٢).

(٢) وكلتاهما شاذة، انظر الأولى في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٥)، وانظر معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣١)، والثانية لم أقف عليها.

(٣) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية ونجيبويه.

(٤) انظر الهداية لمكي (٩/ ٦١١١).

ويحتمل أَن يكون من خطاب الله تعالى لمحمد ﷺ وأُمَّته، ويَقْوى هذا لأَن قول المؤمن: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ والآخرة ليست بدار عمل؛ يقْلَقُ إِلَّا على تجوُّز، كأَنه يقول: لمثل هذا كان ينبغي أَن يعمل العاملون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

الأَلف من قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ﴾ للتقرير، والمراد تقرير قريش والكفار.

وجاءَ ﴿أَمْ﴾ بلفظ التخيير بين شيئين لا اشتراك بينهما من حيث كان الكلام تقريراً، والاحتجاج يقتضي أَن يوقف المتكلم خصمه على قسمين أَحدهما فاسد ويحمله بالتقرير على اختيار أَحدهما، ولو كان الكلام خبراً لم يَجُزْ ولا أَفاد أَن يقال: الجنَّةُ خير من شجر الزقوم.

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤] فهذا على اعتقادهم في أَن لهم مُسْتَقَرّاً جيداً[(١)]، وقد تقدم إِيعابُ هذا المعنى.

قال القاضي أبو محمد: وفي بعض البلاد الجدبة المجاورة للصحاري شجرةٌ مُرَّة مسمومة لها لبنٌ إِن مسَّ جسمَ أَحد تورَّم ومات منه في أَغلب الأَمر، تُسَمَّى شجرة الزَّقُّوم، والتَّزَقُّم في كلام العرب: البَلْع على شدَّة وجهد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ قال قتادة، والسدي، ومجاهد: يريد أَبا جهل ونُظراءَه، وذلك أَنه لما نزلت ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ الآية، قال الكفار: وكيف يخبر محمد عن النار أَنها تُنبت الأَشجار وهي تأْكلها وتُذهبها؟ ففتنوا بذلك

---

(١) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «خيْـراً».

أَنفسهم وجَهَلةً من أَتباعهم، وقال أَبو جهل: إِنما الزَّقُّوم التَّمر بالزبد، ونحن نتزقمه[١].

وقوله: ﴿فِىٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ يعني: ملاصق نهاياتها[٢] الذي لها كالجدرات[٣].

وفي قراءَة ابن مسعود: (إنها شجرة ثابتة في أصل الجحيم)[٤].

قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ اختلف الناسُ في معناه:

فقالت فرقة: شُبِّه بثمر شجرة معروفة يقال لها: رُؤوس الشياطين، وهي بناحية اليمن، يقال لها: الأستن[٥]، وهي التي ذكر النابغة في قوله:

..... مـن أَسْـتن سُـودٍ أَسـافِلُهُ[٦] .... [البسيط]

ويقال: إِنه الشجر الذي يقال له: الصَّوْم، وهو الذي يعني ساعدة بن جُؤَيَّة في قوله:

مُـوَكَّلٌ بِشُـدُوفِ الصَّـوْمِ يَرْقُبُهَـا مِنَ المَعَازِبِ مَخْطوف الْحَشَازَرِمُ[٧] [البسيط]

وقالت فرقة: شبه برؤوس / صنف من الحيَّات يقال له: الشياطين، وهي ذات أعراف، ومنه قول الشاعر: [٤/ ٢٦٣]

عجيـز تَحْلِـفُ حِيـنَ أَحْلِـفُ كَمِثْلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ[٨] [الرجز]

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٣) من طريق السدي، به معضلًا.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «أساسها».

(٣) في الحمزوية والمطبوع: «الجدران»، وفي السليمانية: «كالجدر».

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٩).

(٥) في الحمزوية ونور العثمانية وفيض الله: «الاستن»، وفي المطبوع: «أستن»، وكذا في البيت.

(٦) وهو بتمامه: تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ * مَشْيَ الإِماءِ الْغَوَادي تَحْمِلُ الحُزُمَا، عزاه له في الكامل للمبرد (٣/ ٧٠)، والعقد الفريد (٦/ ٢٠٥)، والشعر والشعراء (١/ ١٦٧)، والصناعتين: (ص: ٨٤)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٣٣)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٣٢).

(٧) انظر نسبته له في المعاني الكبير (٢/ ٧٢٥)، وأمالي القالي (١/ ٢٥)، والمحكم (٨/ ٢٩)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢٢٣).

(٨) بلا نسبة في المعاني الكبير (٢/ ٦٦٨)، والفاخر (ص: ٢٩٢)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٠٥). وفي المطبوع: «عنجرد»، وهي المرأة الخبيثة سيِّئة الخُلُق، وهي رواية معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٧).

وقالت فرقة: شبَّه بما استقر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقُبحها وإِن كانت لم تُرَ، وهذا كما تقول للأَشعث المنتفش الشعر الكريه المنظر: هذا وجه[1] شيطان، ونحو هذا قول امرئ القيس الكندي:

[الطويل] أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ[2]

فإِنما شبّه بما استقر في النفوس من هيئتها.

و«الشَّوْبُ»: المزج والخلْط، قاله ابن عباس[3]، وقتادة[4].

وقرأ شيبان النحوي[5]: (لشُوباً) بضم الشين[6].

قال الزجَّاج: فَتْحُ الشين المصْدَرُ، وضمُّها الاسمُ[7].

و«الحميم»: السخن جدّاً من الماءِ ونحوه، وقد يريد به هاهنا شرابهم الذي هو طينة الخبال صديدهم[8] وما ينماع منهم، هذا قول جماعة من المفسرين.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ يحتمل أَن يكون لهم انتقال أَجسادٍ في وقت الأَكل والشرب ويرجعون إِلى معظم الجحيم وكثرته، ذكره الرمانيُّ[9]، وشبَّهه بقوله

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٠٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٦١)، والكامل للمبرد (٣/ ٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٩٥)، وتفسير الطبري (٢١/ ٥٥).

(٥) هو شيبان بن عبد الرحمن، مولى بني تميم، أبو معاوية البصري، أحد الأئمة المتعينين، نزل الكوفة فأدب بها أولاد الأمير داود بن علي العباسي، روى عن: الحسن، وقتادة، وثقه ابن معين، كان صاحب حروف وقراءات، توفي سنة (١٦٤هـ). تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٦٦).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢١٩).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٠٧).

(٨) سقط من المطبوع.

(٩) لم أقف عليه. ولفظة «وكثرته» من نور العثمانية وفيض الله.

تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

ويحتمل أَن يكون الرجوع إِنما هو من حال ذلك الأَكل المعذب إِلى حال الاحتراق دون أَكْل، وبكلِّ احتمالٍ قيل.

وفي مصحف ابن مسعود: (وأَنَّ مُنْقَلَبَهم لإِلَى الْجَحِيم).

وفي كتاب أَبي حاتم عنه: (مَقِيلَهُمْ)، من القائلة[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ إِلى آخر الآية؛ تمثيل لقريش.

و﴿يُهْرَعُونَ﴾، قال قتادة، والسدي، وابن زيد: معناه: يسرعون كأَنهم يساقون بِعَجَلةٍ، وهذا تكسُّبهم للكفر وحرصهم عليه، و«الإِهْراعُ»: سيْرٌ شديد، قال مجاهد، كهيئة الهرولة[٢].

قال القاضي أبو محمد: وفيه شبه رِعْدة، وكأَنه أَيضاً شبه[٣] سير الفازع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٧٤) وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (٧٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٩)﴾.

مثَّل تعالى لقريش في هذه الآية بالأُمم التي ضلَّت قديماً، وجاءَها الإِنذارُ، وأَهلكها الله تعالى بعذابه[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ يقتضي الإِخبار بأَنه عذَّبهم، ولذلك حسُن الاستثناءُ في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) وهما شاذتان، الأولى في الطبري (٢١/ ٥٦)، والثانية في تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٦)، وورد مثلها في (سورة الفرقان).

(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٥٧).

(٣) من الأصل وفيض الله، وسقطت «سير» من فيض الله، وفي المطبوع: «الفارغ»، وفي أحمد٣: «تسيير الفارغ».

(٤) في المطبوع: «بعدله».

ونداءُ نوح عليه السلام قد تضمن أَشياءَ: منها الدعاءُ على قومه، ومنها سؤال النجاة، ومنها طلب النُّصرة، وفي جميع ذلك وقعت الإِجابة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ يقتضي الخبر بأَن الإِجابة كانت على أَكمل ما أَراد نوح عليه السلام.

وَ﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال السُّدي: هو الغرق[١].

قال القاضي أبو محمد: ومن الكرب تكذيب الكفرة، وركوب الماءِ وهَوْله.

قال الرُّماني: ﴿ٱلْكَرْبِ﴾: الخبر الثقيل على القلب.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ قال ابن عباس، وقتادة: أَهل الأَرض كلهم من ذرية نوح[٢].

وقال الطبري: العربُ من أَولاد سام، والسودانُ من أَولاد حام، والتُّرك والصَّقْلب وغيرهم من أولاد يافث.

ورُوي عن سَمُرة بن جندب: أَن النبي ﷺ قرأَ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ الآية، وقال: «سام وحام ويافث»[٣].

وقالت فرقة: إِن الله تعالى أَبقى ذرية نوح، ومَدَّ نسْله، وبارك في ضِئْضِئِه[٤]، وليس

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٢٦)، تفسير الطبري (٢١/ ٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر فيه أيضاً قول قتادة، وقول الطبري الآتي.

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي في علله (٦٥٨) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ، مرفوعاً، به، قال الترمذي: قلت لمحمد: روى هذا غير سعيد بن بشير، عن قتادة؟ فلم يعرفه إلا من حديثه، انتهى. قلت: وسعيد بن بشير، هو الأزدي، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (١٠/ ٣٤٨).

(٤) الضِّئْضِئ: الأصل والمعدن.

الأمر بأَن أَهل الدنيا[١] انحصروا إِلى نسله، بل في الأُمم من لا يرجع إِليه، والأَول أَشهر عن علماءِ الأُمة، وقالوا: نوح هو آدم الأَصغر.

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ معناه: ثناءً حسناً جميلاً باقياً آخر الدهر، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي[٢].

وقوله: ﴿سَلَامٌ﴾ على هذا التأْويل رفع بالابتداءِ مستأْنف، سلَّم الله به عليه ليقتدي بذلك البشر.

قال الطبريُّ: هذه أَمَنة منه لنوح في العالمين أَن يذكره أَحد بسوءٍ[٣].

قال القاضي أَبو محمد: هذا جزاءُ ما صبر طويلاً على أَقوال الكفرة الفجرة.

وقال الفراءُ وغيره من الكوفيين: قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾: جملةٌ في موضع نصب بـ(تَرَكْنَا)، وهذا هو المتروك عليه[٤]، فكأَنه قال: وتركنا على نوح تسليماً، يُسلَّم به عليه إِلى يوم القيامة.

وفي قراءَة عبد الله: (سَلَاماً على نوح) على النصب بـ(تَـرَكْنَا)[٥].

صلَّى الله على نوح وعلى آله وسلَّم تسليماً، وشرَّف وكرَّم، وعلى جميع أَنبيائه.

و﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ معناه: في الباقين غابر الدهر، والقراءَة بكسر الخاءِ، وما كان من إِهلاكٍ فهو بفتحها.

---

(١) في الأصل: «أهل الأرض».

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر فيه الأقوال الأخرى.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٦٠)، وفي المطبوع: قاله الطبري.

(٤) انظر كلامه على هذه الآية في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٨).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٨٨)، والهداية لمكي (٩/ ٦١٢٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إِشارة إِلى إنعامه على نوح بالإِجابة كما اقترح، وأثنى تعالى على نوح بالإِحسان لصبره على أذى قومه ومطاولته لهم، وغير ذلك من عبادته وأفعاله / ﷺ. [٤/ ٢٦٤]

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ يقتضي أنه أغرق قوم نوح وأُمَّته ومكذِّبيه، وليس في ذلك نصٌّ على أَن الغرق عمَّ جميع أَهل الأَرض، ولكن قد قال به جماعة من العلماءِ، وأُسندت به أَحاديث [بأَن الغرق عمَّ جميع الناس][(١)] إِلاَّ من كان معه في السفينة، وعلى هذا يترتب القول بأَن الناس اليوم من ذريته، وقالوا: لم يكن الناس يومئذ بهذه الكثرة؛ لأَن عهد آدم عليه السلام كان قريباً، وكانت دعوة نوح عليه السلام ونبوته قد بلغت جميعهم لطول المدة واللُّبث فيهم، وكان الجميع كفرة عَبَدَةَ أَوثان لَمْ يثنهم[(٢)] الحقُّ إِلى نفسه، فلذلك أَغرق جميعهم.

وقوله تعالى: ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي: الضمير عائد على نوح[(٣)]، والمعنى: في الدِّين والتوحيد.

وقال الطبري وغيره عن الفراءِ: الضمير عائد على محمد ﷺ، والإِشارة إِليه[(٤)].

(١) في المطبوع وأحمد٣: «أنه لم يبق معه».
(٢) في نجيبويه: «يضفهم»، وفي المطبوع: «ينسبهم».
(٣) ضعيف، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٠) من طريق أبي حذيفة، عن شبل بن عباد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف، أبو حذيفة، هو: موسى بن مسعود النهدي، سيء الحفظ. انظر تهذيب الكمال (٢٩/ ١٤٥).
(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٦١، ٦٢).

قال القاضي أبو محمد: وذلك كلُّه محتمل؛ لأَن (الشِّيعة) معناها: الصنف الشائع الذي يُشبه بعضه بعضاً، والشِّيَعُ: الفِرَق، وإِن كان الأَعرف أَن المتأَخر في الزَّمن هو شيعة للمتقدم، ولكن قد يجيءُ في الكلام عكس ذلك، قال الشاعر:

وَمَـالِـيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ ... وَمَالِيَ إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ[1] [الطويل]

فجعلهم شِيعَةً لنفسه.

وقوله تعالى: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال المفسرون: يريد: من الشَّكِّ والشرك وجميع النقائص التي تلحق قلوب بني آدم كالغِلِّ والحسد والكِبْر ونحوه، قال عروة بن الزبير: لم يَلْعن شيئاً قَطُّ[2].

وقوله: ﴿أَئِفْكًا﴾؛ استفهامٌ بمعنى التقرير، أَي: أَكَذِباً ومُحالاً آلهةً دون الله تريدون؟ ونصب ﴿ءَالِهَةً﴾ على البدل من ﴿أَئِفْكًا﴾، وسهلت الهمزة الأَصلية من الإِفك.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ توبيخٌ وتحذيرٌ وتوعُّدٌ.

ثم أَخبر تعالى عن نظرة إِبراهيم عليه السلام في النجوم، رُوي: أَن قومه كان لهم عيد يخرجون إِليه، فدعوا إِبراهيم عليه السلام إِلى الخروج معهم، فنظر حينئذ واعتذر بالسقم، وأَراد البقاءَ خلافهم إِلى الأَصنام، وقال ابن زيد، عن أَبيه: أَرسل إِليه ملكُهم أَن غداً عيدٌ فاحضر معنا، فنظر إِلى نجم طالع فقال: إِن هذا يطلع مع سقمي[3]، فقالت فرقة: معنى ﴿نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾؛ أَي: فيما نَجَم إِليه من أَمر قومه وحاله معهم، وقال الجمهور: نظر في نجوم السماءِ، ورُوي: أَن علم النجوم كان عندهم منظوراً فيه

---

(١) البيت للكُمَيْت، انظر عزوه له بهذا اللفظ في العين (١/ ٢٦٣)، والصحاح للجوهري (١/ ١٥٦) والمقتضب (٤/ ٣٩٨) وغيرهم.

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٨)، والهداية لمكي (٩/ ٦١٢٢).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٦٣-٦٤) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه به، وهذا إسناد ضعيف، عبد الرحمن بن زيد ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (١٧/ ١١٤).

مُسْتَعملاً، فأَوهمهم هو من تلك الجهة، وذلك أَنهم كانوا أَهل رعاية وفلاحة، وهاتان المعيشتان يُحتاج فيهما إِلى نظر في النجوم.

واختلف أيضاً في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾:

فقالت فرقة: هي كذبة في ذات الله تعالى، أَخبرهم عن نفسه أنه مريض، وأَن الكوكب أَعطاه ذلك، قال ابن عباس وغيره: أَشار لهم إِلى مرض وسقم يُعدي كالطاعون، ولذلك تَوَلَّوْا مُدْبرين، أَي: فارِّين منه[1].

وقال بعضهم: بل تَوَلَّوْا مُدْبرين لكفرهم به واحتقارهم لأَمره.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا التأْويل في أنها كذبة يجيءُ الحديث: «لم يكذب إِبراهيم إِلا ثلاث كذبات: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله في سارَةَ: هي أُخْتي»[2].

وقالت فرقة: ليست بكذبة، ولا يجوز الكذب عليه، ولكنها من المعاريض، أَخبرهم بأَنه سقيم في المآل[3]، أَو على عرف ابن آدم؛ لأَن ابن آدم لا بُدَّ أن يسقم ضرورة.

وقيل على هذا: أَراد: إِني سقيم النفس من أُموركم وكفركم، فظهر لهم من كلامه أَنه أَراد سقماً بالجسم حاضراً، وهكذا هي المعاريض.

قال القاضي أبو محمد: وهذا التأْويل لا يردُّه الحديث: وذكر الكذبات؛ لأَنه قد يقال لهذا كذِبٌ على الاتساع بحسب اعتقاد المخبر، والكذبُ الذي هو قصد قول

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٦٥) قال: حُدثت عن يحيى بن زكريا، عن بعض أصحابه، عن حكيم بن جُبَير، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، وإبهام راويه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٩) ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٣) في المطبوع: «سقيم المال».

الباطل والإِخبارُ بِضِدِّ ما في النَّفْس بغير منفعة شرعية هو الذي لا يجوز على الأَنبياءِ صلوات الله عليهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

(رَاغَ) معناه: مالَ، ومنه قول عدِيٍّ بن زيد:

حَيْـثُ لا يَنْفَـعُ الرِّيَـاغُ وَلَا يَنْـ ... ـفَـعُ إِلَّا الْمُصَـادِقُ النِّحْرِيـرُ[١] [الخفيف]

وقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ هو على جهة الاستهزاءِ بِعَبَدَة تلك الأصنام، [وروي: أن عادة أولئك كانت أنهم يتركون في بيوت الأصنام طعاماً][٢]، ويعتقدون أنها تصيب منه شميماً، ونحو هذا من المعتقدات الباطلة، ثم كان خدمة البيت يأْكلونه، فلما دخل إِبراهيم وقف على الأَكل والنطق والمخاطبة للأَصنام بقصد الاستهزاءِ بعابديها، ثم مال عند ذلك إِلى ضرب تلك الأَصنام بفأْسٍ حتى جعلها جُذاذاً.

واختلف في معنى قوله: ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾:

فقال ابن عباس: يُمنَى يديه[٣]، وقيل: أَراد: بِقُوَّته؛ لأَنه كان يجمع يديه معاً بالفأْس.

وقيل: أَراد بيمين القسم في قوله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، و﴿ضَرْبًۢا﴾ نصب على المصدر بفعل مضمر من لفظه.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢١/ ٦٥)، وفيه: «الرواغ»، بالواو، والاختيارين للأخفش (ص: ٧١٧) بلفظ: يوم لا ينفع الرواغ، ولا ينـ * ـصع إلا المشيع، النحرير، وكذا ابن بري في التعريب والمعرب (ص: ١٤٩) زاد: ويروى للأسود بن يعفر.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ورُوي أَن عبادتهم كانت ترك الطعام في بيوت الأَصنام».

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وفي مصحف عبد الله: (صَفقاً بِالْيَمِينِ)[١].

والضمير في قوله: ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟﴾ لكفار قومه.

وقرأ الجمهور: ﴿يَزِفُّونَ﴾ بفتح الياءِ، من: زَفَّ: إذا أَسْرَع، وزفَّت الإِبل: إذا أَسرعت، ومنه قول الفرزدق:

[الطويل] فَجَـاءَ قَرِيـعُ الشَّـوْل قَبْـلَ إِفَالِهَـا يَزِفُّ وجاءَتْ خَلْفَـهُ وَهِيَ زُفَّفُ[٢]

ومنه قول الهذليِّ:

[البسيط] وزَفَّتِ الشَّـولُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِـيِّ كَمَا زَفَّ النَّعـام إِلـى حفَّانِـهِ الـرُّوحُ[٣]

[٤/ ٢٦٥] / وقرأ حمزة وحده: ﴿يُزِفُّونَ﴾ بضم الياءِ[٤]، من: أَزَفَّ: إذا دخل في الزَّفيف، وليست بهمزة تعدية، هذا قول.

وقال أَبو عليٍّ: معناها: يحملون غيرهم على الزَّفيف، وحكاه عن الأَصمعي[٥].

وهي قراءَة مجاهد، وابن وثَّاب، والأَعمش[٦].

وقرأ مجاهد، وعبد الله بن زيد: (يَزِفُونَ) بفتح الياءِ وتخفيف الفاءِ[٧] من: وَزَفَ يَزِفُ، وهي لغة منكرةٌ، قال الكسائي والفراءُ: لا نعرفها بمعنى: زَفَّ[٨].

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٩)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٨)، وتفسير الطبري (٢١/ ٦٧). وفي الأصل: «صفعاً».

(٢) انظر نسبته له في العين (١/ ١٥٦)، والحيوان (١/ ٢٥٩)، والمعاني الكبير (١/ ٤١٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٠١).

(٣) هو أبو ذؤيب انظر عزوه له في الصحاح للجوهري (١/ ٣٧٠)، والمحتسب (٢/ ٢٢١)، والمخصص (٢/ ١٩١). وفي الحمزوية: «خفانه»، وفي نجيبويه: «جفانة»، وضبطت في المطبوع: «حفْانه».

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٨)، والتيسير (ص: ١٨٦).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٦/ ٥٧).

(٦) انظر إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٣)، وهي سبعية كما تقدم.

(٧) انظر نسبتها لعبد الله في المحتسب (٢/ ٢٢٠)، ولهما في البحر المحيط (٩/ ١١١)، وزاد آخرين.

(٨) انظر ما نسبه لهما في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٩).

وقال مجاهد: الوزيفُ: النسلانُ[١].

وذهبت فرقة إِلى أَن ﴿يَزِفُّونَ﴾ معناه: يَتَمَهَّلُونَ في مشيهم كزفاف العروس، والمعنى: أَنهم كانوا على طمأْنينةٍ من أَن ينالَ أَحدٌ آلهتهم بسوءٍ لِعِزَّتهم، فكانوا لذلك مُتَمِّهلين.

قال القاضي أبو محمد: وزَفَّ بمعنى أَسْرَعَ هو المعروف.

ثم إِنَّ إِبراهيم عليه السلام قال لهم في جملة محاورة طويلة قد تضمنتها الآية: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾؛ أَي: أَتجعلون إِلهاً مُعَظَّماً شيئاً صنعتموه من عود أوحجر، وعملتموه بأَيديكم؟ وأَخبرهم بخبر لا يمكنهم إِنكاره وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾.

[واختلف المتأَولون في قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ فذهب جماعة من المفسرين إِلى أَن (ما) مصدرية، والمعنى: وأن الله خلقكم][٢] وأَعمالكُم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أَفعال العباد، وذلك موافق لمذهب أَهل السُّنَّة في ذلك[٣].

وقالت فرقة: (ما) بمعنى الذي، وقالت فرقة: (ما) استفهام.

وقالت فرقة: هي نفيٌ، بمعنى: وأَنتم لا تعملون شيئاً في وقت خلقكم ولا قبله، ولا تقدرون على شيءٍ.

قال القاضي أبو محمد: والمعتزلة مضطرة إِلى الزوال عن أَنْ تجعلَ «ما» مصدرية[٤].

و«الْبُنْيَانُ»؛ قيل: كان في موضع إِيقاد النار.

وقيل: بل كان للمنجنيق الذي رمي عنه، وقد تقدم قصص نار إِبراهيم عليه السلام، وجعلهم الله الأَسْفِلِين بأن غُلِبوا وذلُّوا ونالتهم العقوبات.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٦٩). وفي الأصل: «الزفيف»، وفي المطبوع: «السيلان».
(٢) سقط من الأصل.
(٣) انظر مذهب أهل السنة في: الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٣٢).
(٤) انظر ذلك في الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١-٥٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

قالت فرقة: إِنَّ قول إبراهيم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ كان بعد خروجه من النار، وأنه أَشار بذهابه إِلى هجرته من أَرض بابل حيث كانت مملكة نمروذ، فخرج إِلى الشام، ويُرْوى: إِلى بلاد مصر، وقالت فرقة: إِن قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ ليس مرادُه به الهجرة كما في آية أُخرى، وإِنما مراده لقاء الله بعد الاحتراق؛ لكنَّه[1] ظن أَن النار سيموت فيها، فقال هذه المقالة قبل أَن يُطرح في النار، فكأَنه قال: إِني سائر بهذا العمل إِلى ربِّي، وهو سيهديني إِلى الجنة. نحا إِلى هذا المعنى قتادة[2].

وللعارفين بهذا الذهاب تـمسك[3] واحتجاج في الصفاءِ، وهو مَحْمَلٌ حسن في ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ وحده[4]، والأَول أَظهر في نمط الآية بما بعده؛ لأَن الهداية معه تَتَرَتَّب، والدعاءُ في الولد كذلك، ولا يصح مع ذهاب الفناءِ.

قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ﴿مِنَ﴾ للتَّبعيض، أَي: ولداً يكون في عداد الصالحين.

وقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾، قال كثير من العلماءِ، منهم العباس بن عبد المطلب ـ وقد رفعه[5] ـ

(١) في نور العثمانية وفيض الله والسليمانية: «لأنه».
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٧١).
(٣) في المطبوع: «تمثيل».
(٤) انظر في هذا المعنى: قوت القلوب لأبي طالب مكي (ص: ١٤٨)، والمقصود بالعارفين المتصوفة.
(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٠) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، علي بن زيد بن جدعان، متفق على تضعيفه، انظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٣٤)، وقد خالفه المبارك بن فضالة، وهو على ضعفه أحسن حالاً منه، فرواه عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس، موقوفاً عليه من قوله. أخرجه ابن جرير في تاريخه (١/ ١٨٥).

وعليٌّ[(١)]، وابن عباس[(٢)]، وابن مسعود[(٣)]، وكعب، وعبيد بن عمير: هي البشارة المعروفة بإسحاق، وهو الذبيح[(٤)]، وكان أَمرُ[(٥)] ذبحه بالشام.

وقال عطاءٌ، ومقاتل: كان ببيت المقدس[(٦)].

وقال بعضهم: بل بالحجاز، جاءَ مع ابنه على البراق.

وقال ابن عباس والبشارة التي بعد هذه في هذه الآية هي بشارة نُبُوَّته[(٧)]، كما قال تعالى في موسى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣]، وهو قد كان وهبه له قبل ذلك، وإِنما أَراد النُّبُوَّة، فكذلك هذه، وقالت هذه الفرقة في قول الأعرابي: «يابْنَ الذَّبِيحَيْنِ»[(٨)]، أَراد إسحاق، والعمُّ أَبٌ، وقيل: إِنه أُمر بذبحه بعدما وُلد له يعقوب، فلم يتعارض الأمر بالذبح مع البشارة بولده وَوَلَدِ وَلَدِه.

وقالت فرقة: هذه البشارة هي بإِسماعيل عليه السلام، وهو الذبيح، وأَمْرُ ذبحه

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٩-٨٠) من طرق صحاح، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٠) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود رضي الله عنه وهذا إسناد صحيح.

(٤) انظر قول كعب وعبيد في: تفسير الطبري (٢١/ ٨٠).

(٥) في المطبوع: «أضمر».

(٦) انظر تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦١٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٥٦).

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٢) من طرق صحاح، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٨) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٤) من طريق عمر بن عبد الرحيم الخطابي، ثنا عبد الله بن محمد العتبي، ثنا عبد الله بن سعيد الصنابحي، عن معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الإمام الذهبي في مختصره على المستدرك: إسناده واهٍ، وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٥): هذا حديث غريب جدًّا، قلت: وفي إسناده ممن لم أجد لهم ترجمة.

كان بالحجاز بمنى، وثَمَّ رمى إِبراهيم عليه السلام الشيطانَ بالجمرات، وقَبل الكبش [حين أفلت][(١)] وسنَّ السُّنَن.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ابن عباس[(٢)] أَيضاً، وابن عمر[(٣)]، وروي عن الشَّعبي، والحسن، ومجاهد[(٤)]، ومعاوية بن أَبي سفيان ورفعه معاوية إِلى النبي ﷺ[(٥)]، ومحمد بن كعب.

وبه كان أَبي رضي الله عنه يقول، ويستدل بقول الأَعرابي للنبي ﷺ: «يا بن الذبيحَيْن»، وبقوله ﷺ: «أَنا ابن الذبيحين»[(٦)]؛ يعني: إِسماعيل وعبد الله أَباه.

ويَسْتَدِلُّ بأَن البشارة اقترنت بأن من ورائه يعقوب، فلو قيل له في صباه: اذبحه، لَنَاقَضَ ذلك البشارةَ بيعقوب عليهم السلام.

ويَسْتَدِل بظاهر هذه الآية أَنه بُشِّر بإِسماعيل وانقضى أَمْرُ ذبحه ثم بُشِّر بإسحاق بعد ذلك.

وسمعتُه ـ رضي الله عنه ـ يقول: كان إِبراهيم ﷺ يجيءُ من الشام إِلى مكَّة على البراق زائراً ويعود من يومه. وقد ذكر ذلك الثعلبي عن سعيد بن جبير، ولم يذكر أَن ذلك على البراق، وذكر القصة عن ابن إسحاق[(٧)]، وفيها ذكر البراق كما سمعت أَبي يحكي.

---

(١) سقط من المطبوع، وفي الأصل: «وقبض الكبش».

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٢) من طريق بيان بن بشر، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهذا إسناد صحيح، على شرط الشيخين.

(٣) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٢)، عن إسرائيل، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما به، وهذا إسناد ضعيف جدًّا، ثوير هو ابن أبي فاختة، متروك الحديث. انظر تهذيب الكمال (٤/ ٤٢٩).

(٤) انظر أقوالهم مع قول ابن كعب الآتي في تفسير الطبري (٢١/ ٨٤).

(٥) هو الحديث الذي تقدم قريباً، وفيه قول الأعرابي: «يا ابن الذبيحين».

(٦) لا أصل له، قال صاحب كشف الخفاء (٦٠٦): قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: لم نجده بهذا اللفظ.

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٩).

وذكر الطبري: أَن ابن عباس قال: الذبيح إِسماعيل، وتزعم اليهود أَنه إسحاق، وكذبت اليهود[١].

وذكر أَيضاً: أَن عمر بن عبد العزيز سأَل عن ذلك رجلاً يهوديّاً كان أَسلم وحسُن إِسلامه فقال: الذبيح إِسماعيل عليه السلام، وإِن اليهود تعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أَن تكون هذه الآيات والفضل واللَّهِ في أَبيكم[٢].

و﴿ٱلسَّعۡىَ﴾ في هذه الآية العمل والعبادة والمعونة، هذا قول ابن عباس[٣]، ومجاهد، وابن زيد.

وقال قتادة: السَّعْيُ على القدم، يريد: سعياً متمكناً[٤]، وهذا في المعنى نحو الأَول.

وقرأَ الضحاك: (معه السعي وأسرَّ في نفسه حزناً)، قال: وهكذا في حرف ابن مسعود، وهي / قراءَة الأَعمش[٥]. [٤/ ٢٦٦]

وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلۡمَنَامِ أَنِّىٓ أَذۡبَحُكَ﴾ يحتمل أَن يكون رأَى ذلك بعينيه، ورؤْيا الأَنبياءِ وحيٌ، وعيَّن له وقت الامتثال، ويحتمل أَنْ أُمر في نومه بذبحه فعبَّر هو عن ذلك؛ أَي: إِني رأَيت في المنام ما يوجب أَن أَذبحك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾ بفتح التَّاءِ والرَّاءِ.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿ماذا تُرِي﴾ بضم التاءِ وكسر الرَّاءِ، على معنى: ما يظهر

(١) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٣) من طريق عمر بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وهذا إسناد ضعيف جداً، عمر بن قيس هو سندل، متروك الحديث، وقد رُمي بالكذب. انظر تهذيب الكمال (٢١/ ٤٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٤) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٧٣).

(٥) وهي شاذة مخالفة للرسم، انظر عزوها للضحاك والأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٧).

منك من جَلَد أَو جزع، وهي قراءَة ابن مسعود، والأَسود بن يزيد، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش، ومجاهد[١].

وقرأَ الأَعمش، والضحاك بضم التاءِ[٢] وفتح الراءِ، على بناء الفعل للمفعول[٣].

فأَما الأُولى فهي من رؤْية الرأْي[٤]، وهي رؤْية تتعدى إِلى مفعول واحدٍ، وهو ـ في هذه الآية ـ إِما (ماذا) بجملتها[٥] على أَن تجعلهما بمنزلة اسم واحد، وإِمَّا (ذا) على أَن تجعلها بمعنى الذي، وتكون (مَا) استفهاماً، وتكون الهاءُ محذوفة من الصلة.

وأَما القراءَة الثانية فيكون تقدير مفعولها كما مرَّ في هذه، غير أَن الفعل فيها منقول من: رأَى زيد الشيءَ، وأَرَيْتُهُ إِيَّاه، إِلَّا أَنه من باب أَعطيت، فيجوز أَن يقتصر على أَحد المفعولين.

وأَما القراءَة الثالثة فقد ضعفها أَبو علي[٦]، وتَتَّجه على تحامل.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (افْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ)[٧].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾.

قرأَ جمهور الناس: ﴿أَسْلَمَا﴾ أَي: أَنفسهما، واستسلما لله.

---

(١) وهي سبعية، انظر التيسير (ص: ١٨٦)، والسبعة (ص: ٥٤٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٤).
(٢) في المطبوع: «الياء».
(٣) في المطبوع وأحمد٣: «المجهول»، وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٢١).
(٤) في نور العثمانية: «الرائي».
(٥) في المطبوع: «تحملهما».
(٦) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٥٨-٥٩).
(٧) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ٧٦).

وقرأ علي، وعبد الله، وابن عباس، ومجاهد، والثوري: (سَلَّمَا)[١]، والمعنى: فوَّضا إِليه في قضائه وقَدَره، وانحملا على أَمره، فأَسلم إِبراهيم ابنه، وأَسلم الابن نفسه.

واختلف النحاة في جواب (لَمَّا):

فقال الكوفيون: الجواب (نَادَيْنَاهُ) والواو زائدة.

وقالت فرقة: الجواب: ﴿تَلَّهُۥ﴾ والواو زائدة، كزيادتها في قوله: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النبأ: ١٩][٢].

وقال البصريون: الجواب محذوف، تقديره: فَلَمَّا أَسْلَمَا سَلَّمَا وتَلَّهُ، هذا قول سيبويه والخليل[٣]، وهو عندهم كقول امرئ القيس:

فَلَمَّـا أَجَزْنَا سَـاحَةَ الْحَـيِّ وانْتَحَى   بِنَا بَطْنُ حقف ذِي ركام عَقَنْقَل[٤]   [الطويل]

والتقدير: فلمَّا أَجزنا ساحة الحيِّ أَجَزْنا وانْتَحَى.

وقال بعض البصريِّين: الجواب محذوف، وتقديره: فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِين أَجْزَلَ أَجْرهما، أَو نحو هذا مما يقتضيه المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ﴾ معناه: وضعه بقوة، ومنه الحديث في القدح[٥]: فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يده[٦]، أَي: وضعه بقوَّة، والتَّلُّ من الأَرض مأْخوذ من هذا، كأَنه

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ٢٢١).

(٢) قال في حاشية المطبوع: والآية أُثبتت هكذا في الأصول، والصواب أن يكون الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، فإنها هي التي قيل فيها: إن الجواب هو ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾.

(٣) انظر الجمل في النحو (ص: ٣٠٦).

(٤) من المعلَّقة، وعزاه له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٥٠)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٥٨)، وغريب الحديث لابن سلام (٢/ ١٨٨)، والجمل (ص: ٣٠٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٦). وفي نجيبويه: «خف»، وفي المطبوع: «خبت، ذي حقاف».

(٥) «في القدح» ليست في المطبوع.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣١٩) ومسلم (٢٠٣٠) من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه مرفوعاً به.

تُلَّ في ذلك الموضع، و﴿لِلْجَبِينِ﴾ معناه: لتلك الجهة وعليها، كما يقولون في المثل: لليديْن وللفم[١]، وكما تقول: سقط لِشِقِّه الأيسر، وقال ساعدة بن جُؤَيَّة:

[الطويل] فَظَلَّ تَلِيلاً لِلْجَبين[٢]......... ....

و«الجبينان»: ما اكتنف الجبهة[٣] من هُنا وهنا.

ورُوي في قصص هذه الآية: أَن الذبيح قال لأبيه: اشدُدْ رباطي بالحبل لئَلَّا أَضطرب، واصرف بصرك عني لئلا ترحمني، ورُدَّ وجهي نحو الأَرض.

قال قتادة: كبَّه لِفِيه وأَخذ الشفرة[٤].

والتَّـلُّ للجبين ليس يقتضي أَن الوجه نحو الأَرض، بل هي هيئة من ذُبح للقبلة على جنبه.

وقوله: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ ﴿أَن﴾ مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ﴾ يحتمل أَن يريد: بقلبك، على معنى: كانت عندك رُؤْيا صادقة حقّاً من الله، فعملت بحسبها حين آمنت بها واعتقدتَ صدقها، ويحتمل أَن يريد: صدَّقت بعملك ما حصل عن الرؤْيا في نفسك، كأَنه قال: قد وفَّيتها حقها من العمل.

و«الرُّؤْيا»: اسم لما يُرى من قِبَل الله تعالى في المنام، و«الحُلْم»: اسم لما يُرى

---

(١) ورد هذا في أبيات منها قول عنترة كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٧٢): فتركت سيدهم لأول طعنة * يكبو صريعاً لليدين وللفم، وقول جابر بن حنى التغلبي، كما في المفضليات (ص: ٢١٢): تناوله بالرمح ثم اتنى له * فخر صريعا لليدين وللفم، وقول أبي المثلم الهذلي كما في غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٣٩٦): أصخر بن عبد الله من يغو سادرا * يقل غير شك لليدين وللفم، وغيرهم.

(٢) عزاه له بلا تتمة في مجاز القرآن (٢/ ١٧١)، والبحر المحيط (٩/ ١١٤)، بلفظ: وتل تليلا لليدين وللفم، واستشهد به السمعاني في التفسير (٤/ ٤٠٨) بلفظ: شَككت لَهُ بِالرُّمْحِ جَنْبي قَمِيصه * فَخر تليلا للْيَدَيْنِ وللفم، بلا نسبة. وفي المطبوع وأحمد٣: «للجبينين».

(٣) في الحمزوية: «الجهة»، وفي المطبوع وأحمد٣ بدل «والجبينان»: «وهما».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٧٦).

مِن قِبَل الشيطان، ومنه الحديث الصحيح: «الرُّؤْيا من الله، والحُلْم من الشيطان»[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إِلى ما عمل إِبراهيم، كأَنه يقول: إِنا بهذا النوع من الإِخلاص والطاعة نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى ما في القصة من امتحان واختبار [وسبر معتقد؛ فيكون البلاء على هذا المعنى الاختبار][٢] بالشِّدَّة، ويحتمل أَن يشير إِلى ما في القصة من سرور بالفدية وإِنقاذ من تلك الشدة في إِنقاذ الذبح، فيكون البلاءُ بمعنى النعمة.

قال القاضي أبو محمد: وإِلى كل احتمال قد أَشارت فرقة من المفسرين، ورُوي في الحديث: أَن الله تعالى أَوحى إِلى إسحاق أَني قد أَعطيتك بصبرك لأَمري دعوةً أُعطيك فيها ما سأَلت، فَسَلْني، فقال: يا ربِّ؛ أَيُّـمَا عبد لقيك من الأَولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأَدْخله الجنة[٣].

والضمير في (فَدَيْنَاهُ) عائد على الذبيح.

و«الذِّبْحُ» اسمٌ لما يذبح، ووصفه بالعظم لأَنه مُتَقَبَّلٌ يقيناً، قاله مجاهد[٤].

وقال عمرو بن عبيد: الذِّبْحُ: الكبْشُ، والعظيمُ: لِجَرْي السُّنَّة به، وكونه ديناً باقياً آخر الدهر[٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٤١٥) ومسلم (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) ضعيف، وهو أثر عن كعب الأحبار، وليس بحديث مرفوع، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٢) بإسناد فيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٥٧٠)، وتفسير سفيان الثوري (ص: ٢٥٣)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٩٩)، وتفسير الطبري (٢١/ ٩٠).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٩٠).

وقال الحسن بن الفضل: عظيم لأَنه كان من عند الله.

وقال أَبو بكر الورَّاق: لأنه لم يكن عن نَسْل بل عن التكوين[١].

وروي عن ابن عباس، وعن سعيد بن جُبَيْر: أن كونه عظيماً هو أَنه من كِباش الجنة رَعَى فيها أَربعين خريفاً[٢].

وقال ابن عباس: هو الكبش الذي قَرَّب ولد آدم[٣].

وقال ابن عباس[٤]، والحسن: كان وَعْلًا أُهبط عليه من ثَبير[٥].

وقال الجمهور: إِنه كبش أَبيض أَقرن أَعين، وجده وراه مربوطاً بِسَمُرة.

قال القاضي أبو محمد: وروي أَنه انفلت فاتَّبعه ورماه بحَصَيات في مواضع الجمرات، فبذلك مضت السُّنَّة.

[٤/ ٢٦٧] وقال ابن عباس: رجم الشيطان عند جمرة العقبة[٦] وغيرها، وقد تقدم هذا. /

قال القاضي أبو محمد: وأهل السُّنَّة على أَن هذه القصة نُسخ فيها العزم على الفعل، والمعتزلة تقول: إِنه لا يصح نسخٌ إِلا بعد وقوع الفعل.

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ١٥٧).

(٢) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (٢١/ ٨٩) من طريق الحسن بن دينار، عن قتادة بن دعامة، عن جعفر ابن إياس، عن ابن عباس رضي الله عنهما. والحسن بن دينار، رُمي بالكذب. انظر ميزان الاعتدال (١/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٧) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد لا بأس به.

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٩) من طريق سفيان، عن رجل، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه. وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه.

(٥) انظر قوله وقول ابن جبير في تفسير الطبري (٢١/ ٩٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٥٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٤٣٦) من طريق حماد بن سلمة، عن أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأبو عاصم الغنوي، لم يسم، وتفرد عنه حماد بن سلمة، ولم يعرفه أبو حاتم، لكن روى إسحاق بن منصور عن ابن معين قوله: ثقة. انظر تهذيب الكمال (٣٤/ ٨).

وافترقت في هذه الآية على فرقتين: فقالت فرقة: وقع الذَّبح والتَّأم بعد ذلك[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كذبٌ صراحٌ.

وقالت فرقة منهم: بل كان إبراهيم لم ير في منامه إلَّا إمْرار الشَّفْرة فقط، فظن أنه ذبح مجهز، فنفَّذ لذلك، فلما وقع الذي رآه وقع النسخ.

قال القاضي أَبو محمد: ولا اختلاف أَن إبراهيم أَمَرَّ الشَّفرة على حلق ابنه فلم تقطع.

ورُوي: أَن صفحة نحاس اعترضت فحزَّ فيها[٢]، والله أَعلم كيف كان، فقد كثَّر الناس في قصص هذه الآية بما صحته معدومة فاختصرته.

وقد تقدم تفسير مثل قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ معناه: بمثل هذا الفعل، وباقي الآية بيِّن.

قال القاضي أبو محمد: ومِمَّا يستغرب في هذه الآية: أَن عُبَيْد بن عُمَيْر قال: ذُبح في المقام[٣].

وذكر الطبري عن جماعة لم يُسَمِّها أَنها قالت: كان الأَمر وإِراغة[٤] الذبح والقصة كلها بالشام[٥].

وقال الجمهور: ذُبح بمنى، وقال الشعبي: رأَيْت قَرْنَيْ كبش إِبراهيم معلَّقة في الكعبة[٦].

---

(١) انظر قول أهل السنة وأقوال المعتزلة في وقوع النسخ قبل التمكن من الفعل؛ في روضة الناظر (١/ ٧٥-٧٦).

(٢) في الحمزوية: «اعترضته فحزَّ فيها»، وفي المطبوع: «اعترضته بحرفها».

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١).

(٤) في الحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «وإراغة»، وفي أحمد٣: «وأراعه»، وفي بعض أصول المطبوع: «وإذاعة».

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٨٧).

(٦) سقط من فيض الله، وفي المطبوع وأحمد٣: «معلقين».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

من قال: إن الذبيح هو إسماعيل؛ جعل هذه البشارة بولادة إسحاق، وهي البشارة المترددة في غير ما سورة، ومن جعل الذبيح إسحاق؛ جعل هذه البشارة لنفس النبوة فقط.

[وقوله تعالى: ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ توعد لمن كفر من اليهود بمحمد ﷺ][1].

و«المِنَّة على موسى وهارون»: هي في النبوة وسائر ما جرى معهما من مكانتهما عند الله.

و﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: هو تعبُّد القبط لهم، ثم جيش فرعون حين قالت بنو إسرائيل: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، ثم البحر بعد ذلك.

والضمير في ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ ﴾ عائد على الجماعة المتقدم ذكرها، وهم موسى وهارون وقومهما. وقال قوم: أراد موسى وهارون ولكن أخرج ضميرهما مخرج الجمع تفخيماً، وهذا ما تفعله العرب، تكني عمن تُعظِّم بكناية الجماعة. و﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: التوراة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يريد به في هذه الآية طريقَ الشرع والنبوَّة المؤدِّي إلى الله تعالى.

وقد تقدم القول في مثل قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا ﴾.

---

(١) سقط من المطبوع.

و﴿إِلْيَاسَ﴾ نبيٌّ من أَنبياءِ الله تعالى، قال قتادة[١]، وابن مسعود: هو إِدريس عليه السلام[٢].

وقالت فرقة: هو من ولد هارون عليه السلام.

قال الطبري: هو إِلياسُ بن نسي[٣]، بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران[٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بهمزة مكسورة، وهو اسم.

وقرأَ ابن عامر، وابن محيصن، وعكرمة، والحسن، والأَعرج: ﴿وإِنَّ الْيَاسَ﴾ بغير همزٍ وَبِصِلَة الأَلف[٥]، وهذا يتجه على أَحد وجهين:

إِما أَن يكون حذف الهمزة، كما حذفها ابن كثير في قوله: (إنها لَحْدَى الكُبَرْ)، أَراد: لإِحْدَى، فنَزَّل المنفصل منزلة المتصل[٦]، كما قد ينزل في كثير من الأمور.

والآخر: أن يجعلها الأَلف التي تصحب اللام للتعريف، كالْيَسَع.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وَإِنَّ إِيلِيسَ) بأَلف مكسورة الهمزة وياءٍ ساكنة قبل اللام المكسورة وياء ساكنة بعدها، وسين مفتوحة، وكذلك في قوله: (سَلَامٌ عَلَى إِيلِيسَ)[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٠٩) من طريق: أبي أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبيدة ابن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود به، وعلقه البخاري فى (أحاديث الأنبياء) فقال: ويذكر عن ابن مسعود: إلياس هو إدريس. وأبو إسحاق يدلس ولم يصرح بالسماع، وعبيدة لم يوثق توثيقاً معتبراً.

(٣) في المطبوع: «ياسين».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٩٥)، و«بن هارون» من المطبوع وأحمد٣، وسقطت «بن عمران» منه.

(٥) وهما سبعيتان، الثانية أحد وجهين لابن ذكوان في التيسير (ص: ١٨٧)، ومع هشام في السبعة (ص: ٥٤٨)، وانظر الإتحاف (ص: ٤٧٤).

(٦) وهي شاذة، عزاها له في السبعة (ص: ٦٥٩)، كما سيأتي في محلها من (سورة المدثر)، الآية (٣٥).

(٧) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٢٢٤).

وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿سلامٌ على آل ياسين﴾.

وقرأ الباقون: ﴿عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ بألف مكسورة ولام ساكنة[١].

وجعلها الحسن، وأبو رجاءٍ موصولة[٢].

فوجه الأُولى: أَنها ـ فيما يزعمون ـ مفصولة في المصحف، فدلَّ ذلك على أَنها بمعنى: أَهْل، و(ياسين) اسم أَيضاً لإِلْيَاسَ، وقيل: هو اسم لمحمد ﷺ.

وَوَجْه الثانية: أَنه جمع إِلْيَاسِيّ، كما قالوا: أَعْجَمِيٌّ وأَعْجَمِيُّون.

قال أَبو علي: والتقدير: إِلْيَاسِيِّينَ، فحذف كما حذف من أَعجميِّينَ، ونحوه، ومن الأَشعريِّين والنُّمَيْرِيِّين والمُهَلَّبِيِّين، ونحوه[٣].

وحكى أَبو عمرو: أَن منادياً نادى يوم الكلاب: هلك اليزيدون[٤]، ويُرْوَى قول الشاعر:

[الرجز] قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِي[٥] ....

بكسر الباءِ الثانية، نسبة إِلى أَبي خُبَيْب.

ويقال: سمَّى كل واحد من آلِ إِلياسِينَ إِلْياسَ، كما قالوا: شابت مفارقُه، فسُمِّي كل جزءٍ من المَفْرِق مَفْرِقاً، ومنه قولهم: «جَمَلٌ ذو عَثَانينَ»[٦]، وعلى هذا أَنشد ابن جِنِّي:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٤٩)، والتيسير (ص: ١٨٧).

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٢٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣١٢).

(٣) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٦١).

(٤) المحتسب (٢/ ٢٢٣)، وهم: يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن هوبر، ويزيد بن مَخْرمة الحارثيون.

(٥) تقدم في تفسير الآية (٥١) من (سورة الحجر).

(٦) العَثَانين: جمع عُثْنُون، وهو شعيرات طوالٌ عند مَذْبح البعير. وتوجد كذلك في التَّيْس وتحت منقار الديك.

[الرجز]

مَـرَّتْ بِنَـا أَوَّلَ مِـنْ أُمُـوس تَمِيـسُ فِينَـا مِشْـيَةَ الْعَـرُوسِ[١]

فسمَّى كلَّ جزءٍ من أَمْسِ أَمْساً، ثم جَمَع، وقال أَبو عُبَيْد: لم يُسَلَّم على آلِ أَحد من الأَنبياءِ المذكورين قَبْلُ، فلذلك تُرَجَّح قراءَةُ من قرأَ: ﴿إِلۡ يَاسِينَ﴾ إِذْ هو اسمٌ واحدٌ له.

وقرأ ابن مسعود، والأَعمش: (وإِنَّ إِدْرِيسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِين) و(سَلامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ).

[وروى هذه القراءة قطرب وغيره: (وإن إدراس)، و(سلام على إدراسين)[٢].

وإدراس][٣] لغة في: إِدْريس؛ كإِبراهيم وإِبراهام.

وقوله: ﴿ أَتَدۡعُونَ ﴾ معناه: أَتعبدون؟

[٤/ ٢٦٨]

و«الْبَعْلُ»: الرَّبُّ بلغة اليمن، قاله / عكرمة، وقتادة[٤].

وسمع ابن عباس رجلاً يَنْشُد ضالة، فقال له رجلٌ آخر: أَنا بَعْلُها، فقال ابن عباس: الله أَكبر، ﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا ﴾[٥].

وقال الضحاك، وابن زيد، والحسن: البَعْلُ: اسم صنم كان لهم، ويقال له: بَعْلُ بَكْ، وإِليه نَسَب الناسُ، وذكر ابن إسحاق عن فرقة أَن ﴿بَعۡلٗا﴾ اسم امرأَة كانت أَتَتْهُمْ بضلالة[٦].

وقوله: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ من حيث قيل للإِنسان على التَّجوز: إِنه يخلق، وجب

---

(١) بلا نسبة في الأزمنة لقطرب (ص: ٣٣)، والمحتسب (٢/ ٢٢٤)، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي (ص: ١٨٢)، وتميس: تتبختر وتختال.

(٢) وكلها شاذة، انظرها مع ماحكاه عن قطرب في المحتسب (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣ والحمزوية.

(٤) تفسير ابن فورك (٢/ ٢٤٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٦٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٦) من طريق أبي عاصم، عن عيسى بن ميمون الجرشي، عن عبيد الله (في المطبوع: عبد الله، وهو خطأ) بن أبي يزيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وإسناده لا بأس به.

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٩٧). وفي نور العثمانية: «نسب إلياس».

أَن يكون تعالى أَحْسَنَ الْخالِقِينَ؛ إِذْ خلْقُه اختراع وإِيجاد [من عدم][(١)]، وخَلْق الإِنسان مجاز، كما قال الشاعر:

[الكامل] وَلأَنْـتَ تَفْـرِي مَـا خَلَقْـتَ وَبَعْـ ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي[(٢)]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: ﴿ٱللَّهَ﴾ بالنصب، ﴿رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ﴾ كل ذلك بالنصب على البدل من قوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

وقرأَ الباقون وعاصم أَيضاً برفعهم على القطع والاستئناف[(٣)].

والضمير في ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ عائد على قوم إِلْيَاس.

و(مُحْضَرُون) معناه: مجموعون لعذاب الله، وقد تقدم تفسيرُ مثل ما بقي من الآية.

وتقدم القول أَيضاً في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾.

ولوطٌ عليه السلام، قيل: هو [ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وقيل:][(٤)] ابن أُخته، وقد تقدم تفسير قصته بكمالها.

وامرأَتُه هي العجوزُ المهْلَكَةُ، وكانت كافرة، فإِما كانت مستترةً منه عليه السلام وإِمَّا كانت مُعْلنةً، وكان نكاح الوثنيات والإِقامة عليهن جائزاً.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) البيت لزهير بن أبي سُلْمى كما تقدم في تفسير الآية (٢٧) من (سورة البقرة).

(٣) وهما سبعيتان، وعاصم في الثانية من رواية شعبة، انظر السبعة (ص: ٥٤٩)، والتيسير (ص: ١٨٧).

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

و«الْغَابِرُونَ»: الباقون، وغَبَرَ بمعنى: بَقِيَ، ومعناه هاهنا: بقيت في الهلاك.

ثم خاطب الله تعالى قريشاً، أَو هو على معنى: قُل لهم يا محمد: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ في الصباح وبالليل، فواجب أَن يقع اعتباركم ونظركم، ثم وبَّخهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾.

هذا يونس بن متَّى عليه السلام، وهو من بني إِسرائيل، رُوي أَنه نُبِئَ[1] ابن ثمانٍ وعشرين سنة، فتفسَّخ تحت أَعباءِ النبوَّة كما يتفسخ الربع تحت الحمل، وقد تقدم شرح قصته، ولكن نذكر منها ما يُتَفَهَّم به هذه الأَلفاظ[2]:

فرُوي أَن الله تعالى بعثه إلى قومه، فدعاهم مرَّة فخالفوه فوعدهم بالعذاب، وأَعلمه الله تعالى بيوم العذاب فحدَّده يونس لهم، ثم إِن قومه لما رأَوا مخايل العذاب قبل أن يباشرهم، تابوا وآمنوا فتاب الله عليهم وصرف العذاب عنهم، وكان في هذا تجربة ليونس، فلحقت بيونس غضبة، ويُروى أنه كان في سيرتهم أَن يقتلوا الكذاب إِذا لم تقم له بيِّنة، فخافهم يونس وغضب مع ذلك، فأَبَقَ إِلى الفُلْك، أَي أَراد الهروب ودخل في البحر، وعَبَّر عن هروبه بالإِباق من حيث هو عبد لله فرَّ عن غير إِذن مولاه، فهذه حقيقة الإِباق.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ في هذا الموضع واحد.

و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المُوقَر، وهنا قصص محذوف إِيجازاً واختصاراً.

---

(١) في المطبوع: «تنبأ».

(٢) في نجيبويه: «ما تفهم به ألفاظ الآية».

ورُوي عن ابن مسعود: أنه لما حصل في السفينة وأَبْعَدَت [في البحر][١] ركَدَت[٢] ولم تجر، والسُّفن تجري يميناً وشمالًا، فقال أَهل السفينة: إِن فينا لصاحب ذنب وبه يحبسنا الله، فقالوا: لنقترع، فأَخذوا لكل واحد سهماً، ثم قالوا: اللهم ليَطْفُ سهم المذنب وليغْرق سهم الغير، فطفا سهم يونس، ففعلوا نحو هذا ثلاثاً، وفي كل مرة تقع القرعة عليه، فأَزمعوا معه على أَن يطرحوه البحر، فَجاءَ إِلى ركن من أَركان السفينة ليقع منه، فإِذا بدابَّة من دوابِّ البحر ترقبه وترصد له، فرجع[٣] إِلى الركن الآخر فوجدها كذلك، حتى استدار بالمركب وهي لا تفارقه، فعلم أَن ذلك من عند الله، فترامى إِليها فالتقمته، وروي أَنها إِنما التقمته بعد أن وقع في الماءِ، ورُوي: أَن الله تعالى أَوحى إِلى الحوت أَني لم أَجعل يونس لك رزقاً، وإِنما جعلت بطنك له حِرْزاً وسجناً[٤]، فهذا معنى ﴿فَسَاهَمَ﴾؛ أَي: قارَعَ، وكذلك فسَّر ابن عباس، والسُّدي[٥].

و«المُدْحَض»: الزَّاهق المغلوب في مُحاجَّة أَو مُساهمة أو مُسابقة، ومنه: الحُجَّة الداحضة.

و«المُلِيمُ»: الذي أَتَى ما يُلام عليه، يقال: أَلام الرجلُ: إِذا دخل في اللوم، وبذلك فسَّر مجاهد، وابن زيد[٦]، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فكم مِنْ مُليْمٍ لم يُصَبْ بمَلامَةٍ ومُتَّبَعٍ بالذَّنْبِ ليس له ذَنْبُ[٧]

---

(١) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

(٢) في المطبوع: «وكدت»، وشرحها في الهامش.

(٣) في الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع: «فدفع».

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٦٦) بلا عزو، ولا إسناد، ولم أجده عند غيره، ولعله من الإسرائيليات.

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٧).

(٧) البيت لجميل بثينة، كما في سمط اللآلي للبكري (١/ ٩٤٧)، وقد سقط مع عزو الذي بعده من المطبوع.

ومنه قول لَبيد بن ربيعة:

سَـفَهاً عَذَلْـتِ ولُمتِ غَيْـرَ مُلِيم وهَذَاكِ قَبْلَ الْيَوْم غَيْرُ حَكِيم[١] [الكامل]

ثم استنقذه الله تعالى من بطن الحوت بعد مدة اختلف الناس فيها:

[فقالت فرقة: بعد ساعة من النهار][٢].

وقالت فرقة: سبع ساعات.

وقال مقاتل بن حيَّان: بعد ثلاثة أَيام[٣].

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: بعد سبعة أَيام[٤].

وقالت فرقة: بعد أَربعة عشر يوماً.

وقال أَبو مالك، والسدي: بعد أَربعين يوماً، وهو قول ابن جريج أنه بلغه[٥].

وجعل تعالى علَّة استنقاذه مع القدر السابق تسبيحه، واختلف الناس في ذلك:

فقال ابن جبير: هو قوله في بطن / الحوت: سبحان الله[٦]. [٤/ ٢٦٩]

وقالت فرقة: بل التسبيح هو الصَّلاةُ التطوع، واختلفت هذه الفرقة:

فقال قتادة، وابن عباس[٧]، وأَبو العالية: صلاته في وقت الرخاءِ نفعته في وقت الشدَّة، وقال هذا جماعة من العلماءِ[٨].

---

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٧٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٠٧).

(٢) سقط هذا القول من أحمد٣ والحمزوية والمطبوع.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان من قوله (٣/ ٩١).

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ١٧٠)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤١٦).

(٥) تفسير سفيان الثوري (ص: ٢٥٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ١١١)،

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٩).

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٩) من طريق سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعاصم هو ابن أبي النجود، فيه ضعف.

(٨) انظر قول قتادة في تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٨٤٤)، ومع قول أبي العالية في تفسير الطبري (٢١/ ١٠٩).

وقال الضحاك بن قيس على منبره: اذكروا الله في الرَّخاءِ يذكركم في الشِّدَّة، إن يونس كان عبداً لله ذاكراً فلما أصابته الشدة نفعه ذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وإن فرعون كان طاغياً باغياً، فلمَّا أدركه الغرق قال: آمَنْتُ فلم ينفعه ذلك، فاذكروا الله في الرخاءِ يذكركم في الشِّدَّة[١].

وقال قتادة في الحكمة: إن العمل يرفع صاحبه إذا عثر، فإذا صُرع وَجَدَ مُتَّكَأً[٢].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: كان تسبيحه صلاةً في بطن الحوت[٣].

ورُوي: أنه كان يرفع لحم الحوت بيديه ويقول: يا ربِّ لأَبْنِيَنَّ لك مسجداً حيث لمْ يَبْنِهِ أَحد قَبْلي، ويُصَلِّي.

وروى أَنسٌ عن النبي ﷺ أَنه قال: «إِن يونس حين نادى في الظلمات ارتفع نداؤُه إِلى العرش، فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف من موضع غربة، فقال: هذا عبدي يونس، فأَجاب الله دعوته»[٤]. قال القاضي أبو محمد: وذكر الحديث.

وقال ابن جُبير: الإِشارة بقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

قال القاضي أبو محمد: وكتب الناس في القصص بما اختصرناه لعدم الصحة، ورُوي: أَن الحوت مشى به البحار كلها حتَّى قذفه في نِصِيبين من ناحية الموصل،

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١١٠).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٨)، والدر المنثور (٧/ ١٢٥).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١١٠)، وتفسير الثعلبي (٦/ ٣٠٣).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٩) من طريق أبي صخر، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، به، ويزيد هو: ابن أبان، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٣٢/ ٦٤). ولفظة «يا رب» من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.

فنبذه الله في عراءٍ من الأَرض، وهو الأَرض الفيحاءُ التي لا شجر فيها ولا مَعْلَم، ومنه قول الشاعر:

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخَافُ عِثَارَهَا ... وَنَبـذْتُ بالْبَلَـدِ الْعَـرَاءِ ثِيَابِـي[1] [الكامل]

وقال السدي، وابن عباس في تفسير قوله: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾: إنه كان كالطفل المنفوس، بَضْعَةُ لَحْم، وقال بعضهم: كان كاللحم النِّيءِ، إلا أنه لم ينقص من خلقته شيءٌ، فأَنعشه الله تعالى في ظلِّ اليقطينة بِلَبَن أُرْوِيَة[2] كانت تغاديه وتُرَاوحه، وقيل: بل كان يتغذى من اليقطينة، ويجد منها أَلوان الطعام وأَنواع شهواته[3].

واختلف الناسُ في اليقطين:

فقالت فرقة: هي شجرة لا نعرفها، سمَّاها الله باليقطين، وهي لفظة مأْخوذة من: قَطَنَ: إذا أَقام بالمكان.

---

(١) البيت لقيس بن جعدة الخُزَاعي، كما في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٦٣)، مجاز القرآن (٢/ ٢٦٦)، وعزاه في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٩١) لتميم بن أسد الخزاعي في غدر بكر بخزاعة قبل فتح مكة، قال ويروى لحبيب بن عبد الله الهذلي، وكذا في محاضرات الأدباء (٢/ ٢٠٥)، والمحبر (ص: ٤٩٦)، وجعل سبب القصيدة أن امرأته لامته لتركه أخاها منبها حتى قتل وذكر منها أبياتا، ثم قال بعد ذلك بقليل: (ص: ٥٠٠) وفر عمير بن جعدة الخزاعي، من بني لحيان يوم خُشاش دون ودَّان. فلامته امرأته. فقال: صدفتْ اميمة لات حين صدوف * عني وآذن صحبتي بخفوف، إلى أن يقول: ورفعت ساقا لا أخاف عثارها * إن النجاء لخائف خذوف، ومثل هذا في معجم البلدان (٥/ ٢٩٩)، والشطر الثاني فيه: ونجوت من كثب نجاء خذوف، ونسبه المبرد في الكامل (١/ ٢١٩) للهذلي وهو الأعلم حبيب ابن عبد الله أخو صخر الغي كما تقدم عن ابن هشام وصرح به في المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: ١١٩)، ومثله في حماسة الخالديين (ص: ٥١)، وذكر أنه كان أحد الفرارين، وذكر له أبياتاً أخرى من نفس قصيدة الخزاعي، والله أعلم.

(٢) الأرْوِيَةُ: أُنثى الوعول، ومعنى تغاديه وتراوحه: أنها كانت تأتي له في الصباح وفي المساءِ ليطعم من لبنها.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١١٢) بإسناد فيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧) وكذلك فيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعنه.

وقال سعيد بن جُبَيْر، وابن عباس[١]، والحسن، ومقاتل: اليقطين: كلُّ ما لا يقوم على ساق من عودٍ؛ كالبقول والقرع والحنظل والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه، ورُوي نحوه عن مجاهد[٢].

وقال ابن عباس[٣]، وأَبو هريرة[٤]، وعمرو بن ميمون: اليقطين: القرع خاصة.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذين القولين؛ فإِما أَن يكون قوله تعالى: ﴿شَجَرَةً﴾ تجوُّزاً، وإِما أَن يكون أَنبتها عليه ذات ساقٍ خرْقاً للعادة؛ لأَن الشجر في كلام العرب إِنما يقال لما كان على ساق من عود، وحكى بعض الناس أنها كانت قرعة وهي تجمع خصالاً: بَرْدَ الظلِّ، والملمس، وعِظَم الورق، وأَن الذباب لا يقربها، حكى النقاش: أَن ماءَ ورق القرع إِذا رُشَّ به مكان لم يَقْرَبْه ذبابٌ[٥]، ومشهور اللغة أن اليقطِين: القرعُ.

وقد قال أُمية بن أَبي الصلت في قصة يونس:

[الطويل]

فَأَنْبَتَ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، لَوْلا اللهُ أُلْفِيَ ضَاحِيَا[٦]

فنبت يونس عليه السلام وصحَّ وحسُن جسمه؛ لأَن ورق القرع أنفع شيءٍ لمن تَسَلَّخَ جلده[٧] كيونس ﷺ.

---

(١) إسناده قوي، أخرجه الطبري (٢١/ ١١٢) من طريق سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٦٢١)، وأقوال الباقين مع قول عمرو بن ميمون الآتي في تفسير الطبري (٢١/ ١١٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٣) من طريق ابن وهب، عن أبي صخر، عن ابن قسيط، عن أبي هريرة رضي الله عنه به، وهذا إسناد صحيح، أبو صخر، هو: حميد بن زياد، وابن قسيط، هو يزيد بن عبد الله بن قسيط، وكلهم ثقات، ورواياتهم متصلة.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢١/ ١١٣)، والفرج بعد الشدة للتنوخي (١/ ٩٢)، وزاد المسير (٣/ ٥٥٣).

(٧) في الحمزوية والمطبوع: «جسده».

ورُوي: أَنه كان يوماً نائماً فأَيبَس الله تلك اليقطينة[١].

وقيل: بعث عليها الأَرضة فقطعت عروقها، فانتبه يونس لِحَرِّ الشمس، فعزَّ عليه شأْنها وجزع له، فأَوحى الله تعالى إِليه: يا يونس، أجزعت ليُبْس اليقطينة ولم تجزع لإِهلاك مئة أَلف أَو يزيدون تابوا فتبت عليهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾.

قال الجمهور: إن هذه الرسالة إِلى مئة أَلف هي الرسالة الأولى التي أَبَق بعدها، ذكرها الله تعالى في آخر القصص تنبيهاً على رسالته، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وتمتيع هذه الأُمة هو الذي أَغضب يونس عليه السلام حتى أَبَق.

وقال قتادة، وابن عباس أَيضاً: هذه الرسالة أُخرى بعد أَن نُبِذَ بالعراءِ، وهي إِلى أَهل نِينَوَى من ناحية الموصل[٢].

وقرأَ جعفر بن محمد: (ويزيدون) بالواو[٣]، وقرأَ الجمهور: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

فقال ابن عباس: ﴿أَوْ﴾ بمعنى: بَلْ، وكانوا مئة أَلف وثلاثين أَلفاً[٤].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ١٥٩) من قول ابن وهب.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٧) من طريق شهر بن حوشب، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وشهر فيه كلام مشهور، وأخرجه عن قتادة أيضاً.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: المحتسب (٢/ ٢٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٥) من طريق سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن الحكم ابن عبد الله بن الأزور، عن ابن عباس رضي الله عنه به. والحكم بن عبد الله، أظنه هو الأعرج، المترجم في تهذيب الكمال (٧/ ١٠٣) وهو ثقة، ولكني لم أجد من نسبه لابن الأزور.

وقال أُبي بن كعب، عن النبي ﷺ: «كانوا مئة وعشرين ألفاً»[١].

وقال ابن جبَيْر: كانوا مئة وسبعين ألفاً[٢].

ورُوي عن ابن عباس أنه قرأ: (بَلْ يَزِيدُونَ)[٣].

وقالت فرقة: ﴿أَوْ﴾ هنا بمعنى الواو، وقالت فرقة: هي للإِبهام على المخاطب، كما تقول: ما عليك أَنتَ، أَنا أُعطي فلاناً ديناراً أَو أَلف دينارٍ، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

قال القاضي أبو محمد: وهذا المعنى قليل التمكُّن في قوله سبحانه: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

وقال المُبَرِّد وكثير من البصريين: المعنى على نَظَر البشر وحزرهم، أَي: من رآهم قال: هم مئة أَلف أَو يزيدون[٤].

[٤/ ٢٧٠] ورُوي في قوله تعالى: ﴿فَآمَنُوا / فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أَنهم خرجوا بالأَطفال وأَولاد البهائم، وفرَّقوا بينها وبين الأُمَّهات، وناحوا وضجُّوا وأَخلصوا، فرفع الله عنهم[٥].

و«التَّمتيع» هنا: هو بالحياة، و«الحينُ»: آجالُهُم السابقة في الأَزل، قاله قتادة، والسدي[٦].

وقرأ ابن أَبي عبلة: (حَتَّى حِينٍ)[٧].

وفي قوله تعالى: ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ مثالٌ لقريش: أَي: إِن آمنوا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٩) من طريق الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن رجل، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام اسم راويه عن أبي العالية.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١١٥).

(٣) وهي شاذة، تابعه عليها في تفسير الثعالبي (٥/ ٤٩)، والمعروف أنه تفسير كما تقدم.

(٤) الهداية لمكي (٩/ ٦١٧٠).

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «فدفع الله عنهم» بالدال بدلا من الرَّاءِ.

(٦) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢١/ ١١٧).

(٧) وهي شاذة تخالف المصحف، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٨)، وفي فيض الله: «عتى حين».

أَمِنُوا كما جرى لهؤلاءِ، ومن هنا حَسُن انتقال القول والمحاورة إِليهم بقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾، فإِنَّما يعود على ضميرهم على ما في المعنى من ذكرهم.

و«الاسْتِفْتَاءُ»: السؤال، وهو هنا بمعنى التوبيخ والتقريع على قولهم البهتان على الله، وجعلهم البنات لله تعالى عن ذلك، وأَمره بتوقيفهم على جهة التوبيخ أَيضاً هل شاهدوا أَن الملائكة إِناثٌ، فيصح لهم القولُ به.

ثم أَخبر تعالى عن فرقة منهم بلغ بها الإِفك والكذب إِلى أن قالت: ولَد اللهُ الملائكة لأَنه نكح في سروات الجن، وهذه فرقة من بني مدلج فيما روي[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ أَصْطَفَى ﴾ بأَلف قطع هي للاستفهام، وهذا على جهة التقرير والتوبيخ على نسبتهم إِليه تعالى اختيار الآدمي عندهم.

وقرأَ نافع في رواية إِسماعيل عنه: ﴿اصْطَفَى﴾ بأَلف وصل على الخبر، كأَنه سبحانه يحكي شنيع قولهم، ورواها إِسماعيل عن أَبي جعفر، وشيبة[٢].

ثم قَرَّرَ ووبَّخ وعرَّض للتذكير والنظر، واستفهم عن البُرهان والحُجَّة على جهة التقرير وضمِّهم إِلى الاستظهار بكتاب أَو أَمْر يُظهر صدقهم.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ مشددة الذال والكاف.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (تَذكُرُونَ) بسكون الذال وضم الكاف خفيفة[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١) من طريق مجاهد، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه به، ومجاهد لم يدرك أحداً من كبار الصحابة. انظر جامع التحصيل (٧٣٦).

(٢) وهي عشرية لأبي جعفر ونافع من طريق الأصبهاني عن ورش كما في النشر(٢/ ٣٦٠)، وانظر موافقة شيبة في: تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٤).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٨)، وبقيت قراءة ثالثة وهي سبعية لحفص والأخوين بفتح الذال مخففة والكاف مشددة.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ لفرقة من كفار قريش والعرب، قال ابن عباس رضي الله عنه ـ في كتاب الطبري ـ: إن بعضهم قال: إن الله وإبليس أخوان[(١)].

وقال مجاهد: قال قوم لأبي بكر الصِّدِّيق: إنَّ الله نكح في سروات الجن، وقال بعضهم: إن الملائكة بناته[(٢)]، فـ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ على هذا القول الأخير تقع على الملائكة، سميت بذلك لأنها مستجنَّة، أي: مُستترة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾، من جعل ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ الشياطين جعل العلامة في ﴿عَلِمَتِ﴾ لها، والضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ عائد عليهم، أي: جعلوا الشياطين بنسب[(٣)] من الله، والشياطين تعلم ضدّ ذلك من أنها ستَحْضُر أَمْرَ الله وثوابه وعقابه.

ومن جعل ﴿ٱلْجِنَّةُ﴾ الملائكة جعل الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ للقائلين هذه المقالة، أي: علمت الملائكة أن هؤلاءِ الكفرة سيحضرون عذاب الله وعقابه، وقد يتداخل هذان القولان.

ثم نزَّه تعالى نفسه عمَّا يصفه الناسُ ولا يليق به، ومن هذا استثنى العبادَ المخلصين؛ لأنهم يصفونه بصفاته العُلَى، وقالت فرقة: استثناهم من قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يصح على قول من رأى ﴿ٱلْجِنَّةُ﴾ الملائكة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) مرسل، أخرج الطبري (٢١/ ١٢١) عن محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قال: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فسأل أبو بكر: من أمهاتهن؟ فقالوا: بنات سروات الجن، يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه إبليس.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «ليست».

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى: قل لهم يا محمد: إِنكم وأَصنامكم ما أنتم بمضلين أَحداً بسببها وعليها، إِلا من سبق عليه القضاءُ وضمَّه القدر بأَن يصْلى الجحيم في الآخرة، وليس عليكم[١] إضْلاَل من هدى الله.

وقالت فرقة: ﴿عَلَيْهِ﴾ بمعنى: به[٢].

و«الْفَاتِنُ»: المضلُّ في هذا الموضع، وكذلك فسَّر ابن عباس، والحسن بن أَبي الحسن[٣].

وقال ابن الزبير على المنبر: إِن الله هو الهادي والفاتن[٤].

و﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بـ(فَاتِنِينَ).

وقرأَ الجمهور: ﴿صَالِ الْجَحِيمِ﴾ بكسر اللام من: ﴿صَالِ﴾، وحذفت الياءُ للإضافة.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (صالُ الجحيم) بضم اللام[٥].

وللنحاة في معناه اضطراب أَقوال[٦]، وأَقواها أَنه: (صَالُونَ) حذفت النون للإضافة، ثم حذفت الواو للالتقاءِ، وخرج لفظ الجمع بعد لفظ الإِفراد، فهو كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ﴾ [يونس: ٤٢]، إِذْ لَمَّا كانت (مَنْ) وهي من الأَسماءِ التي فيها إِبهامٌ ويكنى بها عن أَفرادٍ وعن جمع.

---

(١) سقطت من أحمد٣، وفي المطبوع ونور العثمانية: «إليكم».

(٢) في المطبوع: «فيه».

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وانظر فيه قول الحسن أيضاً.

(٤) أخرجه مالك (٣٣٤١) عن زياد بن سعد، عن عمرو بن دينار، قال سمعت عبد الله بن الزبير، فذكره. وهذا إسناد صحيح.

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٢٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٥).

(٦) من المطبوع.

ثم حكى تعالى قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ﴾، وهذا يؤيد أن ﴿ٱلْجِنَّةُ﴾ أَراد بها الملائكة، كأَنه قال: ولقد علمَتْ كذا، أوإِنَّ قولها[١] لكذا، وتقدير الكلام: وما منَّا مَلَك.

وروت عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ السماءَ ما فيها موضع قدم إِلَّا [وفيه ملك ساجد أو واقف يصلي»[٢].

وقال ابن مسعود: موضع شبر] إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه[٣].

---

(١) في المطبوع: «قولنا».

(٢) الأصح فيه الوقف والإرسال، أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٥٣) والطبري (٢١/ ١٢٧) من طريق أبي معاذ الفضل بن خالد النحوي، قال: حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به، والفضل بن خالد، لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، إلا ذكر ابن حبان إياه في الثقات (٩/ ٥)، ثم رواه المروزي (٢٥٤) والطبري أيضاً من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن مسلم ابن صبيح عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: فذكره موقوفاً عليه، وإسناده أصح، وأخرج الترمذي (٢٣١٢) من طريق: إسرائيل عن إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر مرفوعاً: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»، وقال الترمذي: حسن غريب، وإبراهيم لين الحديث. وقد رواه وكيع في «الزهد» عنه به موقوفاً، وقوله: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، هذا مخرج في الصحيحين، وروي الخبر من حديث حكيم بن حزام، رضي الله عنه، مرفوعاً، به. رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٧) من طريق: عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث صفوان بن محرز، تفرد به عن قتادة: سعيد بن أبي عروبة، وقال ابن كثير: غريب.اهـ. وسعيد بن أبي عروبة، كان قد اختلط، ولم يذكر أحدٌ عبد الوهاب بن عطاء فيمن روى عنه قبل اختلاطه. ثم قال ابن كثير: ثم رواه ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن زُرَيْع، عن سعيد، عن قتادة مرسلا، وهذه الطريق هي الأصوب، والله أعلم.

(٣) إسناده جيد، أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٧) من طريق: الأعمش عن أبي الضحى. وما بين معكوفتين سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقرأ ابن مسعود: (وَإِنْ كُلُّنَا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ)[١].

و﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾ معناه: الواقفون صفوفاً.

و﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ يحتمل أَن يريد به الصلاة، ويحتمل أَن يريد قولَ: سبحان الله.

ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَنه كان إِذا أُقيمت الصلاة صرف وجهه إِلى الناس فقال لهم: عدِّلوا صفوفكم وأَقيموها، فإِن الله إِنما يريد بكم هدي الملائكة، فإِنها تقول: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾، ثم يرى تقويم الصفوف، وعند ذلك ينصرف ويكبِّر[٢].

قال الزهراوي: قيل: إِن المسلمين إِنما اصطفوا في الصلاة مذ نزلت هذه الآية، ولا يصطف أَحد من أَهل المِلَل غير المسلمين[٣].

ثم ذكر عزَّ وجلَّ: مقالة بعض الكفار، قال قتادة، والسدي، والضحاك: فإِنهم قبل نُبُوَّة محمد ﷺ قالوا: لو كان لنا كتاب أَو جاءَنا رسول لكنَّا من أَتقى عباد الله وأَشدهم إِخلاصاً، فلما جاءَهم محمد ﷺ كفروا فاستوجبوا أَليم العقاب[٤]./ [٤/ ٢٧١]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٢٩)، وفي معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٥) عنه: (وإِنْ كُلّنا لَمّا له مقام معلوم).

(٢) مرسل، أَخرجه الطبري (٢١/ ١٢٨) من طريق أبي نضرة، عن عمر رضي الله عنه به. وهذا ضعيف لانقطاعه، أبو نضرة، هو: المنذر بن مالك بن قطعة، يرسل عن عددٍ من الصحابة، ولم ينص أحدٌ على روايته عن عمر. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٥٠٨) وجامع التحصيل (٨٠٠).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر تفسير الطبري (٢١/ ١٢٩).

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيدٌ محضٌ؛ لأَنهم تمنَّوْا أَمراً فلما جاءَهم الله به كفروا واستهواهم الحسد، ثم آنس نبيَّه ﷺ وأَولياءَه بأَن القضاءَ قد سبق، والكلمة قد حقت في الأَزل، بأَنَّ رُسُل الله إِلى أَرضه هم الْمَنْصُورُونَ على من ناوأَهم، المُظَفَّرُون بإِرادتهم، المستوجبون الفلاح في الدارين.

وقرأَ الضحاك: (كَلِمَاتُنَا) بأَلف على الجمع[١].

و«جُنْدُ الله»: هم الغزاة لتكون كلمة الله هي العليا.

وقال علي بن أَبي طالب: جُنْدُ الله في السماءِ الملائكة، وفي الأَرض الغُزَاةُ[٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ وعْدٌ للنبي ﷺ، وأَمرٌ بالموادعة، وهذا ممَّا نسخته آية السيف، واختلف الناس بالمراد بالحين هنا:

فقال السديُّ: الحين المقصود: يوم بدر، ورجحه الطبري.

وقال قتادة: الحينُ: مَوْتُهم.

وقال ابن زيد: الحينُ المقصودُ: يومُ القيامة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ وعْدٌ للنبي ﷺ ووعيدٌ لهم، أَي: سوف يَرَوْنَ عُقْبى طريقتهم.

ثم قرَّرَ الله تعالى نَبيَّه ﷺ ـ على جهة التوبيخ لهم ـ على استعجالهم عذابَ الله.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ [على بناء الفعل للفاعل][٤]، أَي نزل العذاب.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٨).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر الأقوال الثلاثة وترجيح الطبري في تفسير الطبري (٢١/ ١٣٢).

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقرأَ ابن مسعود: (نُزِلَ) على بنائه للمفعول[١].

و«السَّاحَةُ»: الفِنَاءُ، والعربُ تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإِنسان من خير أَو شر.

وسُوءُ الصباح أَيضاً يستعمل في ورود الغارات والرزايا ونحو ذلك، ومنه قول الصارخ: يا صَبَاحَاهُ، كأَنه يقول: قد ساءني الصباحُ فأَغيثوني[٢].

وقرأَ ابن مسعود: (فبئس صباح)[٣].

ثم أَعادَ الله تعالى أَمْر نبيِّه ﷺ بالتَّوَلِّي تحقيقاً لتأْنيسه والتَّهَمُّم به، وأَعاد سبحانه توعُّدهم أَيضاً لذلك، ثم نَزَّه نفسه تنزيهاً مطلقاً عن جميع ما يمكن أَن يصفه به أَهل الضلالات.

و﴿ٱلْعِزَّةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ هي العزَّة المخلوقة الكائنة للأَنبياءِ والمؤْمنين، وكذلك قال الفقهاءُ: مِنْ أَجل أَنها مربوبة، وقال محمد بن سُحْنُون وغيره: من حلف بعزَّة الله؛ فإِن كان أَراد صفته الذاتية فهي يمين، وإِن كان أَراد عزَّته التي خلق بين عباده، وهي التي في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾؛ فليست بيمين[٤].

وروي عن النبي ﷺ أَنه قال: «إِذا سلَّمتم عليَّ سلِّموا على المرسلين فإِنما أَنا أَحدهم»[٥].

وباقي السورة بيِّن.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «للمجهول»، وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٢٨).

(٢) في المطبوع: «فأعينوني»، وفي أحمد٣: «فأعينوه»، وفيهما: «سألني»، وفي الأصل: «ساء لي».

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر قول ابن سحنون في النوادر (٤/ ١٥)، وهو قول أشهب كما في الذخيرة (٤/ ١٤).

(٥) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن النبي ﷺ، مرسلاً.

وذكر أَبو حاتم عن صالح بن مينا قال: قرأْتُ على عاصم بن أَبي النجود، فلما ختمتُ هذه السورة سكَتَّ، فقال: إِيهٍ، اقرأْ، فقلت: قد ختمتُ، فقال: كذلك فعلتُ على أَبي عبد الرحمن فقال لي كما قلتُ لك، وقال لي: كذلك قال لي عليٌّ بن أَبي طالب، وقال: (وقُلْ آذنتكم بإِذانة المرسلين، لتُسْأَلُنَّ عن النَّبإِ العظيم)[١].

وفي مصحف عبد الله: (عن هذا النَّبإِ العظيم)[٢].

كمل تفسير (سورة الصافَّات) والحمد لله رب العالمين[٣]

* * *

(١) وهذا مخالف للمصاحف، انظر مختصرالشّواذ (ص: ١٢٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٧٤)، وفيه صالح بن مسافر، وصالح هذا لم أعرفه.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٩٣).

(٣) زاد في الأصل: «نجز السفر الرابع من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز بحمد الله تعالى وحسن عونه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، يتلوه في أول الخامس إن شاء الله تعالى (سورة ص)».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة ص

هذه السورة كلُّها مكِّيَّة بإجماع من المفسرين.

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾. [٥/ ١]

قرأ الحَسَنُ، وأُبَيُّ بن كعب، وابن أَبي إسحاق: (صَادِ) بكسر الدال[١]، على أنه أَمْرٌ مِنْ: صادَى يُصادِي: إذا ضَاهَى ومَاثَلَ، أَي صار كالصَّدَى الذي يحكي الصياح، والمعنى: ماثِل القرآنَ بعملك[٢]، وقارِنه بطاعتك، وهكذا فسَّره الحسن[٣]، أَي: انظر أَيْن عملُك منه؟

وقال الجمهور: إِنه الحرف المعجم المعروف، ويدخله ما يدخل سائر أَوائل السُّور من الأَقوال، ويختص هذا الموضع بأَن قال بعض الناس: معناه: صدق محمد ﷺ.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٦)، وللكل في المحتسب (٢/ ٢٢٩)، مع تفسير الحسن.

(٢) في نور العثمانية وفيض الله: «بعقلك».

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٧)، والمحتسب (٢/ ٢٢٩).

وقال الضحاك: معناه: صدق الله[١].

وقال محمد بن كعب القرظي: هو مفتاح أَسماءِ الله: صَمَد، صَادِق الوعد، صانع المصنوعات[٢].

وقرأَها الجمهور بسكون الدال.

وقرأَ ابن أَبي إسحاق بخلاف عنه بكسر الدال وتنوينها (صَادٍ)، على القسم[٣]، كما تقول: اللَّهِ لأَفْعَلَنَّ، وحكى الطبريُّ وغيره عن ابن أَبي إسحاق دون تنوين، وأَلحقه بقول العرب: حاثِ باثِ، وخازِ بازِ[٤].

وقرأَت فرقة منها عيسى بن عمر: (صادَ) بفتح الدال[٥]، وكذلك يفعل في نطقه بكل الحروف، يقول: قافَ، ونونَ، ويجعلها كأَيْنَ وليْتَ.

قال الثعلبيُّ: وقيل معناه: صادَ محمدٌ القلوبَ بأَن استمالها للإِيمان[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ قسَمٌ، وقال السدي، وابن عباس، وسعيد بن جُبَيْر: معناه: ذي الشرف الباقي المخلَّد[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٣٨).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٧٦).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٢).

(٤) وهي القراءة التي تقدمت عنه وعن الحسن، انظر تفسير الطبري (٢١/ ١٣٨).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٢٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٢٩).

(٦) تفسير الثعلبي (٨/ ١٧٦).

(٧) إسناده عنه ضعيف، والصحيح أنه من قول سعيد بن جبير، أخرجه الطبري (٢١/ ١٤٠) من طريق معاوية بن هشام، عن الثوري، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف، معاوية بن هشام صدوق له أوهام، انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٢١٨)، ولما ترجم له ابن عدي في كامله (٦/ ٤٠٨) قال: وقد أغرب عن الثوري بأشياء. ومن غرائبه هذه الرواية، حيث إن الثوري لا يروي عن يحيى بن عمارة، والصواب أن بينهما الأعمش، وهو قد تفرد عنه، كما صرح به الذهبي في الميزان (٤/ ٣٩٩).

وقال قتادة، والضحاك: ذي التذكرة للناس والهداية لهم[(١)].

وقالت فرقة: معناه: ذي الذكر للأُمم والقَصَص والغُيُوب.

وأَما جواب القسم فاختلف فيه:

فقالت فرقة: الجواب في قوله: ﴿صٓ﴾ إِذ هو بمعنى: صدق محمد، أو صدق الله.

وقال الكوفيون والزَّجَّاج: الجوابُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦٤][(٢)].

وقال بعض البصريين ومنهم الأَخفش: الجواب في قوله: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ [ص: ١٤][(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: هذان القولان بعيدان.

وقال قتادة، والطبري: الجواب مُقَدَّر قبل ﴿بَلِ﴾، وهذا هو الصحيح، تقديره: والقرآن ما الأَمْرُ كما يزعمون، ونحو هذا من التقدير، فتدبره[(٤)].

وحكى الزَّجاج عن قوم: أَن الجواب قوله تعالى: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ [ص: ٣][(٥)] وهذا متكلَّف جدّاً.

و«العِزَّةُ» هنا: المُعَازَّةُ والمغالبة.

و«الشِّقَاقُ» نحوه، أَي: هُمْ في شِقٍّ والحقُّ في شِقٍّ.

و﴿كَمۡ﴾ للتكثير، وهي خبرٌ فيه مثالٌ ووعيد، وهي في موضع نصب بـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾.

و«القَرْنُ»: الأُمَّة من الناس يجمعها زمن واحد، وقد تقدم تحريره[(٦)] مراراً.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ١٤٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٧٦).

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣١٩)، وانظر الرد عليه في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٧).

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٩٢).

(٤) في المطبوع: «فتأمله»، وانظر قول قتادة والطبري في تفسير الطبري (٢١/ ١٤٠).

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣١٩).

(٦) في المطبوع: «تحديده».

[٥/ ٢] وقوله: ﴿فَنَادَواْ﴾/ معناه: مستغيثين، والمعنى أنهم فعلوا ذلك بعد المعاينة فلم ينفع ذلك، ولم يكن في وقت نَفْع.

و﴿لَاتَ﴾ بمعنى: لَيْس، واسمُها مقدر عند سيبويه، وتقديره: ولاتَ الحينُ حين مناصٍ[١].

وهي (لَا) لحقتها تاءٌ، كما لحقت: رُبَّتَ وثُمَّتَ، وقال الزَّجاج: وهي كتاءِ جلَسَتْ وقامَتْ، تاءُ الحروف كتاءِ الأَفعال دخلت على ما لا يُعرب في الوجهين[٢].

ولا تستعمل (لا) مع التَّاءِ إِلَّا في الحِينِ والزَّمانِ والوقت ونحوه، ومن ذلك قول الشَّاعر:

[الكامل] .... وَلاتَ ساعَةَ مَنْدَمِ[٣]

وقال الآخر:

[الوافر] تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْلَى لاتَ حينَا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا[٤]

وأنشد بعضهم:

[الخفيف] طَلَبُوا صُلْحَنَا ولاتَ أَوانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ[٥]

---

(١) انظر كلامه عليها في الكتاب لسيبويه (١/ ٥٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٠).

(٣) هذا جزءٌ من بيت، ذكره الفراء في معاني القرآن (٢/ ٣٩٧) بلا نسبة، قال: ولا أحفظ صَدره، وجاء تمامه:

وَلَتَعْرِفَنَّ خَلائِقاً مَشْمُولَةً وَلَتَنْدَمَنَّ وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ

في المفردات للراغب (ص: ٤٦٤)، بلا نسبة، وجاء في صدر بيت آخر هو: ندم البغاة ولات ساعة مندم... والبغي مرتع مبتغيه وخيم. عزاه في خزانة الأدب (٤/ ١٧٥) لرجل من طيئ، ونقل عن شواهد العيني أنه لمحمد بن عيسى بن طلحة ابن عُبَيْد الله التَّيْمي، وقيل: بل مهلهل بن مالك الكناني.

(٤) ونسبه الشيباني في الجيم (١/ ٢٠٥) لعمرو غير منسوب، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٧).

(٥) البيت لأبي زُبَيْد الطائي كما في تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٨٣)، وحروف المعاني للزجاجي =

وأَنْشدَه الزَّجاج بكسر التاءِ[١]، وهذا كثير.

وقراءة الجمهور فتح التاءِ من (لاتَ) والنون من ﴿حِينَ﴾.

ورُوي عن عيسى كسر التاءِ من (لات) ونصب النون من (حِين).

ورُوي عنه أَيضاً: (حينٍ) بكسر النون منها[٢].

واختلفوا في الوقف على (لاتَ)؛ فذكر الزَّجَّاج أن الوقف بالتاءِ، ووقف الكسائي بالهاءِ[٣].

ووقف قوم ـ واختاره أَبو عُبَيْد ـ على (لا) وجعلوا التاءَ موصولة بحين، فقالوا: (لَا تَحِينَ)، وذكر أَبو عبيد أَنها كذلك في مصحف عثمان بن عفَّان رضي الله عنه[٤].

ويحتج لهذا بقول أَبي وَجْزة:

العاطِفُونَ تَحِينَ ما مِنْ عَاطِفٍ ... والمُطْعِمُونَ زمانَ ما منْ مُطْعِمِ[٥] [الكامل]

يمدح آل الزُّبَيْر.

وقرأَ بعض الناس: (لاتَ حينُ) برفع النون[٦] على إِضمار الخبر.

= (ص: ٦٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٤)، والإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ٩٠)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٧١).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٠).

(٢) شاذتان، انظر الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠)، ومع الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٩)، و«منها» و«من حين» من المطبوع.

(٣) وهي سبعية، والباقون بالتاء، انظر التيسير (ص: ٦٠)، وانظر قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٣٢٠).

(٤) انظر كلامه في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٣).

(٥) انظر عزوه له في الجمل في النحو (ص: ٢٩٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٤)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٦٥).

(٦) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠) لعيسى بن عمر، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٩) له ولأبي السمال.

و«الْمنَاصُ»: الْمَفَرُّ، ناصَ ينوصُ: إِذا فاتَ وفرَّ.

قال ابن عباس: المعنى: ليس بِحِينِ نَزْوٍ ولا فِرَارٍ، ضبط القوم[١].

والضمير في ﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾ لكفَّار قريش، واستغربوا أَن نُبِّئ بشرٌ منهم فأَنذرهم وحذَّرهم، وأَن وحّد الإِلَه، وقالوا: كيف يكون إِلهٌ واحدٌ يرزق الجميع وينظر في كلِّ أَمرهم؟

و﴿عُجَابٌ﴾ بناءُ مبالغة، كما قالوا: سريع وَسُرَاع، وهذا كثير.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن السلمي، وعيسى بن عمر: (عُجَّابٌ) بشدِّ الجيم[٢].

ونحوه قول الراجز:

[الرجز] جاؤوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَجَبْ أُزَيْرِقِ الْعَيْنَيْن طُوَّالِ الذَّنَبْ[٣]

وقد قالوا: رجلٌ كُرَّامٌ؛ أَي: كريم.

[٥/ ٣] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ / وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾.

رُوي في قَصص هذه الآية: أَن أَشراف قريش وجماعتهم اجتمعوا عند مرض أَبي طالب عمِّ النبي ﷺ، فقالوا: إِن من القبيح علينا أَن يموت أَبو طالب ونؤذي محمداً بعده فتقول العرب: تركوه مدة عمِّه فلما مات آذوه، ولكن لنذهب إِلى أَبي طالب فلينصفنا منه، وليربط بيننا وبينه ربطاً، فنهضوا إِليه فقالوا: يا أَبا طالب، إِن محمداً يسبُّ آلهتنا[٤] ويُسفِّه

---

(١) حسن، أخرجه الطبري (٢١/ ١٤٣) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن أربدة التميمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد حسن.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها للسلمي في المحتسب (٢/ ٢٢٩)، ولهما في تفسير الثعلبي (٨/ ١٧٩).

(٣) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٧٩)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٦٩٣).

(٤) سقط من الأصل.

آراءَنا وآراءَ آبائنا، ونحن لا نُقارُّه على ذلك، ولكن افصل بيننا وبينه في حياتك، بأَن يقيم في منزله يعبد ربَّه الذي يزعم، ويدع آلهتنا وسبَّها، ولا يعرض لأَحد منَّا بشيءٍ من هذا.

فبعث أَبو طالب إلى محمد ﷺ، فقال: يا محمد، إِن قومك قد دعوْكَ إِلى النَّصفة، وهي أَن تدعهم وتعبد ربَّك وحدك، فقال: أَوَ غير ذلك يا عم؟ قال: وما هو؟ قال: يُعطونني كلمة تدين لهم بها العربُ، وتؤدي إِليهم الجزية به العجم، قالوا: وما هي فإِننا نبادر إِليها؟ قال: لا إِله إِلَّا الله، فنفروا عند ذلك وقالوا: ما يرضيك منا غير هذا؟ قال: والله لو أَعطيتموني الأَرض ذهباً ومالاً، وفي رواية: لو جعلتم الشمس في يميني، والقمر في شمالي ما أَرضاني منكم غيرها، فقاموا عند ذلك، وبعضهم يقول: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾، ويرددون هذا المعنى، وعقبة بن أَبي مُعيط يقول: ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ الآية[١].

وجلبت هذا الخبر تامَّ المعنى، وفي بعض رواياته بزيادة ونقصان، والمعنى متقارب.

ولما ذهبوا قال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل: لا إِله إِلَّا الله، كلمة أَشهد لك بها عند الله»، قال: والله لولا أَن تكون سُبَّة في بنيَّ بعدي لأَقْرَرْتُ بها عينك، ومات وهو يقول: على مِلَّة عبد المطلب، فنزلت في ذلك: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦][٢].

فقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ﴾ عبارةٌ عن خروجهم عن أَبي طالب، وانطلاقهم من ذلك الجمع، هذا قول جماعة من المفسرين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٢) والنسائي في الكبرى (١١٤٣٦) والطبري (٢١/ ١٥٠) من طرق عدة، عن الأعمش، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل يحيى بن عمارة، ففيه جهالة. انظر تهذيب الكمال (٣١/ ٤٧٥)، ثم إنه اضطرب فيه، فرواه الطبري (٢١/ ١٥١) قال: حدثنا ابن بشار، ثنا عبد الرحمن، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد بن جبير، به مرسلاً.

(٢) وهذا من بقية الحديث السابق.

وقالت فرقة: هي عبارة عن إِذاعتهم لهذه الأَقاويل، فكأنه كما يقول الناس: انطلق الناس بالدعاءِ للأَمير، ونحوه، أَي: استفاضَ كلامهم بذلك.

و﴿ٱلْمَلَأُ﴾: الأَشرافُ والرُّؤوس الذين يسدُّون مسدَّ الجميع في الآراءِ، ونحوه.

وقوله: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾، ﴿أَنِ﴾ مفسِّرة لا موضع لها من الإعراب، ويجوز أَن تكون في موضع نصب بإِسقاط حرف الجر، أَي: بأَن، فهي بتقدير المصدر، كأَنه قال: وانطلق الملأُ منهم بقولهم: امشوا، ومعنى الآية أَنه قال بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على كل أَمر آلهتكم.

وذهب بعض الناس إِلى أَن قولهم: ﴿ٱمْشُواْ﴾ هو دعاءٌ لكسب الماشية، وفي هذا ضعف؛ لأَنه كان يلزم أَن تكون الأَلف مقطوعة؛ لأَنه يقال: أَمْشَى الرجُلُ: إِذا صار صاحب ماشية، وأيضاً فهذا المعنى غير متمكن في الآية، وإِنما المعنى: سيروا على طريقتكم ودوموا على سيركم، أَو يكون المعنى أَمْرٌ[1] من نقل الأَقدام قالوه عند انطلاقهم.

وهي في مصحف ابن مسعود: (وانْطَلَق الملأُ منهم يمشون أَن اصبروا)[2].

وقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ يريدون ظهور محمد ﷺ وعُلُوَّه بالنبوَّة، أَي: يراد منا[3] الانقياد له.

وقولهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ يريدون بمثل هذه المقالة من أَن الإِله واحد.

واختلف المتأَولون في قولهم: ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾:

فقال مجاهد: أَرادوا ملَّتهم ونِحْلتهم التي العرب عليها، ويقال لكلِّ ما تتَّبِعه أُمَّةٌ ما: مِلَّة.

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣ وفيض الله: «أمراً».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣١)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٥١).

(٣) في الأصل: «هنا».

وقال ابن عباس، والسدي: أَرادوا ملَّة النصارى[١].

قال القاضي أبو محمد: وذلك مُتَّجه لأَنها ملَّة شهير فيها التثليث وأَنَّ الإِله ليس بواحد.

وقالت فرقة: معنى قولهم: ﴿مَا سَمِعْنَا﴾؛ أي: ما سمعنا أَنه يكون مثل هذا، ولا أَنه يقال في الملة الآخرة التي كنا نسمع أنها تكون في آخر الزمان.

قال القاضي أبو محمد: وذلك أَنه قبل مبعث النبي ﷺ كان الناس يستشعرون خروج نبيٍّ وحدوث ملَّة ودين، ويدل على صحة هذا ما رُوي من أقوال الأَحبار أولي الصوامع، وما رُوي عن شقٍّ وسطيح، وما كانت بنو إِسرائيل تعتقد من أَنه يكون منهم.

وقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ إِشارة إِلى جميع ما يُخبر به محمد ﷺ عن الله تعالى، ثم قالوا على جهة التقرير من بعضهم لبعض، ومُضَمَّن ذلك الإِنكار: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾، بمعنى: نحن الأَشراف الأَعلام، فَلِمَ خُصَّ هذا؟ وكيف يصحُّ هذا؟ فردَّ الله تعالى قولهم بما تقتضيه ﴿بَلْ﴾؛ لأَن المعنى لَيْسَ تخصيص الله وإِنعامه جارياً على شهواتهم، ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾؛ أَي: في ريب أَن هذا التذكير بالله حق.

ثم توعدهم بقوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾؛ أَي: لو ذاقوه لتحققوا أَن هذه الرسالة حق؛ أَي: هم لجهالتهم لا يُبيِّنُ لهم النظرُ، وإِنما يُبيِّن لهم مباشرةُ العذاب.

وقرأَ ابن مسعود: (أَمْ أُنْزِل) بميم بين الهمزتين[٢].

ثم وَقَفَهم احتجاجاً عليهم، أَعندهم رحمة ربك وخزائنها التي فيها الهدى والنُّبوَّة وكل فضل، فيكون لهم تحكُّم في الرسالة وغيرها من نِعَم الله؟ و﴿أَمْ﴾ هنا

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر فيه قول مجاهد والسدي، وكذلك رواه الطبري (٢١/ ١٥٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣٠).

لم تُعادلها أَلف، فهي المقطوعة التي معناها الإضراب عن الكلام الأَول واستفهام، وقدَّرها سيبويه بـ: بَلْ والألف، كقول العرب: / إِنها لإبلٌ أَمْ شاءٌ[١]. [٥/ ٤]

و«الخزائن للرحمة» مستعارة، كأَنها موضع جمعها وحفظها، ومن حيث كانت ذخائر البشر تحتاج إلى ذلك خوطبوا في الرحمة بما ينحو إِلى ذلك.

قال الطبري: يعني بالخزائن: المفاتيح[٢]، والأول أبين، والله تعالى أَعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿أَمْ﴾ في هذه الآية معادلة للأَلف المقدرة في ﴿أَمْ﴾ الأُولى، وكأَنه تعالى يقول في هذه الآية: أَمْ لهم هذا المُلْك فتكون الرسالة والنبوة على اختيارهم ونظرهم، فليرتقوا في الأسباب إِن كان الأَمر كذلك، أَي: إِلى السماءِ، قاله ابن عباس[٣].

و﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾: كل ما يُتَوَصَّل به إِلى الأَشياءِ، وهي هنا بمعنى الحبال والسلالم، وقال قتادة: أَراد أَبوابَ السماءِ[٤].

وقوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾ اختلف المتأَولون في الإشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾ إِلى ما هي؟

فقالت فرقة: أَشار إِلى الارتقاءِ في الأَسباب؛ أَي: هؤلاءِ القوم إِن راموا ذلك جُنْدٌ مهزوم.

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٧٢).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في المطبوع: «يشدهم».

قال القاضي أبو محمد: وهذا قويٌّ.

وقالت فرقة: الإِشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾ إِلى حماية الأَصنام وعضدها، أَي: هؤلاءِ القوم جند مهزوم في هذه السبيل.

وقال مجاهد: الإِشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾ إِلى يوم بدر[1]، وكان غيْباً أَعلم الله به على لسان رسوله ﷺ أَنَّ جنداً مشركين يُهْزَمون، فخرج في بدر.

وقالت فرقة: الإِشارة إِلى من حضر عام الخندق بالمدينة.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ أَي: من جملة الأحزاب والأُمم الذين تعصبوا في الباطل وكذَّبوا الرُّسل فأَخذهم الله تعالى.

و﴿مَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا﴾ زائدة مؤكدة، وفيها تخصيص.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾:

فقال ابن عباس، وقتادة: سُمِّي بذلك لأَنه كانت له أَوتاد وخشب يُلعب له بها وعليها[2].

وقال السدي: كان يقتل الناس بالأَوتاد ويسمِّرهم[3] في الأرض بها.

وقال الضحاك: أَراد المباني العظام الثابتة[4].

وهذا أَظهر الأَقوال، كما يقال للجبال أَوتاد؛ لثبوتها، ويحتمل أَن يقال له: ﴿ذو الأَوتاد﴾ عبارة عن كثرة أَخبِيَتِه وعِظَم عساكره، ونحوٌ من هذا قولهم: أَهل العمود.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٨٠)، دون ذكر بدر.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٨) من طريق أبي جعفر الرازي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف، أبو جعفر الرازي، ضعيف الحديث. انظر تهذيب الكمال (٣٣/ ١٩٢).

(٣) في أحمد٣ والمطبوع: «يشدهم».

(٤) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ١٥٩).

وقرأَت فرقة: ﴿لَيْكَةَ﴾، وقرأت فرقة: ﴿لَـَٔيۡكَةِ﴾[(١)].

وقد تقدم [القول في شرح ذلك في سورة الشعراء][(٢)].

ثم أخبر تعالى أَن هؤلاءِ المذكورين هم الأَحزاب، وضرب بهم المثل لقريش في أَنهم كذَّبوا، ثم أَخبر أَن عقابه حقَّ على جميعهم، أي: فكذلك يحق عليكم أَيها المكذبون بمحمد ﷺ.

وفي قراءَة ابن مسعود: (إنْ كلُّ لما)، وحكى أبو عمرو الداني أن فيها: (إِنْ كُلُّهُمْ إِلَّا كذَّبَ)[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ۝١٥ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝١٦ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ۝٢٠﴾.

﴿يَنظُرُ﴾ بمعنى: ينتظر، وهذا إِخبار من الله تعالى لرسول الله ﷺ، صدَّقه الوجود، فالصيحة ـ على هذا التأْويل ـ عبارة عن جميع ما نابهم من قتل أَو أَسر وغلبة، وهذا كما تقول: صاح فيهم الدَّهر.

وقال قتادة: توعدهم الله بصيحة القيام والنفخ في الصُّور[(٤)].

قال الثعلبي: رُوي هذا التفسير مرفوعاً إِلى النبي ﷺ[(٥)].

---

(١) وهما سبعيتان، فتح اللام والتاء لنافع وابن كثير وابن عامر والصرف للباقين، انظر التيسير (ص: ١٦٦).

(٢) سقط من المطبوع، وانظر تفسير الآية (١٧٦) من (سورة الشعراء).

(٣) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الطبري (٢١/ ١٦٠)، والثانية في معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ١٦١).

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٨١)، وهو حديث ضعيف جدًّا، أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦) من طريق أبي عاصم النبيل، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، =

وقالت طائفة: توعدهم تعالى بصيحة يهلكون بها في الدنيا، وعلى هذين التأْويلين فمعنى الكلام أنهم بمدرج عقوبة، وتحت[(١)] أَمرٍ خطير ما ينتظرون فيه إِلا الهلكة، وليس معناه التوعُّد بشيءٍ معين ينتظره محمد ﷺ فيهم كالتأْويل الأَول.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَوَاقٍ﴾ بفتح الفاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن وثاب، والأَعمش، وأَبو عبد الرحمن: ﴿فُوَاقٍ﴾ بضم الفاءِ[(٢)].

قال ابن عباس، وغيره: هما بمعنى واحد[(٣)]؛ أَي: ما لها من انقطاعٍ وعودة، بل هي متصلة حتى مهلكهم، ومنه: فُوَاقُ الْحَلْبَة: المهلة التي بين الشَّخْبتين، وجعلوه مثل قَصَاص الشعر وقُصَاصه، وغير ذلك.

ومنه الحديث عن النبي ﷺ: «من رابط فُوَاق ناقة حرَّم الله جسده على النار»[(٤)].

= عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعاً، به في حديث طويل جدًّا، وهذا إسناد ضعيف جداً، من أجل إسماعيل بن رافع، وهو متروك الحديث، انظر تهذيب الكمال (٣/ ٨٥)، وهو قد اضطرب فيه، فرواه البيهقي في البعث (٦٦٩) من طريق آخر عن أبي عاصم النبيل، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعاً، به، فزاد في السند رجلاً مبهماً، ما بين القرظي وأبي هريرة رضي الله عنه، والحديث تكلم عليه أهل العلم ووسموه بالضعف والنكارة، انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٨).

(١) في المطبوع: «وقت».

(٢) انظر نسبتها للجمهور وحمزة والكسائي في: التيسير (ص: ١٢٢)، وانظر موافقة الأعمش في: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٤٧٦)، وانظر موافقة الباقين في:البحر المحيط (٧/ ٣٧٣) وزاد طلحة.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٦١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) ضعيف جدًّا، أخرجه العقيلي في ضعفائه (١/ ٢٢) من طريق أنس بن عبد الحميد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به، قال العقيلي بعد أن رواه في مناكير أنس ابن عبد الحميد: هذا حديث منكر، فإن كان ابن عبد الحميد ضُبط عنه، فليس ممن يحتج به. وله طريق أخرى، رواه أيضاً العقيلي (٢/ ١٤٣) من طريق سليمان بن مرقاع الجندعي، عن مجاهد، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به، قال العقيلي: منكر، ولا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به.

وقال ابن زيد، وأَبو عبيدة، ومُؤرِّج، والفراءُ: المعنى مختلف، الضَّمُّ كما تقدم من معنى فواق، والفتح بمعنى الإِفاقة[١]؛ أَي: ما يكون لهم بعد هذه الصيحة من إِفاقة ولا استراحة، ففَواق مثل: جواب مِنْ أَجاب.

ثم ذكر عزَّ وجلَّ عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾، و«القِطُّ»: الحَظّ والنصيب، و«القِطُّ» أَيضاً: الصَّكُّ والكتاب من السلطان بِصِلةٍ ونحوه، ومنه قول الأَعشى:

[الطويل] وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيتَهُ بِغِبْطَتِهِ يُعْطِي الْقُطُوطَ ويَأْفِقُ[٢]

وهو من: قَطَطْتُ، أَي: قطعتُ، واختلف الناس في (القطِّ) هنا، ما أَرادوا به؟

فقال سعيد بن جبير: أَرادوا به: عجِّل لنا نصيبنا من الخير والنعيم في دنيانا.

وقال أَبو العالية، والكلبي: أَرادوا: عجِّل لنا صُحفنا بأَيْمَاننا، وذلك لمَّا سمعوا في القرآن أَن الصحف تُعْطَى يوم القيامة بالأَيمان والشمائل قالوا ذلك[٣].

وقال ابن عباس، وغيره: أَرادوا ضِدَّ هذا من العذاب ونحوه، فهذا نظير قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢][٤].

[٥/ ٥] وقال السدي: المعنى: أَرنا منازلنا في الجنة حتَّى نبايعك[٥]./

قال القاضي أَبو محمد: وعلى كل تأْويل، فكلامهم خرج على جهة الاستخفاف

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٠)، ومجاز القرآن (٢/ ١٧٩)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٦٢).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٧٩)، والعين (٥/ ٢٢٧)، وأمثال العرب للضبي (ص: ١٦٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٦٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٧)، وجمهرة اللغة (١/ ١٥٠).

(٣) انظر قولهما في تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٢)، وقول ابن جبير في تفسير الطبري (٢١/ ١٦٥).

(٤) الأثر ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٦٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ١٦٥).

والهزءِ، ويدل على ذلك ما عُلم من كفرهم واستمر، ولفظ الآية يعطي إِقراراً بيوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ أَي: من هذه الأَقاويل التي يريدون بها الاستخفاف، ولا تلتفت إِليها.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ في الدين والشرع[(١)] والصَّدْع به، فَتَأَسَّ به وتأَيد كما تأَيد.

و﴿ٱلْأَيْدِ﴾: القوة، وهي في داود متضمنة قوة البدن وقوته على الطاعة.

و«الأَوَّابُ»: الرَّجَّاع إِلى طاعة الله تعالى، وقاله مجاهد وابن زيد، وفسَّره السدي بالمُسَبِّح[(٢)].

وذكر الثعلبي: أَن أَبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الزُّرْقة يُمْنٌ»، وكان داود أزرق[(٣)].

وأَخبر تبارك وتعالى عمَّا وهب لداود من الكرامة في أَن سخَّر الجبال معه تسبِّح، وظاهر الآية عموم الجبال، وقالت فرقة: بل هي الجبال التي كان فيها وعندها، وتسبيح الجبال هنا حقيقة.

﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: وقت ضياءِ الشمس وارتفاعها، ومنه قولهم: أَشْرِقْ ثبيرُ [كيْما نُغِير][(٤)]؛ أَي: ادخل في الشروق، وفي هذين الوقتين كانت صلاة بني إِسرائيل.

---

(١) ليست في المطبوع وأحمد٣.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ١٦٨).

(٣) موضوع، رواه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٦٢) من طريقين، أحدهما فيه سليمان بن أرقم، وهو متروك الحديث، وفيه كذلك: إسماعيل المؤدب، قال الدارقطني: لا يحتج به. والثاني: فيه محمد بن موسى الكديمي، وكان يضع الحديث.

(٤) انظر سيرة ابن اسحاق (ص: ٩٨)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦٦). و«كيما نغير» سقط من الأصل والسليمانية وفيض الله.

وقال ابن عباس: صلاة الضحى عندنا هي صَلاة الإِشراق، وهي في هذه الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ بالنصب عطف على ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾؛ أَي: وسَخَّرْنَا الطَّيْرَ.

و﴿مَحۡشُورَةٗ﴾ نصب على الحال، ومعناه: مجموعة.

وقرأَ ابن أَبي عَبْلَةَ: (والطَّيرُ مَحْشُورةٌ) بالرفع فيهما[٢].

والضمير في ﴿لَّهُۥٓ﴾ قالت فرقة: هو عائد على الله تعالى، فَـ﴿كُلّٞ﴾ على هذا يراد به: داود، والجبال، والطيرُ.

وقالت فرقة: هو عائد على داود عليه السلام، فـ﴿كُلّٞ﴾: للجبال والطير.

وقوله تعالى: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾ عبارة عامة لجميع ما وهبه الله تعالى من قوة وجند[٣] ونعمة، وقد خصص بعض المفسرين في ذلك أَشياءَ دون أَشياء:

فقال السدي: بالجنود[٤]، وقال آخرون: بِهَيْبَةٍ[٥] جعلها الله تعالى له.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَشَدَدۡنَا﴾ بتخفيف الدال الأُولى.

ورُوي عن الحسن: (وشدَّدنا) بشَدّها على المبالغة[٦].

و﴿ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: الفهم في الدين وجَودة النظر، هذا قول فرقة، وقالت فرقة: أَراد

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن راهويه في مسنده (٢١١٦) عن ابن عيينة، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله ابن الحارث، عن أم هانئ، وابن عباس، رضي الله عنهم، مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، يزيد بن أبي زياد، متفق على تضعيفه. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ١٣٥)، وقد رُوي الحديث من طرقٍ أخرى لم يصح منها شيء.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠).

(٣) في الأصل: «وخير».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ١٧٠).

(٥) في نور العثمانية وفيض الله: «بهيئة».

(٦) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٠٩).

بالحكمة النُّبُوَّةَ، وقال أَبو العالية: ﴿ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: العلمُ الذي لا تردُّه العقول[١].

قال القاضي أَبو محمد: هي عقائد البرهان.

واختلف الناس في ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾:

فقال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: هو فصل القضاءِ بين الناس بالحق وإِصابتُه وفَهْمُه[٢].

وقال علي بن أَبي طالب، وشُرَيْح، والشعبي: هو إِيجابُ اليمين على المدَّعَى عليه، والبَيِّنَة على المدَّعِي، وقال زياد، والشعبي أَيضاً: هو قول: أَمَّا بعد، فإِنه أَول من قالها[٣].

قال القاضي أبو محمد: والذي يعطيه لفظ الآية: أَن الله تعالى آتاه أَنه كان إِذا خاطب في نازلةٍ فصَّل المعنى وأَوْضحه وبينه، لا يأْخذه في ذلك حَصَرٌ ولا ضعف، وهذه صفةٌ قليلٌ من يدركها، فكان كلامه عليه السلام فَصْلاً، وقد قال الله تبارك وتعالى في صفة القرآن: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ [الطارق: ١٣]، ويزيد محمد ﷺ على هذه الدرجة بالإِيجاز في العبارة، وجمْع المعاني الكثيرة في اللفظ اليسير، وهذا هو الذي تَخَصَّص ﷺ به في قوله: «وأُعْطِيتُ جوامع الْكَلِم»[٤]، فإِنها في الخِلالِ التي لم يُؤْتَها أَحدٌ قبله، وذكْر جوامع الكلم معدودٌ ومُسَلَّم له ﷺ[٥].

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٧٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر أقوال الباقين فيه.

(٣) انظر قول علي رضي الله عنه في تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٤) مع أكثر الأقوال، وانظر أكثرها أيضاً في تفسير الطبري (٢١/ ١٧٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٦١١) ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به، واللفظ لمسلم.

(٥) في نور العثمانية: «معدودة في كتاب مسلم» بدل: «معدود ومسلم له ﷺ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾.

هذه مخاطبة للنبي ﷺ، واستُفْتِحَت بالاستفهام تعجباً من القصة وتفخيماً لها؛ لأَن المعنى: هل أَتاك هذا الأَمر العجيب الذي هو عبرة؟ فكأَن هذا الاستفهام إِنما هو تهْيِئَةٌ لنفس المخاطب وإِعدادها للتَّلَقِّي.

و﴿ٱلْخَصْمِ﴾ جارٍ مجرى: زَوْر وَعَدْل، يوصفُ به الواحد والاثنان والجميع[1]، ومنه قول لبيد:

[الطويل] وخَصْمٍ يَعُدُّونَ الذُّحُولَ كأَنَّهُمْ ... قُرُومٌ غَيَارَى كلَّ أَزْهَرَ مُصْعَبِ[2]

وتحتمل هذه الآية أن يكون التَّسَوُّر للمحراب من اثنين فقط؛ لأَن نفس الخصومة إِنما كانت بين الاثنين، فتجيءُ الضمائر في ﴿تَسَوَّرُواْ﴾ و﴿دَخَلُواْ﴾ و﴿قَالُواْ﴾ على جهة التَّجَوُّز في العبارة عن الاثنين بلفظ الجمع، وتحتمل أَنه جاءَ مع كل واحد فرقة كالعاضدة أَو المُؤْنسة، فيقع على جميعهم (خَصْمٌ)، وتجيءُ الضمائر حقيقية.

و﴿تَسَوَّرُواْ﴾ معناه: عَلَوْا سُورَهُ، وهو جمع: سُورَةٍ، وهي القطعة من البناءِ، وهذا كما تقول: تَسَنَّمْتُ الحائط أو البعيرَ: إِذا علوتَ سنامه.

و﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾: الموضع الأَرفع من القصر أَو المسجد، وهو موضع التَّعبُّد،

---

(١) في المطبوع والسليمانية: «والجمع».

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٨٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٧٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٨٧)، والقُروم: جمع قرم، وهو الفحل من الإبل، والذُّحول: جمع ذَحْلٍ، وهو الثأْرُ، وكتبت مهملة الدال في بعض النسخ، وفي الحمزوية وفيض الله ونجيبويه: «الدخول».

والعامل في ﴿إِذْ﴾ الأُولى ﴿نَبَؤُا۟﴾، وقيل: ﴿أَتَىٰكَ﴾، والعامل في الثانية ﴿تَسَوَّرُوا۟﴾، وقيل: هي بدلٌ من ﴿إِذْ﴾ الأُولى.

وقوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ يحتمل أَن يكون فزعه من الداخلين أَنفسهم لئلا يؤذوه، وإِنما فزع من حيث دخلوا من غير الباب ودون استئذان.

وقيل: إِن ذلك كان ليلاً، ذكره الثعلبي[1].

ويحتمل أَن يكون فزعُه من أَن يكون أهل مُلْكه قد استهانوه حتَّى ترك بعضهم الاستئذان، فيكون فزعه على[2] فساد السيرة لا من الداخلين.

ويظهر من قولهم/ : ﴿لَا تَخَفْ﴾ أَنهم فهموا فزعه[3]. [٥/ ٦]

وهنا قَصَصٌ طوَّل الناس فيه، واختلفت الروايات فيه، ولا بد أَن نذكر منه ما لا يقوم تفسير الآية إِلَّا به، ولا خلاف بين أَهل التأْويل أَن هؤلاءِ الخصم إِنما كانوا ملائكة بعثهم الله تعالى ضرب مثل لداود عليه السلام، فاختصموا إِليه في نازلة قد وقع هو في نحوها، فأَفتى بِفُتْيا هي واقعة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد خرَّ وأَناب واستغفر، أَما نازلته التي وقع فيها؛ فروي: أنه عليه السلام جلس في ملاٍ من بني إِسرائيل فأُعجب بعمله، وظهر منه ما يقتضي أَنه لا يخاف على نفسه الفتنة، ويقال: بل وقعت له في مثل هذا محاورة مع الملكَين الحافظيْن عليه، فقال: جَرِّباني يوماً، وإِن غبتما عني فإِني لا أُواقع مكروهاً.

وقال السدي: كان داود قد قسَّم دهره: يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً للعبادة، ويوماً لشأْن نفسه، ففتن[4] يومَ خُلُوِّه للعبادة لمَّا تمنى أن يُعطى مثل فضل

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٨).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «من».

(٣) في الأصل بدله: «ويحتمل قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ أنهم فهموا منه عليه السلام خوفه».

(٤) في المطبوع: «فعين».

إِبراهيم وإِسحاق ويعقوب، والتزم أَن يُمتحن كما امْتُحنوا[١]، وقيل السبب غير هذا مما هو لا يصح تطويله.

وقال ابن عباس: إِن داود أَخذ يوماً في عبادته، وانفرد[٢] في محرابه يصلي ويسبِّح، إِذ دخل عليه طائر من كُوَّة فوقع بين يديه، فروي: أنه كان طائراً حسن الهيئة، حمامة، فمدَّ داود يده إِليها[٣] ليأْخذها، فما زالت تُطْمعه ويتبعها حتى صَعِدت الكُوَّة التي دخلت منها، فصعد ليأْخذها، فتنحَّى الطائر له، فتطلَّع داود فإِذا هو بامرأَة تغتسل عريانة، فرأَى منظراً جميلاً فَتَنَه، ثم إِنها شعرت به فأَسبَلَتْ شعرها على بدنها فتجلَّلَتْ به، فزاده ذلك ولوعاً بها، ثم إِنه انصرف وسأَل عنها فأُخبر أَنها امرأَة رجل من جنده يقال له: أُورِيَا، وأَنه في بعث كذا وكذا، فيروى أنه كتب إِلى أَمير تلك الحرب أَن قدِّم فلاناً يقاتل عند التابوت، وهو موضع [بُرَكاء الحرب][٤] قلَّما يخلص منه أَحد، فقدم ذلك الرجل حتى استشهد هنالك[٥].

ويروى: أَن داود كتب أَن يُؤَمَّر ذلك الرجل على جملة من الرجال، وترمى به الغارات والوجوه الصعبة من الحرب حتى قُتل في الثالثة من نهضاته، وكان لداود ـ فيما روي ـ تسع وتسعون امرأَة، فلما جاءَه الكتاب بقتل من قُتل في حربه، جعل كلما سُمِّي رجل يسترجع ويتفجع، فلما جاءَ اسم الرجل قال: كتب الموت على كل نفس، ثم إِنه خطب المرأَة وتزوجها، فكانت أُم سليمان عليه السلام فيما روي عن قتادة[٦]، فبعث الله تعالى إِليه الخصم ليُفتي أَن هذا ظلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٨٢).

(٢) في الأصل: «وانصرف».

(٣) من الحمزوية والمطبوع وأحمد٣.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ١٨١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ١٨٤).

وقالت فرقة: إِن هذا كله همَّ به داود ولم يفعله، وإنما وقعت[١] المعاتبة على الهَمِّ.

وقال آخرون: إِنما الخطأُ في أَنه لم يجزع عليه كما جزع على غيره من الجند، إِذ كان عنده أَمر المرأَة.

قال القاضي أَبو محمد: الرُّواةُ على الأَول أَكثر، وفي كتب بني إِسرائيل في هذه القصة صور لا تليق، وقد حدَّث بها قُصَّاص في صدر هذه الأمة[٢]، فقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: من حدَّث بما قال هؤلاءِ القُصَّاص [في أمر داود عليه السلام][٣] جلدتُه حدّين لما ارتكب في حُرمة من رفع الله محلَّه[٤].

وقوله تعالى: ﴿خَصۡمَانِ﴾ تقديره: نحن خصمان، وهذا كقول الشاعر:

[الطويل]

وَقُـولا إِذَا جَاوَزْتُمَـا أَرْضَ عَامِـرٍ ... وَجَاوَزْتُمَـا الْحَيَّيْـنِ نَهْـداً وَخَثْعَمَـا

نَزِيعـانِ مِـنْ جَـرْم بْـنِ زَبَّـانَ إِنَّهُـمْ ... أَبَوْا أَنْ يُميرُوا في الهَزَاهِزِ مِحْجَمَا[٥]

ومثله قول العرب في المثل: مُحْسِنَةٌ فَهِيلِي[٦]، والتقدير: أَنت محسنةٌ.

ومنه قوله ﷺ: «آيِبُونَ تائبون»[٧].

---

(١) من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية ونجيبويه.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «الآية».

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٤) ذكره ابن حزم في المحلى (١١/ ٨٤١) بلا إسناد، ولم أقف عليه عند غيره.

(٥) البيتان للطرماح كما في الإبل للأصمعي (ص: ٩٢)، والكنز اللغوي (ص: ٩٦)، ولحميد بن ثور في الشعر والشعراء (١/ ٣٧٨)، والحيوان (١/ ٢٣٨)، والأشباه والنظائر للخالدي (ص: ٢٤)، وغريب الحديث للخطابي (١/ ١٧٥). وفي الأصل والحمزوية ونجيبويه والمطبوع: «زيَّان»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «ريان»، وفي الاشتقاق لابن دريد (١/ ٥٣٦): جَرْم بن ربّان، ورَبَّان: فَعلان من رب.

(٦) انظر المثل في: معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٢)، والاشتقاق (ص: ٢٥٨).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٠٣) ومسلم (١٣٤٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، به.

و﴿بَغَىٰ﴾ معناه: اعتدى واستطال، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] وَلَكِـنَّ الْفَتَـى حَمَـلَ بـنَ بَـدْرٍ بَغَـى والْبَغْـيُ مَرْتَعُـهُ وَخِيـمُ[١]

وقوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ إغلاظ على الحاكم، واستدعاءٌ لعدله، وليس هذا بارتياب منه، ومنه قول الرجل للنبي ﷺ: «فاحكم بيننا بكتاب الله»[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿تُشْطِطْ﴾ بضم التاءِ وكسر الطاءِ الأُولى، ومعناه: ولا تبعد[٣] في حكمك.

وقرأ أَبو رجاءٍ، وقتادة بفتح التاءِ وضمِّ الطاءِ الأُولى، وهي قراءَة الحسن، والجحدري.

والمعنى: ولا تَبْعُدْ، يقال: شَطَّ: إِذا بَعُدَ، وأَشَطَّ: إِذا أَبعد غيره.

وقرأ زِرُّ بن حُبيش: (تُشَاطِطْ) بضم التاءِ وبأَلفٍ [بعد الشين][٤].

و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ معناه: وسط الطريق ولاحِبُه.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾، إعرابُ ﴿أَخِى﴾ عطف بيان:

وذلك أن ما جرى من هذه الأَشياءِ صفة؛ كالخَلْق والخُلُق وسائر الأوصاف فإِنه نعتٌ محضٌ، والعامل فيه هو العامل في الموصوف.

وما كان منها مما ليس لِيوصَفَ بِهِ البَتَّةَ فهو بدلٌ، والعامل فيه مُكَرَّر، وتقول:

---

(١) لقيس بن زهير كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٧)، والأمثال للضبي (ص: ٩٧)، والفاخر (ص: ٢٢٧)، والعقد الفريد (٦/ ٢٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٤٩) ومسلم (١٦٩٧-١٦٩٨) من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنه مرفوعاً، به.

(٣) في نور العثمانية والسليمانية وفيض الله: «لا تتعد».

(٤) من المطبوع، وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ٢٣٠)، والثانية في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠).

جاءَنِي أَخوك زيد، فالتقدير: جاءَني أَخوك، جاءَني زيد، فاقتصر على حذف العامل في البدل والمبدل منه، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١].

وما كان منها مِمَّا لا يوصف به واحتيج إِلى أَن يُبَيَّن به ويجري مجرى الصفة فهو عطف بيانٍ، وهو بيِّن في قول الشاعر:

.... يا نَصْرُ نَصْرٌ نَصْرَا[١] [الرجز]

فإِن الرواية في الثاني بالتنوين تدل على أن النداءَ ليس بمكرر عليه، فليس ببدل، ووضح فيه عطف البيان.

وهذه الأُخوة مستعارة؛ إِذْ هما مَلَكان، ولكن من حيث تصوَّرَا آدميَّيْن تكلَّما بالأخوة التي بينهما/ في الدين والإِيمان، والله أَعلم. [٥/ ٧]

و«النَّعْجَةُ» في هذه الآية عبر بها عن المرأَة، والنعجة في كلام العرب تقع على أُنثى بقر الوحش، وعلى أُنثى الضأْن، وتُعبِّر العربُ بها عن المرأَة، وكذلك بالشَّاة، قال الأَعشى:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَينِهِ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا[٢] [الكامل]

أَراد: عن امرأَته.

وفي قراءَة ابن مسعود: (وتِسْعُونَ نَعجة أُنثى)[٣].

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿وَلِيَ﴾ بفتح الياءِ، وقرأ الباقون بسكونها، وهما حسنان[٤].

---

(١) تمامه: إِنِّي وأَسْطَارٍ سُطِرْنَ سَطْرَا ... لَقَائِلٌ يا نصْرُ نَصْرٌ نَصْرَا. وهو لرؤبة كما تقدم في تفسير الآية (٢٤) من (سورة الأعراف).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٨١)، والعين (٣/ ٣١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٦)، والكامل (١/ ٢٢٥).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٣)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٧٥)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٧٧).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨)، والسبعة (ص: ٥٥٣).

وقرأ الحسن والأعرج: (نِعْجَةً) بكسر النون[١]، والجمهور على فتحها.

وقرأ الحسن: (تَسْعٌ وتَسْعُون) بفتح التاءِ فيهما، وهي لغة[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾؛ أي: رُدَّها في كفالتي.

وقال ابن كيسان: المعنى: اجعلها كفلي؛ أي: نصيبي[٣].

قوله: ﴿وَعَزَّنِي﴾؛ أي: غَلَبَني، ومنه قول العرب: مَنْ عَزَّ بَزَّ؛ أي: من غَلَب سَلَب.

وقرأ أبو حيوة: (وَعَزَنِي) بتخفيف الزاي[٤].

قال أبو الفتح: أراد: عَزَّني، فحذف إحداهما تخفيفاً، كما قال أبو زُبَيْدٍ[٥]:

[الوافر] .... أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ[٦]

قال أبو حاتم: ورويت بتخفيف الزاي عن عاصم[٧].

وقرأ ابن مسعود، وأبو الضحى، وعبيد بن عمير: (وَعَازَّني)؛ أي: غَالَبَني[٨].

ومعنى قوله: ﴿فِي الْخِطَابِ﴾؛ أي: كان أوجه منِّي وأقوى، فإذا خاطبته كان كلامه أقوى من كلامي، وقوته أعظم من قوتي، فيروى: أن داود عليه السلام لمَّا سمع هذه

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في المحتسب (٢/ ٢٣٠).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٧٧).

(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٩/ ١٤٨).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له مع توجيهها في المحتسب (٢/ ٢٣١).

(٥) هو حرملة بن منذر الطائي، تقدم ذكره، وفي المطبوع وبعض النسخ: «أبو زبيد»، وفي بعضها: «أبو زيد».

(٦) صدره: خَلا أنَّ العِتَاقَ مِنَ المَطَايَا، وتقدم عزوه له في تفسير الآية (٩٣) من (سورة طه).

(٧) كما في البحر المحيط (٩/ ١٤٩)، وعزا له ابن خالويه في الحجة (ص: ٣٠٥) المد، وانظر الكامل للهذلي (ص: ٦٢٤).

(٨) وهي شاذة، انظر عزوها للأول في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٩)، والثالث في تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٩)، ولم أجدها للثاني.

الحُجَّة قال للآخر: ما تقول؟ فأَقرَّ وأَلَدَّ، فقال له داود: لئن لم ترجع إِلى الحق لأَكسرن الذي فيه عيناك، وقال للثاني: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾، فتبسَّما عند ذلك، وذهبا ولم يرهما لحينه، فشعر حينئذ للأَمر، ورُوي أَنهما ذهبا نحو السماءِ بِمَرْأًى منه، وقيل: بل بيَّنا عليه فعله في تلك المرأَة وزوجها، وقالا له: إِنما نحن مثال لك.

وقال بعض الناس: إِن داود قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أَن يسمع حجة الآخر، وهذه كانت خطيئته، ولم تنزل به هذه النازلة المروية قط.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف من جهات؛ لأَنه خالف متظاهر الروايات[1].

وأَيضاً فقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ إنما معناه: أَن ظهر صدقك ببيِّنَة أَو باعتراف، وهذا من بلاغة الحاكم التي تُردُّ المعوج إِلى الحق، وتفهمه ما عند القاضي من الفطنة.

وقال الثعلبي: كان في النازلة اعتراف من المُدَّعى عليه حذف اختصاراً، ومن أَجله قال داود عليه السلام: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾[2].

وقوله عليه السلام: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾، أَضاف المصدر[3] إِلى المفعول.

و﴿ٱلْخُلَطَآءِ﴾: الأَشراك والمتعاقبون في الأملاك والأُمور، وهذا القول من داود وعْظٌ وبَسْط لقاعدة حق؛ ليحذر من الوقوع في خلاف الحق.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ زائدة مؤكدة.

وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ معناه: شعر للأمر[4] وعَلِم.

وقالت فرقة: ﴿وَظَنَّ﴾ هنا بمعنى: أَيْقَنَ.

قال القاضي أَبو محمد: والظن أَبداً في كلام العرب إِنما حقيقته توقف بين معتقدين

---

(١) في نور العثمانية وفيض الله: «الآيات».
(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٨٩).
(٣) في الأصل: «الضمير».
(٤) «للأمر» سقطت من أحمد٣ والمطبوع.

يغلب أَحدهما على الآخر، وتُوقِعُه العربُ على العلم الذي ليس على الحواس، ولا له اليقين التام البَتَّة، ولكن يخلط الناس في هذا ويقولون: ظَنَّ بمعنى: أَيقن، ولسنا نجد في كلام العرب [على العلم الذي ليس على الحواس][1] شاهداً يتضمن أَن يقال: رأَى زيدٌ كذا وكذا فظنَّه، وانظر إِلى قوله تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف: ٥٣].

وإِلى قول دُريد بن الصِّمَّة:

[الطويل] فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[2]

وإِلى هذه الآية: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾، فإِنَّكَ تجد بينها وبين اليقين درجة، ولو فرضنا أَهل النار قد دخلوها وباشروا[3] لم يقل: ﴿فَظَنُّوٓا۟﴾، ولا استقام ذلك، ولو أَخبر جبريل داود بهذه الفتنة لم يعبر عنها بـ(ظَنَّ)، فإِنما تُعَبِّر العربُ بها عن العلم الذي يقارب اليقين وليس به، ولم يخرج بعد إِلى الإحساس.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَتَنَّٰهُ﴾ بفتح التاءِ وشدِّ النون، أَي: ابتليناهُ وامْتَحَنَّاهُ.

وقرأَ عمر بن الخطاب، وأَبو رجاءٍ، والحسن بخلاف عنه: (فَتَّنَّاهُ) بشدِّ التاءِ والنون[4]، على معنى المبالغة.

وقرأَ أَبو عمرٍو في رواية علي بن نصر: (فَتَنَاهُ) بتخفيف التاءِ والنون، على أَن الفعل لِلْخَصْمين؛ أَي: امْتَحَنَاهُ عن أَمرنا، وهي قراءَة قتادة[5].

وقرأَ الضحاك: (افتتناه)[6].

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) تقدم في تفسير الآية (٤٢) من (سورة البقرة).

(٣) في المطبوع: «وباشروها».

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها لعمر رضي الله عنه في المحتسب (٢/ ٢٣١)، وللكل في الدر المصون (٩/ ٣٧٢).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في المحتسب (٢/ ٢٣٢)، ورواية علي في السبعة (ص: ٥٥٣)، وجامع البيان (٤/ ١٥٣١).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الدر المصون (٩/ ٣٧٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٠) بلفظ: (أفتناه)، من الرباعي.

قوله: ﴿وَخَرَّ﴾؛ أَي: أَلْقى بنفسه نحو الأَرض متطامناً متواضعاً، و«الركوعُ» و«السجود»: الانخفاض والتَّرَامِي نحو الأَرض، وخصَّصَتْهُما الشرائع على هيئات معلومة.

وقال قوم: يقال: خَرَّ: لمن ركع، وإِن كان لم ينته إِلى الأَرض.

وقال الحسين بن الفضل[١]: المعنى: خرَّ من ركوعه؛ أَي: سَجَدَ بعد أَن كان راكعاً[٢].

وقال أَبو سعيد الخدري: رأَيتني [في النوم وأنا][٣] أَكتب سورة (ص)، فلما بلغت هذه الآية سجد القلم، ورأَيتني في منام آخر وشجرة تقرأُ سورة (ص)، فلما بلغت هذا[٤] سجدت، وقالت: اللَّهُم اكتب لي بها أَجراً، وحُطَّ[٥] عني بها وِزْراً، وارزقني بها شكراً، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود، قال النبي ﷺ: «وَسَجَدْتَ أَنت[٦] يا أَبا سعيد»؟ فقلت: لا، فقال: «أَنت كنت أَحق بالسجدة من الشجرة»، ثم تلا رسول الله ﷺ الآيات حتى بلغ ﴿وَأَنَابَ﴾ فسجد، وقال كما قالت الشجرة[٧].

﴿وَأَنَابَ﴾ معناه: رجع وتاب.

---

(١) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي، أبو علي المفسر الأديب إمام عصره في معاني القرآن، وكان فصيح اللسان، أقدمه عبد الله بن طاهر معه نيسابور، وبقي يعلم الناس العلم، إلى أن توفي سنة (٢٨٢هـ). تاريخ الإسلام (٢١/ ١٦١). وفي السليمانية: «الحسن».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ١٩٧).

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «هنا».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «واحطط».

(٦) «أنت» مكررة في المطبوع.

(٧) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٧٢٢) وابن ماجه (١٠٥٣) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٤٢-٢٤٣) كلهم من طريق محمد بن يزيد بن خنيس، قال: حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد المكي، قال: قال لي ابن جريج: يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد، أنه سمع ابن عباس...فذكره، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال العقيلي بعد أن رواه في مناكير الحسن ابن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد: لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به، لهذا الحديث طرق فيها لين. اهـ. والحسن بن محمد بن عبيد الله هذا، فيه جهالة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٣١٣، وهامشه).

ويُروى عن مجاهد: أَن داود عليه السلام بقي في ركعته تلك لاصقاً بالأَرض يبكي ويدعو أَربعين صباحاً حتى نبت العشب من دمعه، وروي غير هذا مما لا تثبت صحته.

ويُروى: أَنه لما غفر الله له أَمْر المرأَة قال: يا رب، كيف لي بدم زوجها / إِذا جاءَ يطلبني يوم القيامة؟ فأَوحى الله إِليه: إِني سأَستوهبه لك يا داود، وأَجعله أَن يَهَبَه راضياً بذلك، فحينئذ سُرَّ داود عليه السلام واستقرت نفسه. [٥/ ٨]

وروي عن عطاءٍ الخرساني، ومجاهد: أَن داود عليه السلام نقش خطيئته في كفه[١]، فكان يراها دائماً ويعرضها على الناس في كل حين من خُطبه وكلامه وإشاراته وتصرفه تواضعاً لله عزَّ وجلَّ وإِقراراً[٢].

وكان يسيح في الأَرض ويصيح: إِلهي، إِذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت علي الأَرض برحبها، وإِذا ذكرت رحمتك ارتدَّ إِلي روحي، سبحانك إِلهي، أَتيت أَطباءَ الدين يُداووا علَّتي فكلُّهم عليك دلَّني. وكان يُدخل في صدر خطبته[٣] الاستغفار للخطَّائين، وما رفع رأْسه إِلى السماءِ بعد خطيئته حياءً حتَّى قُبض، صلَّى الله تعالى على نبيِّنا وعليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وسلَّم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) سقط من الأصل.
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٨٤)، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ١٦٤).
(٣) في المطبوع وأحمد٣: «خطيئته».

قوله: ﴿فَغَفَرْنَا﴾ معناه: سترنا.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إِلى الذنب المتقدم.

و«الزُّلْفَى»: القُربى والمكانة الرفيعة.

و«المَآبُ»: المرجع في الآخرة، من: آب يؤوب: إِذا رجع، وبعد هذا حذفٌ يدلُّ عليه ظاهر الكلام، تقديره: وقلنا له: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

واستدل بعض أَهل الظاهر من هذه الآية على احتياج الأَرض إِلى خليفة من الله تعالى.

قال القاضي أَبو محمد: وليس هذا بلازم من الآية، بل لزومه من الشرع والإِجماع[1]، ولا يقال: (خليفة الله) إِلَّا لرسوله، وأَما الخلفاءُ فكل واحد منهم خليفة الذي قبله، وما يجيءُ في الشِّعر من تسمية أَحدهم خليفة الله؛ فذلك تجوُّز وغلُوٌّ، كقول ابن قيس الرقيات:

خَـلِـيـفَـةُ الـلَّـهِ فـي بَـرِيَّـتِـهِ   جَفَّتْ بِذَاكَ الأَقْلَامُ وَالْكُتُبُ[2]   [المنسرح]

أَلا ترى أَن الصحابة رضي الله عنهم حرَّروا هذا المعنى، فقالوا لأَبي بكر الصديق: خليفة رسول الله ﷺ، فبهذا كان يُدعى مدتَه، فلما ولي عمر بن الخطاب قالوا: يا خليفةَ خليفةِ رسول الله، فطال الأمر، ورأَوْا أَنه في المستقبل سيطول أَكثر فدعوه: أَمير المؤمنين، وقصر هذا الاسم على الخلفاء[3].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ﴾ إِلى قوله سبحانه: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ اعتراضٌ بين الكلامين من أَمر داود وسليمان، وهو خطابٌ لمحمد ﷺ، وعِظَةٌ لأُمَّته، ووعيدٌ للكفرة به.

---

(١) انظر نقل الإجماع على وجوب نصب الإمام في: الإقناع (١/ ١٠٥).

(٢) عزاه له المبرد في الكامل (٢/ ٢٠٠)، بلفظ: في رعيته، وقد تقدم الاستشهاد ببعض أبيات القصيدة التي هذا منها.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٠/ ٢٩٧) من طريق مبارك بن فضالة، عن معاوية بن قرة، به معضلًا.

وقرأ أَبو حيوة: (يُضِلُّونَ) بضم الياءِ[١].

و﴿ نَسُواْ ﴾ معناه في هذه الآية: تركوا.

وأَخبر تعالى أَن الذين كفروا يظنون أَن خلق السماء والأَرض وما بينهما إِنما هو باطلٌ لا معنى له، وأَن الأَمر ليس يؤُول إِلى ثواب ولا إِلى عقاب، وأَخبر تعالى عن كذب ظنِّهم، وتوعَّدهم بالنار، ثم وَقَفَ تعالى على الفرق عِنْده بين المؤمنين العاملين بالصالحات، وبين المفسدين الكفرة، وبين المتَّقين والفُجَّار.

وفي هذا التوقيف حضٌّ على الإِيمان وترغيب فيه، ووعيد للكفرة.

ثم أَحال في طلب الإِيمان والتقوى على كتابه العزيز بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾، والمعنى: هذا كتاب لمن أَراد التمسُّك بالإِيمان والقُربة إِلينا، وفي هذه الآية اقتضابٌ وإيجازٌ بديع، حسب إِعجاز كل القرآن العزيز.

ووصفَه بالبركة؛ لأَن أَجمعها فيه؛ لأَنه يُورث الجنة، ويُنقذ من النار، ويحفظ المرءَ في حال الحياة الدُّنيا، ويكون سبب رفعة شأْنه في الحياة [الدنيا وفي][٢] الآخرة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ بالياءِ وشدِّ الدال والباءِ، والضمير للعالَم.

وقرأَ حفصٌ عن عاصم: (لِتَدَّبَّرُوا) بالتاءِ على المخاطبة[٣].

وقرأَ أَبو بكر عنه: ﴿لتدَبَّروا﴾ بتخفيف الدال[٤]، أَصله: تتدبروا.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٣٠)، والكامل للهذلي (ص: ٦٢٨).

(٢) من نور العثمانية.

(٣) إن كانت بتشديد الدال فلم أقف على من ذكرها عن حفص ولا عن غيره.

(٤) وهي عشرية، لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٦١)، وهي ليست لشعبة من طرق النشر، وإنما عزاها ابن مجاهد في السبعة (ص: ٥٥٣) لشعبة من رواية الكسائي عنه، والداني في جامع البيان (٤/ ١٥٣٢) من رواية عدد من القراء منهم الكسائي والأعشى ويحيى الجعفي عن شعبة

وظاهر هذه الآية يقتضي أَنَّ التَّدَبُّر من أَسباب إِنزال القرآن، فالتَّرتيل إِذاً أَفضل من الهذِّ[1]؛ إِذ التَّدَبُّر لا يكون إِلاَّ مع الترتيل.

وباقي الآية بيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥)﴾.

الهِبَةُ والعَطِيَّة بمعنى واحد، فوهب الله تعالى سليمان لداود عليهما السلام ولداً، وأَثنى عليه بأَوصاف من المدح تضمَّنها قوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾.

و﴿أَوَّابٌ﴾ معناه: رجَّاع، ولفظة ﴿أَوَّابٌ﴾ هي العامل في ﴿إِذْ﴾؛ لأَن أَمر الخيل مُقْتضٍ أَوبةً عظيمةً.

واختلف المتأولون في قصص هذه الخيل المعروضة:

فقال الجمهور: إِن سليمان عليه السلام عرضت عليه آلاف من الخيل تركها أَبوه له ـ وقيل: أَلف واحد ـ فأُجريت بين يديه عشاءً، فتشاغل بحسنها / وجريها ومحبتها[2] [٥/ ٩] حتى فاته وقت صلاة العشاء، وقال قتادة: صلاة العصر[3]، وروي نحوه[4] عن علي بن أَبي طالب[5] فأَسف لذلك، وقال: رُدُّوا عليَّ الخيلَ.

---

(١) في المطبوع: «أفضل لهذا».

(٢) في نور العثمانية: «ومجيئها».

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١٩٤).

(٤) «نحوه» ليست في المطبوع، وسقطت «روي» من الأصل، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٩٤) من طريق أبي معاوية البجلي، عن أبي الصهباء، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، به. وهذا إسناد ضعيف، أبو معاوية البجلي، فيه جهالة. انظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٠٣).

قال الحسن: فطفق يضرب أَعناقها وعراقيبها بالسيف عقراً لها لمَّا كانت سبب فوت الصلاة، فأَبدله الله تعالى أَسْرعَ منها الريحَ[١].

وقال قوم منهم الثعلبي: كانت بالناس مجاعة، ولحوم الخيل لهم حلال، فإِنما عقرها لتؤكل على وجه القربة لها، ونحو الهدْي عندنا[٢]، ونظير هذا ما فعله أَبو طلحة الأنصاري بحائطه؛ إِذ تَصدق به لمَّا دخل عليه الدُّبْسي، وهو في الصلاة فشغله[٣].

و«الصَّافِنُ»: الفرس الذي يرفع إِحدى يديه ويقف على طرف سُنْبُكِهِ[٤]، وقد يفعل ذلك برجله، وهي علامة الفَرَاهية، وأَنشد الزَّجَّاج:

[الكامل] أَلِـفَ الصُّفُونَ فَلَا يَـزَالُ كَأَنَّهُ ... مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيراً[٥]

وقال أَبو عبيدة: الصَّافِن: الذي يجمع يديه ويُسوِّيهما، وأَما الذي يقوم على طرف السُّنْبك فهو المخيم[٦].

وفي مصحف ابن مسعود: (الصوافن الجياد)[٧].

و﴿ٱلْجِيَادُ﴾: جمع جَوْدٍ، كثَوْبٍ وثياب، وسُمِّي به لأَنه يجود بجريه.

وقال بعض الناس: ﴿ٱلْخَيْرِ﴾ هنا أَراد به: الخيلَ، والعرب تسمِّي الخيلَ الخيرَ، وكذلك قال رسول الله ﷺ لزَيْد الخيل: «أَنتَ زيدُ الخير»[٨].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٩٥).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٠١)، بتصرف.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢٢٢) عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن أبي حزم، عن أبي طلحة، به معضلاً. الدُّبْسِيُّ: نوع من الحمام.

(٤) السُّنْبُك: طرف الحافر. وفي الأصل: «منكبه».

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٣٠)، بلا نسبة، وكذا في تفسير الماوردي (٤/ ٢٧)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤٣٩).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ١٨٢).

(٧) وهي شاذة، لم أجدها هنا لغير المصنف، ولعلها التبست بما تقدم في (سورة الحج).

(٨) ضعيف بهذا اللفظ، أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٨)، وابن عدي في كامله (٢/ ٢٢)، وابن =

و﴿حُبَّ﴾ مفعول به نصب لذلك عند فرقة، كأَن ﴿أَحْبَبْتُ﴾، بمعنى: آثرتُ.

وقالت فرقة: المفعول بـ﴿أَحْبَبْتُ﴾ محذوف، و﴿حُبَّ﴾ نصب على المصدر، أَي: أَحببتُ هذه الخيل حُبَّ الخير، وتكون ﴿الْخَيْرِ﴾ ـ على هذا التأْويل ـ غير الخيل.

وفي مصحف ابن مسعود: (حُبَّ الخَيْلِ) باللام[1].

قالت فرقة: ﴿أَحْبَبْتُ﴾ معناه: سقطتُ إِلى الأَرض لذنبي، مأْخوذٌ من: أَحبَّ البعيرُ: إِذا أَعيْا وسَقَطَ هُزالاً، و﴿حُبَّ﴾ على هذا مفعول من أَجله.

والضمير في ﴿تَوَارَتْ﴾ للشمس وإِن كان لم يجر لها ذكرٌ صريح، لأن المعنى يقتضيها، وأيضاً فذكر العشي يقتضي لها ذكراً ويتضمنها؛ لأَن العشيَّ إنما هو مُقَدَّر متوهم بها.

وقال بعض المفسرين في هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ يريد الخيل، أَي: دخلت اصطبلاتها.

وقال ابن عباس[2]، والزهري[3]: إِن مَسْحه بالسُّوق والأعناق لم يكن بالسيف، بل بيده تكريماً لها ومحبَّة، ورجحه الطبريُّ[4].

= أبي عاصم في «السنة» (٤١٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٩٨) كلهم من طريق عون بن عمارة، عن بشير مولى بني هاشم، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، رضي الله عنه مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، عون بن عمارة، متفق على تضعيفه. انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٦١)، ولما ترجم ابن عدي في كامله لبشير مولى بني هاشم، استنكر عليه حديثه هذا، وقال: وهذا حديث منكر بهذا الإسناد، وبشير هذا وإن لم ينسب، فإنما أخرجته فيمن اسمه بشير؛ لأن الحديث الذي رواه منكر عن الأعمش. تنبيه: تحرف اسم عون بن عمارة في نسخة «الكامل» المطبوعة، إلى: «عمرو ابن عمارة»، لكن جاءت التسمية بزيد الخير في صحيح مسلم (١٠٦٤) وغيره.

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في غرائب الكرماني (٢/ ٩٩٩)، والشواذ له (ص: ٤١١).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٩٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) انظر قوله في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٠١). وفي المطبوع: «الزهراوي».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ١٩٦).

وقال بعضهم: بل غسلاً بالماءِ، وقد يقال للغسل مسحٌ؛ لأَن المسح[١] بالأيدي يقترن به.

وهذه الأَقوال عندي إِنما تترتب على نحو من التفسير في هذه الآية، ورُوي عن بعض الناس، وذلك أَنه رأَى أَن هذه القصة لم يكن فيها فوت صلاة، ولا تَضمَّن أَمر الخيل أَوْبةً ولا رجوعاً، فالعامل في ﴿ إِذْ عُرِضَ﴾ فعل مضمر تقديره: اذكر إِذْ عُرض، وقالوا: عُرض على سليمان الخيل وهو في الصلاة، فأَشار إِليهم، أي: إِني في الصلاة، فأَزالوها عنه حتى أَدخلوها الاصطبلات، فقال هو لمَّا فرغ من صلاته: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾؛ أَي: الذي عند الله في الآخرة، بسبب ذكر رَبِّي، فكأنه يقول: فشغلني ذلك عن رؤية الخيل، حتى أُدخلت اصطبلاتها، ردُّوها عليَّ، فطفق يمسح أَعناقها وسُوقها محبَّةً لها.

وذكر الثعلبي: أن هذا المسح إِنما كان وسْماً بالسُّوق والأَعناق بِوَسْم حبْس في سبيل الله تعالى[٢].

وجمهور الناس على أَنها كانت خيلاً موروثة. قال بعضهم: قتلها حتى لم يبق منها أكثر من مئة فرس، فمن نسل تلك المئة كل ما يوجد اليوم من الخيل، وهذا بعيد.

وقال فرقة: كانت خيلاً أَخرجتها الشياطين له من البحر، وكانت ذوات أَجنحة.

ورُوي عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: أَنها كانت عشرين فرساً[٣].

و(طَفِقَ) معناه: دام يفعل، كما تقول: جعل يفعل.

وقرأَ الجمهور: ﴿بِٱلسُّوقِ ﴾ بواو ساكنة، وهو جمع ساقٍ.

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿بالسؤق﴾ بالهمز[٤].

---

(١) في الأصل: «الغسل».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٠١).

(٣) لم أقف عليه من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإنما يُؤثر هذا القول عن إبراهيم التيمي، انظر تفسير الطبري (٢١/ ١٩٣).

(٤) وهما سبعيتان، الثانية لقنبل، كما في السبعة (ص: ٥٥٣)، وتقدمت الإشارة لها في (سورة النمل).

قال أَبو عليٍّ: وهي ضعيفة، ولكن وجهها في القياس: أَن الضمة لمَّا كانت تلي الواو[1]، قُدِّر أَنها عليها فهمزت كما يفعلون بالواو المضمومة، وهذا نظير إِمالتهم أَلف (مقلات)، من حيث وَلِيَت القاف الكسرة قدَّروا أن القاف هي المكسورة[2].

ووَجْهُ همز (السُّوق) [من السماع][3] هي أَن أَبا حيَّةَ النُّمَيْري كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة، وكان يُنْشِد:

لحَبّ الْمُؤْقِدَانِ إِلَي مُؤْسَى[4] .... [الوافر]

وقرأَ ابن محيصن: (بالسُّؤُوق) بهمزة بعدها واو[5].

وقوله: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ على كل تأْويل فإِن ﴿عَن﴾ هنا للمجاوزة من شيءٍ إِلى شيءٍ، فتدبَّرْهُ فإِنه مطَّرد.

ثم أَخبر الله تعالى عن فِتْنَته لسليمان، وامتحانه إِياه بزوال مُلْكه.

وروي في ذلك: أَن سليمان عليه السلام قالت له حَظِيَّةٌ من حظاياه: إِن أَخي له خصومة، فأَرغبُ أَن تقضي له بكذا وكذا، لشيءٍ غير الحق، فقال سليمان عليه السلام: أَفعل، فعاقبه الله تعالى بأَن سلَّط على خاتمه جنيّاً، وذلك أن سليمان عليه السلام كان لا يدخل الخلاءَ بخاتم ملكه توقيراً لاسم الله تعالى، فكان يضعه عند امرأَة من نسائه، ففعل ذلك يوماً، فأَلقى الله تعالى شَبَهَهُ على جني اسمه صخر ـ فيما رُوي عن ابن عباس[6]، وقيل غير هذا مما اختصرناه لعدم الصحة ـ فجاءَ إِلى المرأَة فدفَعَتْ

---

(١) في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، ويظهر أن النساخ أخطؤوا، لأن الواو هي التي تلي الضمة هنا.

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٦٩).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) هذا صدر بيت لجرير، كما تقدم في تفسير الآية (٤٥) من (سورة النمل). وفي المطبوع: «أحب المؤقدين إليك مؤسى».

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في النشر (٢/ ٣٣٨)، ورواها أبو عمرو عن ابن كثير كما في السبعة (ص: ٥٥٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ١٩٦) من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق العوفي، عن ابن عباس.

إِليه الخاتم، فاستولى على ملك سليمان وبقي فيه أَربعين يوماً، وطرح خاتم سليمان في البحر، وجعل يعبث في بني إِسرائيل وشَبَهُ سليمان عليه السلام عليه، حتَّى أَنكروا أَفعاله، ومكَّنه الله تعالى من جميع الملك.

قال مجاهد: إِلَّا من نساءِ سليمان فإِنه لم يكشفهن[١].

وكان سليمان عليه السلام خلال ذلك قد خرج فارّاً على وجهه مُنْكَراً، لا ينتسب لقوم إِلَّا ضربوه، وأدركه جوعٌ وفاقة، / فمرَّ يوماً بامرأَةٍ تغسل حوتاً ميتاً، فسأَلها منه [٥/ ١٠] لجوعه، وقيل: بل اشتراه فأَعطته حوتين، وجعل يفتح أَجوافهما، وإِذا خاتمه في جوف أَحدهما، فعاد إِليه ملكه، وسُخِّرت له الجنُّ والريح من ذلك اليوم بدعوته، وفرَّ صخر الجنيُّ، فأَمَرَ به سليمان فسِيقَ إِليه، فأَطبق عليه في حجارة، وسجنه في البحر إِلى يوم القيامة، فهذه هي الفتنة التي فتن سليمان عليه السلام وامْتُحِن بها.

واختلف الناس في الجسد الذي أُلقي على كرسيه:

فقال الجمهور: هو الجني المذكور، سمَّاه ﴿جَسَدًا﴾ لأَنه كان قد تمثَّل في جسد سليمان عليه السلام ولُبِّس به.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَصحُّ الأَقوال وأَبْيَنُها معنىً.

وقالت فرقة: بل أُلقي على كرسيه جسد ابن له ميِّت.

وقالت فرقة: بل شِقُّ الولد الذي وُلد له حين أَقسم ليطوفَنَّ على نسائه ولم يستثن في قَسَمه، وقال قوم: مرض سليمان عليه السلام مرضاً كالإِغماء حتَّى صار على كرسيِّه جسداً[٢] كأنه بلا روح.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كلُّه غير متصل بمعنى هذه الآية.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٥٧٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٩٧).

(٢) ليست في الأصل ونور العثمانية.

وقوله: ﴿أَنَابَ﴾ معناه: ارعوى وانثنى وأَجاب إِلى طاعة ربه، ومعنى هذا: من تلك الحَوْبة التي وقعت الفتنة بسببها.

ثم إِن سليمان عليه السلام استغفر ربَّه، واستوهبه مُلْكاً.

واختلف المتأَولون في معنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِىٓ﴾:

فقال الجمهور: أَراد أَن يفرده به بين البشر لتكون خاصة له وكرامة.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ في خبر العفريت الذي عرض له في صلاته، فأَخذه وأَراد أَن يُوثقه بساريةٍ من سواري المسجد، قال: «ثم ذكرت قول أَخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِى وَهَبۡ لِى مُلۡكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِىٓ﴾ فأَرسلْتُه»[١].

وقال قتادة، وعطاءُ بن أَبي رباح: إِنما أَراد سليمان: لا ينبغي لأَحد من بعدي مدة حياتي[٢]؛ أَي: لا أُسْلَبه ويصير إِلى أَحدٍ كما صار الآن إِلى الجني.

ورُوي في مثالب الحَجَّاج بن يوسف: أَنه لما قرأَ هذه الآية قال: لقد كان حسوداً[٣].

وهذا من فسق الحَجَّاج، وسليمان عليه السلام مقطوع أَنه إِنما قصد بذلك قصداً برّاً جائزاً؛ لأَن للإِنسان أَن يرغب من فضل الله فيما لا يناله أَحد، لا سيَّما بحسب المكانة والنبوَّة.

وانظر أيضاً إِلى قوله عليه السلام: «لَا يَنْبَغِي»، فإِنما هي لفظة محتملة وليست بقطع في أَنه لا يعطي الله تعالى نحو ذلك الملك لأَحد، ومحمد ﷺ لو ربط الجني لم يكن ذلك نقصاً لما أُوتيه سليمان عليه السلام، لكن لما كان فيه بعض الشبه تَركه؛ جرْياً منه ﷺ على اختياره أَبداً أَيْسر الأَمرين وأَقربهما إِلى التواضع.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٩) ومسلم (٥٤١) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٩٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٢٥١).
(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٨٣)، وتفسير الطبري (٢١/ ٢٠٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

قرأ الحسن، وأبو رجاءٍ: ﴿الرِّيَاحَ﴾، والجمهور على الإفراد[١].

وسخَّر الله تعالى الريح لسليمان عليه السلام، وكان له كرسيٌّ عظيم، يقال: إنه يحمل أربعة آلاف فارس، ويقال: أكثر، وفيه الشياطين، وتُظِلُّه الطير، وتأتي عليه الريح الإعصار فتُقِلُّه من الأرض حتى يحصل في الهواءِ، ثم تتولَّاه الرخاءُ ـ وهي اللَّيِّنَة القوية[٢]، المتشابهة لا تأتي فيها دُفَعٌ مفرطة ـ فتحمله، غُدُوُّهَا شهر، وَرَواحُها شهر.

و﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أي: أراد، قاله وهبٌ وغيره[٣]، وأنشد الثعلبي:

[المتقارب]

أَصَابَ الْكَلَامَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَأَخْطَا الْجَوَابَ لَدَى الْمفْصَلِ[٤]

قال القاضي أبو محمد: ويُشبه أَنَّ ﴿أَصَابَ﴾ مُعَدًّى: صابَ يَصوبُ، أي: حيث وجَّه جنوده وجعلهم يصوبونَ صوبَ السحاب والمطر.

وقال الزَّجاج: معناه: قَصَد[٥]، كذلك قولك للمتكلم: أَصَبْتَ؛ معناه: قصدتَ الحقَّ.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدلٌ من ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ﴾، والمعنى: كلَّ من بنى مصانعه للحروب.

و﴿مُقَرَّنِينَ﴾ معناه: مُوثَقين، قد قُرِن بعضهم ببعض.

---

(١) وهي قراءة السبعة، والأولى عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٢٣).

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «القريبة».

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٤).

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٢١١) بلا نسبة.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٣٣).

و﴿ٱلْأَصْفَادِ﴾: القيودُ والأَغلالُ.

واختلف الناس في المشار إِليه بقوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾:

[فقال قتادة: إشارةٌ إلى ما فعله بالجن، فامْنُنْ عَلَى مَن شِئْتَ منهم، وأَطْلقه من وثاقه وسرِّحْه من خدمته، أَوْ أَمْسِكْ أَمْرَهُ كما تريد][١].

وقال ابن عباس: أَشار إِلى ما وهبه من النساءِ وأَقدره عليهن من جماعهن[٢].

وقال الحسن بن أبي الحسن: أشار إِلى ما أعطاه من المُلْك، وأَمره بأَن يَمُنَّ على من يشاءُ ويُمْسك عمَّن يشاءُ، فكأَنه وقَفَه على قدر النعمة ثم أَباح له التصرف فيه بمشيئته[٣].

وهو تعالى قد علم بأَن مشيئته إِنما تتصرف بحكم طاعة الله، وهذا أَصحُّ الأَقوال وأَجمعها لتفسير الآية، وباقي الآية بَيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

أَيوب هو نبي من بني إِسرائيل، من ذرية يعقوب عليهما السلام، وهو المُبْتَلَى في جسده وماله وأَهله، وسَلِمَ معتقده ودينه.

ورُوي في ذلك: أَن الله تعالى سلَّط الشيطان عليه ليفتنه عن دينه، فأَصابه في ماله، وقال له: إِن أَطعتني رجع مالك، فلم يطعه، فأَصابه في أَهله وولده فهلكوا عن آخرهم، وقال له: لو أَطعتني رجعوا، فلم يطعه، فأَصابه في جسده، فثبت أَيوب على أَمر الله

---

(١) سقط من الأصل، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٥).

(٢) ضعيف جدًّا، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/ ٢٠٥) قال: حُدثت عن أبي يوسف، عن سعد بن طريف، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف جدًّا، وهو منقطع، سعد ابن طريف متهم بوضع الحديث. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ١٢٢).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٥).

تعالى سبع سنين وسبعة أَشهر وسبعة أيام، قاله قتادة[١].

وروى أَنسٌ عن النبي عليه السلام: أَن أَيوب عليه السلام بقي في محنته ثماني عشرة سنة / يتساقط لحمه حتَّى ملَّه العالم، ولم يصبر عليه إِلَّا امرأَته[٢]. [٥/ ١١]

ورُوي: أَن السبب الذي امتحنه الله تعالى من أَجله أَنه دخل على بعض الملوك فرأَى منكراً فلم يغَيِّره.

ورُوي: أَن السبب كان أَنه ذبح شاةً وطبخها وأُكلت عنده وجاره جائع لم يعطه منها شيئاً.

ورُوي: أَن أَيوب لمَّا تناهى بلاؤُه وصبره مَرَّ به رجلان مِمَّن كان بينه وبينهما معرفة فقَرَّعَاهُ وقالا لَه: لقد أَذنبت ذنباً ما أَذنب أَحد مثله، وفهم منهما شَمَاتاً به، فعند ذلك دَعَا ونادى ربَّه[٣].

وقوله عليه السلام: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى مسِّه حين سلَّطه الله عليه حسبما ذكرنا، ويحتمل أَن يريد مَسَّه إِياه حين حمله أَول الأَمر على أَن يواقع الذنب[٤] الذي من أَجله كانت المحنة؛ إِما ترْك التغيير عند الملك، وإِما ترك مواساة الجار، وقيل: أَشار إِلى مَسِّه إِياه في تعرضه لأَهله، وطلبه منه أَن يشرك بالله، فكان أَيوب قد يتشكى هذا الفصل[٥]، وكان أَشدَّ عليه من مرضه.

---

(١) تفسير الطبري ـ ط هجر (٢٠/ ١٠٨)، وقد سقط هذا الموضع من طبعة شاكر، ومحله (٢١/ ٢١٠). و«سبعة أيام» من نور العثمانية.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٢١١)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ١٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧٤-٣٧٥) كلهم من طريق نافع بن يزيد، عن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، به، قال أبو نعيم: غريب من حديث الزهري، لم يروه عنه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم، تفرد به نافع. وقال الحافظ ابن كثير لما أورد هذا الحديث في البداية والنهاية (١/ ٢٢٣): وهذا غريب رفعه جدًّا، والأشبه أن يكون موقوفاً.

(٣) ضعيف، وهو تمام الحديث قبل الماضي، وقد تقدم تخريجه.

(٤) سقط من الحمزوية، وفي المطبوع وأحمد٣: «الأمر».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «الفعل».

وقرأَ الجمهور: ﴿أَنِّي﴾ بفتح الهمزة، وقرأ عيسى بن عمر: (إني) بكسرها[١].

وقوله: ﴿أَنِّي﴾ في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم النون وسكون الصاد.

وقرأَ هبيرة عن حفص عن عاصم: ﴿بنَصَبٍ﴾ بفتحهما، وهي قراءَة الجحدري، ويعقوب، ورويت عن الحسن، وأَبي جعفر.

وقرأَ أَبو عمارة عن حفص عن عاصم: ﴿بنُصُب﴾ بضم النون والصاد، وهي قراءة أبي جعفر بن القعقاع، وعيسى، والحسن بخلاف عنه[٢].

وروى أيضاً هبيرة عن حفص عن عاصم بفتح النون وسكون الصاد[٣].

وذلك كله بمعنى واحد، معناه: المشَقَّة، وكثيراً ما يستعمل (النَّصَبُ) في مشقة الإِعياءِ.

وفَرَّق بعضُ الناس بين هذه الأَلفاظ، والصواب أنها لغاتٌ بمعنًى من قولهم: أَنْصبَني الأَمْرُ ونَصَبَني: إذا شَقَّ علي، فمن ذلك قول الشاعر:

تبغَّاكَ نَصْبٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مُنْصِبُ[٤] .... [الطويل]

ومنه قول النابغة:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ ناصِبِ[٥] .... [الطويل]

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠٧).

(٢) وهاتان عشريتان، الأولى ليعقوب والثانية لأبي جعفر، كما في النشر (٢/ ٣٦١)، وانظر موافقة الحسن في الإتحاف (ص: ٤٧٧).

(٣) انظر ما نسبه لأبي عمارة، وهبيرة عن حفص عن عاصم في: السبعة (ص: ٥٥٤)، وهي ليست من التيسير ولا من النشر، والثابت عن حفص في التيسير والتفسير هو بضم النون وسكون الصاد فقط.

(٤) تمامه: كَذِي الشَّجْوِ لَمَّا يَسْلُهُ وسَيَذْهَبُ، وهو لبشر بن أبي خازم، كما في تفسير الطبري (٢١/ ٢١٠) ومجاز القرآن (٢/ ١٨٤)، والعين (٧/ ١٣٥). وفي المطبوع وأكثر المصادر: «تعناك».

(٥) عجزه: وَلَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ، وهو للنابغة كما تقدم في تفسير الآية (١٢٠) من (سورة التوبة).

قال القاضي أَبو محمد: وقد قيل في هذا البيت: إِن (ناصباً) بمعنى: مُنْصب، وإِنه على النَّسب؛ أَي: ذا نصب.

وهنا في الآية محذوف كثير، تقديره: فاستجاب له وقال: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾.

و«الرَّكْضُ»: الضرب بالرجل، والمعنى: اركض الأَرض.

ورُوي عن قتادة: أن هذا الأَمر كان في الجابية من أَرض الشام[١].

ورُوي: أَن أَيوب عليه السلام أُمر بركض الأَرض، فركض فيها، فنبعت له عينُ ماءٍ صافية باردةٍ، فشرب منها، فذهب كل مرض في داخل جسده، ثم اغتسل فذهب ما كان في ظاهر بدنه.

ورُوي: أَنه ركض مرَّتين، ونبع له عينان: شرب من إِحداهما واغتسل في الأُخرى.

وقرأَ نافع، وشيبة، وعاصم، والأَعمش: ﴿وعذاب اركض﴾ بضم نون التنوين.

وقرأَ عامَّة قراءِ البصرة بكسرها[٢].

و﴿مُغْتَسَلٌۢ﴾ معناه: موضع غسل، وماءٌ غُسْلٌ، كما تقول: هذا الأَمر مُعْتَبر، وهذا الماءُ مُغْتَسل مثله.

ورُوي: أَن الله تعالى وهب له أَهله وماله في الدنيا، ورَدَّ من مات منهم وما هلك من ماشيته وحاله[٣]، ثم بارك في جميع ذلك، وَوُلِدَ له الأولاد حتى تضاعفت الحال.

وروي: أن هذا كله وعد في الآخرة، أَي: يفعل الله له ذلك في الآخرة. والأَول أَكثر في قول المفسرين.

و﴿رَحْمَةً﴾ نصب على المصدر.

---

(١) الهداية لمكي (١٠/ ٦٢٥٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٠٢).

(٢) القراءتان سبعيتان؛ الكسر لعَاصِم وأبي عَمْرو وحَمْزَة، والضم للباقين، انظر التيسير (ص: ٧٨).

(٣) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «وماله».

وقوله تعالى: ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ معناه: موعظة وتذكرة يعتبر بها أُولو العقول، ويتأَسَّوْنَ بصبره في الشدائد، ولا ييْأَسُون من رحمة الله تعالى على كل حال.

ورُوي: أَن أَيوب كانت زوجته مُدَّة مرضه تختلف إِليه فيلقاها الشيطان في صورة طبيب، ومرَّة في هيئة ناصح، وعلى غير ذلك، فيقول لها: لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني لبرئ، ولو ذبح عناقاً للصنم الفلاني لبرئ، ويعرض عليها وجوهاً من الكفر، فكانت هي ربما عرضت ذلك على أَيوب، فيقول لها: أَلقيتِ عدوَّ الله في طريقك؟ فلما أَغضبته بهذا ونحوه حلف عليها لئن برئ من مرضه ليضربَنَّها مئة سوط، فلما برئ أَمره الله تعالى أَن يأْخذ ضغثاً فيه مئة قضيب.

و«الضِّغْثُ»: القبضة الكبيرة من القضبان ونحوها من الشجر الرطب، قاله الضحاك وأَهل اللغة[(١)]، فيضرب به ضربة واحدة فتبرّ يمينه، ومنه قولهم: ضِغْثٌ عَلى إِبَّالَة[(٢)]، والإِبَّالة: الحُزْمة من الحطب، [والضغث: القبضة عليها من الحطب، ومنه][(٣)] قول الشاعر:

[الطويل]

وَأَسْفلَ مِنِّي نَهْدَةٌ قَدْ رَبَطْتُهَا ... وَأَلْقَيْتُ ضِغْثاً مِنْ خَلاً مُتَطَبِّبِ[(٤)]

[ويروى: متطيب][(٥)].

وهذا حكم قد ورد في شرعنا عن النبي ﷺ مثلُه في حدِّ رجل زَمِنٍ بالزِّنا، فأَمر رسول الله ﷺ بعذق فيه مئة شمراخ أَو نحوها، فضُرب به ضربة، ذكر الحديث أَبو

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢١٤)، الهداية لمكي (١٠/ ٦٢٦٣).
(٢) معنى المثل: بلِيَّةٌ على أخرى، وانظر الأمثال لابن سلام (ص: ٢٦٤)، وأمالي القالي (١/ ١٧٥).
(٣) سقط من الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع.
(٤) البيت لعَوْف بن الخَرِع، كما في مجاز القرآن (٢/ ١٨٥)، والطبري (٢١/ ٢١٢)، ونسبه في الجيم (١/ ٢١١) للتميمي غير مسمى.
(٥) ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «كمتطيب».

داود(١)، وقال به بعض فقهاءِ الأمة(٢)، وليس يرى ذلك مالك بن أنس وجميع أَصحابه، وكذا جمهور العلماءِ على ترك القول به، وأَن الحدود والبرَّ في الأَيْمان لا يقع إِلا بتمام عدد الضربات(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ / إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾. [٥/ ١٢]

قرأَ ابن كثير: ﴿واذكر عَبْدَنا﴾ على الإِفراد، وهي قراءَة ابن عباس رضي الله عنه وأَهل مكة.

وقرأَ الباقون: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ﴾ على الجمع(٤).

فأَما على هذه القراءَة فدخل الثلاثة في الذكر وفي العبودية.

وأَما على قراءَة من قرأَ: ﴿عَبْدَنَا﴾ فقال مكيٌّ وغيره: دخلوا في الذكر، ولم يدخلوا في العبودية إِلَّا من غير هذه الآية، وفي هذا نظر(٥).

---

(١) الصواب فيه الإرسال، أخرجه أبو داود (٤٤٦٧) من طريق يونس الأيلي، عن الزهري، قال: أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف، أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ، فذكره مرفوعاً، والحديث اختلف على الزهري في وصله وإرساله، فرواه النسائي في الكبرى (٧٣٠٧، ٧٣٠٨) من طريقي أبي إسحاق، وإسحاق بن راشد، كلاهما عن أبي أمامة، به مرسلاً، وتابع الروايةَ المرسلة عن الزهري: جمعٌ من الرواة، ولذلك صوب إرساله الدارقطني في سننه (٣١٥٦).

(٢) وهو قول عطاء كما في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٥٨).

(٣) مختصر خليل (ص: ٨٣).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨)، والسبعة (ص: ٥٥٤).

(٥) الهداية لمكي (١٠/ ٦٢٦٥).

وتأَوَّل قوم من المتأَولين من هذه الآية: أَن الذبيح إسحاق، من حيث ذكر الله بعقب ذكر أَيوب أَنبياءَ امتحنهم بمحن كما امتحن أَيوب، ولم يذكر إِسماعيل لأَنه مِمَّن لم يُمْتَحن.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف كلُّه.

وقرأَ الجمهور: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِى﴾.

وقرأَ الحسن، والثقفي، والأَعمش، وابن مسعود: (أولي الأيد) بحذف الياءِ[1].

فأَمَّا أُولُو فهو جمع: ذُو، وأَما القراءَة الأُولى فـ﴿ٱلْأَيْدِى﴾ فيها عبارة عن القوة في طاعة الله، قاله ابن عباس، ومجاهد[2].

[وقالت فرقة: بل هي عبارة عن إحسانهم في الدين وتقديمهم عند الله تعالى أعمال صدق، فهي كالأيادي][3].

وقالت فرقة: بل معناه: أُولي الأَيدي والنِّعَم التي أَسداها الله تعالى إِليهم من النبوة والمكانة.

وقال قوم: المعنى: أَيدي الجوارح، والمراد الأَيدي المتصرفة في الخير، والأَبصار الثاقبة فيه، لا كالتي هي منهملة[4] في جلِّ الناس.

وأَما من قرأَ: (الأَيْدِ) بغير ياءٍ؛ فيحتمل أَن تكون كالتي بالياءِ وحذفت تخفيفاً، ومن حيث كانت الأَلف واللام تعاقب التنوين وجب أَن تحذف معها كما تحذف مع التنوين[5].

وقالت فرقة: معنى الأَيْد: القوة، والمراد: في طاعة الله تعالى.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (٢/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢١٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وانظر فيه قول مجاهد أيضاً.

(٣) سقط من الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع.

(٤) في المطبوع: «مهملة».

(٥) انظر: المحتسب (٢/ ٢٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٢٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ عبارة عن البصائر، أَي: يُبْصِرُونَ الحقائق، وينظرون بنور الله تعالى، وبنحو هذا فسَّر الجميع.

وقرأَ نافع وحده: ﴿إنا أخلصناهم بِخَالصةِ ذكرى الدار﴾ على إضافة (خالصة) إلى (ذكرى)، وهي قراءَة أَبي جعفر، والأَعرج، وشيبة.

وقرأَ الباقون والناس: ﴿بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ على تنوين ﴿بِخَالِصَةٖ﴾[1].

وقرأَ الأَعمش: (بخالصتهم ذكرى)، وهي قراءَة طلحة[2].

ويحتمل أَن تكون (خَالِصَة) اسم فاعل، كأَنه عبَّر بها عن مَزِيَّة أَو رُتْبة؛ فأَما من أَضافها إلى ﴿ذِكۡرَى﴾؛ فـ﴿ذِكۡرَى﴾ مخفوض بالإِضافة، وأَما من نَوَّنَ؛ فـ﴿ذِكۡرَى﴾ بدلٌ من (خَالِصَةٍ).

ويحتمل قوله: (خالِصَة) أَن تكون مصدراً كالعاقبة[3]، وكخَائِنَة الأَعْين، وغير ذلك، فـ﴿ذِكۡرَى﴾ على هذا إما أَن يكون في موضع نصب بالمصدر على تقدير: إِنَّا أَخلصناهم بأَن أَخْلَصْنَا لهم ذِكْرَى الدار، وتكون (خَالِصَةٍ) مصدراً، من: أَخْلَصَ، على حذف الزوائد، وإِما أَن يكون ﴿ذِكۡرَى﴾ في موضع رفع بالمصدر، على تقدير: إِنَّا أَخلصناهم بأَن خَلَصَتْ لهم ذكرى الدار، وتكون (خَالِصَة) من: خَلص.

و﴿ٱلدَّارِ﴾ في كل وجه في موضع نصب بـ﴿ذِكۡرَى﴾، و﴿ذِكۡرَى﴾ مصدر.

وتحتمل الآية أَن يريد بالدارِ الدَّارَ الآخرة، على معنى: أَخلصناهم بأَن خَلَص لهم التذكير بالدار الآخرة، ودعَا الناسَ إِليها وحضَّهم عليها، وهذا قول قتادة.

---

(١) وهما سبعيتان، ووافق نافعاً هشام كما في التيسير (ص: ١٨٨)، ولم يذكره في السبعة (ص: ٥٥٤). ولفظة «الناس» ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها للأعمش في مختصر الشواذ (ص: ١٣١)، ولهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤١١).

(٣) في المطبوع: «كالعافية».

أَو على معنى: خَلَص لهم ذكْرُهم للدار الآخرة، وخوفُهم لها، والعملُ بحسب ذلك، وهذا قول مجاهد.

وقال ابن زيد: المعنى: إِنَّا وهبناهم أَفضل ما في الدار الآخرة، وأَخلصناهم به، وأَعطيناهم إِيَّاه[١].

ويحتمل أَن يريد بالدار دار الدنيا، على معنى ذكر الثناءِ والتعظيم من الناس، والحمد الباقي الذي هو الخُلد المجازى به، فتجيءُ الآية في معنى قوله تعالى: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [مريم: ٥٠]، [الشعراء: ٨٤]، وفي معنى قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾[٢].

و﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ أَصله: المصطفَيَيْن، تحركت الياءُ، وما قبلها مفتوح فانقلبت أَلفاً، ثم اجتمع سكون الأَلف وسكون الياءِ التي هي علامة الجمع فحذفت الأَلف.

و﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خيْرٍ، وخيْرٌ مخفف من خَيِّر، كَمَيْتٍ ومَيِّت.

وقرأَ حمزة والكسائي ﴿وَاللَّيْسَعَ﴾، كأَنه[٣] أَدخل لام التعريف على (لَيْسَع) فأَجراه مجرى ضيْغَم ونحوه، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب والكوفيين.

وقرأَ الباقون: ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾[٤].

قال أَبو علي: الأَلف واللام فيه زائدتان غير معرفتين[٥]، كما هي في قول الشاعر:

ولَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤاً وَعَسَاقِلاً ... ولقَدْ نَهَيْتُك عَنْ بَنَاتِ الأَوْبَرِ[٦] [الكامل]

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٢١٧، ٢١٨).

(٢) تكررت في الآيات: «٧٨، ١٠٨، ١٢٩» من (سورة الصَّافات).

(٣) في حاشية المطبوع: هكذا في جميع الأصول، ولعله يريد: كأن القارئ.

(٤) وهما سبعيتان، كما تقدم في حرف الأنعام (الآية: ٨٦).

(٥) الحجة لأبي علي (٦/ ٧٥).

(٦) بلا نسبة في العين (٢/ ٢٩٠)، وجمهرة اللغة (١/ ٣٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٠٩)، والمحتسب (٢/ ٢٢٤).

وبناتُ أَوْبَر: ضربٌ من الكمأَة.

واختلف في نبوة ذِي الكِفْلِ، وقد تقدم تفسير أَمره.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾ يحتمل معنيَيْن:

أَحدهما: أَن يُشير إِلى مدح من ذكر وإِبقاءِ الشرف له فيتأيد بهذا التأْويل قولُ من قال آنفاً: إن ﴿ٱلدَّارِ﴾ يرادُ بها الدار الدنيا.

والثاني: أَن يشير بـ ﴿هَٰذَا﴾ إِلى القرآن، أَيْ: هو ذكر للعالم.

و«المآب»: المرجع حيث يؤوبون.

و﴿جَنَّٰتِ﴾ بدل من (حُسْنَ)، و﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ نعت للجنَّات، و﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ مفعول لم يُسمَّ فاعلُه، والتقدير عند الكوفيين: مُفَتَّحة لهم أَبوابُها، ولا يجوز ذلك عند أَهل البصرة، والتقدير عندهم: الأَبواب منها، وإِنما دعا إِلى هذا الضمير أَن الصفة لا بدَّ أَن يكون فيها عائد على الموصوف[(١)].

و﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾، قال قتادة: معناه: على أَزواجهن[(٢)].

و﴿أَتۡرَابٌ﴾ معناه: أَمثالٌ، وأَصله في بني آدم أَن تكون الأَسنان واحدة؛ أَي: مَسَّت أَجسداهم التراب في وقت واحد.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿يُوعَدُونَ﴾ بالياءِ من تحت، واختلفا في (سورة ق)[(٣)]، فقرأَ أَبو عمرو بالتاءِ من فوق، وقرأَ الباقون في السورتين بالتاءِ من فوق[(٤)].

و«النَّفَّادُ»: الفناءُ والانقضاءُ.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣١٤).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٩٢)، وتفسير الطبري (٢١/ ٤٢).

(٣) (الآية: ٣٢).

(٤) وهما سبعيتان في السورتين، انظر السبعة (ص: ٥٥٥)، وانظر التيسير (ص: ١٨٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ / لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ ﴾. [٥/ ١٣]

التقدير: الأَمر هذا، ويحتمل أَن يكون التقدير: هذا واقع، أَو نحوه.

و«الطَّاغي»: المُفرِط في الشَّرِّ، مأْخوذ من: طغى يطغى، والطغيان هنا في الكفر.

و«المآبُ»: المرجع.

و﴿ جَهَنَّمَ ﴾ بدل من قوله: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴾.

و﴿يَصۡلَوۡنَهَا ﴾ معناه: يباشرون حرَّها وحرقها[١].

و﴿ٱلۡمِهَادُ ﴾: ما يفرشه الإِنسان ويتصرف فيه.

وقوله: ﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ ﴾ يحتمل أَن يكون ﴿ هَٰذَا ﴾ ابتداءً، والخبر ﴿ حَمِيمٞ ﴾.

ويحتمل أَن يكون التقدير: الأَمر هذا فليذوقوه.

ويحتمل أَن يكون ﴿ هَٰذَا ﴾ في موضع نصب بفعل يدلُّ عليه ﴿ فَلۡيَذُوقُوهُ ﴾، و﴿ حَمِيمٞ ﴾ على هذا خبر ابتداءٍ مضمر.

قال ابن زيد: الحميم: دموعهم تجتمع في حياض فيسقونها.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَغَسَاقٞ﴾ بتخفيف السين، وهو اسم بمعنى السائل.

وروي عن قتادة: أَنه ما يسيل من صديد أَهل النار.

ويُروى عن السدي: أَنه ما يسيل من عيونهم.

---

(١) سقط من الأصل.

ويُروى عن كعب الأَحبار: أَنه ما يسيل من حُمَة عقارب النار، وهي ـ يُقَالُ ـ مجتمعة في عين هنالك[١].

وقال الضحاك: هو أَشدُّ الأَشياءِ برداً.

وقال عبد الله بن بُريدة: هو أَنتن الأَشياءِ، ورواه أَبو سعيد عن النبي ﷺ[٢].

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ بتشديد السين، بمعنى: سيَّال، وهي قراءَة قتادة، وابن أَبي إسحاق، وابن وثاب، وطلحة[٣].

والمعنى فيه على نحو ما قدمناه من الاختلاف، غير أَنها قراءة تضعف[٤]: لأن (غَسَّاقاً) إِمَّا أَن يكون صفة فيجيءُ في الآية حذف الموصوف وإِقامة الصفة مقامه، وذلك غير مستحسن هنا، وإِما أَن يكون اسماً، فالأَسماءُ على هذا الوزن قليلة في كلام العرب؛ كالفيَّاد[٥] ونحوه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَءَاخَرُ﴾ بالإِفراد، وهو رفع بالابتداءِ، واختلف في تقدير خبره:

فقالت طائفة: تقديره: ولهم عذاب آخَر.

وقالت طائفة: خبره [في الجملة[٦]؛ لأن قوله: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ ابتداء و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ خبره، والجملة خبر (آخر).

(١) في الأصل: «مجتمعة عندهم»، وانظر هذه الأقوال كلها وقول الضحاك وابن بريدة في الطبري (٢١/ ٢٢٦، ٢٢٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (١٧/ ٣٣١) وأبو داود (٢٧٦٦) من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، دراج أبو السمح، ضعيف الحديث، ولا سيما في شيخه أبي الهيثم. انظر تهذيب الكمال (٨/ ٤٧٧).

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٥٥)، والتيسير (ص: ١٨٨).

(٤) في المطبوع: «ضعف».

(٥) في الحمزوية: «العباد»، وفي المطبوع وأحمد٣: «القيَّاد».

(٦) في الأصل والمطبوع: «أزواج».

وقالت طائفة: خبره][1] ﴿أَزْوَٰجٌ﴾، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ في موضع الصفة.

ومعنى ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: من مثله وضَرْبه، وجاز على هذا القول أن يُخْبر بالجميع الذي هو ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ عن الواحد من حيث ذلك الواحد درجاتٌ ورُتبٌ من العذاب، وقويٌّ وأَقل منه، وأَيضاً فمن جهة أُخرى على أَن يُسَمَّى كل جزءٍ من ذلك الآخر باسم الكلِّ، كما قالوا: [عرفات لعرفة][2]، شابت مفارقُه، فجعلوا كل جزءٍ من المَفْرِق مَفْرِقاً، وكما قالوا: جمل ذو عَثَانين، ونحو هذا، أَلا ترى أَن جماعةً من المفسرين قالوا: إِن هذا الآخَر هو الزمهرير، فكأَنهم جعلوا كل جزءٍ منه زمهريراً.

وقرأَ أَبو عمرٍو وحده: ﴿وَأُخَرُ﴾ على الجمع، وهي قراءَة الحسن، ومجاهد، والجحدري، وابن جبير، وعيسى[3].

وهو رفع على الابتداءِ، وخبره ﴿أَزْوَٰجٌ﴾، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ في موضع الصفة جمعاً[4].

ورجح أَبو عبيد[5] هذه القراءَة، وكذلك أَبو حاتم لكون الصفة جمعاً، ولم ينصرف (أُخَرُ) لأَنه معدول عن الأَلف واللام صفة، وذلك أَن حق (أَفْعل) وجمعه أَلا يستعمل إِلَّا بالأَلف واللام، فلما استعملت (أُخَرُ) دون الأَلف واللام كان ذلك عدْلاً لها، وجاز في (أُخَر) أَن يوصف بها النكرة كقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، بخلاف جميع ما عدل عن الألف واللام؛ كَسَحَرَ ونحوه في أَنه لا يجوز أَن توصف به النكرة لأَن هذا العدل في (أُخَر) اعتُدَّ به في منع الصرف، ولم يعتد به في الامتناع من صفة النكرة، كما يعتدون بالشيءِ في حُكْم دون حُكْم، نحو اللام في قولهم:

---

(١) سقط من المطبوع، وفي الأصل: «أزواج» بدل «في الجملة».

(٢) سقط من الحمزوية وأحمد٣ والمطبوع.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨)، والسبعة (ص: ٥٥٥).

(٤) من المطبوع، وانظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢١٣).

(٥) وهو اختيار أَبي حاتم. انظر اختيارهما في تفسير الثعلبي (٨/ ٢١٣)، وفي فيض الله: «عبيدة»، ولعله خطأ.

لا أَبا لَكَ، واللام المتصلة بالكاف اعتُدَّ بها فاصلة للإِضافة، ولذلك جاز دخول (لا)، ولم يُعْتدَّ بها في أَن أُعرب (أَبا) بالحرف، وشأْنه ـ إذا انفصل ولم يكن مضافاً ـ أَن يعرب بالحركات، فجاءَت اللام ملغاة الحكم من حيث أُعرب بالحرف[1] كأَنه مضاف، وهي مُتَعَدٌّ بها فاصلة في أَن جوَّزت دخول (لا).

وقرأَ مجاهد: (مِن شِكْلِهِ) بكسر الشين[2].

و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ معناه: أَنواع، والمعنى: لهم حميمٌ وغَسَّاقٌ وأغذية أُخرى من ضَرْب ما ذُكر ونحوه، وأَنواعٌ كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ هو مما يقال لأَهل النار إذا سيق عامَّة الكفار وأَتباعهم؛ لأَن رؤساءَهُم يدخلون النار أَوَّلاً، والأَظهر أن قائل ذلك لهم: ملائكةُ العذاب، وهو الذي حكاه الثعلبي وغيره، ويحتمل أَن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض، فيقول البعض الآخر: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾؛ أَي: لا سَعَة مكان ولا خير يلقونه.

و«الفَوْجُ»: الفريق من الناس.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ حكاية لقول الأَتباع حين سمعوا قول الرؤَساءِ.

و﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ معناه: بإِغوائكم أَسلفتم لنا ما أَوجب هذا، فكأَنكم فعلتم بنا هذا.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا﴾ حكاية لقول الأَتباع أَيضاً، دعوا على رؤَسائهم بأَن يكون عذابهم مضاعفاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

(١) في الحمزوية والمطبوع: «بالحركات».

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٢).

الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ لأشراف الكفار ورُؤَسائِهم، أَخبر الله تعالى عنهم أَنهم يتذكرون ـ إِذا دخلوا النار ـ لقوم من مستضعفي المؤمنين، فيقولون هذه المقالة، وهذا مطَّرِدٌ في كل أُمة جاءَها رسول، ورُوي: أَن القائلين من كفار عصر النبي ﷺ هم: أَبو جهل بن هشام، وأُميَّة بن خلف، وأهل القليب، ومن جرى مجراهم، وأَن الرجال الذين يُشيرون إلى ذكرهم هُمْ: عمار بن ياسر، وسَلْمان، وصُهيْب، ومن جرى مجراهم[١]، قاله مجاهد وغيره[٢].

والمعنى: كنا في الدنيا نعُدُّهم أَشراراً لا خَلَاقَ لهم.

وأَمال / الرَّاءَ من ﴿ٱلْأَشْرَارِ﴾ أَبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وفتحها ابن كثير، وعاصم، وأَشَمَّ نافعٌ، وحمزة[٣]. [١٤/ ٥]

وقرأَ أَبو عمرٍو، وحمزة، والكسائي: ﴿اتَّخَذْناهُم سخْرِيّاً﴾ بأَلف [وصل، على أَن يكون ذلك في موضع الصفة لـ(رِجَال).

وقرأَ الباقون والحسن والأعرج وأبو جعفر وقتادة: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سخريّاً﴾ بأَلف قَطْع][٤] للاستفهام، ومعناها تقريرُ أَنفسهم على هذا، على جهة التوبيخ لها والأَسف، أَي: أَتَّخذناهم ولم يكونوا كذلك، واستبعد معنى هذه القراءَة أَبو علي.

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿سُخْرِيّاً﴾ بضم السين، وهي قراءَة الأَعرج، وشيبة، وأَبي جعفر، وابن مسعود وأَصحابه، ومجاهد، والضحاك، ومعناها من السُّخْرةِ والاستخدام.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «ومثلهم».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٢٣٢).

(٣) وكلها سبعية، إلا أن ابن عامر وقالون فتحا، والمراد بالإشمام التقليل، انظر التيسير (ص: ٥١).

(٤) سقط من الأصل، وفي الحمزوية: «بصلة الألف» بدل «وصل الألف»، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨)، والنشر (٢/ ٣٦٢).

وقرأَ الباقون بكسر السِّين، وهي قراءَة الحسن، وأَبي رجاءٍ، وعيسى، وابن محيصن[١].

ومعناها المشهور من السُّخر الذي هو بمعنى الهُزْءِ، ومنه قول الشاعر:

إِنِّـي أَتَانـي لِسَـانٌ لَا أُسَـرُّ بِهَـا ... مِنْ عَلْوَ لَا كَذِبٌ فيها وَلَا سَخَرُ[٢] [البسيط]

وقالت فرقة: يكون بكسر السِّين من التَّسْخير.

و﴿أَمۡ﴾ في قولهم: ﴿أَمۡ زَاغَتۡ﴾ معادلةٌ لـ﴿مَا﴾ في قولهم: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ﴾، وذلك أَنها قد تعادل (ما)، وتعادل (من)[٣]، وأَنكر بعض النحويين هذا وقال: إِنها لا تعادل إِلا الأَلف فقط، والتقدير في هذه الآية: أَمَفْقودون هم أَم زاغت؟

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا الكلام: أَلَيْسُوا معنا، أَم هُمْ معنا ولكن أَبصارنا تميل عنهم فلا نراهم؟

و«الزَّيْغُ»: المَيْل.

ثم أَخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾.

و﴿تَخَاصُمُ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿لَحَقٌّ﴾.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (تَخَاصُمَ) بفتح الميم.

وقرأَ ابن محيصن: (تَخَاصُمٌ) بالتنوين (أَهْلُ النار) برفع اللام[٤].

ثم أَمَرَ تعالى نبيَّه عليه السلام بأَن يتجرَّد للكفار من جميع الأَغراض إِلَّا أَنه منذرٌ لهم، وهذا توعُّدٌ بليغ محرِّك للنفوس. وباقي الآية بيِّنٌ.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر النشر (٢/ ٣٦٢)، والسبعة (ص: ٥٥٦).

(٢) هذا البيت لأعْشَى باهلة، عامر بن الحرث بن رباح كما تقدم في تفسير الآية (٥٠) من (سورة مريم). وفي المطبوع: «أتتني».

(٣) في المطبوع: «تعادل ما يعادل من».

(٤) وهما شاذتان، انظر الثانية في الدر المصون (٩/ ٣٩٤)، والأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

الإِشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ إِلى التوحيد والمعاد، فهي إِلى القرآن وجميع ما تَضَمَّن، وعِظَمه[1] أن التصديق به نجاةٌ والتكذيب به هلكة.

وحكى الطبري: أَن شُرَيْحاً اختصم إِليه أَعرابي، فشهد عليه، فأَراد شُريح أَن ينفذ الحكم، فقال الأَعرابي: أَتحكم عليَّ[2] بالنَّبَأ؟ فقال شريح: نعم، إِن الله يقول: في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟﴾، وقرأَ الآية، وحكم عليه[3].

قال القاضي أَبو محمد: هذا الجواب من شريح إِنما هو بحسب لفظ الأَعرابي، ولم يُحَرِّرْ معه الكلام، وإنما قصد إِلى ما يقطعه به؛ لأَن الأَعرابي لم يُفَرِّق بين الشهادة والنَّبإِ.

و«النَّـبَأُ» في كلام العرب بمعنى الخبر.

ووبَّخهم بقوله: ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

ثم قال: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، وهذا احتجاجٌ لصحة أَمر محمد ﷺ، كأَنه يقول: هذا أمر خطر، وأنتم تعرضون عنه مع صحته، ودليل صحته أَنِّي أُخبركم فيه بغيوب لم تأْت إِلا من عند الله، فإِنِّي لم يكن لي عِلم بالملأ الأَعلى [وقت خصومتهم لولا أَن الله تعالى أَخبرني بذلك والملأ الأعلى][4]، وأَراد بهم الملائكة، والضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ عند جمهور المفسرين هو للملائكة.

---

(١) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «وعْدُهُ».
(٢) سقط من نور العثمانية وفيض الله والسليمانية.
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٣٦).
(٤) سقط من الأصل.

واختلف الناسُ في الشيءِ الذي هو اختصامهم فيه:

فقالت فرقة: اختصامهم في أَمر آدم وذريته في جعلهم في الأرض، ويدلُّ على ذلك ما يأتي من الآيات، فقول الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] هو الاختصام.

وقالت فرقة: بل اختصامهم في الكفارات وغفر الذنوب ونحوه؛ فإِن العبد إِذا فعل حسنةً اختلف الملائكة في قدر ثوابه في ذلك حتى يقضي الله بما شاءَ.

وورد في هذا حديث فسَّره ابن فُورك؛ لأَنه يتضمن أَن النبي ﷺ قال له ربُّه عزَّ وجلَّ في نومه: فيم يختصمون؟ فقلت: لا أَدري، فقال: في الكفَّارات، وهي: إِسْبَاغُ الوضوءِ في السَّبرات، ونقل الخُطَى إِلى الجماعات، الحديث بطوله، قال: «فوضع الله يده بين كتفيَّ حتَّى وجدتُ بردَها بين ثديي»(١).

---

(١) ضعيف على كثرة طرقه؛ لما وقع فيه من اضطراب شديد، وقد رواه غيرُ واحد من الصحابة من طرق متعددة، وفي بعضها زيادات وبعضها نقص، وعامة الطرق لا تسلم من ضعف، روي هذا الحديث من رواية جماعة من الصحابة، هم: معاذ وابن عباس وأنس وثوبان وأبي أمامة وطارق بن شهاب وابن عمر وأبي هريرة، أما حديث معاذ بن جبل فقد اختلف في إسناده اختلافاً كثيراً جداً، وقد ساق الدارقطني ذلك مفصلاً في العلل (٦/ ٥٧)، ثم قال: ليس فيها صحيح، وكلها مضطربة ا. هـ. انظر مسند أحمد (٥/ ٢٤٣)، والمراسيل لابن أبي حاتم (ص١٢٤) والترمذي (٣٢٣٥) والعلل الكبير له (٦٦١)، والدارمي (٢١٤٩)، والطبري (٩/ ٣٥٤) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٣٣) و(٢/ ٥٤٢)، والدارقطني في رؤية الله (٢٥٥-٢٥٦-٢٥٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٤٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٢٢-٢٢٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ ١٨٦٢) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢١) والطبراني في الكبير (٢١٦)، وفي الدعاء له (١٤١٤)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٣٤٥) والبزار في مسنده (٢٦٦٨) والعراقي في تحفة التحصيل (٤٥٢)، وأما حديث عبد الله بن عباس فاضطرب في إسناده أيضاً، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٦٩) ومن طريقه أحمد (١/ ٣٦٨)، وعبد بن حميد (٦٨٢)، والترمذي (٣٢٣٣)، والدارقطني في رؤية الله (٢٧١-٢٧٢-٢٧٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢١) من طريق معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس مرفوعاً به، بنحوه، قال أبو عيسى: وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلاً. =

قال القاضي أَبو محمد: فتفسير هذا الحديث: أَن اليَدَ هي نعمة العِلْم، وقوله: «بَرْدَهَا»، أَي: السُّرور بها والثَّلْج، كما تقول العرب في الأمر السَّارِّ: يا بَرْدَه على الكبد،

= وقد رواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس، وهذه الرواية أخرجها الترمذي (٣٢٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٠٨)، والبزار (٤٧٢٧)، والدارقطني في رؤية الله (٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠) من طريق قتادة، عن أبي قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن ابن عباس به.

قال الدارقطني: وروى هذا الحديث أبو قلابة عن خالد بن اللجلاج فقال عن ابن عباس ولم يقل عن ابن عائش.

وأخرجه الدارقطني في رؤية الله (٢٧٤) من طريق حماد بن سلمة، عن حميد، عن بكر، عن أبي قلابة مرسلاً.

وأخرجه الطبري (٢٢/ ٢٣) من طريق سليمان بن عمر بن يسار، عن أبيه، عن سعيد بن زربي، عن عمر بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً، به مع بعض الزيادات، وسعيد بن زربي الخزاعي منكر الحديث، وأما حديث أنس فمضطرب أيضاً. انظر كلام الدارقطني في العلل (٦/ ٥٥-٥٦).

وأما حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ، فأخرجه أحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٩٨٠)، والبزار (٤١٧٢)، والدارقطني في رؤية الله (٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦ـ٢٨٧)، والروياني في مسنده (٦٣٨)، والطبراني في الدعاء (١٤١٧) من طريق أبي سلام الأسود، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، مرفوعاً بنحوه، والطرق إلى أبي الأسود لا تسلم من ضعف.

وأما حديث أبي أمامة، فأخرجه الدارقطني في رؤية الله (٢٧٧-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠)، والطبراني في الكبير (٨١١٧)، والروياني في مسنده (١٢٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٢٤) من طريق جرير، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أمامة الباهلي، مرفوعاً بنحوه، وليث ضعيف، وابن سابط لم يسمع من أبي أمامة كما قاله ابن معين، انظر جامع التحصيل (٤٢٨).

وأما حديث طارق بن شهاب فأخرجه الطبراني في الكبير (٨٢٠٧)، وفي الأوسط (٥٤٩٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ١٥٥٨) من طريق سعيد بن المرزبان، عن قيس بن مسلم، عن طارق ابن شهاب، مرفوعاً بنحوه، وسعيد بن المرزبان ـ أبو سعد ـ العبسي ضعيف.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه البزار في مسنده (٥٣٨٥) من طريق سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن ابن عمر رضي الله عنه به، وسعيد بن سنان الشامي ضعيف.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الدارقطني في رؤية الله (٢٨٨) من طريق عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح، عن أبي هريرة به، وعبيد الله بن أبي حميد البصري متروك، وأبو المليح بن أسامة الهذلي لم يسمع من أبي هريرة. وللحافظ ابن رجب الحنبلي رسالة في شرح هذا الحديث سماها «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى».

ونحو هذا[١]، ومنه قول النبي ﷺ: «الصلاة باللَّيل هي الغنيمة الباردة»[٢]، أَي: السهلة التي يُسَرُّ بها الإِنسانُ.

وقالت فرقة: المراد ﴿بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ الملائكة، وقوله: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ مقطوعٌ منه، ومعناه: إِذ تختصم العرب الكافرة في الملإِ الأَعلى، فيقول بعضها: هي بناتُ الله، ويقول بعضها: هي آلهة تُعْبَد، وغير ذلك من أَقوالهم.

وقالت فرقة: أَراد بالملأ الأعلى: قريشاً، وهذا قول ضعيف لا يَتقوَّى مِنْ جهة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا﴾ بفتح الأَلف كأَنه يقول إِلَّا الإِنذار.

وقرأ أَبو جعفر: ﴿إلا إنَّما أنا﴾ على الحكاية[٣]، كأَنه قيل له: أَنْتَ نذيرٌ مُبينٌ، فحكى هو المعنى، وهذا كما يقول إنسان أَنا عالِمٌ؟ فيقال له: قلت إنك عالم، فيحكي المعنى.

---

(١) تبع المصنف رحمه الله في هذا التأويل ابن فورك في مشكل الحديث (ص: ٧٩)، وذكر تأويلًا آخر لليد بالقدرة، وقد تقدم التنبيه على مذهب أهل السنة في مثل هذا.

(٢) بهذا اللفظ لم أقف عليه، وإنما جاء بلفظ الغنيمة الباردة الصوم في الشتاء ولا يصح مرفوعاً، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٨٣٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣٥)، والترمذي (٧٩٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٢١٤٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٢٩٦) وغيرهم من طريق سفيان، عن أبي إسحاق السبيعي، عن نمير بن عريب، عن عامر بن مسعود القرشي الجمحي، مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف؛ أبو إسحاق كثير التدليس وقد عنعن، ونمير بن عريب فيه جهالة، وعامر بن مسعود الجمحي مختلف في صحبته فقد نفاها ابن معين ومصعب الزبيري، وأبو زرعة، وأثبتها أحمد، انظر جامع التحصيل (٣٢٥)، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٢١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٤٢) من طريق عبد الوهاب بن الضحاك، عن الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن ابن المنكدر، عن جابر به مرفوعاً، وعبد الوهاب بن الضحاك الحمصي كذاب، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٤/ ٢٩٧) من طريق قتادة، عن أنس قال: قال أبو هريرة به من قوله، وروي مرفوعاً عن أنس ولا يصح.

(٣) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٤٠٢).

و﴿إِذۡ﴾ في قوله: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ﴾ بدلٌ من قوله ﴿إِذۡ﴾ الأُولى، على تأْويل من رأَى الخصومة في شأْن من يستخلف في الأَرض، وعلى الأَقوال الأخر يكون العامل في ﴿إِذۡ﴾ الثانية فعل مضمر تقديره: اذْكُرْ إِذْ قال.

و«الْبَشرُ الْمَخْلُوقُ من الطين»: هو آدم عليه السلام.

و﴿سَوَّيۡتُهُۥ﴾ يريد به شخصه.

و(نَفَخْتُ) هي عبارة عن إِجراءِ الروح فيه، وهي عبارة على نحو ما يفهم البشر من إِجراءِ الأَشياءِ بالنفخ.

وقوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِي﴾ هي إِضافة مِلْكٍ إلى مالك؛ لأَن الأَرواح كلها هي مِلك لله تعالى، وأَضاف إِلى نفسه تشريفاً. / [٥/ ١٥]

وقوله: ﴿سَٰجِدِينَ﴾ اختلف الناس فيه:

فقالت فرقة: هو السجود المتعارف.

وقالت فرقة: معناه: خاضعين، على أَصل السجود في اللغة.

ثم أَخبر تعالى أَن الملائكة بأَجمعهم بأمره سجدوا إِلَّا إِبليس فإِنه استكبر عن السجود.

وقوله تعلى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يحتمل أَن يريد به: وكان من أَول أَمره من الكافرين في علم الله تعالى، قاله ابن عباس[١].

ويحتمل أَن يريد: ووُجِد عند هذه الفعلة[٢] من الكافرين، وعلى القولَيْن؛ فقد حكم الله على إِبليس بالكفر، وأَخبر أَنه كان قد عقد قلبه في وقت الامتناع.

---

(١) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٥) من طريق أبي بكر بن عياش، قال: قال ابن عباس: كان في علم الله من الكافرين. وأبو بكر بن عياش يروي عن التابعين، ولم يدرك أحداً من الصحابة.

(٢) في المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «الغفلة».

قوله عزَّ وجل: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ (٧٦) قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ (٨١)﴾.

القائل لإبليس هو الله عزَّ وجلَّ، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ تقريرٌ وتوبيخٌ.

وقرأ عاصم الجحدري: (لَمَّا خلقت) بفتح اللام من (لَمَّا) وشد الميم[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِيَدَيَّ﴾ بالتثنية، وقرأت فرقة: (بِيَدِي) بفتح الياءِ[٢].

وقد جاءَ في كتاب الله ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، بالجمع، وهذه كلها عبارة عن القدرة والقوة، وعبَّر عن هذا المعنى بذكر الْيَد تقريباً على السَّامعين؛ إِذ المعتاد عند البشر أَن القوَّة والبطش والاقتدار إِنما هو باليد، وقد كانت جهالة العرب بالله تعالى تقتضي أَن تنكر نفوسها أَن يكون خلقٌ بغير مماسَّة ونحو هذا من المعاني المعقولة.

وذهب القاضي ابن الطيِّب إِلى أَن الْيَد والوجه والعين صفاتُ ذاتٍ زائدةٌ على القدرة والعلم وغير ذلك من متقرر صفاته تعالى، وذلك قولٌ مرغوب عنه[٣]، ويُسَمِّيها الصفات الخبرية.

ورُوي في بعض الآثار: أَن الله تعالى خلق أَربعة أَشياءٍ بيده، وهي: العرش، والقلم، وجنة عدن، وآدم، وسائرَ المخلوقات بقوله: كُنْ[٤].

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ١٧٤).

(٢) في المطبوع: «بالتخفيف»، ولعله يقصد القراءة بكسر الدال على الإفراد، وهي شاذة، للجحدري كما في مختصر الشواذ (ص: ١٣١)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٢)، وضبطها بسكون الياء، وعزا كسر يائها لابن محيصن، ولم يذكر الفتح.

(٣) هذا القول المرغوب عنه عند المصنف هو مذهب السلف، كما تقدم التنبيه عليه مراراً.

(٤) اختلف فيه على عبيد بن مهران المكتب، فقيل عنه عن ابن عمر وقيل عنه عن إبراهيم النخعي، قولهما، أخرجه الدارمي في نقضه لبشر المريسي (ص: ٢٦١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٠)، =

قال القاضي أبو محمد: وهذا ـ إِنْ صحَّ ـ فإِنما ذكر على جهة التشريف للأَربعة والتنبيه منها، وإِلا فإِذا حقَّقنا النظر فكل مخلوق هو بالقدرة التي بها يقع الإِيجادُ بعد العدم.

وقرأَت فرقة: (اسْتَكْبَرْتَ) بصِلة الأَلف[1]، على الخبر عن إِبليس، وتكون ﴿أَمْ﴾ بنيَّة[2] الانقطاع لا مُعَادِلةً لها.

وقرأَت فرقة: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ بقطع الأَلف، على الاستفهام، فـ﴿أَمْ﴾ على هذا مُعَادِلةٌ للأَلف.

وذهب كثير من النحويين إِلى أَن (أم) لا تكون مُعَادِلَةً للأَلف مع اختلاف الفعلين، وإِنما تكون مُعَادِلَةً إِذا دخلتا على فعل واحد، كقولك: أَزيدٌ قام أَمْ عمرو؟ [وقولك أقام زيد أم عمروٍ][3] وقالوا: وإِذا اختلف الفعلان كهذه الآية فليست (أم) معادلة، ومعنى الآية: أَحَدثَ لك الاستكبارُ الآن أَم كنت قديماً مِمَّن لا يليق أَن تكلف مثل هذا لِعُلُوِّ مكانك؟ وهذا على جهة التوبيخ.

وقول إِبليس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ قياسٌ أَخطأَ فيه، وذلك أَنه لما توهَّم أَن النار أَفضل من الطين؛ قاسَ أَن ما يخلق من الأَفضل فهو أَفضل من الذي يخلق من المفضول، ولم

= والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٩٣)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٢٩)، والذهبي في العلو (١٨٥) من طريق الثوري عن عبيد بن مهران الكوفي المكتب، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنه، بنحوه، وفي بعض الروايات بزيادة واحتجب من الخلق بأربعة: بنار، وظلمة، ونور، وظلمة، وأخرجه هناد في الزهد (٤٥) عن محمد بن فضيل، عن عبيد المكتب، عن إبراهيم من قوله، وأخرج عبد الله بن أحمد في السنة (١١١٨) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنه: قال خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده وسائر ذلك قال: له كن فكان خلق القلم بيده وآدم بيده والتوراة كتبها بيده وجنات عدن بيده. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(١) شاذة، نقلها في السبعة (ص: ٥٥٦) عن شبل عن ابن كثير، وفي الإتحاف (ص: ٤٧٩) عن ابن محيصن، والأخرى هي المتواترة.

(٢) في الأصل: «بيِّنة».

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

يدر أَن الفضائل تخصيصاتٌ من الله تعالى يَسِمُ بها من شاء، وفي قوله ردٌّ على حكمة الله تعالى وتجويز، وذلك بيِّنٌ في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ثم قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾، وعند هذه المقالة اقترن كُفْر إبليس به، إِمَّا عناداً عَلَى قول من يجيزه، وإِمَّا بأَن سُلب المعرفة، وظاهر أَمْره أَنه كُفْرُ عناد؛ لأَن الله تعالى قد حكم عليه بأَنه كافر، ونحن نجده خلال القصة يقول: يا رَبِّ، وبِعِزَّتِكَ، وإِلى يوم يبعثون، فهذا كلُّه يقتضي المعرفة، وإِن كان للتأْويل فيه مزاحم، فتأَمَّله.

ثم أَمر الله تعالى إِبليس بالخروج على جهة الادخار له[١].

وقالت فرقة: أَمره بالخروج من الجنة، وقالت فرقة: من السماءِ.

وحكى الثعلبي عن الحسن، وأَبي العالية أَن قوله تعالى: ﴿مِنْهَا﴾ يريد به: من الخلقة التي أَنت فيها، ومن صفات الكرامة التي كانت له، قال الحسين بن الفضل: ورجعت له أَضدادها[٢].

وعلى القول الأَول: فإِنما أُمر أَمراً يقتضي بُعده عن السماءِ، ولا خلاف أَنه أُهبط إِلى الأَرض.

و«الرَّجِيمُ»: المرجوم بالقول السَّيِئ.

و«اللَّعْنَةُ»: الإِبعاد.

و﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يومُ القيامة، والدِّينُ: الجزاءُ.

وإِنما حدَّ الله تعالى له اللعنة بيوم الدين، ولعنتُه إِيَّاه إِنما هي مُخَلَّدة، ليحصر له أمد[٣] التوبة؛ لأَن امتناع توبته بعد يوم القيامة بيِّنٌ[٤]؛ إِذْ ليست الآخرة دار عمل.

---

(١) من الدخُور، وهو الذِّلَّةُ والصَّغارُ والهوانُ.

(٢) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٢١٧). في المطبوع: «عن أَبي الحسن»، وفيه وفي الحمزوية: «الحسن بن الفضل».

(٣) في المطبوع: «أَمر»، وفي الحمزوية: «مدة»، وفي السليمانية: «ليحصل».

(٤) سقطت لفظة «توبته» من أحمد٣، ولفظة «بين» من الأصل.

ثم إِن إِبليس سأل النَّظِرَة وتأْخير الأَجل إِلى يوم بعث الأَجساد من القبور، فأَعطاه الله تعالى الإِبقاءَ إِلى يوم الوقت المعلوم.

واختلف الناسُ في تأْويل ذلك:

فقال الجمهور: أَسعفه الله في طِلْبته وأَخَّره إِلى يوم القيامة، وهو الآن حيٌّ مُغْوٍ مُضِلٌّ. وهذا هو الأَصح من القولين.

وقالت فرقة: لم يُسْعَف بِطِلْبته، وإِنما أُسعف إِلى الوقت الذي سبق من الله تعالى أَن يموت إِبليس فيه.

وقال بعض هذه الفرقة: ماتَ إِبليس يوم بدرٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾.

القائل هو إِبليس، أَقسم بِعِزَّة الله تعالى، قال قتادة: علم عدوُّ الله أَنه ليست له عزَّة فأَقسم بِعِزَّة الله سبحانه أَنه يُغوي ذريَّة آدم أَجمع، إِلَّا من أَخلص الله للإِيمان به.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا استثناءُ الأَقل عن الأَكثر، على باب الاستثناء؛ / [٥/ ١٦] لأَن المؤمنين أَقلُّ من الكفرة بكثير، بدليل حديث بعث النار، وغيره.

وجوَّز قومٌ أَن يُستثنى الكثيرُ من الجملة ويترك الأَقلُّ على الحكم الأَول، واحَتَجُّوا بقوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحِجر: ٤٢].

وقال من ناقضهم: العبادُ هنا يعُمُّ البشرَ والملائكة، فبقي الاستثناءُ على بابه في أَن الأَقلَّ هو المستثنى[١].

وفتح اللَّام من المخلصين وكسرها تقدم ذكره[٢].

---

(١) انظر الخلاف في استثناء الكثير في الإحكام لابن حزم (٤/ ١٩)، وروضة الناظر وجنة المناظر (٢/ ٩١).

(٢) في حرف (سورة يوسف).

والقائل: ﴿فَٱلْحَقُّ﴾ هو الله تعالى، قال مجاهد: المعنى: فالْحَقُّ أَنا[١].

وقرأ جمهور القراء: ﴿فالحقَّ والحقّ﴾ بنصب الاثنين.

فأَما الثاني فمنْصوب بـ﴿أَقُولُ﴾، وأَما الأَول فيحتمل أن ينتصب على الإِغراءَ، ويحتمل أن ينتصب على القسَم على إِسقاط حرف القَسَم، كَأنه قال: فَو الْحقَّ، ثم حذف الحرف، كما تقول: اللهِ لأَفعلن، تريد: واللَّهِ، ويُقَوِّي ذلك قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾.

وقد قال سيبويه: قلتُ للخليل: ما معنى (لأَفعلن) إِذا جاءَت مبتدأة؟ فقال: هي بتقدير قَسَم مَنْوي[٢]، وقالت فرقة: الحق الأَول منصوب بفعل مضمر.

وقرأَ ابن عباس، ومجاهد: (فالحقُّ والحقُّ) برفع الاثنين[٣]، فأَما الأَول فرفع بالابتداء، وخبرُه في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾؛ لأَن المعنى: أَنْ أَمْلأَ، وأَمَّا الثاني فيرتفع على الابتداءِ أَيضاً.

وقرأَ عاصم، وحمزة: ﴿فَٱلْحَقُّ﴾ بالرفع في الأَول، [﴿وَٱلْحَقَّ﴾ بالنصب][٤] وهي قراءَة مجاهد، والأَعمش، وأَبان بن تغلب، وإِعرابُ هذه بيِّنٌ.

وقرأَ الحسنُ: (فالحقِّ والحقِّ) بخفض القاف فيهما على القسم، وذكرها أَبو عمرو الداني[٥].

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ أن يخبرهم بأَنه ليس بسائل أَجرٍ ولا مال، وأنه ليس ممَّن يتكلَّف ما لم يُجعل إِليه، ولا يتحلَّى بغير ما هو فيه.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٤٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢١٧).
(٢) تكلم عليها في أكثر من موضع، انظر مثلًا: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٤).
(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١١٣).
(٤) سقط من المطبوع، وهي والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٨).
(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١١٣) لعيسى بن عمر، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦) لمجاهد.

قال الحسين بن الفضل: هذه الآية ناسخة لقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣](١).

وقال الزبير بن العوام: نادى منادي النبي ﷺ: «اللهم اغفر للذين لا يدَّعون ولا يتكلَّفون، أَلا إِنِّي بريءٌ من التكلُّف، وصالحو أُمَّتي»(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يريد به: القرآن.

و﴿ذِكْرٌ﴾ بمعنى: تَذْكِرَةٌ.

ثم توعدهم بقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾، وهذا على حذف تقديره: وَلَتَعْلَمُنَّ صدْقَ نَبَئِهِ بعد حين في توعدكم.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ إِلى أَي وقت أَشارَ؟ لأَن (الحينَ) في اللغة يقع على القليل والكثير من الوقت:

فقال ابن زيد: أَشار إِلى يوم القيامة.

وقال قتادةُ والحسن: أَشار إِلى الآجال التي لهم؛ لأَن كل واحد منهم يعرف الحقائق بعد موته.

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢١٨). وفي الحمزوية ونجيبويه: «الحسن بن الفضل».

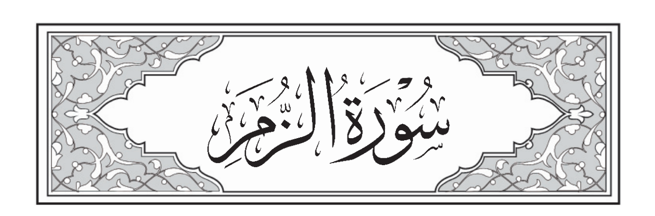
(٢) موضوع، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥/ ٢٧٦-٢٧٧) من طريق محمد بن الوليد بن أبان الهاشمي، عن يعقوب بن ناصح، عن عيسى بن يونس، عن وائل بن داود، عن عبد الله البهي، عن الزبير بن العوام قال: خطبنا رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك قال... به مطولاً، ومحمد بن الوليد بن أبان القلانسي البغدادي، مولى بني هاشم كذاب قال ابن عدي: كان يضع الحديث، وقال أبو عروبة: كذاب، وانظر ترجمته الميزان (٤/ ٥٩)، وقد أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (١٦٦٠)، والدارقطني في أطراف الغرائب (١/ ٣١٥)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/ ١٦٨)، وفي تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/ ٣٥٥-١٨/ ٣٩١-٢٥/ ٩٠- ٣٥/ ٢٧٨-٥٣/ ٣٢٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٣٠) من طريق سيف بن عمر، عن وائل بن داود، عن الزبير بن العوام، به بدون اللفظ الأخير، وسيف بن عمر متفق على ضعفه، وهو تالف.

وقال السدي: أَشار إِلى يوم بدر؛ لأَنه يوم عرف الكفار فيه صدق وعيد القرآن لهم[١].

كمل تفسير (سورة ص)، والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٢٤٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٤٢) والهداية لمكي (١٠/ ٦٢٩١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الزُّمَر

هذه السورة مكِّيَّة بإِجماع، غير ثلاث آياتٍ نزلت في شأْن وحشيٍّ قاتِل حمزة ابن عبد المطلب، وهي: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [٥٣] الآيات.

وقالت فرقة: بل إِلى آخر السورة هو مدنيٌّ، وقيل: [فيها مدنيٌّ][1] سبع آياتٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ﴾.

﴿تَنزِيلُ﴾ رفع بالابتداءِ، والخبر قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾.

وقالت فرقة: ﴿تَنزِيلُ﴾ خبر ابتداءٍ تقديره: هذا تنزيل، والإِشارة إِلى القرآن الكريم.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (تَنْزِيلَ) بنصب اللام[2].

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «بل».

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٣).

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال المفسرون: هو القرآن الكريم، ويظهر لي أنه اسمٌ عامٌّ لجميع ما ينزلُ من عند الله من الكتب، فكأَنه تعالى أَخبر إِخباراً مجرداً أن الكتب الهادية الشارعة إِنما تنزيلها من الله، وجعل هذا الإِخبار تقدمةً وتوطئة لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في قدرته، و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في إِبداعه.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الثاني هو القرآن لا يحتمل غير ذلك.

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: أَن يكون معناه: متضمناً الحقَّ؛ أَي: بالحق فيه وفي أَحكامه وفي أَخباره.

والثاني: أَن يكون بالحق بمعنى: بالاستحقاق والوجوب وشمول المنفعة للعالم في هدايتهم ودعوتهم إِلى الله.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أَن تكون الفاءُ عاطفةً جُملةً من القول على جُملة وواصلة، ويحتمل أَن يكون كالجواب؛ لأَن قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ جملة، كأَنه ابتداءٌ وخبره، كما لو قال: الكتاب منزل، وفي الجمل التي هي ابتداءٌ وخبرٌ إِبهامٌ مَّا يشبه به الجزاءَ، فجاءَت الفاءُ كالجواب، كما تقول: زيدٌ قائمٌ فأَكرمه، ونحو هذا قول الشاعر:

[الطويل] وَقَائِلَةٍ خَوْلَانُ فَانْكِحْ فَتَاتَهُم[1] ....

التقدير: هذه خولان.

و﴿مُخْلِصًا﴾ حالٌ، و﴿ٱلدِّينُ﴾ نصب به، ومعنى الآية: الأَمر بتحقيق النِّـيَّـة لله في كلِّ عمل.

---

(١) هذا صدر بيت، وعجزه: وَأُكْرُومَةُ الحَيَّيْنِ خِلْوٌ كَمَا هِيَا، وهو بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ١٣٩)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٨٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٠٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٩٦)، قال: وخولان قبيلتان أددية وقضاعية، فالأددية: خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد. والقضاعية: خولان بن عمرو بن قضاعة.

و﴿ٱلدِّينُ﴾ هنا يعم المعتقدات وأَعمال الجوارح.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ بمعنى: من حقه ومن واجباته، لا يقبل غير هذا، وهذا كقوله: للَّهِ الْحمدُ، أَي: واجباً ومستحقّاً.

قال قتادة: ﴿ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾: لَا إِلَه إِلَّا الله[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ رفع بالابتداءِ، وخبره في المحذوف المقدر، وتقديره: يقولون: ما نعبدهم / .

[٥/ ١٧]

وفي مصحف ابن مسعود: (قالوا ما نعبدهم)، وهي قراءَة ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير[٢].

و﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يريد: معبودين، وهذه مقالة شائعة في العرب، يقول كثير منهم في الجاهلية: الملائكة بنات الله، ونحن نعبدهم لِيُقَرِّبونا، وطائفة منهم قالت ذلك في أَصنامهم وأَوثانهم، وقال مجاهد: قد قال ذلك قوم من اليهود في عُزَيْر، وقوم من النصارى في عيسى ابن مريم[٣].

وفي مصحف أُبَيِّ بن كعب: (ما نَعْبُدُكُم) بالكاف، (إلا لِتُقَرِّبونا) بالتاءِ[٤].

و﴿زُلْفَىٰٓ﴾ بمعنى: قُرْبَى وتَوْصلة، كأَنه قال: لِتُقَرِّبونا إِلى الله تقريباً، وكأَن هذه الطوائف كلها كانت ترى نفوسها أَقل من أَن تتصل هي بالله، فكانت ترى أَن تتصل بمخلوقاته.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤٥٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٢٩٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١٤).

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٥٠)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٤١٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ٢٥١).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ١٠٢).

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٤٤).

و﴿زُلۡفَىٰٓ﴾ ـ عند سيبويه ـ مصدرٌ في موضع الحال، كأَنه ينزل منزلة: مُتَزَلِّفِين، والعامل فيه «يُقَرِّبُونَا»[١]، هذا مذهب سيبويه وفيه خلاف[٢].

وباقي الآية وعيدٌ في الدنيا والآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥﴾.

هذه الآية إما أن يكون معناها: إن الله لا يهدي الكاذب الكفار في حالة كذبه وكفره، وإما أن يكون لفظها العموم ومعناها الخصوص فيمن حتم[٣] الله عليه بالكفر، وقضى في الأزل أنه لا يؤمن أبداً، وإلا فقد وجد الكاذب الكفار[٤] قد هدي كثيراً.

وقرأ أنس بن مالك، والجحدري: (كَذَّابٌ كَفَّارٌ) بالمبالغة فيهما، ورُويت عن الحسن، والأعرج، ويحيى بن يَعْمَر[٥].

وهذه المبالغة إِشارة إِلى المتوغل[٦] في الكُفْر، القاسي فيه، الذي يُظَنُّ به أنه محتوم[٧] عليه.

قوله تعالى: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ﴾ معناه: اتخاذَ التشريف والتَّبَنِّي، وعلى

---

(١) في المطبوع: «تقربنا».

(٢) انظر إعرابها بالمصدر في مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٦٣٠)، ولم أجد لسيبويه فيها كلاماً.

(٣) في الأصل ونور العثمانية: «ختم».

(٤) سقط من أحمد٣، وفي السليمانية: «والكافر».

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٣)، والبحر المحيط (٩/ ١٨٣).

(٦) في المطبوع: «التوغل».

(٧) في الأصل: «مختوم».

هذا يستقيم قوله تعالى: ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ﴾، وأَمَّا الاتخاذ المعهود في الشاهد[١] فَمُستحيل أَن يُتَوَهَّم في جهة الله تعالى، ولا يستقيم عليه معنى قوله: ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] لفظ يعُمُّ اتخاذ النسل واتخاذ الأصفياء[٢]، فأَمَّا الأَول فمعقول، وأَما الثاني فمعروف بخبر الشَّرع، ومما يدل على أَن معنى قوله أن يتخذ الاصطفاءُ والتَّبَنِّي قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَخۡلُقُ﴾؛ أَي: من موجوداته ومُحْدَثاته.

ثم نزَّه تعالى نَفْسه تنزيهاً مطلقاً عن جميع ما لا يكون مِدْحَةً، واتِّصافه تعالى بالقَهَّار اتصاف[٣] على الإِطلاق؛ لأَن أَحداً من البشر إِنِ اتَّصف بالقَهْر فمقيَّدٌ في أَشياءَ قليلة، وهو في حين[٤] قهره لغيره مقهور لله تعالى على أَشياءَ كثيرة.

وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ معناه: بالواجب الواقع موقعه الجامع للمصالح.

وقوله: ﴿يُكَوِّرُ﴾ معناه: يُعيد من هذا على هذا، ومنه: كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، فكأن الذي يطولُ من النهار أَو من الليل يصير منه على الآخر جزءٌ فيستره، وكأَن الآخر الذي يقصر يَلِجُ في الذي يطول فيستتر فيه، فيجيءُ ﴿يُكَوِّرُ﴾ ـ على هذا ـ معادلاً لقوله تعالى: ﴿يُولِجُ﴾[٥]، ضِدّاً له.

وقال أَبو عبيدة: هما بمعنى واحد[٦]، وهذا من قوله تقريب لا تحرير.

و«تسْخيرُ الشمس»: دَوَامُها على الجري واتِّساقُ أَمرها على ما شاءَ الله تعالى، و«الأَجَلُ المُسَمَّى»: يحتمل أَن يكون يوم القيامة حين تنفسد البِنْيَة ويزول جَرْيُ هذه

---

(١) في المطبوع والحمزوية: «بالتَّوالد».

(٢) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه والسليمانية وأحمد٣: «الاصطفاءِ».

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «حيز».

(٥) تكررت هذه الكلمة في عدة سور، منها: (الحج: ٦١)، (لقمان: ٩)، (فاطر: ١٣)، (الحديد: ٦).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ١٨٨).

الكواكب، ويحتمل أَن يريد أَوقاتَ مغيبها كل يوم وليلة، ويحتمل أَن يريد أَوقاتَ رجوعها إِلى قوانينها كُلَّ شهر في القمر وكل[(١)] سنة في الشمس.

قوله عزَّ وجل: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ⑥﴾.

«النفس الواحدة» المرادة في هذه الآية: هي نفس آدم عليه السلام، قاله قتادة، وغيره[(٢)].

ويحتمل أَن تكون اسم الجنس.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾ ظاهر اللفظ يقتضي أَن جعل الزوجة من النفس هو بعد أَن خَلَقَ الخَلْق منها، وليس الأَمر كذلك، واختلف الناسُ في تأْويل هذا الظاهر:

فقالت فرقة: قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو أَخْذ الذرِّيَّة من ظهر آدم، وذلك شيءٌ كان قبل خلْق حوَّاءَ منه.

وقالت فرقة: ﴿ثُمَّ﴾ إِنَّما هي لترتيب الإِخبار لا لترتيب المعاني، فكأَنه قال: ثم كان من أَمره قبل ذلك أَن جعل منها زوجها، وفي نحو هذا المعنى يُنْشَد هذا البيت:

[الخفيف] قُـلْ لِمنْ سـاد ثُـمَّ سـاد أَبُـوهُ ... ثُمَّ قدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِك جَدُّه[(٣)]

وقالت فرقة: قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ عبارة عن سبْق ذلك في علم الله تعالى، فلما كان ذلك أَمراً حتماً واقعاً ولا بُدَّ، حَسُنَ أَن يُخْبر عن تلك الحال التي كانت وثيقة، ثم عطف عليها حالة جعل الزوجة منها، فجاءَت معانٍ مترتبةً وإِن كان خروج خلْق العالَم من آدم إِلى الوجود إِنما يجيءُ بعد ذلك. وزَوْجُ آدَمَ: هي حوَّاءُ

(١) «كل» من الحمزوية.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥١٤).

(٣) البيت لأبي نواس كما في خزانة الأدب (١١/ ٤٠)، وبلا نسبة في الأزمنة والأمكنة (ص: ٣٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٠٥).

عليهما السلام، وخُلِقت من ضِلَعِهِ القصيرى فيما رُوي[١]، ويؤيد هذا الحديثُ الذي فيه: «إِنَّ المرأَة خلقت من ضِلَع أعوج[٢]، فإِن ذهبت تقيمه كسرته»[٣].

وقالت فرقة: خُلقت حواءُ من بقية[٤] طين آدم عليه السلام.

والأَول أَصح، وقد تقدم شرح ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾، قيل: معناه: إِن المخلوق الأَول من هذه الأنعام خُلق في السماءِ وأُهبط إِلى الأَرض.

وقالت فرقة: بل لما نزل الأَمر بخلْقه وإِيجاده من عند الله ـ وكانت العادة في نِعَم الله ورحمته وأَمطاره وغير ذلك أَن يُقال فيها: إِنها من السماءِ ـ عبَّر عن هذه بـ﴿أَنزَلَ﴾.

وقالت فرقة:/ لما كانت الأَمطارُ تنزل، وكانت الأَعشاب والنبات عن المطر وكانت هذه الأَنعام عن النبات في سمتها ومعاشها[٥] قال في هذه: ﴿أَنزَلَ﴾، فهو على التدريج، كما قال الراجز: [٥/ ١٨]

أَسْـنِـمَـةُ الآبَـالِ في رَبَـابِـهْ[٦] .... [الرجز]

وكما قال الشاعر:

.... تَعَالَـى النَّدَى فـي مَتْنِهِ وَتَحَـدَّرَا[٧] [الطويل]

---

(١) مرسل ضعيف، أخرجه الطبري (١/ ٤٤٦) من طريق ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مرسلاً ذكره عن النبي ﷺ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف، وهو مع ذلك مرسل.

(٢) من المطبوع.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في المطبوع وفيض الله: «نفس».

(٥) في المطبوع: «ومعانيها»، وفي السليمانية وأحمد٣: «سمنها» بدل «سمتها».

(٦) تقدم في تفسير الآية (٢٤) من (سورة الأعراف)، والآبالُ: جمع الإبل، والرَّباب بالفتح: سحابٌ أبيض، وسقط هذا الرجز من الحمزوية.

(٧) صدره: كثور العداب الْفَرد يضْربهُ الندى وهو لابن أَحْمَرَ كما في أدب الكاتب (ص: ٩٦)، وفقه اللغة العربية للصاحبي (ص: ٥٨)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٢)، والصحاح للجوهري (١/ ١٧٧)– =

وجعلها ثمانية أزواج؛ لأن كل واحد فيه زوجٌ للذكر من نوعه[١]، وهي: الضأن والمعز والبقر والإبل.

وقوله تعالى: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾؛ قال ابن زيد: معناه: يخلقكم في البطون خلقاً من بعد خلق آخر في ظهر آدم وظهور الآباء.

وقال مجاهد، وعكرمة، والسدي: يخلقكم في البطون رُتباً خلقاً من بعد خلق على المضغة والعلقة وغير ذلك[٢].

وقرأ عيسى بن عمر، وطلحة بن مصرف: ﴿يَخْلُقكُّم﴾ بإدغام القاف في الكاف في جميع القرآن[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ بضم الهمزة، وقرأ يحيى بن وثاب بكسرها، وهما لغتان[٤].

وقوله: ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾ قالت فرقة: الأولى: هي ظهر الأب، ثم رحم الأم، ثم المشيمة في البطن.

وقال مجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد: هي المشيمة والرحم، والبطن[٥].

وهذه الآية كلها هي معتبر وتنبيه [لهم على الخالق الصانع الذي لا يستحق العبادة غيره، وهذا كله في رد أمر الأصنام والإفساد لها. ثم قال تعالى لهم:][٦] ﴿ذَٰلِكُمُ

= المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٢٤)، وفي فيض الله وأكثر المصادر: «تعلَّى».

(١) في الأصل: «فرعه».

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٢٥٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١٥)، والأول في الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٠٠).

(٣) وهي سبعية للسوسي عن أبي عمرو، على قاعدته كما في التيسير (ص: ٢٢).

(٤) القراءتان سبعيتان، والثانية لحمزة والكسائي، وزاد حمزة كسر الميم، انظر التيسير (ص: ٩٤).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥٨ و٢٥٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١٥).

(٦) سقط من الحمزوية، وهو في أحمد٣ ملحق في الهامش وعليه تصحيح.

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾، وقد قامت على ذلك البراهين واتسقت الأدلة، ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾، أي: من أي جهة تضلون؟ وبأي سبب؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾.

قال ابن عباس: هذه الآية مخاطبة للكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، و(عباده) هم المؤمنون[1].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن تكون مخاطبة لجميع الناس، لأن الله غنيٌّ عن جميع الناس وهم فقراءُ إليه، وبَيَّن بُعْد البشر عن رضا الله إن كفروا، بقوله: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ﴾.

واختلف المتأولون من أهل السنة في تأويل قوله: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾:

فقالت فرقة: الرِّضا بمعنى الإرادة، والكلام ظاهره العموم ومعناه الخصوص فيمن قضى الله له بالإِيمان وَحَتَمه له، فعباده ـ على هذا ـ ملائكته ومؤمنو البشر والجن، وهذا يتركب على قول ابن عباس.

وقالت فرقة: الكلام عموم صحيح، والكفر يقع ممن يقع بإِرادة الله؛ إِلَّا أَنه بعد وقوعه لا يرضاه ديناً لهم، فهذا يتركَّب على الاحتمال الذي تقدم آنفاً، ومعنى لا يرضاه: لا يشكره لهم ولا يثيبهم به خيراً، فالرضا ـ على هذا ـ هو صفة فعل بمعنى القبول ونحوه، وتأَمل الإرادة فإِنها حقيقة إِنما هي فيما لم يقع بعد، والرضا فإِنما هو حقيقة فيما قد وقع، واعتبر هذا في آيات القرآن تجده، وإِن كانت العرب قد تستعمل في أَشعارها على جهة التجوز هذا بَدَلَ هذا.

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٦٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ عمومٌ، والشكر الحقيقي في ضمنه الإِيمانُ.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، والكسائي: ﴿يَرْضَهُو﴾ بضمة على الهاءِ مُشْبَعَة.

وقرأَ ابن عامر، وعاصم بضمة [على الهاء غير مشبعة](١)، واختلف عن نافع وأَبي عمرو.

وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿يَرْضَهْ﴾ بسكون الهاءِ(٢).

قال أَبو حاتم: وهو غلطٌ لا يجوز(٣).

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أَي: لا يحمل أَحدٌ ذنب أَحد، وأَنَّث (الوَازِرَة) و(الأُخرَى) لأَنه أَراد الأَنفس.

و«الوِزْرُ»: الثقل، وهذا خبر مُضَمَّنه الحضُّ على أَن ينظر كلُّ أَحَدٍ في خاصة أَمره، وما ينوبه في ذاته.

ثم أَخبرهم بأَن مرجعهم في الآخرة إِلى ربِّهم، أَيْ: إِلى ثوابه أَو عقابه، فيوقف كل أَحد على أَعماله؛ لأَنه المطلع على نِيَّات الصدور وسرائر(٤) الأَفئدة.

و«ذَاتُ الصَّدْرِ»: ما فيه من خبيئة، ومنه قولهم: الذئب مغبوط بذي بطنه(٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾.

---

(١) في أحمد٣ المطبوع بدلًا منه: «مختلَسَة»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٢) هذه ثلاث قراءات سبعية، الصلة لابن كثير والكسائي وابن ذكوان، والضم من غير صلة لنافع وعاصم وحمزة وهشام، والسكون لأبي عمرو بخلف عن الدوري، والوجه الثاني له الصلة، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والسبعة (ص: ٥٦٠)، والبدور الزاهرة (ص: ٢٧٤).

(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٩/ ١٨٧)، قال: وليس بغلط، بل ذلك لغة لبني كلاب وبني عقيل.

(٤) في الأصل: «وسائر»، وفي فيض الله: «وضمائر».

(٥) تقدم شرح هذا المثل مكرراً.

﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ في هذه الآية يرادُ به الكافر بدلالة ما وصفه به آخراً من اتخاذ الأَنْداد لله تعالى، وقوله تعالى ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾.

وهذه آيةٌ بيَّن تعالى بها على الكفار أنهم على كل حال يَلْجَؤون في حال الضرورات إِليه، وإِن كان ذلك عن غير يقين[1] منهم ولا إِيمان، فلذلك ليس بِمُعْتَدٍّ به.

و﴿مُنِيبًا﴾ معناه: مقارباً مراجعاً بصيرته.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً﴾ يحتمل أَن يريد: في كشف الضُّر المذكور.

ويحتمل أن يريد نعمة أَيَّ نعمة كانت، واللفظ يعم الوجهين.

و﴿خَوَّلَهُۥ﴾ معناه: مَلَّكَهُ وحكَّمه فيها ابتداءً منه لا مجازاةً، ولا يقال في الجزاءِ: خَوَّلَ، ومنه الْخَوَل، ومنه قول زُهَير:

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا المالَ يُخوِلُوا[2] .... [الطويل]

وهذه الرواية الواحدة، ويُرْوَى: يُسْتَخْبلُوا[3].

وقوله تعالى: ﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾؛ قالت فرقة: ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى: نسِيَ دعاءَه إليه في حال الضرر ورجع إِلى كفره، وقالت فرقة: ﴿مَا﴾ بمعنى الذي، والمراد بها اللهُ تعالى، وهذا كنحو قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣، ٥]، وقد تقع «ما» مكان «من» فيما لا يُحصى كثرةً من كلامهم.

ويحتمل أَن تكون ﴿مَا﴾ نافية، ويكون / قوله: ﴿نَسِىَ﴾ كلاماً تامّاً، ثم نفى [٥/ ١٩] أَن يكون دعاءُ هذا الكافر خالصاً لله ومقصوداً به من قَبْل النعمة، أَي في حال الضُّر.

---

(١) في أحمد٣: «تعين».

(٢) عجزه: وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا، وقد تقدم في تفسير الآية (٩٤) من (سورة الأنعام)، مع الإشارة للرواية الأخرى.

(٣) نقلها في مجاز القرآن (٢/ ١٨٩) عن يونس، ووردت أيضاً في العين (٤/ ٢٧٣)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٩٣)، وغيرهما.

ويحتمل أَن تكون ﴿مَا﴾ نافية، ويكون قوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ يريد به: من قَبْل الضَّرر، فكأَنه يقول: ولم يكن هذا الكافر يدعو في سائر زمنه قبل الضرر، بل أَلجأَه ضرره إِلى الدعاءِ.

و«الأَنْدَادُ»: الأَمثال[١] التي تضادُّ وتزاحم وتعارض بعضها بعضاً.

قال قتادة: المُرادُ: من الرجال يطيعونهم في معصية الله تعالى[٢].

وقال غيره: المرادُ: الأَوثانُ[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بضمِّ الياءِ، وقرأَها [بفتح الياءِ][٤] أَبو عمرو، وعيسى، وابن كثير، وشبل[٥].

ثم أَمر تعالى نَبِيَّه أَن يقول لهم ـ على جهة التهديد ـ قولاً يخاطب به واحداً واحداً[٦] منهم: ﴿تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ﴾؛ أَي: تَلَذَّذ به، واصنع ما شئت، والقليل هو عُمْرُ هذا المخاطب.

ثم أَخبره أَنه مِنْ أَصْحابِ النَّارِ، أَي: من سكانها والمخلَّدِين فيها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) في الأصل: «الأضداد»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٢) عزاه له في البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٨٨)، وفي الأصل: «مجاهد»، ولم أجده له، وإنما عزاه الطبري (٣/ ٢٨٠-٢١/ ٢٦٤)، والنحاس في معاني القرآن (٦/ ١٥٦) والقرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٣٨) لقتادة، والله أعلم.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٥٦)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ١٠٥).

(٤) في أحمد٣: «فتحها»، وفي الأصل: «الباقون».

(٥) فهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٢٦٧)، والتيسير (ص: ١٣٤).

(٦) «واحداً» الثانية سقط من الأصل.

قرأَ ابن كثير، ونافع، وحمزة: ﴿أَمَنْ﴾ بتخفيف الميم، وهي قراءَة أَهل مكَّة، والأَعمش، وعيسى، وشيبة بن نصاح، ورُويت عن الحسن، وضعَّفها الأَخفش، وأَبو حاتم[1].

وقرأَ عاصم، وأَبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، والحسن، والأَعرج، وقتادة، وأَبو جعفر: ﴿ أَمَّنْ﴾ بتشديد الميم[2].

فأَمَّا القراءة الأُولى فلها وجهان:

أَحدهما ـ وهو الأَظهر ـ: أَنَّ الأَلِفَ أَلِفُ تقرير واستفهام، كأَنه يقول: أهذا القانت خيرٌ أَم هذا المذكور الذي يتمتَّع بكفره قليلاً وهو من أَصحاب النَّار؟ وفي الكلام حذف يدل عليه سياق الآيات مع قوله آخراً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ونظيره قول الشاعر:

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ ... سواكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا[3] [الطويل]

ويوقف ـ على هذا التأويل ـ على قوله: ﴿رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾.

والوجه الثاني: أن يكون الألف[4] نداءً، والخطاب لأهل هذه الأوصاف، كأنه يقول لصاحب هذه الصفات: قل هل يستوي؟ فهذا السؤال بـ﴿هَلْ﴾ هو للقانت، ولا يوقف ـ على هذا التأويل ـ على قوله: ﴿رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾.

وهذا معنى صحيح إِلَّا أَنه أَجنبي من معنى الآيات قبله وبعده، وضعَّفه أَبو علي الفارسي[5].

---

(١) قال في البحر المحيط (٩/ ١٨٩): ولا التفات لتضعيف الأخفش وأبي حاتم لها. وفي أحمد٣ والسليمانية بدل «الأخفش»: «الأعمش».

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والنشر (٢/ ٣٦٢)، والسبعة (ص: ٥٦١).

(٣) البيت لامرئ القيس كما تقدم في تفسير الآية (١٨) من (سورة هود).

(٤) في الحمزوية: «الإنذار».

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٩٢).

وقال مكيٌّ: إنه لا يجوز عند سيبويه؛ لأَن حرف النداءِ لا يسقط مع المُبْهَم[(١)].

وليس كما قال مكي، أما مذهب سيبويه في أَن حرف النداءِ لا يسقط مع المُبْهم فَنَعَمْ؛ لأَنه يقع الإِلباسُ الكثير بذلك، وأَما أَن هذا الموضع سقط فيه حرف النداءِ فَلا والألف ثابتةٌ فيه ظاهرة.

وأَمَّا القراءَة بتشديد الميم فإِنها (أَمْ) دخلت على (مَنْ)، والكلام ـ على هذه القراءَة ـ لا يحتمل إِلَّا المعادلة بين صنفين، فيحتمل أَن يكون ما يُعادل (أَمْ) متقدماً في التقدير، كأَنه يقول: أَهذا الكافر خيرٌ أَمْ مَنْ، ويحتمل أَن تكون (أَمْ) قد ابتدأَ بها بعد إِضراب مقدر، ويَكُون المعادلُ في آخر الكلام، والأَوَّلُ أَبْيَن.

و«الْقَانِتُ»: المطيع، وبهذا فسَّر ابن عباس رضي الله عنه[(٢)]، والقُنوت في كلام العرب يقع على القراءَة، وعلى طول القيام[(٣)] في الصلاة، وبهذا فسَّرها ابن عمر رضي الله عنه[(٤)].

ورُوي عن ابن عباس أَنه قال: من أَحبَّ أَن يهوِّن الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره[(٥)] الله في سواد الليل ساجداً وقائماً[(٦)].

ويقع القنوت على الدعاءِ، وعلى الصمت عبادة.

---

(١) الهداية لمكي (٢/ ١٤٦٣).

(٢) أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» (٣/ ٢٣٠)، والطبري (٤/ ٣٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٧٧-٢٠/ ١٧٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٣) في المطبوع: الكلام.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٦٧) من طريق عبيد الله بن عمر العمري، عن نافع، عن ابن عمر، أنه كان إذا سُئل عن القنوت، قال: لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام، وقرأ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾.

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «فلْيُنَزِّه».

(٦) لم أهتد إليه.

ورَوَى أَبو سعيد عن النبي ﷺ: أَن القنوت الطاعة[١].

وقال جابر بن عبد الله: سُئل رسول الله ﷺ: أَيُّ الصلاة أَفضل؟ قال: «طول القنوت»[٢].

و«الآناءُ»: السَّاعاتُ، واحدها إِنًى كمِعًى، ومنه قولهم: لن يعدو شيءٌ إِناهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، على بعض التأْويلات في ذلك، ويُقال في واحدها أَيضاً: أَنًا، على وزن: قَفًا، ويقال فيه أيضا: إِنْيٌ؛ بكسر الهمزة وسكون النون، ومنه قول الهُذَلِيِّ:

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعِطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ   في كُلِّ إِنيٍ قضاه اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ[٣]   [البسيط]

وقرأَ الضحاك: (سَاجِدٌ وقَائِمٌ) بالرفع فيهما[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ معناه: يحذر حالها وهولها.

وقرأَ سعيد بن جُبَيْر: (يَحْذَرُ عَذَابَ الآخِرَةِ)[٥].

و﴿أُوْلُواْ﴾ معناه: أَصحاب الألباب، واحدهم: ذُو.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿قل يا عباديَ﴾ بفتح الياءِ.

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (١٨/ ٢٣٩)، وأبو يعلى (١٣٧٩)، والطبري (٤/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم (١١٢٨-٣٤٩٢)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٩)، والطبراني في الأوسط (٥١٨١) من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد به، بلفظ: «كُلُّ حَرْفٍ فِي الْقُرآنِ يُذْكَرُ فِيهِ الْقُنُوتُ فَهُوَ الطَّاعَةُ»، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم ـ وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٦).

(٣) البيت للمُتَنَخِّل الهذلي، يرثي ابنه أُثَيْلَة الذي مات في شبابه، وقد تقدم في تفسير الآية (١١٣) من (سورة آل عمران)، وفي نجيبويه وفيض الله ونور العثمانية: «حداه»، وفي الحمزوية: «حداة»، وفي أحمد٣: «حذاه».

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٣).

(٥) انظر عزوها له في معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٥٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٤).

وقرأ أَبو عمرو، وعاصم، والأَعمش: ﴿يا عبادي﴾ بياء ساكنة.

وقرأ أَبو عمرو، وعاصم أَيضاً، والأعمش، وابن كثير: ﴿يَٰعِبَادِ﴾ بغير ياءٍ في الوصل[١].

ويُروى: أَن هذه الآية نزلت في جعفر بن أَبي طالب رضي الله عنه وأصحابه حين عزموا على الهجرة إِلى أَرض الحبشة[٢].

وَوَعَدَ تعالى بقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلقاً بـ﴿أَحْسَنُواْ﴾، وكأَنه يريد: إِنَّ الذين يحسنون في الدنيا لهم حسنة في الآخرة، وهي الجنة والنعيم، قاله مقاتل[٣].

ويحتمل أَن يريد: إِنَّ الذين يحسنون لهم حَسنَةٌ في الدنيا، وهي العافية والظهور[٤] وولاية الله تعالى، قاله السدي[٥]، وكان قياس قوله أَن يكون ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ متأَخراً، ويجوز تقديمه، والقول الأَول أَرجح، وهو أَن الحسنة هي في الآخرة.

و(أَرضُ الله) يريد بها: البلاد المجاورة التي تقتضيها القصة التي الكلام فيها.

وهذا حضٌّ على الهجرة، ولذلك وصف / الله الأَرضَ بالسَّعَة. [٥/ ٢٠]

---

(١) وقع خلط في بيان هذه القراءة؛ فهي محذوفة باتفاق، من طرق التيسير والدرة، ونقل في جامع البيان (٤/ ١٥٤١) فتحها عن الشموني والتيمي عن الأعشى وضرار عن يحيى عن شعبة، وابن بكّار عن أيوب عن ابن عامر، وسكونها عن قتيبة عن الكسائي، ونقله في الكامل (ص: ٤٣٩) عن البرجمي، وفي إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٨١) أن أبا العلاء انفرد به عن رويس. وفي الحمزوية: «أبو بكر» بدل «أبي عمرو» الأول.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٤٠) ولم أقف عليه مسنداً.

(٣) بلا نسبة في تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١١٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣١٠) وانظر: تفسير الثعالبي (٤/ ٥١).

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «والطهور».

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣١٠).

وقال قوم: أَراد بالأَرض هنا الجنة، وفي هذا القول تحكم لا دليل عليه.

ثم وَعَدَ تعالى على الصبر على المكاره، والخروج عن الوطن، ونُصرة الدين، وجميع الطَّاعات، بأَن الأَجر يُوَفَّى بغير حساب، وهذا يحتمل معنيَيْن:

أَحدهما: أَن الصَّابر يُوَفَّى أَجره ثم لا يُحاسب عن نعيم ولا يُتَابع بذنوب، فيقع ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ في هذه الآية على الجماعة التي ذكرها النبي ﷺ أَنها تدخل الجنة دون حساب، وفي قوله: «يدخل الجنَّة من أُمَّتي سبعون أَلْفاً بغير حساب؛ هم الذين لا يتطيَّرون ولا يَكْتَوُونَ ولا يَسْتَرْقون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»(١)، الحديث على اختلاف ترتيباته.

والمعنى الثاني: أَن أُجور الصابرين تُوَفَّى بغير حصْر ولا عَدٍّ، بلْ جزافاً، وهذه استعارة للكثرة التي لا تُحصى، ومنه قول الشاعر:

مـا تَمْنَعـي يَقْظَـى فَقَـدْ تُعْطِينَـهُ ... في النَّوم غير مسرد محْسُوبِ(٢) [الكامل]

وإلى هذا التأْويل ذهب جمهور المفسِّرين، حتى قال قتادة: ليس ثَمَّ والله مكيال ولا ميزان(٣).

وفي بعض الحديث: أَنه لما نزلت ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، قال النبي ﷺ: «اللهم زِدْ أُمَّتي»، فنزلت بعد ذلك: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٧٠٥) من حديث ابن عباس، ومسلم (٢١٨) من حديث عمران بن حصين.

(٢) البيت لقيس ابن الخَطِيم كما في الاشتقاق (ص: ٣٤)، وقواعد الشعر (ص: ٣٣)، وأمالي القالي (٢/ ٢٧٣)، وديوان المعاني (١/ ٢٧٦). وفي السليمانية: «تقضى... في اليوم»، وفي المطبوع ونور العثمانية وفيض الله والحمزوية وأحمد٣: «مُصَرَّدِ» وأشار لها في هامش الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٠)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣١١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٥)، وتفسير الثعالبي (٤/ ٥٢).

فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فقال: «اللهم زِدْ أُمَّتي»، حتى نزلت: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾، فقال: «رَضِيتُ يا رَب»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه في هذه الآية بأَن يصدع للكفار فيما أُمر به من عبادة ربِّه.

وقوله: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ﴾، معناه: وأُمرت بهذا الذي ذكرتُ لكي أَكون أَول من أَسلم من أَهل عصري وزمني، فهذه نعمة من الله تعالى عليه، وتنبيهٌ منه له.

وقوله: ﴿أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ﴾ فعل معلَّق بشرط وهو العصيان، وقد عُلم أنه ﷺ معصوم منه، ولكنه خطابٌ لأُمَّته، يَعُمُّهم حكمه ويخيفهم وعيده.

وقوله تعلى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ﴾ تأْكيد للمعنى الأَول، وإِعلامٌ بامتثاله كله للأَمر، وهذا كلُّه نزل قبل القتال؛ لأَنها موادعات.

وقوله: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ صيغة أَمْر على جهة التهديد، كنحو قوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقوله: ﴿تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ﴾ [الزمر: ٨]، وهذا كثير.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ في موضع رفع خبرٌ لـ﴿إِنَّ﴾.

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٤٨)، والطبراني في الأوسط (٥٦٤٥)، والإسماعيلي في معجمه (٢٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٨٠) من طريق عيسى بن المسيب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «رب زد أمتي» فنزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ قال رسول الله ﷺ: «رب زد أمتي» فنزلت: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾. بدون قوله «رَضِيتُ يا رَب»، وعيسى بن المسيب البجلي الكوفي ضعيف، وانظر «الميزان» (٣/ ٣٢٣).

وقوله: ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ قيل: معناهُ أَنهم خسروا الأَهل الذي كان يكون[١] لهم لو كانوا من أَهل الجنة، فهذا كما لو قال: خَسِرُوا أَنفسهم ونعيمهم؛ أَي: الذي كان يكون لهم. وقيل: أَراد الأَنفس والأَهلين الذين كانوا في الدنيا؛ لأَنهم صاروا في عذاب النار، ليس لهم نفوسٌ مستقرة، ولا بدل من أهل الدنيا، ومَنْ له في الجنة قد صار له إما أَهله في الدنيا وإما غيرهم، على اختلاف فيما يُؤثر في ذلك، فهو على كل حالٍ لا خُسران معه البَتَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾.

هذه صفة حال أَهل جهنم.

و«الظُّلَّةُ»: ما غَشِيَ وعمَّ؛ كالسحابة وسقف البيت ونحوه، فأَمَّا ما فوقهم؛ فكونُه ظُلَّة بَيِّنٌ، وأَمَّا ما تحتهم؛ فقالت فرقة: سُمِّي ظُلَّة لأَنه يتلهب، ويصعد ممَّا تحتهم شيءٌ كثير ولهب حتى يكون ظُلَّة، فإن لم يكن فوقهم شيءٌ لكفى فرع الذي تحتهم في أَن يكون ظُلَّة.

وقالت فرقة: جعل ما تحتهم ظُلَّة لأَنهم فوق آخرين، وهكذا هي حالهم إلا[٢] الطبقة الأَخيرة التي في القعر.

وقوله: ﴿عِبَادَهُۥ﴾ يريد جميع العالم، خوَّفهم الله النَّار وحذَّرهم منها، فمن هدي وآمن نجا، ومن كفر حصل فيما خوَّف منه.

واختلفت القراءَة في قوله: ﴿يَٰعِبَادِ﴾، وقد تقدم نظيره[٣].

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «إِلى».

(٣) فيها هنا الإثبات وقفاً ووصلًا مفتوحة للسوسي بخلفه، والحذف في الحالين للباقين، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والنشر (٢/ ١٨٩)، وانظر الخلاف خارج طرقهما عن شعبة في جامع البيان (٤/ ١٥٤٥)، وعن ابن كثير في السبعة (ص: ٥٦١).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية؛ قال ابن زيد: إن سبب نزولها زيد ابن عمرو بن نفيل، وسلمان الفارسي، وأبو ذرٍ الغِفَارِي، والإِشارةُ إِليهم[١]. وقال ابن إِسحاق: الإِشارة بها إِلى عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أَبي وقاص، وسعيد بن زيد، والزُّبَيْر، وذلك أَنه لما أَسلم أَبو بكر سمعوا ذلك فجاؤوه فقالوا: أَسلمت؟ قال: نعم، وذكَّرهم بالله فآمنوا بأَجمعهم، فنزلت فيهم هذه الآية[٢]، وهي على كل حالٍ عامة في الناس إِلى يوم القيامة، يتناولهم حكمها.

و﴿الطَّاغُوتَ﴾: كلُّ ما يُعبد من دون الله.

و﴿الطَّاغُوتَ﴾ أَيضاً: الشيطان، وبه فسَّرها مجاهد، والسدي، وابن زيد[٣].

وأَوْقَعه هنا على جماعة الشياطين، ولذلك أَنَّثَ الضمير بعد[٤].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ كلام عام في جميع الأَقوال، وإِنما القصد الثناءُ على هؤلاءِ ببصائر هي لهم وقوام في نظرهم، حتَّى أَنهم إِذا سمعوا قولاً مَيَّزوه واتبعوا أَحسنه، واختلف المفسرون في العبارة عن هذا:

[٥/ ٢١] فقالت فرقة: أَحسن القول: كتاب الله؛ أَيْ: إِذا سمعوا الأَقاويل وسمعوا / القرآن اتَّبعوا القرآن، وقالت فرقة: الْقول: هو القرآن، وأَحْسَنَهُ: ما فيه من عفو وصفح واحتمال على صبر ونحو ذلك، وقال قتادة: أحسن القول: طاعة الله تعالى.

وهذه أَمثلة، وما قلناه أَوَّلاً يعمها[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٧).
(٢) الهداية لمكي (٩/ ٥٧٢٥ و١٠/ ٦٣١٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص ٢٤٧).
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٢٠).
(٤) في المطبوع بدلًا من «بعد»: «في يَعْبُدُوهَا».
(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٧).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَابِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾.

أَسقط العلامة التي في الفعل المسند إِلى الكلمة لوجهين:

أَحدهما: الحائل الذي بين الفعل والفاعل، ولو كان متَّصلاً به لم يحسن ذلك.

والثاني: أَن «الكلمة» غير مؤنث حقيقي، وهذا أَخف وأجوز[١] من قولهم: حضر القاضي اليوم امرأَةٌ؛ لأَن التأْنيث هنا حقيقي.

وقالت فرقة: في هذا الكلام محذوف اختصره لدلالة الظاهر عليه، تقديره: أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ تتأَسَّف أنت عليه؟ أَو نحو هذا من التقدير، ثم استأْنف توقيف[٢] النبي ﷺ على أنه يريد أَن ينقذ من في النار، أَي: ليس هذا إِليك.

وقالت فرقة: الأَلف في قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ إِنما هي مؤكدة زادها لطول الكلام، وإِنما معنى الآية: أَفمن حقَّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه؟ ولكنه زاد الأَلف الثانية توكيداً للأَمر، وأَظهر الضمير العائد تشهيراً لهؤلاءِ القوم، وإِظهاراً لِخِسَّة منازلهم وهذا كقول الشاعر:

لَا أَرى الْمَوْتَ يسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ[٣] .... [الخفيف]

وإِنما أَظهر الضمير تنبيهاً على عِظَم قدر الموت، وهذا كثير.

ثم استفتح إِخْبَاراً آخر بـ﴿لَٰكِنِ﴾، وهذه مُعادلَةٌ وتحضيض على التقوى لمن فكَّر وازدجر.

وقوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾؛ أَي: من تحت الغُرف، وعادلت: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: و«أَجود».

(٢) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «قوله لـ».

(٣) صدر بيت لعدي بن زيد العبادي، وقد تقدم في تفسير الآية (١٠٨) من (سورة آل عمران).

غُرَفٌ ﴾ ما تقدم [من الظلل فوقهم وتحتهم][(١)].

و«الغُرَفُ»: ما كان من المساكن مرتفعاً عن الأَرض، وفي الحديث: «إِن أَهل الجنة ليتَرَاءَوْنَ الغُرفَ من فوقهم كما تراءَوْن الكوكب الدُّرِّيَّ في الأُفق»[(٢)].

وقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر، ونصبه إِمَّا بفعل مضمر من لفظه، وإِمَّا بما تضمَّن الكلام قبْلُ من معنى الوعد على الاختلاف الذي للنحاة في ذلك.

ثم وقف نبيَّه ﷺ على معتبر من مخلوقاته، والخطاب للنبي ﷺ وكلُّ بشر داخلٌ معه في معناه، وقال الطبريُّ وغيره: أَشار إِلى ماءِ المطر، وقالوا: العيونُ منه، ودليل ذلك: أنها تنماع[(٣)] عند وجوده وتيْبَس عند فقده[(٤)].

وقال الحسنُ بن مُسْلم [بنُ يَنَّاقٍ][(٥)]: الإِشارة إلى العيون، وليست العيون من المطر، ولكنْ ماؤُها نازل من السماءِ[(٦)].

[وقال الشعبي: وكل ماءٍ عذب في الأَرض فمن السماءِ][(٧)] نزل.

قال القاضي أبو محمد: والقولان متقاربان.

و(سَلَكَهُ) معناه: أَجراهُ وأدخله، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] حتَّى سَلَكْنَ الشَّوى مِنْهُنَّ في مسكٍ ... مِـنْ نَسْـلِ جَوَّابَةِ الآفَـاقِ مِهْداج[(٨)]

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: من قوله سبحانه: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) يَنْماع: يَسيل.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٦).

(٥) سقط من السليمانية، وفي نور العثمانية وأحمد٣: «بن بيان»، وفي الحمزوية: «من ساق»، وهو الحسن بن مسلم بن يناق المكي، ثقة، توفي في حياة والده، حدث عن وطاوس، ومجاهد، وعنه: سليمان التيمي، وثقه ابن معين، مات بعد المئة. تاريخ الإسلام (٧/ ٦٣).

(٦) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٦) وفيه أنه: ابن بيان.

(٧) سقط من أحمد٣، وانظر قول الشعبي في تفسير الطبري (٢١/ ٢٧٦).

(٨) البيت لأبي وَجْزَة السَّعْدي، كما تقدم في تفسير الآية (١٢) من (سورة الحجر).

ومنه قول امرئ القيس:

نَطْعُنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً [كَرَّكَ لأْمَيْنِ عَلَى نَابِلِ][1] [السريع]

وواحد الينابيع: ينبوع، وهو العيْن يُبْنى لها بناءٌ، مبالغة من النبع.

و«الزَّرْعُ» هنا واقع على كل ما يُزرع.

وقالت فرقة: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أَعراضه من الحمرة والصُّفرة وغير ذلك.

[وقالت فرقة: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أنواعه من القمح والأرز والذرة وغير ذلك][2].

و﴿يَهِيجُ﴾: يَيْبس، هاج الزرع والنبات: إذا يبس، ومنه قول عليٍّ رضي الله عنه في الحديث الذي في «غريب ابن قتيبة»: ذِمَّتي رهينة، وأَنا به زعيم أَن لَّا يَهِيج على التَّقْوَى زرعُ قوم، ولا يَيْبَس على التَّقوى سنخ أَصلٍ[3]، الحديث.

و«الحُطَامُ»: اليابس المتفتت، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أَي: للبعث من القبور وإِحياءِ الموتى على ما يوجبه[4] هذا المثال المذكور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٢) ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾.

---

(١) عزاه له في تأويل مشكل القرآن (ص: ٦٤)، والاشتقاق (ص: ٣٨٢)، والجيم (٣/ ٢١٩). والشطر الثاني من المطبوع وأحمد٣.

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ١٢٠) من طريق ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن علي ابن أبي طالب به مطولاً، وعبد الله بن لهيعة ضعيف، وابن هبيرة لم يدرك علياً رضي الله عنه، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٠٤-٥٠٥) من طريق خالد بن طليق، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب به، بنحوه، وخالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين الخزاعي قال فيه الدارقطني: ليس بالقوي. اهـ. وأبوه مستور. وفي المطبوع بدل «سنخ» نقاط، قال في الحاشية: كلمة غير واضحة في الأصول.

(٤) في المطبوع والحمزوية: «يوحيه».

رُوي أَن هذه الآية: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَـٰمِ﴾ الآية، نزلت في عليٍّ وحمزة وأَبي لهب وابنه، وهما اللَّذان كانا من القاسية قلوبهم[(١)].

وفي الكلام محذوف يدلُّ عليه الظاهر، تقديره: أفمن شرح الله صدره كالقاسي القلب والمُعْرِض عن أَمر الله.

و«شرح الصدر» استعارة لتحصيله للنظر الجيد والإِيمان بالله.

و«النُّورُ»: هداية الله تعالى، وهي أَشبه شيءٍ بالضوءِ.

قال ابن مسعود: قُلْنا: يا رسول الله، كيف انشراح الصدر؟ قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، قالوا: وما علامة ذلك؟ قال: «الإِنابة إِلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأَهب للموت [قبل الموت]»[(٢)].

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٤٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٢٥).

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣، وفي السليمانية: «قبل نزوله»، وفي نور العثمانية: «قبل الفوت».
والحديث ضعيف، أخرجه الطبري (٩/ ٥٤٢-٥٤٣) من طريق سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني، عن محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، بنحوه، وسعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني ضعيف؛ قال أبو حاتم: يتكلمون فيه يقال أنه أخذ كتباً لمحمد بن سلمة فحدث بها ورأيت فيما حدث كذب. انظر ترجمته في الجرح والتعديل (٤/ ٤٥)، ولسان الميزان (٣/ ٣٧)، وقد اختلف على عمرو بن مرة، فرواه عنه أبو عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، كما تقدم، وخالفه يزيد بن سنان، فرواه عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود به، وقد أخرج هذه الرواية البيهقي في القضاء والقدر (٣٣٤)، وفي الزهد الكبير له (٩٨٣)، وقد رواه وكيع، عن المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود ذكره الدارقطني في العلل (٥/ ١٨٩) وقال: وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر عبد الله ابن المسور مرسلاً، عن النبي ﷺ كذلك قاله الثوري، وعبد الله بن المسور بن جعفر بن أبي طالب متروك. اهـ، أما رواية الثوري أخرجها الطبري (٩/ ٥٤٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وقد تابع الثوري الأعمش كما عند ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٤٥٥)، والحسن بن الفرات عند ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨٧٢)، وسليمان التيمي عند الطبري (٩/ ٥٤١)، وأخرجها عبد الرزاق =

و«القَسْوَة»: شدة القلب، وهي مأْخوذة من قسوة الحجر، شبَّه قلب الكافر به في ضلالته[١]، وقلة انفعاله للوعظ.

وقال مالك بن دينار: ما ضُرب عبْدٌ بعقوبةٍ أَعظم من قسوة قلب[٢].

ويدلُّ قوله: ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ﴾ على المحذوف المُقَدَّر.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يريد به القرآن / . [٥/ ٢٢]

وروي عن ابن عباس: أَنَّ سبب هذه الآية: أَن قوماً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، حدِّثْنَا بأَحاديث حسانٍ، وأَخبرنا بأَخبار الدهر، فنزلت الآية في ذلك[٣].

وقوله: ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ معناه: مستوياً لا تناقض فيه ولا تدافع، بل يشبه بعضه بعضاً في رصف[٤] اللفظ، ووثاقة البراهين، وشرف المعاني؛ إِذ هي اليقين في العقائد في الله تعالى وصفاته وأَفعاله وشرعه.

وقوله: ﴿مَّثَانِيَ﴾ معناه: موضع تثْنِيَةٍ للقصص والأَقضية والمواعظ، تُثَنَّى فيه ولا تُمَلُّ مع ذلك، ولا يعرضها ما يعرض الحديث المعاد، قال ابن عباس: ثني فيه الأَمر مراراً[٥].

ولا ينصرف (مَثَانِيَ) لأَنه جمع لا نظير له في الواحد.

= في تفسيره (١/ ٢١٧)، والطبري (٩/ ٥٤١) من طريق الثوري، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن مرة به، ويؤيده رواية خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن مسور به، أخرجه سعيد بن منصور (٩١٨)، والطبري (٩/ ٥٤٣) في تفسيريهما من طريق سفيان بن عيينة، عن خالد بن أبي كريمة، به، ومن طريق سعيد بن منصور أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٦)، وله طرق أخرى لا يصح منها شيء.

(١) في الأصل والحمزوية: «ضلالته».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٠).

(٣) بهذا اللفظ لم أقف عليه، وانظر تفسير الطبري (١٣/ ٧).

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «رصانة».

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ عبارة عن قَفِّ[١] شَعْر الإِنسان عندما يداخله خوف، ولينُ قلب عند سماع موعظة أَو زجر قرآن ونحوه، وهذه علامة وقوع المعنى المخشع في قلب السامع.

وفي الحديث: أَن أُبَيَّ بن كعب قرأَ عند النبي ﷺ فرَقَّت القلوب، فقال النبي ﷺ: «اغتنموا الدعاءَ عند الرقَّة فإِنها رحمة»[٢].

وقال العباس بن عبد المطلب: قال النبي ﷺ: «من اقشعر جلده من خشية الله تحاتَّت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة[٣] اليابسة ورقها»[٤].

وقالت أَسماءُ بنت أَبي بكر: كان أصحاب الرسول ﷺ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن، قيل لها: إِن أَقواماً اليوم إِذا سمع أَحدهم القرآن خرَّ مغشيّاً عليه، فقالت: أَعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٥].

---

(١) في المطبوع: «وقف».

(٢) منقطع، أخرجه ابن شاهين في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٤)، والقضاعي في مسنده (٦٩٢) من طريق شبابة بن سوار الفزاري، عن محمد بن مطرف، عن زيد بن أسلم، عن أبي بن كعب به، وهذا إسناد منقطع لعدم سماع زيد بن أسلم من أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) من نجيبويه والسليمانية وفيض الله ونورالعثمانية.

(٤) ضعيف، أخرجه أبو يعلى في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٧٠٩٤) وقال البوصيري: وسنده ضعيف.اهـ، لأنه من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني فإنه متهم بسرقة الحديث، ولجهالة أم كلثوم بنت العباس، وأخرجه البزار في مسنده (١٣٢٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٢٧٦)، والطبراني كما في الإصابة (٨/ ٢٩٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٥٥١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٥٦) من طريق عبد العزيز بن محمد الداراوردي، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أم كلثوم بنت العباس، عن أبيها به، وأخرجه ابن منده كما في الإصابة (٨/ ٢٩٥) من طريق الداروردي، عن محمد بن إبراهيم، عن أم كلثوم بنت العباس، مرفوعاً بدون ذكر أبيها، قال الحافظ: والصواب بذكر أبيها، وانظر السلسلة الضعيفة (٢٣٤٢).

(٥) لا يثبت اتصاله، أخرجه المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٠١٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٩/ ١٩-٢٠) من طريق هشيم، عن حصين، عن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن جدته =

وقال ابن عمر ـ وقد رأَى ساقطاً عند سماع القرآن ـ ، فقال: إِنَّا لنخشى الله وما نَسْقُط، هؤلاء يدخل الشيطان في جوف أحدهم[١].

وقال ابن سيرين: بيننا وبين هؤلاءِ القوم الذين يصرعون عند قراءَة القرآن أَن يُجعل أَحدهم على حائط باسطاً رجليه، ثم يُقرأُ عليه القرآن كلُّه، فإِن رمى بنفسه فهو صادق[٢].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى القرآن، أَي: ذلك الذي هذه صفته هُدَى الله، ويحتمل أَن يشير إِلى الخشية واقشعرار الجلد، أَي: ذلك أَمارة هُدَى اللَّهِ.

ومن جعل: ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ في موضع الصفة لم يقف على ﴿مَّثَانِيَ﴾.

ومن جعله مُسْتَأْنَفاً وإِخباراً منقطعاً وقف على ﴿مَّثَانِيَ﴾. وباقي الآية بيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

هذا تقرير بمعنى التعجُّب، والمعنى: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ يوم القيامة كالمنعمين في الجنة؟ واختلف المتأَولون في قوله: ﴿يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾:

فقال مجاهد: يخر[٣] على وجهه في النار[٤].

= أسماء به. وهشيم كثير التدليس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢/ ٦٤٩) لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم.

(١) منقطع، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢١٤)، وأحمد في الزهد (ص: ١٩٣) من طريق سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، قال: سمعت أبا حازم يقول: مر ابن عمر برجل ساقط من أهل العراق فقال: ما شأنه؟ قالوا: إنه إذاقرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال: إنا لنخشى الله وما نسقط. وأبو حازم هو سلمة بن دينار ثقة عابد، ولكنه لم يسمع من ابن عمر، ينظر جامع التحصيل (٢٥٥).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣١).

(٣) في المطبوع: «يجثو»، وفي أحمد٣ ونور العثمانية: «يجر».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٢٨١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٢٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٢).

وقالت فرقة: ذلك لِمَا رُوي أَن الكافر يُلقى في النَّار مكتوفاً مربوطة يداه إِلى رجليه مع عنقه، ويُكَبُّ على وجهه، فليس له شيءٌ يتَّقي به إِلَّا الوجه.

وقالت فرقة: المعنى صفة كثرة ما ينالهم من كثرة[١] العذاب، وذلك أَن يتَّقيه بجميع جوارحه، [ولا يزال العذاب يتزيد حتى يتقيه بوجهه الذي هو أشرف جوارحه][٢] وفيه حواسُّه، فإِذا بلغ به العذابُ إِلى هذه الغاية ظهر أَنه لا متجاوز بعدها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا المعنى عندي أبين بلاغة، وفي هذا المضمار يجري قول الشاعر:

[الكامل] يَلْقَى السُّيُوفَ بِوَجْهِهِ وبِنَحْرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمِغْفَرِ[٣]

لأَنه إِنما أَراد عظيم جرأته عليها، فهو يلقاها بكُلِّ مِجَنٍّ، وبكُلِّ شيءٍ منه حتَّى بوجهه وبنحره.

وقوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ﴾ عبارة عن: باشروا، وهنا محذوف تقديره: جَزَاءَ ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ.

ثم مثَّل لقريش بالأُمم السالفة، ثم أَخبر بما نال تلك الأُمم من كونها في الدنيا أَحاديث مُلَعَّنة، ولا خزي[٤] أَعظم من هذا، مع ما نال نفوسهم من الأَلم والذُّلِّ والكرب.

ثم أَخبر أَن ما أُعِدَّ لهم من عذاب الآخرة أَكبر من هذا كله الذي كان في الدنيا.

---

(١) من المطبوع وأحمد٣.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) عزاه الأفطسي في المجموع اللفيف (ص: ٤٧٢) لخالد بن جعفر بن كلاب، وفي الحماسة البصرية (١/ ٢٠) أنه لعبد الْملك بن مُعَاوِيَة الحارثي، قال: وَقد رَوَاهَا الْبَعْض لحجين بن حجر الغساني، وورد في نهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ٢٠٣) من قصيدة لعبد الله بن المعتز، وفي سمط اللآلي (١/ ١٨٢) أنه ينسب إلى ابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من شعراء الدولتين، ونسبه في ديوان المعاني (١/ ٤٧) لبعض الإسلاميين، وفي زهر الآداب (٤/ ٩١٤) لأعرابي، والله أعلم.

(٤) في المطبوع: «وأخرى».

قوله: ﴿قُرْءَانًا﴾، قالت فرقة: هو نصب على الحال، وقالت فرقة: نصب على المصدر.

و﴿عَرَبِيًّا﴾ حالٌ، وقالت فرقة: نصب على التوطئة للحال، والحال قوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾.

ونفى عنه العوج؛ لأَنه لا اختلاف فيه ولا تناقض ولا مغمز بوجه، واختلفت عبارة المفسرين:

فقال عثمان بن عفان: المعنى: غير متضاد.

وقال ابن عباس: غير مختلف[١].

وقال مجاهد: غير ذي لَبْس[٢].

وقال السدي: غير مخلوق[٣].

وقال بكر بن عبد الله المزني: غير ذي لحن[٤].

و«الْعِوَج» بكسر العين في الأَمر والمعنى، وبفتحها في الأَشخاص.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

لما ذكر عز وجل أَنه ضرب للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل مُجْمَلاً، جاءَ بعد ذلك بِمَثَل في أَهم الأُمور وأعظمها خطراً وهو التوحيد، فمثَّل تعالى الكافر العابد

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣) بغير سند.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٢٨٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٢٤)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٣٢)، وفي الأصل: «قرأ مجاهد».

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣)، وتفسير البغوي (٤/ ٨٧)، وعزاه أكثر المفسرين لابن عباس.

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣).

للأَوثان والشياطين بِعَبْدٍ لرجالٍ عدَّة، في أَخلاقهم شَكَاسَةٌ ونقْصٌ وعَدَم مسامحة، فهم لذلك يُعَذِّبون ذلك العبد بأَنهم يتضايقون في أَوقاتهم، ويُضايقون هذا العبد في كثرة العمل، / فهو أَبداً دائب ناصب، فكذلك عابد الأَوثان، الذي يعتقد أَن ضرَّه ونفعه عندها هو معذب الفكر بها، وبحراسة حاله منها، ومتى أَرضى صنماً منها بالذبح له في زعمه تفكَّر فيما يصنع مع الآخر، فهو أَبداً في تعب وضلال، وكذلك هو المُصانع للناس، المُمْتَحن بخدمة الملوك. [٥/ ٢٣]

ومثَّل تعالى المؤمنَ بالله وحده بِعَبْد لرجلٍ واحدٍ يكلفه شغله، فهو يعمله على تؤدة، وقد ساسَ مولاه، فالمولى يغفر زلَّته، ويشكره على إِجادة عمله.

وقوله: ﴿ضَرَبَ﴾ مأْخوذٌ من الضريب الذي هو الشَّبيه، ومنه قولهم: هذا ضَرْب هذا، أَي: شبهه.

و﴿مَثَلًا﴾ مفعول بـ﴿ضَرَبَ﴾، و﴿رَّجُلًا﴾ [نصب على البدل][1]، قال الكسائي: وإِن شئتَ على إِسقاط الخافض، أَي: مثلاً لرجل، أَو في رجل[2]، وفي هذا نظر.

و﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾ معناه: لا سَمْحَ في أَخلاقهم، بل فيها لجاجٌ ومتابعةٌ ومحادقة، ومنه قول الشاعر:

[الرجز]

خُلِقْتُ شَكْساً لِلأَعَادِي مِشْكَساً أكوي السريين وأحسم النسا
من شاء من حر الجحيم استقبسا[3] ....

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرٍو: ﴿سَالِماً﴾ على معنى اسم الفاعل، بمعنى: سلم من الشركة فيه، قال أَبو عمرٍو: معناه: خالصاً، وهذه بالأَلف قراءَة ابن مسعود، وابن عباس،

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «بدل».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣)، وتفسير البغوي (٤/ ٨٧).

(٣) الأبيات في الحجة لأبي علي (٦/ ٩٤) بلا نسبة، وتقدم الأخير منها في أول (سورة النمل). وسقط هو وما قبله من المطبوع.

ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجحدري، والزهري، والحسن بخلاف عنه.

وقرأَ الباقون: ﴿سَلَمًا﴾ بفتح السين واللام، وهي قراءَة الأَعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، وأَبي رجاءٍ، وطلحة، والحسن بخلاف[١].

وقرأَ سعيد بن جُبَيْر: (سِلْماً) بكسر السِّين وسكون اللام[٢].

وهما مصدران وصف بهما الرجل، بمعنى: خالصة وأَمْراً قد سَلِمَ له.

ثمَّ وقف الكفار بقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، ونصب ﴿مَثَلًا﴾ على التمييز، وهذا توقيف لا يُجيب عنه أَحدٌ إِلَّا بأَنهما لا يستويان، فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على أَنهم قد جاوبوا، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: على ظهور الحُجَّة عليكم من أَقوالكم، ثمَّ قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فأَضرب عن مُقَدَّرٍ محذوف يقتضيه المعنى، تقديره: الحمد لله على ظهور الحُجَّة، وأَن الأَمر ليس كما يقولون، بل أَكثرهم لا يعلمون.

و(أَكْثَرُ) في هذه الآية على بابها، لأَنا وجدنا الأَقل منهم عَلِم أَمر التوحيد وتكلَّم به، ورفض أَمر الأَصنام؛ كَوَرَقَة، وزَيْدٍ، وقُسٍّ.

ثم ابتدأَ القول معهم في غرض آخر من الوعيد بيوم القيامة والخصوم فيه، ومن التحذير من حال الكَذَبَة على الله، المكَذِّبينَ بالصدق، فقدم تعالى لذلك توطئة مُضَمَّنُهَا وعْظُ النفوس وتَهْيِئَتُهَا لقبول الكلام وخوف[٣] التوعد، وهذا كما تريد أَن تنهى إِنساناً عن معاصيه، أو تأْمره بخير، فتفتتح كلامك بأَن تقول: كلُّنا يفنى، ولا بُدَّ للجميع من الموت، أَو كلُّ من عليها فانٍ، ونحو هذا مِمَّا توقن[٤] به نفس الذي تحاور[٥]، ثم بعد هذا تورد قولك.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والسبعة (ص: ٥٦٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣).

(٢) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٣).

(٣) في الأصل: «حذف».

(٤) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣ وفيض الله والسليمانية: «تُرَقِّق».

(٥) في المطبوع: «تحادثه»، وفي أحمد٣: «تجاوب»، وفي نور العثمانية: «تجاوز»، وفي فيض الله: «تجاور».

فأَخبر تعالى أَن الجميع مَيِّتٌ، وهذه قراءَة الجمهور.

وقرأَها: (مَائِتٌ) و(مَائِتُونَ) بأَلفٍ: ابنُ الزبير، وابن محيصن، وابن أَبي إِسحاق، واليماني، وعيسى بن عمر، وابن أَبي عقرب، وابن أَبي عبلة[١].

والضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ لجميع العالم، دخل رجل على صِلَة بن أَشْيَم[٢] فنَعَى إِلَيْهِ أخاه، وبين يَدَيْ صِلَةَ طعام، فقال صِلَةُ للرجل: ادْنُ فكُلْ، فَإِنَّ أخي قد نُعي إِليَّ منذ زمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٣].

والضمير في ﴿إِنَّكُمْ﴾ قيل: هو عامٌّ أَيضاً، فيختصم يوم القيامة المؤمنون والكافرون فيما كان من ظلم الكافرين لهم في كل موطن ظلموا فيه، ومن هذا قول عليٍّ بن أبي طالب: أَنا أَول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الرحمن، فيختصم عليٌّ، وحمزة، وعبيدة بن الحارث مع عُتْبَة، وشَيْبَة، والوليد، ويختصم أيضاً المؤمنون بعضهم مع بعض في ظُلامَاتِهِم، قاله أَبو العالية[٤] وغيره.

وقال الزبير بن العوام للنبي ﷺ: أَيُكْتَب علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم، حتى يُؤَدَّى إِلى كل ذي حقٍّ حقَّه»[٥].

---

(١) وهما شاذتان، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٢٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٤).

(٢) هو صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوي البصري، العابد من سادة التابعين، يروى له عن ابن عباس حديث واحد، روى عنه الحسن البصري، وزوجته معاذة العدوية، وثابت البناني، وحميد بن هلال، وغيرهم حكاياتٍ. تاريخ الإسلام (٥/ ١٢٧).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٣٧)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٢٨١).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٢٨٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٥).

(٥) إسناده لين واختلف فيه، أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٦٤-١٦٧)، والحميدي (٦٢)، والترمذي (٣٢٣٦)، وأبو يعلى (٦٦٨)، والبزار (٩٦٤-٩٦٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٠-٤٣٦-٤/ ٥٧١)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٩٣) من طريق محمد بن عمرو الليثي، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه به، بنحوه، رواه كذلك عن محمد بن عمرو: ابن عيينة ومحمد بن عبيد الطنافسي وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبد الله الأنصاري، عن محمد بن عمرو. =

وقال عبد الله بن عمر: لما نزلت هذه الآية قلنا: كيف نختصم ونحن إِخوان؟ فلما قُتِلَ عثمان، وضرب بعضنا وجوه بعض بالسيوف قلنا: هذا الخصام الذي وعدنا ربنا[١].

ويختصم أَيضاً ـ على ما رُوي ـ الروح أيضاً مع الجسد في أَن يُذَنِّب كل واحد منهما صاحبه، ويجعل المعصية في حيِّزه، فيحكم الله تعالى بشركتهما في ذلك[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ومعنى الآية عندي: أَن الله تعالى توعدهم بأَنهم سيتخاصمون يوم القيامة في معنى ردِّهم في وجه الشريعة، وتكذيبهم لرسول الله ﷺ إليهم.

ثم وقفهم الله تعالى توقيفاً معناه نَفْي الْمُوقَف عليه بقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن﴾؛ أَي: لا أَحد أَظلم ممن كَذَب على الله، والإِشارة بهذا الكذب لقولهم: إِنَّ لله صاحبة وولداً، وقولهم: إن كذا حرامٌ وإن كذا حلالٌ، افتراءً على الله تعالى.

وكذَّبوا أَيضاً بالصِدْق، وهو تكذيبهم أَقوال محمد ﷺ عن الله تعالى، ما كان من ذلك معجزاً أَو غير معجز، ثم توعَّدهم تعالى توعُّداً فيه احتقارهم بقوله على وجه التوقيف: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

والمَثْوَى: موضع الإِقامة.

= وقال عبدة بن سليمان وعبد الوهاب بن عطاء: عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب، عن عبد الله بن الزبير عن النبي ﷺ ـ ليس فيه عن أبيه. هكذا ذكره المزي في تحفة الأشراف، ومحمد بن عمرو هو ابن علقمة فيه لين، ولا يحتج به لا سيما إذا انفرد.

(١) صحيح لغيره بغير ذكر مقتل عثمان، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨٧ـ ٢٨٩)، وابن أبي حاتم (١٨٣٩٠)، والنسائي في الكبرى (١١٣٨٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٢٣-١٢٤)، وأبو عمرو الداني في السنن الوارده في الفتن (١٨) من طريق يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر به، بنحوه، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٥٧١-٥٧٢)، وأبو نعيم في الإمامة والرد على الرافضة (١٧٠) من طريق: هلال بن العلاء الرقي عن زيد ابن أبي أنيسة عن القاسم بن عوف الشيباني قال: سمعت ابن عمر، وجميع الروايات ليس فيها ذكر مقتل عثمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن منده في الروح كما في الدر المنثور (١٢/ ٦٦٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾.

[٥/ ٢٤] / قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ معادلٌ لقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ﴾، فـ(مَنْ) هناك للجميع والعموم، و(الَّذِي) هنا للجنس أَيضاً، كأنه قال: والفريق الذي جاءَ بعضه بالصدق، وصدَّق به بَعْضُهُ، ويستقيم المعنى واللفظ على هذا الترتيب.

وفي قراءَة ابن مسعود: (والَّذين جاءُوا بالصِّدقِ وصَدَّقوا به)[١].

و«الصدق» هنا: القرآنُ وأَنباؤه، والشَّرع بجملته.

وقالت فرقة: (الَّذِي) يراد به: الَّذينَ، وحذفت النون لطول الكلام، وهذا غير جيِّد، وتركيب ﴿جَآءَ﴾ عليه يردُّ ذلك، وليس كقَوْل الفرزدق:

[الكامل] .... إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ..........[٢]

ونظير الآية قول الشاعر:

[الطويل] وإِنَّ الَّذي حانَتْ بِفَلْج دِمَاؤُهُمْ هُمُ القومُ كُلُّ الْقَوم يـا أُمَّ خَالِدِ[٣]

---

(١) وهي شاذة، انظر الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٤١)، الشواذ للكرماني (ص: ٤١٤).

(٢) تمامه: أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا قَتَلا الْمُلُوكَ وفَكَّكَا الأَغْلالا، عزاها له في توضيح المقاصد (١/ ٤٢٠)، والصحيح أنه للأخطل، كما في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٩٦)، والاشتقاق (ص: ٣٣٨)، والمقتضب (٤/ ١٤٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٩)، والموشح للمرزباني (ص: ١٧٤)، والمحتسب (٢/ ٨٠)، وإيضاح الشواهد (١/ ١٦٨)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢١٥)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٨١)، والمفصل للزمخشري (ص: ١٨٤)، وفي خزانة الأدب (٦/ ١٣) أنه منسوب فيه للفرزدق، ونقله العيني، قال: وهو سهو من الناسخ.

(٣) تقدم في تفسير الآية (١٨) من (سورة البقرة).

وقال ابن عباس: الذي جاءَ بالصدق: هو محمد ﷺ، وهو الذي صدَّق به[١].

وقالت فرقة من المفسرين: الذي جاءَ بالصدق: هو جبريل، والَّذي صدَّق به: هو محمد ﷺ.

وقال علي بن أَبي طالب[٢]، وأَبو العالية، والكلبي، وجماعة: الذي جاءَ بالصِّدق: هو محمد ﷺ، والذي صدَّق به: هو أَبو بكر[٣].

وقال أَبو الأَسود وجماعة منهم مجاهد: الَّذي صدَّق هو عليٌّ بن أبي طالب[٤].

وقال قتادة، وابن زيد: الذي جاءَ بالصدق: هو محمد ﷺ، والذي صدَّق به: هم المؤمنون.

وقال مجاهد: هم أَهل القرآن[٥].

وقالت فرقة بالعموم الذي ذكرناه أَولاً، وهو أَصوب الأَقوال.

وقرأَ أَبو صالح، ومحمد بن جُحادَة[٦]، وعكرمة بن سليمان: (وَصَدَق به) بتخفيف

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨٩)، والطبراني في الدعاء (١٦٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ يقول: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعني: رسوله.

(٢) لا يصح عنه، هذا الخبر أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٤٠-٤٣٨) من طريق عمر بن خالد بن إبراهيم، عن عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان، عن علي رضي الله عنه به، وعمر بن إبراهيم بن خالد الكردي الهاشمي، مولاهم، قال الدارقطني: كذاب، وقال الخطيب: غير ثقة. انظر ترجمته الميزان (٣/ ١٧٩).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٧٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٣٩).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٧٥).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٢٩٠)، تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٦)، الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٣٩).

(٦) محمد بن جحادة الكوفي أحد الأئمة، روى عن أنس وأبي حازم الأشجعي وأبي صالح السمان وخلق، وعنه ابنه إسماعيل وشعبة وابن عيينة وآخرون، وثقه أحمد وأبو حاتم، وكان من فضلاء أهل الكوفة، توفي سنة (١٣١هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٥٢٥).

الدال[١]، بمعنى: استحق به اسم الصدق، فَعَلَى هذه القراءَة يكون إِسناد الأَفعال كلها إِلى محمد ﷺ، وكأَن أُمَّته في ضمن القول، وهو الذي يُحَسِّن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾.

قال ابن عباس: اتَّقَوْا الشِّركَ[٢].

واللام في قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ﴾ يحتمل أَن تتعلق بقوله: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، أَي: الذين أَحْسَنُوا لكي يكفِّر، قاله ابن زيد[٣].

ويحتمل أَن تتعلق بفعل مضمر مقطوع مما قبله، كأَنك قلت: بشَّرهم الله تعالى بذلك ليكَفِّر؛ لأَن التكفير لا يكون إِلَّا بعد التَّيْسير للخير، واستدلوا على أن ﴿عَمِلُواْ﴾ هو كُفْر أَهل الجاهلية ومعاصي أَهل الإِسلام.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ تقوية لنفس النبي ﷺ، لأن كفار قريش كانوا خوَّفوه من الأَصنام، وقالوا: أَنت تَسُبُّها ونخاف أَن تُصيبك بجنون أَو عِلَّة، فنزلت الآية في ذلك[٤].

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿عِبَادَهُۥ﴾ يريد الأَنبياءَ المختصين به وأَنت أَحدهم، فيدخل في ذلك المطيعون من المؤمنين والمتوكلون على الله تعالى، وهذه قراءَة أَبي جعفر، ومجاهد، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش.

وقرأَ الباقون: ﴿عَبْدَهُۥ﴾، وهو اسم جنس، وهي قراءَة الحسن، وشيبة، وأَهل المدينة[٥]، ويُقوِّي أَن الإِشارة إِلى محمد ﷺ قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٣٧)، الشواذ للكرماني (ص: ٤١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩٢)، والطبراني في الدعاء (١٦٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٢٩٣).

(٤) أورد الطبري (٢١/ ٢٩٤) عن قتادة ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: الآلهة، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى شعب بسُقام ليكسر العزّى، فقال سادنها، وهو قيمها: يا خالد أنا أحذّركها، إن لها شدّة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشّم أنفها.

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٩)، والسبعة (ص: ٥٦٢).

وقوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ يريد: بالذين يعبدون من دونه، وروي: أَن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إِلى كسر العُزَّى، فقال سادِنُهَا: يا خالد، إِني أَخاف عليك منها، فلها قوة لا يقوم لها شيءٌ، فأَخذ خالد الفأْس فهشم به وجهها وانصرف[1].

ثم قرَّر تعالى أن الهداية والإِضلال من عنده بالخَلْق والاختراع، وأَن ما أَراد من ذلك لا رادَّ له، ثم توعدهم بعزَّته وانتقامه، فكان ذلك وانتقم منهم يوم بدر وما بعده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

هذا ابتداءُ احتجاج عليهم بحُجَّة أُخرى، وجملتها أَن وُقِفوا على الخالق المخترع، فإِذا قالوا إِنه الله؛ لم يبق لهم في الأَصنام غرض إِلا أَن يقولوا: إِنها تنفع وتضر، فلما تقعد من قولهم إِن الله هو الخالق قيل لهم: أَفرأَيتم هؤلاءِ إِذا أَراد الله أَمراً، أَبِهِمْ قدرة على نقضه؟ وحذف الجواب عن هذا لأَنه من البَيِّن أَنه لا يجيب أَحد؛ إِلَّا بأَنه لا قدرة للأَصنام على شيءٍ من ذلك.

وقرأَ: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ﴾ بياءٍ مفتوحة؛ جمهورُ القراءِ والناس.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٧٣)، والطبري (٢١/ ٢٩٤) في تفسيريهما، من طريق معمر، عن قتادة، مرسلاً، وأخرج النسائي في الكبرى (١١٤٨٣)، وأبو يعلى كما في إتحاف المهرة (٤٦١١) من طريق محمد بن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: ارجع فإنك لم تصنع شيئاً فرجع خالد فلما أبصرت به السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عزى، فأتاها خالد فإذا هي امرأة عريانة ناشرة شعرها تحتفن التراب على رأسها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «تلك العزى».

وقرأَ الأَعمش: (إن أرادن الله) بحذف الياءِ في الوصل، ورَوى خارجة بغير ياءٍ أَصلاً[١].

وقرأَ جمهور القراءِ، والأَعرج، وأَبو جعفر، والأَعمش، وعيسى، وابن وثاب: ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ بالإِضافة، وقرأَ أَبو عمرو، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿كاشفاتٌ ضُرَّهُ﴾ بالتنوين والنصب في الراء، وهي قراءَة شيبة، والحسن، وعيسى بخلاف عنه، وعمرو ابن عُبَيْد، وهذا هو الوجه فيما لم يقع بعد، وكذلك الخلاف في ﴿مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾[٢].

ثم أَمره تعالى أَن يصدع بالاتكال على الله تعالى، وأَنه حسْبُه من كل شيءٍ ومن كل ناصر.

ثم أَمره بتوعُّدهم في قوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞ﴾؛ أَي: على ما رأَيتموه متمكناً لكم، وعلى حالاتكم التي استقر رأْيكم عليها.

وقرأَ الجمهور: ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾ بالإِفراد، وقرأَها بالجمع: الحسنُ وعاصم[٣].

وقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ لفظ أَمر بمعنى الوعيد، والعذابُ المُخْزِي: هو عذاب الدنيا يوم بدر وغيره، والعذاب المقيم: هو عذاب الآخرة، أعاذنا الله تعالى منه برحمته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾./ [٥/ ٢٥]

---

(١) وهاتان شاذتان، انظر الأولى في إتحاف فضلاء البشر (٢/ ٢١٣) ولم أقف على الثانية.

(٢) وهما سبعيتان، الثانية لأبي عمرو كما في التيسير (ص: ١٩٠)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، ورواها الكسائي عن شعبة كما في جامع البيان (٤/ ١٥٤٣)، والسبعة (ص: ٥٦٢)، وانظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٢٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٠).

(٣) من رواية شعبة، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠٧).

هذا إِعلامٌ بعُلُوِّ مكانة محمد ﷺ واصطفاءِ ربِّه له، و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: أَن يريد: مضمناً الحق في أَخباره وأَحكامه.

والآخر: أَن يُريد أَنه أَنزله بالواجب من إِنزاله، وبالاستحقاق لذلك، لما فيه من مصلحة العالم وهداية الناس، وكأَن هذا الذي فعل الله تعالى من إِنزال كتاب إِلى عبيده هو إِقامة حُجَّة عليهم، وبقي تكسُّبُهم بعدُ إِليهم، فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ عمِل وسَعَى، وَمَنْ ضَلَّ فعليها جَنَى، والهُدى والضلال إِنما لله تعالى فيهما خلْقٌ واختراعٌ، وللعبد تكسُّبٌ عليه يقع الثواب أَو العقاب.

وأَخبر نبيَّه أَنه ليس عليهم بوكيل ولا مسيطر.

و«الوكيل»: القائم على الأَمر حتى يكمله.

ثم نبَّه تعالى على آية من آياته الكبر تدلُّ الناظر على الوحدانية، وأَن ذلك لا شِرْكَ فيه لصنم، وهي حالة التوفِّي، وذلك أَن الله تعالى ما توفَّاه على الكمال فهو الذي يموت، وما توفاه توفِّياً غير مكمل فهو الذي يكون في النوم، قال ابن زيد: النوم وفاةٌ، والموت وفاةٌ[١].

وكثَّرت فرقة في هذه الآية وهذا المعنى، ففرَّقت بين النَّفس والروح، وفرَّق قوم أَيضاً بين نفس التمييز ونفس التَّخيُّل، إِلى غير ذلك من الأَقوال التي هي غلبة ظن، وحقيقة الأَمر في هذا: هي مِمَّا استأْثر الله به وغَيَّبَه عن عباده في قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، ويكفيك أن في هذه الآية: ﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «إِن الله قَبَضَ أَرواحنا حين شاءَ، وردَّها علينا حين شاءَ»، في حديث بلال في الوادي[٢].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٩٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٩٥)، ومسلم (٦٨١) من حديث أبي قتادة، واللفظ للبخاري.

فقد نطقت الشريعة بقبض الرُّوح والنفس في النوم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾، فظاهر أَن التفصيل والخوض في هذا كله عناءٌ، وإِن كان قد تعرَّض للقول في هذا ونحوه أئمة، ذكر الثعلبي وغيره، عن ابن عباس أنه قال: في ابن آدم نفسٌ بها العقل والتمييز، وفيه روح بها النفس والتَّحرُّك، فإِذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه[١].

و«الأَجل المُسَمَّى» في هذه الآية: هو عُمْر كل إِنسان.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿قَضَىٰ عَلَيۡهَا﴾ بفتح القاف والضاد على بناء الفعل للفاعل.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿قُضيَ عليها﴾ بضم القاف وكسر الضاد على بنائه للمفعول، وهي قراءَة ابن وثاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى[٢].

ثم أَحال أَهل الفكرة على النظر في هذا ونحوه، فإِنه من البَيِّن أَن هذه القدرة لا يملكها ويصرفها إِلَّا الواحد الصمد لا رب غيره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿أَمِ﴾ هنا مقطوعة مما قبلها، وهي مقدرة بالأَلف وبَلْ، وهذا تقرير وتوبيخ، فأَمر الله تعالى نبيَّه أَن يوقفهم على الأمر، وعلى أَنهم يرضون بهذا مع كون الأَصنام بصورة كذا وكذا من عدم المِلْك والعقل.

والواو في قوله تعالى: ﴿أَوَلَوۡ﴾ واو عطف دخلت عليها أَلف الاستفهام، وَمَتَى دخلت أَلف الاستفهام على واو العطف أَو فائه أَحدثت معنى التقرير.

ثم أَمره بأَن يخبر بأَن جميع الشفاعة إِنما هي لله تعالى.

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٨).

(٢) ويلزمه رفع «الموت»، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠٧)، والسبعة (ص: ٥٦٢).

و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال، والمعنى: أَن الله تعالى يشفع ثم لا يشفع أَحد قبل شفاعته هو إِلَّا بإِذنه، فمن حيثُ شفاعةُ غيره موقوفةٌ على إِذنه فالشفاعة كلُّها له ومِنْ عنده.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآية، قال مجاهد وغيره: نزلت في قراءَة النبي ﷺ سورة النجم عند الكعبة بمحضر من الكفار، وعند ذلك أَلقى الشيطان في أُمنِيَّتِهِ، فقال: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إِنَّهُنَّ الغِرَانِيقُ العُلَى، وإِن شفاعتهن لتُرْتَجَى»، فاستبشر الكفار بذلك وسُرُّوا، فلما أَذهب الله ما أَلَقى الشيطان أَنِفوا واستكبروا واشمأَزَّت نفوسهم[1]، ومعناه: تَقَبَّضَت كِبْراً وأَنفةً وكراهية ونفوراً، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

إِذَا عَـضَّ الثِّقَـافُ بِهَا اشْـمَأَزَّتْ وَوَلَّـتْهُـمْ عَشَـوْزَنَـةً زَبُـونَـا[2] [الوافر]

و﴿ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يريد: الذين يُعْبَدُون من دونه، وجاءَت العبارة في هذه الآيات عن الأَصنام كما يجيء عَمَّن يعقل[3]، من حيث صارت في حيِّز من يعقل، ونُسب إِليها الضُّرُّ والنفع والأُلوهية، ونفي ذلك عنها، فعوملت معاملة من يعقل.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٠١) الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٥٠)، وقال ابن كثير (٥/ ٤٤١): قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا. ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم. وقال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٥٤٦): ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾. فنفى المقاربة للركون فضلاً عن الركون. قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل. اهـ، وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وقال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

(٢) البيت من معلقته، وانظر عزوه له في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٢١٩)، والمعاني الكبير (٢/ ١٠٩٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٨٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣٩)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٤١٣)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٩٨).

(٣) في المطبوع: «يفعل».

و﴿وَحۡدَهُ﴾ منصوب عند سيبويه على المصدر، وعند الفراءِ على الحال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤٨﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه بالدعاءِ إِليه، وردِّ الحكم إِلى عدله، ومعنى هذا الأَمر تضمن الإِجابة.

و«اللهم» عند سيبويه منادى، وكذلك عند الكوفيين، إِلَّا أنه خالفهم في هذه الميم المشدَّدة، فقال سيبويه: هي عِوَضٌ من حرف النداءِ المحذوف إيجازاً، وهي دلالة على أَن ثَمَّ ما حذف، وقال الكوفيون: بل هو فعل اتصل بالمكتوبة، وهو (أَمَّ)، ثم حذفت الهمزة تخفيفاً، فكأَن معنى اللَّهُم: يا اللهُ أُمَّ برحمتك وفضلك[1].

و﴿فَاطِرَ﴾ منادى مضاف، أَي: يا فاطر السماوات، و﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾: ما غاب عن البشر،/ [٥/ ٢٦] ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما شاهدوه. ثم أَخبر تعالى عن سوءِ حال الكفرة يوم القيامة، وأَن ما ينزل بهم لو قدروا على الافتداءِ منه بِضِعْفِ الدنيا بأَسرها لفعلوا.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ الآية؛ أَي: كانت ظنونهم في الدنيا متفرقة متنوعة حسب ضلالتهم وتخيلاتهم فيما يعتقدونه، فإِذا عاينوا العذاب يوم القيامة وقصرت بهم حالاتهم ظهر لكل واحد خلاف[2] ما كان يظن.

وقال سفيان الثوري: ويلٌ لأَهل الرياء من هذه الآية[3].

(١) تقدم للمصنف ذكر الخلاف فيها في تفسير الآية (٢٦) من (سورة آل عمران).

(٢) سقطت من الأصل سهواً.

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٣٥). وفي المطبوع: «لأهل الرِّبَا».

وقال عكرمة بن عمَّار[١]: جزع محمد بن المنكدر عند الموت، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أخاف هذه الآية: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[٢].

وقوله: ﴿وَحَاقَ﴾ معناه: نزل وثبت ولزم، وقوله: ﴿مَّا كَانُواْ﴾ هو على حذف مضاف، تقديره: وحاق بهم جزاءُ ما كانوا به يَستهزئون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾.

هذه حُجَّة تلزم عُبَّاد الأَوثان التناقض في أَعمالهم، وذلك أنهم يعبدون الأَوثان ويعتقدون تعظيمها، فإِذا أَزفت آزفة ونالت شِدَّةٌ نبذوها ونسوها ودَعَوا الخالق المخترع ربَّ السماوات والأَرض، و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ في هذه الآية للجنس.

و﴿خَوَّلْنَٰهُ﴾ معناه: ملَّكْناه، قال الزجاج وغيره: التَّخْويل: العطاءُ عن غير مجازاة[٣].

و«النِّعْمَةُ» هنا عامٌّ في جميع ما يسديه الله إِلى العبد، فمن ذلك إِزالة الضُّرِّ المذكور، ومن ذلك الصِّحَّةُ والأَمْن والمالُ، وتقوى الإِشارة إِليه في الآية بقوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾، وبقوله تعالى آخراً: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ وبِذِكْر الكسب.

وذَكَّرَ الضمير في قوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾، وذلك يحتمل وجوهاً:

منها: أَن يريد بالنعمة المال كما قدمناه.

---

(١) عكرمة بن عمار العجلي اليمامي، أبو عمار، أحد الأعلام حافظ روى عن أبي زميل والهرماس بن زياد ـ وله رؤية ـ والقاسم، وعنه ابن المبارك ووكيع وآخرون، قال ابن معين: ثقة ثبت، وقال أبو حاتم: صدوق توفي سنة (١٥٩هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ٥٢٦).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٠)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤٧٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٣٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٥٧).

ومنها: أن يُعيد الضمير على المذكور، إِذ اسم النِّعْمَة يعُمُّ ما هو مُذَكَّر، ويعُمُّ ما هو مُؤَنَّث.

ومنها: أَن تكون (مَا) في قوله: ﴿إِنَّمَآ﴾ بمعنى (الذي)، وعلى الوجهين الأَولين (مَا) كافَّةٌ، وقوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضع نصب على الحال، مع أَن تكون (مَا) كافَّة، وأَما إِذا كانت بمعنى (الذي)، فإِن ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضع خبر (إِنَّ)، ودالٌّ على الخبر المحذوف، كأَنه قال: هو على عِلْم.

وقوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل أَن يريد: على علم مِنِّي بوَجه المكاسب والتجارات وغير ذلك، قاله قتادة[1]، ففي هذا التأْويل إِعجاب بالنفس وتَعَاطٍ مُفرط، ونحو هذا.

ويحتمل أَن يريد عَلَى عِلْم من الله فيَّ، وشيءٌ سبق لي، واستحقاق حُزْتُه عند الله، لا يَضُرُّني معه شيءٌ، وفي هذا التأْويل اغتِرارٌ بالله تعالى وعَجْزٌ وتَمَنٍّ على الله.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾؛ أَي: ليس الأَمر كما قال، بل هذه الفعلة[2] به فتنةٌ له وابتلاءٌ.

ثم أَخبر تعالى عمَّن سلَف من الكفرة أَنهم قد قالوا نحو هذه المقالة؛ كقارون وغيره، وأَنهم ما أَغنى عنهم كسبهم واحتجابهم للأَموال، فكذلك لا يُغني هؤلاءِ.

ثم ذكر تعالى ـ على جهة التوعُّد لهؤلاءِ في نفس المثال ـ أَن أُولئك أَصابهم جزاءُ سيئات ما كسبوا، وأن الذين ظلموا بالكفر من هؤلاءِ المعاصرين لك سيصيبهم[3] ما أَصاب المتقدمين، وهذا خبر من الله تعالى أَبْرَزَهُ الوجود يوم بدرٍ وغيره.

و(مُعْجِزِينَ) معناه: مُفلِتِين وناجين بأَنفسهم.

ثم قرَّر عَلَى الحقيقة في أَمر الكسْب وسَعَة النعم فقال: أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَن الله هو الذي

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٦و ٢١/ ٣٠٣).

(٢) في المطبوع والحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣: «الغفلة».

(٣) في الأصل زيادة: «سيئات ما كسبوا وأن الذين ظلموا بالكفر»، ولعله تكرار.

يبسط الرزق لقوم ويُضَيِّقه على قوم بمشيئته وسابق علمه، وليس ذلك لِكَيْس أَحد ولا لعجزه.

وقوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ معناه: يُضَيِّق، كما قال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

هذه الآية عامة في جميع الناس إِلى يوم القيامة، في كل كافر ومؤمن، أَي أَن توبة الكافر تمحو ذنوبه[1]، وتوبة العاصي تمحو ذنبه، واخْتُلِف هل يكون في المشيئة أَو هو مغفور له ولا بُدَّ؟

فقالت فرقة من أَهل السُّنَّة: هو مغفور له ولا بُدَّ، وهذا مقتضى ظواهر القرآن.

وقالت فرقة: التائب في المشيئة، لكن يَغلب الرجاءُ في ناحيته، والعاصي في المشيئة، لكن يغلب الخوف في ناحيته.

واختلف المفسرون في سبب نزول الآية:

فقال عطاءُ بن يسار: نزلت في وحشي قاتِل حمزة[2].

وقال قتادة، والسُّدي، وابن أَبي إِسحاق: نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا، وفتنتهم قريش فافتتنوا، ثم ندموا وظنُّوا أَنهم لا توبة لهم، فنزلت الآية فيهم، [منهم الوليد ابن الوليد، وهشام بن العاصي، وهذا قول عمر بن الخطاب، وأَنه كتبها بيده إِلى هشام بن العاصي، الحديث[3].

---

(١) في المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «كفره»، وفي فيض الله ونور العثمانية: «ذنبه».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٠٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤١).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٠٨)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٤٩) من طريق ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه.

وقالت فرقة: نزلن في قوم كفار من أَهل الجاهلية، قالوا: وما ينفعنا الإِسلام ونحن قد زنينا، وقتلنا النفس، وأَتينا كل كبيرة، فنزلت الآية فيهم][١].

وقال عليٌّ بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عمر: هذه أَرجى آية في القرآن[٢].

ورَوَى ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أُحِبُّ أَن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية: يا عبادِي»[٣].

---

(١) سقط من الأصل، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٠٨ و٣٠٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤١).

(٢) أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٨) وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٦٩) من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن علية، عن يونس بن عبيد، عن ابن سيرين قال: قال علي رضي الله عنه: أي آية في القرآن أوسع؟ فجعلوا يذكرون آياً من القرآن ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أو نحوها، فقال علي: ما في القرآن آية أوسع من ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وهذا منقطع، ابن سيرين لم يسمع من علي رضي الله عنه، وأما أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد أخرجه الطبري (٢١/ ٣٠٨)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٧٠)، والطبراني في الكبير (٨٦٥٨) من طريق منصور بن المعتمر، عن الشعبي، عن تجالس شتير بن شكل ومسروق فقال شتير: إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك، وإما أن أحدّث فتصدّقني فقال مسروق: لا بل حدث فأصدّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية فرجاً في القرآن ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ فقال مسروق: صدقت، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٦٥٩-٨٦٦٠) من طريق آخر عن الشعبي به، والطبراني أيضاً (٨٦٦١) من طريق أبي الضحى قال: اجتمع مسروق، وشتير فذكره بلفظ مطول، وأما أثر عبد الله بن عمر رضي الله عنه لم أقف عليه باللفظ الذي ذكره المؤلف وإنما جاء عند الطبري (٢٠/ ٢٢٧-٢٢٧) من طريق محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر قال: إنما أنزلت هذه الآيات في عياش ابن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذّبوا، فأفتنوا، كنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عُذّبوه، فنزلت هؤلاء الآيات، وكان عمر بن الخطاب كاتباً، قال: فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة، والوليد ابن الوليد، إلى أولئك النفر، فأسلموا وهاجروا.

(٣) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٥)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٤٩)، والطبراني في الأوسط (١٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٣٧) من طريق ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن أبي =

و﴿أَسْرَفُوا﴾ معناه: أَفرطوا وتعدُّوا الطور.

و«القنوط»: أعظم اليأْس.

وقرأ نافع وجمهور الناس: ﴿تَقْنَطُوا﴾ بفتح النون، قال أَبو حاتم: يلزمهم أَن يقرؤوا: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨] بالكسر، ولم يقرأ به / أَحد. [٥/ ٢٧]

وقرأَ الأشهب العقيلي بضم النون[(١)].

وقرأَ أَبو عمرو، وابن وثاب، والأَعمش بكسرها[(٢)]، وهي لغات.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ عموم بمعنى الخصوص؛ لأَن الشِّرك ليس بداخل في الآية إِجماعاً، وهي أَيضاً في المعاصي مقيدة بالمشيئة، و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال.

ورُوي: أَن رسول الله ﷺ قرأَ: «إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي»[(٣)].

= عبد الرحمن المزني، عن أبي عبد الرحمن الجبلاني، عن ثوبان يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾» إلى آخرها، فقال رجل: يا رسول الله، ومن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال: «إلا ومن أشرك، إلا ومن أشرك، إلا ومن أشرك» ثلاثاً، وابن لهيعة ضعيف، وأبو عبد الرحمن الجبلاني مجهول الحال انظر ترجمته في التاريخ الكبير (٩/ ٥١)، والجرح والتعديل (٩/ ٤٠٣).

(١) وهي شاذة، انظر عزوه له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٢). وفي السليمانية: «أبو الأشهب».

(٢) وهي سبعية لأبي عمرو والكسائي، والفتح للباقين، انظر التيسير (ص: ١٣٦).

(٣) حديث فرد في ثبوته نظر، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٣٠٢)، وعبد بن حميد (١٥٧٧)، وأحمد (٦/ ٤٥٤-٤٥٩-٤٦٠)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٧٢)، والترمذي (٣٢٣٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٠)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٤٣)، وحفص بن عمر في جزء فيه قراءات النبي ﷺ (٩٨)، والطبراني في الكبير (٤١١) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن شهر بن حوشب، عن مولاته أسماء بنت يزيد بنت السكن الأنصارية، مرفوعاً، وشهر بن حوشب صدوق، وله أحاديث أنكرت عليه، ولكن روايته عن مولاته أسماء بنت يزيد حسنة كما قال الإمام أحمد، وقد اختلف هل سمع من أم المؤمنين أم سلمة، وهل هي التي في السند أم لا؟ وقد فصل القول في روايته عن أم سلمة الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على الطبري (١٥/ ٣٤٩)، وقد عدوا هذا الحديث من منكراته، ولكن قال الذهبي: وما ذاك بالمنكر جداً. انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٨).

وقرأ ابن مسعود (إِنَّ الله يَغْفر الذُّنوب جميعاً لِمَنْ يَشَاءُ)[١].

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ ﴾ معناه: ارجعوا وميلوا بنفوسكم، و«الإِنابةُ»: الرجوعُ بالنفس إِلى الشيءِ.

وقوله: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ توعُّدٌ بعذاب الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ ﴾ معناه: أَن القرآن العزيز تضمَّن عقائد نيِّرة، وأَوامر ونواهي مُنْجية، وعِدَات على الطَّاعات والبِرِّ، وحدوداً على المعاصي ووعيداً على بعضها، فالأَحسن أَن يسلك الإنسان طريق التَّفهُّم والتحصيل والطاعة والانتهاءِ والعفو في الأُمور ونحو ذلك، فهو أَحسن من أَن يسلك طريق الغفلة والمعصية فيُحدَّ[٢] أَو يقع تحت الوعيد.

فهذا هو المعنى وهو المقصود بـ﴿أَحۡسَنَ ﴾، وليس المعنى: أَن بعض القرآن أَحسن من بعض من حيث هو قرآن، وإِنما هو أحْسَن كله بالإِضافة إِلى أَفعال الإنسان وما يلقى من عواقبها.

قال السدي: الأَحْسَنُ: هو ما أَمر الله تعالى به في كتابه[٣].

و﴿بَغۡتَةً ﴾ معناه: فجأَة وعلى غير موعد.

و﴿تَشۡعُرُونَ ﴾ مشتق من الشعار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٣).

(٢) في المطبوع: «فيجزى».

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣١٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٣٢)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٦).

﴿أَن﴾ في هذه الآية مفعولٌ من أَجله، أَي: أَنيبُوا وأَسْلِمُوا من أَجْل أَن تقول نفس.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾، والأصل: يا حَسْرَتِي، ومن العرب من يَرُدُّ ياءَ الإِضافة أَلفاً، فيقول: يا غلاما، ويا جارا.

وقرأ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿يا حَسْرَتَايَ﴾ بفتح الياءِ، ورويت عنه بسكون الياء[1].

قال أَبو الفتح؛ جمع بين العوض والمُعَوَّض منه[2].

وروى ابن جمَّازٍ عن أَبي جعفر: (ياحسرتِي) بكسر التاءِ وسكون الياء[3].

قال سيبويه: ومعنى نداءُ الحسرة والويل: أَي: هذا وقْتُك وزمانُك فاحضري[4].

و﴿فَرَّطتُ﴾ معناه: قصَّرتُ في اللازم، وقوله: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ معناه: في مقاصدي إِلى الله، وفي جهة طاعته، أَي: في تَضْييع شريعته والإِيمان به، و«الجَنْبُ»: يُعَبَّر به عن هذا ونحوه، ومنه قول الشاعر:

أَفـي جَنْـبِ بَكْـرٍ قطَّعَتْنـي مَلَامَـةً لَعَمْـرِي لَقَد طَالَـتْ مَلَامَتُهـا بِيَا[5] [الطويل]

ومنه قول الآخر:

النَّـاسُ جَنْـبٌ والأَمِيـرُ جَنْـبُ[6] .... [الرجز]

---

(١) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٦٣).

(٢) المحتسب (٢/ ٢٣٧).

(٣) وهي شاذة، ليست من طرق النشر، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٢٣٧).

(٤) انظر معاني القرآن النحاس (٦/ ١٨٦)، وفي أحمد٣: «فضيعت» بدل «فاحضري».

(٥) البيت لمعن بن أوس كما في مقاييس اللغة (١/ ٣٩١)، ولكعب بن زهير في تاج العروس (٣٧/ ٢٩٠)، لسان العرب (١٤/ ١٢٠)، خزانة الأدب (٩/ ٥٠٠)، ولهما في غريب الحديث لابن سلام (١/ ٩٨)، ونسبه الصاحبي (ص: ٩٤) لأوس غير منسوب.

(٦) بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٥٦)، والعين (٦/ ١٤٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢١٤).

وقال مجاهد: ﴿فِي جَنْبِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في أَمر الله[١].

وقول الكافر: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ ندامة على استهزائه بأَمر الله تعالى، و«السُّخْرُ»: الاستهزاءُ.

وقوله: ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ في الموضعين عطفٌ على قوله: ﴿أَن تَقُولَ﴾ الأَول.

و﴿كَرَّةً﴾ مصدر، من: كَرَّ يكُرُّ.

وقوله: ﴿فَأَكُونَ﴾ نصب بـ(أَنْ) مُضمرة مقدَّرة، وهو عطفٌ على قوله: ﴿كَرَّةً﴾، والمرادُ: لَوْ أَنَّ لي كَرَّةً فكَوْناً، فلذلك احتيج إِلى (أَنْ)؛ لتكون هي مع الفعل بتأْويل المصدر ونحوه قول الشاعر ـ أَنشده الفراءُ ـ:

[الطويل]

فَمَـا لَـكَ مِنْهَا غَيْـر ذِكْرَى وَخَشْـيَةٍ وَتَسْـأَلَ عَـنْ رُكْبَانِهَا أَيْـنَ يَمَّمُوا[٢]

وقد قرر[٣] بعض الناس الكلام بأَنه: لو أَنَّ لي أَنْ أَكرَّ فأكون، ذكره الطبريُّ[٤].

وهذا (الكوْنُ) في الآية داخلٌ في التمني.

وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ لِنَفْي مقدَّر في قوله هذه النفس، كأَنها قالت: فَعُمْري في الدنيا لم يتسع للنظر، أَوْ قالت: فإِنِّي لم يَتَـبَيَّن لي الأَمر في الدنيا، ونحو هذا، وحقُّ (بَلَى) أَنْ تجيءَ بعد نَفْي عَلَيْه تقريرٌ[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿جَآءَتْكَ﴾ بفَتْح الكاف وبفتْح التاءِ من قوله: ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ﴾، على مخاطبة الكافر ذي النفس.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣١٤)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٦٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٦)، وتفسير السمعاني (٤/ ٤٧٧).

(٢) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٢٣)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣١٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٨).

(٣) في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣: «قدَّر»، وفي الحمزوية: «قال».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٣١٦)، وقاله الفراء في معاني القرآن (٤/ ١٢١).

(٥) في أحمد٣: «تقدير»، وفي المطبوع: «أن يجيء».

وقرأ ابن يَعْمَر والجحدريُّ بكسر الكاف والتاءِ في الثلاثة على خطاب النفس المذكورة[١].

قال أَبو حاتم: روتها أُمُّ سلمة عن النبي ﷺ[٢].

وقرأ الأَعمش: (بلى قد جاءَتْهُ) بالهاء[٣].

ثم خاطب تعالى نبيَّه ﷺ بخبرٍ يراه يوم القيامة من حالة الكفار، وفي ضمن هذا الخبر وعيدٌ لمعاصريه.

وقوله: ﴿تَرَى﴾ هو من رؤْية العين، وكَذِبُهم على الله تعالى هو في أَن جعلوا له البنات والصاحب، وشرعوا ما لم يأْذن به الله، إِلى غير ذلك.

وقوله: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ جملة في موضع الحال، وظاهر الآية: أَن لون وجوههم يتغير، وتسْوَدُّ حقيقة، ويحتمل أَن يكون في العبارة تجوُّز، وعبَّر بالسَّواد عن ارتداد[٤] وجوههم وغالب همهم وظاهر كآبتهم.

و﴿مَثْوًى﴾: موضع الثواءِ والإِقامة.

و«المتكَبِّر»: رافعُ نفسه إِلى فوق حقه، قال النبي ﷺ: «الكبر سفه الحق، وغمط الناس»[٥]؛ أَي: احتقارهم.

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٥).

(٢) هذا الحديث أخرجه أبو داود (٣٩٩٠)، وحفص بن عمر في جزء قراءات النبي (٩٩)، والطبراني في الكبير (٩٤٣) من طريق إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أم سلمة رضي الله عنها به، قال أبو داود: هذا مرسل الربيع لم يدرك أم سلمة، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٩) من طريق إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية به، بنحوه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح. وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٨٧).

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٨٧).

(٤) في المطبوع وفيض الله وأحمد٣: «اربداد»، وفي الأصل: «أن يراد به»، ولعله تحريف.

(٥) صحيح بنحوه، أخرجه بهذا اللفظ البخاري في الأدب المفرد (٥٥٦)، وأبو داود (٤٠٩٢)، وابن =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

ذكر الله تعالى حالة المتقين ونجاتهم ليعادل بذلك ما تقدم من ذكر الكفرة، وفي ذلك ترغيب في / حالة المتقين؛ لأَن الأَشياءَ تبين بأَضدادها. [٥/ ٢٨]

وقرأَ جمهور القراء: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ على اسم الجنس، وهو مصدرٌ من الفوز.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿بِمَفَازَاتِهِمْ﴾ على الجمع، من حيث النجاةُ لأَنواع ولأَسباب مختلفة، وهي قراءَة الحسن، والأَعرج، وأَبي عبد الرحمن، والأَعمش[١].

وفي الكلام حذف مضاف تقديره: ويُنَجِّي الله الذين اتقوا بأَسباب أَو بدواعي مفازتهم. وقال السُّدي: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: بفضائلهم، وقال ابن زيد: بأَعمالهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كلام مستأْنفٌ دالٌّ على الوحدانية، وهو عمومٌ معناه الخصوص.

و«الوكيل»: القائم على الأَمر الزعيم بإِكماله وتتميمه.

و«الْمَقَالِيدُ»: المفاتيح، وقاله ابن عباس[٣]، واحدها: مِقْلاد، مثل مِفْتاح.

= حبان في صحيحه (٥٤٦٧) من طريق عبد الوهاب الثقفي، عن هشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً، وهو في مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس».

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٩٠)، والسبعة (ص: ٥٦٣).

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٣٢٠)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٧٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وفي «كتاب الزهراوي»: واحد المقاليد: إِقليد[١]، وهذه استعارة، كما تقول: بيدك يا فُلان مفتاح هذا الأَمر؛ إِذا كان قديراً على السعي فيه.

وقال السدي: المقاليدُ: الخزائن[٢]، وهذه عبارة غير جيدة، ويُشبه أَن يقول قائل: المقاليدُ إِشارةٌ إلى الخزائن أَو دالَّة عليها فيسوغ هذا القول، كما أن الخزائن أَيضاً في جهة الله إنما تجيءُ استعارة، بمعنى: اتساع قدرته، وأَنه يبتدع[٣] ويخترع.

ويُشبه أَن يقال فيما أَوجد من المخلوقات كالريح والماء[٤] وغير ذلك: إِنها في خزائنه سبحانه، وهذا كله تجوُّز على جهة التقريب والتفهيم للسَّامعين، وقد ورد القرآن بذكر الخزائن، ووقعت في الحديث الصحيح في قوله ﷺ: «ما فُتح الليلة من الخزائن»[٥]، والحقيقة في هذا غير بعيدة، لكنه ليس باختزان حاجة ولا قِلَّة قدرة كما هو اختزان البشر.

وقال عثمان رضي الله عنه: سأَلت رسول الله ﷺ عن مقاليد السماوات والأَرض فقال: «لا إِله إِلَّا الله، والله أَكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إِلَّا بالله، هو الأَول والآخر، والظاهر والباطن، يُحيي ويميت، وهو على كل شيءٍ قدير»[٦].

---

(١) مثله في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٩٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٧١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٤٩)، ولم أقف على الزهراوي.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٢١) وتفسير الماوردي (٥/ ١٩٥). وفي الحمزوية: «الحواس».

(٣) سقطت من السليمانية وفيض الله، وفيهما: «وأنه المخترع».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «كالماء والنار».

(٥) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٥٨٤٤) عن أم سلمة مرفوعاً بلفظ: «مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْفِتْنَةِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنْ الْخَزَائِنِ».

(٦) موضوع، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٠٥)، والطبراني في الدعاء (١٧٠٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٣)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ١١٧-١١٨)، وأبو يعلى في مسنده كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٥)، من طريق أغلب بن تميم الكندي ويقال المسعودي، عن مجلد بن هزيل العبدي، عن عبد الرحمن المدني، عن عبد الله بن عمر، عن عثمان بن عفان، أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وأغلب بن تميم بن النعمان قال ابن معين: ليس بشيء، وقال البخاري منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم فخرج عن حد الاحتجاج =

وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ﴾ منصوب بـ﴿أَعْبُدُ﴾، كأَنه قال: أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَعْبُدُ فيما تأْمروني؟ ويجوز أَن يكون نصبه بـ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ على إِسقاط (أَنْ)، تقديره: أَفغير الله تأمروني أَن أَعْبُدَ.

وقرأَت فرقة: ﴿تَأْمُرُونَنِي﴾ بنونين، وهذا هو الأَصل.

وقرأَ ابن كثير: ﴿تأمرونِّيَ﴾ بنون مشددة مكسورة وياء مفتوحة.

وقرأَ ابن عامر: ﴿تأمرونِي﴾ بياء ساكنة ونون مكسورة خفيفة، وهذا على حذف النون الواحدة، وهي الموطئة لياءِ المتكلم، ولا يجوز حذف النون الأُولى، وهو لحن لأَنها علامة رفع الفعل.

وفتح نافع الياءَ على هذا الحذف فقرأَ: ﴿تَأْمُرُونِيَ﴾.

وقرأَ الباقون بشدِّ النون وسكون الياءِ[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ الآية، قالت فرقة: في الآية تقديم وتأْخير، كأنه قال: ولقد أُوحِيَ إِلَيْكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُك وإِلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكَ.

وقالت فرقة: الآية على وجهها، والمعنى: ولقد أُوحي إِلى كل نبيٍّ لئن أَشركت ليحبطن عملك.

و(حبط) معناه: بَطَل وسقط، وبهذه الآية بطلت أَعمال المُرْتَدِّ مِنْ صلاته وحجِّه وغير ذلك[2].

= به لكثرة خطئه ا. هـ .انظر ترجمته في الجرح والتعديل (٢/ ٣٤٩)، الميزان (١/ ٢٧٣ـ ٢٧٤)، أورده الذهبي في ترجمة مخلد أبو الهزيل العنبري البصري، وقال: هذا موضوع فيما أرى. اهـ. انظر الميزان (٤/ ٨٤)، وقد روي بلفظ آخر عن عثمان رضي الله عنه، انظر الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٤٤-١٤٥)، واللآلئ المصنوعة (١/ ٨٠).

(١) هذه خمس قراءات وهي سبعية إلا الثالثة، انظر التيسير (ص: ١٩٠)، وفيه أن الأولى لابن عامر، وأما الثالثة فظاهر السبعة (ص: ٥٦٣) عنه، ونقلها في النشر (٢/ ٣٦٣)، وجامع البيان (٤/ ١٥٤٤) وجهاً لابن ذكوان.

(٢) انظر الاستدلال بالآية على ذلك في المدونة (٢/ ٢٢٧)، والحاوي الكبير (٢/ ٢٠٩)، والمغني لابن قدامة (١/ ٢٨٩).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

المكتوبة[1] نصبٌ بقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ معناه: وما عظَّموا الله حق عظمته، ولا وصفوه بصفاته، ولا نفوا عنه ما لا يليق به.

واختلف الناس في المعنيِّ بالضمير في قوله: ﴿قَدَرُوا۟﴾:

فقال ابن عباس: نزل ذلك في كفار قريش الذين كانت هذه الآيات كلها محاورة لهم وردّاً عليهم[2].

وقالت فرقة: الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا في صفات الله تعالى وجلاله فأَلْحدوا وجَسَّموا وأَتَوْا بكل تخليط، فنزلت الآية فيهم.

وفي الحديث: أَنه جاءَ حبر بالمدينة[3] إِلى رسول الله ﷺ، فجلس إِليه، فقال له النبي ﷺ: حدِّثنا، قال: إِن الله عزَّ وجلَّ إِذا كان يوم القيامة جعل السماوات على إِصْبَع، والأرضين على إصبع، والجبال على إِصبع، والماءَ والشجر على إِصبع، وجميع الخلائق على إِصبع، ثم يهزهن فيقول: أَنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بَدَت نواجذه تصديقاً له، ثم قرأَ هذه الآية[4].

---

(١) المكتوبة هي لفظ الجلالة «الله».

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٩٧)، و(٢٠/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٧٥٨٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في أحمد٣ والسليمانية: «جبريل بالمدينة»، في الأصل: «جبريل»، دون ذكر المدينة.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٥١)، ومسلم (٢٧٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر، وفي رواية للبخاري (٧٤١٥) جاء رجل من أهل الكتاب.

قال القاضي أَبو محمد: فرسول الله ﷺ تمثل بالآية وقد كانت نزلت.

وقوله في الحديث: «تصديقاً له»؛ أَي: في أَنه لم يَقُل إِلَّا ما رأَى في كتب اليهود، ولكن النبي ﷺ أنكر المعنى؛ لأَن التجسيم فيه ظاهر، [واليهود معروفون باعتقاده، لا يُحسنون حَمْله على تأْويله من أَن الإِصبع عبارة عن القدرة، أَو من أَنها إِصبع خَلْق يخلق لذلك، ويعضدها تنكير الإِصبع][1].

وَرَوى سعيد بن المسيب: أَن سبب نزول الآية: أَن طائفة من اليهود جاءَت إِلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، هذا اللهُ خلق الأَشياءَ، فمن خَلَق اللهَ؟ فغضب رسول الله ﷺ وساورهم[2]، فنزلت الآية[3].

[٥/ ٢٩] وقرأَ جمهور الناس: ﴿قَدْرِهِۦ﴾ بسكون الدال، وقرأَ الأَعمش بفتح الدال./

وقرأَ أَبو حيوة، وعيسى بن عمر، والحسن، وأَبو نوفل: (ومَا قَدَّروا) بشد الدال (حق قَدَره) بفتح الدال[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ معناه: في قبضته.

وقال ابن عمر ما معناه: إِن الأَرض في قبضة اليد الواحدة، والسماوات مطويات باليمين الأُخرى؛ لأنه كلتا يديه يمين[5]، ورواه عن النبي ﷺ[6].

---

(١) سقط من الحمزوية ونور العثمانية ونجيبويه، وفي حاشية المطبوع أنه لا يوجد إلا في التونسية، وأنه زيادة توضح رأي ابن عطية.

(٢) في أحمد٣ ونور العثمانية: «شاورهم».

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٨-٢٤/ ٦٨٨) عن محمد بن حميد، عن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد، عن سعيد بن المسيب مرسلاً. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف.

(٤) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦).

(٥) لم أقف عليه، وقد أخرجه مسلم (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

(٦) أخرجه البخاري (٧٤١٢) عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مرفوعاً، وفيه: «وَتَكُونُ السَّمَاوَاتُ بِيَمِينِهِ».

وقال ابن عباس: الأَرض جميعاً قبضته والسماوات، وكل ذلك بيمينه[١].

وقرأَ عيسى بن عمر: (مَطْوِيَّاتٍ) بكسر التاءِ المنونة[٢]، والناسُ على رفعها.

وعلى كل وجه: فاليمينُ هنا والقبضةُ وكل ما وردَ؛ عبارة عن القدرة والقوة، وما اختلج في الصدور من غير ذلك باطل، وما ذهب إِليه القاضي من أَنها صفات زائدة على صفات الذات قول ضعيف[٣]، وبحسب ما يختلج في النفوس التي لم يحصنها العلم قال عز وجل: ﴿سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، أَي: هو مُنَزَّه عن جميع الشُّبه التي لا تليق به.

ثم ذكر سبحانه وتعالى النَّفخ في الصُّور ليُصعق الأَحياءُ من أَهل الدنيا والسماءِ، وفي بعض الأَحاديث من طريق أَبي هريرة عن النبي ﷺ: أَنَّ قَبْل هذه الصعقة صعقةُ الْفَزَعِ، ولم تَتَضَمَّنْهَا هذه الآية[٤].

---

(١) ضعيف، وفيه نكارة، أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول: قد قبض الأرضين والسماوات جميعاً بيمينه.

(٢) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٥١)، الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦).

(٣) انظر قول القاضي الباقلاني في تفسير ابن جزي (٢/ ٢٢٥)، قال: وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله، ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته إلا الله، وهذا هو مذهب أهل الحق، انظر الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٢٥)، والمواقف (٣/ ١٤٦)، وشرح الطحاوية (ص: ١٩١)، وأضواء البيان (٧/ ٢٧١)، وما مشى عليه المصنف هو مذهب أهل التأويل، وهو مردود.

(٤) ضعيف، هذا الحديث الذي يشير إليه المؤلف أخرجه الطبري (٣/ ٦١١ـ ٦١٣-٨/ ١٣٢-١٣٤)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢١- ١٦٦٢٧- ١٦٦٢٩)، وأبو يعلى في مسنده كما في فتح الباري (١١/ ٣٦٨)، والطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦)، والبيهقي في البعث والنشور (٦٠٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٨٨، ٣٨٩) وغيرهم من طرق عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: أن الله عز وجل لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصاً بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر» فقلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «قرن» قال: قلت: وكيف هو؟ قال: «قرن عظيم والذي نفسي بيده إن عظم دائرة فيه كعرض السماوات والأرض ينفخ =

و﴿فَصَعِقَ﴾ في هذه الآية معناه: خَرَّ ميتاً، و﴿ٱلصُّورِ﴾: القَرْن، ولا يتصور هنا غير هذا، ومن يقول: الصُّور جمع صورة، فَإِنما يتوجه قوله في نفخة البعث.

وقرأ قتادة: (في الصُّوَرِ) بفتح الواو، وهي جمع صورة[١].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، قال السدي؛ استثنى جبريل وميكائيل وإِسرافيل ومَلَك الموت، ثم أَماتهم بعد هذه الحال[٢]، وروي ذلك عن أَنس، عن النبي ﷺ[٣].

وقيل: استثنى الأَنبياءَ، وقال ابن جبير: استثنى الشهداءَ[٤].

وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾ هي نفخة البعث، ورُوي: أَن بين النفختين أَربعين، لا يدري أَبو هريرة: سنةً أَو يوماً أَو شهراً أَو ساعة[٥]. وباقي الآية بيِّنٌ.

= فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين»، وذكر الحديث بطوله. وإسماعيل بن رافع بن عويمر، ويقال ابن أبي عويمر الأنصاري ضعيف واه، وقد اضطرب فيه إسماعيل بن رافع كما في الفتح (١١/ ٣٦٨) قال الحافظ: ومداره على إسماعيل ابن رافع واضطرب في سنده مع ضعفه فرواه عن محمد بن كعب القرظي تارة بلا واسطة، وتارة بواسطة رجل مبهم، ومحمد عن أبي هريرة تارة بلا واسطة، وتارة بواسطةرجل من الأنصار مبهم أيضاً. اهـ. وقال البخاري: وروى إسماعيل بن رافع عن محمد بن يزيد ابن أبي زياد عن رجل عن محمد بن كعب حديث الصور مرسل لا يصح. ا هـ .انظر الكامل (١/ ٤٥٢-٤٥٣).

(١) انظر البحر المحيط (٢١/ ٧٣).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٣٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٣٥)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٧٩).

(٣) منكر، أخرجه الطبري (٢١/ ٣٣٠-٣٣١) من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي، عن عمه يزيد بن أبان الرقاشي، عن أنس رضي الله عنه به مرفوعاً مطولاً، والفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي منكر الحديث ساقط، وعمه يزيد ضعيف، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢/ ٧٠٠) لأبي نصر السجزي في الإبانة، وابن مردويه.

(٤) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٣٥)، تفسير الطبري (٢١/ ٣٣١).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨١٤-٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

(أَشْرَقت) معناه: أَضاءَتْ وعظُم نورُها، يقال: شرقت الشمس: إِذا طلعت، وأَشرقت: إِذا أَضاءَت.

وقرأَ ابن عباس، وعبيد بن عمير: (وَأُشْرِقَت) بضم الأَلف وكسر الراءِ[١]، [على بناء الفعل للمفعول][٢]، وهذا إِنما يترتب من فعل يتعدى، فهذا على أن يقال: أَشرقَ البيتُ، وأَشرَقَهُ السِّراجُ، فيكون الفعل متجاوزاً وغير متجاوز بلفظ واحد، كَرَجَعَ وَرَجَعْتُه، وَوَقَف وَوَقَفْتُه، ومن المتعدي من ذلك يقال: أُشْرِقَت الأَرْضُ.

والأَرْضُ في هذه الآية: الأَرْضُ المُبْدلة من الأَرض المعروفة.

وقوله: ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إِضافةُ خَلْق إِلى خالقٍ، أَي: بنور الله تعالى.

و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: كتابُ حساب الخلائق، ووحَّده على اسم الجنس؛ لأَن كل أحد له كتابٌ على حِدَة. وقالت فرقة: وُضع اللَّوحُ المحفوظ. وهذا شاذٌّ، وليس فيه معنى التوعُّد، وهو مقصد الآية.

وقوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ أَي: ليشهدوا[٣] على أُممهم.

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٣٩)، الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦)، ولم أجدها لأبي البرهسم.
(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.
(٣) في أحمد٣ والمطبوع: «استشهدوا».

وقوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾، [قيل: هو][1] جمع شاهد، والمرادُ: أُمَّة محمد ﷺ الذين جعلهم الله شهداءَ على الناس.

وقال السُّدي: الشهداءُ: جمع شهيد في سبيل الله[2]، وهذا أَيضاً يزول عنه معنى التوعُّد.

ويحتمل أَن يريد بقوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الأَنبياءَ أَنفسهم، [فيكون من][3] عطف الصفة على الصفة بالواو، كما تقول: جاءَني زيد الكريمُ والعاقل.

وقال زيد بن أَسلم: الشهداءُ: الحَفَظَةُ[4].

والضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ عائد على العالم بأَجمعه، إِذ الآية تدلُّ عليهم.

وقوله: ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ معناه: لا يوضع شيءٌ من أُمورهم غير موضعه.

وقوله: ﴿وَوُفِّيَتْ﴾ معناه: جوزيته مُكَمَّلاً[5]، وفي هذا وعيدٌ صرَّح عنه قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَسِيقَ﴾، ﴿وَجِاْىٓءَ﴾ بكسر أَوَّله.

وقرأَها ونظائرها بإِشمام الضَّمِّ: الحسنُ، وابن وثاب، وعاصم، والأعمش[6].

و﴿زُمَرًا﴾ معناه: جماعات متفرقة، واحدتها زمرة.

وقوله: ﴿فُتِحَتْ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، والكلام هنا يقتضي أن فتحها إنما يكون بعد

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٣٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٥٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٨٧)

(٣) من المطبوع.

(٤) الهداية لمكي (١٠/ ٦٣٨٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٥٧).

(٥) في أحمد ونور العثمانية وفيض الله٣: «جوزيته كملا»، وفي الأصل: «وضعت كلا».

(٦) الإشمام في (سيق) للكسائي وابن عامر كما في التيسير (ص: ١٨١)، وفي (جيء) للكسائي وهشام، انظر التيسير (ص: ٧٢)، وهما سبعيتان، وانظر السبعة (ص: ١٤٣)، ولم أجد لعاصم فيهما شيئاً.

مجيئهم، وفي وقوفهم قبل فتحها مذَّلة لهم، وهكذا هي حال السجون ومواضع الثقاف والعذاب، بخلاف قوله في أهل الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ﴾، فالواو مؤذنةٌ بأنهم يجدونها مفتوحة كمنازل الأفراح.

وقرأ الجمهور: ﴿فُتِّحتْ﴾ بشد التاء في الموضعين.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بتخفيفها، وهي قراءة طلحة، والأعمش[1].

ثم ذكر تعالى توقيف الخزنة لهم على مجيء الرُّسل.

وقرأ الجمهور: ﴿يَأْتِكُمْ﴾ بالياء من تحت، وقرأ الأعرج: (تَأْتِكُم) بتاء من فوق[2].

وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ أعظم في الحُجَّة، أي: رسلٌ من جنسكم لا يصعب عليكم مرامهم ولا فهم أقوالهم.

وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ على التقرير على نفي أمر، ولا يجوز هنا الجواب بـ(نعم)؛ لأنهم كانوا يقولون: نعم لم يأتنا، وهكذا كان يترتب المعنى: ثم لم يجدوا حُجَّة، إلا أنَّ كلمة العذاب حقت عليهم، أي: الكلمة المقتضية من الله تعالى تخليدهم في النار، وهي عبارة عن قضائه السابق لهم بذلك، وهي التي في قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

و«المثوى»: موضع الإقامة.

قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ / أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾. [٥/ ٣٠]

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٦٤). وسقطت من أحمد٣.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٦).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ لفظ يعم كل من يدخل الجنة من المؤمنين الذين اتقوا الشِّرك، لأن الذين لم يتقوا المعاصي قد يُساق منهم زمر، وهم الذين سبق لهم أن يغفر الله لهم من أهل المشيئة، وأيضاً فالذين يدخلون النار ثم يخرجون منها قد يساقون زمراً إلى الجنة بعد ذلك فيصيرون من أهل هذه الآية.

والواو في قوله: ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ مؤذنة بأنها قد فتحت قبل وصولهم إليها.

وقالت فرقة: هي زائدة، وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿فُتِحَتۡ﴾.

وقال الزَّجَّاج عن المبرد: جواب ﴿إِذَا﴾ محذوف، تقديره بعد قوله: «خالدين فيها»: سعدوا[١].

وقال الخليل: الجواب محذوف تقديره: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها، وهذا كما قدَّر الخليل قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣][٢].

وكما قدَّر أيضاً قول امرئ القيس:

[الطويل] فلمَّا أجزنا ساحة الحيِّ وانتحى[٣] ....

أي: أجزنا وانتحى.

وقال قوم ـ أشار إليهم ابن الأنباري وضعَّف قولهم ـ: هذه واو الثمانية، [وقد تقدم القول في واو الثمانية][٤] مستوعباً في سورة الكهف وسقطت هذه الواو في مصحف ابن مسعود، فهي كالأولى[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٦٤).
(٢) انظر الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٣).
(٣) هذا صدر بيت من معلقته، وعجزه: بنا بَطْنُ خَبْت ذي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ، وقد تقدم في تفسير الآية (١١) من (سورة يوسف).
(٤) سقط من الأصل، وسقط من المطبوع معه: «مستوعباً في سورة الكهف».
(٥) الإنصاف لابن الأنباري (٢/ ٣٧٦).

و﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ تحيَّة، ويحتمل أن يريد أنهم قالوا لهم: سلامٌ عليكم وأَمنة لكم، و﴿طِبۡتُمۡ﴾ معناه: أعمالاً ومعتقداً ومستقراً وجزاءً.

وقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ يريد أرض الجنة، قاله قتادة، وابن زيد، والسُّدِّيُّ[1]، والوراثة هنا مستعارة، لأن حقيقة الميراث أن يكون يصير شيء إلى إنسان بعد موت إنسان، وهؤلاء إنما ورثوا مواضع أهل النار أن لو كانوا مؤمنين.

و﴿نَتَبَوَّأُ﴾ معناه: نتخذ أمكنة ومساكن، ثم وصف حالة الملائكة من العرش وحفوفهم به.

وقال قوم: واحد ﴿حَآفِّينَ﴾: حافٌّ، وقالت فرقة: لا واحد لحافّين لأن الواحد لا يكون حافّاً، إذ الحفوف الإحداق بالشيء، وهذه اللفظة مأخوذة من الحفاف الذي هو الجانب، ومنه قول الشاعر:

لَهُ لَحظَاتٌ عَنْ حِفَافَيْ سَرِيرِهِ ... إذا كَرَّهَـا فِيهـا عِقَـابٌ وَنَائِـلُ[2] [الطويل]

أي: عن جانبيه.

وقالت فرقة: ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ حَوۡلِ﴾ زائدة. والصواب أنها لابتداء الغاية.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾، قالت فرقة: معناه: أن تسبيحهم يتأتى بحمد الله وفضله، وقالت فرقة: تسبيحهم هو ترديد حمد الله وتكراره، وقال الثعلبي: متلذذين لا متعَبِّدين ولا مُكَلَّفين[3].

وقوله: ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ختم للأَمر، وقولٌ جزمٌ عند فصل القضاءِ؛

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٤٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ١٩٨).

(٢) البيت لإبراهيم بن هرمة، كما في الحيوان (٣/ ٦٩)، وعيون الأخبار (١/ ٤١٠)، والعقد الفريد (١/ ٣٦).

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٠).

أَي: أن هذا الحاكم العدل[1] ينبغي أَن يحمد عند نفوذ حكمه وإكمال قضائه، ومن هذه الآية جعلت (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) خاتمة المجالس والمجتمعات في العلم.

وقال قتادة: فتح الله أول الخلق بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١][2]، وختم القيامة بالحمد في هذه الآية.

قال القاضي أبو محمد: وجعل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فاتحة كتابه، فبه يبدأ كلُّ أمر، وبه يختم، وحمد الله تعالى وتقديسه ينبغي أن يكون من المؤمن، كما قال الشاعر:

[الطويل]

وَآخِرُ شَيءٍ أَنْتَ في كُلِّ ضِجْعة ... وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هُبُوبِي[3]

[هذا، وقد أخرج عبد بن حميد عن وهب رضي الله عنه أنه قال: من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ آخر سورة الزمر][4].

كمل تفسير (سورة الزمر) والحمد لله رب العالمين[5]

* * *

---

(١) في الأصل: «القول».

(٢) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٤٤) وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٠).

(٣) البيت لعليّ بن الجهم كما في محاضرات الأدباء (٢/ ٦١)، وحكاه في بلاغات النساء (ص: ١٠٢) عن امرأة، وفيهما هجعة.

(٤) من المطبوع، وانظر قول وهب في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٣/ ٨٨٢).

(٥) في فيض الله: «نجز تفسير (سورة الزمر)، والحمد لله كما هو أهله ومستحقه، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله على كل حال». وفي السليمانية: «الحمد لله وحده»، وفي الحمزوية: «والحمد لله حق حمده».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة غافر

هذه السُّورة مكِّيَّةٌ بإِجماع، وقد رُوي في بعض آياتها أَنَّها مدنيَّة، وهذا ضعيف، والأَوَّل أَصحّ.

وهذه الحواميم الَّتي روى أَنس رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّها ديباج القرآن(١)، ووقفه الزَّجّاج على ابن مسعود(٢).

---

(١) موضوع، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٦١) من طريق عبد القدوس بن حبيب، عن الحسن، عن أنس بن مالك به، وعبد القدوس بن حبيب الكلاعي الوحاظي ـ أبو سعيد ـ الشامي، قال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه، وكان ابن المبارك يقول: لأن أقطع الطريق أحب إليَّ من أن أروي عن عبد القدوس الشامي. اهـ. وانظر ترجمته في المجروحين (٢/ ١٣١)، والميزان (٢/ ٦٤٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٧) لأبي الشيخ في الثواب، وأبي نعيم، والديلمي.

(٢) منقطع، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٥٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٩١٣)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٣٨) من طريق سفيان بن عيينة، وابن الضريس في فضائل القرآن (٣٠٢) من طريق مسلم بن خالد الزنجي كلاهما ـ ابن عيينة، والزنجي ـ عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن مسعود قال: الحواميم ديباج القرآن. وهو منقطع؛ لعدم سماع مجاهد من ابن مسعود كما قاله أبو زرعة. وانظر جامع التحصيل (٧٣٦)، وقد تحرف «عبد الله بن مسعود» عند ابن الضريس إلى «أبو مسعود الأنصاري»، وقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٠٣١) عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد من قوله.

ومعنى هذه العبارة أَنَّها خلت من الأَحكام، وقُصرت على المواعظ والزّجر وطرق الآخرة محضاً، وأَيضاً فهي قصارٌ لا يلحق قارئها فيها سآمة.

ورُوي: أَن عبد الله ابن مسعود رَوى: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «من أَراد أَن يرتع في رياض مونقة من الجنَّة فليقرأ الحواميم»[(١)]، وهذا نحو الكلام الأَول في المعنى.

وقال ﷺ: «مثل الحواميم في القرآن مثل الحِبَرَات في الثياب»[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾.

قد تقدم القول في الحروف المقطعة في أَوائل السُّور، وتلك الأَقوال كلها تترتب في قوله: ﴿حمٓ﴾، ويختص هذا الموضع بقول آخر قاله الضحاك، والكسائي: إِن ﴿حمٓ﴾ هجاءُ (حُمَّ) بضم الحاءِ وشدِّ الميم المفتوحة، كأَنه يقول: حُمَّ الأَمْرُ وَوَقع تنزيل الكتاب من الله[(٣)].

---

(١) منكر، أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٩٦) من طريق إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل ابن رافع، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة مرسلاً، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك، أما رواية ابن مسعود رضي الله عنه فقد أخرجها أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٥٥) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أبي عبيد، عن أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن. وأبو إسحاق السبيعي قد عنعن وهو مدلس، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه على الراجح.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٦٢) بلا سند.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٣٩٧ و٦٣٩٨).

وقال ابن عباس: الر[١]، وحم[٢]، ون[٣]: هي حروف (الرحمن) مُقَطَّعة في سُوَر[٤].

وقال القرظي[٥]: أَقسم الله بحلْمه ومُلْكِه[٦].

وسأَل / أَعرابيٌّ النبي ﷺ عن ﴿حمٓ﴾ ما هو؟ فقال: «بدءُ أَسماءٍ وفواتح سوَر»[٧]. [٥/ ٣١]

وقرأَ ابن كثير بفتح الحاءِ، ورُوي عن أَبي عمرو كسرها على الإِمالة، ورُوي عن نافع الفتح، ورُوي عنه الوسط بينهما، وكذلك اختُلف عن عاصم، ورُوي عن عيسى كسر الحاءِ على الإِمالة، وقرأَ جمهور الناس ﴿حمٓ﴾ بفتح الحاءِ وسكون الميم[٨].

وقرأَ عيسى بن عُمَر أَيضاً: (حمَ) بفتح الحاءِ وفتح الميم الأَخيرة في النطق[٩].

ولذلك وجهان:

---

(١) يونس: ١، هود: ١، إبراهيم: ١، يوسف: ١، الحجر: ١.

(٢) فاتحة سور غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

(٣) القلم: ١.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٢/ ١٠٣- ١٠٤-٢٠/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم (١٠١٨٦) في تفسيريهما من طريق علي بن الحسين، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعلي بن الحسين بن واقد المروزي ضعيف.

(٥) هو محمد بن عبد الله القُرَظِيُّ. وفي الحمزوية ـ والتونسية كما في حاشية المطبوع ـ: «القرطبي»، وهو خطأٌ من الناسخ.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٣)، وفي تفسير السمعاني (٥/ ٦٢).

(٧) لم أهتد إليه، وانظر تفسير القرطبي (١٥/ ٢٨٩). وفي الأصل: «بدء السماء».

(٨) حاصل ما فيها: ثلاث قراءات سبعية، الإمالة لحمزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان، والتقليل لأبي عمرو وورش، والفتح للباقين، انظر التيسير (ص: ١٩١)، وانظر الخلاف عن أبي عمرو ونافع في السبعة (ص: ٥٦٧).

(٩) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٧)، وعزا له الكسر الثعلبي (٨/ ٢٦٤). وفي الحمزوية: «سكون الميم».

أَحدهما: التحريك للالتقاءِ مع الياءِ الساكنة، والآخر: أَن تكون حركة إِعراب، وذلك نصب بفعل مقدر تقديره: اقرأْ حم، وهذا على أَن تجرى مجرى الأَسماءِ، والحُجَّة فيه قولُ شُرَيْح بن أَوْفى العَبْسِيِّ[١]:

[الطويل] يُذَكِّرني حامِيمَ والرُّمْحُ شاجِرٌ فَهَلَّا تَلَا حاميمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ[٢]

وقال الكميت:

[الطويل] وَجَدْنَا لكُمْ في آلِ حامِيمَ آيَةً تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ[٣]

وقرأَ أَبو السمال: (حم) بفتح الحاء وكسر الميم الأَخيرة، وذلك لالتقاءِ الساكنين[٤].

و﴿حمٓ﴾ آية.

و﴿تَنزِيلُ﴾ رفع بالابتداءِ، والخبر في قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، وعلى القول بأَن ﴿حمٓ﴾ إِشارة إلى حروف المعجم يكون قوله: ﴿تَنزِيلُ﴾[٥] خبر ابتداءٍ.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن.

وقوله: ﴿غَافِرِ﴾ بدلٌ من المكتوبة[٦].

وإِن أَردت بـ﴿غَافِرِ﴾ المُضِيَّ؛ أَي: غُفْرانه في الدنيا وقضاءَه بالغُفْران وستره على المذنبين؛

---

(١) هو قاتل محمد بن طلحة بن عبيد الله السجاد، كما في الإصابة (٦/ ١٦)، وفيه أقوال أخرى، وكان شريح أحد رؤوس الخوارج، وكان مع زيد بن حصن في حروراء على المجنبتين، وكان رأسهم يومئذ عبد الله بن وهب السبئي، تاريخ الإسلام (٣/ ٦٠٥).

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ١٩٣)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٤٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٤١)، وقد اختلف فيه.

(٣) عزاه في مجاز القرآن (٢/ ١٩٣)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٢٥٧)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٤٨). وفي المطبوع: «معزب».

(٤) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٧)، وفي مختصر الشواذ (ص: ١٣٣) عنه فتح الحاء.

(٥) في الأصل: «حم».

(٦) أي: لفظ الجلالة «الله».

فيجوز أَن تكون ﴿غَافِرِ﴾ صفةً؛ لأَن إِضافته إِلى المعرفة تكون محضة، وهذا مترجح جدّاً.

وإِذا أَردت بـ﴿غَافِرِ﴾ الاستقبال ـ أَي غُفْرَانَهُ يوم القيامة ـ فالإِضافة غير محضة.

و﴿غَافِرِ﴾ نكرة، فلا يجوز أَن تكون نعتاً؛ لأَن المعرفة لا تُنْعت بالنكرة، وفي هذا نظر.

وقال الزَّجَّاج: ﴿غَافِرِ﴾ و﴿وَقَابِلِ﴾ صفتان، و﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ بَدَلٌ[١].

و﴿ٱلذَّنۢبِ﴾ اسم الجنس، وأَما ﴿ٱلتَّوۡبِ﴾ فيحتمل أَن يكون مصدراً؛ كالعوم والنوم، فيكون اسم جنس، ويحتمل أَن يكون جمع تَوْبة، كتَمْرةٍ وتَمْر، وساعة وساع.

وقبول التوبة من الكافر مقطوعٌ به؛ لإِخبار الله تعالى، وقبول التوبة من العاصي في وجوبها قولان لأَهل السُّنَّة.

وحكى الطبري عن أَبي بكر بن عياشٍ: أَن رجلاً جاءَ إِلى عُمر بن الخطاب فقال: إِني قتلت، فهل لي من توبة؟ فقال: نعم، اعمل ولا تيأَس، ثم قرأ هذه الآية إِلى قوله تعالى: الآيات إلى ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[٢].

[و﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ صفةٌ، وقيل: بَدَلٌ][٣].

ثم عقَّب هذا الوعيد بوعد ثان في قوله: ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِ﴾، أَي: ذي التَّطَوُّل والمَنِّ بكلِّ نعمة، فلا خير إِلا منه، فترتَّب في الآية وعيدٌ بين وعْدَيْن[٤]، وهكذا رحمة الله تغلب غضبه.

قال القاضي أَبو محمد: سمعت هذه النزعة من أَبي رضي الله عنه، وهي نحو من

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٦٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٥٠). وفي الحمزوية: «عن ابن عباس»، بدل «ابن عياش».

(٣) في حاشية المطبوع: هكذا في جميع الأصول، وأعتقد أنه مكرر، أو أنه في غير موضعه.

(٤) في الأصل: «وعيدين».

قول عمر رضي الله عنه: لن يغلب عسْرٌ يُسْرَيْن[١]، يريد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

و﴿ٱلطَّوْلِ﴾: الإنعام، ومنه: ما حَليتُ بطائل.

وحكى الثعلبي عن أَهل الإِشارة: أَنه تعالى غافر الذنب فضلاً، وقابل التَّوْب وعداً، وشديد العقاب عدلاً[٢].

وقال ابن عباس: ﴿ٱلطَّوْلِ﴾: السَّعَة والغِنَى[٣].

ثم صدع تعالى بالتوحيد في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وبالبعث والحشر في قوله: ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يريد: جدالاً باطلاً، لأَن الجدال فيها يقع من المؤمنين لكن في إِثباتها وشرحها.

وقوله: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ أَنزله منزلة: فَلَا يَحْزُنْكَ، وَلا يَهُمَّنَّك؛ لتدل الآية على أَنهم ينبغي أَلَّا يَغْتَرُّوا بإِملاءِ الله تعالى لهم، فالخطاب له والإِشارة إِلى من يقع منه الاغترار، ويحتمل أَن يكون ﴿يَغْرُرْكَ﴾ بمعنى: تظُن أَن وراءَ تقلُّبهم وإِمهالهم خيراً لهم، فتقول: عَسَى أَلا يُعَذَّبوا.

---

(١) لا بأس به، أخرجه ابن المبارك في الجهاد (٢١٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٩٨٣٤-٣٤٥٣٢)، وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٣١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٠١-٣٠٢) وغيرهم من طرق عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن أبا عبيدة حُصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر بن الخطاب، بنحوه مطولاً، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٠١٠) من طريق ابن أبي الدنيا به، وفي الباب عن ابن مسعود وغيره، وقد أخرجه مالك في الموطأ (٩٦١)، عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة إلى عمر..فذكره، ومن طريقه الطبري (٦/ ٣٣٤).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٥١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٩) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وحُلَّ الفعلُ من الإِدغام لسكون الحرف الثاني، وحيث هما متحركان لا يجوز الحلُّ، لا تقول: زيد يَغْرُرُكَ.

و﴿تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ عبارة عن تمتعهم بالمساكن والمزارع والأَسفار وغير ذلك.

ثم مثَّل لهم بمن تقدمهم من الأُمم، أَي: كما حَلَّ بأُولئك كذلك ينزل بهؤلاءِ.

﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾ يريد بهم عاداً وثموداً وأَهل مَدْيَن وغيرهم.

وفي مصحف عبد الله ابن مسعود: (بِرَسُولِهَا)[١]، ردّاً على (الأُمَّة)، وضمير الجماعة هو على معنى الآية لا على لفظها.

وقوله تعالى: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ معناه: ليهلكوه، كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾[٢]، والعرب تقول للقتيل: أَخيذٌ، وللأَسير: كذلك، ومنه قولهم: أَكذبُ من الأَخيذِ الصبحان[٣].

وقال قتادة: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ معناه: ليقتلوه[٤].

و﴿لِيُدْحِضُوا﴾ معناه: لِيُزْلِقُوا وليُذهبوا، والمدْحَضَةُ: المزلَّة والمَزْلَقَة[٥].

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ تعجيب وتعظيم، وليس باستفهام عن كيفية وقوع الأَمر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

---

(١) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ٥)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٥٣).

(٢) الرعد: ٣٢، وتكررت في الحج: ٢٤.

(٣) الجيم (١/ ٥٩)، الأمثال لابن سلام (ص: ٣٦٤). والأخيذ: الأسير، والصَّبْحان: من الصَّبُوح. وفي أكثر النسخ الخطية: «الصَّيحَان».

(٤) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٥٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٤٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٠١).

(٥) انظر الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٠١).

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

في مصحف عبد الله بن مسعود: (وكذلك سبقت كلمةُ)[1].

والمعنى: وكما أَخذْتُ أُولئك المذكورين فأَهلكتهم، فكذلك حقت كلماتي على جميع الكفار، من تقدم منهم ومن تأَخر، أَنهم أَهل النار وسكانها.

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿كَلِمَاتُ﴾ على الجمع، وهي قراءَة الأَعرج، وأَبي جعفر، وابن نصاح/. [٥/ ٣٢]

وقرأَ الباقون ﴿كَلِمَتُ﴾ على الإِفراد، وهي للجنس، وهي قراءَة أَبي رجاءٍ، وقتادة[2].

وهذه كلها عبارة عن حتم القضاءِ عليهم.

وقوله: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَتُ﴾.

ثم أخبر تعالى بخبر يتضمن تشريف المؤمنين ويعظم الرجاء لهم، وهو أن الملائكة الحاملين للعرش والذين حول العرش، وهؤلاء أفضل الملائكة يستغفرون للمؤمنين ويسألون الله لهم الرحمة والجنة، وهذا معنى قوله تعالى في غير هذه الآية: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان: ١٦]؛ أي: سألته الملائكة، وفسر في هذه الآية المجمل الذي في قوله تعالى في غير هذه الآية: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، لأَنه معلوم أَن الملائكة لا تستغفر لكافر.

وقد يجوز أَن يقال: معنى ذلك أَنهم يستغفرون للكفار بمعنى طلب هدايتهم والمغفرة لهم بعد ذلك، وعلى هذا النحو هو استغفار إِبراهيم لأَبيه، واستغفار رسول الله ﷺ للمنافقين.

---

(١) وهي شاذة، قال في البحر المحيط (٩/ ٢٣٧)، وهو تفسير معنى، لا قراءة.

(٢) وهما سبيعتان، انظر السبعة (ص: ٥٦٧)، والنشر (٢/ ٢٩٦).

وبلغني: أَن رجلاً قال لبعض الصالحين: ادْعُ لي واستغفر لي، فقال له: تُبْ واتَّبع سبيل الله يستغفر لك من هو خير منِّي، وتَلَا هذه الآية[١].

وقال مطرف بن الشِّخير: وجدنا أَنصح العباد للعباد الملائكة، وأَغش العباد للعباد الشياطين، وتلا هذه الآية[٢].

وروى جابر بن عبد الله: أَن النبي ﷺ قال: «أَذِنَ لي ربِّي أَن أُحدِّث عن مَلَك من حَمَلة العرش بين شحمة أُذنه وعاتقه مسيرة سبع مئة سنة»[٣].

وقرأَت فرقة: (العُرْشَ) بضم العين[٤]، والجمهور على فتحها.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ نصب (الرحمة) على التمييز وفيه حذف تقديره: يقولون، ومعناه: وَسِعَتْ رَحمَتُكَ وعِلْمُكَ كلَّ شيءٍ، وهذا نحو قولهم: تَفَقَّأْت شحماً، وتصبَّبت عرقاً، وطبت نفساً.

«سبيلُ اللّهِ المُتَّبَعة»: هي الشرائع.

وقرأ جمهور الناس: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ على جمع الجنات.

وقرأ الأعمش في رواية المفضل: (جنة عدن) على الإفراد، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود[٥].

و«الْعَدْنُ»: الإقامة.

---

(١) نقله في تفسير الثعالبي (٤/ ٦٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٥٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٩٣).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «خمس مئة»، وإسناده فرد جيد، أخرجه أبو داود (٤٧٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٦٧)، والطبراني في الأوسط (٤٤٢١-١٧٠٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤٦٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ٦٠) من طريق أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري، عن أبيه، وكلاهما صدوق، عن إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد ابن المنكدر، عن جابر بن عبد الله به، وجاء في رواية الطبراني (١٧٠٩) «مسيرة أربع مئة عام»، وفي رواية أبي الشيخ خمس مئة عام أو قال خمسين عاماً.

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٧) لسعيد بن عياض.

(٥) وهي شاذة، عزاها للأعمش والحسن الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٧).

وقوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآبِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ روي عن سعيد بن جبير في تفسير ذلك: أن الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول: أَين أَبي؟ أَين أُمي؟ أين زوجتي؟ فيلحقون به لصلاحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه إياهم(١)، وهذه دعوة الملائكة.

وقرأ عيسى بن عمر: (وذريتهم) بالإفراد(٢).

وقوله: ﴿وَقِهِمُ﴾ أصله: اوْقِهِم، حذفت الواو إتباعاً لحذفها في المستقبل، واستغني عن أَلف الوصل لتحرُّك القاف، ومعناه: اجعل لهم وقاية تقيهم السيئات.

واللفظ يحتمل أَن يكون الدعاءُ في أَن يدفع الله عنهم نفس السيئات حتى لا ينالهم عذابٌ من أَجلها(٣).

ويحتمل أَن يكون الدعاءُ في رفع العذاب اللاحق من السيئات، فيكون في اللفظ على هذا حذف مضاف، كأَنه قال: وَقِهِمْ جزاءَ السيئات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

ثم(٤) أَخبر الله تعالى بحال الكفار، وجعل ذلك عقب حال المؤمنين ليبين الفرق، وروي: أَن هذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإِنهم إِذا أُدخلوا فيها مقتوا أَنفسهم، أَي: مَقَتَ بعضهم بعضاً.

ويحتمل أَن يمقت كل واحد نفسه، فإِن العبارة تحتمل المعنيَيْن.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٥/ ٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٧).

(٣) سقط هذا الاحتمال من الأصل، وفيه: رفع العذاب بالراء.

(٤) ليست في المطبوع.

و«المَقْتُ»: هو احتقارٌ وبُغْض عن ذنب وريبة، هذا حدُّه، وإِذا مقت الكفار أَنفسهم نادتهم ملائكة العذاب على جهة التوبيخ فيقولون لهم: مَقْتُ الله إِيَّاكم في الدنيا ـ إِذ كنتم تُدعَوْن إِلى الإِيمان فتكفرون ـ أكبر من مقْتكم أَنفسكم اليوم، هذا هو معنى الآية، وبه فسَّر مجاهد، وقتادة، وابن زيد[1].

وأَضاف المصدر إِلى الفاعل في قوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ والمفعول محذوف؛ لأَن القول يقتضيه، واللام في قوله تعالى: ﴿لَمَقْتُ﴾ يحتمل أَن تكون لام الابتداءِ، ويحتمل أن تكون لام القسم، وهو أَصوب، و﴿أَكْبَرُ﴾ خبر الابتداءِ.

والعامل في ﴿إِذْ﴾ فعل مضمر تقديره: مَقَتَكُمْ إِذْ، وقدَّره قوم: اذكروا، وذلك ضعيف يحلُّ ربط الكلام، اللهم إِلا أَن يُقَدَّر أَن مَقْتَ الله لهم هو في الآخرة، وأَنه أَكبر من مقتهم أَنفسهم، فيصح أَن يُقَدَّر المضمر: اذكروا، ولا يجوز أَن يعمل فيه قوله: ﴿لَمَقْتُ﴾ لأَن خبر الابتداءِ قد حال بين (الْمَقْتِ) وبين ﴿إِذْ﴾، وهي في صِلَتِهِ، ولا يجوز ذلك.

واختلف المفسرون في معنى قولهم: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾:

فقال ابن عباس[2]، وقتادة، والضحاك، وأبو مالك: أَرادوا موتة كونهم ماءً في الأَصلاب، ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم الموت المعروف، ثم أحياهم يوم القيامة، قالوا وهي كالتي في سورة البقرة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨][3].

وقال ابن زيد: أَرادوا أَنه أَحياهم نسماً عند أَخْذ العهد عليهم وقت أَخذهم من صلب آدم، ثم أَماتهم بعد ذلك، ثم أَحياهم في الدنيا، ثم أَماتهم ثم أَحياهم.

---

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٣٨٥)، وتفسير الطبري (٢١/ ٣٥٨ و٣٥٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٦٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٦٠). وفي المطبوع: «وابن مالك» بدل «وأبو مالك».

وهذا قول ضعيف لأَن الإِحياءَ فيه ثلاث مرار.

وقال السُّدي: أَرادوا أَنه أَحياهم في الدنيا ثم أَماتهم، ثم أَحياهم في القبر وقت سؤال منكر ونكير ثم أَماتهم فيه، ثم أَحياهم في الحشر[١].

وهذا أَيضاً يدخله الاعتراض الذي في القول قبله، والأَول أَثبت الأَقوال.

وقال محمد بن كعب القرظيُّ: أَرادوا أَن الكافر في الدنيا هو حيُّ الجسد ميِّتُ القلب، / فكأَن حالهم في الدنيا جمعت إِحْياءً وإِماتةً، ثم أَماتهم حقيقة، ثم أَحياهم في البعث[٢]. [٥/ ٣٣]

والخلاف في هذه الآية مقول كلُّه في آية سورة البقرة، وهذه الآية يظهر منها أَن معناها منقطع من معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾، وليس الأَمر كذلك، بل الآيتان مُتَّصلتا المعنى، وذلك أَن كفرهم في الدنيا كان أَيضاً بإِنكارهم البعث، واعتقادهم أَنه لا حشر ولا عذاب، ومقتهم لأَنفسهم إِنما عظَّمه لأَن هذا المعتقد كذَّبهم، فلما تقرر مقتهم لأَنفسهم ورأَوْا خزياً طويلاً عريضاً، رجعوا إِلى المعنى الذي كان كفرهم به وهو البعث، وخرج إِلى الوجود مقترناً بعذابهم، فأَقَرُّوا به على أَتَمِّ وجوهه، أَي: كنا قد كفرنا بإِنكارنا البعث، ونحن اليوم نُقر أَنَّك أَحييتنا اثنتين وأَمَتَّنا اثنتين، كأَنهم قصدوا تعظيم قدرته تعالى، واسترضاءَه بذلك، ثم قالوا عقِب ذلك الإِقرار طمعاً منهم: فها نحن معترفون بذنوبنا، فهل إِلى خروج من سبيل؟

وهذا كما تكلِّف إِنساناً أَن يُقِرَّ لك بحق وهو ينكرك، فإِذا رأَى الغلبة وضرع[٣]، أَقرَّ بذلك الأَمرَ مُتَمَّماً أَوفى مما كنت تطلبه به أَوَّلاً.

وفيما بعد قولهم: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر، تقديره: لا إِسعاف لطلبتكم، أَو نحو هذا من الرَّدِّ والزجر.

---

(١) انظره مع قول ابن زيد الذي قبله في تفسير الطبري (٢١/ ٣٦١).
(٢) انظر قوله في هذه الآية في تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ١١٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٩٧).
(٣) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والسليمانية: «وصُرِع».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم﴾ يحتمل أَن يكون إِشارةً إِلى العذاب الذي هم فيه، ويحتمل أَن يكون إِشارة إِلى مقت الله إِياهم، ويحتمل أَن يكون إِشارة إِلى مقتهم أَنفسهم، ويحتمل أن تكون إشارة إِلى المنع والزجر والإِهانة التي قلنا إِنها مقدرة محذوفة الذكر لدلالة ظاهر القول عليها، ويحتمل أَن تكون المخاطبة بـ﴿ذَٰلِكُم﴾ لمعاصري محمد ﷺ في الدنيا، ويحتمل أَن تكون في الآخرة للكفار عامة.

وقوله: ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ معناه: بحالة توحيد ونفي لما سواه من الآلهة والأَنداد.

وقوله: ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾؛ أَي: إِذا ذكرت اللات والعُزَّى وغيرهما صدقتم واستقرت نفوسكم.

والحُكْمُ اليوم بعذابكم وتخليدكم في النار لله، لا لتلك التي كنتم تشركونها معه في الأُلوهية.

و﴿ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ صفتا مدح لا في المكان ومضادة السفل والصغر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾.

هذا ابتداءُ مخاطبة في معنى توحيد الله تعالى وتبْيين علامات ذلك.

و«آياتُ الله»: تَعُمُّ آياتِ قدرته وآياتِ قرآنِهِ والمعجزاتِ الظاهرة على أَيدي رسله.

و«تنزيلُ الرزق»: هو في تنزيل المطر وفي تنزيل القضاءِ والحكم بنَيْل ما يناله المرءُ في تجارة وغير ذلك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَيُنْزِلُ﴾ بالتخفيف.

وقرأ الحسن، والأعرج، وعيسى وجماعة: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بفتح النون وشد الزاي[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ معناه: وما يتذكَّر تذكُّراً يُعْتد به وينفع صاحبه؛ لأَنَّا نجد من لا يُنيب يتذكر، لكن لما كان ذلك غير نافع عُدَّ كأَنه لم يكن.

وقوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ مخاطبة للمؤمنين أَصحاب محمد ﷺ، و(ادعوا) معناه: اعبدوا.

وقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ يحتمل أَن يريد بالدرجات: صفاته العُلَى، وعبَّر بما يقرب لأَفهام السامعين.

ويحتمل أَن يريد: رفيع الدرجات الَّتي يعطيها للمؤمنين، ويتفضل بها على عباده المخلصين في جنته.

و﴿الْعَرْشِ﴾ هو الجسم المخلوق الأَعظم، الذي السماوات السبع والأَرضون فيه كالدنانير في الفَلاة من الأَرض.

قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾، قال الضحاك: الرُّوحُ هنا هو الوحي: القرآن وغيره مما لم يُتْلَ، وقال قتادة والسدي: الرُّوح: النُّبُوَّة ومكانتها[٢]، كما قال تعالى: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ويسمى هذا روحاً لأَنه يُحيي به الأُمم والأَزمان كما يُحيي الجسد بروحه.

ويحتمل أَن يكون إِلقاءُ الروح عامّاً لكل ما ينعم الله به على عباده المهتدين في تفهيمه الإِيمان والمعقولات الشرعية[٣].

---

(١) التخفيف هنا لابن كثير وأبي عمرو خاصة على قاعدتهما، والباقون بالتشديد، انظر التيسير (ص: ٧٥).

(٢) انظر قول الضحاك والسدي في الطبري (٢١/ ٣٦٤)، وأما قتادة ففيه عنه أنه الوحي، وكذا في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٠٨).

(٣) في أحمد٣: «المعقولات السريعة»، وفي فيض الله ونور العثمانية: «الشريفة»، وفي الأصل: «المعتقدات الشريفة».

والمنذر[١] ـ على هذا التأْويل ـ هو الله تعالى.

قال الزجاج: الرُّوحُ: كلُّ ما به حياة الناس، وكلُّ مهتد حيٌّ، وكلُّ ضالٍّ كالميت[٢].

وقوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ إِن جعلته جنْساً للأُمور فـ﴿مِّنۡ﴾ للتَّبعيض، أَو لابتداءِ الغاية، [وإِن جعلنا الأَمر من معنى الكلام فـ﴿مِّنۡ﴾ إِمَّا لابتداءِ الغاية][٣]، وإِمَّا بمعنى الباءِ، ولا تكون للتَّبعيض بَتَّة.

وقرأَ أُبَيٌّ بن كعب وجماعة: ﴿لِيُنذِرَ﴾ بالياءِ وكسر الذال.

وفي الفعل ضمير يحتمل أَن يعود على الله تعالى، ويحتمل أن يعود على الرُّوح، ويحتمل أن يعود على ﴿مِّنۡ﴾ في قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾.

وقرأَ محمد بن السميفع اليماني: (لِيُنْذَرَ) بالياءِ وفتح الذال وضم الميم من (يَوْمُ)، وجعل اليوم منذراً على الاتساع.

وقرأَ جمهور الناس: (لِتُنْذِرَ) بالتاءِ على مخاطبة محمد ﷺ، و(يَوْمَ) بالنصب[٤].

وقرأَ أَبو عمرو، ونافع، وجماعة: ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ بدون ياءٍ، وقرأَ أَبو عمرو أَيضاً،

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «والمقدر».

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٦٩).

(٣) سقط من الحمزوية.

(٤) أورد المصنف هنا ثلاث قراءات، عزا الثالثة بالتاء للجمهور، وتبعه الثعالبي (٥/ ١٠٨)، والباحث فيصل في رسالته على قراءات ابن عطية (ص: ٥٧٣)، وذلك وهم بيِّن، بل هي شاذة نقلها الداجوني عن الأصبهاني عن ورش، كما في جامع البيان (٤/ ١٥٥٠)، وليست من طرق النشر ولا الهذلي ولا ابن مجاهد، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٣) للحسن واليماني، وأما الثانية بفتح الذال ورفع يوم فعزاها لليماني، وهي شاذة، وعزاها له صاحب اللوامح كما في البحر المحيط (٩/ ٢٤٤)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٧) للحسن ويعقوب، وأما الأولى بالياء مبنياً للفاعل فعزاها لأبي دون تعرض لضبط (يوم) فإن كانت بالرفع، فهو كذلك، وهي شاذة، كما في البحر المحيط (٩/ ٢٤٤)، وإن كانت بالنصب فهي القراءة المتواترة، والله أعلم.

وعيسى، ويعقوب: ﴿التَّلَاقي﴾ بالياءِ، والخلاف فيها كالخلاف الذي مَرَّ في ﴿ٱلتَّنَادِ﴾[(١)].

ومعناه: تلاقي جميع العالم بعضهم ببعض، وذلك أَمْرٌ لم يتفق قطُّ قبل ذلك اليوم.

وقال السدي: معناه: تلاقي أَهل السماءِ وأهل الأَرض[(٢)]، وقيل: معناه: تلاقي الناس مع بارئهم، وهذا المعنى الأَخير هو أَشدها تخويفاً، وقيل: يلتقي المرءُ وعمله.

[٥/ ٣٤] وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ معناه: في / براز من الأَرض يَنْفُذُهُم البصر، ويُسمعهم الداعي، ونُصب ﴿يَوۡمَ﴾ على البدل من الأَول، فهو نصب المفعول، ويحتمل أَن ينصب على الظرف ويكون العامل فيه قوله: ﴿لَا يَخۡفَىٰ﴾، وهي حركة إِعراب لا حركة بناءٍ؛ لأَن الظرف لا يُبْنى إِلَّا إِذا أُضيف إِلى غير متمكن كيومئذ، وكقول الشَّاعر:

[الطويل] عَلَى حينَ عَاتبْتُ المشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ[(٣)]

وكقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ [المائدة: ١١٩].

وأَمَّا في هذه الآية فالجملة أمر[(٤)] متمكن، كما تقول: جئتُ يَوْمَ زَيْدٌ أَميرٌ، فلا يجوز البناءُ، فتأَمَّل.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ﴾؛ أَي: من بواطنهم وسرائرهم وذوات[(٥)] صدورهم.

---

(١) صوابه الذي سيأتي، أي في الآية (٣٢) من هذه السورة، فقرأهما نافع بخلف عن قالون بالياء في الوصل، وابن كثير في الحالين، والباقون بالحذف فيهما، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، وانظر النشر (٢/ ٣٦٦)، والخلاف عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٥٦٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٦٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٤٨).

(٣) البيت للنابغة الذبياني كما في تفسير الطبري (١١/ ٢٤٢)، وقد تقدم في تفسير الآية (١١٨) من (سورة المائدة).

(٤) في المطبوع: «اسمٌ».

(٥) في الأصل: «دعوات».

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) بضمير بدل المكتوبة[١].

وقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ رُوي: أَن الله تعالى يُقَرِّر هذا التقرير ويسكت العالم هيبةً وجزعاً، فيجيب هو نفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

[قال الحسن بن أبي الحسن: هو تعالى السائل وهو المجيب[٢].

وقال ابن مسعود: إِنه تعالى يقرر فيجيب العالم بذلك[٣].

وقيل: يُنادي بالتقرير مَلَك فيجيب الناسُ.

قال القاضي أَبو محمد: وإِذا تأَمل المؤمن أَنه لا حول لمخلوق ولا قوة إِلَّا بالله، فالزمان كلُّه وأَيام الدَّهر أَجمع إِنما الملك فيها للواحد القهار][٤]، لكن ظهور ذلك للكفرة والجهلة يتَّضح يوم القيامة، وإِذا تُؤُمِّل تسخير أَهل السماوات وعبادتهم ونفوذ القضاءِ في الأَرض فأَيُّ مُلْك لغير الله عز وجل؟.

ثم يُعلم الله تعالى أَهل الموقف بأَنه يوم المجازاة بالأَعمال صالحها وسيِّئها، وهذه الآية نصٌّ في أَن الثواب والعقاب معلق باكتساب العبيد، وأَنه يومٌ لا يوضع فيه أَمرٌ في غير موضعه، وذلك قوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

ثم أَخبرهم عن نفسه بسرعة الحساب، وتلك عبارة عن إِحاطته بالأَشياءِ علماً، فهو يحاسب الخلائق في ساعة واحدة كما يرزقهم؛ لأَنه لا يحتاج إِلى عدٍّ وفكرة، لا رب غيره.

---

(١) وهي لفظ الجلالة «الله»، والقراءة شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٣)، وتفسير الزمخشري (٤/ ١٥٦) لابن مسعود.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٢٧٠).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ساقط من الحمزوية، وهو في أحمد٣ ملحق في الهامش، وزاد في الأصل بعد الحسن: «أبي».

ورُوي: أَن يوم القيامة لا ينتصف حتى يقيل[١] المؤمنون في الجنة والكافرون في النار[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالإِنذار للعالم والتحذير من يوم القيامة وأَهواله، وهو الذي أَراد بيوم الآزفة، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد[٣].

ومعنى ﴿ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: القريبة، من أَزِفَ الشيءُ: إِذا قَرُب، والآزفة في الآية صفة لمحذوف قد عُلم واستقر في النفوس هَولُه، فعبَّر عنه بالقرب تخويفاً، والتقدير: يوم الساعة الآزفة، أَو الطامة الآزفة، ونحو هذا، فكما لو قال: وأَنذرهم الساعة، لَعُلِم هولها بما استقر في النفوس من أَمرها، فكذلك عُلم هنا إذ[٤] جاءَ بصفتها التي تقتضي حُلُولَها واقترابها.

وقوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ معناه: عند الحناجر، أي قد صعدت من شدة الهول والجزع، وهذا أَمر يحتمل أَن يكون حقيقة يوم القيامة من انتقال قلوب البشر إِلى حناجرهم وتبقى حياتهم، بخلاف الدنيا التي لا تبقى فيها لأَحد مع تنقل قلبه حياة، ويحتمل أَن يكون تجوُّزاً عبَّر به عمَّا يجده الإِنسان من الجزع وصعود نفسه وتضايق حنجرته بصعود القلب، وهذا كما تقول العرب: كادت نفسي أَن تخرج، وهذا المعنى يجده المفرِّط الجزِع كالذي يقرب للقتل ونحوه.

---

(١) في المطبوع: «يقبل».

(٢) «في النار» ليست في السليمانية.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٦٧ و٣٦٨).

(٤) كذا في أحمد ٣، وفي المطبوع وسائر النسخ: «إذا».

وقوله: ﴿كَٰظِمِينَ﴾ حالٌ مما أُبدل منه قوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾، أَو مما تنضاف إِليه الْقُلُوبُ؛ لأن المراد: إِذ قلوب الناس لدى حناجرهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣]، أَراد: تشخص فيه أَبصارهم.

و«الْكَاظِمُ»: الذي يردُّ غيظه وجزعه في صدره.

فمعنى الآية: أَنهم يطمعون بردِّ ما يجدونه في الحناجر والحال تغالبهم.

ثم أخبرهم تعالى أَن الظَّالمين ظلم الكفر هم في تلك الحال ليس لهم حميم؛ أَي: قريب يهتم لهم ويتعصب، ولا لهم شفيع يُطاع فيهم، وإِن همَّ بعضهم بالشفاعة لبعض فهي شفاعة لا تُقبل.

وقد روي: أَن بعض الكفرة يقولون لإِبليس يوم القيامة: اشفع لنا، فيقوم ليشفع فتبدو منه أَنْتَن ريح يؤذي بها أَهل المحشر، ثم ينحصر ويكِعُّ ويخزى.

و﴿يُطَاعُ﴾ في موضع الصفة لـ﴿شَفِيعٍ﴾؛ لأَن التقدير: ولا شفيع يطاع، وموضع ﴿يُطَاعُ﴾ يحتمل أَن يكون خفضاً حملاً على اللفظ، ويحتمل أَن يكون رفعاً عطفاً على الموضع قبل دخول ﴿مِنْ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الآية كلها عندي اعتراضٌ في الكلام بليغ.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ متصل بقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ لأَن سرعة حسابه تعالى للخلق إِنما هي بعلمه الذي لا يحتاج معه إِلى روية[1] وفكرة، ولا لشيءٍ مما يحتاجه الحاسبون.

وقالت فرقة: ﴿يَعْلَمُ﴾ متصل بقوله: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾، وهذا قول حسَنٌ، يُقَوِّيه تناسب المعنيين، ويُضَعِّفه بُعْد الآية من الآية وكثرة الحائل.

---

(١) في المطبوع: «رؤْية».

[٥/ ٣٥] و(الخائنة) مصدر كالخيانة، ويحتمل في الآية أَن تكون ﴿خَآئِنَةَ﴾ / اسم فاعل، كما تقول: ناظرة الأَعين، أَي: يعلم الأَعين إِذا خانت في نظرها.

وهذه الآية عبارة عن علم الله تعالى بجميع الخفيات، فمن ذلك كسْر الجفون، والغمز بالعين، والنظرة التي تُفهِم معنى، أَوْ يريد بها صاحبها معنى، ومن هذا قول النبي ﷺ حين جاءَه عبد الله بن أَبي سرح لِيُسْلم بعد رِدَّته بشفاعة عثمان، فتلكَّأَ عليه رسول الله ﷺ ثم بايعه، ثم قال ﷺ لأَصحابه: «هلَّا قام إِليه رجل حين تلكَّأْت عليه فضرب عنقه؟» فقالوا: يا رسول الله، أَلا أَوْمأْت إِلينا، فقال ﷺ: «ما ينبغي لنبي أَن تكون له خائنة الأَعين»[١].

وفي بعض الكتب المنزَّلة من قول الله عزَّ وجلَّ: «أَنا مرصاد الهمم، أَنا العالم بمجال الفِكر وكسر الجفون»[٢].

وقال مجاهد: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: مسارقة النظر إِلى ما لا يجوز[٣].

ثم قَوَّى الله تعالى هذا الإِخبار بأَنه يعلم ما تخفي الصدور، مما لم يظهر على

---

(١) له طرق يتقوى بها، أخرجه أبو داود (٢٦٨٥- ٤٣٦١)، والنسائي في الكبرى (٣٥١٦)، والبزار في مسنده (١١٥١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٥) من طريق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، قال زعم السدي، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين به مطولاً، وهذا إسناد لين لا يثبت اتصاله، وأورده الحافظ في التلخيص الحبير (٣/ ٢٧٧) وقال: إسناده صالح.

وقال في فتح الباري (١١/ ٩): أخرجه الحاكم من هذا الوجه، وأخرجه ابن سعد في الطبقات من مرسل سعيد بن المسيب أخصر منه وزاد فيه: وكان رجل من الأنصار نذر إن رأى ابن أبي سرح أن يقتله، فذكر بقية الحديث نحو حديث ابن عباس، وأخرجه الدارقطني من طريق سعيد بن يربوع وله طرق أخرى يشد بعضها بعضاً، وله شاهد آخر أخرجه أحمد (٣/ ١١٨-١٥١-٢٠٤)، وأبو داود (٣١٩٦) وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُومِضَ».

(٢) نقله في البحر المحيط (٩/ ٢٤٨).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ١٣٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٧١)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥٠).

عين ولا غيرها، ومثَّل المفسرون في هذه الآية بنظر رجل إِلى امرأَة هي حرمة لغيره فقالوا: ﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾: هي النظرة الثانية، ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾، أَي: عند النظرة الأُولى التي لا يمكن المرءُ دفعها، وهذا المثال جزءٌ من خائِنَة الْأَعْيُنِ.

ثم قدح في جهة الأَصنام، فأَعْلَم أَنه لا ربَّ غيره، يقضي بالحق؛ أَي: يُجازي الحسنة بعشر والسيئة بمثل، وينصف المظلوم من الظالم، إِلى غير ذلك من أَقضية الحق والعدل، والأَصنام لا تقضي بشيء ولا تنفذ أَمراً.

و﴿يَدۡعُونَ﴾ معناه: يعبدون.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يَدۡعُونَ﴾ بالياءِ على ذكر الغائب.

وقرأَ نافع بخلاف عنه وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاءِ[1]، على معنى: قل لهم يا محمد: والذين تدعون أَنتم.

ثم ذكر تعالى لنفسه صفتين بَيِّنٌ عُرُوُّ الأَصنام عنهما، وهي[2] في جهة الله تعالى عبارة عن الإِدراك على إِطلاقه.

ثم أَحال كفار قريش ـ وهم أَصحاب الضمير في ﴿يَسِيرُواْ﴾ ـ على الاعتبار بالأُمم القديمة التي كذّبت أَنبياءَها فأَهلكها الله تعالى.

وقوله: ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ يحتمل أَن يجعل في موضع نصب جواب الاستفهام، ويحتمل أَن يكون مجزوماً عطفاً على ﴿يَسِيرُواْ﴾، و﴿كَيۡفَ﴾ في قوله: ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، وفي ﴿كَيۡفَ﴾ ضمير، وهذا مع أَن تكون (كَانَ) الناقصة، وأَمَّا إِن جعلت تامة بمعنى حَدَثَ وَوَقع فـ(كَيْفَ) ظرف ملغى لا[3] ضمير فيه.

---

(١) وهما سبعيتان، التاء لنافع وهشام، كما في التيسير (ص: ١٩١)، ولم أجد فيها وجهاً لنافع بالياء ولا لأبي جعفر بالتاء.

(٢) في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، وقد وَافَقَ بها قوله جواباً عنها: «عبارة عن الإدراك».

(٣) سقط من أحمد٣.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿أشدَّ مِنْكُم﴾ بالكاف، وكذلك هي في مصاحف أَهل الشام، وذلك على الخروج من غيبة إِلى الخطاب.

وقرأ الباقون: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾، وكذلك هي في سائر المصاحف[١]، وذلك أَوفق لتناسب ذكر الغيب.

و«الآثار في الأرض»:[٢] هي المباني والمآثر والصِّيت الدنياوي.

و(ذنوبهم) كانت تكذيب الأَنبياء.

و«الواقي»: الساتر المانع، مأْخوذ من الوقاية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلى أَخذه إِيَّاهم بذنوبهم وإِن لم يكن لهم منه واقٍ.

ثم ذكر تعالى أَن السبب في إِهلاكهم هو ما قريشٌ عليه من أَن جاءَهم رسول من الله ببيِّناتٍ من المعجزات والبراهين فكفروا به، وذكر أَن الله تعالى أَخذهم، ووصف نفسه تعالى بالقوة وشدة العقاب، وهذا كله بيان في وعيد قريش.

ثم ابتدأَ تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون ومَلَئِهِ، وهي قصة فيها للنبي ﷺ تسلية وأُسوة، وفيها لقريش والكفار به وعيدٌ ومثال يخافون منه أَن يحلَّ بهم ما حلَّ بأُولئك

---

(١) وهما سبعيتان، انظر المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٥٣)، والسبعة (ص: ٥٦٩)، والتيسير (ص: ١٩١).

(٢) في الأصل: «ذلك».

من النقمة، وفيها للمؤمنين وعدٌ ورجاءٌ بالنَّصْر والظَّفر وحمد عاقبة الصبر. وآيات موسى عليه السلام كثيرة، وعُظْمها، والذي عرضه على جهة التحدي: العصا واليد، فوقعت المعارضة في العصا وحدها، ثم انفصلت[١] القضية عن إِيمان السَّحرة وغلبة الكافرين.

و«السُّلطانُ»: البُرْهانُ.

وقرأ عيسى بن عمر: (سُلُطَانٍ) بضم اللام[٢]، والناسُ على سكونها.

وخصَّ تعالى هامان وقارون بالذكر تنبيهاً على مكانهما من الكفر، ولكونهما أَشهر رجال فرعون، وقيل: إِن قارون هذا ليس بقارون بني إِسرائيل، وقيل: هو ذلك ولكنه كان منقطعاً إِلى فرعون خادماً له مستعيناً معه.

وقوله: ﴿سَـٰحِرٌ﴾؛ أَي: في أَمر العصا، ﴿كَذَّابٌ﴾ في قوله: إِني رسول من الله.

ثم أَخبر تعالى عنهم أَنهم لما جاءَهم موسى بالنُّبوَّة والحق من عند الله قال هؤلاءِ الثلاثة وأَجْمع رأْيهُم على أَن يُقتل أَبناءُ بني إِسرائيل أَتباع موسى وشُبَّانُهُم وأَهْلُ القوة منهم، وأَن يستحيي النساء للخدمة والاسترقاق.

وهذا رجوع منهم إِلى نحو القتل الأَول الذي كان قبل ميلاد موسى، ولكن هذا الأَخير لم يتمَّ لهم عزمهم فيه، ولا أَعانهم الله تعالى على شيءٍ منه.

قال قتادة: هذا قتل غير الأَول الذي كان حذر المولود[٣].

وسموا من ذكرنا من بني إِسرائيل أَبناءً، كما تقول لأنجاد[٤] القبيلة أَو المدينة وأَهل الظهور فيها: هؤلاءِ أَبناءُ فلانة.

---

(١) في السليمانية: «انقضت»، وفي نور العثمانية: «القصة».

(٢) وهي شاذة، وهو البصري، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٧).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٣).

(٤) في المطبوع والسليمانية: «لأَفخاذ».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ عبارةٌ وجيزة تعطي قوتها أَن هؤلاءِ الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل أَحد من بني إِسرائيل، ولا نجحت لهم فيه سعاية، بل أَضلَّ الله سعيهم وكيدهم.

[٥/ ٣٦] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

الظاهر من أَمر فرعون أَنه لما بهرت آياتُ موسى عليه السلام انهدَّ ركنه، واضطربت معتقدات أَصحابه، ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أَمره، وذلك بيِّنٌ من غير ما موضع من قصتهما، وفي هذه الآية على ذلك دليلان:

أَحدهما: قوله: ﴿ذَرُونِىٓ﴾، فليست هذه من أَلفاظ الجبابرة المتمكنين من إِنفاذ أَوامرهم.

والدليل الثاني: مقالة المؤمن وما صدع به، وأَن مكاشفته لفرعون أكثر من مساترته، وحكمه بنبوة موسى عليه السلام أَظهر من توريته في أَمره.

وأَما فرعون فإِنما لجأَ إِلى المخرقة والاضطراب والتعاطي، ومن ذلك قوله: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾، أَي: إِني لا أُبالي عن ربِّ موسى، ثم رجع إِلى قومه يريهم النصيحة والحماية لهم فقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾.

و«الدينُ»: السلطان، ومنه قول زهير:

[البسيط] لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بَني أَسَدٍ ... في دينِ عَمْرٍو وحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ[1]

(١) أراد عمرو بن هند ملك العراق، وقد تقدم البيت في تفسير (سورة الفاتحة).

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿وَأَنْ﴾.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿أَوَ أَن﴾، ورجَّحها أَبو عبيد بزيادة الحرف[1].

فعلى الأُولى خاف أَمرين، وعلى الثانية خاف أَحد أمرين.

وقرأَ نافع وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم، والحسن وقتادة والجحدري وأَبو رجاءٍ ومجاهد وسعيد بن المسيب ومالك بن أَنس: ﴿يُظْهِرَ﴾ بضم الياءِ وكسر الهاءِ ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ نصْباً.

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر: ﴿يَظْهَرَ﴾ بفتح الياءِ والهاءِ ﴿الْفَسَادُ﴾ بالرفع على إِسناد الفعل إِليه، وهي قراءَة حمزة، والكسائي، وأَبي بكر عن عاصم، والأَعرج، وعيسى، والأَعمش، وابن وثاب[2].

وروي عن الأَعمش أَنه قرأَ: (وَيَظْهَرُ في الأرض الفساد) برفع الراءِ[3].

وفي مصحف ابن مسعود: (وَيَظْهَرَ) بفتح الراء[4].

ولمَّا سمع موسى عليه السلام مقالة فرعون ـ لأَنه كان معه في مجلس واحد ـ دعا ربَّه وقال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ الآية.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر: ﴿عُذْتُ﴾ ببيان الذَّال.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿عُذتُّ﴾ بالإِدغام، واختلف عن نافع[5].

---

(١) وهما سبيعتان، انظر التيسير (ص: ١٩١)، وقول أبي عبيد في الثعلبي (٨/ ٢٧٢). وفي السليمانية والمطبوع وفيض الله: «أبو عبيدة».

(٢) وهما سبيعتان، انظر التيسير (ص: ١٩١)، وانظر البحر المحيط (٩/ ٢٥١).

(٣) وهي شاذة، وفي الحمزوية: «ابن وثاب» بدل «الأعمش»، ولم أجدها بحذف الواو لواحد منهما.

(٤) في المطبوع: «الياءِ»، وهي شاذة، وقد عزاها له في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٣)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٨).

(٥) سبيعتان، انظر التيسير (ص: ٤٤)، ونافع بالإظهار والخلاف عنه سقط من نجيبويه، وهو في السبعة (ص: ١١٤)، وفي الحمزوية والسليمانية وفيض الله: بدله: «عاصم»، وسقطت قراءة الجمهور وأبي من نور العثمانية.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (عُتُّ) على الإدغام في الخط[١].

ثم حكى الله تعالى مقالة رجل مؤمن مِن آل فرعون، وشرَّفه بالذكر، وخلَّد ثناءَه في الأُمم، سمعت أَبي رضي الله عنه يقول: سمعتُ أَبا الفضل الجوهري على المنبر يقول؛ وقد سئل أَن يتكلم في شيءٍ من فضائل الصحابة فأَطرق قليلاً ثم رفع رأْسه وقال:

[الطويل] عَنِ المرْءِ لا تَسْأَل وسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بالمقَارنِ يَقْتَدِي[٢]

ماذا تريدون من قومٍ قرنهم الله تعالى بنبيِّه ﷺ، وخصَّهم بمشاهدته وتلقي الوحي منه؟ وقد أَثنى الله على رجل مؤمن من آل فرعون كتم إِيمانه وأسره، فجعله الله تعالى في كتابه وأثبت ذكره في المصاحف لكلام قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأَين هو من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إِذ جرَّد سيفه بمكة وقال: والله لا عُبِدَ الله سرّاً بعد اليوم؟[٣]

وقرأَت فرقة: (رَجْلٌ) بسكون الجيم؛ كعَضُد وعَضْد، وسَبُع وسَبْع[٤].

وقراءة الجمهور بضم الجيم.

واختلف الناس في هذا الرجل؛ فقال السدي وغيره: كان من آل فرعون، وكان يكتم إِيمانه[٥]، فـ﴿يَكْتُمُ﴾ ـ على هذا ـ في موضع الصفة دون تقديم ولا تأْخير.

وقال مقاتل: كان ابن عمٍّ فرعون[٦]، وقالت فرقة: لم يكن من أَهل فرعون بل من بني إِسرائيل، وإِنما المعنى: وقال رجل يكتم إِيمانه من آل فرعون[٧]، ففي الكلام تقديم وتأْخير.

---

(١) عزاها الفراء في معاني القرآن (١/ ١٧٢) لابن مسعود.
(٢) البيت لعدي بن زيد كما تقدم في تفسير الآية (١٤١) من (سورة النساء).
(٣) نقله تفسير الثعالبي (٤/ ٧٣).
(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٨) لعيسى بن عمر.
(٥) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٢١).
(٦) انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٧٣)، وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١١) أنه قبطي كفرعون.
(٧) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٦).

والأَول أَصح، ولم يكن لأَحد من بني إِسرائيل أَن يتكلم بمثل هذا عند فرعون.

ويحتمل أَن يكون من غير القبط ويقال فيه: من آل فرعون إِذْ كان في الظاهر على دين فرعون ومن أَتباعه، وهذا كما قال أَراكةُ الثقفيُّ يرثي أَخاه ويتعزَّى برسول الله ﷺ:

فَلَا تَبْكِ مَيْتاً بَعْدَ مَيْتٍ أَجَنَّه عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وآلُ أَبِي بَكْر[1] [الطويل]

يعني: المسلمين إِذ كانوا في طاعة أَبي بكر الصديق.

وقوله: ﴿أَن يَقُولَ﴾ مفعول من أَجله، أَي لأَجل أَن يقول، وجلَّح[2] معهم هذا المؤمن في هذه المقالات، ثم غالطهم بعْدُ في أَن جعله في احتمال الصدق والكذب، وأَراهم أَنها نصيحة.

وحذفت النون من ﴿يَكُ﴾ تخفيفاً على ما قال سيبويه[3].

وتشبيهاً بالنون في: يفعلون ويفعلان، على مذهب المبرد[4].

وتشبيهاً بحرفي العلَّة ـ الياءِ والواو ـ على مذهب أَبي علي الفارسي[5]، وقال: كأَن الجازم دخل على (يكن) وهي مجزومة بعد فأَشبهت النون الياءَ من (يقضي) والواو من (يدعو)؛ لأَن خفتها[6] على اللسان سواءٌ.

واختلف المتأَولون في قوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾:

فقال أَبو عبيدة وغيره: ﴿بَعْضُ﴾ بمعنى: كُلٍّ[7]، وأَنشدوا قول القطامي عُمَيْر ابنُ شُيَيْم:

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٤٨) من (سورة البقرة).

(٢) جلَّحَ في الأمر: أقدم ومضى.

(٣) الكتاب لسيبويه (٢/ ٢٨٣)، وانظره أيضاً: (٤/ ١٨٤).

(٤) المقتضب (٣/ ١٦٧).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٤٥٥).

(٦) في المطبوع: «حقها».

(٧) مجاز القرآن (١/ ٩٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢١٦).

[البسيط] قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ [(١)]

وقال الزجاج: هو إِلزامُ الحُجَّة بأَيسر ما في الأَمر، وليس فيه نفي إِصابة الكلِّ [(٢)].

وقالت فرقة: أَراد: يصبكم بعض العذاب الذي يَذْكُر، وذلك كاف في هلاككم.

ويظهر لي [(٣)] أَن المعنى: يصبكم القسم الواحد مما يَعِد به، وذلك هو بعض ما يَعِد؛ لأَنه عليه السلام كان وعدهم إِن آمنوا بالنعيم، وإِن كفروا بالعذاب، / فإِن كان صادقاً فالعذابُ بعض ما وعد به، وقالت فرقة: أَراد ببعض ما يعدكم: عذاب الدنيا لأَنه بعض عذاب الآخرة، أَي: وتصيرون بعد ذلك إِلى الباقي، وفي البعض كفاية في الإِهلاك. [٥/ ٣٧]

ثم وعظهم هذا المؤمن بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾، قال السدي: معناه مُسْرِفٌ بالقتل، وقال قتادة: مسرف بالكفر [(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ (٣٠) مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ (٣١) وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ (٣٢) يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ (٣٣)﴾.

قول هذا المؤمن: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ استنـزالٌ لهم ووعظ من جهة شهواتهم، وتحذير من زوال ترفهم، ونصيحة لهم في أَمر دنياهم.

وقوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد أَرض مصر وما والاها من مملكتهم.

---

(١) كما في معجم الشعراء (ص: ٢٤٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٣)، والأمثال لابن سلام (ص: ٢٣٣)، والشعر والشعراء (٢/ ٧١٦)، والعقد الفريد (٢/ ٢٠٢)، وجمهرة الأمثال (١/ ٤٨٢)، وجاء في إيجاز البيان (٢/ ٧٢٦) أنه للنّابغة، ولعله سبق قلم.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٢). وفي الأصل: «إضافة الكل».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٧).

ثم قررهم على من هو الناصر لهم من بأْس الله، وهذه الأَقوال تقتضي زوال هيبة فرعون، ولذلك استكان هو ورجع يقول: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ كما يقول من لا تحكُّم له.

وقوله: ﴿أُرِيكُمۡ﴾ من رأَى، قد عُدِّي بالهمزة، فللفِعْلِ مفعولان: أَحدهما الضمير في ﴿أُرِيكُمۡ﴾، والآخر ما في قوله: ﴿إِلَّا مَآ﴾، وكان الكلام: أُريكم ما أَرَى، ثم أَدخل في صدر الكلام (ما) النافية وقَلَب معناها بـ(إِلَّا) الموجبة تخصيصاً وتأْكيداً للأَمر، وهذا كما تقول: قام زيد، فإِذا قلت: ما قام إِلَّا زيد، فقد أَفَدْتَ تخصيصه وتأْكيد أَمره، و(أَرى) متعدية إِلى مفعول واحد، وهو الضمير الذي فيه، العائدُ على (ما)، تقديره: إِلَّا ما أراه، وحَذْفُ هذا المفعول من الصلة[1] حسَنٌ لطول الصلة.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلرَّشَادِ﴾ مصدر: رشد.

وفي قراءَة معاذ بن جبل: (سبيل الرَّشَّادِ) بشد الشين[2]، قال أَبو الفتح: وهو اسم فاعل في بِنْيَته مبالغة، وهو من الفعل الثلاثي (رَشَدَ)، فهو كَعَبَّاد من عَبَدَ[3].

وقال النحاس: هو لحن، وتوهمه من الفعل الرباعيِّ[4]. وقوله مردود.

قال أَبو حاتم: كان معاذ بن جبل يفسرها: سبيل الله[5].

ويبعدُ عندي هذا على معاذٍ رضي الله عنه، وهل كان فرعون يدَّعي إلا أَنه إِله؟ ويقلق بناءُ اللفظة على هذا التأْويل.

واختلف الناس من المراد بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾:

---

(١) في الأَصل: «الصفة».

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢١٨).

(٣) المحتسب (٢/ ٢٤١).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢١٨).

(٥) انظر قوله في البحر المحيط (٩/ ٢٥٤)، قال أبو حيان: والصواب أن الخلاف في قول المؤمن: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ (الآية: ٣٨)، قال في اللوامح: معاذ بن جبل: سبيل الرشاد، الحرف الثاني بالتشديد، وفي مختصر الشواذ (ص: ١٣٣): يعني به الله تعالى.

فقال جمهور المفسرين: هو المؤمن المذكور أَوَّلاً، قصَّ الله تعالى أَقاويله إِلى آخر الآيات.

وقالت فرقة: بل كلام ذلك المؤمن قديم[١]، وإِنما أَراد الله تعالى بالذي آمن موسى عليه السلام، واحتجت هذه الفرقة بقوَّة كلامه، وأَنه جَلَّح معهم بالإِيمان، وذكر عذاب الآخرة، وغير ذلك، ولم يكن كلام الأَول إِلَّا بملاينة لهم.

وقوله: ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أَي: مثل يوم من أَيامهم؛ لأَن عذابهم لم يكن في يوم واحد ولا عصر واحد.

و﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾: المتحزِّبون على أَنبياءِ الله تعالى.

و﴿مِّثْلَ﴾ الثاني بدل من الأَول.

و«الدَّأْبُ»: العادة.

وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ أَي: من نفسه، أَي: يظلمهم هو عز وجل، فالإِرادة هنا على بابها لأَن الظلم منه لهم لا يقع البَتَّةَ، وليس معنى الآية: أَن الله لا يريد ظُلْمَ بعض العباد لبعض، والبرهان وقوعه، ومحال أَن يقع ما لا يريده الله تعالى.

وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ معناه: ينادي قوم قوماً ويناديهم الآخَرون.

واختلف المتأَولون في التَّنادي المشار إِليه:

فقال قتادة: هو نداءُ أَهل الجنة أَهلَ النار: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] الآية، ونداءُ أَهل النَّار لهم: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأعراف: ٥٠][٢] الآية.

وقالت فرقة: بل هو النداءُ الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

---

(١) في الحمزوية والسليمانية وفيض الله ونور العثمانية: «قد تم».

(٢) انظر قوله في تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٢١)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥٥).

وقال ابن عباس وغيره: هو التنادي الذي يكون بالناس عند النفخ في الصُّور نفخة الفزع في الدنيا، وأَنهم يفرون على وجوههم للفزع الذي ينالهم، وينادي بعضهم بعضاً[١].

وروي هذا التأْويل عن أَبي هريرة عن النبي ﷺ[٢].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أَن يكون المراد التذكير بكل نداءٍ في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة ولها أَجوبة بنداءٍ، وهي كثيرة، منها ما ذكرناه، ومنها: يا أَهل النار خلودٌ لا موت، يا أَهل الجنة خلودٌ لا موت[٣]، ومنها نداءُ أَهل الغدرات، والنداءُ ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١٠]، والنداءُ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الزمر: ١٦]، إِلى غير ذلك.

وقرأَت فرقة: (التَّنَادْ) بسكون الدال في الوصل[٤].

وهذا على إِجرائهم الوصل مجرى الوقف في غير ما موضع.

وقرأَ نافع، وابن كثير: ﴿التَّنَادِي﴾ بالياءِ في الوصل والوقف، وهذا على الأَصل.

وقرأَ الباقون: ﴿ٱلتَّنَادِ﴾ بغير ياءٍ فيهما، وروي ذلك عن نافع، وابن كثير[٥].

وحذفت الياءُ مع الألف واللام حملاً على حذفها مع معاقبها وهو التنوين.

وقال سيبويه: حذفت الياءُ تخفيفاً[٦].

وقرأَ ابن عباس، والضحاك، وأَبو صالح، والكلبي: (التَّنَادِّ) بشدِّ الدَّال[٧].

---

(١) لم أهتد إليه.

(٢) ضعيف، تقدم تخريجه عند آية (٦٨) من (سورة الزمر).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) وهي شاذة، من رواية علي بن نصر عن أبي عمرو، كما في تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٢).

(٥) فيها ثلاث قراءات سبعية، تقدمت في حرف (التلاق)، قريباً.

(٦) الكتاب لسيبويه (٤/ ١٨٥).

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في المحتسب (٢/ ٢٤٣).

وهذا معنى آخر ليس من النداءِ، بل هو من ند[١] البعير: إِذا هرب، وبهذا المعنى فسَّر ابن عباس[٢] والسُّدي هذه الآية[٣].

وروت هذه الفرقة في هذا المعنى حديثاً: أَن الله تعالى إِذا طوى السماوات نزلت ملائكة كل سماءٍ فكانت صفّاً بعد صف مستديرة بالأَرض التي عليها الناس للحساب، فإِذا رأَى العالم هول القيامة وأَخرجت جهنم عنقها إِلى أصحابها، فرَّ الكفار ونَدُّوا مدبرين إِلى كل وجهة، فتردهم الملائكة إِلى المحشر خائبين لا عاصم لهم[٤].

قالت هذه الفرقة: ومصداق هذا الحديث في كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ [الحاقة: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ / وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، [٥/ ٣٨] وقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ معناه على بعض الأَقاويل في التَّنادي: تفرون هروباً من الفزع، وعلى بعضها: تفرُّون مُدْبرين إِلى النَّار.

و«العَاصِمُ»: المنجي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾.

(١) سقط من المطبوع.
(٢) لم أهتد إليه.
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٨١).
(٤) المصدر السابق (٢١/ ٣٨١).

قد قدمنا ذكر[١] الخلاف في هذه الأَقوال كلها، هل هي من قول مؤمن آل فرعون أَو من قول موسى عليه السلام؟.

وقالت فرقة من المتأَولين منهم الطبري: يوسف المذكور هو يوسف بن يعقوب عليه السلام[٢].

وقالت فرقة: بل هو حفيده يوسف بن إِبراهيم بن يوسف بن يعقوب[٣].

والبَيِّنَات التي جاءَ بها يوسف لم تُعَيَّن لنا حتى نقف على معجزاته.

وروي عن وهب بن مُنَبِّه: أَن فرعون موسى لحق[٤] يوسف، وأَن هذا التقريع له كان[٥].

وروى أَشهب عن مالك: أَنه بَلَغَه أَن فرعون عمّر أَربع مئة سنة وأَربعين سنة[٦].

وقالت فرقة: بل هو فرعون آخر.

وقوله: ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ حكاية حال لرتبة[٧] قولهم؛ لأنَهم إِنما أَرادوا: لن يجيءَ بعد هذا من يدَّعي مثل ما ادَّعى، ولم يُقرَّ أُولئك قطُّ برسالة الأَول ولا الآخر ولا بأَن الله يبعث الرُّسل، فحكى رتبة[٨] قولهم، وجاءَت عبارتهم مشنعة عليهم، ولذلك قال لهم بأَثر هذا: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾،

---

(١) «ذكر» من السليمانية ونور العثمانية وفيض الله وأحمد٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٣).

(٣) انظر: الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٣١).

(٤) في الأصل: «لقي».

(٥) انظر: الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٣٠).

(٦) المصدر السابق (١٠/ ٦٤٣١).

(٧) في المطبوع والسليمانية: «لريبة»، وسقطت «حال» من الأصل ونور العثمانية والحمزوية وأحمد٣.

(٨) في المطبوع والحمزوية: «ريبة».

أَي: كما صيَّركم من الكفر والضلالة بهذا الحدِّ، فنحو ذلك هو إِضلاله لصنفكم أَهل السرف في الأُمور وتعدي الطور والارتياب بالحقائق.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب، وابن مسعود: (قُلْتُمْ أَلن يبعث اللهُ)[١].

ثم أَنحى لهم على قومٍ صفتُهم موجودة في قوم فرعون، فكأَنه أَرادهم فزال عن مخاطبتهم حُسْنَ أَدب واستجلاباً[٢]، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أَي بالإِبطال لها والرَّدِّ بغير برهان ولا حجَّة أَتتهم من عند الله كبر مقت جدالهم عند الله، فاختصر ذكر الجدال لدلالة تقدم ذكره عليه.

وردَّ الفاعل بـ﴿كَبُرَ﴾ نصباً على التمييز، كقولك: تَفَقَّأْتُ شَحْماً، وتَصَبَّبْتُ عَرَقاً.

و﴿يَطۡبَعُ﴾ معناه: يختم بالضلال ويحجب عن الهدى.

وقرأَ أَبو عمرو وحده، والأَعرج بخلاف عنه: ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ﴾ بالتنوين [﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ على الصفة][٣].

وقرأَ الباقون: [﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ﴾ بغير تنوين][٤]، وبإِضافته إِلى ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾.

قال أَبو علي: المعنى: يطبع الله على القلوب إِذا كانت قلباً قلباً من كل متكبر[٥].

ويؤكد[٦] ذلك أَن في مصحف عبد الله بن مسعود: (عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جبار)[٧].

قال القاضي أَبو محمد: ويتجه أَن يكون المراد عموم قلب المتكبر الجبار بالطبع،

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في تفسير السمعاني (٥/ ١٩).

(٢) في المطبوع: «واستخلاباً».

(٣) في الحمزوية: «وتنكير الصفة».

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣، وهما سبيعتان، الأولى لأبي عمرو وابن ذكوان، انظر التيسير (ص: ١٩١).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ١١٠).

(٦) في المطبوع والحمزوية: «ويؤيد»، والمثبت هو الموافق لعبارة أبي علي الفارسي في الحجة (٦/ ١١٠).

(٧) وهي شاذة، وانظرها في تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٢٣)، والحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١١٠).

أَي: لا ذرَّة فيه من إيمان ولا مقاربة، فهي عبارة عن شدَّة إظلامه[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

ذكر الله عزَّ وجلَّ مقالة فرعون حين أَعيته الحيل في مقاومة موسى عليه السلام بحجة، وظهر لجميع المشاهدين أَن ما يدعو إِليه موسى من عبادة إله السماءِ حق، فنادى فرعون هامان ـ وهو وزيره والناظر في أُموره ـ فأَمره أَن يبني له بناءً عالياً نحو السماءِ.

و«الصَّرْحُ»: كل بناءٍ عظيم شنيع القدر، مأْخوذ من الظهور والصراحة، ومنه قولهم: صريح النَّسب، وصرَّح بقوله.

فيروى: أَن هامان طبخ الآجُرَّ لهذا الصرح، ولم يُطبخ قبله، وبناه ارتفاع مئة[٢] ذراع، فبعث الله تعالى جبريل فمسحه بجناحه فكسره ثلاث كسر، تفرقت اثنتان ووقعت ثالثة في البحر، وروي: أَن هامان لم يكن من القبط، وقيل: كان منهم.

و﴿ٱلْأَسْبَٰبَ﴾: الطُّرق، قاله السدي، وقال قتادة: أراد الأَبواب.

وقيل: عنى: لعله يجد مع قربه من السماءِ سبباً[٣] يتعلق به.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ رفعاً عطفاً على ﴿أَبْلُغُ﴾.

---

(١) في المطبوع: «إطلاقة»، وفي نجيبويه وأحمد٣: «إطلاقه».

(٢) في المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه وأحمد٣: «أربع مئة»، وهي في السليمانية ملحقة، وسقط «لهذا الصرح» من المطبوع وأحمد٣.

(٣) سقط من الأصل، وانظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٦)، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ١٥٦).

وقرأ حفص عن عاصم، والأعرج: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ نصباً بالفاءِ في جواب التمني[(١)].

ولما قال فرعون بمحضر من مَلَئِهِ: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ اقتضى كلامه الإِقرار بإِله موسى، فاستدرك ذلك استدراكاً قلقاً بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾؛ أَي: أَنه كما تَخرَّق فرعون في بناءِ الصَّرح والأَخذ في هذه الفنون المقصرة، كذلك جرى جميع أَمره، وزُيِّن له، أَي: زيَّن له الشيطان سوءَ عمله في كل أَفعاله.

وقرأ الجمهور: ﴿وَصَدَّ﴾ بفتح الصاد، بإِسناد الفعل إِلى فرعون.

وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، وجماعة: ﴿وَصُدَّ﴾ بضم الصاد وفتح الدَّال المشدَّدة: عطفاً على ﴿زُيِّنَ﴾ وحملاً عليه[(٢)].

وقرأ يحيى بن وثاب: (وَصِدَّ) بكسر الصَّاد على معنى صُدَّ، أَصله صُدِدَ، فنقلت الحركة ثم أُدغمت الدال في الدال.

وقرأ ابن أَبي إِسحاق، وعبد الرحمن بن أَبي بكرة: (وَصَدٌّ) بفتح الصاد [ورفع الدال المشددة وتنوينها][(٣)] عطفاً على قوله: / ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾[(٤)]. [٥/ ٣٩]

و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: سبيل الشرع والإِيمان.

و«التَّبَابُ»: الخُسْران، ومنه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، وبه فسَّر مجاهد وقتادة[(٥)].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٧٠)، والتيسير (ص: ١٩١).
(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٧١).
(٣) في المطبوع وأحمد٣ بدلًا منه: «ودال مهملة مُشَدَّدة مرفوعة منونة»، وفي السليمانية: «أبي بكر» بدل: «أبي بكرة».
(٤) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٨)، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٥).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٨ و٣٨٩).

وتَبٌّ[١] فرعون ظاهرٌ لأنه خسر ماله في الصَّرح وغيره، وخسر مُلْكه، وخسر نفسه، وخُلِّد في جهنم.

ثم وعظ الذي آمن فدعا إِلى اتِّباع أَمر الله، وقوله: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾ يقوِّي أَن المتكلِّم موسى، وإِن كان الآخر يحتمل أَن يقول ذلك، أَي: اتبعوني في اتباع موسى، ثم زهَّد في الدنيا وأَخبر أَنها شيءٌ يُتَمَتَّع به قليلاً، ورغَّب في الآخرة، إِذ هي دار الاستقرار.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأَبو رجاءٍ، وشيبة، والأَعمش: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياءِ وضم الخاءِ.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وأَبو بكر عن عاصم، والأَعرج، والحسن، وأَبو جعفر، وعيسى: ﴿يُدْخَلُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح الخاءِ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾.

قد تقدم ذكر الخلاف، هل هذه المقالة لموسى أَو لمؤمن آل فرعون.

والدعاءُ إِلى طاعة الله تعالى وعبادته وتوحيده هو الدعاءُ إِلى سبب النجاة، فجعله دعاءً إِلى النجاة اختصاراً واقتضاباً، وكذلك دعاؤُهم إِياه إِلى الكفر واتِّباع دينهم هو دعاءٌ إِلى سبب دخول النار، فجعله دعاءً إِلى النار اختصاراً، ثم بيَّن عليهم ما بين الدعوتين من

(١) في أحمد٣: «تباب».

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٩٧)، والسبعة (ص: ٥٧١).

البَوْن في أَن الواحدة كُفْر وشِرْك، والأُخرى دعوة إِلى الإِسناد إِلى عزَّة الله تعالى وغفرانه.

وقوله: ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ليس معناه: أَنِّي جاهل به، بل معناه: العلم بأَن الأَوثان وفرعون وغيره ليس لهم مدخل في الأُلوهية، وليس لأَحد من البشر علمٌ بوجه من وجوه النظر بأَن لهم في الأُلوهية مدخلاً، بل العلم اليقين بغير ذلك من حدوثهم متحصل.

و﴿لَا جَرَمَ﴾: مذهب سيبويه والخليل أَنها (لا) النافية دخلت على (جَرَمَ)[1].

ومعنى جرم: ثَبَتَ وَوَجَبَ، ومن ذلك جَرَمَ بمعنى: كَسَبَ، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَلَقَدْ طَعَنْتَ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا[2]

أَي أَوجَبتْ لهم ذلك وثَبَّتَتْهُ لهم، فكأَن الكلام نفي للكلام المردود عليه بـ(لا)، وإِثبات لمستأْنف بـ(جَرَمَ)، و(أَنَّ) ـ على هذا النظر ـ في موضع رفع بـ(جَرَمَ)، وكذلك (أَنَّ) الثانية والثالثة.

ومذهب جماعة من أَهل اللسان أَن (لا جَرَمَ) هي بمعنى: لَا بُدَّ، ولَا مَحَالَة، فـ(أَنَّ) ـ على هذا النظر ـ في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ، أَي: لا محالة بأَنَّ ما، و(مَا) بمعنى: (الذي) واقعة على الأَصنام وما عبدوه من دون الله.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ أَي ليس له قَدْر وحقٌّ يجب أَن يُدعى أَحدٌ إِليه، فكأَنه قال: تدعونني إِلى ما لا غناءَ له وبَيْن أَيدينا خطب جليل من الرَّدِّ إِلى الله.

و«أَهلُ الإِسراف والشِّرك»: هم أَصحاب النار بالخلود فيها والملازمة، أَي: وكيف أَطيعكم مع هذه الأُمور الحقائق وفي طاعتكم رفض العمل بحسبها والخوف منها؟

قال ابن مسعود[3] ومجاهد: المسرفون سَفَّاكُو الدماءِ بغير حِلِّها.

---

(١) كما تقدم في حرف (هود).

(٢) تقدم في تفسير أول (سورة المائدة).

(٣) لم أقف عليه.

وقال قتادة: هم المشركون[١].

ثم توعَّدهم بأَنهم سيذكرون قوله هذا عند حلول العذاب بهم، وسوَّف بالسين؛ إِذ الأَمر محتمل أَن يخرج الوعيد في الدنيا أَو في الآخرة، وهو تأْويل ابن زيد[٢].

وروى اليزيديُّ وغيره عن أَبي عمرو فتح الياءِ من ﴿أَمْرِيَ﴾[٣].

والضمير في (وَقَاهُ) يحتمل أَن يعود على موسى.

ويحتمل أن يعود على مؤمن آل فرعون، وقال قائلوا ذلك: إِن ذلك المؤمن نجا مع موسى عليه السلام [في البحر][٤]، وفرَّ في جملة من فرَّ معه، وكان من المتَّبِعين.

وقرأَ عاصم: ﴿ فَوَقَـٰهُ ﴾ بالإِمالة[٥].

﴿ وَحَاقَ ﴾ معناه: نزل، وهي مستعملة في المكروه.

و﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: الغرَقُ وما بعده من النار وعذابها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٤).

(٣) وهي سبعية، لأبي عمرو ونافع على قاعدتهما، وأسكنها الباقون، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، في نجيبويه: «الترمذي».

(٤) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٥) الإمالة لحمزة والكسائي، والتقليل لورش بخلفه، والفتح للباقين، على قواعدهم.

قوله: ﴿ٱلنَّارُ﴾ رفع على البدل من قوله: ﴿سُوٓءُ﴾.

وقالت فرقة: ﴿ٱلنَّارُ﴾ رفع بالابتداءِ، وخبره ﴿يُعۡرَضُونَ﴾.

وقالت فرقة: هذا الغُدُوُّ والْعَشِيُّ هو في الدنيا، أَي: في كلِّ غُدُوٍّ وَعَشِيٍّ من أَيام الدنيا يعرض آلُ فرعون على النار.

وروي في ذلك عن الهُذَيل بن شرحبيل، والسُّدي: أَن أَرواحهم في أَجواف طير سود تروح بهم وتغدو إِلى النار.

وقاله الأَوزاعي حين قال له رجل: إِني رأَيت طيوراً بيضاً تغدو من البحر ثم ترجع بالعشي سوداً مثلها، قال الأَوزاعي: تلك هي التي في حواصلها أَرواح آل فرعون، يحترق ريشها ويسودُّ بالعرض على النار.

[٥/ ٤٠] وقال محمد بن كعب القرظي وغيره: أَراد أَنهم يُعرضون / في الآخرة على النار على تقدير ما بين الغُدُوِّ والعَشيِّ؛ إِذْ لا غُدُوَّ ولا عَشيَّ في الآخرة[١]، وإِنما ذلك على التقدير بأَيام الدنيا.

وقوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يحتمل أَن يكون ﴿يَوۡمَ﴾ عطفاً على (عَشِيّاً) والعامل فيه ﴿يُعۡرَضُونَ﴾.

ويحتمل أَن يكون كلاماً مقطوعاً، والعامل في ﴿يَوۡمَ﴾: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾، والتقدير على كل قول: يقال أَدْخلُوا.

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة، والأَعمش، وابن وثاب، وطلحة: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾ بقطع الأَلف.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، وأَبو بكر عن عاصم،

---

(١) انظر هذه الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٥، ٣٩٦)، وفي المطبوع: «كعب بن محمد القرظي».

والحسن، وقتادة: ﴿ادْخُلُوا﴾ بصلة الألَف على الأَمر لآل فرعون[١].

و﴿ءَالَ﴾[٢] على هذه القراءَة منادى مضاف، و﴿أَشَدَّ﴾ نصب على الظرفية.

والضمير في قوله: ﴿يَتَحَآجُّونَ﴾ لجميع كفار الأُمم، وهذا ابتداءُ قصص لا يختص بآل فرعون، والعامل في ﴿إِذ﴾ فعل مضمر تقديره: واذكر.

وقال الطبريُّ: و﴿إِذ﴾ هذه عطف على قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨][٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا بعيد.

و«المُحَاجَّةُ»: التَّحَاوُرُ بالحجة والخصومة.

و﴿ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾ يريد: في القَدْر والمنزلة في الدنيا.

و«الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا»: هم أَشراف الكفار وكبراؤُهم، ولم يصِفهم بالكِبْر إِلَّا من حيث استكبروا، لا أَنهم في أَنفسهم كبراءُ، ولو كانوا كذلك في أَنفسهم لكانت صفتهم الكبر أَو نحوه مما يوجب الصفة لهم.

و(تَبَعٌ) قيل: هو جمعٌ واحده تابعٌ؛ كغائب وغَيَب، وقيل: هو مفرد يوصف به الجمع؛ كعَدْل وزَوْر وغيره.

وقولهم: ﴿مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ أَي: تحملون عنا كَلَّه، ومَشَقَّتَه، فأَخبرهم المستكبرون أَن الأَمر قد انجزم بحصول الكُلِّ منهم فيها، وأَن حكم الله تعالى قد استمرَّ بذلك.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِيهَآ﴾ ابتداءٌ وخبر، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾.

وقرأَ ابن السميفع: (إنا كلاًّ) بالنصب[٤] على التأْكيد.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، والسبعة (ص: ٥٧٢).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٨).

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٢٧٩).

ثم قال جميع من في النَّار لخزنتها وزبانيتها: ادْعُوا رَبَّكُمْ عسَى أَن يخفف عنَّا مقدار يوم من أَيام الدنيا من العذاب، فراجعتهم الخزنة على معنى التوبيخ لهم والتقرير ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيـة، فأَقرَّ الكفار عند ذلك وقالوا: ﴿بَلَىٰ﴾، أَي: قد كان ذلك، فقال لهم الخزنة عند ذلك: فادعوا أَنتم إِذاً.

وعلى هذا، فهذا معنى الهُزْءِ بهم، أَي: فادعوا أَيُّها الكافرون الذين لا معنى لدعائكم.

وقالت فرقة: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ هو من قول الخزنة.

وقالت فرقة: هو من قول الله تعالى إِخباراً منه لمحمد ﷺ.

وجاءَت هذه الأَفعال على صيغة المضي: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾[1]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾؛ لأَنها وصف حال مُتيقنة الوقوع، فَحَسُنَ ذلك فيها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)﴾.

أَخبر الله تعالى أَنه ينصر رسله والمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

قال بعض المفسرين: وهو خاصٌّ فيمن أَظهره الله تعالى على أُمته كنوح وموسى ومحمد، وليس بعام لأَنا نجد من الأَنبياءِ من قتله قومه كيحيى ولم ينصر عليهم.

وقال السدي: الخبر عام على وجهه، وذلك أَن نُصرة الرسل والأَنبياءِ عليهم الصلاة والسلام واقعة ولا بُدَّ[2]، إِمَّا في حياة الرسول المنصور كنوح وموسى، وإِمَّا

(١) في الأصل: «قال الناس الذين استكبروا».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٠١).

فيما يأْتي من الزمان بعد موتهم، أَلا ترى ما صنع الله تبارك وتعالى ببني إِسرائيل بعد قتلهم يحيى من تسليط بُختنصر عليهم حتى انتصر ليحيى عليه السلام؟ ونصر المؤمنين داخل في نصر الرُّسل، وأَيضاً فقد جعل الله تعالى للمؤمنين الفضلاءِ ودّاً، ووهبهم نصراً إِذا ظُلِموا، وحضت الشريعة على نصرهم.

ومنه قول النبي ﷺ: «من ردَّ عن أَخيه المسلم في عرضه كان حقّاً على الله أَن يردَّ عنه نار جهنم»[١].

وقوله ﷺ: «من حمى مؤمناً من منافق يغتابه بعث الله مَلَكاً يحميه يوم القيامة»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾، يريد يومَ القيامة.

وقرأَ الأَعرج، وأَبو عمرو بخلاف: (تَقُومُ) بالتاءِ.

وقرأَ نافع، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿يَقُومُ﴾ بالياءِ[٣].

و﴿ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [يحتمل أَن يكون من الشهادة، ويحتمل أَن يكون من المشاهدة بمعنى الحضور[٤].

---

(١) حسن لغيره: أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٠٦) من طريق ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن ابن أبي الدرداء، عن أبيه قال: نال رجل من رجل عند النبي ﷺ فرد عليه رجل، فقال النبي ﷺ: «من رد عن عرض أخيه، كان له حجاباً من النار»، وأخرجه أحمد (٦/ ٤٤٩)من طريق إسماعيل، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «من رد عن عرض أخيه المسلم، كان حقاً على الله ـ عز وجل ـ أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة»، وأخرجه أحمد (٦/ ٤٥٠) من طريق علي بن إسحاق، أنا عبد الله ـ يعني: ابن المبارك ـ قال: أنا أبو بكر النهشلي، عن مرزوق أبي بكر التيمي، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة».

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) هذه هي المتواترة، والأولى شاذة، عزاها للأعرج: الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٩)، وللمنقري عن أبي عمرو في الكامل (ص: ٦٣١).

(٤) في المطبوع: «المصدر».

وقال الزجاج: أَشْهَادٌ][(١)] جمع شاهد؛ كصاحب وأَصحاب.

وقالت فرقة: [أَشْهَادٌ جمع شَهْد، وشَهْد جمع شاهد؛ كصاحب وصَحْب، وتاجر وتَجْر.

وقال الطبري:][(٢)] أَشهاد جمع شهيد؛ كشريف وأَشراف.

و﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ﴾ بدل من الأَول.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وقتادة، وعيسى، وأَهل مكة: ﴿لا تَنْفَعُ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ الباقون: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ بالياءِ، وهي قراءَة أَبي جعفر، وطلحة، وعاصم، وأَبي رجاءٍ[(٣)]. وهذا لَأن تأْنيث المعذرة غير حقيقي، ولَأن الحائل قد وقع.

و«المَعْذِرَةُ»: مصدر يقع كالعُذر.

و﴿ٱللَّعۡنَةُ﴾: الإِبعاد، و﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: سوءُ عاقبة الدار.

ثم أَخبر الله تعالى بقصة موسى وما آتاه من النُّبُوَّة تأْنيساً لمحمد ﷺ، وضَرْبَ أُسْوة، وتَذْكيراً بما كانت العرب تعرفه من أَمر موسى، فيُبَيِّن ذلك أَن محمداً ليس ببدع من الرُّسل.

و﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾: النُّبُوَّة والحكمة، والتوراة تعُمُّ جميع ذلك.

وقوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾ [عبر عن ذلك بالوراثة إذ كانت طائفة بني إسرائيل][(٤)] قرناً

---

(١) سقط من الأصل، وسقط الاحتمال الأول من السليمانية، وانظر قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٣٧٦).

(٢) سقط من الأصل وهو في نجيبويه ونور العثمانية ملحق في الحاشية، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٢).

(٣) وهما سبعيتان، وابن عامر بالتاء، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، والسبعة (ص: ٥٧٢).

(٤) في المطبوع وأحمد٣ بدلًا منه: «عبارة عن أن طوائف بني إسرائيل».

بعد قَرْن تصير فيهم التوراة إِماماً، فكان بعضهم يرثها عن بعض، / وتجيءُ الوراثة[1] [٥/ ٤١] في حق الصدر الأَول منهم على تجوُّز. و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة.

ثم أَمر نبيَّه ﷺ بالصبر وانتظار إِنجاز الوعد، أَي: فستكون عاقبة أَمرك كعاقبة أَمره.

وقال الكلبي: نسخت آيةُ القتال الصبرَ حيث وقع[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ يحتمل أَن يكون ذلك قبل إِعلام الله إِيَّاه أَنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأَخر؛ لأَن آية هذه السورة مكية، وآية سورة الفتح مدنية متأَخرة.

ويحتمل أَن يكون الخطاب في هذه الآية له والمراد أُمَّته، أَي: أَنه إِذا أُمر هو بهذا فغيره أَحرى بامتثاله.

و(الإِبكار) والبكور بمعنى واحد، وقال الطبري: الإِبكار: من طلوع الفجر الثاني إِلى طلوع الشمس، وحكى عن قوم: أَنه من طلوع الشمس إِلى ارتفاع الضحى[3].

وقال الحسن: ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ يريد صلاة العصر، و(الإبكار) يريد به صلاة الصبح[4].

ثم أَخبر تعالى عن أُولئك الكفار الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة ولا برهان، وهم يريدون بذلك طمسها والرَّد في وجهها، أَنهم ليسوا على شيءٍ بل في صدورهم وضمائرهم كِبْر وأَنَفَة عليك حسداً منهم على الفضل الذي آتاك الله تعالى.

---

(١) في الأصل: «التوراة».

(٢) تفسير البغوي (٤/ ١١٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٤٨).

(٤) انظر تفسير الماوردي (٥/ ١٦١)، وقد نسب إليه الماوردي تفسيرها أن المراد صلاة مكة ركعتان غدوة وركعتان عشية.

ثم نفى أَن يكونوا يبلُغون آمالهم بحسب ذلك الكِبْر فقال: ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾، وهنا حذف مضاف تقديره: ببالغي إِرادتهم فيه، وفي هذا النفي الذي يتضمن أَنهم لا يبلغون أَملاً تأْنيسٌ لمحمد عليه السلام، ثم أَمره تعالى بالاستعاذة بالله في كل أَمره من كُلِّ مُسْتعاذٍ منه لأَن الله يسمع أَقواله وأَقوال مخالفيه، وهو بصير بمقاصدهم ونيَّاتهم ومُجَازٍ كلاًّ بما يستوجبه، والمقصد بأَن يُستعاذ منه عند قوم الكِبْر المذكور، كأَنه قال: هؤلاءِ لهم كِبْر لا يبلغون منه أَملاً، فاستعذ بالله من حالهم في ذلك.

وذكر الثعلبي: أَن هذه الاستعاذة هي من الدَّجال وفتنته، والأَظهر ما قدَّمناه من العموم في كل مُسْتَعاذٍ منه[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ الآيَة؛ توبيخٌ لهؤلاءِ الكفار المتكبرين، كأَنه قال: مخلوقات الله أَكبر وأَجل قدراً من خلق البشر، فما لأَحد منهم أَن يتكبر على خالقه.

ويحتمل أَن يكون الكلام في معنى البعث والإِعادة، فَأَعْلم أَن الذي خلق السماوات والأَرض قويٌّ قادر على خلق الناس تارةً أُخرى.

و«الْخَلْق» على هذا التأْويل: مصدرٌ مضاف إِلى المفعول.

وقال النقاش: المعنى: مما يخلق الناس؛ إِذ هم في الحقيقة لا يخلقون شيئاً[٢].

---

(١) تفسير السمعاني (٥/ ٢٧)، ولم أقف على القول عند الثعلبي.

(٢) لم أقف عليه.

فالخلق في قوله: ﴿مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إلى الفاعل على هذا التأْويل.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يقتضي أَن الأَقل منهم يعلم ذلك، ولذلك مَثَّل الأَكثرَ الجاهلَ بالأَعمى، والأَقلَّ العالمَ بالبصير، وجعل الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ يعادلهم قوله: ﴿وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾، وهو اسم جنس يعُمُّ المسيئين. وأَخبر تعالى أَن هؤلاءِ لا يستوون، فكذلك الأَكثر الجهلاءُ من الناس لا يستوون مع الأَقل الذين يعلمون.

وقرأَ أَكثر القراءِ، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة، والحسن: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ بالياءِ على الكناية عن الغائب.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي، وقتادة، وطلحة، وعيسى، وأَبو عبد الرحمن: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالتاءِ من فوق على المخاطبة[١]، والمعنى: قل لهم يا محمد.

ثم جزم الإِخبار بأَن السَّاعة آتية، وهي القيامة المتضمنة للبعث من القبور، والحساب بين يدي الله تعالى، وافتراق الجمع إِلى الجنة وإِلى النار.

وقوله تعالى: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أَي: في ذاتها ونفسها، وإِن وُجد من العالم من يرتاب فيها فليست فيها في نفسها ريبة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ آية تفضل ونعمة ووعد لأُمَّة محمد ﷺ بالإِجابة عند الدُّعاءِ، وهذا الوعد مقيَّد بشرط المشيئة [وهي موافقة المقدور][٢] لمن شاءَ الله تعالى، لا أَن الاستجابة عليه حتم لكل داعٍ لا سيما لمن تعدى في دعائه، فقد عاب رسول الله ﷺ دعاءَ الذي قال: «اللهم أَعطني القصر الأَبيض الذي عن يمين الجنة»[٣].

وقالت فرقة: معنى ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾: اعبدوني[٤]، و﴿أَسْتَجِبْ﴾ معناه: بالثواب

---

(١) وهما سبيعتان، انظر السبعة (ص: **٥٧٢**)، والتيسير (ص: **١٩٢**)، وتحبير التيسير (ص: **٥٣٩**).

(٢) من المطبوع.

(٣) تقدم تخريجه عند آية (**٥٥**) من (سورة الأعراف).

(٤) «اعبدوني» سقطت من الأصل وأثبتناها من النسخ الأخرى.

والنصر، ويدل على هذا التأْويل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾، ويُحتج له بحديث النعمان بن بشير: أَن النبي ﷺ قال: «الدعاءُ هو العبادة»، وقرأَ هذه الآية[١].

وقال ابن عباس: المعنى: وحِّدوني أَغفر لكم[٢].

وقيل للثوري: ادع الله تعالى فقال: إِن ترك الذنوب هو الدعاءُ[٣].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو جعفر: ﴿سَيُدۡخَلُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح الخاءِ.

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، والحسن، وشيبة: ﴿سَيَدۡخُلُونَ﴾ بفتح الياءِ وضم الخاءِ، واختلف عن أَبي عمرو، وعن عاصم[٤].

و«الدَّاخر»: هو الصاغر الذليل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾./ [٥/ ٤٢]

---

(١) جيد، أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧-٢٧١ـ ٢٧٦-٢٧٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والترمذي (٢٩٦٩-٣٢٤٧ـ ٣٣٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٤٠٠) وغيرهم من طريق ذر بن عبد الله الهمداني، عن يُسَيْعٍ بن معدان الحضرمي، عن النعمان ابن بشير به.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٨)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٧٣) وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٠).

(٤) وهما سبعيتان، الأولى لابن كثير وشعبة، انظر التيسير (ص: ١٩٢)، وهي رواية عباس عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٥٧٢).

هذا تنبيهٌ على آيات الله تعالى، وعِبَـرٌ متى تأَملها العاقل أَدَّته إِلى توحيد الله والإقرار بربوبيَّته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مجازه: يُبصر فيه، كما تقول: نهارٌ صائم وليل قائم.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ معناه: خالق كلِّ شيءٍ مخلوق، وما يستحيل أَن يكون مخلوقاً كالقرآن والصفات فليس يدخل في هذا العموم، وهذا كما قال تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] معناه: كل شيءٍ بعثت لتدميره.

وقرأَت فرقة: ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ بالتاءِ، وقرأت فرقة: (يُؤْفَكُونَ) بالياءِ[١].

والمعنى في القراءَة الأُولى: قُلْ لهم.

و﴿تُؤْفَكُونَ﴾ معناه: تُصرفون عن طريق النظر والهُدى، وهذا تقرير بمعنى التوبيخ والتقريع.

ثم قال لنبيِّه: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أَي: على هذه الهيئة وبهذه الصفة صرف الله تعالى الكفار الجاحدين بآيات الله من الأُمم المتقدمة عن طريق الهُدى.

ثم بيَّن تعالى نعمته في أَن جعل الأَرض قراراً ومهاداً للعباد، والسماءَ بناءً وسقفاً.

وقرأَ الناس: ﴿صُوَرَكُمْ﴾ بضم الصاد.

وقرأَ أَبو رزين بكسر الصاد.

وقرأَت فرقة: (صُورَكُمْ) بسكون الواو[٢]، على نحو: بُسْرَةٍ وبُسْر.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يريد: من المسْتَلَذَّات طعماً ولباساً ومكاسب

---

(١) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٩) لطلحة وابن مقسم.

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٤١٩)، وعزا الثانية للأعمش وطلحة والحسن.

وغير ذلك، ومتى جاءَ ذكر الطَّيِّبات بقرينة (رَزَقَكُمْ) ونحوه فهذا هو المُسْتَلَذُّ، ومتى جاءَ بقرينة تحليل أَو تحريم ـ كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وكما قال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فالطَّيِّباتُ في مثل هذا: الحلالُ.

وعلى هذا النظر تخرج مذهب مالك رحمه الله تعالى في الطَّيِّبَات والخَبائث[1].

وقولُ الشَّافعي رحمه الله تعالى: إِن الطَّيِّبات هي المُسْتَلَذَّات، والخبائث هي المـُسْتَقْذَرات ضعيفٌ ينكسر بِمُسْتَلَذَّات مُحَرَّمة ومُسْتَقْذَرَات مُحَلَّلة لا ردَّله في صدرها[2].

وأَما حيث وقعت الطَّيِّبات مع الرِّزق فإِنما هي تعديد نعمة فيما يستحسنه البشر ولا سيما هذه الآية التي هي مخاطبة لكفار، فإِنما عُدِّدت عليهم النعمة التي يعتقدونها نعمة. وباقي الآية بَيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

لما سردت الآيات صفات الله تعالى التي تُبيِّن فساد حال الأَصنام كان من أَبْيَنِهَا أَن الأَصنام مواتٌ جمادٌ، وأَنه عزَّ وجلَّ الحيُّ القيُّوم، وصُدور الأمور من لدنه وإِيجادُ الأَشياءِ وتدبيرُ الأَمر [كلِّه وعلمُه بالكلِّ][3]، دليلٌ قاطع على أَنه حيٌّ لا إِله إِلاَّ هو.

وقوله: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كلامٌ متصل مقتضاه:

---

(١) البيان والتحصيل (٩/ ٣٥١).

(٢) الأم للشافعي (٢/ ٢٦٤)، تفسير الإمام الشافعي (٢/ ٧٠٠).

(٣) من المطبوع وفيض الله والسليمانية.

ادعوه مخلصين بالحمد، وبهذه الأَلفاظ قال ابن عباس: من قال: لَا إِله إِلَّا الله، فليقل على أَثرها: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ[١]، وقال نحو هذا سعيد بن جبير، ثم قرأَ هذه الآية[٢].

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه عليه السلام أَن يصدع بأَنه نُهي عن عبادة الأَصنام التي عبدها الكفار من دون الله، ووقع النهي لما جاءَه الوحي والهدى من ربِّه تعالى، وأُمر بالإِسلام الذي هو الإِيمان والأَعمال.

وقوله: ﴿لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أَي: أَن أَستسلم لربِّ العالمين وأَخضع له بالطاعة.

ثم بيَّن تعالى أَمر الوحدانية والأُلوهية بالعبرة في ابن آدم وتدرُّج خلقه، فأَوله خلق آدم عليه السلام من تراب من طين لازب[٣]، فجعل البشر من التراب لما[٤] كان منسلاً من المخلوق من التراب.

وقوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ إِشارة إِلى التناسل من آدم فمن بعده.

و«النُّطْفَة»[٥]: الماءُ الذي خلق المرءُ منه.

و«العَلَقَةُ»: الدم الذي يصير من النطفة.

و«الطِّفْل» هنا: اسم جنس.

و«بُلُوغُ الأَشُدِّ» اختُلف فيه؛ فقيل: ثلاثون، وقيل: ستة وثلاثون، وقيل: أَربعون، وقيل: ستة وأَربعون، وقيل: عشرون، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: خمسة عشر.

---

(١) لا بأس به، أخرجه الطبري (٢١/ ٤١٠)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٣٨) من طريق علي بن الحسن بن شقيق المروزي، عن الحسين بن واقد المروزي، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه به، بنحوه، ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٩٤).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤١١).

(٣) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «من تراب ثم من طين لازب».

(٤) في الأصل: «كما».

(٥) زاد في المطبوع: «هي» قال، في الحاشية: لتوضيح المعنى واستقامة العبارة.

وهذه الأَقوال الأَخيرة ضعيفة في الأَشُدِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ عبارة تتردَّد في الأَدراج المذكورة كلها، فمن الناس من يموت قبل أَن يخرج طفلاً، وآخرون قبل الأَشُدِّ، وآخرون قبل[1] الشيخوخة.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ أَي: هذه الأَصناف كلها مخلوقة مُيَسَّرة ليبلغ كل واحد منها أَجلاً مُسمًّى لا يتعداه ولا يتخطَّاه، وليكون معتبراً.

وَلَعَلَّكُمْ أَيُّها البشر تَعْقِلُونَ الحقائق إِذا نظرتم في هذا[2]، وتدبرتم حكمة الله تعالى فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ عبارة عن إِنفاذ الإِيجاد وإِخراج المخلوق من العدم، وإِيجادُ الموجودات هو بالقدرة، واقترانُ الأَمر بذلك هو عظمة في المُلْك وتخضيعٌ للمخلوقات وإِظهارٌ للقدرة، بإيجاده[3] والأَمر للمُوجَد إِنما يكون في حين تلبُّس القدرة / بإِيجاده، لا قبل ذلك؛ لأَنه حينئذ لا يخاطب في معنى الوجود والكَوْن، ولا بعد ذلك لأَنَّ ما هو كائن لا يقال له: كُنْ. [٥/ ٤٣]

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ ظاهر الآية أنه

(١) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «بعد».

(٢) «في هذا»: سقطت من السليمانية.

(٣) من الأصل.

في الكفار المجادلين في رسالة محمد ﷺ والكتاب الذي جاءَ به، بدليل قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية، وهذا قول ابن زيد والجمهور من المفسرين.

وقال محمد بن سيرين وغيره: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ الآيَةَ؛ إشارةٌ إِلى أَهل الأَهواءِ من هذه الأُمة[١].

وروت هذه الفرقة في نحو هذا حديثاً، وقالوا: هي في أَهل القَدَر ومن جرى مجراهم[٢].

ويلزم قائلي هذه المقالة أَن يجعلوا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ الآية كلاماً مقطوعاً مستأْنفاً في الكفار، ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ابتداءٌ، وخبره ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

ويحتمل أَن يكون خبر الابتداءِ محذوفاً، والفاءُ متعلقة به.

وقوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ ﴾ يعني يوم القيامة، والعامل في الظرف ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

وعبَّر عن ظرف الاستقبال بظرف[٣] لا يقال إِلاَّ في الماضي، لأَنه لما تيقن وقوع الأَمر حسُنَ تأْكيده بالإِخراج في صيغة الماضي، وهذا كثير في القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤١٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٦٠).

(٢) روي مقطوعاً، يشير المؤلف لما رواه أحمد (٢٨/ ٥٥٥-٦٣٢- ٦٣٦)، والطبري (٢١/ ٤١٣- ٤١٤) والطبراني في الكبير (٨١٥- ٨١٦- ٨١٧)، وأبو يعلى في مسنده (١٧٤٦)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٦٤) وغيرهم من طريق أبي قبيل حيي بن هانئ المعافري، عن عقبة بن عامر الجهني قال: أن رسول الله ﷺ قال:«سَيَهْلِكُ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ الكِتَابِ، وأَهْلُ اللِّبنِ» فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل الكتاب؟ قال:«قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ كِتابَ الله يُجادِلُونَ الَّذينَ آمَنُوا»، فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل اللبن؟ قال:«قَوْمٌ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، ويُضَيِّعُونَ الصَّلَوَاتِ». قال أبو قبيل: لا أحسب المكذّبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا، وأما أهل اللبن، فلا أحسبهم إلا أهل العمود ليس عليهم إمام جماعة، ولا يعرفون شهر رمضان.

(٣) سقط من أحمد٣.

قال الحسن بن أَبي الحسن: لم تُجعل السلاسل في أَعناق الكفار لأَنَّهم أَعجزوا الربَّ ولكن لترسِّبهم إِذا أَطفاهم اللهب[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَٱلسَّلَـٰسِلُ﴾ رفعاً عطفاً على ﴿ٱلْأَغْلَـٰلُ﴾.

وقرأَ ابن عباس، وابن مسعود: (والسَّلَاسِلَ) بالنصب (يَسْحَبُونَ) بفتح الياءِ[٢] وإِسناد الفعل إِليهم وإِيقاع الفعل على السلاسل[٣].

وقرأَت فرقة: (وَالسَّلاسِلِ) بالخفض على تقدير: إِذْ أَعناقهم في الأَغلالِ والسَّلَاسِلِ[٤]، فعطف على المراد من الكلام لا على ترتيب اللفظ؛ إِذْ ترتيبه فيه قلب، وهو على حدِّ قول العرب: أَدْخَلْتَ القَلَنْسُوةَ في رأْسي.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وفي السلاسل يسحبون)[٥].

و﴿يُسْحَبُونَ﴾ معناه: يُجَرُّونَ، والسَّحْب: الجَرُّ.

و﴿ٱلْحَمِيمِ﴾: الذائب الشديد الحرِّ من النار، ومنه يقال للماءِ السخن: حميم.

و﴿يُسْجَرُونَ﴾؛ قال مجاهد: معناه: توقد النار بهم[٦].

والعرب تقول: سَجَرْتُ التَّنُّورَ: إِذا مَلأْتَها ناراً.

وقال السدّي: ﴿يُسْجَرُونَ﴾: يُحرقون[٧].

---

(١) تفسير السمعاني (٦/ ١١٤).

(٢) في الأصل: «الحاء».

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤١٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣٣)، والمحتسب (٢/ ٢٤٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤١٩) لأبي.

(٥) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٢٧١)، وفي معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٣٣) عنه: بالسلاسل.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٤١٦).

(٧) المصدر السابق.

ثم أَخبر تعالى أَنهم يوقفون يوم القيامة على جهة التوبيخ والتقريع، فيقال لهم: أَين الأَصنام التي كنتم تعبدون من دون الله [في الدنيا][١]؟ فيقولون: ضلُّوا عنا، أَي: [تلفوا لنا][٢] وغابوا واضمحلوا، ثمّ تضطرب أَقوالهم ويفزعون إِلى الكذب، فيقولون: بل لم نكن نعبد[٣] شيئاً، وهذا من أَشد الاختلاط وأَبْيَن الفساد في الذهن والنظر، فقال الله تعالى لنبيِّه: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أَي كهذه[٤] الصفة المذكورة وبهذا الترتيب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

المعنى: يقال للكفار المعذَّبين: ذلكم العذابُ، الذي أَنتم فيه بما كنتم تكفرون[٥] وتفرحون في الدنيا بالمعاصي والكفر.

و﴿تَمْرَحُونَ﴾: قال مجاهد: معناه: الأَشَرُ والبَطَرُ[٦]، وقال ابن عبّاس: الفخر والخيلاءُ[٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟﴾، معناه: يقال لهم قبل هذه المحاورة في أَوّل الأَمر: ادخلوا، لأَن هذه المخاطبة إِنّما هي بعد دخولهم وفي الوقت الذي فيه الأَغلال في

---

(١) سقط من الأصل، وقوله «من دون الله» زيادة منه.

(٢) سقطت «لنا» من الحمزوية، وفي المطبوع بدلًا منه: «تلفوا النّار»، وفي فيض الله: «تلقوا لنا»، وفي نور العثمانية: «يلقوا لنا».

(٣) في الأصل: «بل لم نكن ندعو من قبل».

(٤) في السليمانية ونجيبويه ونور العثمانية والمطبوع: «بهذه».

(٥) من المطبوع وأحمد٣

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٤١٨) ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٣٥).

(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أَعناقهم، وأَبواب جهنّم هي السبعة المؤدية إِلى طبقاتها وأَدراكها السبعة.

و«المثْوى»: موضع الإِقامة.

ثمّ آنس الله تعالى نبيَّه ووعده بقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ في نصرك وإِظهار أَمرك، فإِنَّ ذلك إِمَّا أَن ترى بعضه في حياتك فتقرّ عينك به، وإِمَّا أن تموت قبل ذلك، فإِلى أَمرنا وتعذيبنا يصيرون ويرجعون.

وقرأ الجمهور: ﴿يُرۡجَعُونَ﴾ بضم الياءِ.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن، [ويعقوب: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بفتح الياءِ[١].

وقرأَ طلحة بن مصرف][٢]، ويعقوب في رواية الوليد بن حسان[٣]: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاءِ منقوطة من فوق[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾ الآية ردٌّ على العرب، الذين قالوا: إِنّ الله لا يبعث بشراً رسولاً، واستبعدوا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا﴾، قال النقّاش: هم أَربعة وعشرون[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ رُوي من طريق أَنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنّ الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول»[٦].

---

(١) سقط من الأصل، وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٦٦). في السليمانية: «أبو يعقوب».

(٢) سقط من أحمد٣.

(٣) هو الوليد بن حسان التوزي البصري، روى القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي، وعنه محمد بن الجهم، غاية النهاية (٢/ ٣٥٩).

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٢٧٥)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٠) للطلحتين بضم التاء.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٤١٩)، وأبو يعلى (٤٠٩٢)، والطبراني في الأوسط (٧٧٤)، وابن عدي في الكامل (٦/ ١٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٦- ٥٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٣) من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك به، بنحوه. على خلاف قد وقع في هذه الرواياتعن يزيد،=

وروي عن سلمان[(١)]، عن النبي ﷺ قال: «بعث الله أَربعة آلاف نبيّ»[(٢)].

وروي عن ابن عبّاس وعليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، أَنّه قال: بعث الله رسولاً من الحبشة أَسود، وهو الذي لم يُقَصّ على محمد ﷺ[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا إنما ساقه على أَنّ هذا الحبشي مثال لمن[(٤)] لم يقصّ، لا أَنّه هو المقصود وحده، فإِنّ هذا بعيد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ على قريش في إِنكارهم أَمر محمد ﷺ، وقولهم: إِنّه كاذب على الله تعالى، والإِذنُ يتضمن علماً وتمكيناً، فإِذا اقترن به أَمر، قَوِيَ كما هو في إِرسال النبيّ.

= ويزيد بن أبان الرقاشي ضعيف، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٢) من طريق خالد الزنجي، عن زياد بن سعد، عن ابن المنكدر، وعن صفوان ابن سليم، عن أنس به، بنحوه، وأخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٦٧) من طريق ابن لهيعة، أحمد بن حازم، عن محمد بن المنكدر وصفوان بن سليم، عن أنس به، وانظر العلل للدارقطني (١٢/ ٢٢٦-٢٢٧)، والسلسلة الضعيفة (٦٠٩٠).

(١) سقط من أحمد٣، وفي السليمانية: «وروى سلمان».

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤١٩) من طريق عتبة بن عتيبة البصري، عن أبي سهل، عن وهب بن عبد الله الأزدي، عن سلمى، مرفوعاً، هكذا في نسخة الطبري «سلمى» غير منسوبة وذكره ابن حجر في الإصابة (٧/ ٧١٠) وعزاه لابن منده، وعتبة لم أقف له على ترجمة.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم (٦٢٨٤)، والطبراني في الأوسط (٩٣١٩) من طريق إسرائيل بن يونس، عن جابر الجعفي، عن عبد الله بن نجي الحضرمي، عن علي رضي الله عنه به، وجابر بن يزيد الجعفي ضعيف، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٧٢) من طريق جابر عن أبي طفيل، عن علي قال: كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي، قال علي: بُعث نبي من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ عليّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، فدعاهم النبي فتابعه أُناس فقاتلهم فقتل أصحابه وأُخذ فأوثق فأفلت منهم، فخدّ أخدوداً فملأها ناراً فمن تبع النبي رُمي فيها ومن تابعهم تركوه فجاؤوا بامرأة معها صبي رضيع فجزعت فقال: يا أماه مرّي ولا تنافقي. ولم أقف على أثر ابن عباس.

(٤) في المطبوع: «لما».

ثمّ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إذا أراد الله إرسال رسول وبعثة نبيّ، قضى ذلك وأنفذه بالحقّ، وخسر كلُّ مبطل، وحصل على فساد آخرته.

وتحتمل الآية معنى آخر وهو أن يريد بـ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: القيامة، فتكون الآية توعُّداً لهم بالآخرة[1] / . [٥/ ٤٤]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

هذه آياتُ عِبَر وتعديد نِعَم.

و﴿ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾: الأَزواج الثمانية، و﴿مِنۡهَا﴾ الأُولى للتبعيض؛ لأَنّ المركوب[2] ليس كلّ الأَنعام، بل الإِبل خاصة، و﴿مِنۡهَا﴾ الثانية لبيان الجنس؛ لأَنّ الجميع منها يؤكل.

وقال الطبريّ في هذه الآية: إِنّ الأَنعام تعمُّ الإِبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما يُنتفع به من البهائم[3]، فـ﴿مِنۡهَا﴾ في الموضعين للتبعيض ـ على هذا ـ لكنّه قول ضعيف، وإِنّما الأَنعام: الأَزواج الثمانية الّتي ذكر الله فقط، ثمّ ذكر الله تعالى المنافع ذكراً مُجْمَلاً لأَنّها أَكثر من أَن تحصى.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ﴾ يريد قطع الْمَهَامِهِ الطويلة والمشاق البعيدة.

---

(١) سقط من المطبوع.
(٢) في المطبوع: «المذكور».
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٠).

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾: السفن، وهو هنا جمع، و﴿تُحْمَلُونَ﴾ يريد: برّاً وبحراً، وكرر[١] الحَمْل عليها ـ وقد تقدم ذكر ركوبها ـ لأَنّ المعنى مختلف وفي الأَمرين تغاير؛ وذلك لأَنّ الركوب هو المتعارف فيما قَرُب، ويستعمل دأْباً[٢] في القرى والمواطن، فهو نظير الأكل منها وسائر المنافع بها[٣]، ثمّ خصص بعد ذلك السفر الأَطول وحوائج الصدور مع البُعد والنوى، وهذا هو الحمل الذي قرنه بشبيهه من أَمر السفن.

ثمّ ذكر تعالى آياته عامة جامعةً لكلِّ عِبْرَة وموضِع نظر، وهذا غير منحصر لاتِّساعه، ولأَنّ في كلِّ شيءٍ له آيَةً تدلُّ على وحدانيته.

ثمّ قرَّرهم ـ على جهة التوبيخ ـ بقوله: ﴿فَأَيَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

ثمّ احتجَّ تعالى على قريش بما يظهر في الأُمم السالفة من نقمات الله في الكفرة، الذين كانوا أَكثر عَدَداً، وأَشَدَّ قُوَّةَ أَبدانٍ وممالك، وأَعظم آثاراً في المباني والأَفعال من قريش والعرب، فلم يُغْن عنهم كَسْبهم ولا حالهم شيئاً، حين جاءَهم عذاب الله وأَخْذُه.

و(مَا) في قوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ نافية، قال الطبريّ: وقيل: هي تقرير وتوقيف[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

الضمير في ﴿جَآءَتْهُمْ﴾ عائد على الأُمم المذكورين، الذين جُعلوا مَثَلاً وعِبرة.

واختلف المفسرون في الضمير في ﴿فَرِحُوا۟﴾، على من يعود؟ فقال مجاهد

---

(١) في المطبوع: «وذكر».

(٢) سقط من الأصل.

(٣) في السليمانية هنا تقديم وتأخير.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٢).

وغيره: هو عائد على الأُمم المذكورين[١]، أَي: بما عندهم من العلم في ظنّهم ومُعْتقدهم من أَنّهم لا يُبعثون، ولا يُحاسبون.

وقال ابن زيد: واغترّوا بعلمهم في الدنيا والمعايش، وظنُّوا أنّه لا آخرة ففرحوا، وهذا كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الروم: ٧][٢].

وقالت فرقة: الضمير في ﴿ فَرِحُوا۟ ﴾ عائد على الرُّسل، وفي هذا التأْويل[٣] حذف تقديره: [فلما جاءتهم رسلهم بالبينات][٤] كذَّبوهم، ففرح الرسل بما عندهم من العلم بالله تعالى والثقة به وبأَنّه سينصرهم.

و﴿وَحَاقَ﴾ معناه: نزل وثبت، وهي مستعملة في الشَّر.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟﴾ هو العذاب، الذي كانوا يُكَذِّبون به ويستهزئون بأَمره.

والضمير في ﴿بِهِم﴾ عائد على الكفار بلا خلاف.

ثمّ حكى حالة بعضهم مِمَّن آمن بعد تلبُّس العذاب بهم، فلم ينفعهم ذلك، وفي ذكر هذا حضٌّ للعرب على المبادرة، وتخويف من التأَنّي، لئلا يدركهم عذاب لا تنفعهم توبة بعد تَلَبُّسه بهم، وأَمَّا قصة قوم يونس، فقد رأَوْا العذاب ولم يكن تلبَّس بهم، وقد مرَّ تفسيرها مُسْتقصى في سورة يونس عليه السلام.

و﴿ سُنَّتَ﴾ نصب على المصدر.

و﴿ خَلَتْ﴾ معناه: مضت واستمرت وصارت عادة.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٢) ومعاني القرآن النحاس (٦/ ٢٣٦) وتفسير الماوردي (٥/ ١٦٦) وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٣).

(٢) انظر تفسير الماوردي (٥/ ١٦٦).

(٣) في الأصل: «الرسل»، ولعله خطأ.

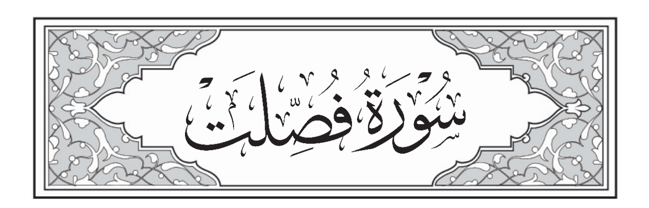
(٤) سقط من المطبوع.

وقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ إِشارةٌ إِلى أَوقات العذاب، أَي: ظهر خُسْرَانُهُم وحضر جزاءُ كفرهم.

[كمل تفسير (سورة غافر)، والحمد لله رب العالمين][1]

* * *

(١) من المطبوع والسليمانية، وفيها: «والحمد لله حق حمده، وصلاته على محمد وآله وسلم». وفي فيض الله: «نجز.. بحول الله تعالى، وصلواتُه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأوزاجه وسلم كثيراً».



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَفسير سُورة حم السجدة (فصّلت)

هذه السُّورة مكيَّة بإِجماع من المفسِّرين.

ويُروى: أَن عتبة بن ربيعة ذهب إِلى رسول الله ﷺ ليُبيِّن عليه أَمر مخالفته لقومه، وليحتجَّ عليه فيما بينه وبينه، وليُبْعد(١) ما جاءَ به، فلمَّا تكلَّم عتبةُ قرأَ رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ﴾، ومرَّ في صدر هذه السُّورة، حتّى انتهى إِلى قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، فأُرْعِدَ الشَّيْخُ وقَفَّ شعره، وأَمسك على فم رسول الله ﷺ بيده وناشده بالرَّحم أَن يُمسك، وقال حين فارَقَهُ: والله لقد سمعتُ شيئاً ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أَن صاعقة العذاب على رأْسي(٢).

---

(١) في السليمانية: «لينقد».

(٢) لا بأس به، أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١١٢٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٧١٥)، وأبو يعلى (١٨١٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٢-٢٠٤) من طريق الأجلح بن عبد الله الكندي وهو صدوق، عن الذيال بن حرملة الأسدي، عن جابر بن عبد الله، مرفوعاً، والذيال بن حرملة الأسدي وثقه ابن حبان وحده، ويشهد له ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٥) من طريق ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قرأ النبي ﷺ على عتبة بن ربيعة حم تنزيل من الرحمن الرحيم أتى أصحابه فقال لهم: يا قوم أطيعوني في =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ / ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧﴾. [٥/ ٤٥]

تقدم القول في أَوائل السُّور مما يختص به الحواميم، وأَمال الأَعمش ﴿حمٓ﴾ في كلِّها[1].

و﴿تَنزِيلٞ﴾ خبر الابتداءِ، إِمَّا على أَن يقدر الابتداءُ في ﴿حمٓ﴾ على ما تقتضيه بعض الأَقوال فيها، إِذا جعلت اسماً للسورة أَو للقرآن أَو إِشارة إِلى حروف المعجم، وإِمَّا على أَن يكون التقدير: هذا تنزيلٌ.

ويجوز أَن يكون ﴿تَنزِيلٞ﴾ ابتداءً وخبره في قوله: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ﴾، على معنى: ذُو تنزيل.

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفتا رجاءٍ ورحمة لله تعالى.

و﴿فُصِّلَتۡ﴾؛ قال السديّ: معناه: بُيِّنَت آياته[2]، أَي: فُسِّرَت معانيه، ففصل بين حلاله وحرامه، وزجره وأَمره ونهيه، ووعده ووعيده.

وقيل: فُصِّلَت في التنزيل، أَي: نزل نجوماً ولم ينزل مرةً واحدة، وقيل: فصلت بالمواقف وأَنواع أَواخر الآي، ولم يكن يرجع إِلى قافية واحدة ونحوها كالشِّعر والسجع.

= هذا اليوم واعصوني فيما بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناي قط كلاماً مثله وما دريت ما أرد عليه.

(١) تقدم أول (سورة غافر) أن فيها ثلاث قراءات سبعية بالإمالة والتقليل والفتح.

(٢) «قال السدي» ليست في الأصل، انظر قوله في تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٥).

و﴿قُرْءَانًا﴾ نصب على الحال عند قوم، وهي مؤكِّدة لأَنّ هذه الحال ليست مما تنتقل.

وقالت فرقة: هو نصب على المصدر.

وقالت فرقة: ﴿قُرْءَانًا﴾ توطئة للحال و﴿عَرَبِيًّا﴾ حال.

وقالت فرقة: ﴿قُرْءَانًا﴾ نصب على المدح، وهو قول ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قالت فرقة: معناه: يعلمون الأَشياءَ ويعقلون الدلائل وينظرون على طريق نظر، فكأَنّ القرآن فصِّلت آياته لهؤلاءِ إِذ هم أَهل الانتفاع بها، فَخُصُّوا بالذكر تشريفاً، ومن لم ينتفع بالتفصيل، فكأَنّه لم يُفَصَّل له.

وقالت فرقة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ متعلق في المعنى بقوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾، أَي: جعلناه بكلام [العرب لقوم يعلمون أَلفاظه، ويتحققون أَنّها لم يخرج شيءٌ منها عن كلام العرب][١]، وكأَنّ الآية رادَّة على من زعم أَن في كتاب الله ما ليس في كلام العرب، فالعلم ـ على هذا التأْويل ـ أَخصُّ من العلم على التأويل الأَوّل، والأَول أَشرف معنىً، وبَيِّنٌ أَنه ليس في القرآن إِلَّا ما هو من كلام العرب، إِمَّا من أَصل لغتها، وإِمَّا ما عرَّبته من لغة غيرها، ثمّ ذُكر في القرآن وهو معرَّب مستعمل.

وقوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ نعتٌ للقرآن، أَي: يبشِّر من آمن بالجنّة ويُنذر من كفر بالنَّار.

والضمير في ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ عائد على القوم المذكورين.

وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ نفيٌ لسمعهم النافع، الذي يعتد به سمعاً، ثمّ حكى عنهم مقالتهم الّتي باعدوا فيها كلّ المباعدة، وأَرادوا بها أَن يُؤْيِسُوهُ من قبولهم دينه، وهي: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾.

---

(١) سقط من أحمد٣ والسليمانية.

و﴿أَكِنَّةٍ﴾: جمع كنان، وهو بابُ فِعَالٍ وأَفْعلَة، والكِنَانُ: ما يجمع الشيءَ ويضمّه ويحول بينه وبين غيره، ومنه: الكِنُّ، ومنه: كنانة النبْل، وبها فسَّر مجاهد هذه الآية[١].

و(منْ) في قوله: ﴿مِّمَّا﴾ لابتداء الغاية، وكذلك هي في قوله: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا﴾ مؤكدة ولابتداءِ الغاية[٢].

و«الوَقْر»: الثِّقَل في الأُذن الّذي يمنع السَّمع.

وقرأ ابن مصرف: (وِقْرٌ) بكسر الواو[٣].

و«الْحِجَابُ الذي أَشاروا إِليه»: هو مخالفته إِيَّاهم، ودعوته إِلى الله دون أَصنامهم، أَي: هذا أَمر يحجبنا عنك.

وهذه مقالة يحتمل أَن تكون معها قرينة الجِدّ في المحاورة وتتضمن المباعدة، ويحتمل أَن تكون معها قرينة الهَزْل والاستخفاف.

وكذلك قوله: ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ﴾ يحتمل أَن يكون القول تهديداً، ويحتمل أَن يكون متاركة محضة.

وقرأَ الجمهور: ﴿قُلْ إِنَّمَآ﴾ على معنى الأَمر لمحمد ﷺ.

وقرأَ يحيى بن وثاب، والأَعمش: (قَالَ إِنَّمَا) على معنى المُضيِّ والخبر عنه[٤].

وهذا هو الصدع بالتوحيد والرسالة.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾، قال الحسن: علَّمه الله تعالى التواضع[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٧٩)، وتفسير السمعاني (٥/ ٣٦).

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «مؤكدة لابتداء الغاية».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١٣٣).

(٤) انظر البحر المحيط (٢١/ ١٨٥)، وانظر قراءة الأعمش من رواية المطوعي في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٦٨٠)، أما قراءة الجمهور فمتواترة، والأخرى شاذة خارجة عن طرق التيسير والنشر.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦).

و(أَنَّ) في قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾ رفع على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله.

وقوله: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ﴾ أي: على محجَّة الهدى وطريق الشرع والتوحيد، وهذا المعنى مُضَمَّن في قوله: ﴿إِلَيۡهِ﴾.

و«الوَيْلُ»: الحزن والثبور، وفسَّره الطبريّ وغيره في هذه الآية بقيح أَهل النّار وما يسيل منهم[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال الحسن، وقتادة، وغيره: هي زكاة المال[٢].

وروي: أَنّ الزكاة قنطرة الإِسلام، من قطعها نجا ومن جانبها هلك[٣].

واحتُجَّ لهذا التأْويل بقول أَبي بكر في الزكاة وقت الرِّدَّة[٤].

وقال ابن عبّاس، والجمهور: الزكاة في هذه الآية: لَا إِله إِلَّا الله التوحيد، كما قال موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨][٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٠)

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٨١). وفي المطبوع: «غيرهما».

(٣) لا يصح مرفوعاً، ويروى معضلًا، أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٨٤) عن معمر، والطبري (٢١/ ٤٣٠) من طريق سعيد في تفسيرهما كلاهما ـ معمر، وسعيد ـ عن قتادة قال: كان يقال الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها برئ ونجا، ومن لم يقطعها هلك، وأخرج الطبراني في الأوسط (٨٩٣٧)، والقضاعي في مسنده (٢٧٠) من طريق بقية بن الوليد، عن الضحاك بن حمرة، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «الزكاة قنطرة الإسلام»، والضحاك هو الأملوكي الواسطي ضعيف. وفي السليمانية: «خالفها» بدل «جانبها».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) الأثر أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٥) من طريق عكرمة، عن ابن عباس بلفظ أطول من هذا.

ويُرَجِّح هذا التأْويل: أَنّ الآية من أَوّل المكّيِّ، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة، وإِنّما هذه زكاة القلب والبدن، أَي تطهيره[١] من الشِّرك والمعاصي، وقاله مجاهد والرَّبيع[٢].

وقال الضحّاك ومقاتل: معنى الزكاة هنا: النفقة في الطاعة[٣].

وأَعاد الضمير في قوله: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ توكيداً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾.

ذكر عزَّ وجلَّ حالة الّذين آمنوا معادلاً بذلك حالة الكافرين المذكورين ليتبيَّن الفرق.

وقوله: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، قال ابن عبّاس: معناه: غير منقوص[٤].

وقالت فرقة: معناه غير مقطوع، يقال: مَنَنْتُ الحبلَ: إِذا قطَعْتُه.

وقال مجاهد: معناه غير محسوب[٥]؛ [لأن كل محسوب][٦] محصور، فهو مُعَدٌّ لأنَ يُمَنَّ به.

ويظهر في الآية: أَنّه وصفه بعدم المن والأَذى، من حيث هو من جهة الله تعالى فهو تشريف لا مَنَّ فيه، وأُعطيات / البشر هي الّتي يدخلها المنُّ. [٥/ ٤٦]

---

(١) في المطبوع: «تطهيرهما»، مع الإشارة للمثبت، وفي أحمد٣: «أي لم يطهره»، و«أي لم» في السليمانية ملحقة في الهامش.
(٢) الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٨١).
(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦).
(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٦٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦).
(٦) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «لأن كل محصور محسوب».

وقال السديّ: نزلت هذه الآية في المرضى والزَّمْنى إِذا عجزوا عن إِكمال الطاعات كُتب لهم من الأَجر كأَصح ما كانوا يعملون[١].

ثمّ أَمر الله تعالى نبيَّه بأَن يوقفهم مُوَبِّخاً على كفرهم بخالق الأَرض والسماوات ومخترعهما، ووصف صورة خلقها ومدته، والحكمةُ في خلق هذه المخلوقات في مدّة مُمْتَدَّة مع قدرة الله على إِيجادها في حين واحد، هي إِظهارُ القدرة في ترتيب ذلك حسب شرف الإِيجاد أَوّلاً أَوّلاً، قال قوم: لِيُعَلِّم عباده التأَنّي في الأُمور والمَهَل.

وقد تقدم القول غير مرّة في نظير قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾.

واختلف رواة الحديث في اليوم الّذي ابتدأَ الله تعالى فيه خلق الأَرض؛ فروي عن ابن عبّاس وغيره: أَنّ أَوّل يوم هو الأَحد، وأَن الله تعالى خلق فيه وفي الاثنين الأَرض، ثمّ خلق الجبال ونحوها يوم الثلاثاءِ، قال ابن عبّاس: فَمِنْ هنا قيل: هو يوم ثقيل، ثمّ خلق الثمار والشجر والأَنهار يوم الأَربعاءِ.

ومن هنا قيل: هو يوم راحة وتفكُّر في هذه التي خلقت فيه، ثمّ خلق السماوات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة، وفي آخر ساعة من يوم الجمعة، خلق آدم[٢].

قال السديّ: وسُمِّي يوم الجمعة لاجتماع المخلوقات فيه وتكاملها[٣].

فهذه رواية فيها أَحاديث مشهورة.

ولمَّا لم يخلق الله تعالى في يوم السبت شيئاً امتنع بنو إِسرائيل عن الشغل فيه.

ووقع في «كتاب مسلم بن الحجاج»: أَن أَوّل يوم خلق الله فيه التربة[٤] يوم

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٦).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٨٨٣) من طريق شريك بن عبد الله النخعي، عن غالب بن غيلان، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، بنحوه، وشريك بن عبد الله النخعي ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٤٣٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٤).

(٤) في المطبوع: «البريَّةَ».

السبت، ثمّ رتَّب المخلوقات على ستّة أَيّام، وجعل يوم الجمعة عارياً من المخلوقات، إِلَّا من آدم وحده[١].

والظاهر من القصص في طينة آدم: أَن الجمعة الّتي خُلق فيها آدم قد تقدمتها أَيّام وجُمع كثيرة، وأَن هذه الأَيّام الّتي خلق فيها المخلوقات هي أَوّل الأَيّام، لأَنّ بإِيجاد الأَرض والسماءِ والشمس وُجد اليوم.

وقد يحتمل أَن يجعل تعالى قوله ﴿يَوْمَيْنِ﴾ على التقدير، وإِن لم تكن الشمس خلقت بعد وكان تفصيل الوقت يعطي أَنّها الأَحد ويوم الاثنين كما ذُكر.

و«الأَنْدَاد»: الأَشباه والأَمثال، وهذه إِشارة إِلى كلِّ ما عُبد من الملائكة والأَصنام وغير ذلك، قال السديّ: أَكْفَاءٌ من الرجال تطيعونهم[٢].

و«الرَّوَاسيّ»: هي الجبال الثوابت، رَسَا الجبلُ: إِذا ثبت.

وقوله تعالى: ﴿وَبَـٰرَكَ فِيهَا﴾ أَي: جعلها مُنْبتَةً للطيبات والأَطعمة، وجعلها طهوراً، إِلى غير ذلك من وجوه[٣] البركة.

وفي قراءَة ابن مسعود: (وقَسَّم فيها أَقواتها)، [وفي مصحف عثمان رضي الله عنه: ﴿وَقَدَّرَ﴾[٤].

واختلف النّاس في معنى قوله تعالى: ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾][٥]:

---

(١) مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الأصل: «من المخلوقات على ستة أيام من آدم إلخ».

(٢) انظر تفسير الطبري (١/ ٣٦٨).

(٣) في المطبوع: «أنواع».

(٤) وهي قراءة عامة القراء وهي المتواترة، وقراءة ابن مسعود شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢)، الطبري (٢١/ ٤٣٩).

(٥) سقط من أحمد٣.

فقال السديّ: هي أَقوات البشر وأَرزاقهم، وأَضافها إِلى الأَرض من حيث هي فيها وعنها.

وقال قتادة: هي أَقوات الأَرض من الجبال والأَنهار والأَشجار والصخور والمعادن والأَشياءِ، الّتي بها قوام الأَرض ومصالحها[١].

وروي عن ابن عبّاس رضي الله عنه في هذا المعنى حديثٌ مرفوعٌ، فشبّهها بالقوت الّذي به قوام الحيوان[٢].

وقال مجاهد: أَراد أَقواتها من المطر والمياه.

وقال عكرمة، والضحّاك، ومجاهد أَيضاً: أَراد بقوله: ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾: خصائصَها الّتي قسمها في البلاد، فجعل في اليَمَن أَشياءَ ليست في غيره، وكذلك في العراق والشام والأَندلس وغيرها من الأَقطار، ليحتاج بعضها إِلى بعض، ويتقوّت من هذه في هذه في الملابس والمطعوم[٣]، وهذا نحو القول الأَوّل، إِلاّ أَنّه بوجه أَعمَّ منه.

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يريد: باليومين الأَولين، وهذا كما تقول: بنيتُ جدار داري في يوم، وأَكملتُ جميعها في يومين، أَي بالأَول.

وقرأَ الحسن البصريّ، وأَبو جعفر، وجمهور النّاس: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب على الحال، أَي: سواءً هي وما انقضى فيها.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع، أَي هي سواءٌ.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٥)، والثاني في الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٨٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٠).

(٢) قال السيوطي في «الدر المنثور» (١٣/ ٩٠) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ قال: شق الأنهار، وغرس الأشجار، ووضع الجبال، وأجرى البحار، وجعل في هذه ما ليس في هذه، وفي هذه ما ليس في هذه.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٨٩).

وقرأَ الحسن، وابن أَبي إِسحاق، وعيسى، وعمرو بن عبيد: ﴿سَوَاءٍ﴾ بالخفض على نعت (الأَيَّام)[١].

واختلف المتأَوّلون في معنى ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾؛ فقال قتادة، والسُّديُّ: معناه: سواءً لمن سأَل عن الأَمر واستفهم عن حقيقة وقوعه وأَراد العبرة فيه، فإِنّه يجده كما قال عزَّ وجلَّ[٢].

وقال ابن زيد وجماعة: معناه: مُسْتَوٍ مُهَيَّأٌ أَمر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين إِليها من البشر[٣]، فعبَّر عنهم بالسَّائلين، بمعنى الطَّالبين؛ لأَنّهم من شأْنهم ولا بُدَّ طَلَبُ ما ينتفعون به، فهم في حكم من سأَل هذه الأَشياءَ؛ إِذ هم أهل حاجة[٤] إِليها.

ولفظة (سواء) تجري مجرى: عَدْل، وزَوْرٍ، في أَن ترد على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ معناه: بقدرته واختراعه، أَي: إِلى خلق السماء وإِيجادها.

وقوله تعالى: ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ روي: أَنّها كانت جسماً رخواً كالدخان أَو البخار.

وروي: أَنّه ممّا أَمره الله أَن يصعد من الماءِ[٥]، وهنا لفظ متروك يدلّ عليه الظاهر،

(١) ثلاث قراءات، الأولى للسبعة، والثانية والثالثة عشريتان، لأبي جعفر ويعقوب، انظر: النشر (٢/ ٣٦٦). «وابن أبي إسحاق» سقط من نجيبويه، وفي السليمانية: «وابن أبي عيسى»، وسقط «عيسى» من الحمزوية.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٨).

(٣) انظر قول ابن زيد في تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٨)، وسقط اسمه من السليمانية.

(٤) في السليمانية ونجيبويه ونور العثمانية وفيض الله والمطبوع: «بحال حاجة».

(٥) انظر تفسير الطبري (١/ ٤٥٤-٤٦٢).

وتقديره: فأَوجدها وأَتقنها وأَكمل أَمرها، وحينئذ قيل لها وللأَرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱئۡتِيَا﴾، من: أَتى يأْتي، ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا﴾ على وزن فَعَلْنا، وذلك بمعنى: ائْتِيَا أَوامري وإِرادتي فيكما.

وقرأَ ابن عبّاس، وابن جبير، ومجاهد: (آتِيَا)، من آتى يُؤْتي، (قالتا آتينا) على وزن أَفْعَلنا[1]، وذلك بمعنى: أَعْطِيَا من أَنفسكما من الطاعة ما أَردتُه منكما، والْإِشارة بهذا كلِّه إِلى تسخيرهما وما قدَّره الله تعالى من أَعمالهما.

وقوله: ﴿أَوۡ كَرۡهًا﴾ فيه محذوف ومقتضب، والتقدير: ائْتِيَا طوعاً وإِلَّا أَتَيْتُما كَرْهاً، وقوله: ﴿قَالَتَآ﴾ أَراد الفرقتين المذكورتين، جعل السماوات / سماءً والأَرضين أَرضاً، ونحو هذا قول الشاعر: [٥/ ٤٧]

أَلَـمْ يَحْزُنْـكِ أَنَّ حبـال قَوْمـي وَقَوْمـكِ قَـدْ تَبَايَنَتَـا انقِطَاعَـا[2] [الوافر]

جعلها فرقتين وعبَّر عنهما بـ(تَبَايَنَتَا)[3].

وقوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾، لما كانت ممن يقول ـ وهي حالة عقل ـ جرى الضمير في ﴿طَآئِعِينَ﴾ ذلك المجرى، وهذا كقوله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

واختلف النّاس في هذه المقالة من السماءِ والأَرض:

فقالت فرقة: نطقتا حقيقة، وجعل الله تعالى لهما حياة وإِدراكاً يقتضي نطقهما.

وقالت فرقة: هذا مجاز، وإِنّما المعنى أَنَّهما ظهر فيهما من اختيار الطاعة والخضوع والتذلّل ما هو بمنزلة قول: ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لابن عباس في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٧)، ولابن جبير في الشواذ للكرماني (ص: ٤٢٠).

(٢) البيت للقطاميّ كما تقدم في تفسير الآية (٣٣) من (سورة الأنبياء)، والحبال: الصِّلاتُ والعهود، وكتبت في الأصل: «جبال».

(٣) في الأصل: «عنها بائْتِيا»، والمثبت من المطبوع ونجيبويه.

والقول الأَوّل أَحسن؛ لأَنّه لا شيءَ يدفعه، ولأَنَّ العبرة به أَتم، والقدرة فيه أَظهر.

وقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ معناه: صنعهن[1] وأوجدهن، ومنه قول أَبي ذؤيب:

[الكامل] وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا   دَاودُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابغِ تُبَّعُ[2]

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ قال مجاهد، وقتادة: أَوحَى إِلى سكّانها وعَمَرتها من الملائكة، وإِليها هي في نفسها ما شاءَ تعالى من الأُمور الّتي بها قوامها وصلاحها[3]، قال السديّ، وقتادة: ومن الأُمور الّتي هي لغيرها مثل ما فيها من جبال البَرَد ونحوه[4]، وأَضاف الله تعالى الأَمر إِليها من حيث هو فيها.

ثمّ أَخبر تعالى أَن الكواكب زيَّن بها السماءَ الدنيا، وذلك ظاهر اللّفظ وهو بحسب ما يقتضيه حسُّ[5] البصر، وقوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بإِضمار فعل، أَي: وحفظناها حفظاً.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارة إِلى جميع ما ذكر، أَي: أَوجده بقدرته وعزَّته وأَحْكمه بعلمه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

المعنى: فإِن أَعرضت قريش والعرب الّذين دعوتهم إِلى الله عن هذه الآيات

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهُذليِّ، كما تقدم في تفسير الآية (١١) من (سورة يونس).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٤).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٨).

(٥) في الأصل والحمزوية وأحمد٣: «حسن».

البيِّنات، فأَعلمهم بأنك تحذرهم أَن يصِيبهم مثلُ العذاب الّذي أَصاب الأُمم الّتي كذّبت كما تكذّب هي الآن.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾.

وقرأَ النَّخعي، وأَبو عبد الرحمن، وابن محيصن: (صَعْقةً مِثلَ صَعْقَةِ)[1].

فَأَمَّا هذه القراءَة الأَخيرة، فبينة المعنى؛ لأَنّ الصعقة: الهلاك الوَحِيُّ[2] [لِلإِنسان.

وأَمّا الأُولى، فالمعروف في الصاعقة أَنّها الوقعة الشديدة من صوت الرعد، وهي][3] تكون معها في الأَحيان قطعة نار، فَشُبِّهَت هنا وقْعة العذاب بها؛ لَأَنَّ عاداً لم تُعَذَّب إِلَّا بريح، وإِنَّما هذا تشبيه واستعارة، وبالوقعة[4] فسَّر هنا الصاعقة قتادةُ وغيره[5].

وخصَّ تعالى عاداً وثموداً بالذكر لوقوف قريش على بلادها في اليمن وفي الحجر بطريق الشّام.

وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، أَي: قد تقدموا في الزمن واتصلت نذارتهم إِلى أَعمار عادٍ وثمود، وبهذا الاتصال قامت الحجّة.

وقوله: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾، أَي: جاءَهم رسولٌ بعد اكتمال أَعمارهم وبعد تقدّم وجودهم في الزمن، فلذلك قال: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾، وجاءَ من مجموع العبارة إِقامة الحجّة عليهم في أَنّ الرسالة والنِّذارة عمّتهم خبراً ومباشرةً.

ولا يتوجه أَن يُجعل ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ عبارة عمَّا أَتى بعدهم في الزمن؛ لأَنّ ذلك لا يلحقهم منه تقصير.

---

(١) وهي شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٥٢).

(٢) سقط من المطبوع، ومعناها: الموت السريع.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في الأصل والحمزوية: «وبالوقيعة».

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٦)، وفي الأصل: «قاله قتادة».

وأَمَّا الطَّبريُّ فقال: الضمير في قوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ عائد على الرُّسل، والضمير في قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ على الأُمم، وتابَعه الثعلبيّ(١).

وهذا غير قويّ؛ لأَنَّه يُفرِّق الضمائر ويشعِّب المعنى.

و(أَنْ) في قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ نصب على إِسقاط الخافض، التقدير: «بأَن».

و﴿تَعْبُدُوا﴾ مجزوم على النهي، ويتوجه أَن يكون منصوباً على أَن تكون (لا) نافية، وفيه بُعد، وكان من تلك الأُمم إِنكار بعثة البشر واستدعاءُ الملائكة، وهذه أَيضاً كانت من مقالات قريش.

وقوله: ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ ليس على جهة الإِقرار بأَنَّهم أُرسلوا بشيءٍ، وإِنَّما معناه: على زعمكم ودعواكم.

ثمَّ وصف حالة القوم، وأَن عاداً طلبوا التكبُّر ووضعوا أَنفسهم فيه بغير حقٍّ، بل بالكفر والمعاصي، وغرَّتهم قوَّتهم وعظم أَبدانهم والنعم عليهم، فقالوا ـ على جهة التقرير ـ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾؟ [أَي: لا أَحدَ أَشدُّ منَّا قوَّة](٢)، فعرض الله تعالى [موضع النظر](٣) بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الآية، وهذا بيِّنٌ في العقل، فإِنَّ الموجدَ للشيءِ المخترعَ له المُذْهِبَ له متى شاءَ هو أَقوى منه، وأَخبر تعالى عنهم بجحودهم بآياته المنصوبة للنظر والمنزلة من عنده؛ إِذْ لفظ الآيات يعم ذلك [كله في المعنى](٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)﴾.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨٨).

(٢) من المطبوع وفيض الله ونور العثمانية.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) من الأصل، وفي نجيبويه: «يغير ذلك»، وفي نور العثمانية: «يغير ذلك فوضح».

رُوي في الحديث: أَنَّ الله تعالى أَمر خزنة الريح، ففتحوا على عادٍ منها مقدار حلقة الخاتم، ولو فتحوا قدر منخر الثور، لهلكت الدنيا[١].

ورُوي: أَنَّ الريح كانت ترفع العِيرَ بأَوقارها فتطيرها، حتّى تطرحها في البحر[٢].

---

(١) لا يثبت مرفوعاً، أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨١-٤٨٢)، والترمذي (٣٢٧٤)، والنسائي في الكبرى (٨٥٥٣) من طريق سلام بن سليمان النحوي، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن الحارث بن يزيد البكري ويقال الحارث بن حسان، قدمت المدينة فدخلت على رسول الله ﷺ فذكرت عنده وافد عاد، فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد، قال رسول الله ﷺ: «وما وافد عاد» قال: فقلت: على الخبير سقطت إن عاداً لما أقحطت بعثت قيلاً فنزل على بكر بن معاوية فسقاه الخمر وغنته الجرادتان ثم خرج يريد جبال مهرة فقال: اللهم إني لم آتك لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه فاسق عبدك ما كنت مسقيه واسق معه بكر بن معاوية يشكر له الخمر التي سقاه فرفع له سحابات فقيل له: اختر إحداهن، فاختار السوداء منهن، فقيل له: خذها رماداً رمدداً لا تذر من عاد أحداً وذكر أنه لم يرسل عليهم من الريح إلا قدر هذه الحلقة يعني حلقة الخاتم ثم قرأ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ الآية، وأخرجه الترمذي (٣٢٧٣) من طريق سلام بن سليمان، عن عاصم، عن أبي وائل، عن رجل من ربيعة به، والإسناد ضعيف، لحال عاصم في الحديث، وأخرج ابن أبي حاتم (١٨٦٦٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٣) وغيرهم من طريق عبد الله بن سليمان، عن دراج، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الريح مسخرة من الثانية يعني من الأرض الثانية فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عاداً، قال: أي رب، أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار: لا، إذا تكفأ الأرض ومن عليها، ولكن أرسل بقدر خاتم فهي التي يقول الله في كتابه ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾»، قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٢٤): هذا حديث غريب، ورفعه منكر، والأظهر أنه من كلام عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه. اهـ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤٠) من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار قال: قلت: لكعب رحمه الله تعالى من ساكن الأرض الثانية قال: الريح العقيم لما أراد الله عز وجل أن يهلك قوم عاد أوحى إلى خزنتها أن افتحوا منها باباً قالوا: يا ربنا مثل منخر الثور، قال: إذا تكفىء الأرض بمن عليها، فقال افتحوا منها مثل حلقة الخاتم.

(٢) انظر الطبري (٢١/ ١٥٧).

وقال جابر بن عبد الله، والتيميّ[١]: حبس عنهم المطر ثلاثة أَعوام، وإِذا أَراد الله بقوم شرّاً، حبس عنهم المطر، وأَرسل عليهم الرياح[٢].

واختلف النّاس في الصَّرصَر:

[٥/ ٤٨] فقال قتادة، والسديّ، والضحّاك: / هو مأْخوذ من الصِّرِّ وهو البَرْد[٣]، والمعنى: ريحاً باردة لها صوت.

وقال مجاهد: صَرْصَر: شديدة السّموم[٤] عليهم.

وقال الطبريُّ وجماعة من المفسِّرين: هو من صَرَّ يصرُّ[٥]: إِذا صوَّت صوتاً يشبه الصاد والراءَ[٦]، وكذلك يجيءُ صوت الريح في كثير من الأَوقات بحسب ما تلقى.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والأَعرج، والحسن، والنَّخَعي، وعيسى: ﴿نَحْسَاتٍ﴾ بسكون الحاءِ، وهي جمع نحْسٍ، يقال: يومٌ نَحْسٌ، ويومُ[٧] نحْسٍ، فهو مصدر يوصف به أَحياناً [ويضاف إِليه (اليوم) أَحياناً][٨]، وعلى الصفة به جمع في هذه الآية.

---

(١) في حاشية المطبوع: في الأصول: «جابر بن عبد الله التيميّ»، والتيمي هو إبراهيم كما في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٠).

(٢) ضعيف، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٨٩ -٢٩٠) من طريق مقاتل بن حيان، عن إبراهيم التيمي، وعن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إذا أراد الله بقوم خيراً، أرسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح، وإذا أراد الله بقوم شرّاً حبس عنهم المطر وأرسل عليهم كثرة الرياح. ومقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى الخراساني متروك.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٤ و٤٤٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٤)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٩).

(٤) انظر قوله والقولين قبله في تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٤)، وانظر الهداية لمكي (١٠/ ٦٤٩٨).

(٥) في المطبوع: «صَرْصَرَ»، قال وفي الأصول: «صر يصر»، والتصويب عن الطبريِّ والبحر المحيط.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٧٤).

(٧) في المطبوع: «قوم».

(٨) سقط من الأصل.

واحتجّ أَبو عمرو لهذه القراءَة بقوله: ﴿يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ [القمر: ١٩][١].

وقال النَّخعيُّ: (نَحَسات) وليست بِنَحِسَات بكسر الحاءِ[٢].

وقرأَ الباقون، وأَبو جعفر، وشيبة، وأَبو رجاءٍ، وقتادة، والجحدريُّ، والأَعمش: ﴿نَّحِسَاتٖ﴾ بكسر الحاءِ[٣]، وهي جمع لِنَحِس على وزن حَذِر، فهو صفة لليوم مأْخوذ من النَّحْس.

وقال الطبريُّ: نَحِسٌ ونَحْسٌ لغتان[٤]، وليس كذلك، بل اللُّغة الواحدة تجمعهما، أَحدهما مصدرٌ، والآخر من أَمثلة اسم الفاعل، وأَنشد الفراءُ:

أَبْلِغْ جُذَاماً وَلَخْماً أَنَّ إِخْوَتَهُمْ ... طيّاً وبَهْرَاءَ قومٌ نَصْرُهُمْ نَحِسُ[٥] [البسيط]

وقالت فرقة: إِن (نَحْسَاتٍ) بالسكون مخفَّفة من (نَحِسَات) بالكسر، والمعنى في هذه اللَّفظة: مشائيم، من النَّحْس المعروف، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي.

وقال الضحاك: معناه: شديدة[٦]، أَي شديدة البرد حتى كان البرد عذاباً لهم.

قال أَبو علي: وأَنشد الأَصمعي في النَّحْس بمعنى البرد:

كأَنَّ سُلَافَةً عُرِضَتْ لِنَحْسٍ ... يُحِيلُ شَفيفُها الماءَ الزُّلَالا[٧] [الوافر]

---

(١) انظر قوله في تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٧).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٣)، والسبعة (ص: ٥٧٦)، والنشر (٢/ ٣٦٦)، والحسن في الأولى زيادة من المطبوع.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٧).

(٥) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٤)، والحجة لابن خالويه (ص: ٣١٧)، والصحاح للجوهري (٣/ ٩٨١).

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٠).

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١١٧)، والبيت لابن أحمر، كما في المعاني الكبير (١/ ٤٥٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٨٥).

وقال ابن عبّاس: ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ معناه: متتابعات، وكانت آخر شوال من الأَربعاءِ إِلى الأَربعاءِ[١].

و«عَذَابُ الخِزْيِ في الدُّنْيا»: هو العذاب بسبب الكفر ومخالفة أَمر الله، ولا خِزْي أَعظم من هذا، إِلَّا ما في الآخرة من الخلود في النَّار.

وقرأَ جمهور النَّاس: ﴿ثَمُودُ﴾ بغير صرف، وهذا على إِرادة القبيلة.

وقرأَ يحيى بن وثاب، والأَعمش، وبكر بن حبيب: (ثمودٌ) بالتنوين والإِجراءِ، وهذا على إِرادة الحيِّ، وبالصرف كان الأَعمش، ويحيى بن وثاب يقرآن في جميع القرآن، إِلَّا في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩][٢]؛ لأَنَّه في المصحف بغير أَلف.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق، والأَعرج بخلاف، والأَعمش، وعاصم: (ثمُودَ) بالنصب[٣].

وهذا على إِضمار فعل يدل عليه قوله: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، وتقديره عند سيبويه: مهما يكن من شيءٍ فهدينا ثمود هديناهم، والرفع عنده أَوجه[٤].

ورُوي عن ابن أَبي إِسحاق، والأَعمش: (ثَمُوداً) منونةً منصوبةً، وروى المفضل عن عاصم الوجهيْن[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٤٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) قد تقدمت الإشارة لهذا هناك، وهي شاذة، وانظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٢١)، ويحيى بن وثاب ساقط من الأصل.

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢١) للأعرج وقتادة.

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «والرفع عنده أوجب»، وانظر الكتاب لسيبويه (١/ ٨١).

(٥) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٢١)، وانظر الوجهين للمفضل في جامع البيان (٤/ ١٥٦١). وفي الأصل: «الفضل».

وقوله تعالى: ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ معناه: بَيَّنَّا لهم، قاله ابن عبّاس[١] وقتادة والسديّ وابن زيد[٢].

وليس الهُدى هنا بمعنى الإِرشاد، وهذا كما هي الآن شريعة الإِسلام مبينة لليهود والنصارى المختلطين لنا، ولكنهم يعرضون ويشتغلون بالضد[٣]، فذلك استحباب العمى على الهدى.

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَحَبُّوا﴾ عبارة عن تكسبهم في العمى، وإِلَّا فهو بالاختراع لله تعالى، ويدلُّك على أَنَّها إِشارة إِلى تكسُّبهم قوله تعالى: ﴿كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ وصف بالمصدر، والمعنى: الذي معه هوان وإِذلال، ثمَّ قرن تعالى بذكرهم ذكر من آمن واتقى ونجاته[٤] ليُبَيِّنَ الفرق.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ﴾ نصب بإِضمار فعل تقديره: واذكر يومَ.

وقرأ نافع وحده، والأَعرج، وأَهل المدينة: ﴿نَحْشُرُ﴾ بالنون ﴿أَعْدَاءَ﴾ بالنصب، إِلَّا أَن الأَعرج كسر الشين.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٤٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٨٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٠ و٦٥٠١). وسقط «السدي» من الأصل.

(٣) في الأصل: «بالصدّ».

(٤) في المطبوع: «ونَجا به»، وفي الحمزوية: «ونجي».

وقرأَ الباقون: ﴿يُحۡشَرُ﴾ بالياءِ المرفوعة ﴿أَعۡدَآءُ﴾ رفعاً، وهي قراءَة الأَعمش، والحسن، وأَبي رجاءٍ، وأَبي جعفر، وقتادة، وعيسى، وطلحة، ونافع فيما روي عنه[١]، وحجتها ﴿يُوزَعُونَ﴾.

و﴿أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ﴾: هم الكفار المخالفون لأَمره.

و﴿يُوزَعُونَ﴾؛ قال قتادة والسدي وأَهل اللُّغة: يُكَفُّ أَوَّلُهُم حبساً على آخرهم[٢].

وفي حديث أَبي قحافة يَوْمَ الفتح: ذلك الوازع، وقال الحسن البصريُّ: لا بُدَّ للقاضي من وَزَعة[٣]، وقال أَبو بكر الصدِّيق: إِنِّي لا أُقيد مِن وزعة اللهِ تعالى[٤].

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لهذا الحشر المذكور، وهذا وصف حال من أَحوالهم في بعض أَوقات القيامة، وذلك عند وصولهم إِلى جهنَّم، فإِنَّ الله تعالى يستقرهم[٥] على أَنفسهم، ويُسأَلون سؤال توبيخ عن كفرهم، فينكرون ذلك ويحسبون أَنْ لا شاهد عليهم، ويظنّون السؤال سؤال استفهام واستخبار، فينطق الله تعالى جوارحهم بالشهادة عليهم.

فروي عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ أَوَّل ما ينطق من الإِنسان فخذه اليسرى، ثمَّ تنطق

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير في القراءات السبع (ص: ١٩٣)، والسبعة في القراءات (ص: ٥٧٦)، النشر (٢/ ٣٦٦)، والوجه الثاني لنافع من رواية أبي خليد، كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٣٢)، وانظر قراءة الأعرج في الشواذ للكرماني (ص: ٤٢١)، وهي شاذة.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٠)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٢). وسقط «السدي» من المطبوع.

(٣) التمهيد لابن عبد البر (١/ ١١٨)، وحديث أبي قحافة سبق تخريجه في (سورة النمل) آية (١٧).

(٤) جيد، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير (٩٦٣) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم أخبرني المغيرة بن شعبة قال: كنت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه... وفيه أن أبا بكر قال: بلغني أن ناساً يزعمون أني مقيدهم من المغيرة بن شعبة ولأن أخرجهم من ديارهم أقرب من أن أقيدهم من وزعة الله الذين يزعون عباده. وفي المطبوع: «مَن وَزَعه».

(٥) في المطبوع: «سيقررهم عند ذلك».

الجوارح، فيقول الكافر: تبّاً لك أَيتها الأَعضاءُ فعنكِ كنت أُدافع»[١].

وفي حديث آخر: «يجيئون يوم القيامة وعلى أَفواههم الفدام فيتكلم الفخذ والكفُّ»[٢].

ثمَّ ذكر تعالى محاورتهم لجلودهم في قولهم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾، أَي: وعذابُنا عذابٌ لكم، واختلف النّاس، ما المرادُ بالجلود؟

فقال جمهور النّاس: هي الجلود المعروفة.

وقال عبيد الله بن أَبي جعفر[٣]: كنَّى بالجلود عن الفروج وإِيَّاها أَراد[٤].

وأَخبر تعالى أَنَّ الجلود تردُّ جوابهم / بأَنَّ الله الخالق المبدئ المعيدَ هو الّذي أَنطقهم. [٥/ ٤٩]

وقوله تعالى: ﴿أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يريد: كلَّ شيءٍ ناطقٍ، مما هي فيه عادة أَو خرق عادة.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ يحتمل أَن يكون من كلام الجلود ومحاورتها، ويحتمل أَن يكون من كلام الله عزَّ وجلَّ لهم، أَو من كلام مَلَك بأَمره تعالى، وأَمَّا المعنى فيحتمل وجهين: أَحدهما أَن يريد: وما كنتم تتصاوَنُونَ وتحجزون

---

(١) حسن: هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٦)، والنسائي في الكبرى (١١٤٣١)، والطبري (٢١/ ٤٥٣)، والطبراني (١٠٣٨) من طريق يحيى بن بكير، عن شبل، عن أبي قزعة، عن عمرو بن دينار، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه مرفوعاً بلفظ مطول.

(٢) حسن: هذا الحديث أخرجه الطبري (٢١/ ٤٥٣) من طريق حكيم بن معاوية، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «وتجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام، وإن أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه».

(٣) هو عبيد الله بن أبي جعفر الليثي المصري الفقيه أبو بكر، مولى عروة بن شييم الليثي، رأى عبد الملك بن الحارث الزبيدي وسمع الأعرج وأبا سلمة والشعبي، وروى عنه ابن إسحاق والليث وابن لهيعة وغيرهم، ثقة توفي سنة (١٣٢هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤٧٧).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥١)، وهو في الهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٣)، وتفسير السمعاني (٥/ ٤٦) لأكثر المفسرين.

أَنفسكم عن المعاصي والكفر، خوف أَن يُشْهد، أَو لأَجل أَن يُشهد، ولكنَّكم ظننتم أَن الله لا يعلم، فانهمكتم[١] وجاهرتم، وهذا هو مَنْحى مجاهد[٢].

والسَّتْر قد يتصرف على هذا المعنى ونحوه، ومنه قول الشاعر:

[السريع] والسَّـتْرُ دونَ الفاحِشـاتِ ومَـا يَلْقَـاكَ دونَ الخَيْـرِ مِـنْ سـتْرِ[٣]

والمعنى الثاني أَن يريد: وما كنتم تمتنعون ولا يُمكنكم ولا يسعكم الاختفاءُ عن أَعضائكم والاستتارُ عنها بكفركم ومعاصيكم، ولا تظنّون أَنّها تصل بكم إِلى هذا الحدّ، وهذا هو منحى السديّ[٤]، كأَنَّ المعنى: وما كنتم تدفعون بالاختفاءِ والسَّتر أَن يشهد؛ لأَنَّ الجوارح لزيمة لكم، وفي إِلزامه إِيّاهم الظنَّ بأَنَّ الله لا يعلم هو إِلزامهم الكفر والجهل بالله، وهذا المعتقد يؤدي بصاحبه إِلى تكذيب أَمر الرسل، واحتقار قدرة الإله لا ربَّ غيره.

وفي مصحف ابن مسعود: (ولكن زعمتم أَن الله)[٥].

وحكى الطبريُّ عن قتادة أَنَّه عبَّر عن (تَسْتَتِرُونَ) بـ(تظنون)[٦]، وذلك تفسير لم ينظر فيه إِلى اللَّفظ ولا ارتبط فيه معه.

وذكر الطبريُّ وغيره حديثاً عن عبد الله بن مسعود قال: إِنِّي لَمُسْتَتِرٌ بأَستار الكعبة، إِذ دخل ثلاثة نفر، قرشيان وثقفيٌّ، أَو ثقفيان وقرشيٌّ، قليلٌ فقْهُ قلوبهم، كثيرٌ شحمُ بطونهم، فتحدثوا بحديث، فقال أَحدهم: أَترى الله يسمع ما قلنا؟ قال الآخر: إِنَّه يسمع إِذا رفْعنا ولا يسمع إِذا أَخفينا، وقال الآخر: إِن كان يسمع شيئاً منه، فإِنَّه يسمعه

---

(١) في الأصل وفيض الله: «فانهملتم».
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٧).
(٣) البيت لزهير كما في إيضاح الشواهد (١/ ٣٨٠)، وعيون الأخبار (١/ ٩٩)، وأمالي القالي (١/ ٩١). وفي فيض الله: «من شر».
(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩١)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٠٧).
(٥) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٦).
(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤). وفي الأصل والحمزوية: «تبطنون».

كلَّه، فجئت رسول الله ﷺ وأَخبرتُه بذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآية، فقرأَ حتّى بلغ ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾[١].

وذكر النقَّاش أَنَّ الثلاثة: صفوان بن أُميَّة، وفرقد بن ثُمامة، وأَبو فاطمة[٢].

وذكر الثعلبيُّ: أَنَّ الثَّقفيَّ عَبْدُ ياليل، والقُرَشييْن خَتَناه: ربيعة وصفوان ابنا أُميَّة ابن خلف[٣].

ويشبه أَن يكون هذا بعد فتح مكَّة، فالآية مدنية، ويشبه أَن رسول الله ﷺ قرأَ الآية متمثلاً بها عند إِخبار عبد الله إِيّاه، والله أَعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ رفع بالابتداءِ، والإِشارة به إِلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ﴾، قال قتادة: الظَّنُّ ظنَّان، ظنٌّ مُنْجٍ وظنٌّ مُهلك[٤].

قال القاضي أَبو محمد: فالمُنْجي هو أَن يظنَّ الموحِّد العارف بربِّه أَنَّ الله يرحمه، والمُهلك ظنون الكفرة الجاهلين على اختلافها، وفي هذا المعنى ليحيى بن أَكثم رؤْيا حسنة مؤنسة[٥].

و﴿ظَنُّكُمُ﴾ خبر ابتداءٍ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧٥) وغيره، ووقع في إسناده اختلاف وصوب أبو حاتم والدارقطني الإسناد الواقع في صحيح مسلم، انظر العلل لابن أبي حاتم (١٧٩١) وعلل الدارقطني (٨٨١).

(٢) لم أقف عليه، ولم أجد لفرقد ولا لأبي فاطمة ذكراً.

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩١). وفي الحمزوية: «ابنا ربيعة».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥١٠).

(٥) وذلك أنه رئي بعد موته في النوم فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني الله بين يديه وقال: يا شيخ =

وقوله: ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾ يصحُّ أَن يكون خبراً بعد خبر، وجوَّزَ الكوفيون أَن يكون في موضع الحال، والبصريون لا يُجيزون وقوع الماضي حالاً إلا[1] إِذا اقترن بـ: (قد)، تقول: رأَيت زيداً قد قامَ، وقد يجوز تقديرها عندهم وإِن لم تظهر.

ومعنى ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾: أَهلككم، والرَّدى: الهلاكُ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ﴾ مخاطبة لمحمد ﷺ، والمعنى: فإِن يصبروا أَو لا يصبروا، واقتصر لدلالة الظاهر على ما تُرك.

و«المَثْوَى»: موضع الإِقامة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ﴾ بفتح الياءِ وكسر التاءِ الأخيرة على إِسناد الفعل إِليهم، ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾ بفتح التاءِ، على معنى: وإِن يطلبوا العُتْبَى، وهي الرِّضا، فما هم ممن يعطاها ويستوجبها.

وقرأَ الحسن، وعمرو بن عبيد، وموسى الأَسواريُّ: (وإِن يُسْتَعْتَبُوا) بضم الياءِ وفتح التاءِ الثانية: (فما هم من المعتِبين) بكسر التاءِ[2]، على معنى: وإِن طُلب عندهم خير أَو صلاح، فما هم ممن يوجد عنده؛ لأَنَّهم فارقوا الدنيا دار الأَعمال، كما قال ﷺ: «ليس بعد الموت مُسْتعْتَب»[3].

= السوء فعلت وفعلت،... وفيه: فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل أنك قلت: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت أظن بك أن لا تعذبني»، فقال الله عز وجل: صدق جبريل وصدق نبيِّي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقتُ ... إلخ، انظر تمامها في إحياء علوم الدين (٤/ ١٤٥).

(١) «إلا» ليست في المطبوع والأصل ونجيبويه.

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٤٤).

(٣) فيه من لم يعرف، أخرجه القضاعي في مسنده (١١٨٩) من طريق كيسان أبي دهثم بن سليمان الهجيمي، عن أبي زيد قمامة الهزاني، عن محمد بن يزيد، عن أبي حميد الساعدي قال خطب رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «ليس بعد الموت مستعتب». وقمامة الهزاني لم أقف له على ترجمة، ومحمد بن يزيد لم أعرفه.

ويحتمل أَن تكون هذه القراءَة بمعنى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

ثمَّ وصف عزَّ وجلَّ حالهم في الدنيا وما أَصابهم به حين أَعرضوا، فحتم عليهم فقال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾؛ أَي: يسَّرنا لهم قُرناءَ سوءٍ من الشياطين وغُواة الإِنس، وقوله: ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، أَي: علَّموهم وقَرَّروا في نفوسهم معتقدات سوءٍ في الأُمور الّتي تقدمتهم: من أَمر الرُّسل، والنُّبُوَّاتِ، ومدحِ عبادة الأَصنام، واتِّباع فعل الآباءِ إِلى غير ذلك مما يقال فيه: إِنَّه بين أَيديهم، وذلك كل ما تقدمهم في الزمان واتَّصل إِليهم أَثره أَو خبره، وكذلك أَعطوهم معتقدات سوءٍ فيما خلفهم، وهو كلُّ ما يأْتي بعدهم من أَمر القيامة والبعث ونحو ذلك مما يقال فيه: إِنه خلف الإِنسان، فزينوا لهم في هذين كلَّ ما يُرديهم ويفضي بهم إِلى عذاب جهنّم.

وقوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أَي: سبق القضاءُ الحتم وأَمر الله بتعذيبهم في جملة أُممٍ مُعَذَّبين كفَّار من الجنِّ والإِنس، / وقالت فرقة: ﴿فِىٓ﴾ بمعنى: مَعْ، [أَي: مع أمم][1]، والمعنى يتأَدَّى بالحرفين، ولا نحتاج إِلى أَ ن نجعل حرفاً بمعنى حرفٍ، إِذ قد أَبى ذلك رؤساءُ البصريين. [٥/ ٥٠]

قوله عز وجل: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ حكايةٌ لما فعله بعض قريش؛ كأَبي جهل وغيره، وذلك أَنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأُ القرآن في المسجد الحرام، ويُصغي إِليه النّاس من مؤمن وكافر، فخشي الكفار استمالة القلوب بذلك، فقالوا: متى قرأَ محمد فلنلغط[2] نحن بالمُكاءِ والصفير والصياح وإِنشاد الشِّعر والأَرجاز، حتّى يخفى صوته ولا يقع الاستماع منه[3]، وهذا الفعل منهم هو اللَّغْوُ.

وقال أَبو العالية: أَرادوا: قعوا فيه وعيبوه[4].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «فَلْنُغَطِّ».

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٦٠) عن مجاهد.

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٥٦).

واللَّغْوُ في اللُّغة: سَقط القول الّذي لا معنى له، أَو هو من [الخساسة والبطول][١] في حكم ما لا معنى له.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ﴾ بفتح الغين وجَزْم الواو.

وقرأَ بكر بن حبيب السَّهْمي: (وَالْغُوا) بضم الغيْن وسكون الواو، ورويت عن عيسى، وابن أَبي إِسحاق بخلاف عنهما، وهما لغتان[٢]، يقال: لَغَا يَلْغُو، ويقال: لَغِيَ يَلْغَى، ويقال أَيضاً: لَغَا يَلْغَى، أَصله يَفْعِل بكسر العين فردَّه حرف الحلْق إِلى الفتح.

فالقراءَة الأُولى من يَلْغَى، والقراءَة الثانية من يَلْغُو، قاله الأَخفش[٣].

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ أَي تطمسون أَمر محمد عليه السلام وتُميتون ذكره وتصرفون القلوب عنه، فهذه الغلبة[٤] الّتي تَمَنَّوْها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ﴾، الفاءُ دخلت على لام القَسَم، وهي آية وعيد لقريش.

و«العذاب الشديد»: هو عذاب الدنيا في بدْرٍ وغيرها.

و«الجزاءُ بأَسوأ أَعمالهم»: هو عذاب الآخرة.

---

(١) في المطبوع: «الحاسة»، وفي نجيبويه: «الحساسة»، وفيها: «التَّطَوُّل»، وفي نور العثمانية: «الحساسة والطول».

(٢) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٦٢)، والمحتسب (٢/ ٢٤٥).

(٣) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٠٦).

(٤) في الأصل: «الغاية».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الجزاءِ المتقدم، و﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ خبر الابتداءِ، و﴿ٱلنَّارُ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ﴾، ويجوز أَن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر ابتداءٍ تقديره: الأَمر ذلك، ويكون قوله: ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ﴾ ابتداءً، و﴿ٱلنَّارُ﴾ خبره.

وقوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أَي: موضع البقاءِ ومسكن العذاب الدائم، فالظرفية في قوله: ﴿فِيهَا﴾ متمكنة على هذا التأْويل، ويحتمل أَن يكون المعنى: هي لهم دار الخلد، ففي قوله: ﴿فِيهَا﴾ معنى التحذير[1]، كما قال الشاعر:

.... وفي اللَّهِ إِنْ لَمْ تُنْصِفُوا حَكَمٌ عَدْلُ[2] [الطويل]

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (ذلك جَزاءُ أَعداءِ اللَّهِ النارُ دارُ الخُلْد)، وسقط: (لَهُمْ فِيها)[3].

وجحودهم بآيات الله مطردٌ في علاماته المنصوبة لخلْقه، وفي آيات كتابه المنزَّلة على نبيِّه.

ثمَّ ذكر عزَّ وجلَّ مقالة كفارٍ يوم القيامة، إذا دخلوا النّار، فإِنَّهم يرون عظيم ما حلَّ بهم وسُوءَ منقلبهم، فتجول أَفكارهم فيمن كان سبب غوايتهم وبادئ ضلالتهم، فيعظم غيظهم وحنقهم عليه، ويودون أَن يحصل في أَشدِّ عذاب، فحينئذ يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾.

وظاهر اللّفظ يقتضي أَن (الّذي) في قولهم: ﴿ٱلَّذَيۡنِ﴾ إِنَّما هو للجنس، أَي: أَرنا كلَّ مغو ومضل[4] من الجنِّ والإِنس، وهذا قول جماعة من المفسرين.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «التحديد»، وفي الحمزوية ونجيبويه: «التجريد»، وفي نور العثمانية: «التحرير».

(٢) صدره: أفاءت بنو مروان ظلماً دماءنا. وهو لأَبي الخطَّار كما تقدم في تفسير الآية (٢٦) من (سورة آل عمران).

(٣) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٦٤).

(٤) سقط من المطبوع، وسقط «مغو» من الأصل.

وقال عليٌّ بن أَبي طالب[١]، وقتادة: طلبوا ولد آدم الّذي سنَّ القتل والمعصية من البشر، وإِبليس الأَبالسة من الجنِّ[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وتأَمل، هل يصحُّ هذا عن عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه؟ لأَنَّ ولد آدم مؤمن عاصٍ، وهؤلاءِ إِنَّما طلبوا المُضلِّين بالكفر المؤدي إِلى الخلود، وإِنَّما القويُّ أَنَّهم طلبوا النوعين، وقد أَصلح بعضهم هذا القول بأَن قال: يطلب ولَدَ آدم كلُّ عاصٍ دخل النّار من أَهل الكبائر، ويطلب إِبليسَ كلُّ كافر، ولفظ الآية يزحم هذا التأْويل؛ لأَنَّه يقتضي أَنَّ الكفار إِنَّما طلبوا اللَّذَيْن أَضلَّا.

وقرأَ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿أَرِنَا﴾ بكسر الراءِ، وهي رؤْية عين، ولذلك هو فعل يتعدى إِلى مفعولين.

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿أَرْنَا﴾ بسكون الراءِ، فقال هشام ابن عمَّار عن ابن عامر: هو خطأٌ، وقال أَبو عليٍّ: هي مخفَّفة من (أَرِنَا) كما قالوا: ضحْك وفخْذ، وقرأَ أَبو عمرو بإِشمام الرّاءِ الكسر، ورويت عن أَهل مكّةَ[٣].

---

(١) أخرجه الثوري في تفسيره (ص٢٦٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٣٣٢)، والطبري (٢١/ ٤٦٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٤٩) من طريق حبة العرني، عن علي بن أبي طالب به، وحبة ابن جوين العرني صدوق له أغلاط، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٨٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٣٣٣)، والطبري (٢١/ ٤٦٢-٤٦٣)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣١٣-٤٤١) من طريق سلمة بن كهيل، عن مالك بن حصين بن عقبة الفزاري، عن علي به، ومالك بن حصين ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٢٠٨)، ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٣٨٩).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥١٨).

(٣) وهما سبعيتان، الإسكان لابن كثير وابن عامر وشعبة والسوسي، واختلس الدوري، انظر التيسير (ص: ١٩٣)، وانظر قول هشام في السبعة (ص: ٥٧٦)، وقول أبي علي في الحجة للقراء السبعة له (٦/ ١٢٣). و«عن ابن عامر» ليست في الأصل، وفي المطبوع: «عن عامر»، وفي الحمزوية: «عن ابن عمار»، وفي المطبوع: «أبو عمرو» بدل «ابن عامر» الأول.

وقوله: ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ يريدون: في أَسفل طبقة من النار، وهي أَشدُّ عذاباً، وهي دَرْك المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ الآيةُ؛ آيةُ وَعْدٍ للمؤمنين، قال سفيان بن عبد الله الثقفيُّ[١]: قلتُ للنبيِّ ﷺ: أَخبرني بأَمر أعتصم به، فقال: «قل ربِّي الله ثمَّ استقم»، قلت: ما أَخوف ما تخاف عليَّ؟ فأَخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه وقال: «هذا»[٢].

واختلف النّاس في مقتضى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ فذهب الحسن، وقتادة، وجماعة إِلى أَنَّ معناه: استقاموا بالطاعات واجتناب المعاصي[٣]، وتلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية وهو على المنبر، ثمَّ قال: استقاموا والله لله تعالى بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ذهب رضي الله عنه إِلى حمل النّاس على الأَتمِّ الأَفضل،

---

(١) هو سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة الثقفيّ الطائفيّ، أسلم مع الوفد، ووقع في رواية مرسلة لابن أبي شيبة: أنّ النبي ﷺ استعمله على الطائف، روى عنه أولاده: عاصم، وعبد الله، وعلقمة، وعمرو، وأبو الحكم، وغيرهم. الإصابة (٣/ ١٠٤).

(٢) أصله في مسلم بنحوه إلى قوله: استقم، وما بعده صحيح، بهذا اللفظ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٣٢٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤١٣-١٣/ ٤١٣)، والدارمي (٢٧١١)، والترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٧٧٦-١١٧٧٧) من طريق ابن شهاب الزهري، عن عبد الرحمن بن ماعز، عن عبد الله بن سفيان الثقفي به، قال الترمذي: حسن صحيح.اهـ، والحديث أخرجه مسلم (٣٨) من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك وفي رواية غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٥) وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٤) والهداية لمكي (١٠/ ٦٥١٩).

(٤) منقطع، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٢٥)، وأحمد في الزهد (ص: ١٤٤)، والطبري (٢١/ ٤٦٥) من طريق يونس بن يزيد، عن الزهري قال: إن عمر بن الخطاب تلا هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ قال: استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب. والزهري لم يدرك عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

وإِلَّا فَيَلْزَم على هذا التأْويل من دليل الخطاب، أَلَّا تتنزّل الملائكة عند الموت على غير مستقيم على الطاعة.

[٥/ ٥١] وذهب / أَبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وجماعة معه إِلى أَن المعنى: ثمّ استقاموا على قولهم: ﴿ربُّنا الله﴾، فلم يَخْتَلَّ توحيدهم ولا اضطرب إِيمانهم[١].

وروى أَنس بن مالك: أَنَّ رسول الله ﷺ قرأَ هذه الآية وقال: «قد قالها النّاس، ثمَّ كفر أَكثرهم، فمن مات عليها، فهو ممن استقام»[٢].

المعنى: فهو في أَوَّل درجات الاستقامة، أَمن الخلود، فهذا كقوله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إِله إِلَّا الله دخل الجنَّة»[٣]، وهذا هو المعتقد إِن شاءَ الله.

---

(١) صحيح، أخرجه الثوري في تفسيره (ص٢٦٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٨٧) وغيرهم من طريق الثوري، عن أبي إسحاق السبيعي، عن عامر بن سعد البجلي، عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر قال: قد قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً، وأخرجه الطبري (٢١/ ٤٦٤)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠) من طريق عبد الله بن إدريس، عن سليمان ابن أبي سليمان وهو فيروز ـ أبو إسحاق ـ الشيباني، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، عن الأسود بن هلال المحاربي، عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ قال: قالوا: ربنا الله ثم عملوا بها، قال: لقد حملتموها على غير المحمل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ الذين لم يعدلوها بشرك ولا غيره، وفي لفظ قال: قال أبو بكر: ما تقولون في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ قال: ربنا الله ثم استقاموا من ذنب، قال: فقال أبو بكر: لقد حملتم على غير المحمل، قالوا: ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره.

(٢) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٢٥٠)، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٠)، والبزار في مسنده (٦٨٨٥)، وأبو يعلى في مسنده (٣٤٩٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠)، والطبري (٢١/ ٤٦٣-٤٦٤)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١٢٨٨) من طريق سلم بن قتيبة أبو قتيبة، عن سهيل بن أبي حزم القطعي، عن ثابت، عن أنس به، وسهيل بن أبي حزم القطعي ضعيف، قال أحمد بن حنبل: روى عن ثابت أحاديث منكرة، وانظر تهذيب الكمال (١٢/ ـ ٢١٧-٢١٨).

(٣) له طرق تقويه، جاءت عدة أحاديث في هذا الباب منها ما أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٣-٢٤٧)، وأبو داود (٣١١٦)، والبزار في مسنده (٢٦٢٦)، والطبراني في الكبير (٢٢١)، والحاكم في =

وذلك أَن العصاة من أُمَّة محمد ﷺ وغيرها فرقتان: فأَمَّا من قضى الله بالمغفرة له وترك تعذيبه، فلا محالة أَنَّه ممن تتنزَّل عليه الملائكة بالبشارة، وهو إِنَّما استقام على توحيده فقط، وأَما من قضى الله بتعذيبه مدَّةً[1]، ثمَّ بإِدخاله الجنّة، فلا محالة أَنَّه يلقى جميع ذلك عند موته ويعلمه، وليس يصحُّ أَن تكون حاله كحالة الكافر اليائس من رحمة الله، وإذ قد كان هذا، فقد حصلت له بشارة بأَلَّا يخاف الخلود ولا يحزن منه، وبأَنَّه يصير آخراً إِلى الخلود في الجنَّة، وهل العصاة المؤمنون، إِلَّا تحت الوعد بالجنَّة؟ فهم داخلون فيمن يقال لهم: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، ومع هذا كلّه،

= المستدرك (١/ ٣٥٠-٤٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٢٣٤) من طريق عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وصالح روى عنه غير واحد وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر البدر المنير (٥/ ١٨٨-١٨٩)، والتلخيص الحبير (٢/ ٢٤٣)، وقد بوب البخاري بلفظ هذا الحديث فقال في أول (كتاب الجنائز): باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وقيل إنه أشار إلى هذا الحديث، وقد وقعت قصة بهذا الحديث مع أبي زرعة الرازي وهو يحتضر، وذلك في حضور أبي حاتم ومحمد بن مسلم بن وارة وجماعة، أرادوا تلقينه الشهادة فهابوه وذكروا الإسناد عنده ولم يكملوا الحديث، فأتمه أبو زرعة وكان آخر كلامه رحمه الله، وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧١٩ ـ موارد) من طريق محمد بن إسماعيل الفارسي حدثنا الثوري عن منصور عن هلال بن يساف عن الأغر عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» فزاد فيه: «من كان آخر كلامه لا إله الا الله دخل الجنة يوماً من الدهر أصابه قبل ذلك ما أصابه» وهذه الزيادة أخرجها البزار من وجه آخر وليس عنده التقيد بالآخرية. قاله الحافظ في اللسان (٥/ ٧٧)، ورجاله كلهم ثقات معروفون غير محمد ابن إسماعيل هذا، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: يغرب، وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦١٢٥)، وأحمد (٥/ ٣٩١) من طريق حماد بن سلمة، عن عثمان البتي، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مُسْنِداً النَّبِيَّ ﷺ إِلَى صَدْرِي، قَالَ: فَقَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْماً ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قال البوصيري: إسناده صحيح.

(١) سقط من الحمزوية، وفي الأصل: «مرة».

فلا يُختلف في أَنَّ الموحِّد المستقيم على الطاعة، أَتَمُّ حالاً وأَكمل بشارة، وهو مقصد أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعلى نحو ذلك قال سفيان الثوريُّ: ﴿ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: عملوا بنحو ما قالوا.

وقال الربيع: أَعرضوا عما سوى الله تعالى.

وقال الفضيل: زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية[١].

وبالجملة: فكلَّما كان المرءُ أَشدَّ استعداداً، كان أَسرع فوزاً بفضل الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ أَمنة عامَّة في كلّ همٍّ مستأْنف، وتسلية تامَّة عن كلِّ فائت ماض.

وقد قال مجاهد: المعنى: لا تخافوا ما تُقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم[٢].

وفي قراءَة ابن مسعود: (الملائكة لا تخافوا) بإِسقاط الأَلف[٣]، بمعنى: يقولون لا تخافوا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

المتكلم بـ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ هم الملائكة القائلون: (لا تخافوا ولا تحزنوا)،

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٤). في المطبوع: «الفضل».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٤).

(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٦٧).

أَي: يقولون للمؤمنين عند الموت وعند مشاهدة الحقِّ: نحن كنَّا أَولياءكم في الدنيا ونحن هم أولياؤكم في الآخرة.

قال السديُّ: المعنى: نحن حَفَظَتُكم في الدنيا وأَولياؤُكم في الآخرة[١].

والضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾ عائد على الآخرة.

و﴿تَدَّعُونَ﴾ معناه: تطلبون.

و﴿نُزُلًا﴾ نصب على المصدر، وقراءَة الجمهور بضمِّ الزّاي، وقرأَ أَبو حيوة بإِسكانها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ الآية؛ ابتداءُ توصية محمد ﷺ، وهو لفظ يعمُّ كلَّ من دعا قديماً وحديثاً إِلى الله تعالى وإِلى طاعته من الأَنبياءِ والمؤمنين.

والمعنى: لا أَحد أَحسن ممّن هذه حاله، وإِلى العموم ذهب الحسن، ومقاتل، وجماعة.

وبَيِّنٌ أَنَّ حالة محمد ﷺ كانت كذلك مبرزة.

وإِلى تخصيصه في الآية ذهب السديُّ، وابن زيد، وابن سيرين.

وقال قيس بن أَبي حازم[٣]، وعائشة أُم المؤمنين[٤]، وعكرمة: نزلت هذه الآية

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٨٠).

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٢١)، وفي نجيبويه: «أبو حاتم»، وفي حاشية المطبوع في بعض النسخ: «أبو جعفر».

(٣) هو قيس بن أبي حازم عبد عوف بن الحارث الأحمسي البجلي من كبار علماء الكوفة، توفي النبي ﷺ وقيس في الطريق قد قدم ليبايعه، ولأبيه صحبة، روى عن الخلفاء وغيرهم، وعنه: الحكم بن عتيبة، وجماعة، وكان كوفياً عثمانياً، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٥٧).

(٤) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٦٢)، وأبو نعيم الفضل بن دكين في «الصلاة» (١٩١) من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن محمد بن نافع الطائفي، عن عائشة به بنحوه، وعبيد الله بن الوليد ضعيف، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٣٦١) من طريق عبيد الله بن الوليد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الجندعي، عن عائشة به.

في المؤذِّنين، قال قيس: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: هو الصلاة بين الأَذان والإِقامة[١]، وذكر النقّاش ذلك عن ابن عبّاس[٢].

ومعنى القول بأَنَّها في المؤذِّنين أَنَّهم داخلون فيها، وأَما نزولها فمكِّيَّة بلا خلاف، ولم يكن بمكَّة أَذان، وإِنَّما ترتَّب بالمدينة، وإِنَّ الأَذان لَمِن الدعاءِ إِلى الله تعالى، ولكنَّه جزءٌ منه، والدعاءُ إِلى الله بقوَّة، كجهاد الكفار وردع الطغاة وكفِّ الظَّلَمة وغيره أَعظم غناء[٣] من تولِّي الأَذان؛ إِذ لا مشقَّة فيه، والأَصوب أَن يعتقد أَنَّ الآية نزلت عامَّة.

قال زيد بن عليٍّ: المعنى: مِمَّن دعا إِلى الله بالسيف[٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنَّنِي﴾ بنونين، وقرأَ ابن أَبي عبلة: (إِنِّي من المسلمينَ) بنون واحدة[٥].

وقال الفضيل بن رُفَيْدَة[٦]: كنت مؤذناً في أَصحاب ابن مسعود، فقال لي عاصم ابن هُبيرة[٧]: إِذا أَكملت الأَذان فقل: إِنَّني من المسلمين، ثمَّ تلا هذه الآية[٨].

ثمَّ وعظ الله تعالى نبيَّه عليه السلام، ونبهه على أَحسن مخاطبة، فقرَّر أَنَّ الحسنة

---

(١) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٢٢).

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) في المطبوع والحمزوية: «عناءً».

(٤) البحر المحيط (٩/ ٣٠٥).

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٢) لابن شنبوذ عن قتيبة.

(٦) هو الفضيل بن أبي رفيدة يروي عن عاصم بن هبيرة روى عنه جرير بن عبد الحميد الضبي، الثقات لابن حبان (٩/ ٩)، وانظر التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ١٢٢). وفي الحمزوية: «الفضل».

(٧) هو عاصم بن هبيرة، روى عنه فضيل بن أبي رفيدة، ومغيرة بن مقسم التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٤٨٦)، وفي تاريخ دمشق (٢٥/ ٢٩٤): عاصم بن هبيرة المعافري كان خليفة خالد بن عثمان ابن مالك بن بحدل على شرط الوليد بن يزيد وشهد يوم قتله.

(٨) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٧)، وفيه: الفضيل بن رفيدة.

والسيئة لا تستوي، أَي: فالحسنة أَفضل، وكرَّر ﴿لَا﴾ في قوله: ﴿وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ تأْكيداً ليدلَّ على أَن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيِّئة ولا السيِّئة والحسنة، فحذف اختصاراً ودلت ﴿لَا﴾ على هذا الحذف.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ آيةٌ جمعت مكارم الأَخلاق وأَنواع الحلم، والمعنى: ادفع أُمورك وما يعرض لك مع النّاس ومخالطتك لهم بالفعلة أَو بالسّيرة(١) الّتي هي أَحسن السير والفعلات، فمن ذلك بذلُ السّلام، وحُسْن الأَدب، وكَظْم الغيظ، والسَّماحة في القضاءِ والاقتضاءِ، وغير ذلك.

قال ابن عبّاس: إِذا فعل المؤمن هذه الفضائل، عصمه الله من الشّيطان، وخضع له عدوُّه(٢).

وفسَّر مجاهد وعطاءٌ هذه الآية بالسَّلام عند اللِّقاءِ(٣).

ولا شك أَنَّ السَّلام هو مبدأُ الدفع بالّتي هي أَحسن، وهو جزءٌ منه.

ثمَّ قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾، فدخل كاف التشبيه؛ / لأَنَّ الّذي عنده عداوة [٥/ ٥٢] لا يعود وليّاً حميماً، وإِنَّما يَحْسُن ظاهره، فيشبه بذلك الوليَّ الحميم، والحَمِيمُ: هو القريب الّذي يَحْتَمُّ للإِنسان.

والضمير في قوله: ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾ عائد على هذه الخُلُق، الّتي يتضمَّنها قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وقالت فرقة: المراد: وما يُلَقَّى لا إِلهَ إِلَّا الله، وهذا تفسير لا يقتضيه اللَّفظ.

---

(١) «أو بالسيرة» تكررت في الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٧١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤٥)، وابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ٣٠٣) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٧١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٦٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٨٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٢٥).

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ مدح بليغ للصبر، وذلك بَيِّنٌ للمتأَمل؛ لأَنَّ الصبر على الطاعات وعن الشهوات، جامعٌ لخصال الخير كُلِّها.

و«الحَظُّ العظيمُ»: يحتمل أَن يريد: من العقل والفضل، فتكون الآية مدحاً، وروي: أَنَّ رجلاً شتم أَبا بكر الصدِّيق بحضرة النبيِّ ﷺ، فسكت أَبو بكر ساعة، ثمَّ جاش به الغضب، فردَّ على الرجل، فقام النبيُّ ﷺ، فاتَّبعه أَبو بكر وقال: يا رسول الله، قمتَ حين انتصرتُ؟ فقال: «إِنَّه كان يردُّ عنك مَلَك، فلمَّا قَرُبْتَ تنتصر ذهب المَلَك وجاءَ الشيطان، فما كنتُ لأُجالسه»[1].

ويحتمل أَن يريد: ذو حظ عظيم من الجنَّة وثواب الآخرة، فتكون الآية وعداً، وبالجنَّة فسَّر قتادة (الحَظَّ) هنا[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾.

﴿إِمَّا﴾ شرطٌ، وجواب الشّرط قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ﴾.

و«النَّزْغُ»: فعل الشّيطان في قلب أَو يد، من إِلقاءِ غضب أَو حِقْد أَو بطش في اليد، فمن الغضب هذه الآية.

---

(١) الصواب فيه المرسل، أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٦)، وأبو داود (٤٨٩٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٣٦)، وفي الآداب (ص: ١٥٩) من طريق محمد بن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وخولف ابنُ عجلان، فأخرجه أبو داود (٤٨٩٨) وغيره من طريق الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن بشير بن المحرر، عن سعيد بن المسيب، مرسلاً.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٧٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٢٦). وفي الحمزوية: «مجاهد» بدل «قتادة».

ومن الحقد قوله: ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومن البطش قول النبيِّ ﷺ: «لا يُشر أَحدكم على أَخيه بالسِّلاح، لا ينزغ الشّيطان في يده، فيلقيه في حفرة من حُفر النّارِ»[١].

وندب الله تعالى في هذه الآية المتقدمة إِلى مكارم الأَخلاق بالدفع بالّتي هي أَحسن، ثمَّ أَثنى على من لُقِّيها، وَوَعَدَهُ، وعَلمَ أَنَّ خِلْقَة البشر تغلب أَحياناً وتثور بهم سَوْرة[٢] الغضب ونزغ الشيطان، فدَلَّهم على مُذْهِب ذلك وهي الاستعاذة به عزَّ وجلَّ.

ثمَّ عدد الله آياته ليعتبر فيها من صَدَف عن التّوحيد، بذكر اللّيل والنّهار، وذِكْرهما يتضمّن ما فيهما من القصر والطول والتّداخل والاستواءِ في مواضع وسائر عبرهما، وكذلك ذكْر الشمس والقمر مُتَضَمِّن عجائبهما وحكمة الله فيهما ونَفْعه عباده بهما.

ثمَّ قال تعالى: لا تسجدوا لهذه المخلوقات وإِن كانت تنفعكم؛ لأَنَّ النفع منهما إِنَّما هو بتسخير الله إياهما، فهو الّذي ينبغي أَن يُسجد له.

والضمير في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ قالت فرقة: هو عائد على الآيات[٣] المتقدم ذكرها.

وقالت فرقة: الضمير عائد على الشّمس والقمر، والاثنان جمع، وجمع ما لا يعقل يؤنث، فلذلك قال: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: ومن حيث يقال: شموسٌ وأَقمارٌ لاختلافهما بالأَيَّام ساغَ أَن يعود الضمير مجموعاً.

وقالت فرقة: هو عائد على الأَربعة المذكورة، وشأْن ضمير ما لا يعقل، إِذا كان العدد أَقل من العشرة أَن يجيءَ هكذا، فإِذا زاد أُفرد مؤنثاً، فتقول: الأَجذاع انكسرْنَ، والجذوع

(١) أخرجه بلفظ «ينزغ» بالغين المعجمة: البخاري (٧٠٧٢) في رواية أبي ذر كما في الفتح (١٣/ ٢٥)، وإرشاد الساري (١٠/ ١٧٧).

(٢) في المطبوع: «ثورةُ».

(٣) في الأصل: «الأيام».

انكسرت، ومنه: ﴿ إِنَّ عِـدَّةَ ٱلشُّهُورِ ﴾ [التوبة: ٣٦] الآية، ومنه قول حسَّان بن ثابت:

[الطويل] .... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دما[١]

وقال السموأل:

[الطويل] ولَا عَيْـبَ فينَـا غَيْـرَ أَنَّ سُـيُوفَنَا بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ[٢]

وهذا كثير مَهْيع[٣] وإِن كان قد يوجد الأَمر متداخلًا بعضه على بعض.

ثمّ خاطب الله تعالى نبيَّه ﷺ بما يتضمَّن وعيدهم وحقارة أَمرهم، وأَن الله تعالى غير محتاج إِلى عبادتهم بقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾ الآية.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ﴾ يعني بهم الملائكة وهم صافُّون يسبِّحون، و﴿عِنـدَ﴾ في هذه الآية ليست بظرف مكان، وإِنَّما هي بمعنى المنزلة والقُرْبة، كما تقول: زيد عند الملك جليل، وفي نفسه رفيع، ويُروى: أَن تسبيح الملائكة قد صار لهم كالنَّفَس لابن آدم[٤].

---

(١) صدره: لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى، وهو بيت مشهور لحسان، تقدم في تفسير الآية (٣٣) من (سورة سبأ).

(٢) هكذا ورد في حماسة الخالديين (ص: ١٤٥)، وصرح أنه أخذ الشطر الأول من بيت النابغة الذي عجزه: بهن فلول من قراع الكتائب، إلا أن الرواية المشهورة هي: وأسيافنا في كل شرق ومغرب، وهو من لاميته المشهورة، انظر البيان والتبيين (٣/ ١٢٨)، وعيار الشعر (ص: ١٠٩)، والعقد الفريد (١/ ٢٠٩)، وأمالي القالي (١/ ٢٧٠)، وشرح ديوان الحماسة (ص: ٩١). قال في حاشية المطبوع: وقد اضطرب النساخ في كتابة هذا البيت في الأصول: وذكر أن صدر بيت السموأل: وأَسْيَافُنَا في كُلِّ يَوْمِ كَرِيهة. ولم أقف عليه.

(٣) في المطبوع: «مَهْيَع كثير».

(٤) أخرج الطبري (١٦/ ٢٤٤) من طريق حميد الطويل، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه: أن ابن عباس سأل كعباً عن تسبيح الملائكة فقال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطَّرْف والنَّفَس، وإسناده حسن، وأخرجه الطبري أيضاً (١٦/ ٢٤٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٢٢) من طريق أبي معاوية، عن أبي إسحاق الشيباني فيروز، عن حسان بن مخارق، عن عبد الله بن الحارث بنحوه.

و﴿يَسۡـَٔمُونَ﴾ معناه: يملُّون.

ثمَّ ذكر تعالى آية منصوبة لِيُعْتَبر بها في أَمر البعث من القبور، ويستدلّ بما شوهد من هذه الآية على ما لم يشاهد بعد من تلك، وهي آية يراها عياناً كلُّ مَفْطُور على عقل.

وخشوع الأَرض: هو ما يظهر عليها من استكانة وشعث بالجدب وصيلم[١] السَّموم، فهي عابسة كما الخاشع[٢] عابس يكاد يبكي.

و«الماءُ المُنْزل»: هو المطر.

و«اهتزاز الأَرض»: هو تخلخل أَجزائها بالماءِ وتشقّقها للنبات.

و«رُبُوُّهَا»: هو انتفاخها بالماءِ وعلوُّ سطحها به.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَرَبَتۡ﴾.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿وَرَبَأَت﴾ بأَلف مهموزة، ورواها الرواسيُّ عن أَبي عمرو[٣].

وهو أَيضاً بمعنى: عَلَتْ وارتفعت، ومنه الربيئة وهو الّذي يرتفع حتى يرصد للقوم، ثمّ ذكَّر تعالى بالأَمر الّذي ينبغي أن يقاس على هذه الآية والعبرة، وذلك إِحياءُ الموتى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ عموم، [و(الشيءُ) في اللُّغة: الموجود][٤]، [ويخرج على ظاهر العموم المحالات وغير ذلك مما يمتنع بالأدلة العقلية أن يقال فيه: إنه مقدور][٥].

---

(١) في الأصل: «وصليم»، والصَّيْلَم: الأمر المستأصِل، والسَّمومُ: الريح الحارَّة والحَرُّ الشديد الّذي ينفذ في المسامِّ.

(٢) في الأصل: «الخشوع».

(٣) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٢٥)، وانظر الرواية عن أبي عمرو في المحتسب (٢/ ٧٣).

(٤) سقط من الحمزوية.

(٥) سقط من الأصل والمطبوع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ / بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ۝٤٣﴾. [٥/ ٥٣]

هذه آية وعيد.

و«الإِلحادُ»: الميل، وهو هاهنا عن الحقِّ، ومن الإِلحاد: لحد الميت؛ لأَنَّه في جانب، يقال: لَحَد الرجلُ وأَلْحَدَ بمعنى.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضمّ الياءِ من أَلْحَدَ.

وقرأَ ابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بفتح الياءِ والحاءِ من لَحَدَ[1].

واختلف المفسرون في الإِلحاد الّذي أُشير إِليه، ما هو؟

فقال قتادة وغيره: الإِلحادُ بالتكذيب.

وقال مجاهد وغيره: الإِلْحاد بالمُكَاءِ والصّفير واللَّغو الَّذي ذهبوا إِليه[2].

وقال ابن عبّاس: إِلحادهم هو أَن يوضع الكلام غير موضعه[3].

ولفظة الإِلحاد تعمُّ هذا كلَّه.

وقوله: ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾ أَي: فنحن بالمرصاد لهم وسنعذِّبهم، ثمَّ قرر على هذين القسمين أَيَّهما خير؟ وهذا التقرير هم المراد به، أَي: فقل لهم يا محمد: ﴿أَفَمَن﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، الثانية لحمزة، كما تقدم في (سورة الأعراف)، انظر التيسير (ص: ١١٤).

(٢) انظر القولين في الطبري (٢١/ ٤٧٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٧٣)، والماوردي (٥/ ١٨٤)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٣١).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٧٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال مقاتل: نزلت هذه الآية في أَبي جهل، وعثمان بن عفان، وقيل: في عمار بن ياسر[١].

وحَسُن التفضيلُ هنا بين الإلقاءِ في النّار والأَمن يوم القيامة ـ وإِنْ كانا لا يشتركان في صفة الخير ـ من حيث كان الكلام تقريراً لا مجرد خبر؛ لأَنّ المُقرِّر قد يُقَرِّرُ خصمه على قسمين أَحدهما بَيِّن الفساد، حتّى يرى جوابه، فعساه يقع في الفاسد المعنى، فَيَبينُ جهله.

وقد تقدم نظيرُ هذه الآية واستيعابُ القول في هذا المعنى.

ولا يتَّجه هنا أَن يقال: خاطبَ على معتقدهم كما يتَّجه ذلك في قوله: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، فتأَمله.

وقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ وعيد في صيغة الأَمر بإِجماع من أَهل العلم، ودليل الوعيد ومُبَيِّنُه قوله: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ثمَّ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾، يريد قريشاً.

و(الذِّكْرُ): القرآن بإِجماعٍ.

واختلف النّاس في الخبر عنهم، أَين هو؟

فقالت فرقة: هو في قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾، ذكر النّقّاش أَنَّ بلال بن أَبي بُردة سأَل عن هذا في مجلسه وقال: لم أَجد لها نفاذاً، فقال أَبو عمرو بن العلاءِ: إِنَّه منك لقريب، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ﴾[٢].

ويَرُدُّ هذا النظر كثرةُ الحائل، وأَنَّ هناك قوماً قد ذُكروا، يَحْسُنُ ردُّ قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ﴾ عليهم[٣].

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٨).

(٢) البحر المحيط (٩/ ٣٠٩).

(٣) وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾، نقل هذا الاعتراض عن الحوفي، في البحر المحيط (٩/ ٣٠٩).

وقالت فرقة: الخبر مضمر تقديره: الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ هلكوا أَو ضلُّوا، وقال بعض نحويي الكوفة: الجواب في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾، حكى ذلك الطبريُّ[1].

وهو ضعيف لا يتَّجه.

وسأَل عيسى بن عمر عمرَو بن عبيد عن هذا، فقال عمرو: معناه في التَّفسير: إِنَّ الّذين كفروا بالذِّكر لمَّا جاءَهم، كفروا به وإِنَّه لكتابٌ عزيزٌ، فقال عيسى بن عمر: أَجَدْتَ يا أَبا عثمان[2].

قال القاضي أَبو محمد: والّذي يَحْسُن في هذا هو إِضمار الخبر، ولكنَّه عند قوم في غير هذا الموضع الّذي قدَّره هؤلاءِ فيه، وإِنَّما هو بعد ﴿حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وهو أَشدُّ إِظهاراً لِمَذَمَّة الكفار به؛ وذلك لأَنَّ قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ﴾ داخلٌ في صفة الذِّكر المكذَّب به، فلم يتم ذِكْر المخبر عنه، إِلَّا بعد استيفاءِ وصفه، وهذا كما تقول: أَتخالف زيداً وهو العالم الودود، الّذي من شأْنه ومن أَمره، فهذه كلّها أَوصاف.

ووصف تعالى الكتاب بالعزَّة، لأَنَّه بِصِحَّة معانيه ممتنعٌ الطعنُ فيه والإِزراءُ عليه، وهو محفوظ من الله تعالى.

قال ابن عبّاس: معناه: كريم على الله تعالى[3].

قال مقاتل: منيع من الشّيطان، قال السُّديُّ: غير مخلوق[4].

وقوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾، قال قتادة، والسّديُّ: يريد الشَّيطان[5].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٨٦).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٨٥ و٤٨٦)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٠٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٩).

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وانظر تفسير القرطبي (١٥/ ٣٦٧).

(٤) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٨).

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٨).

وظاهر اللَّفظ يعمُّ الشَّيطانَ وأَن يجيءَ أَمْرٌ يُبطل منه شيئاً، وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ معناه: ليس فيما تقدّمه من الكتب ما يُبطل شيئاً منه، وقوله: ﴿وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ أَي: ليس يأْتي بعده من نظر ناظرٍ وفكرة عاقل ما يُبطل شيئاً منه، والمراد باللفظ على الجملة: لا يأْتيه الباطل من جهة من الجهات.

وقوله: ﴿تَنزِيلٞ﴾ خبر ابتداءٍ، أَي: هو تنزيل.

وقوله: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: أَن يكون تسلية للنبيِّ ﷺ عن مقالات قومه، أَي: ما تلقى يا محمد من المكروه منهم ولا يقولون لك من الأَقوال المؤلمة، إِلَّا ما قد قيل ولقي به من تقدّمك من الرسل، فَلْتَتَأَسَّ بهم، وَلْتَمْضِ لأَمر الله ولا يهمُّك شأْنهم.

والمعنى الثّاني: أَن تكون الآية تلخيصاً[١] لمعاني الشَّرع، أَي: ما يقال لك من الوحي وتُخاطب به من جهة الله تعالى، إِلَّا ما قد قيل للرُّسل من قبلك.

ثمَّ فسَّر ذلك الّذي قيل لجميعهم وهو: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ﴾ للطّائعين، ﴿وَذُو عِقَابٍ﴾ للكافرين، وفي هذه الكلمات جماع الزَّجر والنَّهي والموعظة، وإِليها يرجع كلُّ نظر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

«الأَعجميُّ»: هو الّذي لا يُفصح عربيّاً كان أَو غير عربيٍّ، والعجميُّ: الّذي ليس من العرب فصيحاً كان أَو غير فصيح.

---

(١) في الأصل: «تخليصاً».

وهذه الآية نزلت بسبب تخليط كان من قريش في أَقوالهم، من أَجل الحروف الّتي وقعت في القرآن وهي ممَّا عُرِّب من كلام العجم كالسِّجِّين والإِستبرق ونحوه، فقال عزَّ وجلَّ: ولو جعلنا هذا القرآن أَعجميّاً لا يبين لقالوا واعترضوا: لولا بُيِّنَت / آياته. [٥/ ٥٤]

واختلف القراءُ في قوله: ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾، فقراءَة الجمهور على الاستفهام وهمزة ممدودة قبل الأَلف.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والأَعمش: ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين[١]، وكأَنَّهم كانوا ينكرون ذلك فيقولون: لولا بُيِّن، أَأَعجميٌّ وعربيٌّ مختلط؟ هذا لا يَحْسُن.

وتأَوَّل ابن جبير أَنَّ معنى قولهم: أَتجِيئُنا عُجْمَةٌ ونحن ومحمد[٢] عرب؟ ما لنا وللعُجْمَة[٣].

وقرأَ الحسن البصريُّ، وأَبو الأَسود، والجحدريُّ، وسلام، والضحّاك، وابن عبّاس، وابن عامر بخلاف عنهما: ﴿أَعْجَميٌّ وعربي﴾ دون استفهام وبسكون العين[٤]، كأَنَّهم قالوا: أَعُجْمَةٌ وإِعرابٌ؟ إِنَّ هذا لشاذٌّ، أَو كأَنَّهم قالوا: لولا فُصل فصلين، فكان بعضه أَعجميّاً يفهمه العجم وبعضه عربيّاً يفهمه العرب؟ وهذا تأْويل لابن جبير أَيضاً.

وقرأَ عمرو بن ميمون: (أَعَجَميٌّ) بهمزة واحدة دون مد مقصورة وبفتح العين[٥].

---

(١) وفي هذه اللفظة قراءات سبعية هي: الخبر لهشام، وتحقيق الهمزتين لحمزة والكسائي وشعبة، وتسهيل الثانية للباقين، ولورش وجه بإبدالها مدّاً، وقالون وأبو عمرو على أصلهما في الإدخال، انظر التيسير (ص: ١٩٣)، والسبعة (ص: ٥٧٧).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٨٢)، مع تأويله الآتي أيضاً.

(٤) هذه القراءة سبعية لهشام، كما تقدم.

(٥) وهي شاذة، عزاها لابن ميمون الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٢). و«مقصورة» من المطبوع.

فأَخبر الله تعالى عنهم أَنَّه لو كان على أَيِّ وجه تُخُيِّل، لكان لهم قولٌ واعتراضٌ فاسد، هذا مقصد الكلام.

وأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يقول لهم: إِن القرآن هُدًى وشفاءٌ للمؤمنين المبصرين للحقائق، وإِنَّه على الّذين لا يؤمنون ولا يُصرِّفون نظرهم وحواسهم[1] في المصنوعات عَمًى؛ لأَنَّهم في آذانهم وقر، وعلى قلوبهم أَقفال، وعلى أَعينهم غشاوة.

واختلف النّاس في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ﴾:

فقالت فرقة: يريد بـ(هُوَ) القرآن.

وقالت فرقة: ﴿وَهُوَ﴾ يريد به الوَقْر، والوَقْر: الثِّقل في الأُذن المانعُ من السَّمع.

وهذه كلُّها استعارات، أَي: هم لمَّا لم يفهموا ولا حصَّلوا؛ كالأَعمى وصاحب الوَقر.

وقرأَ ابن عبّاس، ومعاوية، وعمرو بن العاص: (وهو عليهم عمٍ) بكسر الميم وتنوينه، وقال يعقوب: لا أَدري أَنَوَّنُوا أَم فتحوا الياءَ على الفعل الماضي، وبغير ياءٍ رواها عمرو بن دينار، وسليمان بن قَتَّة[2] عن ابن عبّاس[3].

وهذه القراءَة أَيضاً فيها استعارة، وكذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ﴾ يحتمل معنيين، وكلاهما مقول للمفسرين: أَحدهما: أَنَّها استعارة لقلة فهمهم، شبَّههم بالرجل يُنَادَى على بُعْد يُسمع منه الصوت ولا تفهم تفاصيله ولا معانيه، هذا تأْويل مجاهد[4].

والآخر: أَنَّ الكلام على الحقيقة، وأَن معناه: إِنَّهم يوم القيامة يُنادون بكفرهم

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في الحمزوية: «قنة»، وفي نجيبويه: «قتادة».

(٣) وكلتاهما شاذة، انظر ذلك كله في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٦٤).

(٤) تفسير الثعالبي (٤/ ٩٧).

وقبيح أعمالهم من بُعْد، حتّى يسمع ذلك أَهل الموقف، فتعظم السُّمعة عليهم ويجل المصاب، وهذا تأْويل الضحّاك بن مزاحم[(١)].

ثمّ ضرب تعالى أَمر موسى مثلاً للنبيِّ ﷺ ولقريش، أَي: فِعْلُ أُولئك كأَفعال هؤلاءِ، حين جاءَهم مثل ما جاءَ هؤلاءِ.

و«الكلمة السابقة»: هي حتم الله بتأْخير عذابهم إِلى يوم القيامة.

والضمير في قولهم: ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يحتمل أَن يعود على موسى، أَو على كتابه.

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآيَة؛ نصيحةٌ بَيِّنَةٌ للعالم وتحذير وترجية وصدْعٌ بأَنَّ الله تعالى لا يَضَعُ شيئاً من عقوبات عباده في غير موضعها، بل هو العادلُ المتفضّل الّذي يجازي كلَّ عَبْد بتكسُّبه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾.

المعنى: أَنَّ علم وقت السّاعة ومجيئها يردُّه كلُّ مؤمن متكلِّم فيه إِلى الله عزَّ وجلَّ.

وذكر تعالى الثِّمار وخروجها من الأَكمام وحَمْل الإِناث مثالاً لجميع الأَشياءِ؛ إِذ كُلُّ شيءٍ خفيٍّ، فهو في حكم هذيْن.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، والحسن، وطلحة، والأَعمش: ﴿مِن ثَمَرة﴾ بالإِفراد على أَنّه اسم جنس.

---

(١) تفسير الثعالبي (٤/ ٩٧). وفي المطبوع: «وقبيح أَفعالهم».

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ بالجمع، واختلف عن عاصم، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، والأَعرج، والحسن بخلاف[١].

وفي مصحف عبد الله: (في ثَمرة من أكمامها)[٢].

و«الأَكمام»: جمع كُمٍّ، وهو غلاف الثمر قبل ظهوره.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ تقديره: واذكر يوم يناديهم.

والضّمير في ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ ظاهره والأَسبق فيه: أَنّه يريد به الكفّار عَبَدَة الأَوثان.

ويحتمل أَن يريد به كلَّ من عبد من دون الله من إِنسان وغيره، وفي هذا ضعف.

وأَمَّا[٣] الضّمير في قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ فلا احتمال لعودته، إِلَّا على الكفار.

و﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾ قال ابن عبّاس وغيره: معناه: أَعْلَمْناكَ ما مِنَّا من شهيد ولا مَنْ يشهد أَنَّ لك شريكاً[٤].

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: أَي نَسُوا ما كانوا يقولون في الدنيا ويدعون من الآلهة والأَصنام.

ويحتمل أَن يريد: وضلَّ عنهم الأَصنام؛ أَي: تَلِفَت لهم، فَلَم يجدوا منها نصراً وتَلَاشى لهم أَمرها.

وقوله: ﴿وَظَنُّوا۟﴾ يحتمل أَن يكون متصلاً بما قبله ويكون الوقف عليه، ويكون قوله: ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ استئناف[٥]، نَفَى أَن يكون لهم منجى أو موضع روغان.

---

(١) وهما سبعيتان، وحفص مع نافع، انظر التيسير (ص: ١٩٤)، والنشر (٢/ ٤٠٧).

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٣) في الأصل: «وإنما».

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٨٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (ءاذناك)، يقول: أعلمناك.

(٥) كذا في جميع النسخ، ولو نصبت خبراً لـ(يكون) لكان أوضح.

تقول: حاصَ الرّجل: إِذا راغ يطلب النّجاة من شيءٍ، ومنه في الحديث: فحاصُوا حَيْصَة حُمُر الوحش إِلى الأَبواب[١].

ويكون الظّنّ ـ على هذا التأْويل ـ على بابه، أَي: ظنُّوا أَن هذه المقالة ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ منجاةٌ لهم أَو أَمرٌ يُمَوِّهُون به، ويحتمل أن يكون الوقف في قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، ويكون ﴿وَظَنُّواْ﴾ متّصلاً بقوله: ﴿لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾؛ أَي: ظنُّوا ذلك، ويكون الظّنّ ـ على هذا التأْويل ـ بمعنى اليقين، / وبه فسَّر السّديُّ[٢]. [٥/ ٥٥]

وهذه عبارة يطلقها أَهل اللِّسان على الظَّنِّ، ولست تجد ذلك، إِلَّا فيما علم علماً قويّاً وتقرَّر في النَّفس ولم يَتَلَبَّس به بُعْد، وإِلَّا فمتى تَلَبَّس بالشيءِ وحصَل تحت إِدراك الحواسِّ، فلستَ تجدهم يوقعون عليه لفظة الظّنّ.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ آياتٌ نزلت في كفار قريش[٣]، قيل: في الوليد ابن المغيرة، وقيل: في عُتبة بن ربيعة[٤]، وجُلُّ الآية يعطي أَنها نزلت في كفارٍ وإِن كان أَوَّلها يتضمَّن خُلُقاً ربما شارك فيها بعض المؤمنين.

و﴿دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ إِضافته إِضافة المصدر إِلى المفعول والفاعل محذوف تقديره: من دعاءِ الخير هو.

وفي مصحف ابن مسعود: (من دعاءٍ بالخير)[٥].

و«الخير» في هذه الآية: المالُ والصحة، وبذلك تليق الآية بالكافر، وإِن قدّرناه:

---

(١) هذا جزء من حديث هرقل الذي أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، وهذا اللفظ عند البخاري وحده.

(٢) الهداية لمكي (١٠/ ٦٥٤٥).

(٣) كلمة قريش لم نجدها إلا في الأصل فقط.

(٤) انظر القول الأول في الطبري (٢١/ ٤٨٩)، والماوردي (٥/ ١٨٧)، والثاني في السمعاني (٥/ ٥٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٤٤).

(٥) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ٤٩٠).

خير الآخرة؛ فهو للمؤمن، وأَمّا اليأْس والقَنَط على الإِطلاق، فمِنْ صفة الكافر وحده.

وقوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أَي: بعملي وبما سعيتُ، ولا يرى أَنَّ النّعم إِنَّما هي بتفضُّل من الله تعالى، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ قولٌ بَيِّنٌ فيه الجحد والكفر، ثمَّ يقول هذا الكافر: ولئن كان ثَمَّ رجوع كما تقولون ليكونَنَّ لي حالٌ تُرضيني من غنًى ومال وبنين.

فتوعّدهم الله تعالى بأَنَّه سَيُعَرِّفهم بأَعمالهم الخبيثة مع إِذاقتهم العذاب عليها، فهذا عذابٌ وخِزي، وغلَظُ العذاب: شدَّتُه وصعوبتُه.

وقال الحسن بن محمد بن علي[(١)] بن أَبي طالب رضي الله عنه: للكافر أُمنيتان: أَمّا في دنياه فهذه: ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾، وأَمّا في آخرته فـ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠][(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: والأَماني على الله وتركُ الجدِّ في الطاعة مذموم لكُلِّ أَحد، فقد قال ﷺ: «الكَيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتْبع نفسه هواها، وتَمَنَّى على الله»[(٣)].

---

(١) «بن علي» سقط من المطبوع، وهو ابن محمد ابن الحنفية، تقدم ذكره في (سورة الأنفال).

(٢) انظر قوله في الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٠)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٧٣).

(٣) في المطبوع زيادة: «الأماني»، والحديث ضعيف جداً، أخرجه الطيالسي في مسنده (١٢١٨)، وأحمد (٤/ ١٢٤)، والترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والبزار في مسنده (٣٤٨٩)، والطبراني في الكبير (٧١٤٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٦٩)، وفي شعب الإيمان (١٠٥٤٦)، وغيرهم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني، عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس مرفوعاً، أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي ضعيف، وقد تابع أبا بكر بن أبي مريم عبدُ الرحمن بن غنم الأشعري كما عند الطبراني في الكبير (٧١٤١) وفي الصغير (٨٦٣) والسند إلى عبد الرحمن بن غنم فيه عمرو بن بكر السكسكي وهو متروك، وله شاهد ببعض ألفاظه أخرجه البيهقي في الشعب (١٠٥٤٥) من طريق عون بن عمارة العبديِّ، عن هشام بن حسان، عن ثابت عن أنس بن مالكٍ قال: جاءت بي أم سُليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! خادمُك أنس، فادع له، وهو كيِّسٌ، وهو عارٍ يا رسول الله، فإن رأيت أن =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

وقرأ ابن عامر: ﴿وَنَاءَ﴾، الهمزة لام الفعل، وهي قراءة أَبي جعفر[١]، والمعنى فيهما واحد.

قال أَبو عليٍّ: ناءَ قلْب نأَى[٢]؛ رَجع فَعَلَ فَلَعَ، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وكُـلُّ خليلٍ رَاءَنـي فَهْوَ قَائلٌ ... من اجْلِكِ هذا هامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ[٣]

ومنه قول الآخر:

[الطويل] وَقَدْ شَاءَني أَهْلُ السِّباقِ وأَمْعَنُوا[٤] ... .

﴿وَنَـَٔا﴾ معناه: بَعُد ولم يَمِلْ إِلى شكر ولا طاعة.

وقوله: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾، أَي: طويل أَيضاً، فاستغنى بالصِّفة الواحدة عن لزيمتها، إِذ العَرْض يقتضي الطول ويتضمّنه، ولم يقل: (طويل)؛ لأَنَّ الطويل قد لا يكون عريضاً، فعريضٌ أَدلُّ على الكثرة.

= تكسوه فقال رسول الله ﷺ: «الكيِّس من عمل لما بعد الموت، والعاري العاري من الدين، اللَّهُمَّ لا عيش إلَّا الآخرة، اللَّهُمَّ اغفر للأنصار والمهاجرة»، قال البيهقي: عون بن عمارة ضعيفٌ.

(١) وهما سبعيتان، والثانية رواية ابن ذكوان، كما في التيسير (ص: ١٤١)، وانظر النشر (٢/ ٣٤٦).

(٢) في الأصل «نأى» بدل «ابن آدم»، ولا وجه له، وانظر الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ١١٧).

(٣) لكثيِّر عزَّة، كما تقدم في تفسير الآية (٧٣) من (سورة مريم). وفي الحمزوية ونجيبويه: «ساءني».

(٤) لم أقف عليه لغير المؤلف، وفي المخصص (٤/ ٣٣٠): يقال شآني: سبقني، وشاءني وشآني: شاقني.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبيَّه أَن يقف قريشاً على هذا الاحتجاج وموضع تغريرهم[١] بأَنفسهم، فقال: قُلْ أَرَأَيتم إِن كان هذا الشّرع من عند الله وبأَمره وخالفتموه أَنتم، أَلَسْتُم على هَلَكَة من قبل الله تعالى؟ فمن أَضلّ ممن يبقى على مثل هذا الغرر مع الله؟ وهذا هو الشّقاق.

ثمَّ وعد الله تعالى نبيَّه ﷺ بأَنَّه سَيُري الكفّار آياته.

واختلف المتأَوِّلون في معنى قوله: ﴿فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾:

فقال المنهال[٢]، والسّديُّ، وجماعة: هو وعد بما يفتحه الله تعالى على رسوله من الأَقطار حول مكَّة وفي غير ذلك من الأَرض كخيبر ونحوها، و﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أَراد به فتح مكَّة[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تأْويل حسن ينتظم الإِعلام بغيب ظهر وجوده بعد ذلك، ويجري معه لفظ الاستئناف الّذي في الفعل.

وقال الضّحّاك، وقتادة: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾: هو ما أَصاب الأُمم المكذِّبة في أَقطار الأَرض قديماً، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يوم بدر[٤].

وقال ابن زيد، وعطاءٌ: (الآفاق): هي آفاق السّماءِ، وأَراد الآيات في الشّمس والقمر والرّياح وغير ذلك، و(في أَنفسهم) عبرة الإِنسان بجسمه وحواسِّه وغريب خلقته وتدريجه في البطن ونحو ذلك[٥].

---

(١) في المطبوع: «تقريرهم».

(٢) في المطبوع: «أَبو المنهال»، وهو المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي، روى عن: أنس بن مالك، وزر بن حبيش، وسعيد بن جبير، وعنه: حجاج بن أرطأة، وآخرون، وثقه ابن معين وغيره، وقال ابن حزم: ليس بالقوي، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٨٣).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٩٣).

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٠). وسقط «قتادة» من الحمزوية.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٩٣).

قال القاضي أَبو محمد: وهذه آياتٌ قد كانت مرئية[1]، فليس هذا المعنى يجري مع قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾، والتأْويل الأَوّل أَرجحها، والله أَعلم.

والضمير في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ عائد على الشَّرع والقرآن، فبإِظهار الله إِيَّاه وفتح البلاد عليه تبين لهم أَنَّه الحقُّ.

ثمَّ قال تعالى وعْداً لنبيِّه ﷺ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ ﴾، التّقدير: أَو لم يكف ربّك؟ والباءُ زائدة للتّأْكيد.

و﴿أَنَّهُ ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع رفع على البدل من الموضع، إِذ التقدير: أَو لم يكف ربّك.

ويحتمل أَن يكون في موضع خفض على البدل من اللَّفظ، وهذا كلُّه بدل الاشتمال، ويصحّ أَن يكون في موضع نصب على إِسقاط حرف الجرِّ، أَي: لأَنَّه [على كل شيء شهيد][2].

وقرأَ الجمهور: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بفتح الأَلف.

وقرأَ بعض النّاس: (إِنَّهُ) بكسرها على الاعتراض أَثناءَ القول[3].

وقوله: ﴿ أَلَآ ﴾ استفتاحُ يقتضي إِقبال السّامع على ما يقال له، فاستفتح الإِخبار عن أَنَّهم في شكٍّ وريب وضلال أَدَّاهم إِلى الشّكِّ في البعث.

قرأَ جمهور النّاس: ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾ بكسر الميم.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن، والحسن: (في مُرْيَةٍ) بضم الميم[4]، والمعنى واحد.

---

(١) في المطبوع والحمزوية: «مرتّبة».
(٢) سقط من المطبوع.
(٣) وهي شاذة، جوزها في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩٢)، ولم أقف على نسبتها لمعين.
(٤) وهي شاذة، انظرها للحسن في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٨٧)، والكامل للذلي (ص: ٥٧٠)، وقد تقدمت.

ثمَّ استفتح الإِخبار بإِحاطته لكلِّ شيءٍ على معنى الوعيد لهم، وإِحاطتُه تعالى هي بالقدرة والسُّلطان، لا إِله إِلَّا هو العزيز الحكيم.

نجز تفسير (سورة حم السّجدة)، والحمد لله ربِّ العالمين

❊ ❊ ❊



/ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [٥/ ٥٦]

تَفسير سُورة الشّورى

هذه السُّورة مكِّيَّة بِإجماع من أَكثر المفسرين، وقال مقاتل: فيها مدنيّ(١): ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ إلى ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٣ - ٢٤](٢)، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾، إلى قوله: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٣٩ - ٤١].

وقال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: إنَّ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ هذه الحروف بأَعيانها نزلت في كلِّ كتب الله تعالى المُنْزَلة على كلِّ نبيٍّ أُنْزِلَ عليه كتاب، ولذلك قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾.

---

(١) انظر قول مقاتل في النسخة المخطوطة المنبه عليها في هامشه تفسيره (٣/ ٧٦٣)، وانظر البحر المحيط (٩/ ٣٢٢).

(٢) في أحمد٣: «إلى قوله بذات الصدور»، وفي المطبوع قبله: «قوله تعالى»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المعنى.

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٣)، ولم أقف عليه مسنداً. في السليمانية: «كتاب الله تعالى».

فُصِلَت ﴿حمٓ﴾ من: ﴿عٓسٓقٓ﴾ ولم يفعل ذلك بـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ لتجري هذه مجرى الحواميم أَخواتها.

وقرأَ الجمهور: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾.

وقرأَ ابن مسعود، وابن عبّاس رضي الله عنهما (حم سق) [بسقوط (ع)[(١)].

والأَقوال في هذه كالأَقوال في أَوائل السُّور][(٢)].

وروى حذيفة في هذا حديثاً مُضَمَّنه: أَنَّه ستكون في هذه الأُمَّة مدينتان يشقّهما نهر بالمشرق، تَهْلِك إِحداهما ليلاً ثمَّ تصبح الأُخرى سالمة، فيجتمع فيها جبابرة المدينتين مُتعجِّبين من سلامتها، فَتَهْلِك من اللَّيلة القابلة، وأَنَّ ﴿حمٓ﴾ معناه: حُمَّ هذا الأَمر، و(ع) معناه: عدلاً من الله، و(سين) سيكون ذلك، و(قاف) معناه: يقع ذلك بهم[(٣)].

ورُوي: أَنَّ عليَّ بن أَبي طالب رضي الله عنه كان يستفيد علم الفتن والحروب من هذه الأحرف الّتي في أَوائل السُّور[(٤)].

و(الكاف) من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نعتٌ لمصدر محذوف، والإِشارة بـ(ذَلِكَ) تختلف بحسب الأَقوال في الحروف.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٢).

(٢) سقط من الحمزوية.

(٣) منقطع ضعيف، أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٨٨٦)، والطبري (٢١/ ٤٩٧) من طريق أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الحمصي، عن أرطاة بن المنذر قال: قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له ـ وعنده حُذيفة بن اليمان ـ: أخبرني عن تفسير قول الله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ به مطولاً، وفي رواية: نعيم بن حماد عن أبي المغيرة، عن أرطاة عمن حدثه، عن ابن عباس، ومن طريق نعيم بن حماد أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٤٠). وسقط ذكر حذيفة من الحمزوية.

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٢) ولم أقف عليه مسنداً.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يُوحِيٓ﴾ بالياءِ على إسناد الفعل إلى الله تعالى، وهي قراءَة الحسن، والأَعرج، وأَبي جعفر، والجحدريّ، وعيسى، وطلحة، والأَعمش.

وقرأَ أَبو حيوة، والأَعشى عن أَبي بكر عن عاصم: (نُوحِي) بنون العظمة، ويكون قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ ابتداءً، وخبره ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾، ويحتمل أَن يكون خبره: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿يُوحَى﴾ بالياءِ وفتح الحاءِ على بناءِ الفعل للمفعول، وهي قراءَة مجاهد[١]، والتقدير: يُوحَى إِليك القرآن، يوحيه اللهُ، وهذا كما قال الشاعر:

لِيُبْكَ يَزيدُ ضارعٌ لِخُصُومَةٍ[٢] .... [الطويل]

ومنه قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [النور: ٣٦][٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ يريد: من الأَنبياءِ الّذين نزلت عليهم الكتب.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أَي: المُلْك والخلق[٤] والاختراع.

و﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ من عُلُوِّ القدر والسّلطان.

و﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ كذلك، وليس بِعُلُوِّ مسافة ولا عِظَم جِرْم، تعالى الله عن ذلك.

وقرأَ نافع، والكسائي: ﴿يَكَادُ﴾ بالياءِ.

[وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وأَبو عمرو، وعاصم: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاءِ].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، ونافع، وابن عبّاس، وأَبو جعفر، وشيبة، وقتادة: ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ من التَّفَطُّر، وهو مطاوع[٥]: فَطَّر.

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٤)، والسبعة (ص: ٥٨٠)، والثالثة ليست من طرقهما وهي طريق الأعشى عن شعبة كما في جامع البيان (٤/ ١٥٦٧)، والشموني عنه كما في الهداية لمكي (١٠/ ٦٥٥٢). وفي نجيبويه: «الأعمش».

(٢) وتمامه: وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوائِحُ، وقد تقدم الخلاف فيه في تفسير الآية (٧٣) من (سورة الأنعام).

(٣) إنما يتم الشاهد على قراءة ابن عامر وشعبة، بفتح الباء على المبني للمجهول.

(٤) سقط من أحمد٣.

(٥) في أحمد٣: «مضارع».

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم، والحسن، والأَعـرج، وأَبو رجـاءٍ، والجحدريُّ: ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ من: الانفطار، وهو مطاوع: فَطَرَ[١].

والمعنى فيهما: يتصدَّعْنَ ويتشقَّقن من سرعة جريهن خضوعاً وخشية من سلطان الله تعالى، وتعظيماً له وطاعة، وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثّقل ونحوه مردود، وذلك لأَنَّ الله تعالى لا يوصف به.

وقوله: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أَي: من أَعلاهن.

وقال الأَخفش عليُّ بن سليمان: الضمير للكفّار[٢].

قال القاضي أَبو محمد: المعنى: من فوق الفِرَق والجماعات الملحدة الّتي من أَجل أَقوالها تكاد السّماوات يتفطّرن[٣]، فهذه الآية ـ على هذا ـ كالآية الّتي في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ٩٠].

وقالت فرقة: معناه: من فوق الأَرضين إِذْ قد جرى ذكر الأَرض.

وذكر الزَّجّاج أَنَّه قرئ: (يَتَفَطَّرْنَ بِمَنْ فَوْقَهُنَّ)[٤].

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قيل: معناه: يقولون سبحان الله، وقيل: معناه: يُصَلُّونَ لربِّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾، قالت فرقة: هذا منسوخ بقوله تعالى في آية أُخرى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧].

وهذا قول ضعيف؛ لأَنَّ النَّسْخَ في الأخبار لا يتصور.

---

(١) وكلها سبعية، إلا أن حفصاً قرأ ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالتاء، انظر السبعة (ص: ٥٨٠)، والتيسير (ص: ١٩٤).

(٢) الهداية لمكي (١٠/ ٦٥٥٦)، واستبعده.

(٣) في أحمد٣: «تتفطر».

(٤) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٩٤). وفي السليمانية ونور العثمانية: «ممن».

وقال السّديُّ ما معناه: إِنَّ ظاهر هذه الآية العموم، ومعناها الخصوص في المؤمنين[(١)].

فكأَنَّه قال: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرض من المؤمنين، إِذ الكفّار عليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أَجمعين، وقالت فرقة: بل هي على عمومها، لكنَّ استغفار الملائكة ليس بطلب غفران الله تعالى للكفرة على أَن يبقوا كفرة، وإِنَّما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية الّتي تؤدي إِلى الغفران لهم، وكأَنَّ الملائكة تقول: اللهمَّ اهد أَهل الأرض واغفر لهم.

ويؤيد هذا التّأْويل تأْكيده صفة الغفران والرحمة لنفسه بالاستفتاح[(٢)]، وذلك قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، أَي: لمَّا كان الاستغفار لجميع من في الأَرض يبعد[(٣)] أَن يجابَ، رَجَّى عزَّ وجلَّ بأَن استفتح الكلام تهيئةً لنفس السّامع، فقال: أَلا إِنَّ الله هو الذي يُطلب هذا منه إِذْ هذه أَوصافه، وهو أَهل المغفرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾.

هذه آية تسلية للنبيِّ ﷺ، ووعيد للكفّار، وإزالةٍ عن النبيِّ ﷺ جميع الكُلَف، سوى التّبليغ فقط، لِئَلَّا يهتمّ بعدم إِيمان / قريش وغيرهم، فقال تعالى لنبيه: إِنَّ الّذين اتخذوا الأَصنام والأَوثان أَولياءَ من دون الله، الله هو الحفيظ عليهم كفرهم، المُحْصي [٥/ ٥٧]

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٠٢).

(٢) في السليمانية: «والاستفتاح».

(٣) في أحمد٣ والسليمانية: «مُعَدٌّ»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

لأَعمالهم، المُجازي لهم عليها بعذاب الآخرة، وأَنت فلَسْتَ بوكيل عليهم ولا ملازم لأَمرهم حتّى يؤمنوا.

و«الوكيل»: القيم على الأَمر، وما في هذا اللَّفظ من موادعة فهو منسوخ بآية السيف.

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، أَي: وكما قضينا أَمرك هذا وأَمضيناه في هذه الصورة، كذلك[١] أَوحينا إِليك قرآناً عربياً مبيِّناً لهم، لا يحتاجون معه إِلى آخر[٢] سواه [ولا محتج غيره][٣]؛ إِذْ فهمه مُتَأَتٍّ لهم[٤]، ولم نكلفك إِلَّا إِنذار من ذُكر.

و﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ هي مكَّة والمراد أَهل مكَّة، ولذلك عطف ﴿مَنۡ﴾ عليها وهي في الأَغلب لمن يعقل.

و﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ هو يوم القيامة، واقتصر في ﴿وَتُنذِرَ﴾ على المفعول الأَوَّل لأَنَّ المعنى: لتُنذر أهل أُمِّ القرى العذابَ وتُنذر النّاسَ يومَ الجمع، [أَي: تخوفهم إياه لما فيه من عذاب من كفر.

وسمِّي يوم الجمع][٥]؛ لاجتماع أَهل الأَرض فيه بأَهل السَّماءِ، أو لاجتماع بني آدم للعرض.

وقوله: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ أَي: في نفسه وذاته، وارتياب الكفّار فيه لا [يعتد به][٦].

وقوله تعالى: ﴿فَرِيقٞ﴾ مرتفع[٧] على خبر الابتداءِ المضمر، كأَنَّه قال: هم فريق في الجنَّة وفريق في السّعير.

---

(١) سقط من أحمد٣ والسليمانية.

(٢) في السليمانية ونور العثمانية ونجيبويه: «أحد».

(٣) سقط من المطبوع، وفي السليمانية: «لغيره» بدل «غيره».

(٤) في السليمانية: «لك»، وسقط من أحمد٣ من بعد «قرآنا عربياً مبينا لهم» إلى هنا. وفيها: «لم يكلفك».

(٥) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٦) في المطبوع بدلًا منه: «يُقَيِّد».

(٧) سقط من أحمد٣.

ثمَّ قوَّى تعالى تسلية نبِّيه ﷺ بأَن عرَّفه بأَنَّ الأَمر موقوف على مشيئة الله من إِيمانهم أَو كفرهم، وأَنَّه لو أَراد كونهم أُمَّةً واحدة [على دين واحد](١) لجمعهم عليه، ولكنه يُدخل من سبقت له السعادة عنده في رحمته، وييسره(٢) في الدنيا لعمل أَهل السّعادة، وإِنَّ الظالمين بالكفر المُيَسَّرينَ لعمل أَهل الشِّقوة ما لهم من وليٍّ ولا نصير.

وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ كلام منقطع مما قبله، وليست معادلة، ولكنَّ الكلام كأَنَّه أَضرب عن حُجَّة لهم أَو مقالة مقرَّرة، فقال: بل اتخذوا، هذا مشهور قول النحويِّين في مثل هذا، وذهب بعضهم إِلى أَن (أَم) هذه بمنزلة أَلف الاستفهام دون تقدير إِضراب، ثمَّ أَثبت الحكم بأَنَّه عزَّ وجلَّ هو الوليُّ الّذي تنفع ولايته، وأَنَّه هو الّذي يحيي الموتى ويحشرهم إِلى الآخرة ويبعثهم من قبورهم، وأَنَّ قدرته على كلِّ شيءٍ تعطي هذا وتقتضيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾.

المعنى: قل لهم يا محمد: وما اختلفتم فيه أَيُّها النّاس من تكذيب وتصديق وإِيمان وكفر وغير ذلك، فالحكم فيه والمجازاة عليه ليست إِليَّ ولا بيدي، وإِنَّما ذلك إِلى الله الّذي صفاته ما ذكر من إِحياءِ الموتى والقدرة على كلِّ شيءٍ.

ثمَّ قال: ذلكم الله ربِّي، وعليه توكلي، وإِليه إِنابتي ورجوعي، وهو فاطر السّماوات والأَرض، أَي: مخترعهما وخالقهما، شقَّ بعضهما من بعض.

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ يريد زوج الإِنسان الأُنثى،

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «ويُبَشِّره»، وفي نجيبويه: «يرشده».

وبهذه النّعمة اتفق الذَّرْءُ، وليست الأَزواج ها هنا الأَنواع، وأَمّا الأَزواج المذكورة مع الأَنعام فالظاهر أَيضاً والمُتَّسِق أَنَّه يريد إِناث الذكران، ويحتمل أَن يريد الأَنواع، والأَوَّل أَظهر.

وقوله: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ أَي: يخلقكم نسلاً بعد نسل، وقرناً بعد قرن، قاله مجاهد والنّاس[(١)].

فلفظة (ذَرَأَ) تزيد على لفظة (خَلَقَ) معنى آخر ليس في (خَلَقَ)، وهو توالي الطَّبقات على مرِّ الزَّمان.

وقوله: ﴿فِيهِ﴾ الضمير عائد على (الْجَعْلِ) الّذي تضمَّنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾، وهذا كما تقول: كلَّمتُ زيداً كلاماً أَكرمته فيه.

وقال القتبي: الضَّمير للتَّزويج[(٢)]، ولفظة (في) مشتركة على معان وإِن كان أَصلها الوعاءُ[(٣)]، وإِليه يردُّها النظر[(٤)] في كلِّ وجه.

وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، الكاف مؤكدة للتَّشبيه، فنفي التَّشبيه أَوْكد ما يكون، وذلك أَنَّك تقول: زيدٌ كعمرو، وزيد مثل عمرو، فإِذا أَردت المبالغة التامَّة قلت: زيدٌ كَمِثْلِ عمرو، ومن هذا قول أَوس بن حجر:

وقَتْلَى كَمِثْلِ جُذوعِ النَّخيلِ تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ[(٥)] [المتقارب]

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٠٧ - ٥٠٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٦٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٥)، وتفسير السمعاني (٥/ ٦٦).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٩١)، بلفظ: «أو في الزوج»، وفي السليمانية: «التزوج»، وفي المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «العتبيُّ».

(٣) في الأصل: «الدعاء».

(٤) «وإليه»: سقطت من أحمد٣، وفي السليمانية: «يردها أهل النظر».

(٥) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢١/ ٥٠٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٦). وفي نجيبويه والحمزوية: «سيل»، وفي أحمد٣ ونور العثمانية والسليمانية: «سبل»، بالباء، وفي السليمانية: «أوس بن جحش».

ومنه قول الآخر:

سَعْدُ بنُ زَيْد إِذا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ ... ما إِنْ كَمِثْلِهِمُ في النَّاسِ مِنْ أَحَد[١] [البسيط]

فجرت الآية في هذا الموضع على عُرْف كلام العرب، وتفترق الآية مع هذه الشَّواهد [في أَنَّ الشواهد][٢] متى أَردت أَن تتبع[٣] بذهنك هذا اللَّفظ فتقدِّر للجذوع مِثْلاً موجوداً وتشبِّه القتلى بذلك المِثْل أَمكنك، ولا يمكنك هذا في جهة الله تعالى [إِلَّا أَن تجعل المثل ما يتحصل في الذِّهن من العلم بالله تعالى، إِذ المثْل والمثال واحد][٤].

وذهب الطبريُّ وغيره إِلى أَنَّ المعنى: ليس كهو شيءٌ، وقالوا: لفظة (مِثْل) في الآية توكيدٌ أو واقعةٌ موقع هو[٥].

قال القاضي أَبو محمد: [وممَّا يؤيد دخول الكاف تأكيداً: أَنها قد تدخل على الكاف نفسها، وأَنشد سيبويه:

وصالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ[٦] ... . [الرجز]

و«المَقَالِيدُ»: المفاتيح، قاله ابن عبّاس[٧]، والحسن.

---

(١) بلا نسبة في تفسير الطبري (٢١/ ٥٠٩)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٦)، وتفسير السمعاني (٥/ ٦٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ١٩٥).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) «أن تتبع»: سقطت من أحمد٣.

(٤) سقط من الحمزوية وأحمد٣.

(٥) زاد في أحمد٣ والسليمانية: «ليس هو كشيء»، وفيه: «ولا كهو شيء»، وذكر الطبري في الآية وجهين، انظره (٢١/٥٠٨-٥١٠).

(٦) البيت لخطام المجاشعي كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٣٢)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٠٩)، والمحكم (١٠/ ٢٠١)، والنكت للقيرواني (ص: ١١٥)، وفصل المقال للبكري (ص: ٩٧)، وإيضاح الشواهد (٢/ ٨٨٣)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٥٥) قال: واسمه عياض بن بشر بن عياض، ولم أجد من عزاه لهميان بن قحافة؛ لا الجوهري، ولا صاحب إيضاح الشواهد، لكن عزا له أشعاراً أخرى.

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقال مجاهد: أَصلها بالفارسيّة، وهي هاهنا استعارة لوقوع كلِّ أَمر تحت قدرته.

وقال السّديُّ: المقاليد: الخزائن، وفي العبارة ـ على هذا ـ حذف مضاف.

قال قتادة: من ملك مقاليد خزائن فالخزائن في ملكه[1].

وبَسْط الرزق وقدره بَيِّنٌ، وقد مضى تفسيره غير مرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى / لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾. [٥/ ٥٨]

المعنى: شرع الله لكم وبَيَّن من المعتقدات والتّوحيد ما وصَّى به نوحاً من قبل.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ﴾ عطف على ﴿مَا﴾، وكذلك ما ذكر بعد من إِقامة الدّين مشروع اتَّفقت النبوَّات فيه، وذلك في المعتقدات أَو في جملة أَمرها من أَن كلَّ نُبُوَّة فإِنَّما مُضَمَّنُها معتقدات وأَحكام، فيجيءُ المعنى على هذا: شرع لكم شِرْعَة هي كشِرْعة نوح وإِبراهيم وموسى وعيسى عليهم السَّلام في أَنَّها ذات المعتقدات المشهورة الّتي هي في كلِّ نبوَّة، وذات أَحكام كما كانت تلك كلّها.

وعلى هذا يتخرج ما حكاه الطبريُّ عن قتادة، قال: ما وَصَّى بِهِ نُوحاً: يريد به الحلالَ والحرامَ[2]، وعليه رُوي أَنَّ نوحاً هو أَوَّل من أَتى بتحريم البنات والأُمهات[3].

وأَمَّا الأَحكام بانفرادها فهي في الشَّرائع مختلفة، وهي المراد في قوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) انظر الأقوال الأربعة في تفسير الطبري (٢١/ ٥١١).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٣)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٦).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٦٢-٧/ ٢٣٢)، و«هو» سقط في أحمد٣ والسليمانية. وفيها: «أول من أمر بتحريم...».

و﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ﴾ يجوز أَن تكون في موضع نصب بدلاً من ﴿مَا﴾، أَو في موضع خفض بدلاً من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾، أَو في موضع رفع على خبر ابتداءٍ تقديره: ذلك أَنْ، وأَن[١] تكون مفسِّرة بمعنى (أَي) لا موضع لها من الإِعراب.

و«إِقامة الدّين»: هي توحيد الله تعالى ورفض ما سواه.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ فيه نهي عن المُهْلك من تفرُّق الأَنحاءِ والمذاهب، والخيْرُ كلُّه في الأُلفة واجتماع الكلمة.

ثمَّ أَخبر تعالى نبيَّه بصعوبة موقع هذه الدعوة إِلى إِقامة الدِّين[٢] على المشركين بالله، العابدين الأصنام.

قال قتادة: كبرت عليهم (لا إِله إِلَّا الله)، وأَبى الله إِلَّا نصرها وإِظهارها[٣].

ثمَّ سلَّاه عنهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِي﴾؛ أَي: يختارُ ويصطفي، قاله مجاهد وغيره[٤].

و﴿مَن يُنِيبُ﴾ معناه: يرجع عن الكفر، ويحرص[٥] على الخير ويطلبه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾[٦] عبارة يجمع خِطابُها كفّارَ العرب واليهودَ والنّصارى وكلَّ مدعوٍّ إِلى الإِسلام، فلذلك حسُن أَن يقال: (مَا تَفَرَّقُوا)، يعني بذلك أَوائل اليهود والنّصارى.

و﴿ٱلْعِلْمُ﴾ الّذي جاءَهم هو ما كان حصل في نفوسهم من علم كُتُب الله تعالى، فبغى بعضهم على بعض، وأَدَّاهم ذلك إِلى الاختلاف في الرَّأْي، [وافتراق الكلمة][٧].

---

(١) في المطبوع: «ويجوز أن»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المعنى.

(٢) في السليمانية: «الدعوة».

(٣) من المطبوع والحمزوية وأحمد٣ والسليمانية، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٥١٤).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٤).

(٥) في المطبوع ونور العثمانية: «ويُحَرِّض».

(٦) في الأصل: «ولا تتفرقوا»، والعبارتان في الآية، لكن (لا تتفرقوا) تقدم تفسيرها.

(٧) سقط من المطبوع.

و«الكلمة السَّابقة»؛ قال المفسرون: هي حتمه تعالى القضاءَ بأَن مجازاتهم إِنَّما تقع في الآخرة، فلولا ذلك لفَصَلَ بينهم في الدنيا وغلب المحقُّ على المبطل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إِشارة إِلى معاصري محمد ﷺ من اليهود والنّصارى، وقيل: هي إِشارة إِلى العرب.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو القرآن.

والضمير في قوله: ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يحتمل أَن يعود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، أَو على محمد ﷺ، أَو على (الأَجل المُسَمَّى)، أَي: في شكٍّ من البعث على قول من رأَى أَنَّ الإِشارة إِلى العرب.

وَوَصفُ الشَّكِّ بمُريب مبالغة فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾.

اللّام في قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ قالت فرقة: هي بمنزلة (إِلى)، كما قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، أَي: إِليها، كأَنَّه قال: فإِلى ما وصَّى به الأَنبياءَ من التَّوحيد فادْعُ.

وقالت فرقة: بل هي بمعنى: من أَجل، كأَنَّه قال: فمن أَجل أَنَّ الأَمر كذا ولكونه كذا، فادْعُ أَنت إِلى ربِّك وبَلِّغ ما أُرْسِلْتَ به.

وخوطب ﷺ بأَمر الاستقامة وهو ﷺ قد كان مستقيماً بمعنى: دُمْ على استقامتك، وهكذا الشّأْن في كلِّ مأْمور بشيءٍ هو متلبس به إِنَّما معناه الدَّوام.

وهذه الآية ونحوها كانت نصب عيْنِ النبيِّ ﷺ، وكانت شديدة الموقع

من نفسه، أَعني قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ لأَنَّها جملة تحتها جميع الطَّاعات وتكاليف النبوَّة.

وفي هذا المعنى قال ﷺ: «شَيَّبَتْني هودٌ وأَخواتها»، فقيل له: لم ذلك؟ فقال: لأَنَّ فيها ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[١]، وهذا الخطاب له ﷺ بحسب قوَّته في أَمر الله تعالى، وقال هو لأُمَّته بحسب ضعفهم: «اسْتَقِيمُوا [ولن تُحْصُوا][٢]».

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ يعني قريشاً فيما كانوا يَهْوَوْنَهُ من أَن يعظِّم محمد ﷺ آلهتهم وغير ذلك.

ثمَّ أَمره تعالى أَن يؤمن بالكتب المنزلة قبله من عند الله، وهو أَمر يعمُّ سائر أُمَّته.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾:

قالت فرقة: اللَّام في ﴿لِأَعْدِلَ﴾ بمعنى (أَنْ)، لأَنَّ التقدير: أُمرتُ بأَن أَعدل بينكم.

وقالت فرقة: المعنى: وأُمرتُ بما أُمرتُ من التَّبليغ والشَّرع لكي أَعدلَ بينكم، فحذف من الكلام ما يدلّ الظاهر عليه.

وقوله: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ إِلى آخر الآية؛ منسوخ ما فيه من موادعة بآية السَّيف.

وقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أَي: لا جدال ولا مناظرة، وقد وضح الحقُّ وأَنتم تعاندون.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ وعيدٌ.

---

(١) فيه اضطراب شديد، وتقدم تخريجه عند الآية (١١٢) من (سورة هود).

(٢) سقط من الأصل، والحديث له طرق لا تسلم من الضعف، أخرجه مالك في الموطأ بلاغاً (٦٦) وأخرجه ابن ماجه (٢٧٧) من طريق: سالم بن أبي الجعد عن ثوبان مرفوعاً، وسالم لم يسمع من ثوبان، قاله غير واحد من النقاد، ثم أخرجه ابن ماجه (٢٧٨) من طريق: المعتمر بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وليث هو ابن أبي سليم، ضعيف، وللحديث طرق أخرى لا تخلو من ضعف، يراجع تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢/ ٢٣٢).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾، قال ابن عبّاس[١]، ومجاهد: إِنَّها نزلت في طائفة من بني إِسرائيل همَّت بِرَدِّ النّاس عن الإِسلام وإِضلالهم ومجادلتهم بأَن قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبيُّنا قبل نبيِّكم، فديننا أَفضل، فنزلت الآية في ذلك[٢].

وقيل: بل نزلت في قريش، لأَنَّها كانت أَبداً تجادل[٣] هذا المعنى، وتطمع في ردِّ الجاهلية[٤].

و﴿يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ معناه: في توحيد الله، أَي: [يحاجون فيه][٥] بالإِبطال والإِلحاد وما أَشبهه.

والضمير في ﴿لَهُ﴾ يحتمل أَن يعود على الله تعالى، أَي: بعد ما دخل النّاسُ في دينه.

ويحتمل أَن يعود على الدين والشَّرع.

ويحتمل أَن يعود على محمد ﷺ.

و﴿دَاحِضَةٌ﴾ معناه: زاهقة، و«الدَّحْضُ»: الزَّلق، وباقي الآية بيِّن[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾/ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾. [٥/ ٥٩]

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٥١٨-٥١٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٧) بمعناه، ونقله تفسير الطبري (٢١/ ٥١٩) عن قتادة.

(٣) في الأصل ونور العثمانية: «تحاول».

(٤) هذا القول رواه الطبري عن مجاهد فقال: عن مجاهد ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية. تفسير الطبري (٢١/ ٥١٩).

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) في الحمزوية: «وباقي الآية وعيد».

لمَّا أنحى[١] القول على الّذين يحاجُّون في توحيد الله ويرومون إطفاء[٢] نوره، صدع في هذه الآية بصفته تعالى من إِنزال الكتاب الهادي للنّاس.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا اسم جنس يعمّ جميع الكتب المنزلة.

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل أَن يكون المعنى: بأَن كان ذلك حقّاً واجباً للمصلحة والهدى.

ويحتمل أَن يكون المعنى: مُضَمَّناً الحقّ، أَي: بالحقِّ في أَحكامه وأَوامره ونواهيه[٣].

و(الميزان) هنا: العدل، قاله ابن عبّاس، ومجاهد، وقتادة، والنّاس[٤].

وحكى الثّعلبيُّ عن مجاهد أَنَّه قال: هو هنا الميزان الّذي بأَيدي النّاس[٥].

قال القاضي أَبو محمد: ولا شكَّ أَنَّه داخل في العدل[٦] وجزءٌ منه، وكلُّ شيءٍ من الأُمور فالعدل فيه إِنَّما هو بوزن وتقدير مستقيم، فيحتاج في الأَجرام إِلى آلة وهي العمود والكفتان الّتي بأَيدي البشر، ويحتاج في المعاني إِلى هيئات في النّفوس وفهوم توازن بين الأَشياءِ.

وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ وعيد للمشركين، أَي: فانظر في أَيِّ غَرَرٍ هُمْ.

وجاءَ لفظ ﴿قَرِيبٌ﴾ مذكَّراً من حيث تأْنيث الساعة غير حقيقي؛ وإِذ هي بمعنى الوقت.

---

(١) في المطبوع: «أَنهى».

(٢) في المطبوع: «إِخفاءَ».

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٠)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٧٧)، وقول ابن عباس في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٥) ولم أقف عليه مسنداً.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٧) ولفظة: «قال هو هنا» سقطت من أحمد٣ والسليمانية.

(٦) في المطبوع: «القول».

ثم وصف تعالى حال الجهلة المكذبين بها، فهم لذلك يستعجلون بها، أَي يطلبون تعجيلها لِيَبِينَ العجزُ ممن تحقَّقَها، فالمصدِّق بها مشفقٌ خائف، والمكذِّب مستعجل مقيم لِحُجَّته على تكذيبه بذلك المستعجل به.

ثمَّ استفتح[١] الإخبار عن المُمَارين في السّاعة بأنهم في ضلال قد بعُدَ بهمْ، فرجوعهم عنه صعب متعذِّر، وفي هذا الاستفتاح مبالغة وتأْكيد وتهيئة لنفس السّامع.

ثمَّ رجَّى تبارك وتعالى عباده بقوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾، ولَطِيفٌ هنا بمعنى رفيقٌ مُتَحَفٌ.

والعباد هنا: المؤمنون ومن سَبَق له الخلود في الجنَّة، وذلك أَنَّ الأَعمال بخواتمها، ولا لُطف إِلَّا ما آل إِلى الرحمة، وأَما الإِنعام على الكافرين في الدنيا فليس بلُطْف بهم، بل هو إِملاءٌ واستدراج.

قال الجنيد: لطف بأَوليائه حتى عرفوه، ولو لطف بالكفار لما جحدوه[٢].

وقيل: لطيفٌ معناه: في أن نشر عنهم المناقب وستر عليهم المثالب، وقيل: هو الذي لا يخاف إِلَّا عدله، ولا يُرْجى إِلَّا فضله.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ معناه: إِرادةَ مستعد عاملٍ عارفٍ، لا إِرادة مُتَمَنٍّ لم يُدِن نفسه.

و«الحَرْثُ» في هذه الآية: عبارة عن السَّعي والتَّكَسُّب والإِعداد، ولمَّا كان حرث الأَرضِ أَصلاً من أُصول المكاسب استُعير لكلِّ تكَسُّب[٣]، ومنه قول ابن عمر: احرث لدنياك كأَنَّك تعيش أَبداً، واعمل لآخرتك كأَنَّك تموت غداً[٤].

---

(١) في السليمانية: «افتتح».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٨)، وتفسير السلمي (٢/ ٢٢٦).

(٣) في أحمد٣: «مكسب»، وفي السليمانية: «مكتسب».

(٤) منقطع، أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٤٩)، وابن قتيبة في غريب الحديث (١/ ٢٨٦-=

وقوله تعالى: ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ﴾ وعْدٌ منتجز[١].

وقوله في حرث الدُّنيا: ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ معناه: ما شئنا ولمن شئنا، فرُبَّ مُمْتَحَنٍ مُضَيَّق عليه حريص على حرث الدُّنيا مريد له لا يُحِسُّ[٢] بغيره، نعوذ بالله من ذلك، وهذا الذي لا يعقل غير الدُّنيا هو الّذي نُفي أَن يكون له نصيب في الآخرة.

وقرأَ سلام: (نُؤْتِهُ) برفع الهاءِ، وهي لغة لأهل الحجاز، ومثله قراءتهم: (فَخَسَفْنا بِهُ وَبِدارِهُ الْأَرْضَ)، [برفع الهاءِ فيهما][٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿أَمۡ﴾ هذه منقطعة لا معادلة، وهي بتقدير (بل) وأَلف الاستفهام.

= ٢/ ٣٨٥) من طريق عبيد الله بن العيزار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه به، وعبيد الله ابن العيزار المازني بصري، روى عن سالم بن عبد الله والحسن البصري، وطلق بن حبيب ولكنه لم يسمع من عبد الله بن عمرو، وقد وثقه ابن معين كما في الجرح والتعديل (٥/ ٣٣٠)، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في زوائده للهيثمي (١٠٩٣) عن عبيد الله بن العيزار قال: لقيت شيخاً بالرمل من الأعراب كبيراً فقلت له: لقيت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فقلت: من؟ فقال: عبد الله بن عمرو بن العاص.. فذكره، وهذا يؤكد على أن عبيد الله بن العيزار لم يسمع من عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وبنحو هذا روي مرفوعاً ولا يصح، وقد تقدم.

(١) في السليمانية: «مرتجز».

(٢) في السليمانية: «لا يحسن».

(٣) سقط من أحمد٣، وكلتاهما شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٤٩)، والقراءة الثانية هي في الآية: (٨١) من (سورة القصص).

والشُّركاءُ في هذه الآية: يحتمل أَن يكون المراد بهم الشَّياطين والمُغوِينَ من أَسلافهم، ويكون الضمير في ﴿لَهُم﴾ للكفّار المعاصرين لمحمد ﷺ، أَي: شرع الشُّركاءُ لهم ما لم يأْذن به الله، فالاشتراك هنا هو في الكفر والغواية، وليس بشركة الإِشراك بالله.

ويحتمل أَن يكون المراد بالشُّركاءِ: الأَصنام والأَوثان على معنى: أَم لهم أَصنام جعلوها شركاءَ لله في أُلوهيته؟ ويكون الضمير في ﴿شَرَعُوا﴾ لهؤلاءِ المعاصرين من الكفّار ولآبائهم، والضمير في ﴿لَهُم﴾ للأَصنام الشُّركاءِ، أَي: شرع هؤلاءِ الكفّار لأَصنامهم وأَوثانهم ما لم يأْذن به الله.

و﴿شَرَعُوا﴾ معناه: أَثبتوا ونهجوا ورسموا.

و﴿الدِّينِ﴾ هنا: العوائد والأَحكام والسِّيرة، ويدخل في ذلك أَيضاً المعتقدات؛ لأَنَّهم في جميع ذلك وضعوا أَوضاعاً، فأَمَّا في المعتقدات فقولهم: إِنَّ الأَصنام آلهة، وقولهم: إِنَّهم يعبدون الأَصنام زُلْفَى، وغير ذلك، وأَمّا في الأَحكام فكالْبَحِيرَةِ والْوَصِيلَة [والْحَامِي، وغير ذلك من السَّوائب ونحوها][1].

و«الإِذْنُ» في هذه الآية: الأَمر.

و﴿كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾: هي ما سبق من قضاءِ الله تعالى بأنه يؤخر عذابهم[2] إِلى الآخرة.

و«القضاءُ بينهم»: هو عذابهم في الدُّنيا ومجازاتهم.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ بكسر الهمزة على القطع والاستئناف.

وقرأَ مسلم بن جندب: (وأن الظالمين) بفتح الهمزة[3].

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «والسوائب وغيرها».

(٢) في أحمد٣ والسليمانية: «عقابهم».

(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٤٩).

وهي في موضع رفع عطف على ﴿كَلِمَةُ﴾، المعنى[١]: وأَنَّ الظّالمين لهم في الآخرة عذاب.

وقوله: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هي رؤْية بصر، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مفعول، و﴿مُشْفِقِينَ﴾ حال، وليس لهم في هذا الإِشفاق مدح؛ لأَنَّهم إِنَّما أَشفقوا حين نزل بهم ووقع، وليسوا كالمؤمنين الّذين هم في الدّنيا مشفقون من السّاعة كما تقدَّم / . [٥/ ٦٠]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ جملة في موضع الحال.

و«الـرَّوْضَـاتُ»: المواضع الْمُونقة النَّضرة، وهي مرتفعة في الأَغلب[٢] من الاستعمال، وهي الممدوحة عند العرب وغيرهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

ومن ذلك تفضيلهم روضات الحَزْن لجودة هوائها.

قال الطبريُّ: ولا تقول العرب لموضع الأشجار: رياض[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ إِشـارة[٤] إلى قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿يُبَشِّرُ﴾ بضم الياءِ وفتح الباءِ وشدِّ الشّين المكسورة، وذلك على التَّعدية بالتضعيف.

وقرأَ مجاهد، وحُمَيْد: (يُبْشِرُ) بضمِّ الياءِ وسكون الباءِ وكسر الشِّين خفيفة، على التَّعدية بالهمزة.

---

(١) في السليمانية: «المضاف».

(٢) في أحمد٣: «الأعلى».

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٣).

(٤) في السليمانية: «ينظر».

وقرأَ ابن مسعود، وابن يَعْمَر، وابن أَبي إِسحاق، والجحدريُّ، والأَعمش، وطلحة: ﴿يَبْشُرُ﴾ بفتح الياءِ وبسكون الباء وضمِّ الشّين خفيفة، ورويت عن ابن كثير[١].

وقال الجحدريُّ في تفسيرها: ترى النَّضرة في الوجوه[٢].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، اختلف النّاسُ في معناه:

فقال ابن عبّاس وغيره: هي آية مكِّيَّة نزلت في صدر الإِسلام، ومعناها اسْتِكْفاف[٣] شرِّ الكفّار، ودفع أَذاهم، أَي: ما أَسأَلكم على القرآن والدين[٤] والدّعاءِ إِلى الله إِلَّا أَن تَوَدُّوني لقرابةٍ هي بيني وبينكم، فتكفّوا عنِّي أَذاكم[٥].

قال ابن عبّاس، وابن إِسحاق، وقتادة: ولم يَكُن في قريش بطن إِلَّا ولرسول الله ﷺ فيه نسبٌ أَو صهْر[٦]، فالآية ـ على هذا ـ هي استعطافٌ مَّا، ودَفْع أَذى، وطلبُ سلامة منهم، وذلك كلُّه منسوخ بآية السَّيف.

ويحتمل على هذا التَّأْويل[٧]: أَن يكون معنى الكلام استدعاءَ نصرهم، أَي: لا

---

(١) هي سبعية، للأكثر وهم أبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي، والأولى للباقين، أما الثانية فشاذة، لحميد في تفسير الثعلبي (٣/ ٦١). و«بسكون الباء» زيادة من السليمانية وأحمد٣، و«خفيفة» في الموضعين من أحمد٣، وفي المطبوع: و«التضعيف».

(٢) هذا القول ذكره ابن زنجلة في حجة القراءات (ص: ٦٤١) عن اليزيدي حجة لتفريق أبي عمرو بين هذا الموضع والمواضع الأخرى.

(٣) زاد في السليمانية كلمة غير مقروءة رسمت هكذا: «انه» دون نقط.

(٤) من الأصل.

(٥) جيد، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٢٥) والطبراني في «الكبير» (١٢٥٦٩)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٤٤) من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، بنحوه. ولفظة: «وغيره» سقطت من السليمانية.

(٦) أخرجه البخاري (٤٨١٨)، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣١٠)، وتفسير الثعالبي (٤/ ١٠٧)

(٧) في السليمانية: «الدليل».

أَسأَلكم غرامةً ولا شيئاً إلَّا أَن تَوَدُّوني لقرابتي منكم، وأَن تكونوا أَولى بي من غيركم.

وقال مجاهد: إِلَّا أَن تَصلوا رحمي باتِّباعي[١].

وقال ابن عبّاس أيضاً ما يقتضي أَنَّها مدنيَّة، وسببها: أَنَّ قوماً من شباب الأَنصار فاخروا المهاجرين، ومالوا[٢] بالقول على قريش، فنزلت الآية في ذلك على معنى: إِلَّا أَن تودُّوني فتراعونني في قرابتي وتحفظونني فيهم[٣].

وقال بهذا المعنى في الآية عليُّ بن الحسين بن علي بن أَبي طالب رضي الله عنهم، واستشهد بالآية حين سيق إِلى الشّام أَسيراً[٤]، وهو تأْويل ابن جبير، وعمرو بن شعيب[٥].

وعلى هذا التَّأْويل قال ابن عبّاس قيل: يا رسول الله، مَنْ قرابتك الّذين أُمرنا بمودَّتهم؟ فقال: «عليٌّ وفاطمة وابناهما»،[٦] وقيل: هم ولد عبد المطَّلب.

قال القاضي أَبو محمد: وقريش كلُّها عندي قُرْبى وإِن كانت تتفاضل.

وقد روي عن النبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «من مات على حبِّ آل محمد مات شهيداً، ومن

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٦).

(٢) في السليمانية: «تعالوا».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٢٨)، والطبراني في الأوسط (٣٨٦٤) من طريق عبد السلام ابن حرب النهدي، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه بلفظ أطول من هذا، ويزيد بن أبي زياد الهاشمي ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٨)، تفسير الثعلبي (٨/ ٣١١). وفي المطبوع: «علي بن الحسن».

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٨)، تفسير الماوردي (٥/ ٢٠٢).

(٦) منكر، أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٢٥٩)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣١٠) من طريق حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، بنحوه، والحسين بن الحسن الأشقر الكوفي، قال البخاري: فيه نظر، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بقوي، وقال الجوزجاني: غال شتام للخيرة، وقال ابن عدي: جماعة من الضعفاء يحيلون بالروايات على حسين الأشقر، على أن في حديثه بعض ما فيه، وذكر له مناكير، قال في أحدها: البلاء عندي من الأشقر، وقال أبو معمر الهذلي: كذاب. وانظر ترجمته الميزان (١/ ٥٣١).

مات على بُغضهم لم يشم رائحة الجنَّة»[١].

وقال ابن عبّاس أَيضاً ـ في كتاب الثّعلبيِّ ـ: سبب هذه الآية أَنَّ الأَنصار جمعت لرسول الله ﷺ مالاً[٢]، وساقته إِليه، فردَّه عليهم ونزلت الآية في ذلك[٣].

وقال ابن عبّاس أَيضاً: معنى الآية: مِنْ قُرْبَى الطّاعة والتَّزَلُّف إِلى الله تعالى، كأَنَّه قال: إِلَّا أَن تَوَدُّوني لأَنّي أَقربكم من الله، وأُريد هدايتكم وأَدعوكم إِليها[٤].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: معناه: إِلَّا أَن تتودَّدوا إِلى الله تعالى بالتقرُّب إِليه[٥].

وقال عبد الله بن القاسم ـ في كتاب الطبريِّ ـ: معنى الآية: إِلَّا أَن تَتَوَدَّدُوا بعضكم إِلى بعض وتصلوا قرابتكم، فالآية ـ على هذا ـ أَمر بصلة الرَّحم[٦].

---

(١) موضوع، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣١٤) عن أبي محمد عبد الله بن حامد الأصبهاني، عن أبي عبد الله بن محمّد بن علي بن الحسين البلخي، عن يعقوب بن يوسف بن إسحاق، عن محمد ابن أسلم الطوسي، عن يعلي بن عبيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير البجلي، قال: قال رسول الله ﷺ به مطولاً، ومحمد بن أسلم ومن فوقه أثبات، والآفة فيه ما بين الثعلبي ومحمد، وقد حكم الحافظ على هذا الحديث بالوضع كما في تخريج أحاديث الكشاف، وانظر السلسلة الضعيفة (٤٩٢٠).

(٢) سقطت من أحمد٣، وفيه: «رواه» بدل «في كتاب».

(٣) ضعيف، هذا الأثر أورده الثعلبي في تفسيره بدون إسناد، وقد ذكره صاحب كتاب غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٧٥) أنه من رواية إسحاق بن أبي يحيى الكعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسحاق الكعبي ضعيف.

(٤) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٣٨)، والطبري (٢١/ ٥٢٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٠٠)، والطبراني في الكبير (١١١٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٣-٤٤٤) من طريق قزعة بن سويد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وقزعة ابن سويد بن حجير بن بيان الباهلي ضعيف.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٠٨)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣١٠). وفي السليمانية: «تودوني».

(٦) ذكرها الطبري (٢١/ ٥٣٠) عنه بلفظ: قال: أمرت أن تصل قرابتك. وفي السليمانية: «قراباتكم».

وذكر النَّقّاش عن ابن عبّاس، ومقاتل، والسّديِّ، والكلبيّ: أَنَّ الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧][١].

والصَّواب أَنَّها مُحْكَمة، وعلى كلِّ قول فالاستثناءُ منقطع، و(إِلَّا) بمعنى (لكن).

و﴿يَقْتَرِفْ﴾ معناه: يكتسب، ورجلٌ قرفة، إذا كان محتالاً كسوباً.

وقرأَت فرقة: (يَزِدْ) على إِسناد الفعل إلى الله تعالى[٢].

وقرأ جمهور النّاس: ﴿نَزِدْ﴾ على نون العظمة.

و«زيادة الحُسْنِ»: هو التَّضعيف الّذي وعد الله تعالى به مؤمني عباده، قاله الحسن بن أَبي الحسن[٣].

و﴿غَفُورٌ﴾ معناه: ساترٌ عيوب عبيده.

و﴿شَكُورٌ﴾ معناه: مُجازٍ على الدَّقيقة من الخير، لا يضيع عنده لعامل عمل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿أَمْ﴾ هذه أَيضاً مقطوعة مُضَمَّنة[٤] إِضراباً عن كلام متقدِّم، وتقريراً على هذه المقالة منهم.

---

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٠٩)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٨٦)، وتفسير السمعاني (٥/ ٧٣)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص: ٢٢٠). ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٣٢) للمنقري، ومحبوب عن أبي عمرو، وابن مقسم، والزعفراني.

(٣) لم أقف عليه من قول الحسن، وهوفي تفسير الطبري (٢١/ ٥٣١) من قول قتادة.

(٤) في الأصل: «منقطعة»، وفي السليمانية: «متضمنة».

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ﴾ معناه في قول قتادة وفرقة من المفسِّرين: يُنْسِيكَ القرآن[١]، والمرادُ الرَّدُّ على مقالة الكفّار وبيان إِبطالها، وذلك كأَنَّه يقول: وكيف يصحُّ أَن تكون مفترياً وأَنت من الله بمرأى ومسمع، وهو قادر لو شاءَ على أَن يختم على قلبك، فلا تعقل ولا تنطق[٢] ولا يستمرُّ افتراؤُك!

فمقصد اللَّفظ هذا المعنى، وحذف ما يدلُّ عليه الظاهر اختصاراً واقتصاراً.

وقال مجاهد ـ في كتاب الثعلبيّ وغيره ـ: المعنى: فإِن يشأِ الله يختم على قلبك بالصَّبر لأَذى الكفّار، ويربط عليه بالجَلَد، فهذا تأْويلٌ لا يتضمَّن الرَّدَّ على مقالتهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَمۡحُ﴾ فعل مستقبل[٤]، خبر من الله تعالى أَنَّه يمحو الباطل ولا بد، إِمّا في الدُّنيا وإِمّا في الآخرة، وهذا بحسب نازلة نازلة[٥].

وكتبت ﴿وَيَمۡحُ﴾ في المصحف بحاءٍ مرسلة كما كتبوا ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء: ١١] إِلى غير ذلك مما ذهبوا فيه إِلى الحذف والاختصار.

وقوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ معناه: بما سبق في قديم علمه وإِرادته من كون الأَشياءِ، فـ«الكلمات»: / المعاني القائمة القديمة [التي لا تبديل لها][٦]. [٥/ ٦١]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ خبرٌ مُضَمَّنه وعيد.

ثمَّ ذكر النِّعمة في تفضله بقبول التَّوبة عن عباده، وقبولُ التَّوبة فيما يستأْنف العبد من زمنه وأَعماله مقطوع به بهذه الآية، وأَمَّا ما سلف من أَعماله فينقسم:

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٣٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٥٨٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣١٤)، وتفسير السمعاني (٥/ ٧٥).

(٢) في الأصل: «تنظر».

(٣) تفسير الثعلبي (٨/ ٣١٤).

(٤) في أحمد٣: «مستأنف»، وكذا في حاشية المطبوع عن بعض النسخ.

(٥) «نازلة» الثانية من المطبوع ونجيبويه والسليمانية.

(٦) سقط من المطبوع ونجيبويه.

فأَمَّا التوبة من الكفر: فماحيةٌ كلَّ ما تقدمها من مظالم العباد الفانية[١]، وغير ذلك.

وأَمّا التَّوبة من المعاصي: فلأَهل السُّنَّة فيها قولان: هلْ تذهب المعاصي السالفة للعبد بينه وبين خالقه؟ فقالت فرقة: هي مُذْهبة لها، وقالت فرقة: هي في مشيئة الله تعالى، وأَجمعوا على أَنَّها لا تُذْهِب مظالم العباد.

وحقيقة التَّوبة: الإِقلاعُ عن المعاصي والإِقبالُ والرُّجوع إِلى الطّاعات، ويلزمها النَّدم على ما فات والعزم على ملازمة الخيرات.

وقال سريُّ السَّقطيُّ: التَّوبةُ: العزمُ على ترك الذنوب والإِقبالُ بالقلب إِلى علّام الغيوب.

وقال يحيى بن معاذ[٢]: التّائب من كسر شبابه على رأْسه، وكسر الدُّنيا على رأْس الشَّيطان، ولزم الفطام حتّى أَتاه الحِمام[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ بمعنى: من عباده، وكأَنَّه قال: التَّوبة الصادرة عن عباده.

وقرأَ جمهور القراءِ، والأَعرج، وأَبو جعفر، والجحدريُّ، وقتادة: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ بالياءِ على الكناية عن غائب.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وابن مسعود، وعلقمة: ﴿تَفۡعَلُونَ﴾ بالتّاءِ على المخاطبة، وكذلك قرأ نافع[٤]، وفي الآية توعُّد.

---

(١) في السليمانية: «الفائتة»، وسقط «وغير ذلك» من الأصل.

(٢) هو يحيى بن معاذ الرازي أبو زكريا الصوفي، العارف المشهور، صاحب المواعظ، كان حكيم أهل زمانه، سمع إسحاق بن سليمان، ومكي بن إبراهيم، وغيرهما، وعنه مشايخ الري وهمَذان وبلخ ومرو ونيسابور، مات سنة (٢٥٨هـ). تاريخ الإسلام (١٩/ ٣٧٣).

(٣) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٣١٦).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨١)، وعزو الثانية لنافع زيادة من السليمانية، وهي رواية حمّاد بن بحر عن المسيّبي عنه كما في جامع البيان (٤/ ١٥٦٨)، قال: وهو غلط.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾، قال الزَّجّاج، وغيره: معناه: يُجيب[١].

والعربُ تقول: أَجابَ واستجابَ بمعنى، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

ودَاعٍ دَعَا يَا مَن يُجيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذاكَ مُجيبُ[٢]

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ على هذا القول ـ مفعولٌ بـ(يَسْتَجيبُ).

وروي هذا المعنى عن معاذ بن جبل[٣]، ونحوه عن ابن عبّاس[٤].

وقالت فرقة: المعنى: ويستدعي الّذين آمنوا الإِجابة من ربِّهم بالأَعمال الصّالحة، ودلَّ قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ على أَن المعنى: فَيُجِيبهم، وحملت هذه الفرقة (استجاب) على المعهود من باب: استفعل، أَي طَلَبَ الشَّيءَ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ على هذا القول ـ فاعل بـ(يَسْتَجِيبُ).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩٩).

(٢) تقدم في تفسير الآية (١٧) من (سورة البقرة).

(٣) منقطع، أخرجه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٥١٢١)، وابن أبي شيبة في المصنف مختصراً (٣١٠٢٢)، والطبري (٢١/ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم كما عند ابن كثير (٧/ ٢٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٤) من طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن سلمة بن سبرة، قال: خطبنا معاذ بالشام فقال: أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة. والله إني أرجو أن يدخل الله من تسبون من فارس والروم الجنة، وذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال: أحسنت رحمك الله، أحسنت بارك الله فيك، ثم قرأ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، قال الحافظ: سلمة بن سبرة له إدراك وسمع من عمر ومعاذ وسلمان روى عنه أبو وائل وروى مسدد والبغوي في الجعديات من طريق أبي وائل عن سلمة بن سبرة قال: خطبنا معاذ بن جبل فذكر قصة، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة. اهـ، ملخصاً من الإصابة (٣/ ٢٦١)، وقد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٧٨) قال: سلمة بن سبرة، عن معاذ، روى عنه أبو وائل، منقطع. اهـ. وزاد في أحمد٣: «وغيره».

(٤) ضعيف، أخرج الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣١٧) من طريق أبي بكر الهذلي، عن أبي صالح عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، قال: تشفّعهم في إخوانهم. ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾. قال: في إخوان إخوانهم. وأبو بكر الهذلي البصري إخباري متروك الحديث.

وقالت فرقة: المعنى: ويُجيب المؤمنون ربَّهم، فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل بمعنَى: يجيبون دعوة شرعه ورسالته. و«الزِّيادة من فضله»: هي تضعيف الحسنات.

وروي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «هي قبولُ الشَّفاعات في المذنبين والرِّضوانُ»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، قال عمرو بن حُرَيْث[٢] وغيره: إِنَّها نزلت لَأنَّ قوماً من أَهل الصُّفة طلبوا من رسول الله ﷺ أَن يُغنيهم الله، ويبسط لهم الأَموال والأَرزاق[٣]، فأَعلمهم الله تعالى أَنَّه لو جاءَ الرِّزق على اختيار البشر واقتراحهم لكان سبب بغيهم وإِفسادهم، ولكنَّه تعالى أَعلم بالمصلحة في كلِّ أَحد، وله بعبيده خبرةٌ وبَصَرٌ بأَخلاقهم[٤] ومصالحهم، فهو ينزل لهم من الرِّزق القدر[٥] الّذي به صلاحهم، فرُبَّ إِنسان لا يصلح ولا تكتف عاديته[٦] إِلاَّ بالفقر، وآخر بالغنى.

وروى أَنس بن مالك في هذا المعنى والتَّقسيم حديثاً عن النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ قال أَنس: اللهمَّ إِنِّي من عبادك الَّذين لا يصلحهم إِلَّا الغنى فلا تفقرني[٧].

---

(١) لم أهتد إليه، وفي المطبوع: «المؤمنين» بدل «المذنبين».

(٢) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي القرشي، له ولأبيه صحبة، ولد في أيام بدر، وقيل قبل الهجرة بسنتين، وقد روى عن النبيّ ﷺ، وأبي بكر، وعمر وغيرهم، توفي سنة (٨٥هـ)، وكان قد ولى إمرتها نيابة لزياد، وابنه عبد الله، الإصابة (٤/ ٥١٠).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٥٢)، تفسير الطبري (٢١/ ٥٣٥و٥٣٦)

(٤) في أحمد٣: «باختلافهم». والسليمانية فيها: «نظر» بدل «بصر». وفيها: «وصالحهم» بدل «مصالحهم».

(٥) سقط من الأصل.

(٦) في نجيبويه: «حاجته»، وفي السليمانية وأحمد٣ والمطبوع: «وتكتف» وهو فرق لا يؤثر على المعنى.

(٧) ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء (ص: ٩)، والقضاعي في مسنده (١٤٥٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣١)، والبغوي في تفسيره (٧/ ١٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٨-٣١٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ٣٥-٤١- ٢٨٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٢) من طريق صدقة بن عبد الله الدمشقي، عن هشام الكناني، عن أنس عن النبي ﷺ، عن جبريل عن الله عز وجل قال: «يقول الله عز وجل.... وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة»، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٠٩)، والثعلبي في تفسيره =

وقال خبَّاب بن الأَرتِّ: فينا نزلت ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ﴾ الآية[١]؛ لأنَّا نظرنا إلى أَحوال بني قُريظة وبني النَّضير وبني قَيْنُقَاع فتمنّيناها، [فنزلت الآية][٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾.

هذا تعديد نعم الله تعالى الدَّالَّة على وحدانيته، وأَنَّه الإله الَّذي يستحق أَن يعبد دون ما سواه من الأَنداد.

وقرأَ: ﴿يُنَزِّلُ﴾ مثقلة جمهور القراءِ.

وقرأها ﴿يُنْزِلُ﴾ مخفَّفة ابنُ وثّاب والأَعمش، ورويت عن أَبي عمرو، ورجَّحها أَبو حاتم[٣].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿قَنَطُواْ﴾ بفتح النّون، وقرأَ يحيى بن وثّاب والأعمش بكسر النّون[٤]، وقد تقدَّم ذكرها، وهما لغتان، يقال: قنَط وقنِط.

= (٨/ ٣١٨) من طريق صدقة، عن عبد الكريم الجزري، عن أنس مختصراً، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٩٥) من طريق صدقة، عن إبراهيم بن أبي كريمة، عن هشام، به. وصدقة بن عبد الله السمين، أبو معاوية، ويقال أبو محمد، الدمشقي ضعيف، وهشام الكناني، أو الكتاني لم أقف له على ترجمة.

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) سقط من أحمد٣، وانظر تفسير البغوي (٧/ ١٩٤)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٧). وفي الحمزوية والسليمانية: «أموال بني».

(٣) التخفيف للأكثر ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٧٥)، والسبعة (ص: ١٦٦).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٢). وفي المطبوع ونجيبويه: «عن الأَعمش».

وروي: أَنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قيل له: أَجدبت الأَرض وقنط النّاس، فقال: مُطِرُوا إِذاً[١]، بمعنى: إِنَّ الفرج عند[٢] الشِّدَّة.

واختلف المتأَوِّلون في قوله تعالى: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾:

فقالت فرقة: أَراد بالرَّحمة المطر، وعدَّد النِّعمة بعينها بلفظين الثّاني منهما يؤكِّد الأَوَّل.

وقالت فرقة: الرَّحمة في هذا الموضع: الشَّمس، فذلك تعديد نعمة غير الأُولى، وذلك أَنَّ المطر إِذا أَلَمَّ بعد القنط حسُن موقعه، فإِذا دام سُئِم، فتجيءُ الشَّمس بعده[٣] عظيمة الموقع.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أَي: مَن هذه أَفعاله، فهو الَّذي ينفع إِذا والى، وتُحمد أَفعاله ونعمه، لا كالَّذي لا يضُرُّ ولا ينفع من أَوثانكم.

ثمَّ ذكر تعالى الآية الكبرى، الصّنعة الدَّالَّة على الصَّانع، وذلك خلقه السَّماوات والأَرض.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ يتخرج على وجوه:

منها: أَن يريد أَحدهما فيذكر الاثنين[٤]، كما قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وذلك إِنَّما يخرج من الملح وحده.

ومنها: أَن يكون تعالى قد خلق السَّماوات وبثَّ دوابَّ لا نعلمها نحن.

ومنها: أَن يريد الحيوانات الَّتي توجد في السَّحاب وقد تقع أَحياناً كالضَّفادع

(١) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩١)، والطبري (٢١/ ٥٣٧) من طريق معمر، عن قتادة، عن عمر رضي الله عنه، وابن جرير أيضاً من طريق سعيد، عن قتادة به، وهو منقطع.

(٢) في أحمد٣ والسليمانية: «بعد».

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) في أحمد٣: «إحداهما»، وفيها: «فذكر الآيتين».

ونحوها، فإِنَّ السَّحاب داخل في اسم السَّماءِ[١].

وحكى الطبريُّ عن مجاهد أَنَّه قال في تفسير ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾: هم النّاسُ والملائكة[٢]، وبعيد غير جارٍ على عُرف اللُّغة أَن تقع الدَّابَّة على الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ يريد: يوم القيامة عند الحشر / من القبور. [٥/ ٦٢]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ...﴾:

قرأَ جمهور القراءِ: ﴿فَبِمَا﴾ بفاءٍ، وكذلك هي في جُلِّ المصاحف.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿بِمَا﴾ دون فاءٍ[٣].

وحكى الزَّجّاج: أَنَّ أَبا جعفر وحده من المدنيّين أَثبت الفاءَ[٤].

قال أَبو عليٍّ الفارسيُّ: ﴿أَصَابَ﴾ من قوله: ﴿مَآ أَصَابَ﴾: يحتمل أَن تكون في موضع جزم وتكون ﴿مَآ﴾ شرطية، وعلى هذا لا يجوز حذف الفاءِ عند سيبويه، وجوَّز حذفها أَبو الحسن الأَخفش وبعض البغداديين على أَنَّها مُرادة في المعنى.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿أَصَابَ﴾ صِلَةً لـ﴿مَآ﴾، وتكون ﴿مَآ﴾ بمعنى (الَّذي)، وعلى هذا يتجه[٥] حذف الفاءِ وثبوتها، لكن معنى الكلام مع ثبوتها بالتَّلازم، أَي: لولا كَسْبُكُم ما أَصابتكم مصيبة، والمصيبة إِنَّما هي بسبب كسْب الأَيدي.

ومعنى الكلام مع حذفها يجوز أَن يكون التَّلازم، ويجوز أَن يُعَرَّى منه، وأَمَّا في هذه الآية فالتَّلازم مطَّرد مع الثُّبوت والحذف[٦].

---

(١) في السليمانية: «الماء».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥٣٨).

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة في القراءات (ص: ٥٨١)، والتيسير (ص: ١٩٥)، والنشر (٢/ ٣٦٧).

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩٩) ولفظه: خلا أَبَا جَعفر فإنه يثبت الفاء، وهي رواية الهاشمي كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٣٣). وفي المطبوع: «وغيره»، مع الإشارة للنسخة الأخرى «وحده».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «يجوز».

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١٢٩). وسقط «في المعنى» من السليمانية.

وأَمّا معنى الآية فاختلف النّاس فيه:

فقالت فرقة: هي إِخبارٌ من الله تعالى، بأن[١] الرَّزايا والمصائب في الدُّنيا إِنَّما هي مجازاة من الله تعالى على ذنوب المرءِ، وتمحيص لخطاياه[٢]، وإِنَّ الله تعالى يعفو عن كثير فلا يعاقب عليه بمصيبة.

قال النَّبيُّ ﷺ: «لا يصيب ابن آدم خدش عود أَو عثرة قدم ولا اختلاج عرق، إِلّا بذنب، وما يعفو عنه أَكثر»[٣].

وقال عمران بن حصين وقد سئل عن مرضه: إِنَّ أَحبَّه إِليَّ أَحبُّه إِلى الله وهذا مما كسبت يداي، وعفو ربِّي كثير[٤].

---

(١) في المطبوع: «فإِنَّ».

(٢) «تمحيص» ليست في الأصل، والسليمانية فيها: «خطاياه»، دون اللام.

(٣) روي من طرق مرسلة، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٣٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨١٥) من طريق شيبان النحوي كلاهما ـ سعيد، وشيبان ـ عن قتادة مرسلاً، وقد رواه أيضاً الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً، وهو يقوي مرسل قتادة أخرجه هناد في الزهد (٤٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٨١)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣١٩) من طريق إسماعيل بن مسلم العبدي، عن الحسن مرسلاً.

(٤) صحيح، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٦١)، من طريق جرير بن حازم، عن حميد بن هلال، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عمران بن حصين، بنحوه، ومن طريق ابن المبارك أخرجه ابن أبي الدنيا في الرضا بقضاء الله (٦٠)، وأخرجه المروزي أيضاً في زوائده (٤٦٢) من طريق جعفر ابن حيان قال: اشتكى عمران بن حصين شكوة فقال: بعض من يأتيه قد كان يمنعنا من إتيانك ما نرى عندك قال: فلا تفعل فإن أحبه إلي أحبه إلى الله تعالى. وجعفر بن حيان أبو الأشهب العطاردي ذكره ابن المديني في جماعة ذكر أنهم لم يلقوا أحداً من الصحابة، يعني فتكون روايته عن الصحابة مرسلة. انظر جامع التحصيل (٩٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٨٣٨) من طريق أبي الأشهب جعفر بن حيان، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٠٧، رقم ٢٠٥)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٢٠) من طريق المبارك بن فضالة كلاهما ـ جعفر ـ والمبارك ـ عن الحسن البصري قال: دخلنا على عمران بن الحصين في مرضه الشديد الّذي أصابه، فقال رجل منّا: إنّي لا بد أن أسألك عما أرى من الوجع بك، فقال عمران: يا أخي لا تفعل فوالله أن أحبّه إليَّ أحبّه إلى الله تعالى. =

وقال مُرَّة الهمدانيُّ[(١)]: رأَيت على ظهر كفِّ شريح قُرْحة، فقلت ما هذا؟ قال: هذا بما كسبت يدي، ويعفو عن كثير.

وقيل لأَبي سليمان الداراني: ما بالُ الفضلاءِ لا يلومون من أَساءَ إِليهم؟ فقال: لأَنَّهم يعلمون أَنَّ الله تعالى هو الّذي ابتلاهم بذنوبهم[(٢)].

وروي عن عليٍّ بن أَبي طالب عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «إِنَّ الله أَكرم من أَن يُثَنِّي على عبده العقوبة، إِذا أَصابته في الدُّنيا مصيبة[(٣)] بما اكتسبت يداه»[(٤)].

= قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾. هذا بما كسبت يداي وعفو ربّي تعالى فيما بقي، ورواية الحسن عن عمران منقطعة، فإنه لم يسمع منه كما قاله علي ابن المديني، والقطان، وابن معين، وصالح بن أحمد، وانظر جامع التحصيل (١٣٥). وقد تحرف في المطبوع من المعجم الكبير قوله «عن مبارك بن فضالة، عن الحسن قال: دخلنا على عمران» إلى «عن الحسن قال: دخلنا على الحسن»، وانظر مجمع الزوائد (٣/ ٣٠). وفي الحمزوية وأحمد٣: «قال عمرو».

(١) في المطبوع: «الهمذاني»، وهو مرة الطيب ـ ويلقب أيضاً مرة الخير لعبادته ـ بن شراحيل الهمداني الكوفي، مخضرم كبير القدر، روى عن: أبي بكر، وعمر، وعنه: أسلم الكوفي وجماعة، وثقه يحيى ابن معين، توفي قبل سنة (٩٠هـ)، تاريخ الإسلام (٦/ ١٩٥).

(٢) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٠). وفي أحمد٣ والمطبوع: «كسبت يداي».

(٣) ليست في الأصل، وفي السليمانية: «بما كسبت».

(٤) حسن غريب، أخرجه أحمد (١/ ٩٩)، والترمذي (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢٦٠٤)، والبزار (٤٨٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٤٢٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧، ٢/ ٤٤٥، ٤/ ٣٨٨)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٢٨) من طريق حجاج بن محمد المصيصي، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة، عن علي رضي الله عنه به، بنحوه بألفاظ مختلفة، وأخرجه عبد بن حميد (٨٧)، والبزار (٤٨٣) من طريق أبي حمزة ثابت الثمالي، عن أبي إسحاق به، قال الترمذي: حسن غريب، كما في تحفة الأشراف (١٠٣١٣)، وقد تابعه عبد الملك بن أبي سليمان كما أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٤٢٤-٤٢٥) من طريق يوسف بن عدي، عن إسحاق بن يوسف الأزرق، عن عبد الملك، عن أبي إسحاق به، بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٨٠) من طريق أبي سعيد بن أبي الوضاح، عن أبي الحسن، عن أبي جحيفة به، بنحوه، وأخرجه أحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة (٥٨١٢)، وأحمد (١/ ٨٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٢٢١)، وأبو يعلى (٤٥٣-٦٠٨)، والدارقطني في المؤتلف =

وقال الحسن بن أَبي الحسن: معنى الآية في الحدود، أَي: ما أَصابكم [من حدٍّ][(١)] من حدود الله وتلك مصائب تنزل بشخص الإِنسان ونفسه فإِنَّما هي بكسب أَيديكم، ويعفو الله عن كثير، فيستره على العبد حتّى لا يُحَدَّ عليه[(٢)].

ثمَّ أَخبر عن قُصور ابن آدم وضعفه، وأَنَّه في قبضة القدرة، لا يعجز طلب ربِّه، ولا يمكنه الفرار منه.

و﴿الْجَوَاري﴾: جمع جارية، وهي السَّفينة، وقرأَ: ﴿الْجَوَارِي﴾ بالياءِ نافعٌ، وعاصمٌ، وأَبو عمرو وأَبو جعفر، وشيبة، ومنهم من أَثبتها في الوصل ووقف على الرّاءِ.

وقرأَ أَيضاً عاصم بحذف الياءِ في وصل ووقف، وقال أَبو حاتم: نحن نُثْبتها في كلِّ حالٍ[(٣)].

و(الأَعلامُ): الجبالُ، ومنه قول الخنساءِ:

وإِنَّ صَخْـراً لَتَأْتَـمُّ الْهُـدَاةُ بِـهِ ... كَـأَنَّـهُ عَلَمٌ في رَأْسِــهِ نَــارُ[(٤)] [البسيط]

= (٢/ ٨٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٨٨)، والدولابي في الكنى (١٠٣١) من طريق مروان ابن معاوية، عن أزهر بن راشد الكاهلي، عن الخضر ابن القواس البجلي، عن أبي سخيلة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل أخبرني نبي الله ﷺ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ فالله أكرم من أن يثني عليهم العقوبة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه. وأزهر بن راشد الكاهلي ضعيف، وشيخه الخضر بن القواس مجهول، وأبو سخيلة مجهول، وسقط من إسناد الحاكم الخضر بن القواس.

(١) سقط من السليمانية.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥٣٩). وفي السليمانية: «بكسب أيديهم».

(٣) قد أثبت هذا الحرف في الحالين ابن كثير، وفي الوصل نافع وأبو عمرو، والباقون بالحذف في الحالين، انظر التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨١). وسقط ذكر أبي عمرو من السليمانية.

(٤) بيت مشهور للخنساء ترثي أخاها صخراً صرح بعزوه لها في الاشتقاق (ص: ٢٠٩)، والشعر والشعراء (١/ ٣٣٥)، والكامل للمبرد (١/ ١٨٢)، والعقد الفريد (١/ ٣٤٤)، والأغاني (٩/ ٣٨٣)، وفي صدر البيت اختلاف بين الروايات.

ومنه المثل: إِذا قطعن عَلَماً بدا عَلَم[١]، فَجَرْيُ السُّفن في الماءِ آيةٌ عظيمة، وتسخير الرّيح لذلك نعمة منه تعالى، وهو تعالى لو شاءَ أَن [يديم سكون الريح][٢] عنها لركدت، أَي أَقامت وقرَّت ولم يتمَّ منها غرض.

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ واحدة، وقرأَ: ﴿الرِّياحَ﴾ نافع، وابن كثير، والحسن[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿فَيَظۡلَلۡنَ﴾ بفتح اللام، وقرأَ قتادة: (فَيَظْلِلْنَ) بكسر اللام[٤].

وباقي الآية بَيِّنٌ، فيه الموعظة، وتشريف الصَّبَّار الشَّكور بالتَّخصيص، والصَّبر والشكر فيهما الخير كلّه، ولا يكونان إِلَّا في عالِمٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

أَوْبَقتُ الرجل: إِذا أَنشبته في أَمر يهلك فيه، فالإِيباق في السُّفن هو تغريقها، والضمير في ﴿كَسَبُواْ﴾ هو لركَّابها[٥] من البَشَر، أَي: بذنوب البشر.

ثم ذكر تعالى ثانية: ﴿وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾ مبالغةً وإِيضاحاً.

---

(١) وأصله بيت من الرجز لجرير كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٤)، وسقطت لفظة «المثل» من السليمانية.

(٢) في أحمد٣: «الرياح»، في المطبوع بدلًا مما بين القوسين: «يُسْكن الرِّياح». وفي السليمانية: «ولو شاء سكون الرياح لركدت...».

(٣) وهما سبعيتان، الأولى للجمهور غير نافع، انظر السبعة (ص: ١٧٣)، والتيسير (ص: ٧٨)، فذكر ابن كثير خطأ، والله أعلم.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص٤٢٣).

(٥) في أحمد٣: «له كأنها».

وقرأَ نافع، وابن عامر، والأَعرج، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالرَّفع على القطع والاستئناف، وحسن ذلك إِذا جاءَ بعد الجزاءِ.

وقرأَ الباقون والجمهور: ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالنَّصب[١] على تقدير (أَن).

وهذه الواو [ونحوها هي الَّتي يسميها][٢] الكوفيون وَاوَ الصَّرْفِ؛ لأَنَّ حقيقة واو الصَّرف هي الَّتي تريد بها عطف فعل على اسمٍ فتقدِّر (أَنْ) لتكون مع الفعل بتأْويل المصدر فيحسن[٣] عطفه على الاسم، وذلك نحو قول الشاعر:

.... تَقَضِّي لُبَانَاتٍ وَيَسْأَمَ سَائِمُ[٤] [الطويل]

فكأَنَّه أَراد: وسَآمَةُ سائِم، [فقدَّر: وأَن يسأَم][٥]، ليكون ذلك بتأْويل المصدر الَّذي هو سآمة.

قال أَبو عليٍّ: حسن النَّصب إِذا كان قبله شرط وجزاءٌ، وكلُّ واحد منهما غير واجب[٦].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [هو معلومهم الَّذي أَراد أَن يعلمه المجادلون في آياته عزَّ وجلَّ، و«المحيص»: المنْجى وموضع الروغان][٧]، يقال: حاصَ: إِذا راغ.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٨١)، والتيسير (ص: ١٩٥)، والنشر (٢/ ٣٦٧).

(٢) في أحمد٣: «نحو التي نسختها».

(٣) في المطبوع: «فيجيءُ».

(٤) صدره: لَقَدْ كانَ في حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ، وهو للأعشى كما في مجاز القرآن (١/ ٧٢)، والجمل في النحو (ص: ١٦٧)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٣٨)، والمقتضب (١/ ٢٧)، والأصول في النحو (٢/ ٤٧)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٦)، والأغاني (٢/ ٢٣٤).

(٥) في أحمد٣: «فقال ويسأم سائم».

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١٣١).

(٧) سقط من أحمد٣.

وفي حديث هرقل: فَحاصوا حَيْصَةَ حُمُر الوحش إِلى الأَبواب[١].

ثمَّ وعظ تعالى عباده وحقَّر عندهم أَمر الدُّنيا وشأْنها، ورَغَّبهم فيما عنده من نعيمهم والمنزلة الرَّفيعة لديه، وعظَّم قدر[٢] ذلك في قوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ الآية.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ على الجمع.

قال الحسن: هي كلُّ ما تُوُعِّدَ فيه بالنّار[٣].

وقال الضّحّاك: أَو كان فيه حدٌّ من الحدود[٤].

وقال ابن مسعود: الكبائر من أَوَّل سورة النّساءِ إِلى رأْس ثلاثين آية[٥].

وقال عليُّ بن أَبي طالب، وابن عبّاس: هي كلُّ ما ختمه الله تعالى بنارٍ أَو غضب أَو لعنة أَو عذاب[٦].

---

(١) هذا جزء من حديث هرقل الذي أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) وليس عند مسلم هذا اللفظ.

(٢) في أحمد٣: «وزن».

(٣) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣١٩).

(٤) الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٠٢).

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٦/ ٦٤١)، والبزار في مسنده (١٥٢٣) من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود به، وأخرجه الطبري (٦/ ٦٤٢-٦٤٣)، والطبراني في الكبير (٨٥٠٤) من طريق عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود به، ومن طريق الطبراني أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٤٨)، وأخرجه الطبري (٦/ ٦٤١-٦٤٢) من طريق مسروق، وإبراهيم كلاهما عن ابن مسعود به، بنحوه.

(٦) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٦/ ٦٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٠) من طريق عبد الله ابن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، ولم أقف على قول علي بن أبي طالب، ولعل المؤلف قصد علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، كما عند الثعلبي (٣/ ٢٩٥).

وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: ﴿كَبِيرَ﴾ على الإفراد[١] الّذي هو اسم الجنس.

وقال ابن عبّاس: كبير الإِثم: هو الشِّرك والفواحش[٢].

وقال السّديُّ: الزِّنا، وقال مقاتل: موجبات الحدود[٣].

ويحتمل / أَن يكون ﴿كَبِيرَ﴾ اسم جنس بمعنى (كبائر)، فتدخل فيه الموبقات السَّبع على ما قد تفسَّر من أَمرها في غير هذه الآية. [٥/ ٦٣]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ حضٌّ على كسر الغضب والتَّدرب في إِطفائه؛ إِذ هو جمرة من جهنَّم، وباب من أَبوابها.

وقال رجل للنَّبيِّ ﷺ: أَوصني، قال: «لا تغضب»، قال: زدني، قال: «لا تغضب»[٤] [قال: زدني، قال: «لا تغضب»][٥].

ومن جاهد هذا العارض من نفسه حتّى غلبه فقد كُفي همّاً عظيماً في دنياه وآخرته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾ مدحٌ لكلِّ من آمن بالله تعالى وقبل شرعه.

ومدح تعالى القوم الّذين أَمْرهم شورى بينهم [لأَنَّ في ذلك][٦] اجتماع الكلمة، والتَّحابُّ واتصال الأَيدي، والتَّعاضد على الخير.

وفي الحديث: ما تشاور قوم قطُّ، إِلَّا هدوا لأَحسن ما بحضرتهم[٧].

---

(١) سبعيتان، الثانية لحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨١). وسقط «عاصم» من السليمانية، وذلك أولى.

(٢) بهذا اللفظ لم أهتد إليه.

(٣) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٢)، والأول في الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٠٣)، و«الزنا»: ليس في أحمد٣.

(٤) أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٥) سقط من المطبوع والسليمانية.

(٦) في السليمانية: «بأن».

(٧) «لأحسن» سقطت من أحمد٣، وفي السليمانية: «يحضرهم»، وهو صحيح من قول الحسن البصري، أخرجه ابن وهب في الجامع (٢٨١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٨) من طريق السري بن يحيى، =

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ معناه: في سبيل الله وبرسم الشرع وعلى حدوده في القوام الّذي مدحه الله تعالى في غير هذه الآية.

وقال ابن زيد: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ الآية، نزلت في الأَنصار[1].

والظّاهر أَنَّ الله تعالى مدح كلَّ من اتَّصف بهذه الصِّفة كائناً من كان، وهل حصل[2] الأَنصار في هذه الصفة إِلاَّ بعد سبق المهاجرين إِليها؟ [رضي الله تعالى عن جميعهم بِمَنِّه][3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

مدح الله تعالى في هذه الآية قوماً بالانتصار من البغي، ورجَّح ذلك قومٌ من العلماءِ، وقالوا: الانتصار بالواجب تَغْييرُ منكر، ومن لم ينتصر مع إِمكان الانتصار فقد ترك تغيير المنكر.

واختلف النّاس في المراد بالآية بعد اتِّفاقهم على أَن من بُغي عليه وظُلم، فجائز له أَن ينتصر بيد الحقِّ وحاكم المسلمين:

فقال مقاتل: الآية في المجروح ينتصف من الجارح بالقصاص[4].

وقالت فرقة: إِنَّها نزلت في بغي المشرك على المؤمن، فأَباح الله لهم الانتصار منهم دون تَعَدٍّ، وجعل العفو والإِصلاح مقروناً بأَجْر، ثمَّ نسخ جميع ذلك بآية السَّيف.

= وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٨٠٠) من طريق إياس بن دغفل، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٤١٤) من طريق عمران القطان، جميعهم ـ السري، وإياس، وعمران ـ عن الحسن البصري به.

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٤٦)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٠٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٠٦).

(٢) في السليمانية: «خص».

(٣) سقط من أحمد٣، وسقطت «إليها» من السليمانية: وفيها: «رضي الله عنهم».

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٣). وسقط «مقاتل» من أحمد٣. وفي السليمانية: «قتادة».

وقالت فرقة[١] هي الجمهور: إِنَّ المؤمن إِذا بغى على مؤمن وظلمه، فلا يجوز للآخر أَن ينتصف منه بنفسه ويُجَازيه على ظُلْمه، مثال ذلك: أَن يخون إِنسان آخر، ثمَّ يتمكن الآخر[٢] من خيانة الأَوَّل، فمذهب مالك رحمه الله تعالى أَلاَّ يفعل، وهو مذهب جماعة عظيمة معه، ولم يروا هذه الآية من هذا المعنى، واحتجّوا بقول النَّبيِّ ﷺ: «أَدِّ الأَمانة إِلى من ائتمنك، ولا تخُن من خانك»[٣]، وهذا القول أَنْزَهُ وأَقرب إِلى الله تعالى.

---

(١) في غير السليمانية: «هذه الفرقة».

(٢) في الأصل: «الإنسان».

(٣) له طرق لا تنهض للاحتجاج، هذا الحديث روي من طرق لا تسلم من ضعف، أولها: طريق أنس ابن مالك رضي الله عنه: أخرجه الطبراني في الصغير (٤٧٥)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٦٢)، والدارقطني في سننه (٢٩٣٧)، وفي مسند الشامين (١٢٨٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٧١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٣٢)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٠٢) من طريق أيوب بن سويد، عن عبد الله بن شوذب الخراساني، عن يزيد بن حميد الضبعي أبي التياح، عن أنس بن مالك مرفوعاً. وأَيُّوب بن سُوَيْد الرَّمْلِيّ السيبانِي ضعفه أَحْمد وغيرُه، وَقَالَ ابْن الْمُبَارك: ارْمِ بِهِ. وَذكره ابْن حبَان فِي ثقاته وَقَالَ: إِنَّه رَدِيء الْحِفْظ، قال ابن عدي: وهذا الحديث بهذا الإسناد لايرويه عن ابن شوذب غير أيوب بن سويد وهو منكر بهذا الإسناد. اهـ، وقال الطبراني: لم يروه عن أبي التياح يزيد بن حميد إلا عبد الله بن شوذب تفرد به أيوب ولا يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد. قلت: لم ينفرد أيوب بن سويد به فقد تابعه ضمرة بن ربيعة الفلسطيني كما أخرجه الطبراني في الكبير (٧٦٠) عن يحيى بن عثمان بن صالح المصري وهو صدوق، عن أحمد بن زيد الرملي وهو ثقة، عن ضمرة بن ربيعة الفلسطيني وهو صدوق، عن ابن شوذب، به، وهذه متابعة قوية، ثانيها: طريق أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه الدارمي في السنن (٢٥٩٧)، وأبو داود (٣٥٣٧)، والترمذي (١٢٦٤) وقال حسن غريب، والبزار في مسنده (٩٠٠٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٩١-٩٢)، والدارقطني في سننه (٢٩٣٦)، والطبراني في الأوسط (٣٥٩٥)، والقضاعي في مسنده (٧٤٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٧١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٠٢) من طريق طلق بن غنام النخعي، عن شريك النخعي، وقيس ابن الربيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، مرفوعاً بنحوه، قال أبو حاتم في العلل (٣/ ٥٩٤): طلقُ بنُ غنّامٍ هُو ابنُ عمِّ حفصِ بنِ غِياثٍ، وهُو كاتِبُ حفصِ بنِ غِياثٍ، روى حدِيثاً مُنكراً عن شرِيكٍ، وقيسٍ، عن أبِي حُصينٍ، عن أَبِي صالِحٍ، عن أَبِي هُريرة، عنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَدِّ الأمانة إِلى منِ ائتمنك، ولا تخُن من خانك»، ولم يروِ هذا الحدِيث غيرُهُ اهـ، قلت: وشريك بن عبد الله النخعي، صدوق يخطىء =

وقالت طائفة من أَهل العلم: هذه الآية عامَّة في المشركين والمؤمنين، ومن بُغي عليه وظُلم، فجائز له أَن ينتصف لنفسه، ويخون من خانه في المال حتّى ينتصر منه.

وقالوا: إِنَّ الحديث «ولا تَخُن من خانك» إِنَّما هو في رجل سأَل رسول الله ﷺ: هل يزني بِحُرْمَةِ من زنى بِحُرْمَتِه؟ فقال له النَّبيُّ ﷺ ذلك يريد به الزنا، وكذلك ورد الحديث في معنى الزنا[1]، ذكر ذلك الرواة، أَمَا إِنَّ عمومه ينسحب في كلِّ شيءٍ.

= كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وقيس بن الربيع الأسدي صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، قال البيهقي: وحَدِيثُ أَبِي حُصَيْنٍ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْهُ شَرِيكٌ الْقَاضِي وقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ. وقَيْسٌ ضَعِيفٌ وشَرِيكٌ لَمْ يَحْتَجَّ بِهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بالْحَدِيثِ وإِنَّمَا ذَكَرَهُ مُسْلِمُ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي الشَّوَاهِدِ.أهـ، وذكره ابن القطان الفاسي في بيان الوهم والإيهام (٣/ ٥٣٤) فقال تعقيباً على قول الترمذي: حسن غريب ولم يبين المانع من تصحيحه، وهو كونه من رواية شريك، وقيس ابن الربيع، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وشريك وقيس مختلف فيهما، وهم ثلاثة ولوا القضاء، فساء حفظهم بالاشتغال عن الحديث: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وشريك بن عبد الله، وقيس بن الربيع، وشريك مع ذلك مشهور بالتدليس، وهو لم يذكر السماع فيه. اهـ، ثالثها: طريق أبي بن كعب رضي الله عنه: أخرجه الدارقطني في سننه (٢٩٣٥) من طريق يوسف بن يعقوب، عن رجل من قريش، عن أبي بن كعب به، ويوسف بن يعقوب رجل من اليمن، يقال إنه ابن يعقوب ابن إبراهيم بن سعد بن يزدويه من الأبناء، يكنى أبا عبد الله، كان على قضاء صنعاء، قال أبو حاتم: شيخ مجهول، ومن طريق الدارقطني أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٠٣)، رابعها: طريق يوسف بن ماهك المكي، أخرجه أحمد (٣/ ٤١٤)، وأبو داود (٣٥٣٦)، والدولابي في الكنى (٣٥٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٧٠) من طريق يزيد بن زريع، عن حميد الطويل، عن يوسف ابن ماهك المكي، قال: كنت أكتب لفلان نفقة أيتام كان وليهم، فغالطوه بألف درهم، فأداها إليهم، ثم أدركت له مثلها من مالهم، فقلت: أقضي الألف الذي ذهبوا به منك؟ فقال: لا، حدثني أبي، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أد إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»، قال البيهقي: هُوَ فِي حكم الْمُنْقَطع، حَيْثُ لم يذكر يوسفُ بن مَاهك اسْمَ مَنْ حدَّثه، وَلَا اسْمَ مَنْ حدَّث عَنهُ من حَدثهُ، خامسها: طريق أبي أمامة الباهلي، أخرجه الطبراني في الكبير (٧٥٨٠)، وفي مسند الشامين (٣٤١٤) من طريق أبي حفص الدمشقي، عن مكحول، عن أبي أمامة مرفوعاً، وهُوَ ضَعِيف؛ لِأَن مَكْحُولاً لم يسمع من أبي أُمَامَة شَيْئاً وأَبُو حَفْص الدِّمَشْقِي مَجْهُول، سادسها: من طريق الحسن البصري مرسلاً، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٤٠٤) عن وكيع، عن الربيع، عن الحسن، مرسلاً.

(١) لم أقف على هذا السبب في طرق الحديث السابق.

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ﴾، قال الزَّجَّاج: سمَّى العقوبة باسم الذَّنب[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا إِذا أَخذنا السَّيِّئة في حقِّ الله تعالى بمعنى المعصية، وذلك أَن المجازاة من الله تعالى ليست سيِّئة إِلَّا إِن سُمِّيت باسم موجبتها، وأَمَّا إِن أَخذنا السَّيِّئة بمعنى المصيبة[٢] في حقِّ البشر، أَي: يسوءُ هذا هذا ويسوؤُه الآخر، فلسنا نحتاج إِلى أَن نقول: سَمَّى العقوبة باسم الذَّنب، بل الفعل الأَوَّل والآخر سيِّئة.

وقال ابن أَبي نجيح، والسُّديُّ: معنى هذه الآية: أَنَّ الرَّجل إِذا شُتم بشتمة، فله أَن يردها بعينها دون أَن يتعدى[٣].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: ما لم تكن حدّاً أَو عوراءَ جدّاً[٤].

واللَّام في قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ﴾ لام التقاءِ القَسَم.

وقوله: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [يريد: من سبيل][٥] حَرَج ولا سبيل حُكْم، وهذا إِبلاغ في إِباحة الانتصار والخلاف فيه، هل هو بين المؤمن والمشرك أَو بين المؤمنين على ما تقدَّم؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾﴾.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٠١).

(٢) في فيض الله والسليمانية والأصل: «المعصية»، وأشار لها في حاشية المطبوع، قال: ولا معنى لها هنا.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٥٤٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٣)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٠٦). و«السدي» سقط من أحمد٣.

(٤) انظر نحوه في تفسير السمعاني (٥/ ٨٢).

(٥) سقط من أحمد٣، وفيه: «أي».

المعنى: إِنَّما سبيل الحكم والإِثم على الَّذين يظلمون النّاس، أَي الَّذين يضعون الأَشياءَ غير مواضعها، من القتل وأَخْذ المال والأَذى باليد وباللِّسان.

و«البَغْيُ بغير الحقِّ»: هو نوع من أَنواع الظلم خصَّه بالذِّكر تنبيهاً على شدَّته وسوءِ حال صاحبه، ثمَّ توعدهم تعالى بالعذاب الأَليم في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ إِلى قوله: ﴿أَلِيمٌ﴾ اعتراض بين الكلامين، ثمَّ عاد في قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ إِلى الكلام الأَوَّل، كأَنَّه قال: وَلَمَن انتصر بعد ظُلْمه فأُولئك ما عليهم من سبيل، ولمن صَبَرَ وَغَفَر.

واللَّام في قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ يصحُّ أَن تكون لام القَسَم، ويصح أَن تكون لام الابتداءِ.

[و(مَن) ابتداءٌ، وخبره في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾][(١)].

و﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: مُحْكمها ومُتْقنها والحميد العاقبة منها.

ومن رأَى أَنَّ هذه الآية هي فيما بين[(٢)] المؤمنين والمشركين وأَنَّ الصَّبر[(٣)] للمشركين كان أَفضل قال: إِنَّ الآية نُسخت بآية السَّيف.

ومن رأَى أَنَّ الآية إِنَّما هي بين المؤمنين قال: هي محكمة، والصَّبرُ والغفران أَفضل إِجماعاً.

وقال رسول الله ﷺ: «إِذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: من كان له على الله أَجر فليقم، فيقوم عُنُق من النّاس كثير، فيقول: ما أَجركم؟ فيقولون: نحن الّذين / عفونا عمَّن ظلمنا في الدُّنيا»[(٤)]. [٥/ ٦٤]

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «ومن عزم خبره وقوله».

(٢) «بين»: سقطت من الأصل، وفي أحمد٣: «فتن» بدل «فيما بين».

(٣) في الأصل والسليمانية: «الضمير».

(٤) غريب، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٢٣) عن ابن فنجويه العدل، حدثنا محمد بن الحسن بن =

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ تحقير لأَمر الكفرة، فلا يبالي بهم أَحد من المؤمنين، فقد أَصارهم كفرهم وإِضلال الله إِيَّاهم إِلى ما لا فلاح لهم معه.

ثمَّ وصف تعالى لنبيِّه محمد ﷺ حالهم في القيامة عند رؤْيتهم العذاب[١]، فاجتزأَ من صفتهم وصفة حالهم بأَنَّهم يقولون: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾، وهذه المقالة تدُلُّ على سوءِ ما اطَّلعوا عليه.

و«الْمَرَدُّ»: موضع الرَّدِّ إِلى الدُّنيا، والمعنى الَّذي قصدوه أَن يكون ردٌّ فيكون منهم استدراكٌ للعمل والإِيمان.

والرُّؤْية في هذه الآية رؤْية عين.

والضَّمير في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا﴾ عائد على النّار، وعاد الضَّمير مع أَنَّها لم يتقدم لها ذكر من حيث دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ يحتمل أَن يتعلَّق بـ﴿خَٰشِعِينَ﴾.

ويحتمل أَن يتعلَّق بما بعده من قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (من الذِّلّ) بكسر الذّال[٢].

و«الْخُشُوعُ»: الاستكانة، وقد يكون محموداً، وإِنَّما يخرجه إِلى حالة الذَّمِّ قوله

= بشر، أخبرنا أبو العباس محمد بن جعفر بن ملاس الدمشقي، حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن بشر القريشي، حدثنا زهير بن عباد المدائني، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مرفوعاً به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ١٧٢) لابن مردويه، ولا يحتمل التفرد عن ابن عيينة بمثل هذا، وفي الباب عن أنس بن مالك أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٧-٤٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٨٧) من طريق الفضل بن يسار، عن غالب، عن الحسن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادي مناد يوم القيامة: من كان له أجر على الله ـ عز وجل ـ فليقم فليدخل الجنة، قالوا: ومن الذي أجره على الله عز وجل؟ قال العافين عن الناس، ثم قرأ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وفي السليمانية: «فيقال»، وفيها: «نحن الذين كنا».

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٤٦).

تعالى: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾، فيقوى على هذا تعلق ﴿مِّن﴾ بـ﴿خَٰشِعِينَ﴾.

وقوله: ﴿مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾ يحتمل ثلاثة معان:

قال ابن عبّاس ومجاهد: ﴿خَفِيّٖ﴾: ذليل(١).

قال القاضي أَبو محمد: لمَّا كان نظرهم ضعيفاً ولَحْظُهم بمهانة وُصف بالخفاءِ، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

[الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ(٢) ....

وقال قوم ـ فيما حكى الطَّبَريُّ ـ: لمَّا كانوا يُحشرون عُمْياً، وكان نظرهم بعيون قلوبهم جعله [طرْفاً خفيّاً](٣)، أَي: لا يبدو نظرهم. وفي هذا التأْويل تكلُّف.

وقال قتادة والسُّديُّ: المعنى: يسارقون النَّظر، لمَّا كانوا من الهمِّ وسوءِ الحال لا يستطيعون النَّظر بجميع العين، وإِنَّما ينظرون من بعضها قال: ﴿مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾؛ أَي: قليل(٤).

فالطَّرف هنا ـ على هذا التأْويل ـ يحتمل أَن يكون مصدراً، أَي: يطرف طرفاً خفيّاً.

و«قول الّذين آمنوا»: هو في يوم القيامة عندما عاينوا حال الكفّار وسوءَ منقلبهم.

و«خُسران الأَهلين»؛ يحتمل أَن يراد به أَهلوهم الّذين كانوا في الدُّنيا.

ويحتمل أَن يراد به: أَهلوهم الّذين كانوا يكونون(٥) لهم في الجنَّة أن لو دخلوها.

---

(١) أخرجه الطبري(٢١/ ٥٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه. «ومجاهد» من المطبوع ونجيبويه وأحمد٣.

(٢) تمامه: فَلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا، وهو لجرير كما في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩٢)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٣٧٩)، والعين (٤/ ٣٤١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٠٥)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٦٨)، والعقد الفريد (٢/ ٣٠٠)، والأغاني (٨/ ٩).

(٣) سقط من أحمد٣، وانظر تفسير الطبري (٢١/ ٥٥٤).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥٥٣).

(٥) في الحمزوية وأحمد٣: «يكذبون»، وسقطت «كانوا» من المطبوع، وسقطت «يكونون» من نور العثمانية.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ يحتمل أن يكون من قول المؤمنين يومئذ، حكاه الله عنهم.

ويحتمل أن يكون استئنافاً من قول الله تعالى وإخباره لمحمد ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾ إنحاءٌ على الأَصنام والأَوثان الّتي أَظهر الكفّار ولايتها، واعتقدت ذلك ديناً، المعنى: فما بالهم يُوالون هذه الّتي لا تضُرُّ ولا تنفع، ولكن من يُضْلِلِ الله فما له من سبيل هدى ونجاة.

ثمَّ أَمر تعالى نبيَّه أَن يأْمرهم بالاستجابة لدعوة الله وشريعته، وحذرهم إِتيان يوم القيامة الّذي لا يُرَدُّ أَحدٌ بعده إِلى عمل، والّذي لا ملجأَ ولا منجى لأَحد فيه، إِلَّا إِلَى العِلْم بالله تعالى والعمل الصالح في الدُّنيا، فأَخبرهم أَنَّه لا ملجأَ لهم ولا نكير.

و«النَّـكير» مصدر بمعنى الإِنكار، وهو بمنزلة عذير[1] الحيِّ، ونحوه من المصادر.

وقد يحتمل أَن يكون من أَبنية اسم الفاعل من (نكِرَ)، وإِن كان المعنى يبعد به؛ لأَنَّ (نكِرَ) إِنَّما معناه: لم يُمَيِّز وظنَّ الأَمر غير ما عهده.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تأْنيس لمحمد ﷺ وإِزالة لهمِّه بهم، وأَعلمه أَنَّه ليس عليه إِلَّا البلاغ إِليهم وتوصيل الحجَّة[2].

---

(١) في أحمد٣ والسليمانية: «غدير».

(٢) في أحمد٣: «عليه الإبلاغ لهم، والتوصل للحجة».

ثمَّ جاءَت عبارة في باقي الآية هي بمنزلة ما تقول: والقومُ قوم عُتُوٍّ وتناقض أَخلاق واضطرابٍ، إِذا أُذيقوا رحمةً فرحوا بها وبطروا، وإِن أصابت سيِّئة أَي مصيبة تَسُوؤُهم في أجسامهم أَو في نفوسهم ـ وذلك بذنوبهم وقبيح فعلهم ـ فإِنَّهم كُفُرٌ عند ذلك غير صُبُر.

وعبَّر بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الّذي هو اسم عامٌّ ليدخل في الآية والمذمة[١] جميعُ الكفرة من المجاورين يومئذ ومن غيرهم.

وجمع الضّمير في قوله: ﴿تُصِبۡهُمۡ﴾ وهو عائد على لفظ ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ من حيث هو اسم جنس يعمُّ كثيراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

الآيةُ الأُولى آيةُ اعتبارٍ دال على القدرة والملك المحيط بالجميع[٢]، وأَن مشيئَتَهُ تبارك وتعالى نافذة في جميع خلقه، وفي كلِّ أَمرهم، وهذا لا مدخل لصنم فيه، فإِنَّ الّذي يخلق ما يشاءُ ويخترع فإِنَّما هو الله تبارك وتعالى، وهو الَّذي يُقَسِّم الخلق، فيهب الإِناث لمن [يشاء أو يجعل بنيه][٣] نساءً، ويهب الذُّكور لمن يشاء على هذا الحدِّ، أَو ينوِّعهم؛ مرَّةً يهب ذكراً، ويهب مرَّة أُخرى أُنثى، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ﴾.

(١) في المطبوع: «في الآية المتقدمة».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «بالخلق».

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «شاءَ أَن يجعل نَسْلَهُ»، وفي حاشيته: في بعض النسخ: «بنيه»، وفي نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية: «يشاء أي يجعل بنيه»، وفي الحمزوية: «يشاء أن يجعل نفسه ميتاً»، وفي السليمانية: «أو ينوعهم مرة يهب ذكراً أو مرة يهب أنثى»، وفي فيض الله: «أن يجعل بنيه».

وقال محمد ابن الحنفية: يريد بقوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ التَّوْأَم، أَي: يجعل في بطنٍ زوجاً من الذرية ذكراً وأُنثى[١].

و«العقيم»: الّذي لا يُولد له، وهذا كلُّه مُدَبَّر بالعلم والقدرة، وهذه الآية تقضي بفساد وجود الخنثى المشكل.

وبدأ تعالى في هذه الآية بذكْر الإِناث تأْنيساً بهن وتشريفاً لهن، لِيُتَهَمَّم بصونهنَّ والإِحسان إِليهن.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «من ابتلي [من هذه البنات][٢] بشيءٍ فأَحسن إِليهن كنَّ له حجاباً من النّار»[٣] / . [٥/ ٦٥]

وقال واثلة بن الأَسقع: مِنْ يُمْن المرأَة تبكيرها بالأُنثى قبل الذَّكر؛ لأَنَّ الله تعالى بدأَ بالإِناث، حكاه عنه الثعلبيُّ[٤].

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٢١١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٥)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦١٦).

(٢) سقط من أحمد٣، وفيه وفي السليمانية: «وأحسن» بدل «فأحسن».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنه بلفظ: «كن له ستراً من النار».

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٤)، وهو منكر، أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٨٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٧) من طريق مسلم بن إبراهيم العبدي، عن حكيم بن حزام، عن العلاء بن كثير، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ: «من بركة المرأة تبكيرها بالأنثى أما سمعت الله تعالى يقول ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾»، وحكيم بن حزام هذا قال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ضعيف، وقال الساجي: يحدث بأحاديث بواطيل. انظر لسان الميزان (٢/ ٣٤٣). وأما العلاء بن كثير فقال أحمد ويحيى: ليس بشيء، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات. انظر المجروحين (٢/ ١٨١-١٨٢)، والميزان (٣/ ١٠٤)، ومن طريق الخرائطي أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٢٢٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٧٦)، وأورده السيوطي في اللآلىء (٢/ ١٤٩) وذكر له شاهدا أخرجه أبو الشيخ من طريق يوسف بن عطية، عن أبي معمر عباد بن عبد الصمد سمعت عائشة سمعت رسول الله يقول: «من بركة المرأة على زوجها تيسير مهرها وأن تبكر بالبنات»، ويوسف =

وقال إِسحاق بن بشر[١]: نزلت هذه الآية في الأَنبياءِ ثمَّ عمت، فلوطٌ أَبو البنات لم يولد له ذكر، وإِبراهيم ضدَّه، ومحمد ﷺ وُلد له الصنفان، ويحيى بن زكريا عقيم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ الآيَة، نزلت بسبب خَوْضٍ كان للكفَّار في معنى تكليم الله موسى ونحو ذلك، ذهبت قريش واليهود في ذلك إِلى تجسيم ونحوه، فنزلت الآية مُبَيِّنَةً صورة تكليم الله تعالى عباده كيف هو، فبيَّن تعالى أَنَّه لا يكون لأَحد من الأَنبياءِ ولا ينبغي له ولا يمكن فيه أَن يكلِّمه الله إِلَّا بأَن يوحي إِليه أَحد وجوه الوحي من الإِلهام، قال مجاهد: والنَّفْثُ في القلب[٢]، وقال النَّقّاش: أَو وحْي في منام[٣].

وقال إِبراهيم النَّخَعيُّ: كان من الأَنبياءِ من يُخَطُّ له في الأَرض ونحو هذا[٤].

أَو بأَن يُسْمعه كلامه دون أَن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزاً[٥] كموسى عليه السَّلام.

وهذا معنى ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾، أَي: من خفاءٍ عن المكلَّم[٦] لا يحدُّه ولا يتصوَّر بذهنه عليه، وليس كالحجاب في الشّاهد، أَو بأَن يرسل إِليه مَلَكاً يشافهه بوحي الله تعالى.

= ابن عطية الصفار متروك، وانظر الميزان (٤/ ٤٦٨-٤٦٩)، وأبو معمر عباد بن عبد الصمد منكر الحديث. انظر الميزان (٢/ ٣٦٩). وفي المطبوع: «وائل» بدل «واثلة»، وصححها في الحاشية.

(١) الكاهلي كما في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٥)، وهو إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي الكوفي، روى عن مالك، وأبي معشر، وعنه: محمد بن علي الأزدي، وآخرون، كذبه ابن أبي شيبة، وابن عدي، توفي سنة (٢٢٨هـ)، تاريخ الإسلام (١٦/ ٨٤).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٢٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢١٢)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦١٧).

(٣) البحر المحيط (٩/ ٣٤٩)، وحكاه الماوردي (٥/ ٢١٢) عن زهير بن محمد، وفي أحمد٣: «والرؤيا»، بدل «في منام».

(٤) تفسير السمعاني (٥/ ١٤٩). وفي الأصل: «كل من» بدل «كان».

(٥) في المطبوع والحمزوية: «خبراً».

(٦) في السليمانية: «المتكلم».

وقرأَ جمهور القراءِ والنّاسُ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ بالنصب ﴿فَيُوحِيَ﴾ بالنصب أَيضاً[١].

وقرأَ نافع، وابن عامر، وأَهل المدينة: ﴿أو يُرْسلُ﴾ بالرّفع ﴿فيُوحِي﴾ بسكون الياءِ ورفع الفعل، [وقرأ الباقون بنصبها][٢].

فأَمَّا القراءَة الأُولى فقال سيبويه: سأَلت الخليل، عنها فقال: هي محمولة على (أَنْ) غير الّتي في قوله: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾؛ لأَنَّ المعنى كان يفسد لو عطف على هذه، وإِنَّما التَّقدير في قوله تعالى: ﴿وَحْيًا﴾: إِلَّا أَن يُوحي وحياً[٣].

وقوله: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾؛ ﴿مِن﴾ متعلقة بفعل يدلُّ ظاهر الكلام عليه، تقديره: أَوْ يُكَلِّمه من وراءِ حجاب، ثمَّ عطف ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ على هذا الفعل المقدر.

وأَمَّا القراءَة الثَّانية فعلى أَنَّ ﴿يُرْسِلَ﴾ في موضع الحال وعلى القطع، كأَنَّه قال: أَو هو يرسلُ، وكذلك يكون قوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ مصدراً في موضع الحال، كما تقول: أَتيتُك ركْضاً وعَدْواً، وكذلك قوله: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ في موضع الحال أَيضاً، كما هو قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] في موضع الحال، فكذلك ﴿مِن﴾ وما عملت فيه في هذه الآية أَيضاً، ثمَّ عطف قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ على هذه الحال[٤] المتقدِّمة.

وفي هذه الآية: دليلٌ على أَنَّ الرسالة من أَنواع التَّكليم، وأَنَّ الحالفَ المُرْسِلَ حانثٌ إِذا حلف أَلَّا يكلِّم إِنساناً فأَرسل إِليه وهو لم ينو المشافهة وقتَ يمينه[٥].

---

(١) في أحمد٣: «وقرأ الجمهور». وسقطت «بالنصب» الأولى و«أيضاً».

(٢) زيادة من السليمانية، وهي تكرار بالمعنى، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨٢).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٩).

(٤) سقط من أحمد٣.

(٥) انظر البيان والتحصيل (٦/ ١٨٤).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، المعنى: وبهذه الطُّرق ومن هذا الجنس أَوحينا إِليك، [أي بالرسول][(١)].

و«الرُّوحُ» في هذه الآية: القرآن وهدى الشّريعة، سمَّاه روحاً من حيث يُحيي به البشر والعالم، كما يحيي الجسد بالروح، فهذا على جهة التَّشبيه.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ أَي: واحد من أُمورنا.

ويحتمل أَن يكون (الأَمر) بمعنى الكلام، و﴿مِّنۡ﴾ لابتداءِ الغاية.

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ توقيف على مقدار النِّعمة.

والضَّمير في ﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾ [عائد على ﴿الْكتَاب﴾].

و﴿نَّهۡدِي﴾ معناه: نُرْشد.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾ بفتح التاءِ وكسر الدّال.

[وقرأَ حوشب: (وإِنَّك لتُهدَى) بضمِّ التاءِ وفتح الدَّال على بناءِ الفعل للمفعول][(٢)].

وفي حرف أُبيٍّ: (لَتَدْعُو)، وهي تعضد قراءَة الجمهور[(٣)].

وقرأَ ابن السَّميفع، وعاصم الجحدريُّ: (لَتُهدِي) بضم التاءِ وكسر الدال[(٤)].

وقوله: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ يعني: صراط شرع الله ورحمته وجنته[(٥)]، فبهذا الوجه ونحوه من التَّقدير أُضيف الصِّراطُ إِلى الله تعالى، واستفتح القول في الإِخبار بصيرورة

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «أَي كالرُّسُل»، وفي الأصل: «أو بالرسل».

(٢) سقط من أحمد٣، وهي شاذة، عزاها لحوشب في مختصر الشواذ (ص: ١٣٥)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٢٨)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤٢٤)، والدر المصون (٩/ ٥٦٨)، واللباب (١٧/ ٢٢٤): ابن حوشب، فلعله شَهْرٌ المشهور.

(٣) في أحمد٣: «العامة»، وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٢٩)، وفي إعراب القرآن له (٤/ ٦٤): «وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ».

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٥٢).

(٥) سقط من المطبوع ونجيبويه.

الأُمور إِلى الله تعالى مبالغةً وتحقيقاً وتثبيتاً[١]، والأُمور صائرة [على الدَّوام][٢] إِلى الله تعالى، ولكن جاءَت هذه العبارة [مستقبلة تقريباً][٣] لمن في ذهنه أَنَّ شيئاً من الأمُور يرجع[٤] إِلى البشر.

وقال سهيل[٥] بن أَبي الجعد: احترق مصحف، فلم يبق منه إِلَّا قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[٦].

نجز تفسير (سورة الشّورى)، والحمد لله حقَّ حمده، والصلاة على محمد وآله[٧]

* * *

(١) في الحمزوية والسليمانية: «وتبييناً». وفي الأصل والمطبوع: «تخفيفاً».

(٢) سقط من السليمانية.

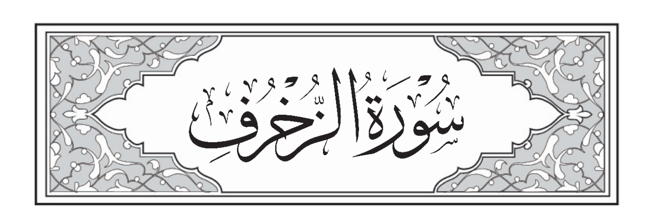
(٣) في المطبوع: «مستقلَّة تقريعاً»، وفي الحمزوية: «مستقيمة تقريباً». وفي أحمد٣: «مستقلة فقط». وفي السليمانية كلمة غير مقروءة.

(٤) «يرجع» من أحمد٣.

(٥) في المطبوع ونجيبويه والسليمانية: «سهل»، وسقط «ابن أبي الجعد» من أحمد٣، وهو أبو الأحدل سهيل ابن أبي الجعد، رأى عروة والمقبري، روى عنه سعيد بن أبي أيوب وحيوة، وسمع شرحبيل مولى الأنصار وعكرمة، التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ١٠٥).

(٦) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٦)، القرطبي (١٦/ ٦٠) وزاد: وغرق مصحف فامتحى كُلّ شيء فيه إلَّا قوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

(٧) من السليمانية، وفي المطبوع: «كمل تفسير سورة الشورى، والحمد لله رب العالمين». وفي فيض الله: «والحمد لله كما هو أهله ومستحقه وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورة الزُّخرُف

هذه السورة مكِّيَّة بإِجماع من أَهل العلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾.

تقدَّم القول في الحروف الَّتي في أَوائل السُّور[1].

وقوله: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ خفض بواو القَسَم.

و﴿الْمُبِين﴾ يحتمل أن يكون من (أَبانَ) الَّذي هو بمعنى: (بان)؛ أَي: ظهر، فلا يحتاج إِلى مفعول.

ويحتمل أَن يكون مُعَدّى من (بانَ)، فهذا لا بُدَّ من مفعول تقديره: المُبين الهدى أو الشَّرع ونحوه.

---

(١) ليس في أحمد٣.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ معناه: سمَّيناه وصيَّرناه، وهو إِخبارٌ عليه وقع القَسَم.

والضَّمير في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ عائد على (الكتاب).

و﴿عَرَبِيًّا﴾ معناه: بلسانكم لئلاّ يبقى لكم عذر.

وقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ترجٍّ بحسب معتقد البشر، أَي: إِذا أَبصر المُبْصر من البشر هذا الفعل منَّا يُرجى منه أَن يعقل الكلام ويفهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عطف على قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾، وهذا الإِخبار الثّاني واقع أَيضاً تحت القَسَم.

و«أُمُّ الكِتاب»: اللَّوح المحفوظ، وهذا فيه تشريف للقرآن وترفيع.

واختلف المتأَوِّلون، كيف هو في أُمِّ الكتاب؟:

فقال قتادة، وعكرمة، والسُّديُّ، وعطيَّة بن سعد: القرآن بأَجمعه فيه منسوخٌ[1]، ومنه ما[2] كان جبريل عليه السلام ينزل، وهنالك هو عليٌّ حكيم. / [٥/ ٦٦]

وقال جمهور النّاس: إِنَّما في اللَّوح المحفوظ[3] ذِكْرُهُ ودرجتهُ ومكانتهُ من العُلُوِّ والحكمة.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿فِىٓ أُمِّ﴾ بضمِّ الهمزة.

وقرأَها بكسر الهمزة يوسف بن عُمَر والي العراق[4]، وعيسى بن عُمَر[5].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٦٦)، وفي المطبوع وأكثر النسخ: «بن سعيد»، وهو خطأ.

(٢) «ما» من السليمانية وفيض الله ونور العثمانية.

(٣) ليس في أحمد٣.

(٤) هو يوسف بن عمر الثقفي الأمير، ولي اليمن لهشام، ثم نقله إلى إمرة العراقين فأقره الوليد بن يزيد وأضاف إليه إمرة خراسان، وكان مهيباً جباراً ظلوماً، قتله يزيد بن خالد القسري سنة (١٢٧هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٣١٥).

(٥) وهما سبعيتان، الكسر لحمزة، كما في التيسير (ص: ٩٤)، والسبعة (ص: ٢٢٨)، ولم أجدها لابني عمر المذكورين.

وقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ بمعنى: أَفَنَتْرك، تقول العرب: أَضربتُ عن كذا وضربتُ إِذا أَعرضت عنه وتركته.

و﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ هو الدُّعاءُ إِلى الله تعالى والتَّذكيرُ بعذابه والتَّخويفُ من عقابه.

قال أَبو صالح: ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ هنا أَراد به العذابَ نفسه.

وقال مجاهد، والضَّحّاك: ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾: القرآن(١).

وقوله تعالى: ﴿صَفۡحًا﴾ انتصابه كانتصاب ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨]، فيحتمل أَن يكون بمعنى العفو والغَفْر للذنب، فكأَنَّه يقول: أَفنتْرُكُ تذكيركم وتخويفكم عفواً عنكم وغفْراً لِإِجرامكم إِذ كُنْتُمْ، أَو من أَجْل أَن كنتم قوماً مسرفين؟ أَي هذا لا يصلح، وهذا هو قول ابن عبّاس(٢)، ومجاهد(٣).

ويحتمل قوله: ﴿صَفۡحًا﴾ أَن يكون بمعنى: مَغْفُولاً عنه، أَي نتركه يَمُرُّ(٤) لا تؤخذون بقبوله(٥) ولا بتدبره، ولا تُنَبَّهون عليه، وهذا المعنى نظير قول الشاعر:

تَمُرُّ الصَّبَا صفحاً بِساكِنِ ذي الْغَضَى ... ويَصْـدَعُ قَلْبـي أَن يَهُـبَّ هُبُوبُها(٦) [الطويل]

أَي: تَمُرُّ مغفولاً عنها، فكأَنَّ هذا المعنى: أَفنَتْرُكُكُم سُدًى؟ وهذا هو مَنْحى قتادة وغيره، ومن اللَّفظة قول كُثَيِّر:

---

(١) انظر القولين في الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٢٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٣٥). و«مجاهد» سقط من السليمانية.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٤٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٥٦٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢١٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٢٤).

(٤) في السليمانية وأحمد٣: «مهمولًا»، وكذا في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «نتركه مهمولًا».

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «بقوله»، وفيه: «ولا تدبره».

(٦) تقدم التعليق عليه في تفسير الآية (١٠٣) من (سورة يوسف).

صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بَخيلَةً   فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصلَ مَلَّتِ[١]   [الطويل]

وقرأ السَّميط بن عمرو السّدوسيُّ[٢]: (صُفْحاً) بضمِّ الصّاد[٣].

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائيُّ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ بكسر الأَلف، وهو جزاءٌ دلَّ ما تقدم على جوابه.

وقرأ الباقون، والأَعرج، وقتادة: ﴿أَن كُنتُمْ﴾ بفتح الأَلف، بمعنى: من أَجل أن كنتم[٤].

وفي قراءَة ابن مسعود: (إِذْ كُنْتُمْ)[٥].

و«الإِسْرَافُ» في الآية: هو الكفر والضَّلال البعيد في عبادة غير الله عز وجل والتشريك[٦] به.

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الآيات تسليةٌ لمحمد ﷺ، وذكر أُسْوَة له ووعيدٌ لهم وتهديدٌ بأَن يصيبهم ما أَصاب من هو أَشدّ بطشاً منهم.

و«الأَوَّلُونَ»: هم الأُمم الماضية، كقوم نوح وعادٍ وثمود وغيرهم.

والضَّمير في قوله: ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ظاهره العموم، والمراد به الخصوص فيمن استهزءُوا، وإِلَّا فقد كان في الأَوَّلين من لم يستهزئ.

---

(١) البيت لكثير عزة كما في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٨)، والزاهر للأنباري (١/ ٢٧١)، وأمالي القالي (٢/ ١٠٧)، والأغاني (٩/ ٣٦).

(٢) هو سميط بن عمير أو ابن عمرو أو ابن سمير أبو عبد الله السدوسي البصري، يقال: إنه سار إلى عمر، وروى عن أبي موسى، وعمران بن حصين، وعنه: عاصم الأحول، توفي قبل المئة. تاريخ الإسلام (٦/ ٣٨٢).

(٣) وهي شاذة انظر ها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٢٤). وفي أحمد٣: «صفوحاً»، مع الإشارة للمثبت.

(٤) ليست في أحمد٣، وهما سبعيتان، التيسير (ص: ١٩٥)، والسبعة (ص: ٥٨٤).

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٤)، لزيد بن علي، وكذا في البحر المحيط (٩/ ٣٦٠).

(٦) في السليمانية وأحمد٣: «الشرك».

والضَّمير في ﴿مِنْهُم﴾ عائد على قريش.

وقوله تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: سَلَفَ أمرهم وسُنَّتُهُمْ وصاروا عبرةً غابر الدَّهر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآيَةَ؛ ابتداءُ احتجاج على قريش يوجب عليهم التَّناقض في أَمرهم، وذلك أَنَّهم يُقِرُّونَ أَنَّ الخالق الموجد لهم وللسَّماوات والأَرض هو الله تعالى، وهم مع ذلك يعبدون أَصناماً ويدعونها آلهتهم، ومُقتضى جواب قريش أَن يقولوا: خلقهنَّ الله، فلمَّا ذكر تعالى المعنى، جاءَت العبارة عن الله بـ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ليكون ذلك توطئة لما عدّد بعد ذلك من أَوصافه الَّتي ابتدأَ الإِخبار بها وقطعها من الكلام [الَّذي حكى معناه عن قريش][1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

هذه[2] أَوصاف فعل، وهي نِعَم من الله تعالى على البشر تقوم بها الحجَّة على كلِّ كافر مشرك بالله تعالى.

[وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ ليس من قول المسؤولين[3]، بل هو ابتداءُ إِخبار من الله تعالى][4].

---

(١) سقط من أحمد٣، وكذا لفظ: «عن الله» من الفقرة فوقه.

(٢) في أحمد٣: «الآية».

(٣) في الحمزوية: «المشركين».

(٤) وردت هذه الفقرة في أحمد٣ قبل «السبل: الطرق»، وسقط منه: «الذي جعل لكم»، وفي السليمانية: «وهو»، مع الإشارة الأخرى.

وقرأ جمهور النّاس: ﴿مِهَاداً﴾.

وقرأ ابن مسعود وطلحة والأعمش: ﴿مَهْدًا﴾[١]، والمعنى واحد؛ أَي: يُتَمَهَّد ويُتَصَرَّف فيها.

و«السُّبُل»: الطُّرُق.

و﴿تَهْتَدُونَ﴾ معناه: في المقاصد من بلد إِلى بلد ومِن قُطْر إِلى قُطْر.

ويحتمل أَن يريد: تهتدون بالنَّظر والاعتبار.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هو المطر بإِجماع.

واختلف المتأَوِّلون في معنى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾:

فقالت فرقة: معناه: بقضاءٍ وحتْم في الأَزل.

وقال آخرون: المعنى: بقدر في الكفاية للصَّلاح، لا إِكثار فيُفْسد، ولا قِلَّة فيقصر، بل غيثاً مُغيثاً سيلاً[٢] نافعاً.

وقالت فرقة: معناه: بتقدير وتحديد[٣]، أَي: قدراً مًّا معلوماً.

ثمَّ اختلف قائلو هذه المقالة:

فقال بعضهم: يُنْزل كلَّ عام ماءً قدراً واحداً، لا يَفْضُل عامٌ عاماً، لكن يكثر مرَّة هاهنا ومرَّة هاهنا.

وقالت فرقة: بل يُنزل الله تعالى تقديراً ما في عام، ويُنزل في آخر تقديراً آخر بحسب ما سبق به قضاؤُه لا إِله غيره.

(١) بل هي قراءة الكوفيين جميعاً، فهما سبعيتان، كما تقدم في حرف (طه)، ولعله اشتبه على المصنف أنهم إنما ذكروها هناك.

(٢) في الأصل: «سبلًا».

(٣) في أحمد٣ وأحمد٣: «تحرير».

و(أَنشَرْنَا) معناه: أَحْيَيْنَا، يقال: نَشَرَ الميتُ وأَنشره الله[(١)].

و﴿بَلۡدَةً﴾: اسم جنس، ووصفها بـ﴿مَّيۡتًا﴾ دون ضمير من حيث هي واقعة موقع: قُطْر، ونحوه؛ إذ التأْنيث فيها غير حقيقي.

وقرأَ الجمهور: ﴿مَّيۡتًا﴾ بسكون الياءِ.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿مَيِّتاً﴾ بياءٍ مكسورة مشدَّدة، وهي قراءَة عيسى بن عمر[(٢)].

والأول أَرجح لِشَبَه لفظها بـ: زوْرٍ وعَدْل، فَحَسُن وصف المؤنث بها.

وقرأَ أَكثر السَّبعة، والأَعرج، وأَبو جعفر: ﴿كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ بضمِّ التّاءِ وفتح الرَّاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، وابن عامر، وابن وثاب، وعبد الله بن جُبَيْر المصيح[(٣)]، وعيسى: ﴿وكذلك تَخرجون﴾ بفتح التاء وضم الراء[(٤)].

و﴿ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾: الأَنواع من كلِّ شيءٍ، و﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ﴾ للتَّبعيض، وذلك أَنَّه لا يُركب من الأَنعام غير الإِبل، وتدخل الخيل والبغال والحمير فيما يُركب بالمعنى.

واللَّام في قوله: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ﴾ لام الأَمر، ويحتمل [أَن تكون][(٥)] لام (كي).

و﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾ واقعة على النوع المركوب.

والضَّمير في ﴿ظُهُورِهِۦ﴾ عائد على النَّوع الَّذي وقعت عليه ﴿مَا﴾.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «غيره».

(٢) وهي عشرية، عزاها لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٢٤).

(٣) سقط من المطبوع والسليمانية، وفي البحر المحيط (٩/ ٣٦١): «المصبح»، ولم أعرفه.

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٨٤)، والنشر (٢/ ٢٦٧)، وخصها في التيسير (ص: ١٠٩)، عن ابن عامر برواية ابن ذكوان، وانظر البحر المحيط (٩/ ٣٦١). وسقط «أبو جعفر» من أحمد٣، و«ابن عامر» من الأصل.

(٥) ليس في أحمد٣.

وقد بَيَّنَت آيةٌ أُخرى ما يقال عند ركوب الفُلك وهو: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١]، وإِنَّما هذه خاصة هنا[١] فيما يركب من الحيوان، ويقال / [٥/ ٦٧] عند النُّزول منها: اللهمَّ، أَنزلنا منزلاً مباركاً وأَنت خير المنزلين.

والسُّنَّة للراكب [إذا ركب][٢] أن يقول: الحمد لله على نعمة الإِسلام، أَو على النِّعمة بمحمد ﷺ، أَو على النّعمة في كلِّ حال، وقد روي هذا اللَّفظ عن عليّ بن أَبي طالب عن النَّبيِّ ﷺ، [ثمَّ يقول: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي﴾ الآية[٣].

وركب أَبو مِجْلز لاحق بن حميد وقال:][٤] ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ الآية، ولم يذكر نعمة[٥]، وسمعه الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه، فقال: ما هكذا أُمرتم، ثم قال أَبو مجلز: فقلت له: فكيف أَقول؟ قال: قل: الحمد لله الّذي هدانا للإِسلام، أَو نحو هذا، ثمَّ تقول بعد ذلك: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي﴾ الآية[٦].

---

(١) «هنا» من أحمد٣.

(٢) ليس في أحمد٣.

(٣) لم أجده، وانظر التعليق الآتي، إنما أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٣٩١) والطبراني في الدعاء (٧٧٥) من طريق: سفيان الثوري، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، أن حسين بن علي رأى رجلاً ركب دابة فقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾، قال أفبهذا أمرت، قال: كيف أقول؟ قال: الحمد لله الذي هداني للإسلام الحمد لله الذي من علي بمحمد ﷺ، الحمد لله الذي جعلني في خير أمة أخرجت للناس، ثم تقول: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾. أبو هاشم هو الرماني واسمه يحيى، وأبو مجلز هو لاحق بن حميد، وجميعاً ثقات، لكنَّ أبا مجلز لم يصرح بسماعه من الحسين، وهو ممن يرسل.

(٤) سقط من السليمانية وأحمد٣.

(٥) في أحمد٣: «غيره».

(٦) رواه أبو هاشم الواسطي يحيى بن دينار عن أبي مجلز لاحق بن حميد، واختلف على أبي هاشم، فرواه عنه الثوري عن أبي مجلز أن الحسن بن علي رأى رجلاً، ورواه عاصم الأحول عن أبي هاشم عن أبي مجلز قال: ركبت دابة فقلت... إلخ، ورواته ثقات، لكن رواية الثوري ظاهرها الإرسال، ورواية عاصم متصلة، والثوري أحفظ من عاصم، وقد وقع اختلاف فيمن جرت معه القصة، فقيل: الحسن بن علي، وقيل: الحسين بن علي، ينظر: المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٣٩١)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٨)، والدعاء للطبراني (٧٧٥).

وكان طاوس إِذا ركب قال: اللهمَّ إن هذا من منِّك وفضلك، ثمَّ يقول: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي﴾ الآية[١].

وإن قدَّرنا أَنَّ ذكْر النِّعمة هو بالقلب والتَّذكُّر بدأ الراكب بـ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ﴾، وهو يرى نعمة الله في ذلك وفي سواه.

و«الْمُقْرِنُ»: الغالبُ الضّابطُ المستولي على الأَمر[٢] المُطيق له.

وقد روي: أَن بعض الأَعراب ركب جملاً، فقيل له قل: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾، فقال: أَما والله إِنِّي لَمُقْرِنٌ تَيَّاهٌ، فضرب به الجمل، فوقصه فقتله[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ أَمْرٌ بالإِقرار بالبعث وترداد القول به، وذلك داعية إِلى استشعار[٤] النَّظر فيه.

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ: «أَنَّ الإِنسان إِذا ركب ولم يقل ما في هذه الآية جاءَ الشَّيطانُ، فقال له: تَغَنَّه، فإِن كان يحسن تَغَنَّى[٥]، وإِلَّا قال له: تَمَنَّه، فيتمنى الأَباطيل ويقطع زمنه بذلك»[٦].

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٦٥)، تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٦). و«إن» من السليمانية وأحمد٣، وفيه: «هذا منك».

(٢) سقط من الأصل.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٠١)، بمعناه، وفي نجيبويه: «ثبات» بدل: «تياه».

(٤) في أحمد٣: «استعقاب».

(٥) في السليمانية وفيض الله: «الغناء»، وفي نور العثمانية: «غناء غنى».

(٦) صحيح من قول ابن مسعود، أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١٤) من طريق منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة، عن عبد الله بن مسعود قال: إذا ركب الرجل الدابة، ولم يسم، ردفه شيطان، فقال: تغنه، فإن كان لا يحسن، قال له: تمنه، ومن طريق ابن أبي الدنيا أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥١٠١) به، وقد أخرج الطبراني في الكبير (٨٩٥) من طريق عبد الله بن صالح، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الله بن شراحيل قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: قال النبي ﷺ: «ما من راكب يخلو في مسيره بالله وذكره إلا ردفه ملك ولا يخلو بشعر ونحو إلا ردفه شيطان». وعبد الله بن لهيعة متفق على ضعفه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

الضَّمير في ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ لكفَّار قريش والعرب، والضَّمير في ﴿لَهُۥ﴾ لله تعالى.

و«الجُزْءُ»: القِطع من الشَّيءِ، وهو بعض الكلِّ، فكأنَّهم جعلوا جزءاً من عباده نصيباً له وحظّاً، وذلك في قول مجاهد وكثير من المتأوِّلين: قولُ العرب: الملائكة بناتُ الله[1].

وقال بعض أهل اللُّغة: الجزءُ: الإناثُ، يقال: أَجْزَأَتِ المرأَةُ: إذا ولدت أُنثى.

ومنه قول الشاعر:

[البسيط]

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فَلَا عَجَبٌ ... قَدْ تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكَارُ أَحْيَانا[2]

وقد قيل: إنَّ هذا البيت موضوع[3].

وقال قتادة: المراد بالجزءِ: الأَصنامُ وفرعون وغيره ممَّن عُبد من دون الله[4]، أَي جُزْءاً نِدّاً، فَعَلَى هذا التأويل فتعنيف[5] الكفرة في فصلين: في أَمر الأصنام، وفي أَمر الملائكة، [وعلى هذا التأويل الأول فالآية كلها في أمر الملائكة][6].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٧). وسقط «مجاهد» من فيض الله والأصل، وفي نجيبويه: «يرى كثير... إلخ».

(٢) بلا نسبة في غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٩٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٦٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٣٩).

(٣) في نجيبويه بدله: «في هذا البيت إنه بيت»، وفي معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٠٧): «لا أدري البيْتَ، قديم أم مَصْنُوع».

(٤) لفظ قتادة في تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٨): أي عدلًا، وانظر مثل ما للمصنف في تفسير القرطبي (١٦/ ٦٩).

(٥) في الأصل: «فتعقيب».

(٦) سقط من المطبوع وأحمد٣.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ أتى بلفظ الجنس العامِّ والمراد بعض الإِنسان، وهو هؤلاءِ الجاعلون ومن أَشبههم.

و﴿مُّبِينٌ﴾ في هذا الموضع غير مُتَعَدٍّ.

وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ﴾ إِضـرابٌ وتقرير، وهذه حجَّة بالغة عليهم؛ إِذ المحمود من الأَولاد والمحبوب قد خوَّله الله تعالى بني آدم، فكيف يتَّخذ هو[1] لنفسه النصيب الأَدنى؟

و(أَصْغاكُم) معناه: خصَّكم وجعل ذلك لكم صفوة.

ثمَّ قامت الحجَّة عليهم في هذا المعنى وبانت[2] بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ الآية.

و﴿مُسۡوَدّٗا﴾ خبر ﴿ظَلَّ﴾.

و«الْكَظِيمُ»: الممتلئُ غيظاً الذي قد ردَّ غيظه إِلى جوفه، فهو يتجرَّعه ويروم ردَّه، وهذا محسوسٌ عند الغيظ.

ثمَّ زاد توبيخهم وإِفساد رأْيهم بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ﴾، و(مَنْ) في موضع نصب بفعل يدلُّ عليه ﴿وَجَعَلُواْ﴾، كأَنَّه قال: أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ في الحلية [جعلتم أَو اتخذتم؟

ويجوز أَن يكون في موضع رفع كأَنه تعالى قال: أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ في الحلية][3] هو الَّذي خصصتم به الله؟ ونحو هذا.

والمراد بـ(مَنْ): النِّساءُ، قاله ابن عبَّاس[4]، ومجاهد، وقتادة، والسُّديُّ[5].

و﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ معناه: ينبت ويكبر.

---

(١) في نجيبويه: «يتخذها»، وفي أحمد٣: «يتخير» بدل «يتخذ».

(٢) في المطبوع: «وكانت».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٦٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٠).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يَنْشأ﴾ بفتح الياءِ وسكون النّون.

وقرأَ ابن عبّاس وقتادة: (يُنْشأُ) بضمِّ الياءِ [وسكون النون][1] على تعدية الفعل بالهمزة.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، وعاصم [في رواية حفص][2]: ﴿ يُنَشَّؤُاْ ﴾ بضمِّ الياءِ وفتح النّون وشدِّ الشّين على تَعدية الفعل بالتَّضعيف، وهي قراءَة ابن عبّاس أَيضاً والحسن، ومجاهد[3].

وفي مصحف ابن مسعود: (أَوَ مَنْ لَا ينشأُ إِلَّا في الحِلْيَة)[4].

و﴿ٱلْحِلْيَةِ﴾: الحليُّ من الذَّهب والفضة والأَحجار.

و﴿ ٱلْخِصَامِ ﴾: المحاجَّة [ومجاذبة المحاورة][5]، وقلَّما تجد امرأَة إِلَّا تفسد الكلام وتخلط المعاني.

وفي مصحف ابن مسعود: (وهو في الكلام غيرُ مبين)[6].

و﴿مُّبِينٌ ﴾ في هذه الآية مُتَعَدٍّ، والتَّقدير: [غير مُبين غَرَضاً][7]، أَو مَنْزَعاً، ونحو هذا.

وقال ابن زيد: المراد بمن يُنَشأ في الحلية: الأَصنامُ والأَوثان[8]؛ لأَنَّهم كانوا يتَّخذون كثيراً منها من الذَّهب والفضة، وكانوا يجعلون الحليَّ على كثير منها.

---

(١) سقط من نجيبويه والسليمانية، وهذه شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص ١٣٥) للجحدري. وسقط «قتادة» من المطبوع وأحمد٣.

(٢) سقط من السليمانية.

(٣) القراءة الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٤)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٦٤).

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢١/ ٥٨١)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٩).

(٥) في نجيبويه بدله: «والمجادلة والمحاورة».

(٦) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٨/ ٣٣١).

(٧) في أحمد٣ بدلًا منه: «عرضاً».

(٨) تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٠).

ولما فرغ تَعْنِيفُهم[١] على ما أَتَوْه في جهة الله تعالى بقولهم: الملائكة بنات الله؛ بيَّن الله تعالى فساداً في مقالتهم، فعينها[٢] بجهة أُخرى من الفساد، وذلك شنيع[٣] قولهم في عباد الله[٤] مختصّين مُقَرَّبين: إنهم إناث.

وقرأ أكثر السَّبعة، وابن عبّاس وابن مسعود وابن جبير وعلقمة: ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والحسن، وأَبو رجاءٍ، وأَبو جعفر، والأَعرج، وشيبة، وقتادة، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ إناثاً﴾[٥].

وهذه القراءَة أَدلُّ على رفع المنزلة وقُرْبها[٦] في التَّكرمة، كما قيل: مَلَك مُقَرَّب.

وقد يتصرَّف المعنيان في كتاب الله تعالى في وصف الملائكة في غير هذه الآية، فقال تعالى: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقال تعالى في أُخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦][٧].

وفي مصحف ابن مسعود: (وَجَعَلُوا الملائكةَ عِبَادَ الرَّحْمَنِ إِناثاً)[٨] / . [٥/ ٦٨]

وقرأ نافع وحده: ﴿أَأُشْهِدُوا﴾ بالهمزتين وبلا مدٍّ بينهما وبفتح الأُولى وضمِّ الثّانية وتسهيلها بين الهمزة والواو، ورواها المفضَّل عن عاصم بتحقيق[٩] الهمزتين.

---

(١) في أحمد٣: «تعسفهم»، وفي نور العثمانية: «تصنيفهم».

(٢) في نجيبويه: «بعينها».

(٣) في نجيبويه والسليمانية ونور العثمانية: «تشنيع».

(٤) في أحمد٣ والمطبوع: «لله».

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٥)، وموافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٦٤).

(٦) في نجيبويه: «وقوتها».

(٧) كتبت في نور العثمانية: «فالذين»، وهي في الآية (٣٨) من (سورة فصلت).

(٨) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٥).

(٩) في المطبوع والأسدية٣: «بتخفيف»، وفي نجيبويه: «وبتحقيق». وفي أحمد٣: «بتحقيقهما»، وفي السليمانية: «الفضل».

وقرأ المسيِّبيُّ عن نافع بمدَّة بين الهمزتين.

وقرأ أَبو عمرو، ونافع أَيضاً، وعليُّ بن أَبي طالب، وابن عبّاس، ومجاهد: ﴿ أَوُشْهِدُوا﴾ بتسهيل الثّانية بلا مَدٍّ، وقرأ جماعة من القراءِ بالتسهيل في الثّانية ومدَّة بينهما[1].

وقرأ آخرون: (أُشْهِدُوا) بهمزة واحدة بغير استفهام، وهي قراءَة الزُّهريِّ[2]، وهي صفة لإناث، أَي: أَشهدوا[3] خلقهم.

ومعنى الآية التَّوبيخ وإِظهار فساد عقولهم[4] ودعاويهم[5] وأَنَّها مجردة من الحجَّة.

وهذا نظير الآية الرَّادة على المُنَجِّمين وأَهل الطَّبائع وهي في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف: ٥١] الآية.

وقرأ جمهور النّاس: ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ﴾ برفع (شهادة) وبناءِ الفعل للمفعول.

وقرأ الأَعرج، وابن عبّاس، وأَبو جعفر، وأَبو حيوة: (سَنَكْتُبُ) بنون الجمع، و(شَهَادَتَهُمْ) بالنَّصب.

وقرأَت فرقة: (سَيَكْتُبُ) بالياء على معنى: سيكتب اللهُ (شهادتَهم) [بالنصب.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن: (ستُكتَبُ شَهَاداتُهم)][6] على بناءِ الفعل للمفعول وجمع الشَّهادات[7].

---

(١) خمسة أوجه هي في الحقيقة ثلاث قراءات، اثنتان سبعيتان: الأولى بالتسهيل بلا مدٍّ لورش ووجه لقالون، والثالثة بالتسهيل والمد هي الوجه الثاني له كما في التيسير (ص: ١٩٦)، أما الثانية بالتحقيق بلا فصل للمفضل ففي السبعة (ص: ٥٨٥)، وجامع البيان (٣/ ١٤٨)، بلفظ: «يحققهما معا»، والوجه الرابع مكرر مع الأول، والخامس مع الثالث، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٦٥).

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٥٤).

(٣) في السليمانية ونور العثمانية وأحمد٣: «مشهداً».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) في السليمانية: «ودواعيهم»، وفي الأصل: «وعائهم».

(٦) سقط من نجيبويه، ووردت هذه الفقرة في أحمد٣ كالآتي: «وقرأ الحسن (ستكتب) مجهولًا (شهاداتهم) جمعاً ورفعاً وفي قوله... إلخ».

(٧) ثلاث قراءات شاذة؛ لأن الرواية عن أبي جعفر هنا ليست من طرق النشر، انظر عزو الأولى للأعرج =

وفي قوله تعالى: ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ وعيد مفصح، و﴿أَشَهِدُواْ﴾ في هذه الآية معناه: أَحَضَرُوا؟ وليس ذلك من شهادة تحمل المعاني الَّتي يطلب أَن تُؤَدَّى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

ذكر الله تعالى احتجاج الكفّار بمذهبهم[١] ليبيِّن فساد منزعهم، وذلك أَنهم جعلوا إِمهال الله لهم وإِنعامه عليهم ـ وهم يعبدون الأَصنام ـ دليلاً على أَنَّه يرضى عبادة الأَصنام ديناً، وذلك كالأَمر به، فنفى الله تعالى عن الكَفَرة أَن يكون لهم علمٌ بهذا، وليس عندهم كتاب منزل يقتضي ذلك، وإِنَّما هم يظنّون ويحدسون[٢] ويخمنون، وهذا هو الخَرْصُ والتَّخَرُّص[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ بضمِّ الهمزة، وهي بمعنى المِلَّة والدِّيانة، والآية ـ على هذا ـ تعيب[٤] عليهم التقليد.

وقرأَ مجاهد، والجحدريُّ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (على إِمَّة) بكسر الهمزة[٥].

= والأخيرة للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١٣٥)، وعزا الثانية بدون لفظ الجلالة للزهري، وكذلك ذكرها في البحر المحيط (٩/ ٣٦٥) بلا نسبة، مع العزو للباقين.

(١) في السليمانية: «لمذاهبهم». وفي أحمد٣: «لمذهبهم»، وسقطت منه «الكفار».

(٢) في الأصل والمطبوع: «ويخرصون»، وفي نور العثمانية: «يخرسون».

(٣) سقطت من نجيبويه.

(٤) في نجيبويه: «تعنف».

(٥) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦).

وهي بمعنى النعمة، ومنه قول الأَعشى:

[الطويل] وَلا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقيتُهُ ... بإِمَّتِهِ يُعطي القُطُوطَ ويَأْفقُ[١]

ومنه قول عديٍّ بن زيد:

[الخفيف] ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ والْمُلْكِ وَالإِ ... مَّةِ وَارَتْهُمُ هناك الْقُبُور[٢]

فالآية[٣] على هذا المعنى استمرارٌ في احتجاجهم؛ لأنهم يقولون: وجدنا آباءَنا في نعمة من الله وهم يعبدون الأَصنام، فذلك دليل رضاه عنهم، وكذلك اهتدينا نحن بذلك على آثارهم.

وذكر الطَّبريُّ عن قوم أَنَّ (الإِمَّة): الطَّريقة، مصدر من قولك: أَمَمْتُ كذا إِمَّةً[٤].

ثمَّ ضرب الله تعالى المثل لنبيِّه محمد ﷺ، وجعل له الأُسوة فيمن مضى من النُّذُر والرُّسل، وذلك أَنَّ المُتْرفين من قومهم ـ وهم أَهل التنعم والمال ـ قد قابلوهم بمثل هذه المقالة[٥].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿قُلْ أو لو﴾، والمعنى: قُلْنَا للنّذير: قُلْ أَوَ لَوْ.

وقرأَ ابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ﴾[٦]، ففي ﴿قَٰلَ﴾ ضمير يعود على النَّذير.

---

(١) انظره في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٦٥)، ومجاز القرآن (٢/ ١٧٩)، والعين (٥/ ٢٢٧)، وجمهرة اللغة (١/ ١٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٧)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٦٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٢٣).

(٢) عزاه له الطبري (٢١/ ٥٨٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٨٣)، ومعجم الشعراء (ص: ٢٤٩)، والزاهر للأنباري (١/ ١٥١)، وعيون الأخبار (٣/ ١٣٢)، والاختيارين (ص: ٧١٥)، والعقد الفريد (٣/ ١٤١). وسقط من المطبوع وأحمد٣ فيه: «وراتهم».

(٣) في أحمد٣: «فالإمة».

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٤).

(٥) في المطبوع والحمزوية والسليمانية: «المقابلة»، وفي هامش الأسدية إشارة إلى هذه النسخة.

(٦) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٥).

وباقي الآية يدلُّ على أَن ﴿قُلْ﴾ في قراءَة من قرأَها ليست بأَمرٍ لمحمد ﷺ، وإِنَّما هي حكاية لما أمر به النذير.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ﴾ هي أَلف الاستفهام دخلت على واو عطفت جملة كلام على جملة متقدِّمة، و﴿لَوْ﴾ في هذا الموضع، كأَنَّها شرطية بمعنى (إِن)، كأَنَّ معنى الآية: أَوَ إِنْ جِئْتُكُمْ بِأَبْيَن وأَوضح مما كان آباؤُكم عليه يصحبكم[1] لجاجُكم وتقليدكم؟ فأَجاب الكفّار حينئذ لرسلهم[2]: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ الآيةَ، وعيدٌ لقريش، وضربُ مَثَل بمن سلف من الأُمم المعذَّبة [المكذِّبة بأَنبيائها، كما كذَّبت هي بمحمد ﷺ.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾][3].

وقرأَ أَبو جعفر، وأَبو شيخ، وخالد: ﴿أَوَ لَوْ جِئْنَاكُمْ﴾[4].

وقرأَ الأَعمش: (قُلْ أَوَ لَوْ أوتيتم)[5].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

المعنى: واذكر [إِذْ قال إِبراهيم][6].

ولمَّا ضرب تعالى المثل لمحمد ﷺ بالنُّذُر وجَعَلهم أُسوةً له، خصَّ إِبراهيم

---

(١) في الأصل: «يصح».

(٢) سقط من أحمد٣، وفي السليمانية ونور العثمانية: «لنذرهم».

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٦٩)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣٦)، والكامل للهذلي (ص: ٦٣٣). وفي المطبوع: «أبو شيخ الهَنَائِي».

(٥) لم نجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، ولو وجدت فهي شاذة مخالفة للرسم، بل أقرب للخطأ، والله أعلم.

(٦) ليس في أحمد٣.

بالذِّكر لِعِظَم منزلته، وذكَّر محمداً ﷺ بمنابذة إِبراهيم عليه السَّلام لقومه، أَي: فافعل أَنت فعله، وتجلَّد تجلُّده.

و﴿بَرَآءٌ﴾ صفةٌ تجري على الواحد والاثنين والجمع، كعَدْل وزَوْرٍ.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿بَرَآءٌ﴾ بفتح الباءِ، وقرأَت فرقة: (بُرَاءٌ) بضمِّ الباءِ(١).

وفي مصحف عبد الله وقراءَة الأَعمش: (إِنِّي) بنون واحدة (بَرِيءٌ)(٢).

قال الفراءُ: ومن النّاس من يكتب شكل الهمزة المخَّففة(٣) أَلِفاً في كلِّ موضع ولا يراعي حركة ما قبلها، قال: فربما كان خطُّ مصحف عبد الله بأَلف كما في مصحف الجماعة لكن كان يلفظ بها (بريء) بكسر الهمزة والرَّاءِ(٤).

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ قالت فرقة: الاستثناءُ متَّصل، وكانوا يعرفون الله ويعظِّمونه، إِلَّا أَنَّهم كانوا يشركون معه أَصنامهم، فكأَن إِبراهيم قال لهم: أَنا(٥) لا أُوافقكم إِلَّا على / عبادة الله الفاطر. [٥/ ٦٩]

وقالت فرقة: الاستثناءُ منقطع، والمعنى: لكنَّ الذَّي فطرني معبودي(٦)، وعلى هذا فلم يكونوا يعبدون الله لا قليلاً ولا كثيراً، وعلَّل إِبراهيم لقومه عبادته لله(٧)، بأَنَّه الهادي المنجي من العذاب، وفي هذا استدعاءٌ لهم وترغيب لهم(٨) في الله وتطميع برحمته.

---

(١) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: **٦٣٣**) للزَّعْفَرَانِي، وابن المناقري، والقورسي عن أبي جعفر.

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: **١٣٦**).

(٣) في الأسدية**٣** والسليمانية: «المحققة».

(٤) لم أقف عليه، «وهمزة» من السليمانية.

(٥) في السليمانية: «إني».

(٦) في نجيبويه: «معبود لي».

(٧) ليست في السليمانية.

(٨) سقط من نجيبويه والسليمانية وأحمد**٣**.

والضَّمير في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً﴾ قالت فرقة: ذلك عائد على كلمته بالتَّوحيد في قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾.

وقال مجاهد، وقتادة، والسُّديُّ: ذلك مراد به: لَا إله إلَّا الله[(١)].

وعاد الضَّمير عليها وإن كانت لم يجر لها ذِكر؛ لأَنَّ اللَّفظ يتضمَّنها.

وقال ابن زيد: المراد بذلك الإسلام ولفظته[(٢)]، وذلك قوله عليه السَّلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

و«الْعَقِبُ»: الذُّرِّيَّة وولد الولد ما امتدَّ فرعهم.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾ الآيةَ، كلامٌ متَّصل بما قبله لأَنَّه لمَّا قال: ﴿فِي عَقِبِهِۦ﴾ وكانت قريش من عَقِبه اقتضى الكلام أَن يقدر[(٣)] فيه: لكنَّ هؤلاءِ ليسوا ممَّن بقيت[(٤)] الكلمة فيهم بل متَّعتهم، والمعنى في الآية: بل أَمهلتُ هؤلاءِ ومتَّعتهم بالنِّعمة مع كفرهم، حتّى جاءَهم الحقُّ ورسول مبين[(٥)]، وذلك هو شرع الإسلام والرَّسول محمد ﷺ.

و﴿مَتَّعْتُ﴾ بضمِّ التّاءِ هي قراءَة الجمهور.

وقرأَ قتادة: (مَتَّعْتَ) بفتح التّاءِ الأَخيرة على معنى: قل يا ربِّ بل متَّعتَ، ورواها يعقوب عن نافع، وقرأَ الأَعمش: (بل مَتَّعْنا)[(٦)] وهي تعضد قراءَة الجمهور.

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٩).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٠).
(٣) في نجيبويه: «يقترن».
(٤) في نجيبويه: «تعينت».
(٥) ليست في أحمد٣.
(٦) وهما شاذتان، عزا الأولى لقتادة الهذلي في الكامل (ص: ٦٣٣)، وزاد الأعمش، وانظر الكل في البحر المحيط (٩/ ٣٦٨).

و﴿مُّبِينٌ﴾ في هذه الآية يحتمل التّعدي وترك التّعدي.

ثمَّ أَخبر تعالى عنهم على جهة التَّقريع بأَنَّهم قالوا للقرآن: هذا سحر، وأَنَّهم كفروا به، وإِنَّما[١] جعلوه بزعمهم سحراً من حيث كان عندهم[٢] يفرق بين المرءِ وولده وزوجه، فجعلوه لذلك كالسِّحر، ولم ينظروا إِلى الفرق في أَنَّ المفارق بالقرآن يفارق عن بصيرة في الدِّين، والمفارق بالسِّحر يفارق عن خلل في ذهنه[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

الضَّمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ لقريش، وذلك أَنَّهم استبعدوا أَوَّلاً أَن يرسل الله تعالى بَشَراً، فلمَّا تقرَّر أَمْر موسى، وعيسى، وإِبراهيم عليهم السَّلام، ولم يكن لهم في ذلك مدفع رجعوا[٤] يناقضون فيما يخص محمداً ﷺ بعينه، فقالوا: لم كان محمداً ﷺ[٥] ولم يكن نزول الشَّرع على رجل من إِحدى القريتين عظيم؟

وقدَّر المبرِّد قولهم: على رجل من رجلين من القريتين[٦]، والقريتان: مكَّة والطائف.

---

(١) في السليمانية: «وأنهم».

(٢) سقط من السليمانية.

(٣) في المطبوع: «دينه».

(٤) في نجيبويه ونور العثمانية: «جعلوا»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٥) في السليمانية وأحمد٣: «محمد»، بالرفع.

(٦) لم أقف عليه.

ورجل مكَّة الَّذي أَشاروا إِليه، قال ابن عبّاس وقتادة: هو الوليد بن المغيرة المخزوميُّ[١].

وقال مجاهد: هو عتبة بن ربيعة، وقال قتادة: بلغنا أَنَّه لم يبق فخذ من قريش إِلّا ادعاه[٢].

ورجل الطّائف، قال قتادة: هو عُروة بن مسعود، وقال ابن عبّاس وابن مسعود[٣]: حبيب بن عبد بن عمير[٤]، وقال مجاهد: كنانة بن عبد ياليل[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وإِنَّما قصدوا إِلى من عَظُم ذكره بالسِّن والقِدَم؛ وإِلَّا فرسول الله ﷺ كان حينئذ أَعظم من هؤلاءِ، لكن لمَّا عظُم أُولئك قبل مُدَّة النَّبيِّ وفي صباه استمرَّ ذلك لهم.

ثمَّ وقف تعالى ـ على جهة التَّوبيخ لهم ـ بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾، المعنى: أَعلى[٦] اختيارهم وإِرادتهم تنقسم الفضائل والمكانة عند الله؟ و«الرَّحمةُ»: اسم يعُمُّ جميع هذا.

ثمَّ أَخبر تعالى خبراً جازماً بأَنَّه قاسم المعايش والدَّرجات في الدُّنيا ليسخِّر بعض

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٨٠-٥٨١) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٣)، و«قتادة» الأول سقط من المطبوع.

(٣) من السليمانية.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٨٠-٥٨١) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وفيه: «حبيب ابن عمرو بن عمير الثَّقفيّ»، ذكره ابن حجر في الإصابة (٢/ ١٩)، وله ذكر في نزول قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾، وهو والد أبي محجن الشاعر كما في الطبقات الكبرى (٦/ ٥٢). وفي الحمزوية: «عبد عمير»، وفي السليمانية: «عبد الله بن عمر». وفي أحمد٣: «عبيد بن عبيد».

(٥) انظر قولي قتادة ومجاهد في تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٣)، وكنانة في الإصابة (٥/ ٤٩٦) أنه كان من أشراف ثقيف الذين قدموا على رسول الله ﷺ بعد حصار الطائف، فأسلموا، قال المدائني: إلا كنانة فإنه خرج إلى نجران، ثم توجه إلى الروم فمات بها كافراً.

(٦) في أحمد٣: «على».

النّاس بعضاً، المعنى: فإِذا كان اهتمامنا بهم أَن نقسم[١] هذا الحقير الفاني، فأَحرى أَن نقسم الأَهمَّ الخطير.

وفي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ تزهيد في السعايات، وعون على التَّوكُّل على الله تعالى، ولله درُّ القائل:

[مجزوء الرجز] لـمَّـا أَتَـى «نـحـن قسـمــ ـنـا بينهـم» زال الـمِـرا[٢]

وقرأ الجمهور: ﴿مَّعِيشَتَهُمْ﴾، وقرأ ابن مسعود، والأَعمش: (مَعَايِشَهُمْ)[٣].

وقرأ جمهور النّاس: ﴿سُخْرِيًّا﴾ بضمِّ السّين.

وقرأ أَبو رجاءٍ، وابن محيصن: (سِخْرِيّاً) بكسر السّين[٤].

وهما لغتان في معنى التّسخير، ولا مدخل لمعنى الهُزْءِ في هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، قال قتادة، والسَّديُّ: يعني الجنَّة[٥].

قال القاضي أَبو محمد: لا شكَّ أَنَّ الجنَّة هي الغاية، ورحمة الله في الدُّنيا بالهداية والإِيمان خير[٦] من كلِّ مال، وهذا اللَّفظ [تحقير للدُّنيا][٧].

---

(١) في نجيبويه: «ينقسم».
(٢) عزا هذا البيت في محاضرات الأدباء (١/ ٥٩٦) لعبدان، ولفظه فيه: لقوله: نحن قسمنا... بينهم زال المراء، وفي السليمانية: «ولما».
(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٧٠)، وفي المصاحف لابن أبي داود (ص: ٢٧٢) أنها مما غير الحجاج بن يوسف.
(٤) شاذة، لاتفاق العشرة هنا على الضم كما النشر (٢/ ٣٢٩)، وعزاها هنا لابن محيصن في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦).
(٥) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٦).
(٦) في نجيبويه زيادة: «مما تجمعون».
(٧) في نجيبويه بدله: «فيه تحقير الدنيا»، وفي أحمد٣: «تحقير في الدنيا».

ثمَّ استمرَّ القول في تحقيرها بقوله: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ ﴾ الآية، [وذلك أَن معنى][1] الآية أَنَّ الله تعالى أَبقى على عباده وأَنعم بمراعاة بقاءِ الخير والإيمان وشاءَ حِفْظَهُ على طائفة منهم بقية الدَّهر، ولولا كراهيَّة أَن يكون النّاس[2] كفّاراً كلَّهم وأَهل حبّ في الدُّنيا وتجرُّد لها لوسَّع الله تعالى على الكفّار غاية التَّوسعة ومكَّنهم من الدُّنيا؛ إِذ حقارتها عنده تقتضي ذلك؛ لأَنَّها لا قدر لها ولا وزن لفنائها[3] وذهاب رسومها.

فقوله: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ معناه: في الكفر، قاله ابن عبّاس[4]، والحسن، وقتادة، والسّديُّ[5].

ومن هذا المعنى قال[6]: «لو كانت الدُّنيا تعدل[7] عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماءٍ»[8]، ثمَّ يتركَّب معنى الآية على معنى هذا الحديث.

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «المعنى».

(٢) في نجيبويه زيادة: «أمة واحدة».

(٣) في أحمد٣: «لقضائها»، وفي الهامش: «لفناء».

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٨٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفي السليمانية: «قال ابن عباس».

(٥) انظر أقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٥٩٨).

(٦) في السليمانية: «قول».

(٧) في نجيبويه والسليمانية: «تزن»، وفيها: «منها كافراً».

(٨) له طرق مرفوعة لا تنهض، وروي مرسلًا، أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٦)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٣١٩)، والروياني في مسنده (١٠٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٣) من طريق عبد الحميد بن سليمان، عن أبي حازم سلمة بن دينار، عن سهل بن سعد، مرفوعاً. وعبد الحميد بن سليمان الخزاعي الضرير، أبو عمر المدني ضعيف، وقد تابعه زكريا بن منظور بن ثعلبة ـ أبو مالك ـ القرظي، عن أبي حازم به، قال: مر رسول الله ﷺ بذي الحليفة فرأى شاة شائلة برجلها فقال: «أترون هذه الشاة هينة على صاحبها» قالوا: نعم، قال: «والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها، ولوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة»، أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١)، وابن ماجه (٤١١٠)، وابن أبي عاصم في الزهد (١٢٨-١٣١)، والطبراني في الكبير (٥٨٤٠)، والحاكم =

واللّام في قوله: ﴿لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لام المِلْك، واللّام في قوله: ﴿لِبُيُوتِهِمۡ﴾ لام تخصيص، كما تقول: هذا الكِساءُ لزيد لدابَّته، [أَي: هو][(١)] لدابَّته حِلْسٌ ولزيد مِلْك.

قال المهدويُّ: ودلَّت هذه الآية على أَن السَّقف لربِّ البيت الأسفل؛ / [لا لصاحب العلو][(٢)]، إِذ هو منسوب إِلى البيوت. وهذا تفقُّه واهن. [٥/ ٧٠]

= في المستدرك (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٦٥)، من طرق عن زكريا بن منظور، عن أبي حازم، به. وزكريا بن منظور بن ثعلبة ضعيف، وله شواهد: الأول: من حديث أبي هريرة أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٣٠)، والقضاعي في مسنده (١٤٤٠)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٠) من طريق محمد بن عمار، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة مرفوعاً به، وصالح مولى التوأمة لا يحتج به، وقد تابعه سعيد المقبري، عن أبي هريرة به أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٢٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ١٠٧) من طريق نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر، عن سعيد، به، وأبو معشر ضعيف، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٧٠)، من طريق أبي معشر، عن سعيد المقبري، مرسلاً، الثاني: عن ابن عمر أخرجه القضاعي في مسنده (١٤٣٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٩٢) من طريق أبي الحسن علي بن عيسى بن المثنى، عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن أبي عون، عن أبي مصعب أحمد بن أبي بكر، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً به، قال الخطيب: هذا غريب جداً من حديث مالك لا أعلم رواه غير أبي جعفر بن أبي عون، عن أبي مصعب، وعنه على بن عيسى المالبني وكان ثقة. اهـ، ثالثاً: عن عبد الله بن عباس أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٤-٨/ ٢٩٠) من طريق الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعاً به. بنحوه، والحسن بن عمارة بن المضرب البجلى متروك، رابعاً: عن جماعة من الصحابة أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٠٩) من طريق إسماعيل بن عياش، عن عثمان بن رافع أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ حدثوا أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما أعطى منها كافراً شيئاً»، وعثمان بن عبيدالله بن أبي رافع مولى سعيد بن العاص المديني ويقال مولى سعد بن أبي وقاص، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ١٥٦) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وإسماعيل بن عياش مخلط في غير روايته عن الشاميين، وشيخه هنا مدني، خامساً: الحسن البصري مرسلاً، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٢٠).

(١) في السليمانية بدلًا منه: وهو، وفيها: «خليق» بدل «حلس».

(٢) سقط من المطبوع، وسقطت من الحمزوية: «لا لصاحب». وسقط من أحمد٣، وفيه: «إذ العلو»، وانظر التحصيل للمهدوي (٢/ ٧٢).

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿سُقُفًا﴾ بضمِّ السّين والقاف.

وقرأ مجاهد: (سُقْفاً) بضمِّ السّين وسكون القاف، [وهذان جمعان.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر: ﴿سَقْفاً﴾ بفتح السّين وسكون القاف][١] على الإِفراد.

و«المعارجُ»: الأَدراج الَّتي يطلع عليها، قاله ابن عبّاس، وقتادة، والنّاس[٢].

وقرأ طلحة: (وَمَعَارِيجَ) بزيادة ياءٍ[٣].

و﴿يَظْهَرُونَ﴾ معناه: يَعْلون، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: والشَّمسُ في حجرتها قبل أن تظهر[٤].

و«السُّرُرُ»: جمع سرير.

واختلف النّاس في الزُّخْرُف:

فقال ابن عبّاس، والحسن، وقتادة، والسّديُّ: الزُّخْرف: الذَّهبُ نفسه[٥].

وروي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إِيَّاكم والحمرة فإِنَّها من أَحبِّ الزّينة إِلى الشَّيطان»[٦].

---

(١) سقط من الأصل، و«أبو عمرو»: من السليمانية، والقراءة الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٥)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والثانية شاذة، عزاها لمجاهد في المحتسب (٢/ ٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٩٠-٥٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٧١)، وعزاها الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣٣٣) لأبي رجاء.

(٤) رواه مسلم (٦١١) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر. وفي الأصل: «لم تظهر».

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ١٤٨ رقم ٣١٧، ٣١٨) من طريق يعقوب بن خالد بن نجيح البكري، وبكر بن محمد كلاهما عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران مرفوعاً بنحوه، وفي لفظ: أن النبي ﷺ نظر إلى رجل عليه ثياب حمر فقال: «هذه زينة الشيطان»، وقد اختلف على سعيد بن بشير فروي عنه عن قتادة على الوجه المتقدم، وأخرجه ابن أبي عاصم كما في الإصابة (٤/ ٣٦٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ ١٨٤٨) من طريق محمد بن بلال، عن سعيد بن بشير، =

قال القاضي أَبو محمد: الحُسْن أَحمر والشَّهواتُ تتبعه.

وقال ابن زيد: الزُّخرفُ: أَثاثُ البيت وما يتخذ له من السُّتور والنمارق ونحوه[١].

وقالت فرقة: الزُّخرفُ: التَّزاويق والنَّقش ونحوه من التَّزيين، وشاهد هذا القول قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ [يونس: ٢٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وإنْ كلُّ ذلك لَمَا﴾ بتخفيف الميم من (لَمَا)، فتكون (إِنْ) مخففة من الثَّقيلة، واللَّام في (لَمَا) داخلة لِتَفْصلَ بين النفي والإِيجاب.

وقرأَ عاصم، وحمزة، وهشام بخلاف عنه والحسن، وطلحة، والأَعمش، وعيسى: ﴿لَمَّا مَتَٰعُ﴾ بتشديد الميم من ﴿لَمَّا﴾[٢]، فـ(إِنْ) نافية بمعنى (ما)، و(لَمَّا) بمعنى (إِلَّا).

وقد حكى سيبويه: نشدتّك الله لَمَّا فعلت، وحمله على (إِلَّا)[٣].

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا)[٤].

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (لِمَا) بكسر اللَّام وتخفيف الميم[٥]، فـ(ما) بمعنى (الَّذي) والعائد عليها محذوف، والتَّقدير: وإِنْ كلُّ ذلك للَّذي هو متاع الحياة الدُّنيا.

= عن قتادة، عن الحسن، عن عبد الرحمن بن يزيد بن راشد، مرفوعاً، وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده كما في الإصابة من طريق يحيى بن صالح الوحاظي، ومحمد بن عثمان، كلاهما عن سعيد ابن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن عبد الرحمن بن يزيد بن رافع، به، وسعيد بن بشير ضعيف، وقتادة مدلس ولم يصرح بالسماع، وكذلك الحسن البصري، وعبد الرحمن بن يزيد بن راشد، وقيل ابن رافع، قال الصغاني: في صحبته نظر.

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/ ٦٠١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٦)، وموافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٧٢).

(٣) انظر الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٥).

(٤) وهي شاذة عزاها له الفارسي في الحجة (٦/ ١٤٩)، ونقلها في الكشاف (٤/ ٢٤٩) كذلك بلفظ: «وما كل ذلك إلا».

(٥) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٥٥)، والبحر المحيط (٩/ ٣٧٢)، وزاد أبا حيوة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وعدٌ كريم وتحريضٌ على التَّقوى إِذ في الآخرة هو التَّبايُن في المنازل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿مَن﴾ في قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ شرطيَّة.

وعَشَا يَعْشُو: معناه: قلَّ الإبصار، كالَّذي يعتري في اللَّيل، وكذلك هو الأَعْشَى من الرِّجال، ويقال [أيضاً: عشى الرجل يعشى عشاء][1]: إِذا فسد بصره فلم يَرَ، أَو لم يَرَ إِلَّا قليلاً.

وقرأَ قتادة، ويحيى بن سلام البصريُّ: (ومن يعشَ) بفتح الشِّين[2].

وهي من قولهم: عَشِيَ يَعْشَى، والأَكثر عَشَا يَعْشُو، ومنه قول الشاعر:

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خَيرَ نار عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ[3] [الطويل]

وفي شعر آخر:

.... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وجمراً تَأَجَّجَا[4] [الطويل]

---

(١) في المطبوع بدلًا من ذلك: «عَشَا الرَّجلُ يعشو عَشْواً»، وسقط من أحمد٣ من: «الرجال» إلى «الرجل».

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها ليحيى في البحر المحيط (٩/ ٣٧٢)، ولابن عباس في الشواذ للكرماني (ص: ٤٢٧).

(٣) البيت للحطيئة كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٠٤)، والأغاني (٢/ ١٩٣)، والعقد الفريد (٦/ ١٤٢)، والحيوان (٥/ ٧٢).

(٤) البيت لعُبَيْد الله بن الحُرِّ، وصدره: مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا في دِيَارِنَا، كما في سر صناعة الإعراب (٢/ ٣١٧)، وورد بلا نسبة في الجمل في النحو (ص: ١٦٦)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٨٦)، والمقتضب (٢/ ٦٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٧٦). قال في حاشية المطبوع: وقول ابن عطية: «وفي شعر آخر» إشارة مهذبة إلى ما وقع من خطأ في رواية البيت في الطَّبريِّ، =

وقرأ الأَعمش: (وَمَنْ يَعْشُ عنِ الرَّحْمَنِ)، وسقط (ذِكْر)[١].

فالمعنى في الآية: ومن يقل نظره في شرع الله ويغمض جفونه عن النَّظر في ذكر الرَّحمن، أَي فيما ذكَّر به عباده، فالمصدر مضاف إِلى الفاعل، ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾، أَي: نُيَسِّر[٢] له ونعد، وهذا هو العقاب على الكفر بالحَتْم والطَّبع[٣] وعدم الفلاح، وهذا كما يقال: إِنَّ الله تعالى يعاقب على المعصية بالتَّزَيُّد في المعاصي، ويُجازي على الحسنة بالتَّزَيُّد من الحسنات، وقد رُوي هذا المعنى مرفوعاً[٤].

وقرأ الجمهور: ﴿نُقَيِّضْ﴾ بالنون.

وقرأ عاصم والأَعمش وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿يُقَيِّضْ﴾ بالياءِ ﴿شَيْطَاناً﴾[٥]، أَي: يُقَيِّض اللهُ.

وقرأ ابن عبّاس: (يُقيَّض لَهُ شَيْطَانٌ) بفتح الياءِ الثّانية وشدِّها ورفع النّون من (شَيْطَانٌ)[٦].

= (٢١/ ٦٠٣) حيث جاء ببيت مركب من شطرين من بيتين مختلفين، الصدر فيه من بيت الحطيئة السابق ذكره هنا، والعجز فيه هو العجز المذكور هنا من شعر ابن الحرِّ»، وجاء البيت كذلك في معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥١٤).

(١) لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وهي مخالفة للمصحف، بل أقرب للغلط.

(٢) في الأصل: «نسير».

(٣) من المطبوع.

(٤) لم أعرفه.

(٥) عشرية ليعقوب، ورويت عن شعبة، كما في النشر (٢/ ٣٦٩)، وانظر عزوها لمن ذكر في البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٧٣)، وزاد علياً، والسلمي، وأبا عمرو: بخلاف عنه، وحماداً وعصمة عن عاصم، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٣٣) ليعقوب وحماد، وعصمة، ويحيى طريق ابن الْحَجَّاج، وابْن مِقْسَمٍ، واقتصر في الأصل والحمزوية على الأعمش.

(٦) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٢٧). وفي السليمانية: «شيطاناً»، وفي أحمد٣: «بفتح الياء الثانية وضم الأولى شيطان رفعاً».

والضمير في قوله ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ عائد على الشَّياطين، وفي ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ عائد على الكفّار.

و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: هي سبيل الهدى والفوز.

[والضَّمير في ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ للكفّار][١].

وقرأ نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية أَبي بكر، وابن عامر، وأَبو جعفر، وشيبة، وقتادة، والزُّهريُّ، والجحدريُّ: ﴿حتَّى إذَا جَاءَانَا﴾ على التثنية، يريد العاشي والقرين، قاله سعيد الجريري[٢]، وقتادة[٣].

وقرأ أَبو عمرو،، والحسن، وابن محيصن، والأَعرج، وعيسى، والأَعمش، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿جَآءَنَا﴾[٤]، يريد العاشي وحده، وفاعل ﴿قَالَ﴾ هو العاشي.

وقوله: ﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ يحتمل ثلاثة معان:

أَحدها أَن يريد: بُعْد المشرق من المغرب، فسماهما مشرقين، كما يقال: القمران، والعُمَران، قال الفرزدق:

.... لَنَا قَمرَاهَا والنُّجُومُ الطَّوَالِعُ[٥] [الطويل]

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) هو سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري البصري أحد علماء الحديث روى عن أبي الطفيل وأبي عثمان النهدي، وعنه ابن المبارك وابن علية وخلق، كان محدث البصرة، وثقه غير واحد، وقال أبو حاتم: تغير قبل موته، توفي سنة (١٤٤هـ)، تاريخ الإسلام (٩/ ١٤٨).

(٣) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢١/ ٦٠٦، ٦٠٧)، وفيه: الجريري، بالجيم.

(٤) وهما سبعيتان، وبقي عليه حفص من الثانية، انظر التيسير (ص: ١٩٦)، والسبعة (ص: ٥٨٦)، والبحر المحيط (٩/ ٣٧٤).

(٥) صدره: أَخَذْنا بآفاقِ السماءِ عَلَيْكُمُ، وهو للفرزدق كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٧٩)، والكامل للمبرد (١/ ١١٩)، والعقد الفريد (٢/ ٣١٣)، وتاريخ الطبري (٨/ ٣٦١)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٣٦)، والحيوان (٣/ ١٢٢).

والثّاني أَن يريد: مشرق الشّمس في أَطول يوم ومشرقها في أَقصر يوم، فكأَنَّه أَخذ نهايتي المشارق.

والثالث أَن يريد: بُعْد المشرقين من المغربين، فاكتفى بذكر المشرقين(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ الآيةَ؛ حكايةٌ عن مقالة تقال لهم يوم القيامة، وهي مقالةٌ موحشة حَرَمَتْهُم روح التَّأَسِّي؛ لأَنَّه يوقفهم بها على أَنَّهم لا ينفعهم التَّأَسِّي، وذلك لِعِظَم المصيبة وطول العذاب واستمرار مدَّته؛ إِذ التَّأَسِّي راحةٌ لكلِّ مصاب(٢) في الدُّنيا في الأغلب، أَلا ترى إِلى قول الخنساءِ:

[الوافر]

وَلَـوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِيـنَ حَوْلِـي ... عَلَـى إِخْوَانِهِـمْ لَقَتَلْـتُ نَفْسِـي
وَمَـا يَبْكُـونَ مِثْـلَ أَخِـي وَلَكِـنْ ... أُعَـزِّي النَّفْـسَ عَنْـهُ بالتَّأَسِّـي(٣)

فهذا التَّأَسِّي قد كفاها مؤنة قتل النَّفس، فنفى الله تعالى عنهم الانتفاع بالتَّأَسِّي، وفي ذلك تعذيب لهم ويأْسٌ من كلِّ خير.

وفاعل قوله ﴿يَنفَعَكُمُ﴾ الاشتراك.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿أَنَّكُمْ﴾ بفتح الأَلف، وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿إِنَّكُمْ﴾ بكسر الأَلف(٤).

وقد يجوز أَن يكون فاعل ﴿يَنفَعَكُمُ﴾ التَبَرُّؤُ الذي يدل عليه قوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾، وعلى هذا يكون ﴿أَنَّكُمْ﴾ في موضع نصب على المفعول من أَجله، وتخرج الآية عن معنى نفي الأُسوة.

---

(١) في أحمد٣: «أحدهما».

(٢) في الأصل: «كل شيء»، وفي السليمانية وأحمد٣: «كل مصاب».

(٣) كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤١٣)، وتقدم التعليق عليهما في تفسير الآية (١٣٩) من (سورة آل عمران).

(٤) ليست من طرق النشر والتيسير، بل رواها التغلبي عن ابن ذكوان كما في جامع البيان (٣/ ١٥٢)، والسبعة (ص: ٥٨٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٤٠ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝٤٢/ [٥/ ٧١] فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾.

لمّا ذكر الله تعالى حال الكفرة في الآخرة وما يقال لهم وهم في العذاب اقتضى ذلك أَن تُشفق النَّفوس، وأَن ينظر كلُّ سامع لنفسه ويسعى في خلاصها، فلمّا كانت قريش مع هذا الَّذي سمعت لم تزل عن عُتُوِّها وإِعراضها عن أَمر الله تعالى رجعت المخاطبة إِلى محمد ﷺ على جهة التَّسلية له عنهم، وشَبَّهَهُم بالصمِّ والعمي إِذ كانت حواسهم لا تفيد شيئاً.

وقوله: ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يريد بذلك قريشاً بأَنفسهم، ولذلك لم يقل: أَو من كان، بل جاءَ بالواو العاطفة كأَنَّه يقول: وهؤلاءِ، ويؤيد ذلك أَيضاً عود الضمير عليهم في قوله: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم﴾، ولم يَجْرِ لهم ذكرٌ إِلَّا في قوله: [﴿وَمَن كَانَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ الآيةَ؛ آيةٌ تتضمّن وعيداً واقعاً.

وذهب جمهور العلماءِ إِلى أَن المُتَوَعَّدين هم الكفّار، وأَنَّ الله تعالى أَرى نبيَّه الذي توعدهم في بدر والفتح وغير ذلك.

وذهب الحسن، وقتادة إِلى أَن المُتَوَعَّدين هم في هذه الأُمَّة، وأَنَّ الله تعالى أَكْرم نبيَّه [عن أَن ينتقم منهم][1] بحضرته وفي حياته فوقعت النّقمة منهم بعد أَن ذهب به، وذلك في الفتن الحادثة في صدر الإِسلام مع الخوارج وغيرهم.

وقال الحسن وقتادة: أَكْرَمَ الله نبيَّه عن أَن يرى في أُمَّته ما يكره كما رأَى الأَنبياءُ، فكانت النّقمة بعد ذهابه ﷺ[2].

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «الذي وعدهم».

(٢) انظر ما نقل عن الحسن وقتادة بالمعنى في تفسير الطبري (٢١/ ٦٠٨).

وقد رُوي حديث عن جابر بن عبد الله أنه[1] قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ فقال: «بعلي بن أَبي طالب»[2]، والقول الأوَّل في توعُّد الكفّار أكثر.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبيَّه بالتَّمسُّك بما جاءَه من عند الله من الوحي المَتْلُوِّ وغيره.

و«الصِّراط»: الطَّريق.

وقرأَ الجمهور: ﴿أُوحِىَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول[3].

وقرأَ الضَّحّاك: (أَوْحَى) على بناءِ الفعل المبني للفاعل، [والفاعل مقدر][4] أَي: أَوْحَى اللهُ.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ يحتمل أَن يريد: وإِنَّه لشَرَف وحَمْد في الدُّنيا ـ والقوم على هذا ـ قريش ثم العرب، وهذا قول ابن عبّاس[5]، وقتادة، ومجاهد، والسّديُّ، وابن زيد[6].

قال ابن عبّاس: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل، فإِذا قالوا له: فلِمَن يكون الأَمر بعدك؟ سكت، حتّى نزلت هذه الآية، فكان إِذا سُئل عن[7] ذلك قال:

---

(١) «أنه»: ليست في السليمانية وأحمد٣.

(٢) إسناده تالف، أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٣/ ٢١٠) من طريق محمد بن مروان السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح باذام، عن جابر بن عبد الله، وهذا إسناد مظلم محمد ابن مروان متهم بالكذب والكلبي مثله، وأبو صالح باذام مولى أم هانئ ضعيف.

(٣) في أحمد٣: «المجهول».

(٤) من السليمانية وأحمد٣، وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٧٦)، وعزا في مختصر الشواذ (ص: ١٣٧) إسكان الياء لبعض أهل الشام. و«المبني» سقطت من نجيبويه والسليمانية والمطبوع، وفي أحمد٣: «المسمى»، وسقطت منه «للفاعل».

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٠٣)، والطبراني في الكبير (١٣٠٣٠) من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة.

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٦١١).

(٧) في السليمانية وأحمد٣: «بعد».

لقريش، فكانت العرب لا تقبل ذلك حتّى قبلته الأَنصار(١).

وروي عن ابن عمر: أَنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «لا يزال هذا الأَمر في قريش ما بقي منهم اثنان»(٢).

وروى أَبو موسى الأَشعريُّ عنه ﷺ أَنَّه قال: «لا يزال هذا الأَمر في قريش ما داموا إِذا حكموا عدلوا، وإِذا استُرحموا رحموا، وإِذا عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أَجمعين»(٣).

وروى معاوية أَنَّه ﷺ قال: «لا يزال هذا الأَمر في قريش ما أَقاموا الدّين»(٤).

ويحتمل أَن يريد: وإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ وموعظة، فالقوم على هذا أُمَّته بأَجمعها، وهذا قول الحسن بن أَبي الحسن(٥).

وقوله: ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ قال ابن عبّاس وغيره: معناه: [عن أوامر القرآن

---

(١) ضعيف، أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ١٧٥)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٤٣٥) من طريق عبيد الله بن سعد، عن عمي قال: حدثنا سيف بن عمر، عن وائل أبي بكر، عن الزهري، عن عبيد الله، وعن عطية بن الحارث، عن أبي أيوب، عن علي وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وسيف بن عمر الضبي متفق على ضعفه. وانظر الميزان (٢/ ٢٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٥٠١)، ومسلم (١٨٢٠).

(٣) له طرق يتقوى بها، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٨٨٧٤)، وأحمد (٤/ ٣٩٦)، وأبو داود (٥١٢٢)، والبزار (٣٠٦٩)، والروياني في مسنده (٥٤٥) من طريق عوف بن أبي جميلة، عن زياد ابن مخراق، عن أبي كنانة، عن أبي موسى به بنحوه، وأبو كنانة القرشي مجهول كما في التقريب (٨٣٢٧)، وللحديث شواهد، منها: حديث أبي برزة الأسلمي أخرجه أحمد (٤/ ٤٢١-٤٢٤)، وأبو يعلى (٣٦٤٥)، والبزار (٣٨٥٧) من طريق سكين بن عبد العزيز، عن سيار بن سلامة، عن أبي برزة مرفوعاً به بنحوه، وسكين بن عبد العزيز بن قيس العبدي العطار صدوق، وسيار بن سلامة الرياحي ثقة، وفي الباب عن علي، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وابن عباس، رضي الله عنهم.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٠٠) بلفظ مطول.

(٥) سقط نسبه من السليمانية في الموضعين، ونقل هذا القول في تفسير الماوردي (٥/ ٢٢٧) عن قتادة.

ونواهيه، وقال الحسن بن أَبي الحسن: معناه:][١] عن شكر النِّعمة فيه[٢]، واللَّفظ يحتمل هذا كلَّه ويعمه.

واختلف المفسِّرون في المراد بالسُّؤال في قوله: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا ﴾:

فقالت فرقة: أَراد [تعالى: أَن اسأَل][٣] جبريل عليه السَّلام. ذكر ذلك النَّقَّاش[٤]. وفيه بُعْد.

وقال ابن زيد، وابن جبير، والزُّهريُّ: أَراد: واسأَل الرُّسلَ إِذا لقيتهم ليلة الإِسراءِ[٥].

أَما إِن النبي ﷺ لم يسأَل الرُّسل عن هذا ليلة الإِسراءِ لأَنه كان أَثبت يقيناً[٦] من ذلك ولم يكن في شك.

وقالت فرقة: أَراد: واسأَلني أَو واسْأَلنا عمن أَرسلنا، والأَوْلى على هذا التأْويل أَن يكون ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا ﴾ استفهاماً أَمره أَن يسأَل به، كأَنَّ سؤاله: يا ربِّ، من أَرسلتَ قَبْلي من رُسُلك؟ أَجعلت في رسالته الأَمر بآلهة يُعبدون؟ ثمَّ ساق السُّؤال محكيَّ[٧] المعنى فردَّ المخاطبة إِلى محمد ﷺ في قوله: ﴿مِن قَبْلِكَ ﴾.

وقال ابن عبّاس[٨]، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسُّديُّ، وعطاءٌ: أَراد: واسْأَل

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) عزاه الماوردي (٥/ ٢٢٧) لمقاتل، وذكره الثعلبي (٨/ ٣٣٦)، وابن أبي زمنين (٤/ ١٨٧)، بلا نسبة، وقول ابن عباس لم أهتد إليه.

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) نقله عنه تفسير الماوردي (٥/ ٢٢٨).

(٥) نقله عن ابن زيد: تفسير الطبري (٢١/ ٦١٢)، وعن الكل تفسير الثعلبي (٨/ ٣٣٧).

(٦) في السليمانية: «نفساً».

(٧) في أحمد٣: «على».

(٨) الذي جاء عن ابن عباس في هذا المعنى: ما أخرجه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور =

تُبَّاع من أَرسلنا وحَمَلَة شرائعهم[١]؛ لأنَّ المفهوم أَنَّه لا سبيل إِلى سؤاله الرُّسل إِلَّا بالنَّظر في آثارهم وكتبهم وسؤال من حفظها.

وفي قراءَة ابن مسعود، وأُبيِّ بن كعب: (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا)[٢].

فهذه القراءَة تؤيِّد هذا المعنى، وكذلك قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] مفهومٌ أَنَّه لا يسأَل إِلَّا أَهلها.

ومما ينظر إِلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فمفهومٌ أَنَّ الرَّدَّ إِنَّما هو إِلى كتاب الله وسُنَّة رسوله، وأَنَّ المحاورة في ذلك إنما هي لِتُبَّاعِهِم وحفظة الشَّرع.

وقوله: ﴿يُعْبَدُونَ﴾ أَخرج ضميرهم على حدِّ من يعقل مراعاةً للَفْظ الآلهة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

هذه الآية ضرب مَثَل وأُسوة لمحمد ﷺ بموسى عليه السلام، ولكفّار قريش بقوم فرعون ومَلَئِه، والآياتُ الَّتي أُرسل بها موسى هي التِّسع المذكورة وغير ذلك مما جاءَت به الرِّوايات.

= (١٣/ ٢١٤) من طريق الكلبي، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾. قال: سل الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا. والكلبي متروك.

(١) نقله عنهم غير عطاء تفسير الطبري (٢١/ ٦١١)، وعن الكل تفسير الثعلبي (٨/ ٣٣٧). و«السدي» سقط من السليمانية.

(٢) «رسلنا» من الحمزوية والأسدية والمطبوع والسليمانية وأحمد٣، وزاد فيهما: «من»، والقراءة شاذة، عزاها له الطبري في تفسيره (٢١/ ٦١١)، بلفظ: «وَاسأَلْ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إِلَيهِمْ قَبْلَكَ رُسُلنا»، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٦٧): «واسأل من أرسلنا إليهم قبلك رسلنا».

وخصَّ الله تعالى الملأَ بالذِّكر لأَنَّهم يَسُدُّون مسدَّ جميع النَّاس، ثمَّ وصفهم تعالى بالضَّحك من آيات / موسى كما كانت قريش تضحك وتسخر من أَخبار[1] محمد ﷺ. [٥/ ٧٢]

ثمَّ وصف تعالى صورة عرض الآيات عليهم وأَنَّها كانت شيئاً بعد شيءٍ، وقوله: ﴿إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَا﴾ عبارة عن شِدَّة موقعها في نفوسهم بِجِدَّة[2] أَمرها وحدوثه، وذلك أَنَّ أَوَّل آية [عرضها موسى عليه السَّلام هي العصا واليد، وكانت أَكبر آية، ثمَّ كلَّ آية بعد ذلك][3] تقع فتعظم عندهم لحينها وتكبر لأنهم قد كانوا أُنْسُوا الّتي قبلها بها، فهذا كما قال الشاعر:

[الطويل]
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا نُوَكَّلُ بالأَدْنَى وإِنْ جَلَّ مَا يمضِي[4]

وذهب الطَّبريُّ إِلى أَن الآيات هنا: هي الحُجَجُ والبيِّنات[5].

ثمَّ ذكر تعالى أَخذهم بالعذاب في القُمَّل والضفادع والدَّم[6] وغير ذلك، وهذا كما أَخذ قريشاً بالسِّنين والدُّخان.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ تَرَجٍّ بحسب معتقد البشر وظنِّهم.

و﴿يَرۡجِعُونَ﴾ معناه: يتوبون ويُقلعون.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾، جائز أَن يكون قائل ذلك من أَعلمهم بكفر السَّحرة فيكون قوله استهزاءً وهو يعلم قدر السِّحر وانحطاط منزلته، ويكون قوله: ﴿عِندَكَ﴾ بمعنى: في زعمك وعلى قولك.

---

(١) في السليمانية: «آيات».

(٢) في أحمد٣ والسليمانية: «لحدة»، وفي نور العثمانية: «بحدة».

(٣) سقط من أحمد٣، وفيه: «تعظم» بدل «فتعظم».

(٤) لأبي خراش الهذلي كما في المعاني الكبير (٣/ ١١٩٩)، والكامل (٢/ ١٣٥)، وأمالي القالي (١/ ٢٧١)، والأغاني (١٠/ ٢١٠).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٦١٤).

(٦) سقط من أحمد٣، وفيه: «وغيرها».

ويحتمل أَن يكون القائل ليس من المتمرِّدين الحُذَّاق منهم، ويطلق لفظ السّاحر لأَحد وجهين: إِمَّا لأَن السِّحر كان عند عامَّتهم علم الوقت، فكأَنَّه قال: يا أَيُّها العالم.

وإِمَّا[1] لأَنَّ هذه الاسْمية قد كانت انطلقت عندهم على موسى لأَوَّل ظهوره فاستصحبها هذا القائل في مخاطبته قِلَّة تحرير وغباوة[2]، ويكون القول ـ على هذا التَّأْويل ـ جدّاً من القائل، ويكون قوله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ بمعنى: إِن نفعتنا دعوتك، وهذا التَّأْويل أَرجح، أَعني: أَنَّ كلام هذا القائل مقترنٌ بالجدِّ.

وقرأَ ابن عامر وحده: ﴿يَأَيُّهُ﴾ بهاءٍ مضمومة فقط[3].

ثمَّ أَخبر تعالى عنهم أَنَّه لمّا كشف عنهم العذاب نكثوا، ولو كان الكلام هزلاً من أَوَّله لما وقع نكث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

نداءُ فرعون يحتمل أَن يكون بلسانه في ناديه، ويحتمل أَن يكون بأَن أَمر من ينادي في النّاس، ومعنى هذه الحجّة[4] الّتي نادى بها أَنَّه أَراد أَن يُبَيِّن فضله على موسى؛ إِذْ هو ملك مصر وصاحب الأَنهار والنِّعم، وموسى خاملٌ متقلل[5] لا دُنيا له، قال: فلو

(١) في السليمانية: «وإنما»، وفيها: «التسمية» بدل «الاسمية».

(٢) في أحمد٣: «وعبارة».

(٣) والباقون بالفتح، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٢)، والسبعة (ص: ٥٨٦). وفي الحمزوية: «ابن عباس».

(٤) في السليمانية: «الحكاية».

(٥) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣: «متعلِّل».

أَنَّ إِله موسى يكون حقّاً كما يزعم لما ترك الأَمر هكذا.

و﴿مِصۡرَ﴾ من بحر الإِسكندرية إِلى أَسوان بطول النيل، و﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ الّتي أَشار إِليها: هي الخلجان الكبار الخارجة من النيل، وعظمها نهر الإِسكندرية وتَنِّيس ودمياط ونهر طولون[1].

وقوله: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ﴾، قال سيبويه: ﴿أَمۡ﴾ هذه المعادلة، والمعنى: [أفأنتم لا تبصرون أم تبصرون؟][2] فوضع موضع قوله: أَمْ تبصرون الأمر الّذي هو حقيق أَن يُبصر عنده، وهو أَنَّه خير من موسى، و(لا)[3] ـ على هذا النَّظر ـ نافية.

وقالت فرقة: المعنى: أَفلا تبصرون أَم لا تبصرون؟ ثمَّ اقتصر على ﴿أَمۡ﴾ لِدَلالَةِ ظاهر الكلام على المحذوف منه، وابتدأَ قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٌ﴾ إِخباراً منه، فقوله: ﴿أَفَلَا﴾ ـ على هذا النّظر ـ بمنزلة (هَلَّا) و(لولا) على معنى التّحضيض.

وقالت فرقة: ﴿أَمۡ﴾ بمعنى (بلْ).

وقرأَ بعض النّاس: (أَما أنا)، حكاه الفراءُ[4].

وكان مجاهد يقف على [﴿أَمۡ﴾، ثمَّ يبتدئ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٌ﴾[5].

قال قتادة: وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب] (أَمْ أَنَا خَيْرٌ أَم هذا)[6].

و﴿مَهِينٞ﴾ معناه: ضعيف.

وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ إِشارة إِلى ما بقي في لسان موسى من أَثر الجمرة،

---

(١) في أحمد:٣، «ميزلون»، وأشار لها في هامش السليمانية والمطبوع.

(٢) في الأصل: «أم أنتم لا تبصرون»، وفي السليمانية: «أفأنتم لا تبصرون»، وانظر الكتاب لسيبويه (٣/ ١٧٣).

(٣) ليست في السليمانية.

(٤) في معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٥)، بلا نسبة، وتفسير الطبري (٢١/ ٦١٨). في السليمانية: «بل»، وزاد: «خبر» قبل قوله: «حكاه الفراء».

(٥) الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٧٦).

(٦) وهي شاذة، لم أجدها لغيره، وسيأتي تفسير الطبري (٢١/ ٦٢٨) بلفظ: «أآلهتنا خير أم هذا»، وما بين معكوفتين سقط من الحمزوية.

وذلك أَنَّها كانت أَحدثت في لسانه عقدة، فلمَّا دعا في أَن تُحَلَّ العقدة[١] لِيُفْقَه قولُه أُجيبت دعوته، لكنه بقي أَثر كان البيان يقع منه، لكن فرعون عيَّر به.

وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يقتضي أَنَّه كان يُبين.

وقرأَ أَبو جعفر محمد بن عليٍّ: (يَبِينُ) بفتح الياءِ الأُولى[٢].

وقوله: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ يريد: من السَّماءِ على معنى التكرمة له.

وقرأَ الجمهور: ﴿أُلْقِيَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول[٣].

وقرأَ الضَّحّاك: (أَلْقَى) بفتح الهمزة [والقاف على بنائه للفاعل]، (أَسَاوِرَةً) نصباً[٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿أَسَاوِرَةٌ﴾، وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ وهي قراءَة الحسن والأَعرج، وقتادة، وأَبي رجاءٍ، ومجاهد[٥].

وقرأَ أُبيُّ بن كعب: (أَسَاوِرُ)، وفي مصحف ابن مسعود: (أَسَاوِيرُ)[٦].

ويقال: سِوَارٌ وإِسْوَارٌ لما يجعل في الذِّراع من الحليِّ، حكى أَبو زيد اللُّغتين، وأَبو عمرو بن العلاءِ[٧]، وهو كالْقُلْبِ، قاله ابن عبّاس والنّاس[٨].

---

(١) من نجيبويه.

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٣٨٣).

(٣) في أحمد٣: «على الفعل المجهول».

(٤) وهي شاذة، البحر المحيط (٩/ ٣٨٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٢٨). وما بين المعكوفتين ليس في أحمد٣.

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٧)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٨٣).

(٦) وهما شاذتان، عزا في مختصر الشواذ (ص ١٣٦) الأولى للأعمش، وزاد في الثانية أبياً، ومثله في البحر المحيط (٩/ ٣٨٣).

(٧) انظر قول أبي عمرو في تفسير الطبري (٢١/ ٦٢٠)، ولم أجد قول أبي زيد.

(٨) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦١٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: أَقْلِبة من ذهب.

وكانت عادة الرِّجال يومئذ حَبْس[١] ذلك والتزين[٢] به.

و(أَسَاوِرة) جمع (إِسْوَارٍ)، ويجوز أَن يكون جمع (أَسْوِرَة)؛ كَأَسْقِيَة وَأَسَاقي[٣]، وكذلك (أَسَاوِرُ) جمع (إِسْوَارٍ)، والهاءُ في (أَسَاوِرة) عِوَض عن الياءِ المحذوفة؛ لأَنَّ الجمع إِنَّما هو (أَساوير) كما في مصحف ابن مسعود، فحذفوا الياءَ وجعلوا الهاءَ عِوَضاً منها، كما فعلوا[٤] ذلك في: زنادقة، وبطارقة وغير ذلك، و(أَسْوِرَةٌ) جمع (سِوَارٍ).

وقوله: ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أَي: يحمونه ويشهدون له ويقيمون حجَّته.

ثمَّ أَخبر تعالى عن فرعون أَنَّه استخفَّ قومه بهذه المقالة، أَيْ طلب خِفَّتهم وإِجابتهم إِلى غرضه، فأَجابوه إِلى ذلك وأَطاعوه في الكفر لفسقهم ولِمَا كانوا بسببيله من الفساد.

و﴿ءَاسَفُونَا﴾ معناه: أَغضبونا، بلا خلاف، وإِغضاب الله تعالى هو أَن تعمل الأَعمال الخبيثة الَّتي تظهر من أَجلها أَفعاله الدّالَّة على إِرادة السُّوءِ بمن شاءَ، والغضب ـ على هذا ـ صفة فعل، وهو مما يتردَّد، فإِذا كان بمعنى ما يظهر من الأَفعال فهو صفة فعل، وإِذا رُدَّ إِلى الإِرادة فهو صفة ذات، وفي هذا نظر.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿سَلَفًا﴾ بفتح السّين واللام، جمع سالف؛ كحارسٍ وَحَرَسٍ، و«السَّلَف»: هو الفارطُ / من الأُمم المتقدِّمُ[٥]، أَي: جعلناهم متقدمين للأُمم الكافرة عظةً[٦] ومثلًا لهم يعتبرون بهم أَو يقعون فيما وقعوا فيه، ومن هذه [٥/ ٧٣]

(١) في نجيبويه بدله: «لبس».
(٢) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «والتَّزَيي»، وأشار لها في حاشية المطبوع.
(٣) في أحمد٣: «أشقية وأشاقي».
(٤) في أحمد٣ والمطبوع والسليمانية: «قالوا».
(٥) في أحمد٣ والسليمانية: «المتقدمة».
(٦) سقط من أحمد٣، وفي السليمانية: «عبرة» بدل «مثلًا».

اللفظة قول النَّبيِّ ﷺ: «يذهبُ الصالحون أَسلافاً»[١]، وقوله في ولده إِبراهيم: «ندفنه عند سلفنا الصالح عثمان بن مظعون»[٢].

وقرأَ حُميد الأَعرج، وحمزة، والكسائيُّ: ﴿سُلُفاً﴾ بضمِّ السّين واللّام، وهي قراءَة عبد الله وأَصحابه، وسعيد بن عيّاض، وابن كثير[٣].

وهو جمع سَلِيف، وذكر الطَّبريُّ عن القاسم بن معن أَنَّه سمع العرب تقول: مضى سليفٌ من النّاس، بمعنى السَّلَف[٤].

---

(١) أخرجه مرفوعاً بهذا اللفظ: ابن حبان (٦٨٥٢) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٩٨) وغيره من طريق إسماعيل بن أبي خالد ومن طريق بيان عن قيس بن أبي حازم عن مرداس الأسلمي به مرفوعاً، والذي اختار البخاري إخراجه في هذا الخبر من حديث إسماعيل (٤١٥٦) وبيان (٦٤٣٤) أيضاً عن قيس عن مرداس مرفوعاً هو: «يقبض الصالحون الأول فالأول»، ووقع عند الطبراني في الكبير (٢٠/ ٣٠٢): شريك عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن المستورد به مرفوعاً، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٢٠/ ٣١٠) من طريق: حجين بن المثنى ثنا ليث بن سعد عن موسى بن علي عن أبيه عن المستورد الفهري به مرفوعاً، وروي من حديث ابن مسعود مرفوعاً، لكن سئل الدارقطني كما في العلل (٥/ ٣٢٢) عن حديث أبي الأحوص، عن عبد الله، قال رسول الله ﷺ: «يذهب الصالحون أسلافاً ويبقى أهل الريب»، فقال: يرويه زيد بن أبي أنيسة، عن أبي إسحاق مرفوعاً، والصحيح موقوف.اهـ، أخرجه عن ابن مسعود من قوله: الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٥) وغيره.

(٢) ضعيف، أخرج الطبراني في الكبير (١/ ٢٨٦) والضياء في المختارة (٢/ ٢٠٤) من طريق: عبد الرحمن بن واقد العطار ثنا معمر بن يزيد عن الحسن عن الأسود بن سريع قال: لما مات عثمان ابن مظعون أشفق المسلمون عليه فلما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال: «ألحق بسلفنا الصالح عثمان ابن مظعون»، قال ابن عدي: عبد الرحمن بن واقد حدث بالمناكير عن الثقات، ويسرق الحديث.اهـ، وفي الأوسط (٦/ ٤١) من طريق: يونس بن محمد عن صالح المري عن قتادة عن أنس بن مالك قال: لما ماتت رقية بنت النبي ﷺ قال: «الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون»، قال الطبراني: تفرد به يونس ابن محمد.اهـ، وصالح المري ضعيف جداً.

(٣) وهي سبعية لحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٧)، وذكر ابن كثير هنا غلط.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٦٢٣). وفي نجيبويه: «أنه سمع بعض العرب يقول».

وقرأ عليٌّ بن أَبي طالب، وحُميد الأَعرج أَيضاً: (سُلَفاً) بضمِّ السّين وفتح اللاّم[١].

كأَنَّه جمع سُلْفَةٍ بمعنى: الأُمَّة والقطعة[٢].

و«الآخِرُونَ»: هم من يأْتي مِنَ البشر إِلى يوم القيامة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾.

رُوي عن ابن عبّاس وغيره في تفسير هذه الآية: أَنَّه لمَّا نزلت ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية، ونزل مع ذلك ذكر عيسى وحاله وكيف خُلق من غير فحل، قالت قريش[٣]: ما يريد محمد من ذكر عيسى إِلَّا أَن نعبده نحن[٤] كما عبدت النَّصارى عيسى، فهذا كان صدودهم من ضربه مثلاً[٥].

وقرأَ نافع، وابن عامر، والكسائيُّ، وأَبو جعفر، والأَعرج، والنَّخَعيُّ، وأَبو رجاءٍ، وابن وثّاب: ﴿يَصُدُّونَ﴾ بضمِّ الصّاد بمعنى يُعرضون.

وقرأَ الباقون، وابن عبّاس، وابن جبير، والحسن، وعكرمة: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر

---

(١) انظر عزوها لحميد في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦)، وزاد علياً، ونسبتها لمجاهد في البحر المحيط (٩/ ٣٨٤) وزاد الأعرج.

(٢) في المطبوع: «والقطَّة».

(٣) في الأصل: «قالت فرقة».

(٤) ليست في السليمانية والمطبوع.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٢٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به بنحوه بلفظ مطول.

الصّاد[1]، بمعنى: يضجُّون، قاله ابن عبّاس وغيره[2]، وأَنكر ابن عباس ضمَّ الصّاد[3]، ورويت عن عليٍّ بن أَبي طالب، وقال الكسائيُّ: هما لغتان بمعنى واحد؛ مثل: يعرِشون ويعرُشون[4].

وقوله تعالى: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا﴾ ابتداءُ معنى ثان، وذلك أَنَّه لمَّا نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] جاءَ عبد الله بن الزِّبعْرى ونُظراؤه، فقالوا: نحن نخصم محمداً، أَآلهتنا خير أَم عيسى؟ وعلموا أَنَّ الجواب أَن يقال لهم: عيسى، قالوا: وهذه آية الحصب لنا أَوْ لِكُلِّ الأُمم من الكفّار؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «بل لكلِّ من تقدَّم أو تأَخَّر من الكفّار»، فقالوا: نحن نرضى أَن تكون آلهتنا مع عيسى إِذ هو خير منها، وإِذْ قد عُبد فهو من الحَصَب إِذن[5]، فقال الله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾[6]،

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٧)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي، والصعب بن عثمان، جميعهم عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه أحمد (١/ ٣١٧)، والفراء في معاني القرآن (٣/ ٣٦)، والطبري (٢٠/ ٦٢٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٧)، والطبراني في الكبير (١٢٧٤٠)، من طريق عاصم، عن أبي رزين، عن أبي يحيى مولى بن عقيل الأنصاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وعند الطبري بدون أبي يحيى، وسقط ذكر ابن عباس من السليمانية، وكذا من الأصل إلا أن فيه: «يضحكون».

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٧٦).

(٥) في أحمد٣: «أيضاً».

(٦) لا بأس به، أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٨)، وابن مردويه في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٩) من طريق إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرَةَ، عن يزيد بن أبي حكيم، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به وفي آخره، ثم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٥ - ١٦)، والطبراني في الكبير (١٢٧٣٩)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٦) من طريق أبي بكر بن عياش، عن =

[أَي: ما مثَّلوا هذا التَّمثيل إلَّا جَدلاً][1] منهم ومغالطة، ونَسوا أَنَّ عيسى لم يُعبد برضى منه ولا عن إِرادة، ولا له في ذلك ذنب.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿أَآلِهَتُنَا﴾ بهمزة استفهام وهمزة بعدها بيْن بيْن وأَلف بعدها.

وقرأَ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بهمزتين مُحَقَّقَتين بعد الثانية أَلف.

وقرأَ ورشٌ عن نافع بغير استفهام: ﴿آلِهَتُنَا﴾ على مثال[2] الخبر.

وقرأَ قالون عن نافع: ﴿آلِهَتُنَا﴾ على الاستفهام بهمزة واحدة بعدها مدَّة[3].

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (خَيْرٌ أَمْ هَذَا)[4].

فالإشارة إِلى محمد، وخُرِّجت هذه القراءَة على التَّأْويل الأَوَّل الَّذي فسَّرناه[5]، وكذلك قالت فرقة ممن قرأَ: ﴿أَمْ هُوَ﴾ إِنَّ الإِرادة محمد ﷺ، وهو قول قتادة.

وقال ابن زيد، والسّديُّ: المراد بـ﴿هُوَ﴾ عيسى[6]، وهذا هو المترجّح.

= عاصم بن بهدلة، عن أبي رزين، عن أبي يحيى، وهو مصدع الأعرج المعرقب الكوفي، عن ابن عباس به، وأخرجه الضياء في المختارة (٣٢٤) من طريق محمد بن الصلت، عن أبي كدينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) في السليمانية: «معنى».

(٣) الحاصل أن التحقيق للكوفيين، والتسهيل للباقين، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، وانظر ما ذكر عن نافع في السبعة (ص: ٥٨٨).

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢١/ ٦٢٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٨٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٧٧).

(٥) في نجيبويه ونور العثمانية: «قدرناه».

(٦) نقله عنهم الطبري في تفسيره (٢١/ ٦٢٨).

والجِدَالُ عند العرب: المحاورة بمغالطة[١]، أَو تحقيق، أَو ما اتفق من القول[٢]، إِنَّما القصد به أَن يَغْلِب صاحبُه في الظّاهر لا أَن يتطلَّب[٣] الحقَّ في نفسه.

وروى أَبو أُمامة عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إِلَّا أُوتوا الجدل»، ثمَّ قرأَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾[٤].

قال أَبو أُمامة: ورأَى ﷺ قوماً يتنازعون في القرآن فغضب حتّى كأَنَّما صُبَّ على وجهه الخَلُّ، ثم قال: «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فما ضلَّ قوم إِلَّا أُوتوا الجدل»[٥].

---

(١) في نجيبويه ونور العثمانية: «بغلظ».

(٢) زاد في أحمد٣: «إنما اتفق من القول». وفيه: «إنما القصد من القول أن يغلب صاحبه به في الظاهر لا أن يطلب....».

(٣) في السليمانية: «يتغلب».

(٤) إسناده فرد لين، وصححه الترمذي، أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢-٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٣٦)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠١)، والطبري (٢٠/ ٦٢٨)، والطبراني في الكبير (٨٠٦٨)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٨٦)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٤٧-٤٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٤٣٨) وغيرهم من طريق حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة، به، بنحوه، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار، وحجاج ثقة مقارب الحديث، وأبو غالب اسمه حزور.اهـ، وأبو غالب البصري قيل اسمه حزور، وقيل سعيد بن الحزور، وقيل نافع صاحب أبي أمامة وهو لا بأس به إلا أنه ليس بحجة لا سيما إذا انفرد.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٢٨-٦٢٩) من طريق جعفر بن الزبير الشامي، وابن أبي حاتم (١٨٥١٥) من طريق ابن مخزوم كلاهما عن القاسم بن عبد الرحمن الشامي، عن أبي أمامة به، بنحوه، وفي لفظ ابن أبي حاتم قال: ما ضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾. والقاسم بن عبد الرحمن كما قال أبو حاتم: حديث الثقات عنه مستقيم، لا بأس به، وإنما ينكر عنه الضعفاء، قلت: وجعفر بن الزبير الشامي متروك، ولا أدري من ابن مخزوم هذا. و«لا» في أول الحديث ليست في السليمانية.

ثمَّ أَخبر الله تعالى عنهم أَنَّهم أَهل خصام ولَدَد.

وأَخبر عن عيسى أَنَّه عبد أَنعم الله عليه بالنُّبوَّة والمنزلة العالية[١]، وجعله مثلًا لبني إِسرائيل.

[وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ الآية][٢]، أَي: لا تستغربوا أَن يخلَق عيسى من غير فحل، فإِنَّ القدرة تقتضي ذلك وأَكثر منه.

وقوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ معناه: لجعلنا بدلاً منكم، أَي: لو شاءَ الله لجعل بدلاً من بني آدم ملائكة يسكنون الأَرض ويخلفون بني آدم فيها.

وقال مجاهد وابن عبّاس[٣]: يخلف بعضهم بعضاً[٤].

والضَّمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ﴾ قال ابن عبّاس[٥]، والحسن، ومجاهد،

---

(١) في الحمزوية والسليمانية: «الغالبة».

(٢) في حاشية المطبوع: هكذا وردت الفقرَةُ كلّها في الأصول، ونعتقد أن هذا زيادة من النّساخ لأنَّ النَّهي عن الاستغراب في خلق عيسى عليه السَّلام من غير أب مرتبط بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا﴾، ولا علاقة لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ به، فهو حديث عن بني آدم، وأنَّ الله تعالى لو شاء لجعل في الأرض ملائكة بدلاً من بني آدم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٣٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) لفظه في تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٠): «يعمرون الأرض بدلًا منكم»، ونقل عن قتادة: يخلف بعضهم بعضا، مكان بني آدم.

(٥) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٥٣٥) عن معاوية بن هشام القصار، عن عمارة بن رزيق، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وهذا إسناد حسن، وأخرجه أحمد (١/ ٣١٧)، والحارث كما في بغية الباحث (٧٢٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٧) والطبري (٢٠/ ٦٣١)، والطبراني في الكبير (١٢٧٤٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٨١٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٥٥) من طريق: عاصم بن أبي النجود، عن أبي رزين مسعود بن مالك، عن أبي يحيى مصدع، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول، وأخرجه الطبري (٢٠/ ٦٣٢) من طريق جابر بن يزيد، وعطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٤٤٩) من طريق سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقتادة، والسّديُّ، والضَّحّاك، وابن زيد: الإِشارة به إِلى عيسى.

وقالت فرقة: إِلى محمد ﷺ، وقال الحسن أَيضاً، وقتادة: إِلى القرآن[1].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿لَعِلْمٌ﴾ بكسر العين وسكون اللّام.

[وقرأَ ابن عبّاس، وأَبو هريرة، وقتادة، وأَبو مالك الغفاريّ، ومجاهد، وأَبو نضرة، ومالك بن دينار والضحاك: (وإِنَّه لعَلَمٌ) بفتح العين واللَّام][2].

وقرأَ عكرمة مولى ابن عبّاس: (لَلعِلمُ) بلامين [الأولى مفتوحة][3].

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب: (لَذِكْرٌ للسَّاعَة)[4].

فمن قال: إِنّ الإِشارة إِلى عيسى؛ حَسُن مع تأْويله (عِلْمٌ) و(عَلَم)، أَي هو إِشعار بالسَّاعة وشَرْط من أَشراطها، يعني خروجه في آخر الزَّمان، وكذلك من قال الإِشارة إِلى محمد ﷺ إِذ هو آخر الأَنبياءِ، فقد تميزت السّاعةُ به نوعاً وقدراً من التمييز [وبقي التَّحديد][5] التّام الّذي انفرد الله بعلمه.

ومن قال: الإِشارة إِلى القرآن؛ حَسُن قوله في قراءَة من قرأَ: ﴿لَعِلْمٌ﴾ [بكسر العين وسكون اللَّام][6]، أَي: يُعلمكم بها وبأَهوالها وصفاتها، وفي قراءَة من قرأَ: (لَذِكْرٌ).

---

(١) انظر أقوالهم جميعاً في تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٣).

(٢) سقط من الأصل، إلا أن «الضحاك» ليس في المطبوع وأحمد٣، وفي المطبوع: «أبو نضرة المنذر ابن كعب».

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣، وهما شاذتان، عزا الأولى لابن عباس وأبي هريرة والضحاك وقتادة في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦)، وذكر الثانية لأبي نضرة خاصة، والكل في البحر المحيط (٩/ ٣٨٦) وزاد في الأولى: «آخرين»، وأشار إلى انفراد ابن عطية بأبي نضرة.

(٤) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٦٩٠).

(٥) في نجيبويه: «ونفي التحذير».

(٦) ليس في أحمد٣.

وقوله: ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ﴾، أَي: قل لهم يا محمد: لا تَشُكُّنَّ فيها.

وقوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ إِشارة إِلى الشَّرع، ثمَّ أَمره بتحذير العباد من الشَّيطان وإِغوائه، ونبَّههم على عداوته.

[٥/ ٧٤] / قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

(البيِّـنَاتُ) الَّتي جاءَ بها عيسى عليه السَّلام: هي إِحياءُ الموتى وإِبْرَاءُ الأَكمه والأَبرص إِلى غير ذلك، [وقال قتادة: الإِنجيل.

و(الحِكْمَةُ): النُّبُوَّة]، قاله السُّديُّ وغيره(١).

وقوله: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ قال أَبو عبيدة: ﴿بَعۡضَ﴾ بمعنى: كلّ(٢).

وهذا ضعيف تردُّه اللُّغة، [ولا وجه له](٣) ولا حجَّة له من قول لبيد:

[الكامل] .... أَو يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمَامُهَا(٤)

لأَنَّه أَراد نفسه ونفس من معه، وذلك بعض النُّفوس، وإِنَّما المعنى الَّذي ذهب إِليه الجمهور: أَنَّ الاختلاف بين النّاس هو في أُمور كثيرة لا تُحصى عدداً، منها أُمور

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٤)، وما بين معكوفتين سقط من الحمزوية وبعضه من أحمد٣.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٥).

(٣) من المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣.

(٤) وصدره: تَرَّاكُ أمكِنَةٍ إذا لَمْ أَرْضَهَا، وهو من معلقته، وقد تقدم في تفسير الآية (٥٠) من (سورة آل عمران).

أُخروية ودينيَّة[(١)]، ومنها ما لا مدخل له في الدِّين، فكلُّ نبيٍّ إِنَّما يبعث ليبيِّن أمر الأديان والآخرة، فذلك بعض ما تختلف فيه.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ﴾ حكاية عن عيسى عليه السَّلام إِذ أَشار إِلى شرعه.

و﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ المذكورون، قال جمهور المفسرين: أَراد: اختلفت بنو إِسرائيل وتحزَّبوا، فمنهم من آمن به وهو قليل، وكفر الغير، وهذا إِذا كان معهم حاضراً.

وقال قتادة: الأَحزاب هم الأَربعة الَّذين كان لهم الرَّأي، والمناظرة صرفت إِليهم في أَمر عيسى عليه السَّلام[(٢)].

[وقال ابن حبيب وغيره: ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: النَّصارى، افترقت مذاهبهم فيه بعد رفعه عليه السَّلام][(٣)]:

فقالت فرقة: هو الله، وهم اليعقوبيَّة، قال الله عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقالت فرقة: هو ابن الله، وهم النسطوريَّة، فقال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقالت فرقة: هو ثالث ثلاثة، وهم الملكانيَّة[(٤)]، قال الله تعالى فيهم: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣][(٥)].

---

(١) في السليمانية: «ودنيوية».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٦).

(٣) سقط من الحمزوية، وفي الأسدية: «خبيب» بدل «ابن حبيب»، وسقط من أحمد٣ من «المناظرة» إلى «افترقت».

(٤) في الحمزوية: «الملكية».

(٥) انظر قول ابن حبيب في الهداية لمكي (١٠/ ٦٦٩٣).

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾ بمعنى: من تلقائهم ومن أَنفسهم ثار شرُّهم ولم يدخل عليهم الاختلاف من غيرهم.

والضَّمير في ﴿يَنظُرُونَ﴾ لقريش، والمعنى: ينتظرون.

و﴿بَغۡتَةٗ﴾ معناه: فجأَة دون مقدمة ولا إِنذار بها.

ثمَّ وصف تعالى بعض حال القيامة وأَنَّها ـ لهول مطلعها والخوف المطيف بالنّاس فيها ـ يتعادى[١] ويتباغض كلّ خليل كان في الدُّنيا على غير تقى؛ لأَنَّه يرى أَنَّ الضَّرر دخل عليه مِن قِبَل خليله، وأَمَّا المتَّقون فيرون أَنَّ النَّفع دخل[٢] من بعضهم على بعض، هذا معنى كلام عليٍّ رضي الله عنه بن أَبي طالب وابن عبّاس والناس[٣].

وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ﴾، المعنى: يقال لهم، أَي: للمتَّقين.

وقرأَ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿يا عباديَ﴾ بفتح الياءِ، وهذا هو الأَصل.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: [﴿يا عبادي﴾ بسكون الياءِ.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم:][٤] ﴿يَٰعِبَادِ﴾ بحذف الياءِ.

قال أَبو عليٍّ: وحذفها أَحسن لأَنَّها في موضع تنوين وهي قد عاقبته، فكما يحذف

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) زاد في السليمانية: «عليهم».

(٣) أثر علي بن أبي طالب أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٤٤٣) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث بن عبد الله الأعور، عن علي رضي الله عنه بلفظ مطول، والحارث بن عبد الله الأعور ضعيف، وأخرجه الطبري (٢٠/ ٦٤٠) من طريق معمر، عن أبي إسحاق، أن علياً فذكره، ومن طريق ابن جرير أخرجه البغوي في تفسيره (٧/ ٢٢١) وزاد في الإسناد بين معمر وأبي إسحاق «قتادة»، وأما أثر ابن عباس فأخرجه الطبري (٢٠/ ٦٤٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فكل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين. و«ابن عباس» من المطبوع ونور العثمانية، و«الناس» من نجيبويه ونور العثمانية.

(٤) سقط من أحمد٣، والقراءات الثلاث سبعية، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٨).

التَّنوين في الاسم المنادى المفرد كذلك تحذف الياءُ هنا لكونها[(١)] على حرف كما أَنَّ التَّنوين كذلك، ولأنَّها لا تنفصل من المضاف كما لا ينفصل التَّنوين من المُنَوَّن[(٢)].

وذكر الطَّبريُّ عن المعتمر، عن أَبيه أَنَّه قال: سمعتُ أَنَّ النّاس حين يُبعثون ليس منهم أَحدٌ إِلَّا فزع، فينادي منادٍ: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾، فيرجوها النّاس كلّهم، قال: فيُتبعها: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾، قال: فَييْأَس منها جميع الكفّار[(٣)].

وقرأَ الحسن، والزهري، وابن أَبي إِسحاق، وعيسى بن عمر، ويعقوب: ﴿لا خوفَ﴾ بنصب الفاءِ من غير تنوين.

وقرأَ ابن محيصن: (لا خوفُ) برفع الفاءِ من غير تنوين[(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٧٣ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ نعتٌ للعباد [في قوله: ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾][(٥)]، ثمَّ ذكر أَمره إِيّاهم بدخول الجنَّة هم وأَزواجهم، و﴿ تُحۡبَرُونَ ﴾ معناه: تُنعَّمون وتُسَرُّون، والحَبِرة والحبور: السُّرور، و«الأَكوابُ»: ضرب من الأَواني كالأَباريق إِلَّا أَنها لا آذان لها [ولا مقابض][(٦)].

---

(١) في المطبوع: «لسكونها».

(٢) الحجة للفارسي (٦/ ١٥٧).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٩).

(٤) قراءة يعقوب عشرية انظرها في النشر (٢/ ٢١١)، والثانية شاذة، انظرها مع موافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٨٧).

(٥) ليس في أحمد٣.

(٦) سقط من أحمد٣.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ﴾ بإِثبات الهاءِ الأَخيرة، وكذلك في مصحف المدينة ومصاحف الشّام.

وقرأَ الباقون، وأَبو بكر عن عاصم، والجمهور: ﴿ما تشتهي﴾ بحذف الهاءِ، وكذلك وقع في أَكثر المصاحف[١].

وحذفها من الصِّلة لطول القول[٢] حسنٌ، وذلك كثير في التَّنزيل، كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ﴾ [الفرقان: ٤١]، وقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، وغير ذلك.

وفي مصحف ابن مسعود: (مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّهُ الأَعْيُن) بالهاءِ فيهما[٣].

وقوله تعالى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ليس المعنى أَنَّ الأَعمال أَوجبت على الله إِدخالهم الجنَّة، وإِنَّما المعنى أَنَّ حظوظهم منها على قدر أَعمالهم، وأَمّا نفس دخول الجنَّة وأَن يكون المرءُ[٤] من أَهلها؛ فبفضل الله وهداه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ / ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾. [٥/ ٧٥]

لمّا ذكر الله تعالى حال أَهل الجنّة وما يقال لهم، عَقَّب ذلك بذكر حال الكفرة من

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٨)، والنشر (٢/ ٣٧٠)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٤٥).

(٢) في السليمانية: «الكلام».

(٣) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٣٨٨).

(٤) في الأسدية٣: «المؤمن»، وفي السليمانية: «الأمر».

الخلود في النّار [والإبلاس؛ ليُبيِّن الفرق][١]، ولتتضح الأمور التّي منها النِّذارة.

و«المجرمون» في هذه الآية: الكفّار؛ بدليل الخلود في النار[٢] وما تضمّنته الألفاظ من مخاطبة مالك وغير ذلك.

و«المُبْلِسُ»: المُبْعَد اليائس من الخير، قاله قتادة وغيره[٣].

وقرأ ابن مسعود: (وهم فيها مُبْلِسُونَ)[٤]، أَي: في جهنَّم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ﴾، أَي: ما وضعنا العذاب فيمن لا يستحقّه، ولكن هم ظلموا في أَن وضعوا العبادة فيمن لا يستوجبها، ووضعوا الكفر والتَّفريط[٥] في جنب الله تعالى.

وقرأ الجمهور: ﴿كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ على الفصل.

وقرأ ابن مسعود: (هم الظالمون)[٦] على الابتداء والخبر، وأن تكون الجملة خبر كان.

ثم ذكر تعالى عن أهل النار أنهم ينادون مالكاً خازن النار فيقولون ـ على معنى الرغبة التي هي في صيغة الأمر ـ: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ أي: ليمتنا مرة[٧] حتى لا يتكرر عذابنا.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) «في النار»: من نجيبويه.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٠) بالمعنى، وجاء في معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧): المبلس: القانط اليائس من النجاة.

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧).

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦) لأبي زيد النحوي.

(٧) في المطبوع: «مدة».

وقرأ النبي ﷺ على المنبر: ﴿يَمَٰلِكُ﴾ بالكاف[(١)]، وهي قراءَة الجمهور.

وقرأَ ابن مسعود، ويحيى، والأَعمش: (يا مَالِ) بالتَّرخيم، ورويت عن عليٍّ بن أبي طالب[(٢)]، ورواها أَبو الدرداءِ عن النَّبيِّ ﷺ[(٣)].

و«القَضَاءُ» في هذه الآية بمعنى الموت، كقوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ [القصص: ١٥].

وروي في تفسير هذه الآية عن ابن عبّاس: أَنَّ مالكاً يقيم بعد سؤالهم أَلف سنة[(٤)]، وقال نوف[(٥)]: مئة سنة، وقيل: ثمانين سنة، وقال عبد الله بن عمرو: أَربعين سنة[(٦)]، ثمَّ حينئذ يقول لهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٣٠)، ومسلم (٨٧١) من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه، وليس في الحمزوية: «على المنبر».

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٥٧). وفي أحمد٣ بياض مكان «مسعود».

(٣) ضعيف، أخرجه حفص بن عمر في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (١٠٣) عن علي بن مسلم بن الهيثم الهاشمي، عن عاصم بن يوسف الحناط، عن قطبة بن عبد العزيز السعدي، عن الأعمش عن شمر ابن عطية عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء به، بنحوه، وشيخ حفص بن عمر لم أقف له على ترجمة، وشهر بن حوشب ليس بالقوي.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٢)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٨٥)، وأسد بن موسى في الزهد (٤)، والدولابي في الكنى (٨٢٢) من طريق الثوري، عن عطاء بن السائب، عن أبي الحسن، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وأبو الحسن جاء التصريح به عند الدولابي أنه هلال بن يساف، وتصحف «أبو الحسن» في المطبوع من الزهد إلى «أبي الحسين»، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٩)، ومن طريقه البيهقي في البعث (٥٨٨) من طريق الثوري، عن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ورواية الثوري عن عطاء مستقيمة لكن كأن عطاء اضطرب في إسناده.

(٥) في نجيبويه: «فوق»، وفي أحمد٣: «قوم»، وانظر قول نوف هذا في تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٥)، وقد سقط قوله من المطبوع.

(٦) رجاله ثقات، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣١٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٥٩)، وهناد في الزهد (٢١٤)، والطبري (٢٠/ ٦٤٩-٦٥٠)، وابن أبي حاتم (١٤٠٤٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٦-٤/ ٥٩٧)، والبيهقي في البعث (٥٩١)، وفي الأسماء والصفات (٤٨٠) =

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم﴾ الآية، يحتمل أَن يكون من قول مالك لأَهل النّار، ويكون قوله: ﴿جِئْنَاكُم﴾ على حدِّ ما يُدْخل أَحَدٌ جملة[1] الرئيس [كناية عن][2] نَفْسِه في فعل الرئيس، فيقول: غلبناكم[3]، وفعلنا بكم، ونحو هذا، ثمَّ ينقطع كلام مالك في قوله: ﴿كَارِهُونَ﴾.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿جِئْنَاكُم﴾ من قول الله تعالى لقريش بعقب حكاية أَمر الكفّار مع مالك، وفي هذا توعُّدٌ وتخويف فصيح، بمعنى: انظروا كيف تكون حالكم، ثمَّ تتَّصل الآية ـ على هذا ـ بما بعدها من أَمر قريش.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا﴾ يريد: هل أَحكموا أَمْراً من أُمور مكرهم[4] وتدبيرهم على عهد محمد ﷺ كما فعلوا في اجتماعهم على قتله[5] في دار النَّدوة إِلى غير ذلك.

و﴿أَمْ﴾ ـ في هذه الآية ـ المنقطعةُ.

وقوله: ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾، أَي: فإِنَّا مُحْكمُو نصره وحمايته.

و«الإِبْرَامُ»: أَن تجمع خيطيْن ثمَّ تفتلهما فَتْلاً متقناً، والبريم: خيط فيه لونان.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ الآية، قال محمد بن كعب القرظيُّ: نزلت لأَنَّ كثيراً من العرب كانوا يعتقدون أَنَّ الله تعالى لا يسمع السر[6].

= من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي أيوب المراغي الأزدي العتكي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه به، بنحوه.

(١) في المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «حمَّله»، وفي نور العثمانية: «جملتين»، دون ذكر الرئيس.

(٢) في المطبوع والأسدية بدلًا منه: «كتابه»، وسقطت «عن» من أحمد٣.

(٣) في نجيبويه: «علمناكم».

(٤) في الأصل: «كفرهم»، وفي السليمانية: «أمر» بدل «أمور». وفي أحمد٣: «من أمورهم مكراً وتدبيراً على محمد...».

(٥) في المطبوع: «مثله».

(٦) تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٧). وفي أحمد٣ والمطبوع والسليمانية: «السرار».

ومنه حديث الثَّقفيِّ والقرشيَّيْن الَّذين سمعهم ابن مسعود يقولون عند الكعبة: أَترى الله يسمعنا؟ فقال أَحدهم: يسمع إِذا جهرنا ولا يسمع إِذا أَخفينا[(١)]، الحديث، فأَخبر الله تعالى في هذه الآية أَنَّه يسمع ـ أَي يدرك ـ السِّرَّ والنَّجوى، وأَنَّ رسله الحفظة من الملائكة يكتبون أَعمال البشر مع ذلك، وتُعَدُّ للجزاءِ يوم القيامة.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾؛ فقالت فرقة: العابدون هو من العبادة، ثمَّ اختلفوا في معنى الآية بعد ذلك:

فقال قتادة، والسّديُّ، والطَّبريُّ: المعنى: قل لهم: إِن كان للرَّحمن ولد كما تقولون فأَنا أَوَّل [من يعبده][(٢)] على ذلك، ولكن ليس له شيءٌ من ذلك تعالى وجلَّ.

قال الطَّبريُّ: هذا إِلطاف في الخطاب[(٣)]، ونحوه قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

قال القاضي أَبو محمد: وقوله تعالى في مخاطبة الكفّار: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾[(٤)].

وقال مجاهد: المعنى: إِن كان لله ولد في قولكم، فأَنا أَوَّل من عبد الله وحده وكذَّبكم[(٥)].

---

(١) متفق عليه، هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥) عن ابن مسعود قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال: الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾.

(٢) في السليمانية: «العابدين من بعده».

(٣) انظر أقوال السدي والطبري في تفسير الطبري (٢١/ ٦٥١)، ولفظ قتادة عنده: (٢١/ ٦٤٩): «أي إن ذلك لم يكن، ولا ينبغي».

(٤) تكرر ذلك في الآيات: (٢٧) من (سورة النحل)، و(٦٢، ٧٤) من (سورة القصص)، و(٤٧) من (سورة فصلت).

(٥) رواه عنه تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٨).

وقال قتادة أَيضاً، وزهير بن محمد[١]، وابن زيد: ﴿إِن﴾ نافية بمعنى (ما)، فكأَنَّه قال: قل ما كان للرّحمن ولدٌ[٢]، وهنا هو الوقف على هذا التَّأْويل، ثمَّ يبتدئ قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾، قاله أَبو حاتم[٣].

وقالت فرقة: (العابدون) في الآية: من عَبِد الرجلُ: إِذا أَنف وأَنكر الشَّيءَ، ومنه قول الشاعر:

مَتَى ما يَشَأْ ذو الوُدِّ يصْرِمْ خَلِيلَهُ ... وَيَعْبَـدْ عَلَيْـهِ لا مَحَالَـةَ ظَالِما[٤] [الطويل]

ومنه حديث عثمان وعليٍّ في المرجومة حين قال عليّ: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، قال: فما عَبِد عثمان أَن بعث إِليها لتُـرَدَّ[٥].

والمعنى: إن جعلتم للرَّحمن ولداً وكان ذلك في قولكم، فأَنا أَوَّل الآنفين المنكرين لذلك.

---

(١) هو زهير بن محمد، التميمي، أبو المنذر الخرقي، بالفتح، روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل، وابن المنكدر، وزيد بن أسلم، وعنه: ابن مهدي، والطيالسي، محله الصدق، وفي حفظه سوء، وحديثه بالشام أنكر، توفي سنة (١٦٢هـ)، تاريخ الإسلام (١٠/ ١٩٥).

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٩).

(٣) لم أجده.

(٤) البيت للمرقش الأصْغَر كما في الحماسة البصرية (٢/ ٣٣) من قصيدة مشهورة مطلعها: ألا يا اسلمى لا صرم لي اليوم فاطما، انظرها في المفضليات (ص: ٢٤٤)، والأغاني (٦/ ١٤٧)، والشعر والشعراء (١/ ٢٠٩)، مع ذكر سببها وجملة من خبره.

(٥) في السليمانية: «أن ترد». والأثر صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٥٧) من طريق ابن أبي ذئب، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن بعجة بن عبد الله الجهني: أن امرأة منهم دخلت على زوجها، وهو رجل منهم أيضاً، فولدت له في ستة أشهر، فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بها أن تُرجم، فدخل عليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ وقال: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ قال: فوالله ما عبِد عثمان أن بعث إليها تردّ. قال يونس، قال ابن وهب: عبد: استنكف، وتصحف «بعجة بن عبد الله» عند الطبري إلى «بعجة بن زيد»، وانظر تهذيب الكمال (٤/ ١٩٠). وسقط ذكر «عثمان» من الأصل.

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَدٌ﴾ بفتح الواو واللاّم.

وقرأ ابن مسعود، وابن وثّاب، وطلحة، والأَعمش: ﴿وُلْدٌ﴾ بضمِّ الواو وسكون اللّام(١).

وقرأ أَبو عبد الرَّحمن: (فأنا أول العَبِدين)(٢)، وهي على هذا المعنى.

قال أَبو حاتم: العَبِد بكسر الباءِ: الشّديد الغضب(٣).

وقال أَبو عبيدة: معناه: أَوَّل الجاحدين، والعرب تقول: عَبَدَني حَقِّي؛ أَي: جحدني(٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)﴾.

[لمَّا قال تعالى: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ نزَّه الرَّبَّ تعالى عن هذه المقالة الَّتي قالوها.

و﴿سُبْحَٰنَ﴾](٥) تنزيه، وخصَّ السماوات والأرض والعرش لأنها أَعظم المخلوقات.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ مهادنةٌ مَّا وتَرْكٌ، وهي مما نسخ بآية السَّيف.

---

(١) القراءة سبعية لحمزة والكسائي على قاعدتهما في جميع القرآن حسب ما تقدم له رحمه الله في (سورة مريم)، وانظر السبعة (ص: ٤١٢)، والتيسير (ص: ١٥٠)، وقد تبع المصنف في ذكر من ذكر في البحر المحيط (٩/ ٣٩١)، وفيه أخطاء مطبعية.

(٢) هو اليماني، انظر: المحتسب (٢/ ٢٥٧).

(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٩/ ٣٩١).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٧).

(٥) سقط من أحمد٣.

وقرأ الجمهور: ﴿يُلَٰقُواْ﴾، وقرأ أبو جعفر، وابن محيصن: ﴿حَتَّى يَلْقَوْا﴾[١].

وقال الجمهور: اليوم الذي توعدهم به: هو يوم القيامة.

وقال عكرمة وغيره: هو يوم بدر[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى/ فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ الآية؛ آية حكم[٣] بعظمته وإخبارٌ [٥/ ٧٦] بأُلوهيته، أَي: هو النَّافذ أَمره في كلِّ شيءٍ.

وقرأ عمر بن الخطاب، وجابر بن زيد، وأَبو شيخ، والحكم بن أبي العاص[٤]، وبلال بن أَبي بردة، وابن مسعود، ويحيى بن يَعْمَر، وأُبيُّ بن كعب، وابن السَّميفع: (وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله)[٥].

و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المحكم.

﴿وَتَبَارَكَ﴾ تفاعل، من البركة، أي تزيَّدت بركاته.

و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ حصر[٦] لجميع الموجودات المحسوسات.

و﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ معناه: علم تحديد قيامها والوقف[٧] على تعيينه وحصره،

---

(١) عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٧٠)، وانظر موافقة ابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٩٧).

(٢) نقله أبو حيان (٩/ ٣٩١)، ولم أجده لأحد من المتقدمين.

(٣) في أحمد٣: «حكمة».

(٤) هو الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس الأموي، عمّ عثمان، ووالد مروان، أسلم يوم الفتح، ثم نفاه النبيّ ﷺ إلى الطّائف، ثم أعيد إلى المدينة في خلافة عثمان، ومات بها، سنة (٣٢هـ)، وقيل إنّ النبيّ ﷺ دعا عليه، ولم يثبت ذلك، الإصابة (٢/ ٩١).

(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٦) لعلي وابن مسعود وابن يعمر واليماني، وفي معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٨٩) لعمر وأبي وابن مسعود، وفي البحر المحيط (٩/ ٣٩١) للجميع. وفي أحمد٣: «في السماء وفي الأرض الله..».

(٦) سقط من أحمد٣، وفيه وفي المطبوع والسليمانية: «المحسوسة» بدل «المحسوسات».

(٧) في أحمد٣ والمطبوع والسليمانية: «الوقوف».

وهذا هو الَّذي استأْثر الله بعلمه، وإِلَّا فنحن عندنا علم السّاعة أي أَنَّها واقعة، وأنها ذات أَهوال وصفات مَّا، والمصدر في قوله: ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ مضاف إِلى المفعول.

وقرأَ أكثر القراءِ: ﴿وإليه يُرْجَعُونَ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ نافع، وعاصم، وأَبو عمرو: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق مضمومة[١].

وقرأَ الأَسود، والأَعمش: (يُحْشَرُونَ) بالياءِ من تحت[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ الآية، مخاطبةٌ لمحمد ﷺ.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ هم المعبودون.

والضَّمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ هو للكفّار الَّذين عبدوا غير الله عز وجل، فأَعلم تعالى أَنَّ كلَّ من[٣] عُبِد من دون الله فإِنَّه لا يملك شفاعة عند الله يوم القيامة.

وقرأَ الجمهور: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ من تحت، وقرأَ ابن وثّاب: (تَدْعُونَ) بالتاءِ من فوق[٤].

ثمَّ استثنى تعالى من هذا الإِخبار[٥]، واختلفَ النَّاسُ في المستثنى:

---

(١) وهما سبعيتان، لعل أصحاب الثانية أكثر، فقد بقي عليه منهم ابن عامر، انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٩).

(٢) هذه القراءة ليست في أحمد٣ والأصل ونور العثمانية، وفي السليمانية: «يرجعون»، وهي شاذة لم أجدها لغيره، ووردت في تفسير الألوسي (١٣/ ١٠٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٣٠)، بتاء المخاطبة بلا نسبة.

(٣) في أحمد٣: «ما»، وسقطت «كل» من السليمانية.

(٤) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٧) لعلي والسلمي.

(٥) في السليمانية: «هذه الأخبار».

فقال قتادة: استثنى ممن عُبد من دون الله عيسى وعُزَيراً والملائكة، والمعنى: فإنَّهم يملكون شفاعةً بأَن يملكها[١] الله إياهم؛ إِذ هم ممن شهد بالحقِّ وهم يعلمونه في كلِّ أَحوالهم، فالاستثناءُ ـ على هذا التَّأْويل ـ متَّصل.

وقال مجاهد وغيره: استثنى من المشفوع فيهم[٢]، كأَنَّه قال: لا يشفع هؤلاءِ الملائكة وعُزَيْر وعيسى إِلَّا فيمن شهد بالحقِّ وهو يعلمه أي هو بالتَّوحيد، فالاستثناءُ ـ على هذا التَّأْويل ـ منفصل، كأَنَّه قال: لكن من يشهد بالحقِّ يشفع فيهم هؤلاءِ.

والتَّأْويل الأَوَّل أَصوب، والله أَعلم.

ثمَّ أَظهر تعالى عليهم الحجَّة من أَقوالهم وإِقرارهم بأَنَّ الله هو خالقهم وموجدهم بعد العدم، ثمَّ وقفهم ـ على جهة التَّقرير والتَّوبيخ ـ بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، أَي: فلأَيِّ جهة يصرفون؟

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَقِيلَه يا رَبِّ﴾ بالنَّصب، وهو مصدرٌ كالقول، والضَّمير فيه لمحمد ﷺ، وحكى مكِّيٌّ قولاً أَنَّه لعيسى[٣]، وهو ضعيف.

واختلف النّاسُ في النّاصب له:

فقالت فرقة: هو معطوف على قوله: ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾.

وقالت فرقة: العامل فيه ﴿يَكْتُبُونَ﴾، أَي: أَقوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ وَقِيلَهُ[٤].

وقالت فرقة: الناصب له ما في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ من قوَّة الفعل، أَي: ويعلم قِيلَهُ.

ونزل قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ﴾ بمنزلة: شكوى محمد واستغاثته من كفرهم وعُتُوِّهم.

---

(١) في المطبوع: «يُمَكِّنَهُم»، وفي السليمانية: «يملكهم».
(٢) انظر قولي مجاهد وقتادة في تفسير الطبري (٢١/ ٦٥٤).
(٣) الهداية لمكي (١٠/ ٦٧١٥).
(٤) سقط هذان القولان من أحمد٣.

وقرأ عاصم، وحمزة، وابن وثّاب، والأَعمش: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بالخفض[١] عطفاً على ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾.

وقرأ الأَعرجُ، وأَبو قلابة، ومجاهد: (وقيلُهُ) بالرَّفع[٢] على الابتداءِ، وخبره في قوله: ﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾، أَي: قِيلُه هذا القول، أَو يكون التَّقدير: وقيلُهُ يا ربِّ مسموعٌ ومُتَقَبَّل، فـ﴿يَـٰرَبِّ﴾ على هذا منصوب الموضع بـ(قِيلُهُ).

وقرأ أَبو قُلابة: (يَاربَّ) بفتح الباءِ المشدَّدة[٣]، وأَراد: [يا رَبَّا][٤]، على لغة من يقول: يا غُلَاما، ثمَّ حذف الأَلف تخفيفاً واتباعاً لِخَطِّ المصحف.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ موادَعَةٌ منسوخة بآية السَّيف.

[وقوله: ﴿سَلَـٰمٞ﴾ تقديره: وقُلْ أَمري سلامٌ، أَي: مُسَالَمَةٌ][٥].

وقالت فرقة: المعنى: وقل سلامٌ عليكم، على جهة الموادعة والمُلاينة، والنَّسخ قد أَتى على هذا السَّلام، فسواءٌ كان تحية أَو عبارة عن الموادعة.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأ نافع، وابن عامر في رواية هشام عنه، والحسن، والأَعرج، وأَبو جعفر: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتاءِ من فوق[٦].

[كمل تفسير (سورة الزُّخرف)، والحمد لله ربِّ العالمين][٧]

---

(١) فهما سبعيتان انظر التيسير (ص: ١٩٧)، والسبعة (ص: ٥٨٩)، وانظر موافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٩٣)، وزاد: السلمي.

(٢) وهي شاذة، نسبها لهم في المحتسب (٢/ ٢٥٨)، ومختصر الشواذ (ص ١٣٧).

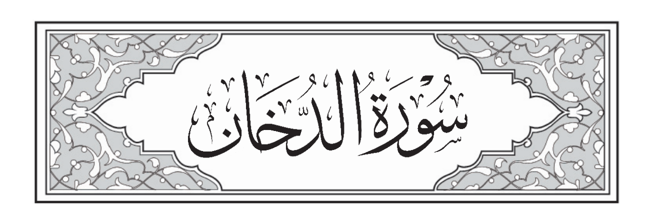
(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٣٠)، والبحر المحيط (٩/ ٣٩٣).

(٤) ليس في أحمد٣.

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٨٩)، والمروي عن ابن ذكوان من طرق التيسير (ص: ١٩٧)، والنشر (٢/ ٣٧٠) التاء.

(٧) ليس في أحمد٣.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير السُورة التي يذكر فيها الدخان[١]

هذه السورة مكِّيَّة، لا أَحفظ خلافاً في شيءٍ منها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾.

تقدَّم القول في ﴿حمٓ﴾.

وقوله: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ قَسَم أَقسم الله تعالى به.

و﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ يحتمل أَن يكون من الفعل المتعدّي، أَي يبين الهدى والشَّرع ونحوه[٢].

ويحتمل أَن يكون من غير المتعدّي، أَي: هو مبين في نفسه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ يحتمل أَن يقع القَسَم عليه، ويحتمل أَن يكون

---

(١) في المطبوع والأصل: «تفسير سورة الدخان».

(٢) ليست في أحمد٣.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ﴾ من وصف الكتاب فلا يحسن وقوع القَسَم عليه، وهذا اعتراضٌ يتضمَّن تفخيم الكتاب ويُحَسِّن القَسَم به، ويكون الَّذي وقع القَسَم عليه ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

واختلف النَّاسُ في تعيين (اللَّيلة المباركة):

فقال قتادة، وابن زيد، والحسن: هي ليلة القدر[١]، وقالوا: إِنَّ كُتب الله كلَّها إِنَّما نزلت في رمضان، التَّوراة في أَوَّله، والإنجيل في وسطه، والزَّبور في نحو ذلك، / ونزل القرآن في آخره في ليلة القدر، ومعنى هذا النُّزول أَنَّ ابتداءَ نزوله [كان في ليلة القدر][٢]، وهذا قول الجمهور. [٥/ ٧٧]

وقالت فرقة: بل أَنزله الله تعالى جملة واحدة ليلة القدر إِلى البيت المعمور، ومن هنالك كان جبريل عليه السَّلام يتلقاه.

وقال عكرمة وغيره: اللَّيلة المباركة: هي ليلة النِّصف من شعبان[٣].

وقوله: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآ﴾ معناه: يفصل من غيره ويتخلص[٤].

وروي عن عكرمة في تفسير هذه الآية: أَنَّ الله تعالى يفصل للملائكة الأمر[٥] في ليلة النِّصف من شعبان[٦].

وقال الحسن، وعمر مَوْلى غفرة، ومجاهد، وقتادة: في ليلة القدر يفصل كلَّ ما في العام المقبل من الأَقدار والآجال والأَرزاق وغير ذلك، ويكتب ذلك لهم إِلى مثلها

(١) انظر قول قتادة وابن زيد في تفسير الطبري (٢٢/ ٧)، والحسن في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٤٩)، وسقط «ابن زيد» من الأصل.
(٢) سقط من أحمد٣، مع لفظة «أن» قبله.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٤٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٤٤).
(٤) في نجيبويه: «ويلخص».
(٥) من السليمانية.
(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠).

من العام المقبل، قال هلال بن يساف: كان يقال: انتظروا القضاءَ في شهر رمضان[١].

وروي في بعض الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّ الرَّجل يتزوج ويُعَرِّس[٢] وقد خرج اسمه في الموتى لأَنَّ الآجال تقطع في شعبان[٣].

وقرأَ الحسن، والأَعرج، والأَعمش: (يَفْرُقُ) بفتح الياءِ وضمِّ الرَّاءِ[٤].

و﴿حَكِيمٍ﴾ بمعنى: محكم.

وقوله ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ نصب على المصدر.

وقوله ﴿مِّنْ عِندِنَآ﴾ صفة لقوله: ﴿أَمْرًا﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يحتمل أَن يريد الرُّسل والأَنبياءَ، ويحتمل أَن يريد

---

(١) انظر قول هلال ومن قبله في تفسير الطبري (٢٢/ ٩). وفي الأصل: «وعمير» بدل «عمر»، في نجيبويه بدل «يساف»: «سنان».

(٢) في السليمانية: «يغرس».

(٣) منكر، أخرجه الطبري (٢١/ ١٠)، والثعلبي (٨/ ٣٤٩)، والبغوي (٧/ ٢٢٨) في تفاسيرهم، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٣٩) من طريق الليث بن سعد، عن عقيل بن خالد، عن الزهري، عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس مرفوعاً، وعثمان بن المغيرة صدوق له أوهام وليس له رواية عن الصحابة فهو معضل، ثم إنه مخالف لنص القرآن، قال ابن كثير: ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان ـ كما روي عن عكرمة ـ فقد أبعد النُّجْعَة، فإن نص القرآن أنها في رمضان. والحديث.. وذكره فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص. اهـ ملخصاً من التفسير (٧/ ٢٤٦)، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٢٤١٠) من طريق عثمان بن الأخنس أسنده عن أبي هريرة، كما قال الحافظ في تسديد القوس، وقال الألباني: وقد روي عنه مسنداً، أخرجه الديلمي في مسنده (١/ ٤٧ ـ الغرائب الملتقطة) من طريقين آخرين قالا: حدثنا ليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عثمان ابن محمد بن المغيرة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:... فذكره، لكن قال ابن المديني في العلل (٨٩): روى عثمان هذا أحاديث مناكير عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. اهـ. انظر الضعيفة (٦٦٠٧).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في مختصر الشواذ (ص١٣٨)، وللباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٩٧).

الرَّحمة الَّتي ذَكَرَ بَعْدُ، وعلى التَّأْويل الأَوَّل نصب قوله: ﴿رَحْمَةً﴾ على المصدر، ويحتمل أَن يكون نصبها على الحال.

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ تقرير وتثبيت، أَي: إِن كنت موقناً فهذا[1] يكون يقينك، كما تقول لإِنسان يقيم نفسه: العلم غرضك إِن كنت رجلاً.

وقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَي: مالككم ومالك آبائكم الأولين[2].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿رَبُّ السماوات﴾ بالرَّفع على القطع والاستئناف، وهي قراءَة الأَعرج، وابن أَبي إِسحاق، وأَبي جعفر، وشيبة.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائيُّ بالكسر على البدل من (رَبِّ) المتقدِّم، وهي قراءَة ابن محيصن، والأَعمش[3].

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ﴾ فالجمهور على رفع الباءِ.

وقرأَ الحسن بالكسر، ورواها أَبو موسى عن الكسائيِّ[4].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ إِضرابٌ [قبله نفيٌ مقدر][5]، كأَنَّه يقول: ليس هؤلاءِ ممَّن يؤمن ولا ممَّن تنفعه وصاة، بل هم في شكٍّ يلعبون في أَقوالهم وأَعمالهم.

واختلف النَّاس في الدّخان الَّذي أَمر الله تعالى بارتقابه:

---

(١) في الأصل: «بهذا»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٢) ليست في السليمانية والمطبوع. وفي أحمد٣: «مالككم ومالكهم».

(٣) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٢)، والنشر (٢/ ٣٧١)، وموافقة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٣٩٨).

(٤) وهي شاذة، ليست من طرق التيسير، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٨) لرواية الحجازي عن الكسائي، وفي الكامل (ص: ٦٣٥) لسورة، والشيزري والناقط والناقد عن الكسائي، وللحسن، وزاد النصب للقورسي والثغري عن الكسائي في قول الرازي.

(٥) في السليمانية وأحمد٣: «إضراب عما قبله وفيه نفي مقدر».

فقالت فرقة منها عليُّ بن أَبي طالب[١] وزيد بن عليٍّ[٢]، وابن عمر[٣]، وابن عبّاس[٤]، والحسن بن أَبي الحسن[٥] وأَبو سعيد الخدريُّ[٦]: هو دخان يجيءُ قبل[٧] يوم القيامة، يصيب المؤمن منه مثل الزُّكام، وينضج رُؤوس المنافقين والكافرين حتّى تكون كأَنّها مصليَّة حنيذة.

وقالت فرقة منها عبد الله بن مسعود، وأَبو العالية، وإِبراهيم النَّخَعيُّ: هو الدُّخان الَّذي رأَته قريش حين دعا عليهم النبي ﷺ بسبع كسبع يوسف، فكان الرَّجل يرى من الجدب والجوع دخاناً بينه وبين السماء[٨]. وما يأْتي من الآيات يقوّي هذا التَّأْويل.

---

(١) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في فتح الباري (٨/ ٥٧٢) من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: آية الدخان لم تمض بعد وستكون، يأتي دخان يصيب المؤمنين الزكام وينقد الكافر. وفيه عنعنة أبي إسحاق وهو مدلس، والحارث الأعور ضعيف.

(٢) في السليمانية: «زيد بن ثابت». وفي أحمد٣: «زيد» فقط.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٨) من طريق الوليد بن جميع، عن عبد الملك بن المغيرة، عن عبد الرحمن البيلماني، عن ابن عمر به. وعبد الرحمن ابن البيلماني المدني، مولى عمر بن الخطاب ضعيف.

(٤) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٦)، والطبري (٢١/ ١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٥٩) من طريق ابن جريج، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٩) من طريق عبد الله بن أبي يزيد كلاهما عن عبد الله بن أبي مليكة دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقال: لم أنم هذه الليلة فقلت: لم؟ قال: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يطرق الدخان.

(٥) انظر قول زيد في تفسير الطبري (٢٢/ ١٥)، وقول الحسن في الهداية لمكي (١٠/ ٦٧٢٦). وعليه تضبيب في السليمانية.

(٦) منقطع، أخرجه الطبري (٢١/ ١٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً عليه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٧/ ٢٤٨) من طريق الوليد بن مسلم، عن خليد بن دعلج السدوسي، عن الحسن، عن أبي سعيد مرفوعاً، وهو منقطع فإن الحسن لم يسمع من أبي سعيد الخدري كما قاله ابن المديني. انظر جامع التحصيل (١٣٥).

(٧) ليست في السليمانية، مع إشارة في الهامش غير مقروءة، وفي المطبوع: «مقبل».

(٨) في المطبوع: «النّاس»، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨)، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ١٦).

وقال ابن مسعود: خمسٌ قد مضين: الدُّخان واللِّزام والبَطشة والقمر والرُّوم(١).

وذكر الطَّبريُّ حديثاً عن حذيفة: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أوَّل آيات السّاعة الدُّخان، ونزول عيسى بن مريم، ونارٌ تخرج من قعر عدن»(٢).

وضعَّف الطَّبريُّ سند هذا الحديث، واختار قول ابن مسعود رضي الله عنه في الدُّخان، قال: ويحتمل ـ إِن صحَّ حديث حذيفة ـ أَن يكون قد مرَّ دخان، ويأْتي دخان آخر(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿يَغْشَىٰ﴾ معناه: يغطِّي.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أَن يكون إِخباراً من الله تعالى كأَنَّه يعجب منه، على نحو من قوله تعالى لمَّا وصف قصة الذَّبح: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٩- ٢٠) عن عصام بن روّاد بن الجراح، قال: حدثني أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن رِبْعِيِّ بن حَرَاش، قال: سمعت حُذيفة ابن اليمان به، بنحوه، وقد ضعفه الطبري وقال: وإنما لم أشهد له بالصحة، لأن محمد بن خلف العسقلانيّ حدثني أنه سأل روّاداً عن هذا الحديث، هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا، فقلت له: فقرأته عليه، فقال: لا، فقلت له: فقرئ عليه وأنت حاضر فأقرّ به، فقال: لا، فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه عليّ وقالوا لي: اسمعه منا فقرؤوه عليّ، ثم ذهبوا، فحدّثوا به عني، أو كما قال، فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة. اهـ، ومن طريق الطبري أخرجه البغوي في تفسيره (٧/ ٢٣٠)، ولفظة: «إن أول» ليست في السليمانية.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ١٦). وسقطت «في الدخان» من أحمد٣.

ويحتمل أَن يكون ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من قول النّاس، كأَنَّ تقدير الكلام: يقولون هذا عذاب أليم، ويؤيِّد هذا التَّأْويل سياقه حكاية عنهم أَنَّهم يقولون: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، وَعَلِمَ الله تعالى أَنَّ قولهم في حال الشِّدَّة: ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ إِنَّما هو عن غير[(١)] حقيقة منهم فدلَّ على ذلك بقوله: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أَي: من أَين لهم أَن يتذكَّروا وهم قد تركوا الذِّكرى وراءَ ظهورهم بأَن جاءَهم رسولٌ مبين وهو محمد ﷺ فكفروا به؟ و﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: أَي أَعرضوا وقالوا: إِنَّه يُعَلَّم هذا الكلام الّذي يتلو، وإِنَّه مجنون.

وإِخباره تعالى بأَنَّه يكشف العذاب عنهم قليلاً إِخبارٌ عن إِقامة الحجَّة عليهم ومبالغة في الإِملاءِ لهم.

ثمَّ أخبرهم بأَنَّهم عائدون إِلى الكفر، وقال قتادة: هو توعُّدٌ بمعاد الآخرة[(٢)].

ثمَّ أخبرهم بأَنَّه ينتقم منهم بسبب هذا كلِّه في يوم البطشة.

وقدَّم اليوم وذِكْرَه على الذي عَمل فيه تهمُّماً به وتخويفاً منه، والعامل فيه ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

[وقد ضعف البصريون هذا من حيث هو خبر (إِنَّ)، وأَبعدوا أَن يعمل خبرها فيما قبلها، وقالوا: العاملُ فعل مضمرٌ يدل عليه ﴿مُنتَقِمُونَ﴾][(٣)].

واختلف النّاس في يوم البطشة الكبرى:

فقال ابن عبّاس، والحسن، وعكرمة، وقتادة: هو يوم القيامة[(٤)].

---

(١) في نور العثمانية: «على خبر»، وفي أحمد٣: «عن خَبَر»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢١)، بلفظ: «إلى عذاب الله».

(٣) سقط من الأصل، وانظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٨٥).

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣)، وأثر ابن عباس صحيح، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧) من طريق خالد الحذاء، عن عكرمة، عنه.

وقال عبد الله بن مسعود، وابن عبّاس أَيضاً، وأُبيٌّ بن كعب، ومجاهد: هو يوم بدر[١].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿نَبۡطِشُ﴾ بفتح النّون وكسر الطّاءِ.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن بضمِّ الطّاءِ[٢].

وقرأَ الحسن أَيضاً، وأَبو رجاءٍ، وطلحة بن مصرف بضمِّ النّون وكسر الطاءِ[٣]، ومعناها: نُسَلِّط عليهم من يبطش بهم.

ثمَّ ذكر تعالى قوم فرعون على جهة المثال لقريش[٤].

و﴿فَتَنَّا﴾ معناه: امتحنَّا واختبرنا.

و«الرَّسول الكريم»: قال قتادة: هو موسى عليه السَّلام[٥]، ومعنى الآية يعطي ذلك بِلَا خلاف، / وهنا متروك يدلُّ عليه الظّاهر: تقديره: قال[٦] لهم أَدُّوا، وهذا مأْخوذٌ من الأَداءِ، كأَنَّه يقول: أَن ادفعوا إِليَّ وأَعطوني ومكِّنوني. [٥/ ٧٨]

واختلف المتأَوِّلون في الشَّيءِ المؤدَّى في هذه الآية، ما هو؟

فقال مجاهد، وابن زيد، وقتادة: طلب منهم أَن يؤدوا إِليه بني إِسرائيل[٧]، وإِيَّاهم أَراد بقوله: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) أثر ابن مسعود أخرجه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨)، وأما أثر ابن عباس فقد أخرجه الطبري (٢١/ ٢٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، وأما أثر أبي بن كعب فأخرجه الطبري (٢١/ ٢٦) عن بشر بن معاذ العقدي، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن مجاهد، عن أبي بن كعب به، ورجاله ثقات.

(٢) وهي عشرية لأبي جعفر على قاعدته كما في النشر (٢/ ٢٧٤)، وانظر نسبتها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١٣٨).

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٦٠).

(٤) سقط من أحمد٣.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٤).

(٦) في السليمانية والمطبوع ونور العثمانية: «قل».

(٧) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥).

وقال ابن عبّاس: المعنى: اتبعوني إِلى ما أَدعوكم إِليه من الحقِّ[١]، فقوله: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ منادى مضاف، والمؤدَّى هو الطَّاعة والإِيمان والأَعمال[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والظَّاهر من شرع موسى عليه السَّلام أَنَّه بُعث إِلى دعاءِ فرعون إِلى الإِيمان، وأَن يُرسل بني إِسرائيل، فلمّا أَبى أَن يؤمن بقيت[٣] المكافحة في أَن يرسل بني إِسرائيل، وفي إِرسالهم هو قوله: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾، أَي بني إِسرائيل.

ويقوّي ذلك قوله بَعْدُ: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾، وهذا قريب نَصٍّ في أَنَّه إِنَّما يطلب بني إِسرائيل فقط، ويؤيد ذلك أَيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾، [فكنَّى عنهم بـ ﴿عِبَادِى﴾][٤]، فيظهر أَنَّه إِيّاهم أَراد موسى بقوله: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ معناه: على وحي الله تعالى أُؤَدِّيه إِلى عباده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

المعنى: كانت رسالتُهُ، وقولُه: أَنْ أَدُّوا وأَلَّا تَعْلُوا.

وعبَّر بالعُلُوِّ عن الطُّغيان والعُتُوِّ على الله تعالى وعلى شرعه وعلى رسوله.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم﴾ بكسر الأَلف من ﴿إِنِّىٓ﴾ على الإِخبار المؤكد.

و«السُّلطان»: الحُجَّة، فكأَنَّه قال: لا تكفروا؛ فإِنَّ الدَّليل المؤدي إِلى الإِيمان بَيِّن.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. زاد في أحمد٣ بعد ابن عباس: «أيضاً».

(٢) في السليمانية: «في الأعمال»، وفي نور العثمانية: «بالأعمال»، وتكررت في أحمد٣: «الطاعة».

(٣) في نجيبويه والسليمانية: «ثبتت».

(٤) من المطبوع ونجيبويه والسليمانية.

وقرأت فرقة: (أَنِّي آتيكم) بفتح الأَلف[١]. و(أنَّ) في موضع نصب، بمعنى: لا تكفروا من أَجل أَنّي آتيكم بسلطان مبين، فكأَنَّ مقصد هذا الكلام[٢] التَّوبيخ، كما تقول لإنسان: لا تغضب لأن الحقَّ قيل لك.

وقوله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ﴾ الآية كلامٌ قاله موسى عليه السَّلام لخوف لحقه من فرعون ومَلئِه.

و﴿عُذْتُ﴾ معناه: استَجَرْتُ وتحرَّمت[٣].

وأَدغم الذّال في التّاءِ الأَعرج، وأَبو عمرو[٤].

واختلف النّاس في قوله: ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾؛ فقال قتادة وغيره: أَراد الرَّجم بالحجارة المؤدي إِلى القتل[٥].

وقال ابن عبّاس، وأبو صالح: أَراد الرّجم بالقول من [السباب والمخالفة][٦] ونحوه[٧].

والأَوَّل أَظهر؛ لأَنَّه أُعيذ منه ولم يُعَذ من الآخر، بل قيل فيه عليه السَّلام وله.

وقوله: ﴿تُؤْمِنُواْ لِى﴾ معناه: تؤمنوا بي، والمعنى: تصدقوا، وقوله: ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ مُتاركة صريحة، قال قتادة: أَراد: خَلُّوا سبيلي.

---

(١) وهي شاذة، ذكرها في البحر المحيط (٩/ ٤٠١)، بلا نسبة.

(٢) في السليمانية: «الآية»، وسقطت «هذا» من المطبوع.

(٣) في نجيبويه: «وتحرست».

(٤) ومعه حمزة والكسائي، فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٤٤)، السبعة (ص: ٥٧٠)، وتقدمت في (سورة غافر) على الصواب.

(٥) انظر قوله في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٧)، مع ما سيأتي عنه.

(٦) في نجيبويه: «سبب المخالفة»، وفي السليمانية: «بالسباب».

(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦)، وأثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢١/ ٣١- ٣٢) من طريق عطية العوفي.

وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ قبله محذوف من الكلام تقديره: فما كفُّوا عنه، بل تطرَّقوا[1] إليه، وعَتَوْا عليه وعلى دعوته؛ فدعا ربَّه.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن، وابن أَبي إسحاق، وعيسى: (إنَّ هؤلاء) بكسر الأَلف من (إِنَّ)[2]، على معنى: قال إِنَّ.

وقرأ جمهور الناس، والحسن أَيضاً: ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بفتح الأَلف، والقراءَتان حسنتان.

وحكم عليهم بالإِجرام المُضَمَّن للكفر حين يئس منهم، وهنا أَيضاً محذوف من الكلام تقديره: فقال الله له: فَأَسْرِ بعبادي، وهذا هو الأَمر الَّذي أَنفذه الله إِلى موسى بالخروج من ديار مصر ببني إِسرائيل، وقد تقدَّم شرحه [وقَصَصُه في سورة الأَنبياءِ وغيرها][3].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿فَاسْر﴾ موصولة الأَلف.

وقرأَ: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الأَلف: الحسنُ، وعيسى، ورُويت عن أَبي عمرو[4].

وأَعلمه تعالى بأَنَّهم مُتَّبَعُونَ، أَي: يتبعهم فرعون وجنوده.

واختلف المفسِّرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾، متى قالها لموسى؟

فقالت فرقة: هو كلام متَّصل، إِنَّكم مُتَّبَعون واترك البحر إِذا انفرق لك رهْواً.

---

(١) في نجيبويه: «تترفوا».

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٣٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٣١)، و«ابن أبي إسحاق» سقط من المطبوع.

(٣) سقط من أحمد٣، وقوله «سورة الأنبياء» هكذا في بقية النسخ، ولعل الصواب: «سورة الشعراء» أو «طه».

(٤) القطع للجمهور، والوصل لنافع وابن كثير خاصة، كما تقدم في (سورة هود) على الصواب، انظر التيسير (ص: ١٢٥)، والسبعة (ص: ٣٣٨)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، والوصل عن أبي عمرو رواية أبي بشر، ويونس عنه كما في الكامل (ص: ٣٨٨).

وقال قتادة وغيره: خوطب به بعد ما اجتاز[١] البحر وخشي أَن يدخل فرعون وقومه وراءَه، وأَن يخرجوا من تلك[٢] المسالك الَّتي خرج منها بنو إِسرائيل، فَهَمَّ موسى أن يضرب البحر عسى أَن يلتئم ويرجع إِلى حاله، فقيل له عند ذلك: ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا ﴾.

واختلفت عبارة المفسرين في تفسير الرَّهْوِ:

فقال مجاهد وعكرمة: معناه: يَبَساً، من قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا ﴾ [طه: ٧٧][٣].

وقال الضّحّاك بن مزاحم: معناه: دَمِثاً لَيِّناً[٤].

وقال عكرمة أَيضاً: جُدَداً، وقال ابن زيد: سهلاً.

وقال ابن عبّاس: معناه: ساكناً، أَي كما جُزْتَه[٥]، وهذا القول الأخير هو الّذي تؤيده اللُّغة؛ فإِنَّ العيش الرَّاهي هو الَّذي في خَفْضِ عيش[٦] ودَعَة وسكون، حكاه المبرِّد وغيره، والرَّهْوُ في اللُّغة هو هذا المعنى، ومنه قول عُمَيْر بن شُيَيْم القُطامي:

[البسيط] يَمْشِـينَ رَهْواً فَـلا الأَعْجَـازُ خَاذِلَةٌ ... وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الأَعْجَازِ تَتَّـكِلُ[٧]

---

(١) في السليمانية: «بعدما أجاز»، وفي أحمد٣ والمطبوع: «بعد أن جاز».
(٢) من السليمانية.
(٣) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٠).
(٤) في أحمد٣ بدلهما: «متتالياً»، وانظره مع القولين بعده في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٠).
(٥) أخرج الطبري (٢١/ ٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَمْتاً، وأخرجه في المصدر نفسه من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الرهو: أن يترك كما كان، فإنهم لن يخلُصوا من ورائه. وفي الأصل: «زيد» بدل «عباس».
(٦) من نجيبويه، وانظر قول المبرد في الهداية لمكي (١٠/ ٦٧٣٥).
(٧) انظر نسبته له في الأغاني (٢٤/ ٢٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٥٠)، وزهر الآداب وثمر الألباب (٢/ ١٢)، والصناعتين الكتابة والشعر (١/ ١٤٦)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٢٤٢)، ونسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٧٩) للأعشى، ولعله خطأ.

فإِنَّما معناه: يمشين اتئاداً وسكوناً وتماهُلاً، ومنه قول الآخر:

.... أَوْ أُمَّةٌ خَرَجَتْ رَهْواً إِلى عِيدِ[١] [البسيط]

أَي: خرجوا في سكون وتماهل، فقيل لموسى عليه السَّلام: اترك البحر ساكناً على حاله من الانفراق ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

والرَّهْوُ من أَسماءِ الكُرْكيِّ الطّائر، ولا مدخل له في تفسير هذه الآية، ويشبه عندي أَنَّه سُمِّي رهْواً لسكونه، وأَنَّه أَبداً على تماهل.

وقوله: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ﴾ الآيةَ، قَبْلَهُ محذوف تقديره: فغرقوا وقطع الله دابرهم، ثمَّ أَخذ يعجب من كثرة ما تركوا من الأُمور الرَّفيعة الغبيطة[٢] في الدَّنيا.

و﴿كَمۡ﴾ خبر للتَّكثير.

و«الجنَّاتُ والعيونُ»: رُوي أَنَّها كانت متَّصلة على ضفتيِ النيل جميعاً من رشيد إِلى أَسوان.

وأَمَّا «العيون»: فيحتمل أَنَّه أَراد الخلجان الخارجة من النيل فشبَّهها بالعيون، ويحتمل أَنه كانت ثَمَّ عيونٌ ونضبت، كما يعتري في كثير من بقاع الأَرض.

وقرأَ قتادة، ومحمد بن السَّميفع اليمانيُّ، ونافع في رواية خارجة عنه: (وَمُقَام) بضمِّ الميم[٣]، أَيْ مَوضع إِقامة، وكذلك قرأَ اليمانيُّ في كلِّ القرآن إِلاَّ في مريم / ﴿خَيۡرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، فكأَنَّ المعنى: كم تركوا من موضع حسن كريم في قدره ونفعه. [٥/ ٧٩]

وقرأَ جمهور النّاس، ونافع: ﴿وَمَقَامٍ﴾ بفتح الميم، أَي موضع قيام.

فعلى هذه القراءَة قال ابن عبّاس، ومجاهد، وابن جبير: أَراد المنابر[٤].

---

(١) البيت لعطارد بن قران الحنظلي كما في الكنز اللغوي لابن السكيت (١/ ٥٥)، وصدره: طيرٌ رأَتْ بازياً نَضْخُ الدماء بِهِ.

(٢) في المطبوع ونجيبويه والسليمانية: «العظيمة».

(٣) هي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٣٢)، والبحر المحيط (٩/ ٤٠٢).

(٤) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٢)، وقول ابن عباس أخرجه ابن أبي =

وعلى ضمِّ الميم في (مُقَام) قال قتادة: أَراد المواضع الحسان من المساكن وغيرها[١]، والقول بالمنابر يَهي[٢] جدّاً.

و«النَّعْمَةُ» بفتح النّون: غضارة[٣] العيش ولذاذة الحياة.

والنِّعمة بكسر النون: أَعَمُّ من هذا؛ لأَنَّ النَّعمة بالفتح هي من جملة النِّعم بالكسر، وقد تكون الأَمراضُ والآلام والمصائب نِعَماً، ولا يقال فيها نَعْمة بالفتح.

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (وَنَعْمَةً) بالنَّصب[٤].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بمعنى: ناعمين.

و«الفَاكهُ»: الطَّيِّب النّفس، أَو يكون بمعنى: أَصحاب فاكهة؛ كلابِنٍ وتامرٍ.

وقرأَ أَبو رجاءٍ، والحسن بخلاف عنه، وابن القعقاع: ﴿فكِهِينَ﴾[٥].

ومعناه قريب من الأَوَّل، لكنَّ[٦] [الفَكَه يُستعمل][٧] كثيراً في المستخفِّ المستهزئ، فكأَنَّه هاهنا يقول: كانوا[٨] في هذه النَّعمة مُسْتَخفِّين بشكرها والمعرفة بحقها[٩].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا﴾ معناه: الأَمر كذلك، وسَمَّاهُ[١٠] وراثة من حيث

= حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (١٣/ ٢٧٢). وفي الحمزوية: «قتادة» بدل «مجاهد».

(١) في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٢) عنه: أي حسن، وفي تفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٢): حسن كريم.

(٢) في الحمزوية ونجيبويه: «نهي».

(٣) في السليمانية: «النعمة بفتح العين». وفيها وفي أحمد٣: «خضارة» بدل «غضارة».

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٠٢).

(٥) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٥٤)، وانظر قراءة الباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٠٢).

(٦) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية: «لأن».

(٧) في نجيبويه: «الفاكهة تستعمل»، وفي نور العثمانية: «الفكهة تستعمل».

(٨) في أحمد٣: «كونوا».

(٩) في الأصل: «بقدرها».

(١٠) في السليمانية: «سماها»، وورد ما قبل هذا في أحمد٣ كالآتي: «كذلك المعنى والأمر كذلك وأورثناها وراثة...».

كانت أَشياءَ أناس وصلت إِلى قوم آخرين من بعد موت الأَوَّلين، وهذه حقيقة الميراث في اللُّغة، وربطها الشَّرع بالنَّسب وغيره من أَسباب الميراث.

و«الآخرون»: من مَلَك مصر بعد القبط، وقال السدي وقتادة: القوم الآخرون هم بنو إِسرائيل(١)، وهذا ضعيف لأَنَّه لم يُرْوَ [في مشهور التَّواريخ](٢) أَنَّ بني إِسرائيل رجعوا إِلى مصر في شيءٍ من ذلك الزَّمان ولا ملكوها قطُّ، إِلَّا أَن يريد قتادة أَنَّهم ورثوا نوعها في بلاد الشّام.

وقد ذكر الثّعلبيُّ عن الحسن: أَنَّ بني إِسرائيل رجعوا إِلى مصر بعد هلاك فرعون(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٦)﴾.

نفت هذه الآية أَن تكون السَّماءُ والأَرض بكت على قوم فرعون، فاقتضى اللَّفظ أَنَّ للسَّماءِ والأَرض بكاءً(٤)، واختلف المتأَوِّلون في معنى ذلك:

فقال عليُّ بن أَبي طالب، وابن عبّاس(٥)، ومجاهد، وابن جبير: إِنَّ الرَّجل

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣). و«السدي» من أحمد٣. وليست فيه: «القوم الآخرون».

(٢) من الحمزوية ونور العثمانية والأسدية٣، وفي المطبوع ونجيبويه: «في التواريخ»، وفي السليمانية: «لم ير».

(٣) انظر هذا المعنى في تفسير الثعلبي، (٥/ ١٤٨) ففيه: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعد هلاك فرعون ﴿مُبَوَّأَ﴾ منزل ﴿صِدْقٍ﴾ يعني خير،... الضحاك: هي مصر والشام، وفي (٦/ ١٤٠): ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ أي من بعد هلاك فرعون وقومه ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ يعني مصر والشام. وليس في الموضعين ذكر الحسن.

(٤) الفقرة السابقة وردت في أحمد٣ كما يلي: «نفي اقتضى أن للسماء والأرض بكاء».

(٥) روي عنهما من طرق لا تخلو من ضعف، أما أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه ابن المبارك في «الزهد» كما في زوائد المروزي (٣٣٦)، وأبو داود في الزهد (١٠٧)، وعلي بن الجعد في مسنده (٢٣٠٥) من طريق عاصم بن أبي النجود، عن المسيب بن رافع، عن علي بن أبي طالب قال: إن =

المؤمن إِذا مات بكى عليه من الأَرض موضع عبادته أَربعين صباحاً، وبكى عليه من السَّماءِ موضع صعود عمله [أربعين صباحاً][١]، قالوا: فلم يكن في قوم فرعون مَنْ هذه حاله، فهذا معنى الآية.

وقال السُّديُّ، وعطاءٌ: بكاءُ السَّماءِ حُمْرَةُ أَطرافها، وقالوا: إِنَّ السماءَ احمرَّت يوم قتل الحسين بن علي بن أَبي طالب[٢]، وكان ذلك بكاءً عليه، وهذا هو معنى الآية.

قال القاضي أَبو محمد: والمعنى الجيِّد في الآية أَنَّها استعارة باهية[٣] فصيحة تتضمَّن تحقير أَمرهم، وأَنَّهم لم يتغيَّر عن هلاكهم شيءٌ، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]، على قراءَة من قرأَ: ﴿لِتَزُولَ﴾ بكسر اللَّام ونصب الفعل وجَعْل ﴿إِنْ﴾ نافيةً[٤]، ومثل هذا المعنى قول النَّبيِّ ﷺ: «لا يَنْتَطِحُ فيها عنزان»[٥]، فإِنَّه يتضمَّن التَّحقير، لكنَّ هذه الألفاظ هي بحسب ما قيلت فيه،

= المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم تلا: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾، ومن طريق علي بن أبي الجعد أخرجه الضياء في المختارة (٧٤١) به، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٧/ ٢٥٤) من طريق المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن علي بنحوه. والإسنادان ضعيفان، أما أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد روي عنه من أكثر من طريق بألفاظ مختلفة، الأول: طريق سعيد بن جبير أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٢٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٨٨) من طريق منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير به، والمنهال فيه كلام، الثاني: مجاهد أخرجه ابن المبارك في الزهد كما في زوائد المروزي (٣٣٨)، ووكيع في الزهد (٨١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩٣٠) من طريق أبي يحيى القتات، عن مجاهد به قَالَ: الأَرْضُ تَبْكِي عَلَى الْمُؤْمِنِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، وأبو يحيى القتات الكوفي الكناسي، هو زاذان فيه ضعف، الثالث: عطية العوفي أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣- ٤٤) من طريق عطية العوفي، به بنحوه.

(١) من نور العثمانية والسليمانية.

(٢) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣)، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٣).

(٣) في المطبوع: «بارعة»، وفي الحمزوية والسليمانية: «ناهية».

(٤) وهي قراءة الجمهور كما تقدم في محله.

(٥) موضوع، هذا جزء من حديث أخرجه القضاعي في مسنده (٨٥٦-٨٥٧)، وابن عدي في الكامل =

وهو قتل المرأَة الكافرة الَّتي كانت تؤذي النَّبيَّ ﷺ، وعُظْم قصة فرعون وقومه يجيءُ بحسبها جمال الوصف وبهاءُ العبارة في قوله: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾، ومن نحو هذا أَن يعكس قول جرير:

لَمَّـا أَتَـى خَبَـرُ الزُّبَيْـرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ والجِبَال الْخُشَّعُ[1] [الكامل]

فيقال في التَّحقير: مات فلانٌ فما خشعت الجبال، ونحو هذا.

وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «ما ماتَ مؤمن في غربة غابت عنه فيها بَوَاكيه إِلَّا بَكَت عليه السَّماءُ والأَرض، ثمَّ قرأَ هذه الآية وقال: إِنَّهما لا يبكيان على كافر»[2].

ومن التَّفخيم ببكاءِ المخلوقات العظام قول يزيد بن مُفَرِّغ:

= (٦/ ١٤٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/ ٢٢٤-٢٢٥) من طريق محمد بن الحجاج اللخمي، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: هجت امرأة من بني خطمة النبي ﷺ بهجاء لها، فبلغ ذلك النبي ﷺ فاشتد عليه ذلك وقال: «من لي بها» فقال رجل من قومها: أنا يا رسول الله، وكانت تمارة تبيع التمر قال: فأتاها فقال لها: عندك تمر؟ فقالت: نعم فأرته تمراً، فقال: أردت أجود من هذا، قال: فدخلت لتريه، قال: ودخل خلفها فنظر يميناً وشمالاً فلم ير إلا خواناً، قال: فعلا به رأسها حتى دمغها به، قال ثم أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله قد كفيتكها قال فقال النبي ﷺ: «أما إنه لا ينتطح فيها عنزان» فأرسلها مثلاً، ومحمد بن الحجاج اللخمي ـ أبو إبراهيم ـ الواسطي قال فيه ابن معين: كذاب خبيث، وقال البخاري: منكر الحديث، قال ابن عدي: ولم يروه عن مجالد غير محمد بن الحجاج وجميعاً مما يتهم محمد بن الحجاج بوضعها. اهـ، ومن طريق ابن عدي أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٧٥) به، وأخرجه القضاعي في مسنده (٨٥٨) من طريق الواقدي، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن فضيل، عن أبيه فذكره، والواقدي متهم بالكذب، قال ابن الأثير في غريب الحديث (٥/ ١٦٢): «لا يَنْتَطِح فيها عَنْزان» أي لا يَلْتَقي فيها اثنان ضعيفان لأن النِّطاح من شأن التُّيوس والكِباش لا العُنوزِ. وهو إشارة إلى قَضية مخصوصة لا يَجْري فيها خُلْف ونِزاعٌ. ا. هـ.

(١) تقدم في تفسير الآية (٧٤) من (سورة البقرة).

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٨٨) من طريق صفوان ابن عمرو، عن شريح بن عبيد الحضرمي، مرسلاً، وشريح بن عبيد بن شريح بن عبد بن عريب الحضرمي المقرائي ـ أبو الصلت ـ ثقة وكان يرسل كثيراً.

[مجزوء الكامل] فَـالـرِّيـحُ تَـبْـكِـي شَـجْـوَهَـا وَالْـبَـرْقُ يَـلْـمَـعُ فـي الْغَمَـامَـهْ[١]

وقول الفرزدق:

[البسيط] فالشَّـمسُ طَالِعَـةٌ لَيْسَـتْ بِكَاسِـفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ والْقَمَرَا[٢]

ومُنْظَرِينَ معناه: مُؤَخَّرين وممهلين[٣].

ثمَّ ذكر تعالى نعمته على بني إِسرائيل في إِنجائهم من فرعون وقومه.

و«الْعَذَابُ الْمُهين»: هو ذبح الأَبناءِ والتَّسخير في المِهَنِ كالبنيان والحفر وغيره.

وفي قراءَة ابن مسعود: (مِن عَذَاب الْمُهين) بسقوط التَّعريف بالأَلف واللَّام من ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾[٤].

وقوله: ﴿مِن فِرۡعَوۡنَ﴾ بدل من قوله: ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾.

و﴿مِن﴾ بكسر الميم هي قراءَة الجمهور.

وروى قتادة أَنَّ ابن عبّاس كان يقرؤُها: (مَنْ) بفتح الميم (فِرْعَوْنُ) برفع النون[٥].

وقوله: ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أَي على شيءٍ قد سبق عندنا فيهم وثبت في علمنا أَنَّه سينفذ.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يريد: على جميع النّاس، هذا على التأْويل المتقدِّم في العلم، والمعنى: لقد اخترناهم[٦] لهذا الإنجاءِ[٧] وهذه النِّعم على سابق علم لنا فيهم، وخصصناهم بذلك دون العالم.

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٣/ ١٣)، والأغاني (١٨/ ٢٦٩)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٦٨٨).

(٢) هكذا نسبه للفرزدق في جميع النسخ، وقد تابعه الألوسي في روح المعاني (٢٥/ ١٢٤)، والصَّحيح أَنَّ البيت لجرير، يرثي عمر بن عبد العزيز، انظر الفروق اللغوية (١/ ٢١٥)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٣٢)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٠٧).

(٣) كتبت في المطبوع: «مهملين».

(٤) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٤١)، ومختصر الشواذ (ص: ١٣٨).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٣١)، البحر المحيط (٩/ ٤٠٤).

(٦) في السليمانية: «أخبرناهم».

(٧) في نجيبويه: «الإيجاد».

ويحتمل قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أن يكون معناه: على علم لهم وفضائل فيهم[(١)]، والمعنى: اخترناهم للنُّبوات والرِّسالات، فيكون قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في هذا التَّأْويل معناه: على عالَم زمانهم، وذلك بدليل فضل أُمَّة محمد ﷺ لهم وعليهم، وأَنَّ أُمَّة محمد ﷺ هي خير أُمَّة أُخرجت للنَّاس.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ لفظ جامع لمعجزات موسى، وللعبر الَّتي ظهرت في قوم فرعون من الجراد [والقُمَّل والضَّفادع][(٢)]، وغير ذلك، ولِمَا أَنعم به على بني إِسرائيل من تظليل الغمام والمَنِّ والسَّلوى [وغير ذلك][(٣)]، فإِنَّ لفظ الآيات يعُمُّ جميع هذا.

و«الْبَلَاءُ» في هذا الموضع: الامتحان والاختبار، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

و﴿مُّبِينٌ﴾ هنا بمعنى: بَيِّن.

ثمَّ ذكر تعالى قريشاً وحكى عنهم ـ على جهة الإِنكار لقولهم حين أَنكروا فيه ما هو جائز في العقل ـ فقال: / ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾، أَي: ما آخر أَمرنا ومُنْتَهى وجودنا إِلَّا عند موتتنا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾؛ أَي: بمبعوثين [من القبور][(٤)]، يقال: أَنْشَرَ الله الميت فَنَشَر هُوَ. [٥/ ٨٠]

وقول قريش: ﴿فَأْتُوا۟﴾ مخاطبة للنَّبيِّ ﷺ، إِلَّا أَنَّه من حيث كان النَّبيُّ ﷺ مسنداً[(٥)] في أقواله وأَفعاله إِلى الله تعالى وبواسطة ملك خاطبوه كما تخاطب الجماعة

(١) في أحمد٣: «وفصل لهم».
(٢) سقط من أحمد٣، وفيه: «وغيره».
(٣) ليس في أحمد٣.
(٤) سقط من نجيبويه وأحمد٣ والمطبوع.
(٥) في الأصل: «مسنداً»، وفي الحمزوية: «مرشداً».

وهم يريدونه وربَّه وملائكته، واستدعاء الكفّار في هذه الآية أَن يحيي لهم بعض آبائهم ـ وسَمُّوا قُصَيّاً ـ لكي يسأَلوهم عمَّا رأَوْا[(١)] في آخرتهم[(٢)].

ولم يستقص في هذه الآية الرَّدَّ عليهم لبيانه، [ولأنه مثبوت][(٣)] في غير ما آية من كتاب الله، فإِنَّ الله تعالى قد جزم البعث من القبور في أَجل مسمًّى لا يتعدَّاه أَحد، وقد بَيَّنت الأَمثلةُ من الأَرض الميتة وحال النَّبات أَمْرَ البعث من القبور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ الآية؛ تقرير فيه وعيدٌ، وتُبَّعٌ ملك حِمْيري، وكان يقال لكلِّ ملِك فيهم: تُبَّع، إِلَّا أَنَّ المشار إِليه في هذه الآية رجل صالح من التَّبابعة، قال كعب الأَحبار: ذمَّ الله تعالى قومه ولم يَذُمَّه[(٤)]، ونهى العلماءُ عن سبِّه.

وروي عن النَّبيِّ ﷺ من طريق سهل بن سعد: أَنَّ تُبَّعاً هذا أَسلم وآمن بالله[(٥)].

---

(١) في نجيبويه: «أرادوا».

(٢) ضعيف، هذا جزء من قصة طويلة أخرجها الطبري (١٥/ ٨٧-٨٨-٨٩-٩٠) من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل جهالة شيخ محمد بن إسحاق.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «وإثباته»، وفي الأصل والأسدية٣: «مبثوث».

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٤).

(٥) لا يصح مرفوعاً، أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠)، وابن وهب في الجامع (٤)، والطبري (٢١/ ٤١٨)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٨)، والروياني في مسنده (١٠٩٣)، والطبراني في الكبير (٦٠١٣)، وفي الأوسط (٣٢٩٠) وغيرهم من طريق عبد الله بن لهيعة، عن أبي زرعة عمرو بن جابر، سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا تبعاً فإنه قد=

ورُوي: أَنَّ ذلك كان على يد أَهل كتاب كانوا بحضرته.

وقال ابن عبّاس: كان تُبَّع نبيّاً[1].

وروى أَبو هريرة عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «ما أَدري أَكان تُبَّع نبيّاً أَو غير نبيٍّ»[2].

= أسلم»، وعمرو بن جابر الحضرمي أبو زرعة المصري متفق على ضعفه ومنهم من كذبه، ومن طريق أحمد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٥)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٥٤) به.
وله شاهد من حديث ابن عباس، وعائشة، أما حديث ابن عباس فقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٨)، والطبراني في الكبير (١١٧٩٠)، وفي الأوسط (١٤١٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٢٠٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٦)، من طريق أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة، عن مؤمل بن إسماعيل، عن الثوري، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه، وأحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن أبي بزة المقرئ، قال أبو حاتم: روى حديثاً منكراً، وكان ضعيف الحديث، وقال العقيلي: منكر الحديث ويوصل الأحاديث، وانظر ترجمته في الجرح والتعديل (٢/ ٧١)، والضعفاء للعقيلي (١/ ١٢٧).
وأما عن عائشة رضي الله عنها فأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥١) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: كان تبع رجلاً صالحاً ألا ترى أن الله عز وجل ذم قومه ولم يذمه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٨) عن معمر، والطبري (٢١/ ٥٠) من طريق محمد بن ثور كلاهما ـ عبد الرزاق، وابن ثور ـ عن معمر، عن قتادة، عن عائشة به.
وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٦) من طريق عبد الرزاق، عن بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: نهى رسول الله ﷺ الناس عن سب أسعد وهو تبع، قلنا: يا أبا عبد الله وما كان أسعد قال: كان على دين إبراهيم، وكان إبراهيم يصلي كل يوم صلاة ولم تكن شريعة. وهو مرسل، وفي السليمانية: «سهل بن عبد الله».

(١) هذا القول لم أقف عليه مسنداً، وإنما جاء عن ابن عباس كما عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٦) من طريق زكريا بن يحيى البدي، عن عكرمة، قال سمعت ابن عباس يقول: لا يشتبهن عليكم أمر تبع فإنه كان مسلماً. وزكريا بن يحيى البدي ضعيف، وأخرج ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٣/ ٢٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تقولوا لتبع إلا خيراً؛ فإنه قد حج البيت وآمن بما جاء به عيسى ابن مريم.

(٢) الصواب فيه الإرسال، بهذا اللفظ أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٦)، والثعلبي (٨/ ٣٥٤)، والبغوي (٧/ ٢٣٥) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، =

وقال ابن جبير: هو الّذي كسا الكعبة[١].

وقد ذكره ابن إِسحاق في السِّيرة[٢]، والله أَعلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ يريد: بالكفر[٣].

وقرأَت فرقة: (أَنَّهُمْ) بفتح الأَلف[٤]، وقرأَ الجمهور بكسرها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآيَةَ؛ إِخبارٌ فيه تنبيه وتحذير.

وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يريد: بالواجب [المقتضي للخيرات][٥] وفيض الهبات.

و﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ هو يوم القيامة، وهذا هو الإِخبار بالبعث، وهو أَمر جوَّزه العقل وأَثبته الشَّرع بهذه الآية وغيرها.

و«المولى» في هذه الآية يعُمُّ جميع الموالي من القرابات وموالي العتق وموالي الصَّداقة.

وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ إِن كان الضَّمير يراد به العالم، فيصحُّ أَن يكون ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَن﴾ [في موضع نصب على الاستثناءِ المتَّصل، وإِن كان الضَّمير يراد به الكفَّار، فالاستثناءُ منقطع.

= عن أبي هريرة، مرفوعاً به، وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥١)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٢٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١١٠) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله، ﷺ: «ما أدري تبّع لعين أم لا؟ وما أدري ذو القرنين نبي أم لا؟ وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا»، وقد رواه هشام الصنعاني، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري مرسلاً، قال البخاري: وهو أصح ولا يثبت هذا عن النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ قال: «الحدود كفارات»، وقال ابن عبد البر: زعم الدارقطني أنه انفرد عبد الرزاق بهذا الإسناد.

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٠٧٧).

(٢) سيرة ابن إسحاق (ص: ٥٢)، سيرة ابن هشام (١/ ٢٣). ولفظة «والله أعلم» ليست في أحمد٣.

(٣) في السليمانية: «يريد الكفرة».

(٤) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وقد أشار الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٢)، إلى جوزاها.

(٥) في المطبوع بدلًا منه: «المفضي إِلى الخيرات»، وفي السليمانية: «المقتضي للحق»، مع الإشارة «للخيرات» في الهامش.

ويصحُّ أَن يكون][1] في موضع رفع على الابتداءِ والخبر مقدَّر، تقديره: فإِنَّه[2] يغني بعضهم عن بعض في الشفاعة ونحوها، أَو يكون تقديره: فإِنَّ الله ينصره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾، رُوي عن ابن زيد: أَن الأَثِيم المشار إِليه هو أَبو جهل[3]، ثمّ هي بالمعنى تتناول كلَّ أَثيم [وهو كل فاجر][4] يكتسب الإِثم.

ورُوي عن همام[5]: أَنَّ أَبا الدَّرداءِ أَقرأَ أَعرابيّاً، فكان يقول: طعام اليتيم، فردَّ عليه أَبو الدَّرداءِ مراراً فلم يُلَقَّن، فقال له: قل: طعام الفاجر[6]، فقرئت كذلك، وإِنَّما هي على التَّفسير[7].

و﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾: هي الشَّجرة الملعونة في القرآن، وهي تنبت في أَصل الجحيم، [وهي التي طلعها كأنه رؤوس الشياطين][8].

وروي: أَنَّ أَبا جهل لمَّا نزلت هذه الآية فيه وأَشار النَّاس بها إِليه، صنع[9] عجوة بزُبْد، ودعا إِليها ناساً، فقال لهم: تزقَّموا فإِنَّ الزقوم هو عجوة يُثْرَدُ[10] بالزبد وهو طعامي الذي حدَّث به محمد[11].

---

(١) سقط من نجيبويه.

(٢) في أحمد٣: «كأنه».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣). وفي أحمد٣: «أن الأثيم كل فاجر»، دون ذكر أبي جهل.

(٤) في المطبوع والسليمانية بدلًا منه: «وكلّ تاجر»، وفي نجيبويه: «وكل فاجر»، و«المشار له» ليست في السليمانية.

(٥) في الأصل: «عن ابن زيد» بدل «همام»، وهمام هو ابن الحارث تقدم في (سورة النساء).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٨٦)، والطبري (٢١/ ٥٤)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٢) من طريق الأعمش، عن إبراهيم النخعي، عن همام بن الحارث، عن أبي الدرداء به.

(٧) انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٨٨)، والهداية لمكي (١٠/ ٦٧٥٢).

(٨) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٩) في أحمد٣: «جمع».

(١٠) في نور العثمانية والسليمانية: «يثرب».

(١١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٢) من قول السدي.

وإِنَّما قصد بذلك ضرباً من المغالطة والتَّلبيس على الجهلة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

قال ابن عبّاس، وابن عمر رضي الله عنهما: المُهْل: درديُّ الزيت وعكره[١].

وقال ابن مسعود[٢]، وابن عبّاس أَيضاً: المهْلُ: ما ذاب من ذهب أَو فضة أَو

---

(١) قول ابن عباس له طرق يتقوى بها، فقد أخرجه الطبري (٢١/ ٥٥) من طريق محمد بن الصلت، عن أبي كدينة، عن قابوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس عن قول الله تعالى ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾. قال: كدُرْدِي الزيت، وقابوس بن أبي ظبيان فيه لين.
وأخرجه أيضاً الطبري (٢١/ ٥٥)، والبيهقي في البعث من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسود كمهل الزيت. وإسناده حسن.
وأخرجه الطبري أيضاً في تفسيره، وهناد بن السري في الزهد (٢٨٣) من طريق عن مطرف، عن عطية العوفي، عن ابن عباس قال: ماء غليظ كدردي الزيت.
وأخرجه الطبري في تفسيره من طريق شعبة، عن خليد، عن الحسن، عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه رأى فضة قد أُذيبت، فقال: هذا المهل.
وقول ابن عمر أخرجه الطبري (٢١/ ٥٧) من طريق ابن المبارك، عن أبي الصباح سعدان بن سالم، عن يزيد بن أبي سمية قال: سمعت ابن عمر يقول: هل تدرون ما المهل؟ المهل: مهل الزيت يعني آخره. وإسناده لا بأس به.

(٢) صحيح بطرقه، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٦)، والطبراني في الكبير (٩٠٨٣) من طريق عمرو بن ميمون، عن أبيه، قال: دخل عبد الله بيت المال، فأخرج بقايا كانت فيه، فأوقد عليها النار حتى تلألأت، قال: أين السائل عن المهل، هذا المهل، وأخرجه الطبري (٢١/ ٥٧) من طريق الأعمش، عن عبد الله بن سفيان، عن ابن مسعود، به، وأخرجه الطبراني في الكبير (٩٠٨٢) من طريق يحيى الحماني، =

حديد أَو رصاص ونحوه، قال الحسن: كان ابن مسعود على بيت المال لعمر بالكوفة، فأَذاب يوماً فضَّةً مكسَّرة، فلمَّا انماعت قال: يدخل من بالباب، فدخلوا، فقال لهم: هذا أَشبه ما رأَينا في الدُّنيا بالمهْل[(١)].

والمعنى: أَنَّ هذه الشَّجرة إِذا طَعِمَها الكافر في جهنَّم صارت في جوفه تفعل كما يفعل المُهْل السّخن من الإِحراق والإِفساد.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿تَغْلِي﴾ بالتَّاءِ، [على معنى تغلي][(٢)] أَي: الشَّجرة، وهي قراءَة عمرو بن ميمون، وأَبي رزين، [والحسن، والأَعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، وابن محيصن، وطلحة.

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص: ﴿يَغْلِي﴾ باليَاءِ على معنى يغلي الطَّعام، وهي قراءَة مجاهد، وقتادة][(٣)] والحسن بخلاف عنه[(٤)].

و﴿ٱلْحَمِيمِ﴾: الماءُ السُّخن الَّذي يتطاير من غليانه.

وقوله: ﴿خُذُوهُ﴾ الآيَةَ؛ معناه: يقال يومئذ للملائكة عن هذا الأَثيم: خذوه فاعتلوه.

= عن وكيع، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك: أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أذاب فضة من بيت المال ثم أرسل إلى أهل المسجد فقال: من أراد أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا. ويحيى الحماني ضعيف، والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن مسعود، وأثر ابن عباس تقدم وسنده صحيح. وسقط ذكر ابن مسعود من نجيبويه.

(١) منقطع، أخرجه الطبري (٢١/ ٥٦) من طريق أشعث، وعوف كلاهما عن الحسن البصري قال: بلغني أن ابن مسعود ... فذكره.

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) سقط من الحمزوية، وسقط ذكر أَبي جعفر وشيبة من الأصل، وذكر قتادة من المطبوع، وفي السليمانية وأحمد٣: «بعده بخلاف».

(٤) فهما سبعيتان، إلا أن ابن عامر إنما قرأ بالتاء، كما في السبعة (ص: ٥٩٢)، والتيسير (ص: ١٩٨)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والياء رواية التغلبي عنه كما في جامع البيان (٤/ ١٥٨٢)، والكامل للهذلي (ص: ٦٣٥)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٠٨).

و«الْعَتْلُ»: السَّوْق بعنف وإِهانة ودفْع قويٍّ متَّصل، كما يُساق أَبداً مرتكب الجرائم.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿فَاعْتُلُوهُ﴾ بضمِّ التَّاءِ، والباقون بكسرها، وقد رُوي الضمُّ عن أَبي عمرو، وكذلك روي الوجهان عن الحسن، وقتادة، والأَعرج[1]. / [٥/ ٨١]

و«السَّوَاءُ»: الوسط، وقيل: المعْظَم، [وذلك متلازم، في العظم][2] أَبداً من مثل هذا إِنَّما هو في الوسط، وفي الآية ما يقتضي أَنَّ الكافر يُصَبُّ على رأسه من حميم جهنَّم، وهو ما يغلي فيها من ذَوْب، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

وإِلى هذا نظر بعض ولاة المدينة، فإِنَّه كان يصبّ الخمر على رأْس الَّذي شربها أَو توجد عنده عقوبةً له وأَدباً، ذكر ذلك ابن حبيب في «الواضحة»[3].

وقوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ مخاطبة على معنى التَّقريع.

ويروى عن قتادة: أَنَّ أَبا جهل قال لمَّا نزلت ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾: أَيَتَهَدَّدُني محمد وأَنا ما بين جَبَلَيْهَا أَعزُّ منّي ولا أَكرم؟ فنزلت هذه الآيات وفي آخرها ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾[4]، أَي: على قولك، وهذا كما قال جرير:

[البسيط] أَلَمْ يَكُنْ في وُسُومٍ قَدْ وَسَمْتُ بهَا ... مَنْ حَانَ موعظة يا زَهْرَةَ اليَمَنِ[5]

---

(١) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٢)، وجعل الضم عن أبي عمرو من رواية عبيد.

(٢) سقط من الحمزوية وأحمد٣، وسقطت «في العظم» من المطبوع، وفي السليمانية: «للمعظم».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ٦١) من طريق معمر، وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة، فذكره بنحوه.

(٥) البيت لجرير كما في الخصائص (٢/ ٤٦١)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٤٠٥). وفي السليمانية: «خان»، وفي أحمد٣: «حال».

يقولها للشاعر الذي يسمي نفسه به، وذلك في قوله:

أَبْلِغْ كُلَيْباً وَأَبْلِغْ عَنْكَ شَاعِرَهَا   أَنِّي الأَعَزُّ وَأَنِّي زَهْرَةُ الْيَمَنِ[1]   [البسيط]

فجاءَ بيت جرير على جهة الهُزْءِ.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنَّكَ﴾ بكسر الأَلف، وقرأَ الكسائيُّ وحده: ﴿أَنَّكَ﴾ بفتح الأَلف[2].

والمعنى واحد في المقصد وإِن اختلف المأْخذ إِليه، وبفتح الأَلف قرأَها على المنبر الحسن بن علي بن أَبي طالب، أَسندها إِليه الكسائيُّ واتَّبعه فيها[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ عبارةٌ عن قول يقال للكفرة عند عذابهم، أَي: هذه الآخرة وجهنَّم الَّتي كنتم [تشكُّون فيها][4].

ثمَّ ذكر تعالى حالة المتَّقين بعقب ذكر حالة الكفار ليبين الفرق[5].

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿في مُقامٍ أمين﴾ بضمِّ الميم، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، وقتادة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، والحسن، والأَعرج.

وقرأَ الباقون: ﴿فِى مَقَامٍ﴾ بفتح الميم، وهي قراءَة أَبي رجاءٍ، وعيسى، ويحيى، والأَعمش[6].

و﴿أَمِين﴾ معناه: تؤمن فيه الغِيَر، فكأَنَّه فعيل بمعنى مفعول، أَي: مأْمون فيه.

---

(١) ورد هذا البيت في المصادر السابقة منسوباً لشاعر يهجو جريراً دون ذكر اسم له.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٣).

(٣) عزاها للحسن رضي الله عنه في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٤١٤)، ولم أجده مسنداً. وفي الأصل: «الحسين»، وذكر المنبر سقط من الحمزوية.

(٤) في السليمانية: «تسألون عنها».

(٥) في السليمانية قبله زيادة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ الآية.

(٦) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٣)، والتيسير (ص: ١٩٨)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٠٨).

وكسر عاصم العين من ﴿عِيُونٍ﴾[١]، قال أَبو حاتم: وذلك مردود عند العلماءِ[٢]، ومثله: شِيُوخٌ وبِيُوتٌ [بكسر الشِّين والباءِ][٣].

و«السُّنْدُس»: رقيق الحرير، و«الإِسْتَبْرَق»: خَشِنُه.

وقرأَ ابن محيصن: (وَاسْتَبْرَقَ) بألف الوصل وفتح القاف[٤].

وقوله: ﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ وصف لمجالس أَهل الجنَّة؛ لأَنَّ بعضهم لا يستدبر بعضاً في المجالس.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم﴾ تقديره: والأَمر كذلك.

وقرأَ الجمهور: ﴿عِينٍ﴾، وهو جمع عَيْنَاءَ.

وقرأَ ابن مسعود: (بِعِيسٍ عِينٍ)[٥]، وهو جمع عَيْسَاءَ، أَي: بيضاءَ[٦]، وكذلك هي من النوق.

وقرأَ عكرمة: (بحورِ عين) على ترك التنوين في (حُور)، وإِضافتها إِلى (عِينٍ)، قال أَبو الفتح: الإِضافة هنا تفيد ما تفيد الصِّفة[٧].

---

(١) أي من رواية شعبة، وابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٣٦)، وقد تقدم التعليق في (سورة الحجر).

(٢) لم أقف عليه، والقراءة التي نقل أبو حاتم ردَّها هي قراءة متواترة، وهي قراءة الأكثر، فما نقله مردودٌ، غيرُ مقبول.

(٣) ليس في أحمد٣، وقد تقدم الكلام على كل منهما في موضعه.

(٤) وهي شاذة، انظر الهداية لمكي (١٢/ ٧٩٣٨)، والكامل للهذلي (ص: ٦٥٥)، وذكرها في المحتسب (٢/ ٢٩)، دون ضبط القاف.

(٥) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٦١).

(٦) المثبت من السليمانية والمطبوع وأحمد ٣، وفي نور العثمانية: «وهي البيضاء».

(٧) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٦١).

وروى أَبو قِرْصَافَةَ[١] عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «إِخراج القمامة من المسجد من مهور الحور العين»[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ معناه: يدعون الخدمة والمتصرِّفين.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾، قدَّر قوم ﴿إِلَّا﴾ بـ: سِوَى، وضعَّف ذلك الطَّبريُّ وقدَّرها بـ: بَعْد[٣]. وليس تضعيفه بصحيح، بل يصحُّ المعنى بـ: سِوَى، ويتَّسق.

وأَمَّا معنى الآية؛ فبَيِّنٌ أَنَّه[٤] نفى عنهم ذوق الموت، وأَنَّه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدَّم في الدُّنيا.

والضَّمير في قوله: ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ عائد على القرآن.

---

(١) هو جَنْدرة ابن خَيْشَنَة، صحابيٌّ جليل، مشهور بكنيته، نزل الشّام واستوطن عسقلان، له أحاديث، تاريخ الإسلام (٥/ ٨٧).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٢١)، والثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٥٦) من طريق أيوب ابن علي بن هيصم الكناني، عن زياد بن سيار عن عزة بنت عياض بن أبي قرصافة، قالت: سمعت أبا قرصافة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها فمن بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» قال رجل: يارسول الله وهذه المساجد التي تبنى في الطريق؟ قال: «نعم وإخراج القمامة منها مهور حور العين»، وزياد بن سيار الكناني مجهول الحال، فقد روى عنه أيوب بن علي العسقلاني، والطيب بن زبان، وقد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٥٧)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٥٣٤)، وابن حبان في الثقات (٤/ ٢٥٥) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وعزة بنت عياض بن أبي قرصافة مجهولة، ومن طريق الطبراني أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٢٩٩٤)، وله شاهد من حديث أنس بن مالك أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٥٣-٢٥٤) من طريق عبد الواحد بن زيد، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كنس المساجد مهور الحور العين»، وعبد الواحد بن زيد البصري مجمع على ضعفه وتركه، وانظر ترجمته في الميزان (٢/ ٦٧٢- ٦٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣).

(٤) ليست في السليمانية، وفيها وفي أحمد٣: «موت»، بالنكرة.

وقوله: ﴿بِلِسَانِكَ﴾ معناه: بلغة العرب، ولم يُرد الجارحة[١].

[وقوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴾ معناه:][٢] فارتقب نصرنا لك إِنهم مرتقبون ـ فيما يظنُّون ـ الدَّوائر عليك.

وفي هذه الآية وعْدٌ له ووعيدٌ لهم[٣].

وفيها مُتاركة، وهذا وما جرى مجراه منسوخ بآية السَّيف.

كمل تفسير (سورة الدخان)، والحمد لله رب العالمين[٤]

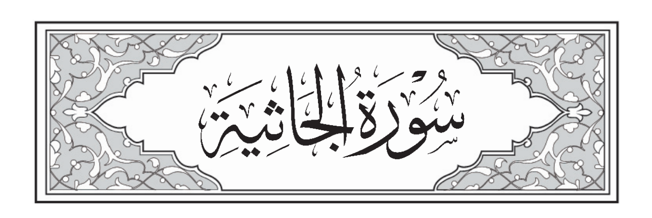
* * *

(١) في السليمانية وأحمد٣: «الخارجة».

(٢) ليس في أحمد٣.

(٣) سقط من نجيبويه.

(٤) في السليمانية: «نجز»، وليس فيها ذكر الحمد.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سُورة الجاثية

هذه السُّورة مكِّيَّة بلا خلاف في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾.

[تقدَّم القول في الحروف المقطَّعة في أَوائل السُّور][(١)].

و﴿تَنزِيلُ﴾: رفع بالابتداءِ، أَو على خبر ابتداءٍ مضمر.

و﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: معناه عامٌّ في شدَّة أَخْذه إِذا انتقم، ودفاعه إِذا حَمَى ونصر، وغير ذلك.

و﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾: المُحْكِمُ للأَشياءِ؛ وذكر تبارك تعالى الآيات الَّتي في السَّماوات والأَرض مُجْمَلَةً غير مفصَّلة، فكأَنَّها إِحالة على غوامض تثيرها[(٢)] الفِكَر، ويخبر بكثير[(٣)] منها الشَّرْعُ، فلذلك جعلها للمؤمنين؛ إِذ في ضمن الإِيمان العقلُ والتَّصديق.

---

(١) في أحمد٣: «حم تقدم ذكرها».

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية: «تميز».

(٣) في السليمانية: «بكبير».

ثمَّ ذكر تعالى خلق البشر والحيوان، وكأَنَّه أَغمض ممَّا أَحال عليه أَوَّلاً وأَكثر تلخيصاً[١]، فجعله للموقنين الَّذين لهم نظر يؤديهم إِلى اليقين في معتقداتهم، ثمَّ ذكر تعالى اختلاف اللَّيل والنَّهار والعبرة بالمطر والرِّياح، فجعل ذلك لقوم يعقلون؛ إِذْ كلُّ عاقل يحصِّل هذه ويفهم قدرها.

قال القاضي أَبو محمد: وإِن كان[٢] هذا النَّظر ليس بلازم ولا بد، فإِنَّ اللَّفظ يعطيه.

و﴿يَبُثُّ﴾ معناه: ينشر في الأَرض.

و«الدَّابة»: كلُّ حيوان يدبُّ أَو يمكن فيه أَن يدبَّ، يدخل في ذلك الطَّير والحوت، وشاهد الطَّير في قول الشاعر:

[الوافر] .... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ[٣]

وقول الآخر:

[الطويل] .... دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ في كلِّ مَنْهَل[٤]

وشاهد الحوت قول أَبي موسى: وقد أَلقى البحرُ دابَّةً مثل الظَّرِب[٥].

[٥/ ٨٢] / ودوابُّ البحر لفظ مشهور[٦] في اللُّغة.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ: ﴿آيَاتٍ﴾ بالنصب في الموضعين الأخيرين[٧]، وهي

---

(١) في نجيبويه: «مخلصاً». وفي السليمانية: «تخليصاً».

(٢) «كان»: ليست في السليمانية، وكذا لفظة: «ولا بد».

(٣) البيت لعلقمة بن عبدة كما تقدم في تفسير الآية (١٩) من (سورة البقرة)، وهو ليس نجيبويه، وفي السليمانية: «عواصفها».

(٤) البيت للأعشى كما تقدم في تفسير الآية (١٦٤) من (سورة البقرة) وتقدم التعليق عليه هناك.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٨٣)، ومسلم (١٩٣٥) من حديث جابر، وليس فيه ذكر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) في المطبوع والسليمانية: «مشترك».

(٧) في السليمانية: «الآخرين»، وسقط ذكر الجحدري والأعمش من الأصل.

قراءَة الجحدريِّ، والأَعمش، وقرأَ الباقون والجمهور: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بالرَّفع فيهما[١].

فأَمَّا من قرأَ: ﴿آيَاتٍ﴾ بالنَّصب، فحمل ﴿آيَاتٍ﴾ في الموضعين على نصب ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولا يعرض في ذلك العطف على عاملين الَّذي لا يُجيزه سيبويه وكثير من النَّحويِّين لأَنَّا نقدر (في) معادَةً في قوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ﴾، وكذلك هي في مصحف ابن مسعود: (وفي اخْتِلافِ)[٢]، فكأَنَّه قال على قراءَة الجمهور: وفي اختلاف الليل، وذلك أَنَّ ذِكْرَها قد تقدَّم في قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾، فلما تقدم ذكر الجارِّ، جاز حذفه من الثّاني ويُقَدَّر مثبتاً[٣]، كما قَدَّر سيبويه في قول الشاعر:

أَكُـلَّ امْـرِىءٍ تَحْسبينَ امْـرَءاً   وَنَـارٍ تَـوَقَّـدُ بِاللَّيْل نَـارَا[٤]   [المتقارب]

أَي: وكُلَّ نارٍ[٥]، وكما قال الآخر:

أَوْصَيْـتُ مِـنْ بَـرَّةَ قَلْباً حُـرّاً   بالكَلْبِ خَيْراً وَالْحَمَاةِ شَرّاً[٦]   [الرجز]

أَي: وبالحماة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا الاعتراض كلُّه إِنَّما هو في ﴿آياتٍ﴾ الثّاني؛ لأَنَّ الأَوَّل قبله حرف الجرِّ ظاهر.

وفي قراءَة أُبيٍّ بن كعب، وابن مسعود في الثَّلاثة المواضع: (لآيَاتٍ)[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، وانظر عزوها للباقين في البحر المحيط (٩/ ٤١٣).

(٢) وهي شاذة، انظرها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٩٢).

(٣) في أحمد٣: «مبنياً»، ولفظ «تقدم» ليس في السليمانية.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٦٢) من (سورة الأنفال).

(٥) الكتاب لسيبويه (١/ ٦٦).

(٦) البيت لأبي النجم كما في الشعر والشعراء (٢/ ٥٩٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٧١)، وخزانة الأدب (٢/ ٣٥٦)، والعقد الفريد (١/ ٢٦٠)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٧٤)، وعزاه في البحر المحيط (٨/ ٣٤٢) للحطيئة، وتابعه في الدر المصون (٩/ ١١).

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٤)، ولأبي في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٩٢).

قال أَبو عليٍّ: وهذا يدلُّ على أَنَّ الكلام محمول على ﴿إِنَّ﴾ في قراءَة من أَسقط اللَّامات في الاثنين الأخيرين[١].

وأَمَّا من رفع ﴿ءَايَٰتٌ﴾ في الموضعين، فوجهه العطف على موضع ﴿إِنَّ﴾ وما عملت فيه، لأَنَّ موضعها رفع بالابتداءِ، ووجه آخر وهو أَن يكون قوله: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ﴾ مُسْتَأْنَفاً، ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة.

وقال بعض النّاس: يجوز أَن يكون جملة في موضع الحال، فلا تكون غريبة على هذا.

و(اختلاف اللَّيلِ والنَّهارِ) إِمَّا بالنُّور والظَّلام وإِمَّا بكونهما خلفة، و(الرِّزق المُنَزَّل من السماءِ): هو المطر، سمَّاه رزقاً بمآله؛ لأَنَّ جميع ما يُرتزق[٢] فَعَن المطر هو، و(تصريف الرِّياح): هو بكونها[٣] صَباً ودبوراً وجنوباً وشمالًا، وأَيضاً فبكونها[٤] مرَّة رحمةً ومرَّة عذاباً، قاله قتادة[٥]، وأَيضاً بلينها وشدَّتها وبردها وحرِّها.

وقرأَ طلحة وعيسى: ﴿وتصريف الريح﴾ بالإِفراد[٦]، وكذلك في جميع القرآن إِلَّا ما كان فيه مبشِّرات، وخالف عيسى في الحِجْر فقرأَ: ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢][٧].

وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ إِشارة إِلى ما ذكر، وقوله: ﴿نَتْلُوهَا﴾ فيه حذف مضاف،

---

(١) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه: «الآيتين الأخيرتين»، واللفظ في الحجة للفارسي (٦/ ١٧١): «الموضعان الآخران».

(٢) في السليمانية: «يرزق».

(٣) في السليمانية: «كونها».

(٤) في نجيبويه وأحمد٣: «بكونها»، وفي السليمانية: «فكونها».

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٦١).

(٦) القراءة بالإفراد سبعية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ١٩٨)، وتقدم للمؤلف في (سورة البقرة) ما يقتضيه.

(٧) انظر العزو لعيسى وطلحة في البحر المحيط (٩/ ٤١٤)، لكنه أهمل ذكر الأخوين.

تقديره[1] أَي: نتلوا شأْنها وتفسيرها وشرح العبرة بها.

ويحتمل أَن يريد بـ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ القرآنَ المنزَّل في هذه المعاني، فلا يكون في ﴿نَتۡلُوهَا﴾ حذف مضاف.

وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ معناه: بالصدق والإِعلام بحقائق الأُمور في أَنفسها.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ﴾ الآيَةَ؛ توبيخٌ وتقريع، وفيه قوَّة التَّهديد.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأَبو عمرو، وأَبو جعفر، وشيبة، والأَعرج، وقتادة: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ بالياءِ من تحت، وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائيُّ، وعاصم أَيضاً، والأَعمش: ﴿تُؤْمنونَ﴾ بالتَّاءِ على مخاطبة الكفَّار[2].

وقرأَ طلحة بن مصرف: (تُوقِنُونَ) بالتَّاءِ من فوق[3]، من اليقين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾.

«الْوَيْلُ» في كلام العرب: المصائب والحزن والهمُّ[4] والشِّدَّة من هذه المعاني، وهي لفظة تستعمل في الدُّعاءِ على الإِنسان.

---

(١) من السليمانية.

(٢) وهما سبيعتان، الأولى لعاصم هي رواية حفص والثانية لشعبة، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والباقين في البحر المحيط (٩/ ٤١٥)، وسقط «أبو جعفر» من نجيبويه، وفي السليمانية: «وجعفر»، وفيها «ابن عباس» بدل «ابن عامر»، وفي أحمد٣: «وحازم» بدل «عاصم».

(٣) شاذة مخالفة للمصحف، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٤١٥)، وهي أقرب للسهو من قارئها أو ممن نقلها عنه.

(٤) سقط من الأصل.

ورُوي في بعض الآثار: أَنَّ في جهنَّم وادياً اسمه ويْلٌ، وذهب الطَّبريُّ إِلى أَنَّه المراد بالآية[١].

ومقتضى اللُّغة: أَنَّه الدُّعاءُ على أَهل الإِفك والإِثم بالمعاني المتقدمة.

و«الأَفَّاكُ»: الكذَّاب الَّذي يقع منه الإِفك مراراً.

و«الأَثيمُ» بناءُ مبالغة، اسم فاعل من: أَثِمَ يَأْثَمُ.

وروي: أَنَّ سبب هذه الآية أَبو جهل، وقيل: النَّضر بن الحارث[٢]، والصَّواب أَنَّ سببها ما كان المذكوران وغيرهما يفعل[٣]، وأَنها تعُمُّ كلَّ من دخل تحت الأَوصاف المذكورة إِلى يوم القيامة.

و﴿يُصِرُّ﴾ معناه: يثبتُ على عقيدته من الكفر.

وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ﴾، حَسُنَ ذلك لَمَّا أَفصح عن العذاب، ولو كانت البشارة غير مُقَيَّدَة بشيءٍ لما حملت إِلَّا على المحابِّ.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَإِذَا عَلِمَ﴾ بفتح العين وكسر اللّام مخفَّفَة، والمعنى: وإِذا أُخبر بشيءٍ من آياتنا، فعلم نفس الخبر لا المعنى الَّذي تضمَّنه الخبر، ولو علم المعاني الَّتي تتضمَّنها أَخبار الشَّرع وعرف حقائقها، لكان مؤمناً.

وقرأَ قتادة، ومَطَرٌ الوَرَّاق: (عُلِّمَ) بضم العين وشد اللام[٤].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ردٌّ[٥] على لفظ (كل أفاك) لأَنَّه اسم جنس له الصفات المذكورة بَعْدُ.

---

(١) في السليمانية: «في الآية»، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ٦٣).
(٢) انظر تفسير القرطبي (١٦/ ١٥٨).
(٣) سقط من السليمانية. وفي أحمد٣ والمطبوع: «يفعلان».
(٤) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٣٩).
(٥) سقط من المطبوع.

وقوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾ قال فيه بعض المفسِّرين: معناه: من أَمامهم، وهذا نحو الخلاف الَّذي في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، ولحظ قائل هذه المقالة الأَمر من حيث تأَوَّل أَنَّ الإِنسان كأَنَّه من عمره[١] يسير إِلى جنَّة أَو نارٍ، فهما أَمامه، وليس لفظ (الوراءِ) في اللَّغة كذلك، وإِنَّما هو ما يأْتي خلف الإِنسان.

وإِذا اعتبر الأَمرُ بالتَّقدُّم والتَّأَخُّر في الوجود على أَنَّ الزَّمان كالطَّريق للأَشياءِ استقام الأَمر، فما يأْتي بعد الشَّيءِ في الزَّمان فهو وراءَه، فكان الملك وأَخذه السَّفينة وراءَ ركوب أُولئك إِيَّاها، وجهنَّم وإِحراقها للكفَّار يأْتي بعد كفرهم وأَفعالهم، وهذا كما تقول: افعل كذا وأَنا من ورائك عضداً، أَو كما تقول ذلك على التَّهديد: أَنا من وراءِ التَّقصِّي عليك، ونحو هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ﴾ يعني بذلك الأَوثان.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ إِشارة إِلى القرآن.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم في رواية حفص: ﴿أَلِيمٌ﴾ رفعاً على النعت لـ ﴿عَذَابٌ﴾، وهي قراءَة ابن محيصن، وابن مصرف وأَهل مكَّة.

وقرأَ الباقون: ﴿أَلِيمٍ﴾ خفضاً على النعت لـ ﴿رِّجۡزٍ﴾، وهي قراءَة / الحسن، [٥/ ٨٣] وأَبي جعفر، وشيبة، وعيسى، والأَعمش[٢].

و«الرِّجْزُ»: أَشدُّ العذاب.

وقوله: ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ﴾ بمنزلة قولك: لهم حظٌّ، فمن هذه الجهة ومِنْ جهة تغاير اللَّفظتين حسُنَ قوله: ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجۡزٍ﴾ إِذ الرِّجْزُ هو العذاب.

---

(١) في أحمد٣: «كأنه في غمرة».

(٢) سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٨٠)، والسبعة (ص: ٥٩٤)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والبحر المحيط (٩/ ٤١٦)، ولفظتا «رفعاً وخفضاً» من أحمد٣، وفي المطبوع والسليمانية: «بن مُطَرِّف».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

هذه آية عبرة في جريان السُّفن في البحر، وذلك أَنَّ الله تعالى سخَّر لكم البحر[١] هذا المخلوق العظيم لهذا المخلوق الحقير الضَّعيف.

وقوله: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾، أقام[٢] القدرةَ والإذن[٣] مناب أَن يأْمر البحر والنَّاس بذلك.

و«الابتغاءُ من فضل الله»: هو بالتِّجارة في الأَغلب، وكذلك مقاصد البرِّ من حجٍّ أو جهادٍ هي أَيضاً ابتغاءُ فضل، والتَّصيُّد[٤] فيه أَيضاً هو ابتغاءُ فضل.

و«تَسْخير ما في السَّماوات»: هو تسخير الشَّمس والقمر والنُّجوم والسَّحاب والرِّياح والهواءِ[٥] والملائكة الموكَّلة بهذا كله.

ويروى: أَنَّ بعض الأَخيار نزل به ضيف، فقدم إِليه رغيفاً، فكأَنَّ الضَّيف احتقره، فقال له المضيف: لا تحتقره فإِنَّه لم يستدر حتّى تسخر فيه من المخلوقات والملائكة ثلاث مئة وستون بَيْن ما ذكرنا من مخلوقات السَّماءِ وبيْن[٦] الملائكة وبين صناع بني آدم الموصِّلين إِلى استدارة الرَّغيف.

و«تسْخير ما في الأَرض»: هو تسخير البهائم والمياه والأَودية والجبال وغير ذلك.

ومعنى قوله: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ قال ابن عبّاس: كلُّ إِنعام فهو من الله تعالى[٧].

---

(١) «لكم البحر»: من السليمانية وأحمد٣.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «أَناب».

(٣) ليست في أحمد٣، وسقطت منه: «يأمر».

(٤) في الأصل: «التصير»، وفي نجيبويه: «والتصرف».

(٥) سقط من نجيبويه والسليماية ونور العثمانية، وسقطت «السحاب» من أحمد٣.

(٦) في السليمانية وأحمد٣: «وهي».

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٩) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كل شيء هو من الله.

وقرأ جمهور النّاس: ﴿مِّنۡهُ﴾ وهو وقف جيِّد.

وقرأ مَسْلَمة بن مُحارب: (مَنُّهُ) بفتح الميم وشدِّ النون المضمومة، بتقدير: هو مَنُّه.

وقرأ ابن عبّاس: (مِنَّـةً) بكسر الميم وفتح النّون المشَدَّدَة ونصب التَّاءِ على المصدر.

وقال أَبو حاتم: سَنَدُ هذه القراءَة إِلى ابن عبّاس مُظْلم.

وحكاها أَبو الفتح عن ابن عبّاس، وعبد الله بن عمر، والجحدريّ، وعبد الله بن عُبَيْد بن عُمَيْر، وقرأَ مَسْلَمة بن مُحارب أَيضاً: (مِنَّـةٌ) بكسر الميم وبالرَّفع في التَّاءِ[1].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ﴾ الآيَةَ؛ آية نزلت في صدر الإِسلام، أَمر الله المؤمنين فيها أَن يتجاوزوا عن الكفّار، وأَلَّا يعاقبوهم بذنب، بل يأْخذون أَنفسهم بالصَّبر لهم، قاله محمد بن كعب القرظيُّ، والسُّديُّ[2].

قال أَكثر النّاس: هذه آية منسوخة بآية القتال، وقالت فرقة: الآية مُحكمة.

قال القاضي أَبو محمد: والآية تتضمَّن الغفران عموماً، فينبغي أَن يقال: إِنَّ الأُمور العظام كالقتل والكُفْر مجاهرةً ونحو ذلك قد نسخ غُفْرانُه بآية السَّيف والجزية وما أَحكمه الشَّرع لا محالة، وإِنَّ الأُمور المحقَّرة كالجفاءِ في القول ونحو ذلك يحتمل أَن تبقى محكمة وأَن يكون العفو عنها أَقرب إِلى التَّقوى.

وقال ابن عبّاس: لمَّا نزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥][3] قال فنحاص اليهوديُّ: احتاج ربّ محمد، [تعالى الله عزَّ وجلَّ عن قوله][4]، فأَخذ عمر سيفه

---

(١) وكلها شاذة، انظر عزو القراءتين الأوليين في مختصر الشواذ (ص: ١٣٩) وفيه عبيد بن عمير (دون ذكر عبد الله)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٩)، ومع كلام أبي الفتح في المحتسب له (٢/ ٢٦٢)، والكل وكلام أبي حاتم في البحر المحيط (٩/ ٤١٧). في الحمزوية والأسدية٣: «عبيد الله بن عبيد»، وفي أحمد٣ كلمة: «غير مقروءة» بدل «كسر الميم».

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦٠).

(٣) تكرَّرت في الآية (١١) من سورة (الحديد).

(٤) من المطبوع.

ومرَّ ليقتله، فردَّه[١] رسول الله ﷺ وقال له: «إِنّ ربَّك يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية»[٢].

قال القاضي أَبو محمد: فهذا احتجاجٌ بها مع قدم نزولها، وقد ذكر مكِّيٌّ وغيره أَنَّها نزلت بمكَّة في عمر رضي الله عنه لمَّا أَراد أَن يبطش بمشرك شتمه[٣].

وأَمَّا الجزم في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُواْ﴾ فهو جواب شرط مقدر، تقديره: قُل اغفروا، فإِن يجيبوا[٤] يغفروا.

[وأَخصر عندي من هذا][٥]: أَنَّ ﴿قُل﴾ هي بمثابة: اندب المؤمنين إِلى الغَفْر.

وقوله: ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ قالت فرقة: معناه: أَيَّام إِنعامه ونصره[٦] وتنعيمه في الجنَّة وغير ذلك، فـ ﴿يَرْجُونَ﴾ على هذا هو على بابه.

وقال مجاهد: أَيَّامُ الله تعالى: هي أَيَّام نِعَمه[٧] وعذابه، فـ ﴿يَرْجُونَ﴾ على هذا هي التي تتنزَّل منزلة: يخافون، وإِنَّما تنزَّلت منزلتها من حيث الرَّجاءُ والخوف متلازمان، بحيث[٨] لا نجد أَحدهما إِلاَّ والآخر معه مقترن، وقد تقدَّم شرح هذا غير مرة.

---

(١) في أحمد٣: «فلقيه».

(٢) إسناده مظلم، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٥٩-٣٦٠) وعنه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٥٣-٢٥٤) من طريق إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا محمد بن زياد اليشكري، عن ميمون ابن مهران، عن ابن عباس به مطولاً، ومحمد بن زياد اليشكري الطحان قال أحمد: كذاب أعور يضع الحديث. انظر ترجمته الميزان (٣/ ٥٥٢).

(٣) ضعيف، انظر الهداية لمكي (١٠/ ٦٧٧٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٥٩)، وأسباب النزول للواحدي (ص: ٢٥٣).

(٤) في أحمد٣: «تحبوا».

(٥) في نجيبويه: «وأخص هذا عندي»، وفي السليمانية: «وأحضر». وفي أحمد٣: «وأخص عندي من هذا»، وفي السليمانية: «العفو» بدل «الغفر».

(٦) في نجيبويه: «ونظره».

(٧) في الحمزوية والأسدية٣ ونور العثمانية: «نقمه».

(٨) «بحيث» من نجيبويه، وفي أحمد٣: «لا تجد».

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ بالياءِ على معنى: ليجزيَ اللهُ.

وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائيُّ، والأَعمش، وأَبو عبد الرَّحمن، وابن وثّاب: ﴿لِنَجْزِيَ﴾ بالنَّون.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع بخلاف عنه: (لِيُجْزَى) على بناءِ الفعل للمفعول، ﴿قَوْمًا﴾، وهذا على أَن يكون التَّقدير: لِيُجْزَى الجزاءُ قوماً[١]. وباقي الآية وعيدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

لمَّا تقرَّر في الَّتي قبل هذه أَنَّ الله يجزي قوماً بكسبهم ويعاقبهم على ذنوبهم واجترامهم[٢] أَكَّد ذلك بقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ هي لام الحظِّ؛ لأَنَّ الحظوظ والمحابَّ إِنَّما تستعمل فيها (اللَّام) الَّتي هي كَلَام المِلْك، تقول: الأُمور لزيد مُتَأَتِّـيَة، ويستعمل في ضدِّ ذلك (عَلَى)، فتقول: الأُمور على فلان مستصعبة[٣]، وتقول: لزَيْد مالٌ وعليه دَيْن، وكذلك جاءَ العمل الصّالح في هذه الآية بـ(اللَّام) والإِساءَة بِـ(عَلَى).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ معناه: إِلى قضائه وحُكْمه.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قوله: ﴿ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو التَّوارةُ.

---

(١) الأولى والثانية سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٤)، والثالثة عشرية لأبي جعفر، كما في النشر (٢/ ٣٧٢)، والخلاف عنه ليس من طرقه، وانظر الباقين إلا ابن وثاب في البحر المحيط (٩/ ٤١٧). وفي السليمانية: «ابن عباس»، مع الإشارة لابن عامر في الهامش، وفي نجيبويه بدل «بن القعقاع»: «وابن السميفع»، وفي المطبوع وأحمد٣ والأسدية٣: «للمجهول» بدل «المفعول».

(٢) في أحمد٣: «واغترافهم».

(٣) في المطبوع: «مُسْتَعْصية».

و(الحكم) هو السُّنَّة والفِقْه، فيقال: إِنَّه لم يتَّسع فِقْه الأَحكام على لسان نبيٍّ ما اتَّسع على لسان موسى عليه السَّلام، و﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: هي ما تكرَّر فيهم من الأَنبياءِ.

[٥/ ٨٤] وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني: / من المسْتَلَذَّات الحلال، وبهذين تتمّ النّعمة ويحسن تعديدها، وهذه إِشارة إِلى المنِّ والسَّلوى وطيِّبات الشَّام بَعْدُ؛ إِذ هي الأَرض المباركة، وقد تقدَّم القول في معنى الطَّيِّبات وتلخيص قول مالك والشَّافعيِّ في ذلك[١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يريد: على عالَمي زمانهم.

و«البيِّنات من الأَمر»: هو الوحي الَّذي فُصِّلت لهم به الأُمور، ثمَّ أوضح تعالى خطأَهم وعَظَّمَهُ بقوله: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾، وذلك أَنَّهم لو اختلفوا اجتهاداً في طلب صواب، لكان لهم عذر في الاختلاف، وإِنَّما اختلفوا بغياً بينهم وهم قد تَبَيَّـنُوا الحقائق، ثمَّ توعَّدهم تعالى بوقف أَمرهم على قضائه بينهم يوم القيامة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

المعنى: ثمَّ جعلناك على شريعة فلا محالة أَنَّه سَيُخْتَلَف عليك كما تقدَّم لبني إِسرائيل، فاتَّبع شريعتك، والشَّريعة في كلام العرب الموضعُ الَّذي يَرِدُ فيه النَّاسُ في الأَنهار والمياه، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] وفـي الشَّـرائع مِـنْ جَيْـلَانَ مُقْتَنِـصٌ ... رَثُّ الثِّيَابِ خَفيُّ الشَّخْصِ مُنْسَرِبُ[٢]

---

(١) في أحمد٣: «الطيبات»، وليس فيه: «القول في معنى الطيبات»، وانظر أول تفسير (سورة المائدة).

(٢) البيت لذي الرُّمَّة، كما تقدم في تفسير الآية (٤٦) من (سورة المائدة) مع اختلاف في الألفاظ، وجَيْلان =

فشريعة الدِّين هي من ذلك، كأَنَّها من حيث[١] يرد النَّاس أَمر الله ورحمته والقرب منه، وقال قتادة: الشريعة: الفرائض والحدود والأَمر والنَّهي.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ يحتمل أَن يكون واحد الأُمور، أَي: من دين الله ونُبُوَّاتِهِ الَّتي بثَّها في [عباده في][٢] سالف الزَّمان، ويحتمل أَن يكون مصدراً من أَمر يأْمر، أَي: على شريعة من الأَوامر والنَّواهي، فسمَّى الله جميع ذلك أَمراً، و﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: هم الكفَّار الَّذين كانوا يريدون صرف محمد ﷺ إِلى إِرادتهم.

و﴿يُغۡنُواْ﴾ من الغَنَاءِ، أَي لن يكون لهم عنك دفاع.

ثمَّ حقَّر تعالى شأْن الظَّالمين مشيراً بذلك إِلى كفَّار قريش، ووجْه التَّحقير أَنَّه قال: وهؤلاءِ يتولى بعضهم بعضاً، والمتَّقون يتولاهم الله، فخرجوا عن ولاية الله وتبرَّأْت منهم، ووكلهم الله بعضهم إِلى بعض.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ﴾ يريد القرآن، والبَصائِرُ جمع بصيرة، وهي المعتقد [الوثيق في الشَّيءِ][٣]، كأَنَّه مصدر من إِبصار القلب، فالقرآن فيه بيانات[٤] ينبغي أَن تكون بصائر.

و«البصيرة» في كلام العرب: الطَّريقة [من الدَّم][٥]، ومنه قول الشَّاعر [يصف جده في طلب الثأر وتواني غيره][٦]:

= بفتح الجيم وبياءٍ ساكنة كما ضبطه الحمويُّ في معجم البلدان هم قوم من أبناء فارس، وفي أكثر النسخ الخطية: من جَلَّان، وهي قبيلة.

(١) زاد في أحمد٣: «أنها».

(٢) من نجيبويه وأحمد٣. وأشار لها في هامش السليمانية.

(٣) في نجيبويه بدله: «والتوثيق بالشيء».

(٤) في المطبوع: «بيِّنات».

(٥) سقط من أحمد٣.

(٦) سقط من المطبوع، وفي نجيبويه: «يصرف حده في طلب الثأر وتواني غيره».

[الكامل] رَاحُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَي[١]

وفسَّر النَّاس هذا البيت بطريقة الدَّم؛ إذْ كانت عادة طالب الدَّم عندهم أَن يجعل طريقة من دم خلف ظهره ليُعْلَم بذلك أَنَّه لم يُدرك ثأْره وأَنه يطلبه، ويظهر فيه [أَنَّه يريد بصيرة القلب، أَي: قد اطَّرح هؤلاءِ بصائرهم وراءَ ظهورهم.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآيةَ؛ قولٌ يقتضي][٢] أَنَّه نزل بسبب افتخارٍ كان للكفَّار على المؤمنين، قالوا: لئن كانت آخرةٌ كما تزعمون لَنُفَضَّلَن عليكم فيها كما فُضِّلْنا في الدُّنيا.

و﴿أَمْ﴾ هذه ليست بمعادلة، وهي بمعنى (بَلْ) مع أَلف الاستفهام.

و﴿ٱجْتَرَحُواْ﴾ معناه: اكتسبوا، ومنه جوارحُ الإِنسان، ومنه الجوارح في الصَّيد، وتقول العرب: فلان جارحة أَهله؛ أَي: كاسبهم.

وقرأَ أَكثر القرَّاءِ: ﴿سواءٌ﴾ بالرَّفع ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بالرَّفع، وهذا على أَن ﴿سَوَاءٌ﴾ رفع بالابتداءِ، و﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ خبره، و﴿كَٱلَّذِينَ﴾ في موضع المفعول الثاني لـ (نَجْعَلَ)، وهذا على أَحد معنييْن:

إِمَّا أَن يكون الضَّمير في ﴿مَّحْيَاهُمْ﴾ يختصُّ بالكفّار المجترحين، فتكون الجملة خبراً عن أَنَّ حالهم في الزمنيْن حال سوءٍ.

والمعنى الثّاني: أَن يكون الضَّمير في ﴿مَّحْيَاهُمْ﴾ يعُمُّ الفريقين، والمعنى: أَنَّ مَحْيَا هؤلاءِ ومماتهم سواءٌ، وهو كريم، ومَحْيَا هؤلاءِ الكفار ومماتهم سواءٌ، وهو غير

---

(١) البيت للأَسْعَر الجُعْفيِّ كما تقدم للمؤلف في تفسير الآية (١٠٣) من (سورة الأنعام). وفي أحمد٣: «يعدو بها عدوائي».

(٢) سقط من الحمزوية وأحمد٣، وفي حاشية المطبوع أن الفقرة من قوله: «ويظهر إلى ظهورهم» سقط من كثير من النُّسخ.

كريم، ويكون اللَّفظ قد لَفَّ هذا المعنى وذِهْنُ السَّامع يُفَرِّقه؛ إِذ قد تقدَّم إِبعاد أَن يجعل الله تعالى هؤلاءِ كهؤلاءِ.

قال مجاهد: المؤمن يموت مؤمناً ويُبعث مؤمناً، والكافر يموت كافراً ويُبعث كافراً[١].

قال القاضي أَبو محمد: مقتضى هذا الكلام أَنَّ لفظ الآية خبر، ويظهر لي أَنَّ قوله: ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ داخل في المحسبة المنْكرة السَّيِّئة، وهذا احتمال حسن، والأَوَّل أَيضاً جيِّد.

[وقرأَ طلحة، وعيسى بخلاف عنه: ﴿سَوَآءٌ﴾ بالنَّصب ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بالرَّفع. وهذا يحتمل وجهين][٢]:

أَحدهما: أَن يكون قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ﴾ في موضع المفعول الثّاني لـ(نَجْعَلَ) كما هو في قراءَة الرَّفع[٣]، وينصب قوله: ﴿سَوَآءً﴾ على الحال من الضمير في ﴿نَّجْعَلَهُمْ﴾.

والوجه الثّاني: أَن يكون قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ﴾ في نيَّة التَّأْخير، ويكون قوله تعالى: ﴿سَوَآءً﴾ مفعولاً ثانياً لـ (نَجْعَلَ)، وعلى كلا الوجهين ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مرتفع بـ﴿سَوَآءً﴾ على أَنَّه فاعل.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، [وحفص عن عاصم، والأَعمش][٤]: ﴿سَوَآءً﴾ بالنَّصب، (محياهم ومماتَهم) بالنَّصب[٥]، وذلك على الظَّرف، أَو على أَن يكون (محياهم) بدلاً من الضَّمير في ﴿نَّجْعَلَهُمْ﴾، أَي: نجعل محياهم ومماتهم سواءً.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٠)، تفسير الطبري (٢٢/ ٧٣).

(٢) في أحمد٣: «ويظهر في قراءة من قرأ (سواء) بالرفع احتمال وجهين».

(٣) في أحمد٣: «النصب»، وأشار لها في هامش السليمانية.

(٤) سقط من السليمانية.

(٥) الأولى والثانية سبعيتان، إلا أن العزو اختلط على المؤلف رحمه الله بين الأخيرتين، والصواب كما في التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٥)، والنشر (٢/ ٣٧٢)، ومعاني القراءات للأزهري =

وهذه الآية متناولةٌ بلفظها حال العصاة من حال أَهل التَّقوى، وهي موقف للعارفين يبكون عنده، وروي عن الرَّبيع بن خثيم[1] أَنَّه كان يردِّدها ليلة جمعاءَ، وكذلك عن الفضيل بن عياض، وكان يقول لنفسه: ليت شعري من أَي الفريقين أَنت؟، وقال الثَّعلبيُّ: كانت هذه الآية تسمَّى مبكاة العابدين[2].

[٥/ ٨٥] قال القاضي أَبو محمد: وأَمَّا لفظها فيعطي أَنَّه اجتراح الكفر /[3] بدليل معادلته بالإِيمان، ويحتمل أَن تكون المعادلة بين الاجتراح وعمل الصّالحات ويكون الإِيمان في الفريقين، ولهذا بكى الخائفون رضي الله عنهم.

وأَمَّا مفعولا ﴿حَسِبَ﴾ فقوله تعالى: ﴿أَن نَّجۡعَلَهُمۡ﴾ يسدُّ مسدَّ المفعولين.

وقوله تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾؛ ﴿مَا﴾ مصدريَّة، والتَّقدير: ساءَ الحُكْمُ حُكْمُهُم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾.

= (٢/ ٣٧٦)، وحجة القراءات (ص: ٦٦١)، والعنوان (ص: ١٧٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٠٢) أن حمزة والكسائي وحفصاً، قرؤوا بالرفع في (مماتُهم)، وكذلك العشرة كلهم، وأما قراءتها بالنصب فشاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٤) للأعمش، وعزاها لمن ذكر في القراءة الثانية، في البحر المحيط (٩/ ٤٢١)، قال: وخلط ابن عطية هنا، وله بعض عذر، فإنه لم يكن معرباً، وتبعه على هذا الوهم صاحب التحرير، وهو معذور، لأنه ناسخ من كتاب إلى كتاب.

(١) كذا في أحمد ٣، وفي المطبوع والأصل وسائر النسخ: «الربيع بن خيثم».

(٢) انظر قول الربيع والفضيل في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦١) ولم أجد فيه أنها مبكاة ... إلخ، لكن نقله عنه تفسير الثعالبي (٥/ ٢٠٧) أيضاً، وذكر التسمية دون نسبتها له: القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٨).

(٣) سقط من الأصل مقدار ورقة من هنا إلى رقم (٨٥) المكرر قريباً، ولعله خطأ في التصوير.

المعنى: [وخلق الله السَّماوات والأَرض][(١)]، فإِنَّ خلقها حقٌّ واجب متأَكد في نفسه لما فيه من فيض الخيرات، ولتدلّ عليه تعالى، ولتكون صنعة حاكمة بصانع، وقيل لبعض الحكماءِ: لم خلق الله السَّماوات والأَرض؟ فقال: ليظهر [جودة صنعه][(٢)].

واللَّام في قوله سبحانه: ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ يظهر أَن تكون لام كَيْ، فكأَنَّ الجزاءَ من أَسباب خلق السَّماوات والأَرض.

ويحتمل أَن تكون لام الصيَّرورة، أَي: وصار الأَمر فيها من حيث اهتدى بها قوم وضلَّ عنها آخرون لأَن يجازى كلُّ أَحد بعمله وبما اكتسب من خير أَو شرٍّ.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾، سهَّل بعض القرَّاءِ الهمزة وحقَّقها قوم، وكذلك هي في مصحف ابن مسعود مخفَّفة[(٣)]، وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه ﴿أَفَرَيْتَ﴾ دون همز[(٤)].

وهذه الآية تسلية لمحمد ﷺ عن الكفَّار المعرضين عن الإِيمان، أَي: لا تحفِل بهم ولا تهتمَّ بأَمرهم، فليس فيهم حيلة لبشر لأَنَّ الله أَضلَّهم.

قال ابن جبير: قوله: ﴿إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ إِشارة إِلى الأَصنام؛ إِذ كانوا يعبدون ما يَهْوَوْن من الحجارة.

وقال قتادة: المعنى: لا يهوى شيئاً إِلَّا ركبه لا يخاف الله تعالى، فهذا كما يقال: الْهَوَى إِله معبود[(٥)].

---

(١) ليس في أحمد٣.

(٢) في الأسدية٣ ونور العثمانية بدلًا منه: «جوده»، وفي الحمزوية: «وجوده»، وفي نجيبويه: «قال ليظهر جوده»، وفي السليمانية: «صنعته».

(٣) في السليمانية: «محققة».

(٤) وهي سبعية للكسائي، والتسهيل لنافع، والتحقيق للباقين، ولورش إبدالها مداً، انظر السبعة (ص: ٢٥٧)، والتيسير (ص: ١٠٢).

(٥) انظر قوليهما بالمعنى في تفسير الطبري (٢٢/ ٧٦).

وقرأ الأَعرج، وابن جبير: (آلهةً هواه) على التَّأْنيث في (آلهَة)[١].

وهذه الآية وإِن كانت نزلت في هوى الكفر[٢] فهي متناولة جميع هوى النَّفس الأَمَّارة.

وقال ابن عبّاس: ما ذكر الله تعالى هوىً إِلَّا ذَمَّه[٣].

وقال الشَّعبيُّ: سُمِّي هوًى لِهُوِيِّه بصاحبه[٤].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «والعاجزُ من أَتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[٥].

وقال سهل التُّستَريُّ: هواك داؤُك، فإِن خالفته فدواؤُك[٦].

وقال وهب: إِذا شككتَ في خَيْر أَمرَيْن، فانظر أَبعدهما من هواكَ فأْته[٧].

ومن حكمة الشِّعر في هذا قول القائل:

[الطويل] إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى ... إِلَـى كُلِّ مَـا فِيـهِ عَلَيْـكَ مَقَـالُ[٨]

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (١٣٩) الشواذ للكرماني (ص: ٤٣)، والبحر المحيط (٩/ ٤٢٢).

(٢) في السليمانية وأحمد٣: «الكفرة».

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٦٢) من طريق عبيد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا محمد بن عمران بن هارون، حدثنا أبو عبيد الله المخزومي سعيد بن عبد الرحمن بن حسان، حدثنا سفيان ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن طاووس، عن ابن عباس، به.و عبيد الله بن محمد بن شنبة، ومحمد بن عمران بن هارون لم أقف لهما على ترجمة.

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦٢). وفي نجيبويه: «لهوية صاحبه».

(٥) ضعيف، وقد تقدم انظر (سورة فصلت) آية (٥٠). وأتمه في السليمانية: «بالأماني».

(٦) رواه عنه الثعلبي (٨/ ٣٦٣) بلفظ: هواك يأمرك فإن خالفته فرط بك.

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦٣) وكأنه فيه من كلام سهل، ونقله عن وهب: القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٦٨). في أحمد٣: «ابن وهب».

(٨) هذا البيت قاله هشام بن عبد الملك، ولم يقل غيره، انظر الأغاني (٧/ ٢١)، والبصائر والذخائر (١/ ٣٤٩).

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قال ابن عبّاس: المعنى: على عِلْم من الله سابق[١].

وقالت فرقة: أَي: عَلَى عِلْمٍ من هذا الضَّلال[٢]، فإِنَّ الحقَّ هو الَّذي يترك ويعرض عنه، فتكون الآية على هذا التَّأْويل من آيات العناد، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، وعلى كلا التَّأْويلين، فقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال.

وقوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ استعارات كلُّها؛ إِذ هذا الضَّالُّ لا ينفعه ما يسمع ولا ما يفهم ولا ما يرى، فكأَنَّه بهذه الأَوصاف المذكورة.

وهذه الآية لا حُجَّة للجبريَّة فيها لأَنَّ التَّكسُّب فيها منصوص عليه في قوله تعالى [: ﴿ٱتَّخَذَ﴾، وفي قوله][٣]: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ على التَّأْويل الأخير فيه، ولو لم ينص على الاكتساب لكان مراداً في المعنى.

وقرأَ أكثر القراءِ: ﴿غِشَٰوَةً﴾ بكسر الغين.

وقرأَ عبد الله بن مسعود: (غَشَاوَةً) بفتح الغين، وهي لغة ربيعة.

وحكي عن الحسن وعكرمة: (غُشَاوَةً) بضمِّ الغين، وهي لغة عُكل.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ: ﴿غَشْوَةً﴾ بفتح الغين وإِسكان الشِّين.

وقرأَ الأَعمش، وابن مصرف: (غِشْوَةً) بكسر الغين دون أَلف[٤].

---

(١) سقط من أحمد٣، والأثر أخرجه الطبري (٢١/ ٩٣- ٩٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٤)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١٠٠٣) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في السليمانية وأحمد٣: «الضال».

(٣) سقط من السليمانية.

(٤) القراءة الأولى سقطت من الحمزوية، وهي والرابعة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٥)، وانظر الثانية والخامسة في مختصر الشواذ (ص: ١٣٩)، وزاد عشاوة بالمهملة لطاوس، والثانية للحسن في الهداية لمكي (١/ ١٤٩)، وزاد معه أبا حيوة، وذكر الكل في البحر المحيط (٩/ ٤٢٣)، وزاد فيهن آخرين. وسقط «إسكان الشين» في الرابعة من نجيبويه وأحمد٣.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: من بعد إِضلال الله تعالى إِيَّاه.

وقرأ عاصم ـ وَأُرَاهُ الجحدريّ ـ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذّال[١].

وقرأ جمهور النّاس: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ على الخطاب أَيضاً بتشديد الذال.

وقرأ الأَعمش: (تَتَذَكَّرُونَ) بتاءَيْن[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ الآية؛ حكايةُ مقالة بعض قريش، وهذه صيغة[٣] دهرية من كفَّار العرب، ومعنى قولهم: ما في الوجود إِلاَّ هذه الحياة الَّتي نحن فيها وليست ثَمَّ آخِرَةٌ ولا بَعْثٌ.

واختلف المفسِّرون في معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾:

فقالت فرقة: المعنى: نحن موتى قبل أَن نوجد ثمَّ نحيا في وقت وجودنا.

وقالت فرقة: المعنى: نحن نموت حين نحن نُطَفٌ ودَمٌ ثمَّ نحيا بالأَرواح فينا[٤]. وهذا قول قريب من الأَوَّل، ويسقط على القولَيْن ذكر الموت المعروف الَّذي هو خروج الرُّوح من الجسد، وهو الأَهم في الذِّكر.

وقالت فرقة: المعنى: نحيا ونموت، فوقع في اللَّفظ تقديم وتأْخير.

وقالت فرقة: الغرض من اللَّفظ العبارة عن حال النَّوع، فكأَنَّ النوع بجملته يقول: إِنَّما نحن تموت طائفة وتحيا طائفة دأباً.

---

(١) هذه رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود وقراءة حمزة والكسائي في جميع القرآن، كما تقدم في (سورة الأنعام)، وبأتقن في (الأعراف)، وانظر التيسير (ص: ١٠٨) وتابعه في البحر المحيط (٩/ ٤٢٣) فقصرها على الجحدري. وفي أحمد٣: «وأظنه» بدل «أراه».

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٣٤)، والبحر المحيط (٩/ ٤٢٣)

(٣) في نجيبويه: «صنعة».

(٤) في السليمانية: «فيها». وفي أحمد٣ في الحالة الثانية: «نحن موتى قبل أن نوجد ثمَّ نحيا بالأرواح فينا».

وقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أَي طول الزَّمان، وهو المهلِك لأَنَّ الأَوقات[(١)] تستوي فيه كمالاتها، فنفى الله تعالى عنهم علمهم بهذا، وأَعلم أَنَّها ظنون منهم وتخرُّص يفضي بهم إِلى الإِشراك بالله تعالى، والدَّهر والزَّمان تستعملهما العرب بمعنى واحد.

وفي قراءَة ابن مسعود: (وما يُهلكنا إِلَّا دهر يمرُّ)[(٢)].

وقال مجاهد: الدَّهر هنا: الزَّمانُ[(٣)].

وروى أَبو هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أَنه قال: «كان أَهل الجاهلية يقولون: إِنَّما يُهلكنا اللَّيل والنَّهار»[(٤)].

قال القاضي أَبو محمد: ويفارق هذا الاستعمالَ قولُ النَّبيِّ ﷺ: «لا تَسُبُّوا الدَّهر، فإِنَّ الله تعالى هو الدَّهر»[(٥)].

وفي حديث آخر: «قال الله تعالى: يسبُّ ابن آدم الدَّهر، وأَنا الدَّهر بيدي اللَّيل والنَّهار»[(٦)].

ومعنى هذا الحديث: فإِنَّ الله تعالى هو الذي يفعل ما تنسبونه إِلى الدَّهر وتسبُّونه بسببه، وإِذا تؤملت أَمثلة هذا في الكلام، ظهرت إِن شاءَ الله تعالى.

[٥/ ٨٥] / قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ

---

(١) في نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية وأحمد٣: «الآفات». وسقطت منها «وهو».
(٢) وهي شاذة، انظرها في تفسير الطبري (٢٢/ ٧٨)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٤٨).
(٣) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٠)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٧٨).
(٤) إنما هو من قول سفيان بن عيينة، أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٥٧١٥)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٣) من طريق إسحاق بن إبراهيم، عن ابن عيينة قوله.
(٥) أخرجه مسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. في أحمد٣: «فإن الدهر هو الله».
(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦١٨١)، ومسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

الضَّمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عائد على كفَّار قريش.

و«الآيات» هنا: هي آيات القرآن وحروفه بقرينة قوله تعالى: ﴿تُتْلَىٰ﴾، وعابَتْ هذه الآية سوءَ مقاولتهم[١]، وأَنَّهم جعلوا بدل الحجَّة التَّمنّي المتشطِّط والطّلب لما قد حتم الله أَلَّا يكون إِلَّا إِلى أَجل مُسمّى.

وقرأَ الحسن، وعمرو بن عُبَيْد، وابن عامر فيما روى عنه عبد الحميد، وعاصم فيما روى هارون وحُسَيْن عن أَبي بكر عنه: ﴿حُجَّتُهُمْ﴾ بالرَّفع[٢] على اسم ﴿كَانَ﴾ والخبر في ﴿أَن﴾.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ بالنَّصب على خبر مُقَدَّم، واسم كان في ﴿أَن﴾.

وكان بعض قريش قد قال: احْيِ لنا قُصَيّاً، فإِنَّه كان شيخ صِدْق، حتَّى نسأَله، إِلى غير ذلك من هذا النحو، فنزلت الآية في ذلك[٣].

وقالوا لمحمد ﷺ: ﴿ٱئْتُوا۟﴾ من حيث المخاطبة له والمراد هو وإِلهُه والْمَلَك الوسيط الَّذي ذكر هو لهم، فجاءَ من ذلك جملة قيل لها: ﴿ٱئْتُوا۟﴾ و﴿إِن كُنتُمْ﴾.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يخبرهم بالحال السالفة[٤] في علم الله الَّتي لا تُبَدَّل،

---

(١) في الحمزوية والسليمانية: «مقالتهم»، وأشار إليها في حاشية الأسدية٣، وأحمد٣ فيه: «مقلاتهم».

(٢) انظر الرواية عن عاصم وابن عامر في جامع البيان (٣/ ١٦٣)، وقراءة الحسن في مختصر الشواذ (١٣٩) للحسن وزاد ابن أبي إسحاق وأبا حيوة، ولم ترد في شيء من طرق التيسير، ولا طرق النشر إلا ما انفرد به ابن العلاف عن النخاس عن التمار عن رويس، (٢/ ٣٧٢): وعزاها لقراءة الحسن وعبيد بن عمير ... إلخ، وعزاها لهما ولعمرو بن عبيد في البحر المحيط (٩/ ٤٢٣)، وزاد زيد بن علي.

(٣) ضعيف، هذا جزء من قصة طويلة أخرجها الطبري (١٥/ ٨٧-٨٨-٨٩-٩٠) من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل جهالة شيخ محمد بن إسحاق.

(٤) في المطبوع والحمزوية والسليمانية وأحمد٣: «السّابقة».

وهي أَنَّه يحيي الخلق ويميتهم بعد ذلك ويحشرهم بعد إِماتتهم إِلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ أَي: في نفسه وذاته.

و«الأَكثر» الَّذي لا يعلم هم الكفّار، و«الأَكثر» هنا على بابه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾:

قالت فرقة: العامل في ﴿يَوۡمَ﴾ قوله: ﴿يَخۡسَرُ﴾، وجاءَ قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ بدلاً مؤكِّداً.

وقالت فرقة: العامل في ﴿يَوۡمَ﴾ فعل يدلُّ عليه المُلْك، وذلك أَنَّ يوم القيامة حال ثالثة ليست بالسَّماءِ ولا بالأَرض لأَنَّ ذلك يتبدَّل، فكأَنَّه قال: ولله مُلْك السَّماوات والأَرض والملك يوم القيامة، وينفرد ﴿يَخۡسَرُ﴾ بالعمل في قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾.

و﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: الدّاخلون في الباطل.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ﴾ وصف حال القيامة وهولها.

و«الأُمَّةُ»: الجماعة العظيمة من النّاس الَّتي قد جمعها معنى أَو وصف شامل[1] لها.

وقال مجاهد: الأُمَّةُ: الواحد من النّاس.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قلِقٌ في اللُّغة، وإِن كان قد قيل في إِبراهيم عليه السلام: أُمَّة[2]، وقالها النَّبيُّ ﷺ في قُسّ بن ساعدة[3]، فذلك تجوُّز على جهة التَّشريف والتَّشبيه.

---

(١) في نجيبويه: «متأصل»، وفي نور العثمانية: «متأمل».

(٢) في الآية (١٢٠) من (سورة النَّحل).

(٣) لا يصح، أخرجه بهذا اللفظ الذي فيه موطن الشاهد: ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (٢/ ٦٧٣- ٦٧٤) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس به، والكلبي محمد بن السائب متهم بالكذب، وقد أخرجه البزار في مسنده (٥٣٤٧)، وابن عدي في الكامل (٦/ ١٤٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢١٣) من طريق محمد بن الحجاج اللخمي، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس به، قال يحيى بن معين: محمد بن الحجاج كذاب خبيث، وأخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٦٩٦) من طريق سفيان بن عيينة، عن أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس به، وأبو حمزة الثمالي هو ثابت بن أبي صفية دينار ضعيف، قال ابن الجوزي: وهذا الحديث =

و﴿جَاثِيَةً﴾ معناه: على الرّكب، قاله مجاهد والضَّحّاك[١]، وهي هيئة المذنب الخائف المعظِّم.

وفي الحديث: فجثا عمر على ركبتيه[٢].

وقال سلمان الفارسيُّ رضي الله عنه: في القيامة ساعة قدر عشر سنين، يخرُّ الجميع فيها جُثَاة على الرُّكب[٣].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالرَّفع على الابتداءِ.

= من جميع جهاته باطل، قال أبو الفتح الأزدي الحافظ: هو حديث موضوع لا أصل له، وكذا قال الحافظ في الإصابة (٥/ ٥٥٢): وطرقه كلها ضعيفة، وانظر اللآلئ المصنوعة (١/ ١٦٦-١٧٤)، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٥٠٠)، والموضوعات (١/ ٢١٣-٢١٤).

(١) عزاه لهما ولابن زيد: الطبري في تفسيره (٢٢/ ٨٢).

(٢) صحيح، وأصله في الصحيحين، هذا جزء من حديث أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٩٦) من طريق معمر، عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: فجثا عمر على ركبتيه وقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، فقال النبي ﷺ: «أولى أما والذي نفسي بيده لقد صورت لي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر»، وسبب هذه القصة كما جاء في البخاري (٩٣)، ومسلم (٢٣٥٩): أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى لهم صلاة الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن قبلها أموراً عظاماً، ثم قال: «من أحب أن يسألني عن شيء فليسألني عنه فوالله لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا»، قال أنس ابن مالك: فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: «سلوني» فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: «أبوك حذافة». فلما أكثر رسول الله ﷺ من أن يقول: «سلوني» برك عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، قال فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك..الحديث.

(٣) في إسناده من لم نعرفهم، أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٦٦) أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا موسى بن محمد الحلواني، حدثنا يعقوب بن إسحاق العلوي، حدثنا عبد الله بن يحيى الثقفي، حدثنا أبوعران، عن عاصم الأحول، عن ابن عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي، قال: في القيامة ساعة هي عشر سنين يكون الناس فيها جثاة على ركبهم حتّى إبراهيم عليه السلام لينادي لا أسألك اليوم إلا نفسي. وموسى بن محمد الحلواني، ويعقوب العلوي، وعبد الله بن يحيى الثقفي، وأبوعران لم أقف لهم على ترجمة.

وقرأ يعقوب الحضرمي: ﴿كلَّ أمة تدعى﴾ بالنصب[١] على البدل من ﴿كُلَّ﴾ الأولى، [إِذْ في ﴿كُلُّ﴾ الثّانية إيضاحُ موجب الجُثُوِّ.

وقرأ الأَعمش: (وتَرى كلَّ أمة جاثية تدعى) بإِسقاط ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ الثاني][٢].

واختلف المتأَوِّلون في قوله: ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾:

فقالت فرقة: أَراد: إِلى كتابها المُنَزَّل عليها فتحاكم إِليه، هَلْ وافقته أَو خالفته؟

وقالت فرقة: أَراد: إِلى كتابها الَّذي كتبته الحفظة على كلِّ واحد من الأُمَّة، فباجتماع ذلك قيل له: كتابها، وهنا محذوف يدلُّ عليه الظّاهر، تقديره: فيقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ يحتمل أَن تكون الإِشارة إِلى الكتب المنزَّلة، أَو اللَّوح المحفوظ، قال مجاهد، ومقاتل: يشهد بما سبق فيه من سعادة أَو شقاءٍ، أو تكون الكتب الحفظة.

وقال ابن قتيبة: هي إِلى القرآن[٣].

واختلف النّاس في قوله تعالى: ﴿نَسْتَنسِخُ﴾؛ فقالت فرقة: معناه: نكتب، وحقيقة النَّسخ وإِن كانت أَن يُنْقل خطٌّ من أَصل يُنْظر فيه؛ فإِنَّ أَعمال العباد هي في هذا التَّأْويل كالأَصل، فالمعنى: إِنَّا كُنَّا[٤] نقيِّد كلَّ ما عملتم.

وقال الحسن: هو كتب الحفظة على بني آدم[٥].

وروى ابن عبّاس وغيره حديثاً: أَنَّ الله تعالى يأْمر ملكاً[٦] بعرض أَعمال العباد

---

(١) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٧٢)، والمحتسب (٢/ ٢٦٢)، ومختصر الشواذ (١٣٨)، وزاد الأعرج.

(٢) سقط من نجيبويه، وهي شاذة، مخالفة للمصاحف، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٣) لفظه في غريب القرآن (ص: ٣٤٨): يريد: أنهم يقرؤونه فيدلهم ويذكرهم، فكأنه ينطق عليهم. ولم أقف على القول الآخر.

(٤) سقط من نجيبويه.

(٥) انظر معناه في تفسير الثعلبي (٨/ ٣٦٧).

(٦) من نجيبويه.

كلَّ يوم خميس، فيُنقل من الصُّحف الَّتي ترفع الحفظة كلُّ ما هو مُعَدٌّ أَن يكون عليه ثواب أَو عقاب، ويُلْغى الباقي، قالت فرقة: فهذا هو النَّسخ من أَصل[(١)].

وقال ابن عبّاس أَيضاً: معنى هذه الآية: أَنَّ الله تعالى يجعل الحفظة تنسخ من اللَّوح المحفوظ كلَّ ما يفعل العباد ثمَّ يُمسكونه عندهم، فتأْتي أَفعال العباد على نحو ذلك فيُـقَيَّد أَيضاً، فذلك هو الاستنساخ، وكان ابن عبّاس يقول: أَلستم عرباً؟ وهل يكون الاستنساخ إِلَّا من أَصل؟[(٢)]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

---

(١) في أحمد٣: «قالت هذه الفرقة هذا من الأصل».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٤-١٠٥) عن ابن حُميد، عن يعقوب القمي، عن أخي عيسى ابن عبد الله، عن ثابت الثُّمالي، عن ابن عباس، قال: إن الله خلق النون وهي الدواة، وخلق القلم، فقال: اكتب، قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول، برّ أو فجور، أو رزق مقسوم، حلال أو حرام، ثم ألزم كلّ شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا، ومقامه فيها كم، وخروجه منه كيف، ثم جعل على العباد حفظة، وعلى الكتاب خزاناً، فالحفظة ينسخون كلّ يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر، وانقضى الأجل، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً، فترجع الحفظة، فيجدونهم قد ماتوا، قال: فقال ابن عباس: ألستم قوما عرباً تسمعون الحفظة يقولون ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، وثابت الثمالي هو ثابت بن أبي صفية دينار ضعيف ولم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج الطبري أيضاً من طريق زائدة بن قدامة، عن عطاء بن السائب، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ قال: هو أمّ الكتاب فيه أعمال بني آدم ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نعم، الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم، وأخرجه أيضاً (٢١/ ١٠٥) من طريق عطاء، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ قال: الكتاب: الذكر ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نستنسخ الأعمال.

ذكر الله تعالى حال الطّائفتين من المؤمنين والكافرين، وقرن[١] بينهم في الذّكر ليبيِّن الأَمر في نفس السَّامع، فإِنَّ الأَشياءَ تتبيَّن بذكر أَضدادها معها.

و﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾ هو نيل البُغية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ﴾[٢] فإِنَّ التقدير فيه: وأَمَّا الَّذين كفروا فيقال لهم: أفلم تكن، فحذف (يُقَال لهم) اختصاراً، وبقيت الفاءُ دالَّة على الجواب الَّذي تطلبه ﴿أَمَّا﴾، ثمَّ قدم عليها أَلف الاستفهام من حيث له صدر القول على كلِّ حالة، / ووقف الله تعالى الكفَّار على الاستكبار؛ لأَنَّه من شرِّ الخلال. [٥/ ٨٦]

وقرأَ حمزة وحده: ﴿وَالسَّاعَةَ﴾ بالنَّصب عطفاً على قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾، ورويت عن أَبي عمرو، وعيسى، والأَعمش[٣].

وقرأَ ابن مسعود: (حَقٌّ وإِن السَّاعَةَ لَا رَيْب فيها)، وكذلك قرأَ أَيضاً الأَعمش[٤].

وقرأَ الباقون: ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ رفعاً، ولذلك وجهان:

أَحدهما: الابتداءُ والاستئناف، والآخر: العطف على موضع ﴿إِنَّ﴾ وما عملت فيه؛ لأَنَّ التقدير: وَعْدُ الله حَقٌّ، قاله أَبو عليٍّ في «الحُجَّة»[٥].

وقال بعض النّحاة: لا يعطف على موضع (إِنَّ) إِلَّا إِذا كان العامل الَّذي عطلته[٦] (إِنَّ) نافياً[٧]، وكذلك هي على موضع الباءِ في قوله:

---

(١) في المطبوع والسليمانية ونور العثمانية وأحمد٣: «فرق»، وسقط منها: «من المؤمنين والكافرين».

(٢) في المطبوع زيادة: «فيه محذوف»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح الكلام.

(٣) وهي والأخيرة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٨)، والسبعة (ص: ٥٩٥)، والباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٢٦).

(٤) وهي شاذة انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ٤٧)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٤). وسقط «ابن مسعود» من أحمد٣.

(٥) الحجة للفارسي (٦/ ١٨١).

(٦) في المطبوع وأحمد٣: «عطفته».

(٧) في حاشية الأسدية٣: في هذا كلام مخل فلينظر.

[الوافر] .... فَلَسْـنَا بِالْجِبَـالِ وَلَا الحَدِيـدَا[١]

فلمَّا كانت (ليْس) نافِيةً[٢] جاز العطف على الموضع قبل دخول الباءِ، ويظهر نحو هذا النَّظر من كتاب سيبويه[٣]، ولكن قد ذكرنا ما حكى أَبو عليٍّ وهو القدوة.

وقولهم: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ معناه: إِنْ نَظُنُّ بعد قبول خبركم إِلَّا ظَنّاً، وليس يعطينا [خبراً يقيناً][٤].

وقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ الآية؛ حكايةُ حال يوم القيامة.

و(حَاقَ): معناه: نزل وأَحاط، وهي مستعملة في المكروه، وفي قوله: ﴿مَّا كَانُوا﴾ حذف مضاف تقديره: جزاءَ ما كانوا، أَي عقاب كونهم يستهزئون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

---

(١) هذا عجز بيت قاله عُقَيْبَة بن هبيرة الأسديُّ من أبيات يشكو بها إلى معاويَّة بن أبي سفيان جور عماله، وصدره: مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فأَسْجِحْ، انظر نسبته له في الكتاب لسيبويه (١/ ٦٧)، والجمل في النحو (١/ ١٠٠)، وسر صناعة الإعراب (١/ ١٣١)، وإنما يستقيم الشاهد هكذا على رواية النصب، وأيده ابن الأنباري في الإنصاف (١/ ٢٧١) بأن بعده: أديروها بني حرب عليكم... ولا ترموا بها الغرض البعيدا. قال: والروي المخفوض لا يكون مع الروي المنصوب في قصيدة واحدة، وقال الفراء في معاني القرآن (٢/ ٣٤٨): ويُنشد «الحديدا» خفضاً ونصباً، وأكثر ما سمعته بالخفض، وكتبت في الأصل: «الحديد»، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (١/ ١٠٠): وقد غلط على الشاعر، لأنّ هذا الشعر كلّه مخفوض، وبعده: أكلتم أرضنا وجردتموها... فهل من قائم أو من حصيد. ومثله لابن عبد ربه في العقد الفريد (٦/ ٢٣٧) وفي خزانة الأدب (٢/ ٢٣٢) عن المبرد والعسكري، ثم قال: وقيل: إنه من شعر آخر لعبد الله بن الزبير الأسدي،... قال: وليس ينكر أن يكون بيتٌ من شعرين معاً.

(٢) في الأصل: «باقية».

(٣) الكتاب لسيبويه (١/ ٦٧).

(٤) في الأصل: «خبراً»، وفي المطبوع والسليمانية وأحمد٣: «يقيناً»، وفي نجيبويه: «خبراً».

﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ معناه: نتْرُكُكُمْ كما تركتم لقاءَ يومكم هذا، فلم يقع منكم استعدادٌ له ولا تأهب، فسمِّيت العقوبة في هذه الآية باسم الذَّنب.

و«المأْوى»: الموضع الَّذي يسكنه الإِنسان ويكون فيه عامَّة أَوقاته أَو كلَّها أَجمع.

و﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لفظ جامع لآيات القرآن وللأَدلَّة الَّتي نصبها الله تعالى لينظر فيها أكثر العباد.

وقرأَ أَكثر القراءِ: ﴿لَا يُخْرَجُونَ﴾ بضمِّ الياءِ المنقوطة من تحت وفتح الرَّاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، وابن وثّاب، والأَعمش، والحسن: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بإِسناد الفعل إِليهم بفتح الياءِ وضمِّ الرَّاءِ[(١)].

و﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: تُطلب منهم مراجعة إِلى عمل صالح.

وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ إِلى آخر السُّورة؛ تحميدٌ لله تعالى وتحقيق لأُلُوهيَّته، وفي ذلك كسرٌ لأَمر الأَصنام والأَنصاب.

وقراءَة النّاس: ﴿رَبِّ﴾ بالخفض في الثّلاثة على الصِّفة.

وقرأَ ابن محيصن بالرَّفع فيها، على معنى: هُوَ رَبُّ[(٢)].

و﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ بناءُ مبالغة، وفي الحديث: «يقول الله تعالى: الكبرياءُ ردائي، والعظمة إِزاري، فمن نازعني منهما شيئاً قصمته»[(٣)].

كمل تفسير (سورة الجاثية)، والحمد لله ربّ العالمين

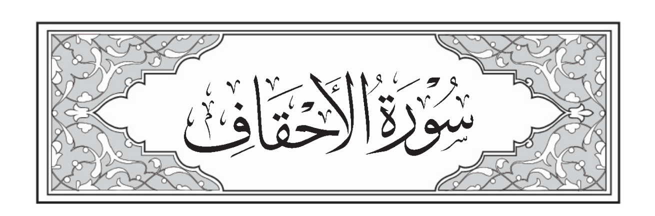
---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٥)، وانظر عزوها للحسن وابن وثاب في البحر المحيط (٩/ ٤٢٧).

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٢٧).

(٣) أصله في صحيح مسلم بنحوه، أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في مستدركه (١/ ٦١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٧٩) من طريق جعفر بن أبي عثمان الطيالسي، عن سهل بن بكار، عن حماد ابن سلمة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، وفي المستدرك بدون=

= «العظمة»، وفي سند البيهقي عن حماد، عن قتادة، وعلي بن زيد، وهو في مسلم (**٢٦٢٠**) من حديث الأعمش حدثنا أبو إسحاق عن أبي مسلم الأغر أنه حدثه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا قال رسول الله ﷺ: «العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته»، ولغير مسلم: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار»، وفي لفظ: «قذفته في النار».



بسم الله الرحمن الرحيم

تَفسير سُورة الأحقاف

هذه السُّورة مكِّيَّة، لم يُختلف منها إِلَّا في آيتيْن وهي قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠] الآية، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] الآية، فقال بعض المفسِّرين: هاتان آيتــان مدنيتان وُضِعَتا في سورة مكِّيَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾.

تقدَّم القول في الحروف المقطعة التي في أَوائل السُّور[1].

و﴿تَنزِيلُ﴾ رفع بالابتداءِ، أَو خبر ابتداءٍ مضمر.

---

(١) ليس في أحمد٣.

و﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القرآن.

و«العِزَّة والإِحكام»: صفتان مقتضيتان أَنَّ من هما له غالبٌ كلّ من حادَّه.

وقوله: ﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآيَةَ؛ موعظةٌ وزجْرٌ، أَي: فانتبهوا[١] أَيها النّاسُ وانظروا ما يراد بكم ولِمَ خُلِقتم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ معناه: إِلَّا بالواجب الحسن الَّذي قد حقَّ أَن يكون، وبأَجل مُسَمًّى: وقَّتْناهُ وجعلناه موعداً لفساد هذه البنية، وذلك هو يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾؛ (مَا) مصدرية، والمعنى: عن الإِنذار.

ويحتمل أَن تكون (مَا) بمعنى الَّذي، والتَّقدير: عن ذكر الَّذي أُنذروا به والتحفُّظ منه، أو نحو هذا.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم﴾ يحتمل ﴿أَرَءَيۡتُم﴾ وجهين:

أَحدهما: أَن تكون متعدِّية[٢]، و﴿مَا﴾ مفعولة بها.

ويحتمل: أَن تكون مُنَبِّهَة[٣] لا تتعدّى، وتكون ﴿مَا﴾ استفهاماً على معنى التَّوبيخ.

و﴿تَدۡعُونَ﴾ معناه: تعبدون.

قال الفراءُ: وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (قل أرأيتكم مَنْ تَعْبُدُونَ)[٤].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ ﴿مِنَ﴾ للتَّبعيض؛ لأَنَّ كلَّ ما على وجه الأَرض من حيوان ونحوه فهو من الأَرض، ثمَّ وقفهم تعالى على السَّماوات، هل لهم فيها شرك؟ ثمَّ استدعى منهم كتاباً منزَّلاً قبل القرآن يتضمَّن عبادة صنم.

---

(١) في المطبوع: «فاشهدوا»، وفي الأسدية٣: «فأسمعوا»، وفي نور العثمانية: «فانتهوا».

(٢) في أحمد٣: «متقدمة»، وفي السليمانية: «مصدرية».

(٣) في نجيبويه: «مبهمة».

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ٤٩)، بلفظ: «أريتم»، دون «قال»، في السليمانية: «قل»، وفي نجيبويه والسليمانية: «تدعون»، وفي أحمد٣: «يدعون».

وقوله: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ﴾ معناه: أَو بقية قديمة من علم أَحد من العلماءِ تقتضي عبادة الأَصنام.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ﴾ على المصدر كالشَّجاعة والسَّماحة، وهي البقية من الشّيءِ كأَنَّها أَثَرُهُ، وقال الحسن بن أَبي الحسن: المعنى: من علم تستخرجونه فتثيرونه[١]، وقال مجاهد: المعنى: هل من أَحد يأْثر علماً في ذلك[٢]، [أَي ينقله][٣]، وقال القُرَظيُّ: هو الإِسناد[٤].

ومن ذلك قول الأَعشى:

إِنَّ الَّــذِي فِيــهِ تَمَـارَيْتُـمَـا بُـيِّـنَ لِـلـسَّـامِـعِ وَالآثِـــرِ[٥] [السريع]

/ أَي: ولِلمُسْنِدِ عن غيره، ومنه قول عمر رضي الله عنه: فَمَا حلفت بها ذاكراً ولا آثراً[٦]. [٥/ ٨٧]

وقال أَبو سلمة بن عبد الرَّحمن، وقتادة: المعنى: أَو خاصة من علم[٧]، فاشتقاقها من الأَثرة، كأَنَّها قد آثر الله بها من هي عنده.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٩٣).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٢)، تفسير الطبري (٢٢/ ٩٤).

(٣) من المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣ والسليمانية.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٦).

(٥) انظر نسبته له في غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢/ ٥٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٦)، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ص: ٢٧٣)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٨٧)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٧٥).

(٦) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٦٤٧)، ومسلم (١٦٤٦) عن عبد الله ابن عمر، عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم». قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها ذاكراً ولا آثراً. وفي الأصل: «فما خلفنا بها»، وفي نور العثمانية: «خلفت».

(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ٩٣).

وقال عبد الله بن عباس: المراد بالأَثارة: الخَطُّ في التُّراب[١]، وذلك شيءٌ كانت العرب تفعله وتتكهَّن به وتزجر، وهذا من البقيَّة والأَثر، وروي: أن النَّبيَّ ﷺ سُئل عن ذلك، فقال: «كان نبيٌّ من الأَنبياءِ يَخُطُّ، فمن وافق خطّه فذاك»[٢].

وظاهر هذا الحديث يُقَوِّي أَمر الخَطِّ في التُّراب، وأَنُّه شيءٌ له وجه إِذا وُفِّق أَحدٌ إِليه، وهكذا تأَوَّله كثير من العلماءِ.

وقالت فرقة: بل معناه الإِنكار، أَي أَنَّه كان من فعل نبيٍّ قد ذهب وذهب الوحي إِليه والإِلهام في ذلك، ثمَّ قال: «فمن وافق خطّه» على جهة الإِبعاد، أَي: إِنَّ ذلك لا يمكن مِمَّن ليس بنبيٍّ مُيَسَّر لذلك، وهذا كما يسأَلك أَحد فيقول: أَيطير الإِنسان؟ فتقول: إِنّما يطير الطّائر، فمن كان له من النّاس جناحان طار، أَي أن ذلك لا يكون.

و«الأَثارة»: تستعمل في بقية الشَّرف، فيقال: إِنَّ لبني فلان أَثارة من شرف: إِذا

---

(١) صحيح، ورُوي مرفوعاً ولا يصح، أخرجه الطبري (٢١/ ١١٣)، من طريق أبي عاصم النبيل، وابن المقرىء في معجمه (٢٣٠)، من طريق أبي تمام، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٥) من طريق محمد ابن كثير العبدي، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٥٥)، من طريق أبي حذيفة موسى بن مسعود، ورواه الفريابي، ومحمد بن عبد الوهاب القناد، وأبو نعيم كما عند العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٩٣) جميعهم ـ أبو عاصم، وأبو تمام، ومحمد بن كثير، وأبو حذيفة، والفريابي، ومحمد بن عبد الوهاب، وأبو نعيم ـ عن سفيان بن عيينة، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
وقد اختلف على سفيان بن عيينة، فرواه عنه الجماعة كما تقدم موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما، وخالفهم يحيى بن سعيد القطان فرواه عن سفيان، به مرفوعاً، أخرجه أحمد (١/ ٢٢٦)، والخطابي في غريب الحديث (ص: ٦٤٨)، قال الحاكم: وقد أُسند عن الثوري من وجه غير معتمد، واعتمد قول الحاكم الحافظ كما في فتح الباري (١١/ ٥٣٢).
وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٧٢٥)، وفي الأوسط (٢٦٩) عن أحمد بن رشدين، عن روح بن صلاح، عن سعيد بن أبي أيوب، عن صفوان ابن سليم به، مرفوعاً بلفظ: أنه سئل عن الخط فقال: «هو أثارة من علم». وأحمد بن رشدين المصري متكلم فيه بالضعف، وكذلك روح بن صلاح. وفي المطبوع ونجيبويه: «مسعود».

(٢) هذا جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

كانت عندهم شواهد قِدَمِهِ[١]، وتستعمل في غير ذلك، ومنه قول الرّاعي:

وَذَاتِ أَثَــارَةٍ أَكَـلَـتْ عَلَيْهَا نَبَاتاً في أَكِـمَّـتِـهِ فَـفَـارا[٢] [الوافر]

يريد: الأَثارة من الشَّحْم، أَي: البقيَّة.

وقرأَ أَبو عبد الرّحمن السُّلَميُّ ـ فيما حكى الطَّبريُّ ـ : (أو أَثَرة) بفتح الهمزة والثّاءِ والرّاءِ دون أَلف، وحكاها أَبو الفتح عن ابن عبّاس وقتادة وعكرمة وعمرو بن ميمون والأَعمش[٣]. وهي واحدة جمعها: أَثَر؛ كقَتَرَةٍ وقَـتَر.

وحكى الثَّعلبيُّ: أَنَّ عكرمة قرأَ: (أَو مِيرَاثٍ مِنْ عِلْم)[٤].

وقرأَ علي بن أَبي طالب، والسُّلَميُّ ـ فيما حكى أَبو الفتح ـ : (أَثْرَةٍ) بسكون الثّاءِ[٥].وهي الفَعْلَة الواحدة مما يُؤْثر، أَي: قد قنعت لكم حجة [واحدة بخبر][٦] واحد وأَثَر واحد يشهد بصحَّة قولكم.

وقرأَت فرقة بضمِّ الهمزة وسكون الثّاءِ[٧].

وهذه كلُّها بمعنى: هل عندكم شيءٌ خصَّكم الله به من علم وآثركم به.

---

(١) في نجيبويه: «قديمة».

(٢) البيت للراعي كما في مجاز القرآن (٢/ ٢١٢)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٩٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٦)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٦١)، وفي خزانة الأدب (١٠/ ١٤٠) أنه من قصيدة مدح بها سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد عدتها سبعة وخمسون بيتاً، ونسبه في المحكم (١٠/ ١٧٤)، للشَّمَّاخ. وفي أغلب المصادر والسليمانية: «ففارا»، بالفاء، وفي العلمية وأحمد٣: «قصارى»، بالصاد.

(٣) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٩٥)، والمحتسب (٢/ ٢٦٤).

(٤) شاذة، إن كانت، ولم نجدها لغير المؤلف، ولعله وهم منه، رحمه الله، فلفظ الثعلبي (٩/ ٦) هو: وقول عكرمة: (أو ميراث من علم)، ونقله القرطبي (١٦/ ١٨٢) بلفظ: وحكى الثعلبي عن عكرمة... إلخ.

(٥) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٢٦٤). وفي أحمد٣: «أثر».

(٦) سقط من الحمزوية، وسقط من الأصل: «واحدة»، وفي أحمد٣ والمطبوع: «بحجة واحدة وتخير واحد».

(٧) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٥) للسلمي وابن عمير، وأشار لها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٩٥) بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ الآيَةَ؛ توبيخٌ لِعَبَدَةِ الأَصنام، أَي: لا أَحد أَضلُّ مِمَّن هذه صفته، وجاءَت الكناياتُ في هذه الآية عن الأَصنام كما تجيءُ[1] عمّن يعقل، وذلك أَنَّ الكفّار قد أَنزلوها منزلة الآلهة وبالمحلِّ الَّذي دونه البَشَر فخوطبوا على نحو معتقدهم فيها.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (مَا لا يَسْتَجِيبُ)[2].

والضَّمير في قوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ هو للأَصنام في قول جماعة، ووصف الأَصنام بالغفلة من حيث عاملهم معاملة من يعقل.

ويحتمل أَن يكون الضّمير في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ وفي ﴿غَٰفِلُونَ﴾ للكفار، أَي: ضلالهم بأَنَّهم يدعون من لا يستجيب ثم يَغْفُلون[3] فلا يتأَملون ما عليهم في دعاء مَنْ هذه صفته.

وقوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ وصفٌ لما يكون يوم القيامة بين الكفّار وأَصنامهم من التَّبري والمناكرة، وقد بيَّن ذلك في غير هذه الآية، [وذلك قوله تعالى حكاية عنهم][4]: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾.

«الآياتُ» المذكورة: هي آيات القرآن، بدليل قوله تعالى: ﴿تُتْلَىٰ﴾ وبقول الكفّار: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾، وإِنَّما قالوا ذلك عن القرآن من حيث قالوا: هو يفرِّق [بين المرءِ وبين

---

(١) في أحمد٣: «كنى».

(٢) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٠٥).

(٣) سقط من الأصل والسليمانية، وفي الحمزوية والأسدية٣ بدلًا منه: «ثم يعقلون».

(٤) ليس في أحمد٣.

ولده، وبينه وبين زوجه[١]، إلى نحو هذا ممَّا يوجد[٢] مثله للسِّحر بالوجه الأخس[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾، ﴿أَمۡ﴾ مقطوعة مقدَّرة بـ: بل وألف الاستفهام.

و﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ معناه: اشتَقَّه، واختلقه، فأَمره الله تعالى أَن يقول: إِن افتريتُه فالله حسبي في ذلك، وهو كان[٤] يعاقبني ولا يهملني[٥]، ثمَّ رجع القول إِلى الاستسلام[٦] إِلى الله تعالى والاستنصار به عليهم، وانتظار ما يقتضيه علمه بما يفيضون فيه من الباطل ومُرَادَّة الحقِّ، وذلك يقتضي معاقبتهم، ففي اللَّفظة تهديد.

والضَّمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ يحتمل أَن يعود على القرآن، ويحتمل العودة على (مَا).

والضَّمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى، و﴿بِهِۦ﴾ في موضع رفع.

وأَفَاضَ الرَّجلُ في الحديث والسب ونحوه: إِذا خاضَ فيه واستمرّ.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ترجية واستدعاءٌ إِلى التَّوبة لأَنَّه في خلال[٧] تهديده إِيّاهم بالله تعالى جاءَت هاتان الصِّفتان.

ثمَّ أَمره تعالى أَن يحتجَّ عليهم بأَنَّه لم يكن بِدْعاً من الرُّسل، أَي: قد جاءَ غيري قبلي، قاله ابن عبّاس[٨]، والحسن، وقتادة[٩].

---

(١) في أحمد٣: «بين المرء وولده وزوجه».

(٢) في نجيبويه: «يوجب».

(٣) في المطبوع: «الآخر»، وفي الحمزوية: «الأخص». وفي أحمد٣: «الأخير». وفي السليمانية: «الأحسن».

(٤) في نجيبويه: «كاف».

(٥) في السليمانية: «يمهلني».

(٦) في المطبوع: «الاستفهام».

(٧) في أحمد٣: «حال». وفيه: «الصفات» بدل «الصفتان».

(٨) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٩)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٣١١) من طريق عبد الله ابن صالح، عن معاوية بن صالح، علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: لست بأول الرسل، وأخرجه ابن جرير أيضاً (٢١/ ١١٩) من طريق عطية العوفي عنه.

(٩) نقله الطبري (٢٢/ ٩٨) عن قتادة ومجاهد. و«قتادة» سقط من نجيبويه، وفي المطبوع بدلًا منه: «الأَعرج».

و«البِدْعُ والبديع من الأَشياءِ»: ما لمْ يُرَ مثله، ومنه قول عدي بن زيد:

[الطويل] فَمَـا أَنَـا بِـدْعٌ مِـنْ حَـوَادِثَ تَعْتَرِي رِجَالاًعَرَتْمِنْبَعْدِبُؤْسيوَأَسْعُدِ[١]

وقرأ عكرمة، وابن أَبي عبلة، وأَبو حيوة: (بدَعاً) بفتح الدّال[٢]، قال أَبو الفتح: التَّقدير: ذَا بَدَعٍ، بحذف المضاف، كما قال:

[المتقارب] وَكَيْـفَ تُوَاصِـلُ مَـنْ أَصْبَحَـتْ خُـلالَـتُـهُ كَـأَبِـي مَـرْحَـبِ[٣]

واختلف النّاسُ في قوله: ﴿مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فقال ابن عبّاس، وأَنس بن مالك[٤]، والحسن وقتادة وعكرمة: معناه: في الآخرة[٥]، وكان هذا في صدر الإِسلام، ثمَّ بعد ذلك عرَّفه الله تعالى بأَنَّه قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر، وبأَنَّ المؤمنين لهم من الله فضل كبيرٌ، وهو الجنَّة، وبأَنَّ الكافرين في نار جهنَّم.

والحديث الَّذي وقع في جنازة عثمان بن مظعون يؤيد هذا وهو قوله: «فوالله ما أَدري وأَنا رسول الله ما يفعل بي»، وفي بعض الرِّوايات: «به»[٦]، ولا حُجَّة لنا في الحديث على رواية «به».

---

(١) كما في تفسير الطبري (٢٢/ ٩٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٧٢)، وعيار الشعر (ص: ١٠٥).

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٦٤)، والكامل للهذلي (ص: ٦٣٧)، وضبطها في المطبوع بَدعا، ذا بَدع.

(٣) البيت للنَّابغة الجعديِّ، كما في الكتاب لسيبويه (١/ ٢١٥)، والإبل للأصمعي (ص: ٧٣)، وأمالي القالي (١/ ١٩٢).

(٤) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقول أنس بن مالك رضي الله عنه، ذكره الثعلبي (٩/ ٧)، ولم أجده مسنداً.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٧).

(٦) أخرجه البخاري (١٤٤٣-٣٩٢٩-٧٠١٨) بلفظ: «ما يفعل بي ولا بكم»، وهي عند أحمد (٢٧٤٥٨)، وفي البخاري (٢٦٨٧) بلفظ: «مايفعل به»، قال الحافظ في الفتح (٣/ ١١٥): في رواية الكشميهني: «به» وهو غلط، وإنما قال رسول الله ﷺ ذلك موافقة للآية.

والمعنى عندي في هذا القول: أَنَّه لم تتكشَّف له الخاتمة، فقال: «لا أَدري»، وأَمَّا مَنْ وافَى على الإِيمان، فقد أُعلم بنجاته / من أَوَّل الرِّسالة، وإِلَّا فكان للكفّار أَن يقولوا: وكيف تدعونا إِلى ما لا تدري له عاقبة. [٥/ ٨٨]

وقال الحسن أَيضاً وجماعة: معنى الآية: ما أَدري ما يُفعل بي ولا بكم في الدُّنيا من أَن أُنصر عليكم أَو مِن أَن تُمكَّنوا منِّي[١]، ونحو هذا من المعنى.

وقالت فرقة: معنى الآية: ما أَدري ما يُفعل بي ولا بكم من الأَوامر والنَّواهي وما تُلزمنا الشَّريعة من أَغراضها[٢].

وحكى الطَّبَريُّ عن بعضهم أَنَّه قال: نزلت الآية في أَمر كان النَّبيُّ ﷺ ينتظره من الله في غير الثَّواب والعقاب[٣].

وروي عن ابن عبّاس: أَنَّه لمَّا تأَخَّر خروج النَّبيِّ ﷺ من مكَّة حين رأَى في النَّوم أَنَّه يهاجر إِلى أَرض ذات نخل وسبخة؛ قَلِقَ المسلمون لتأَخُّر ذلك، فنزلت هذه الآية[٤].

وقوله: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ معناه: الاستسلام والتَّبرِّي من عِلْم المغيبات والوقوف مع النِّذارة من عذاب الله عز وجل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١﴾.

هذه الآية توقيف على الخطر العظيم الَّذي هم بسبيله في أَن يكذِّبوا بأَمْر نافع لهم مُنْج

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٨).

(٢) في أحمد٣ والسليمانية: «أعراضها».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠١)، بلا نسبة، إلا أنه رجح قول الحسن أنها في الدنيا.

(٤) ضعيف، هذا الأثر رواه الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، كما ذكر ذلك القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٨٦) وعزاه للواحدي، وانظر أسباب النزول (ص: ٢٥٤).

من العذاب دون حُجَّة ولا دليل لهم على التَّكذيب، فالمعنى: كيف حالكم مع الله؟ وماذا تنتظرون منه وأَنتم قد كفرتم بما جاءَ من عنده؟ وجواب هذا التَّوقيف محذوف، تقديره: أَليس قد ظلمتم؟ ودلَّ على هذا المقدَّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

و﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ في هذه الآية؛ يحتمل أَن تكون مُنبِّهَة، فهي لفظ موضوع للسُّؤال لا يقتضي مفعولاً، ويحتمل أَن تكون الجملة ﴿كَانَ﴾ وما عملت فيه تسُدُّ مسدَّ مفعوليها.

واختلف النّاس في المراد بالشَّاهد:

فقال الحسن، ومجاهد، وابن سيرين: هذه الآية مدنيَّة والشَّاهد عبد الله بن سلام(١).

وقوله: ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ الضَّمير فيه عائد على قول محمد ﷺ في القرآن: إِنَّه من عند الله.

وقال الشَّعبيُّ: الشَّاهد: رجل من بني إِسرائيل غير عبد الله بن سلام، كان بمكَّة، والآية مكِّيَّة(٢).

وقال سعد بن أَبي وقَّاص(٣)، ومجاهد(٤)، وفرقة: الآية مكِّيَّة، والشّاهد عبد الله ابن سلام، وهي من الآيات الَّتي تضمَّنت غيباً أَبرزه الوجود.

وقد روي عن عبد الله بن سلام أَنَّه قال: فيَّ نزلت(٥).

---

(١) نقله بالمعنى الطبري (٢٢/ ١٠٣) عنهم وعن الضحاك وقتادة.

(٢) سقط ذكر «الشعبي» من الأصل، وانظر قوله في تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٣)، والثعلبي (٩/ ١٠). وفي أحمد٣ والسليمانية: «مدنية».

(٣) أخرجه البخاري (٣٨١٢).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٢)، دون ذكر كون الآية مكية.

(٥) ضعيف، أخرجه أحمد (٥/ ٤٥١)، وعبد بن حميد (٤٩٨)، والترمذي (٣٢٥٦،٣٨٠٣)، وابن ماجه (٣٧٣٤)، والطبري (٢١/ ١٢٧) من طريق يحيى بن يعلى أبي المحياة، عن عبد الملك بن عمير، قال: حدثني ابن أخي عبد الله بن سلام، فذكر قصة طويلة وفيها قول عبد الله بن سلام، قال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث عبد الملك بن عُمير. وقد روى شُعيب بن صَفوان هذا الحديث عن عبد الملك بن عُمير فقال: عن عُمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَام، عن جَده عبد الله بن سلام، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٤)، والطبري (٢١/ ١٢٧)، والطحاوي في شرح =

وقال مسروق بن الأَجدع والجمهور: الشّاهد هو موسى بن عمران عليه السَّلام، والآية مكِّيَّة، ورجَّحه الطَّبريُّ[١].

وقوله: ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ يريد بالمثل التَّوراة، والضَّمير عائد على هذا التَّأْويل على القرآن، أي: جاءَ شاهد من بني إِسرائيل بمثله وشهد أَنَّه من عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ﴾ على هذا التَّأْويل يعني به: تصديق موسى بأَمر محمد ﷺ وتبشيره به، فذلك إِيمان به.

وأَمَّا من قال: الشَّاهد عبد الله بن سلام، فإِيمانه بيِّن، وكذلك الإِسرائيليُّ الَّذي كان بمكَّة في قول من قاله.

وحكى بعضهم: أَنَّ الفاعل[٢] بـ(آمَنَ) هو محمد ﷺ، وهذا من القائلين بأَنَّ الشَّاهد هو موسى بن عمران عليه السَّلام، [وإنما اضطر إلى هذا لأنه لم ير وجهَ إيمان موسى عليه السلام][٣]، ثمَّ قرن تعالى استكبارهم وكفرهم بإِيمان هذا المذكور، فبان ذنبهم وخطؤهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾:

قال قتادة: هي مقالة أَشراف قريش يريدون عَمَّاراً وصُهَيْباً وبِلالاً ونحوهم ممَّن أَسلم وآمن بالنَّبيِّ ﷺ[٤].

وقال الزَّجّاج، والكَلبيُّ، وغيرهما: هي مقالة كنانة وعامر وسائر قبائل العرب المجاورة، قالت ذلك حين أَسلمت غفَار ومُزينة وجُهَيْنَة.

= مشكل الآثار» (١/ ٣٠٧) عن شعيب بن صفوان، عن عبد الملك بن عمير، عن رجل حدثه عن محمد ابن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله بن سلام، وهو منقطع.

(١) انظر ترجيح الطبري لهذا القول ونسبته لمسروق في تفسيره (٢٢/ ١٠٧).

(٢) في المطبوع: «العامل».

(٣) سقط من المطبوع والحمزوية.

(٤) انظر قول قتادة دون ذكر أسماء الصحابة في تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٩).

وقال الثَّعلبيُّ: هي مقالة اليهود حين أَسلم عبد الله بن سلام وغيره منهم[١].

و«الإِفْكُ»: الكذب، ووصفوه بالقِدَم بمعنى: أَنَّه في أُمور متقادمة، وهذا كما تقول لرجل حدَّثك عن أَخبار كسرى وقيصر: هذا حديث قديم، ويحتمل أَن يريدوا أَنَّه إِفك قيل قديماً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

الضَّمير [في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ للقرآن، و﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: هو التَّوراة.

وقرأَ الكلبيُّ: (كتابَ موسى) بنصب الباءِ][٢] على إِضمار: أَنزل اللهُ، أَو نحو ذلك.

و«الإِمامُ»: خيط البنَّاءِ، وكلُّ ما يهتدى به ويُقْتَدَى به فهو إِمامٌ.

ونصب ﴿إِمَامًا﴾ على الحال، و﴿رَحْمَةً﴾ عطفاً على ﴿إِمَامًا﴾.

والإِشارة بقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ إِلى القرآن، و﴿مُّصَدِّقٌ﴾ معناه: للتَّوراة الَّتي تضمَّنت خبره وأَمر محمد ﷺ، فجاءَ هو مصدِّقاً لذلك الإِخبار.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ لِسَاناً)[٣].

---

(١) انظر قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٤٤٠)، وقول الثعلبي ونقله عن الكلبي في تفسير الثعلبي (٩/ ١٠).

(٢) ليس في أحمد٣، وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٩/ ٤٣٨)، ووردت في إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٤) بلا نسبة.

(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٥١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٤٦).

واختلف النّاس في نصب قوله: ﴿لِّسَانًا﴾:

فقالت فرقة من النُّحاة: هو منصوب على الحال.

وقالت فرقة: ﴿لِّسَانًا﴾ توطئة مؤكَّدة، و﴿عَرَبِيًّا﴾ حال[١].

وقالت فرقة: ﴿لِّسَانًا﴾ مفعول بـ ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، والمراد على هذا القول باللِّسان: محمد رسول الله ﷺ ولسانه[٢]، فكأَنَّ القرآن بإعجازه وأَحواله البارعة يصدق الَّذي جاءَ به، وهذا قول صحيح المعنى جيِّدٌ، وغيره ممّا قدَّمنا مُتَّجه.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وابن كثير فيما روي عنه وأَبو جعفر، والأَعرج، وشيبة، / [٥/ ٨٩] وأَبو رجاءٍ، والنّاس: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ بالتّاءِ؛ أي أَنت يا محمد، ورجَّحها أَبو حاتم.

وقرأَ الباقون، وابن كثير أيضا، والأَعمش: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء، أَي القرآن[٣].

و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: هم الكفّار الَّذين جعلوا العبادة في غير موضعها في جهة الأَصنام والأَوثان.

وقوله: ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ يجوز أَن تكون في موضع رفع عطفاً على قوله: ﴿مُّصَدِّقٌ﴾.

ويجوز أَن تكون في موضع نصب، واقعةً موقع فعل عطفاً على ﴿لِّيُنذِرَ﴾[٤]، أَي: ويُبَشِّر المحسنين.

ولمَّا عبَّر تعالى عن الكفّار بالذين ظلموا، عبَّر عن المؤمنين بالْمُحْسِنِينَ؛ لتناسب لفظ الإِحسان في مقابلة الظُّلم، ثمَّ أَخبر تعالى عن حسن حال المسلمين المستقيمين، ورفع عنهم الخوف والحزن.

---

(١) سقط من نجيبويه.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وهما سبعيتان، وابن كثير في الأولى البزي بخلفه، انظر التيسير (ص: ١٩٩)، والسبعة (ص: ٥٩٦)، والنشر (٢/ ٣٧٢). وقوله: «والناس» سقط من أحمد٣، وسقط «ابن كثير» في الثانية من الأصل، وفي السليمانية: «الأعرج»، مع الإشارة للأعمش في الهامش.

(٤) في السليمانية: «على مصدق ولينذر».

وذهب كثير من النّاس إِلى أَنَّ معنى الآية: ثمَّ استقاموا بالطَّاعَات والأَعمال الصَّالحات.

وقال أَبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: المعنى: ثم استقاموا بالدَّوام على الإِيمان وترك الانحراف عنه[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول أَعمُّ[٢] رجاءً وأَوسع، وإِن كان في الجملة[٣] المؤمنة من يُعَذَّب وينفذ عليه الوعيد فهو ممن يخلد في الجنَّة وينتفي عنه الخوف والحزن الحالُّ بالكفرة.

و«الخوفُ»: هو الهمُّ بما يُستقبل، و«الحُزْن»: هو الهمُّ بما مضى، وقد يستعمل فيما يُستقبل استعارة لأَنَّه حزنٌ لخوف[٤] أَمرٍ مَّا.

وقرأَ ابن السَّميفع: (فَلَا خَوْفُ) بدون تنوين[٥].

وقوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، (ما) واقعة على الجزءِ[٦] الَّذي هو اكتساب العبد، وقد جعل الله الأَعمال أَمارات على صيور[٧] العبد، لا أَنها توجب على الله شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾، يريد النّوع، أَي: هكذا مضت شرائعي وكتبي لأَنبيائي، فهي وصية من الله في عباده.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿حُسۡنًا﴾ بضمِّ الحاءِ وسكون السّين ونصبه على تقدير:

---

(١) تقدم في (سورة فصلت) آية (٣٠) ذكر الروايات عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تفسير هذه الآية.

(٢) في نجيبويه: «أعظم».

(٣) في نجيبويه: «الأمة».

(٤) في السليمانية: «لأنه خوف لحزن».

(٥) وهي شاذة، تقدمت نسبتها لابن محيصن مراراً، وكذا هي في إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٧٦)، والكامل للهذلي(ص: ٤٨٣).

(٦) في السليمانية: «الجزاء».

(٧) في المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣ والسليمانية: «جزاءِ».

وصَّيناه ليفعل أَمراً ذا حُسْن، فكأَنَّ الفعل تسلط عليه مفعولاً ثانياً.

وقرأَ عليٌّ بن أَبي طالب، وأَبو عبد الرَّحمن، وعيسى: (حَسَناً) بفتح الحاءِ والسّين، وهذا كالأَوَّل، ويحتمل كونهما مصدرين كالبُخْل والبَخل، ويحتمل أَن يكون هذا الثّاني اسماً لا مصدراً، أَي أَلزمناه بهما فعلاً حَسناً.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائيُّ: ﴿إِحْسَـٰنًا﴾[1]، ونصب هذا على المصدر الصَّريح، والمفعول الثّاني في المجرور، والباءُ مُتَعَلِّقَة بـ ﴿وَوَصَّيْنَا﴾، أَوْ بقوله تعالى: ﴿إِحْسَـٰنًا﴾.

وبرُّ الوالدين واجب بهذه الآية وغيرها، وعقوقهما كبيرة [من الكبائر][2].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «كلُّ شيءٍ بينه وبين الله حجابٌ إِلَّا شهادة أَن لا إِله لله إِلَّا الله ودعوة الوالدين»[3].

قال القاضي أَبو محمد: ولن يَدْعُوَا إِلَّا إِذا ظلمهما الولد، فهذا الحديث في عموم قوله ﷺ: «اتَّقوا دعوة المظلوم فإِنَّها ليس بينها وبين الله حجاب»[4].

ثمَّ عدَّد تعالى على الأَبناءِ منن[5] الأُمَّهات، وذكر الأُمَّ في هذه الآية في أَربع

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٦)، والتيسير (ص: ١٩٩)، والثانية شاذة، انظر عزوها لأصحابها إلا عيسى في المحتسب (٢/ ٢٦٥)، وعزاها لعلي في مختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، وعزا لعيسى: (حسناً) بضمتين، والكل في البحر المحيط (٩/ ٤٣٩).

(٢) سقط من نجيبويه وأحمد٣ والسليمانية.

(٣) ضعيف، أخرجه أبو يعلى في معجمه (٢٥٢) من طريق عمرو اليحمدي، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ: «كل شيء بينه وبين الله عز وجل حجاب، إلا شهادة أن لا إله إلا الله، ودعاء الوالد لولده». وعمرو الحميدي لم أقف له على ترجمة، وأخرجه الحسين المروزي في البر والصلة (٤٩) من طريق حميد الطويل، عن الحسن بن مسلم، عن مجاهد، مرسلاً. وعزاه صاحب كنز العمال (٣٣١٨) لابن النجار في تاريخه، وانظر الجامع الصغير (ح ٦٣٢٤).

(٤) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «حقَّ».

مراتب[١]، والأب في مرتبة واحدة، وجمعهما الذّكر في قوله: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾، ثمَّ ذكر الحَمْل للأُمّ، ثمَّ الوضع لها، ثمَّ الرَّضاع الَّذي عبَّر عنه بالفِصال، فهذا يناسب ما قال رسول الله ﷺ حين جعل للأُمِّ ثلاثة أرباع البرِّ، والرُّبع للأَب، وذلك إِذْ قال له رجل: يا رسول الله، من أَبَرُّ؟ قال: «أُمَّك»، قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أُمَّك»، قال: ثمَّ مَن؟ قال: «أُمَّك»، قال: ثمَّ مَن؟ قال: «أَباك»[٢].

وقوله: ﴿كُرۡهٗا﴾ معناه: في ثاني[٣] استمرار الحمل حين تُتَوَقَّع حوادثه.

ويحتمل أَن يريد: في وقت الحمل؛ إِذْ لا تدبير[٤] لها في حمله ولا في تركه.

قال مجاهد، والحسن، وقتادة: المعنى: حملته مشقَّة، ووضعته مشقَّة[٥].

وقرأ أكثر القراءِ: ﴿كُرۡهٗا﴾ بضمِّ الكاف.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وأبو جعفر وشيبة والأَعرج: ﴿كَرْهاً﴾ بفتح الكاف.

وقرأ بهما معاً مجاهد، وأَبو رجاءٍ، وعيسى[٦].

قال أَبو عليٍّ وغيره: هما بمعنى، الضمّ: الاسم، والفتح: المصدر[٧].

وقالت فرقة: الكُرْهُ بضمِّ الكاف: المشقَّة، والكَرْهُ بالفتح: هو الغلبة والقهر، وضعَّفوا

---

(١) في السليمانية: «أربعة مرات».

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن أبي الدرداء، وعبد الله بن عمر، وعائشة رضي الله عنهم.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «باقي».

(٤) في المطبوع: «نذير».

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ١١٢).

(٦) فهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٩٩)، وزاد في الثانية هشاماً، السبعة (ص: ٥٩٦)، والنشر (٢/ ٢٤٨). و«أبو جعفر» ليس في المطبوع.

(٧) الحجة (٦/ ١٨٤).

على هذا قراءَة الفتح، قال بعضهم: لو كان كَرْهاً لرمت به عن نفسها؛ إِذ الكَرْهُ: القهْر والغلبة، والقول الَّذي قدَّمناه أَصوب.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾، وذلك أَنَّها مفاعلة من الاثنين، كأَنَّه فاصل أُمَّهُ وفاصلته.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وأَبو رجاءٍ، وقتادة، والجحدريُّ: ﴿وَفَصْلُهُ﴾[١]، كأَنَّ الأُمَّ هي الَّتي فصلته.

وقوله: ﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾ يقتضي أَنَّ مدَّة الحمل والرَّضاع هي هذه المُدَّة؛ لأَنَّ في القول حذف مضاف تقديره: ومُدَّة حمله وفصاله، وهذا لا يكون إِلَّا بأَن يكون أَحد الطَّرفين ناقصاً، وذلك إِمَّا بأَن تلد المرأَة لستة أَشهر وتُرضع عامين، وإِمَّا أَن تلد لتسعة أَشهر على العرف وترضع عامين غير ربع عام، فإِن زادت مدَّة الحمل نقصت مدَّة الرَّضاع وبالعكس، فيترتب من هذا أَنَّ أَقل مدَّة الحمل ستة أَشهر، وأَقل ما يَرضع الطفلُ عام وتسعة أَشهر، وإِكمال العامين هو لمن أَراد أَن يتم الرَّضاعة، وهذا في أَمر الحمل هو مذهب عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه وجماعة من الصَّحابة[٢]، ومذهب مالك رحمه الله[٣].

---

(١) وهي عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٧٣)، وعزاها لهم في البحر المحيط (٩/ ٤٤٠). وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٤١).

(٢) صحيح، له طرق عن علي، الأول: أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٣٤٤٤) عن عثمان بن مطر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي حرب بن الأسود الدُؤلي، عن أبيه قال: رفع إلى عمر امرأة ولدت لستة اشهر. وعثمان بن مطر الشيباني ضعيف، وقتادة مدلس وقد عنعن، ورواه محمد ابن بشر عن سعيد بن أبي عروبة فزاد: داود بن أبي القصاف بين قتادة وأبي الأسود الديلي. وهذا أثبت، ورواه محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن بعجة بن عبد الله الجهني قال: تزوج رجل منا امراة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر... ذكره ابن أبي حاتم في التفسير (١٠/ ٣٢٩٣)، وذكره مالك في الموطأ (١٥٠٧) بلاغاً.

(٣) انظر قول مالك واستدلاله بالآية في المقدمات لابن رشد (١/ ٥٢٧).

واختلف النّاس في (الأَشُدِّ): فقال الشَّعبيُّ، وزيد بن أَسلم: البلوغ[١] إِذا كتبت عليه السَّيِّئات ولَهُ الحسنات[٢].

وقال ابن إِسحاق: ثمانية عشر عاماً[٣]، وقيل: عشرون عاماً.

وقال ابن عبّاس[٤]، وقتادة: ثلاثة وثلاثون عاماً[٥].

وقال الجمهور من النُّظَّار: ستة[٦] وثلاثون عاماً.

وقال هلال بن يَسافٍ وغيره: أَربعون عاماً[٧].

وأَقوى الأَقوال ستة وثلاثون، ومَن قال بالأَربعين قال في الآية: إِنَّه تعالى أَكَّد وفسَّر الأَشُدَّ بقوله سبحانه: ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾، وإِنَّما ذكر تعالى الأَربعين لأَنَّها حدٌّ للإِنسان في فلاحه[٨] ونجابته، وفي الحديث: «إِنَّ الشيطان يجرُّ يده على وجه مَنْ زاد على الأَربعين ولم يتُب ويقول: بأَبي وَجْهٌ لا يُفْلح»[٩].

---

(١) من نجيبويه وأحمد٣ والسليمانية.

(٢) انظر قولهما في تفسير الماوردي (٥/ ٢٧٦)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١١٤). وسقط من السليمانية «وله الحسنات».

(٣) عزاه الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٧٦) لابن جبير، وحكاه مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٦٨٤٢) بلا نسبة.

(٤) لا بأس به، أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم (٨٠٨٦-١١٤٤٣-١٦٧٤٤) وغيرهم من طريق عبد الله بن إدريس، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم أبي عثمان المكي، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٢٤١)، والطبراني في الأوسط (٦٨٢٩) من طريق صدقة بن يزيد الخرساني، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال: ثلاثة وثلاثين سنة، وهو الذي رفع عليه عيسى عليه السلام، والأول أصح.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٣).

(٦) في الأصل: «ثلاثة».

(٧) عزاه الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٧٧) لعائشة والحسن.

(٨) في المطبوع والحمزوية والأسدية٣ وأحمد٣: «صلاحه».

(٩) لا أصل له، ذكره العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٩٠٦) وقال: لم أجد له أصلًا، وانظر=

وقال أَيمن بن خُرَيْم الأَسديُّ:

إِذَا المرءُ وفَّى الأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ دُونَ مَا يأْتِي حَيَاءٌ ولا سِتْرُ [الطويل]

فدَعْهُ ولَا تَنْفِسْ عَلَيْهِ الَّذِي ارْتَأَى ... وإنْ جَرَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ العُمْرُ[١]

/ وفي مصحف ابن مسعود: (حَتَى إِذَا اسْتَوَى أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَة)[٢]. [٥/ ٩٠]

وقوله: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ معناه: ادفعني عن الموانع وازجرني عن القواطع لأَجل أَن أَشكر نعمتك.

ويحتمل أَن يكون ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ بمعنى: اجْعَلْ حظِّي ونصيبي، وهذا من التَّوزيع، والقوم الأَوازع، ومن قولك: توزَّعوا المال، فـ ﴿أَنْ﴾ على هذا مفعولٌ صريحٌ.

وقال ابن عباس: نعمتَك في التوحيد[٣].

و﴿صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾: الصلوات.

و«الإِصلاح في الذُّرِّيَّة»: كونُهم أَهل طاعة وخيريَّة، وهذه الآية معناها هكذا ينبغي للإِنسان أَن يفعل، وهذه وصيَّة الله للإنسان في كل الشرائع.

وقال الطَّبريُّ: وذُكر أَنَّ هذه الآية من أَوَّلها نزلت في شأْن أَبي بكر الصِّدِّيق[٤]، ثمَّ هي تتناول مَنْ بَعده، وكان رضي الله عنه قد أَسلم أَبواه[٥]، [فلذلك قال: ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ وفي هذا القول اعتراض بأن هذه الآية نزلت بمكة لا خلاف في ذلك، وأبو قحافة

= طبقات الشافعية (٦/ ٣٣١)، والفوائد المجموعة (١/ ٢٥١). وفي نور العثمانية: «بأي وجه».

(١) تقدم التعليق على هذا في تفسير الآية (٣٧) من (سورة فاطر). وفي نجيبويه: «حجاب» بدل «حياء».

(٢) وهي شاذة، عزاها له الفراء في معاني القرآن (٣/ ٥٢) بلفظ: حتّى إِذَا استوى وبلغ أَشده.

(٣) أخرج الطبري (١٠/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٨٢٦٣) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾، يقول: موحدين.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٥).

(٥) في المطبوع وأحمد٣ والسليمانية: «أَبوه»، وفي الأسدية: «والداه».

أسلم][1] عام الفتح، فإِنَّما يتَّجه هذا التَّأْويل: على أَنَّ أَبا بكر كان يطمع في إِيمان أَبويه ويرى مخايل ذلك فيهما، فكانت هذه عنده نعمة عليهما، أَي لَيْسا ممَّن عَسَى في الكفر ولجَّ وحُتم عليه ثمَّ ظهر إِيمانهما بعد. والقول بأَنَّها عامَّة في نوع الإِنسان لم يقصد بها أَبو بكر ولا غيره أَصحُّ، وباقي الآية بيِّن [إِلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾][2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ دليل على أَنَّ الإِشارة بقوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ إنما أراد الجنس.

وقرأَ جمهور القرَّاءِ: ﴿يُتَقَبَّلُ﴾ بالياءِ مضمومة على بناءِ الفعل للمفعول، وكذلك ﴿يُتَجَاوَزُ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، وحفص عن عاصم فيهما بالنّون الَّتي للعظمة، ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ﴾ بالنَّصب، ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾[3]، وهي قراءَة طلحة وابن وثّاب، وابن جبير، والأعمش بخلاف عنه.

وقرأَ الحسن: (يَتقبَّل) بياءٍ مفتوحة (ويَتَجاوز) كذلك[4]، أَي اللهُ تعالى.

وقوله: ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ يريد: الَّذين سبقت لهم رحمة الله، وقوله: ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ﴾ نصب على المصدر المؤكِّد لما قبله.

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) ليس في أحمد٣.

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٧)، والتيسير (ص: ١٩٩).

(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٦).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ الآية، ﴿وَٱلَّذِى﴾ يعني به الجنس على حدِّ العموم الَّذي في الآية الَّتي قبلها في قوله: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، هذا قول الحسن وجماعة[١].

ويُشبه أَنَّ لها سبباً من رجل قال ذلك لأَبويه، فلمَّا فرغ مِن ذكر ذلك الموقف عقَّب بذكر هذا العاق.

وقال ابن عبّاس ـ في كتاب الطَّبريِّ ـ: هذه الآية نزلت في ابن لأَبي بكر، [ولم يُسَمِّه[٢].

وقال مروان بن الحكم: نزلت في عبد الرَّحمن بن أَبي بكر] الصِّدِّيق رضي الله عنه[٣]، وقاله قتادة: وذلك أَنَّه كان أَكبر أَولاد أَبي بكر وشهد بدراً وأُحداً مع الكفّار[٤]، وقال لأَبيه في الحرب:

لَـمْ يَبْـقَ إِلَّا شِـكَّةٌ وَيَعْبُـوبْ ... وَصَارِمٌ يَقتُلُ ضُلَّالَ الشِّيبْ[٥] [الرجز]

ودعاه إِلى المبارزة، فكان بمكَّة على نحو هذا الخُلُق، فقيل: إِنّ هذه الآية نزلت فيه.

ورُوي: أَنَّ مروان بن الحكم خطب وهو أَمير المدينة فدعا النّاس إِلى بيعة يزيد، فقال عبد الرحمن بن أَبي بكر: جعلتموها هِرَقْلِيَّة، كلَّما مات هِرَقْل وَلِيَ هِرَقْل، وكلما مات قيصر وَلِيَ قيصر، فقال مروان: خذوه، فدخل عبدُ الرحمن بيتَ عائشةَ أَختِهِ أُمِّ المؤمنين، فقال مروان: إِنَّ هذا هو الَّذي قال الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾،

---

(١) ولفظ الحسن في تفسير الطبري (٢٢/ ١١٨): هو الكافر الفاجر العاق لوالديه، المكذب بالبعث.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٤٤-١٤٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣). وما بين معكوفتين سقط من نجيبويه..

(٤) نقل هذا القول عن قتادة القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٩٧)، والمعروف عنه مثل قول الحسن. وفي المطبوع: «وقال قتادة».

(٥) السيرة لابن هشام (١/ ٦٣٨)، والشِّكَّةُ: السِّلاح، واليَعْبُوبُ: الفرسُ الطَّويل. وفي أحمد٣: «شكر»، وفي السليمانية: «العبوب».

فسمعته عائشة فأَنكرت ذلك عليه، وسبَّت مروان، وقالت: والله ما نزل في آل أَبي بكر [من القرآن][(١)] غير براءَتي، وإِنِّي لَأعرف فيمن نزلت هذه الآية[(٢)].

وذكر ابن عبد البَرِّ أَنَّ الَّذي خطب هو معاوية[(٣)]، وذلك وَهْمٌ.

والأَصوب أَن تكون الآية عامَّة في أَهل هذه الصِّفات ولم يقصد بها عبد الرحمن ولا غيره من المؤمنين، والدَّليل القاطع على ذلك قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٍ﴾.

وكان عبد الرَّحمن من أَفضل الصَّحابة، ومن الأَبطال، وممَّن له في الإِسلام غناءٌ، [ويكفيه مقامه مع مروان][(٤)] يوم اليمامة وغيره[(٥)].

وقرأَ أَبو عمرو[(٦)]، وحمزة، والكسائيُّ، وأَبو بكر عن عاصم، وطلحةُ بن مصرف: ﴿أُفِّ﴾ بكسر الفاءِ بغير تنوين، وذلك فيها علامة تعريف.

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وابن محيصن، وشبل، وعمرو بن عبيد: ﴿أُفَّ﴾ بالفتح، وهي لغة، الكسر والفتح.

وقرأَ نافع، وحفص عن عاصم، وأَبو جعفر، وشيبة، والحسن، والأَعرج: ﴿أُفٍّ﴾

---

(١) ليس في السليمانية.

(٢) أصله في الصحيح بنحوه، أخرجه بهذا اللفظ النسائي في الكبرى (١١٤٢٧) عن علي بن الحسين الدرهمي، والحاكم في مستدركه (٤/ ٤٨٠) من طريق علي بن الحسن، عن أمية بن خالد، عن شعبة، عن محمد بن زياد القرشي قال: لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، فذكره، وأخرجه البخاري (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك بنحوه.

(٣) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨٢٥) وليس فيه ذكر الآية.

(٤) من المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣ والسليمانية.

(٥) انظر الإصابة (٤/ ٣٢٧).

(٦) في نجيبويه بدله: «أبو عبد الرحمن».

بالكسر والتَّنوين[١]، وذلك علامة تنكير، وهي كصَهٍ وغاوٍ[٢]، وكما تستطعم[٣] رجلًا حديثاً غير معيَّن فتقول: إِيهٍ؛ مُنَوَّنة، فإِن كان حديثاً مُشاراً إِليه قلت: إِيهِ؛ بغير تنوين.

و(أُفٍّ) أَصلها في الأَقذار، كانت العرب إِذا رأَت قذراً قالت: أُفٍّ، ثمَّ صيَّره الاستعمال يقال في كلِّ ما يكره من الأَفعال والأَقوال.

وقرأَ هشام عن ابن عامر، وعاصم، وأَبو عمرو فيما رُوي عنه: ﴿أَتَعِدَانِّي﴾.

وقرأَ أَبو عمرو، ونافع، وشيبة، والأَعرج، والحسن، وأَبو جعفر، [وقتادة وجمهور القراءِ: ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ بنونين، والقراءَة الأُولى هي بإِدغام النّون في النّون[٤].

وقرأَ نافع أَيضاً وجماعة: (أَتَعِدَانِي) بنون واحدة وإِظهار الياءِ من غير تشديد[٥].

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وأَبو جعفر، والأَعرج، وشيبة][٦]، وقتادة، وأَبو رجاءٍ، وابن وثّاب، وجمهور النّاس: ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ [بضمِّ الهمزة وفتح الرّاءِ.

وقرأَ الحسن، وابن يَعْمَر، والأَعمش، وابن مصرف، والضّحّاك: (أَنْ أَخْرُج)[٧] بفتح الهمزة وضمِّ الرَّاءِ.

---

(١) وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٥٩٧)، وقد تقدم ذلك في (سورة الإسراء).

(٢) سقط من المطبوع، وفي الحمزوية والأسدية٣: «غاق». وفي نجيبويه: «وعتاق»، وفي أحمد٣ والسليمانية: «وعان».

(٣) أي تطلبه منه، وفي المطبوع والحمزوية والأسدية٣ وأحمد٣: «تستعظم»، ولعلها تحريف.

(٤) وهما سبعيتان، والأولى لهشام خاصة كما في التيسير (ص: ١٩٩)، ونقلها الهذلي (ص: ٦٣٧) عن محبوب، عن أبي عمرو وآخرين، وانظر العزو للباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٤٢)، وسقطت فيما روي عنه من الأصل، وسقط «أبو عمرو» الثاني من أحمد٣.

(٥) شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٤٢)، و«من غير تشديد» من الأسدية٣ وأحمد٣، ولفظة «وجماعة» سقطت من المطبوع.

(٦) سقط من الحمزوية، وسقط ذكر «قتادة» من المطبوع الثاني، وسقط «الأعرج» من نجيبويه، وهذه القراءة هي المتواترة للجماعة كلهم.

(٧) سقط من نجيبويه، وهي شاذة؛ انظر عزوها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، والهداية لمكي =

والمعنى: أَن أَخرج من القبر للحشر والمعاد، وهذا القول منه استفهام بمعنى الهُزْءِ والاستبعاد / . [٥/ ٩١]

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ معناه: هلكت ومضت ولم يخرج منهم أَحد.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمَا﴾ يعني الوالدين، ويقال: استغثتُ الله واستغثت بالله؛ بمعنى واحد.

و﴿وَيْلَكَ﴾ دعاءٌ يقال [هنا لمن يُحَقَّر ويُحَرَّك لأَمر مَّا يُستعجل إِليه.

وقرأَ الأَعرج: (أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) بفتح الهمزة، والنَّاس على كسرها][١].

وقوله: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾، أَي: ما هذا القول الَّذي يتضمَّن البعث من القبور إِلَّا من شيءٍ قد سَطَّره الأَوَّلون في كتبهم، يعني الشَّرائع.

وظاهر أَلفاظ هذه الآية: أَنها نزلت في مُشَار إِليه؛ قال وقيل له، فنعى[٢] الله أقواله تحذيراً من الوقوع في مثلها.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، ظاهر أَنَّها إِشارةٌ إِلى جنس يتضمَّنه قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ﴾.

ويحتمل إِن كانت الآية في مُشار إِليه أَن يكون قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ بمعنى: صنف هذا المذكور وجنسُه هم الَّذين حقَّ عليهم القول، أَي قول الله [أنه يعذبهم][٣].

وقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ يقتضي: أَنَّ الجنَّ يموتون كما يموت البشر قرناً بعد قرن، وقد جاءَ حديث يقتضي ذلك[٤]، وقال الحسن بن أَبي الحسن في

= (١١/ ٦٨٤٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١١٠)، وله وللأعمش وأبي معمر في تفسير الثعلبي (٩/ ١٢)، وللخمسة في البحر المحيط (٩/ ٤٤٢).

(١) سقط من أحمد٣، وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٤٠) لعمرو بن فائد، وفي البحر المحيط (٩/ ٤٤٢) لهما.

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية: «فنفى»، وفي الأصل: «أحواله».

(٣) سقط من المطبوع، وفي نجيبويه: «يعيدهم».

(٤) لم أجده.

بعض مجالسه: إن الجنَّ لا يموتون، فاعترضه قتادة بهذه الآية، فسكت[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ يعني المحسنين والمسيئين[٢]، قال ابن زيد: درجاتُ المحسنين تذهب علوّاً ودرجات المسيئين تذهب سفلاً[٣].

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلمي: (وَلِتُوَفِّيَهُمْ) بالتاءِ من فوق، أي الدَّرجات[٤].

وقرأ جمهور النَّاس: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ بالياءِ، وقرأ نافع بخلاف عنه وأبو جعفر، وشيبة، والأعرج، وطلحة، والأعمش: ﴿وَلِنُوَفِّيَهُمْ﴾ بالنَّون[٥].

قال اللُّؤلؤيُّ[٦] في حرف أُبيٍّ بن كعب، وابن مسعود: (وَلَنُوَفِّيَنَّهُمْ) بنون أُولى ونون ثانية مشدَّدة وبفتح اللام[٧].

وكل امرئ يجني ثمرة عمله من خيرٍ أو شرٍّ ولا يظلم في مجازاته، بل يوضع كل أَمْر موضعه من ثواب أو عقاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٩).

(٢) في أحمد٣: «المحسن والمسيء».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١١٩).

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٤٣).

(٥) سبعيتان، وهذه قراءة نافع وحمزة والكسائي وهشام كما في التيسير (ص: ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، ومع ابن ذكوان في السبعة (ص: ٥٩٨)، وانظر العزو للباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٤٣). وسقط طلحة والأعمش من أحمد٣.

(٦) هو أحمد بن موسى بن أبي مريم، أبو بكر، وقيل أبو عبد الله الخزاعي البصري اللؤلؤي المقرئ، روى القراءة عن: عيسى بن عمر، والجحدري، وأبي عمرو بن العلاء، والقسط، قال أبو زرعة الرازي: صدوق قدري، توفي قبل المئتين، تاريخ الإسلام (١٣/ ٨٣).

(٧) شاذة، لم أجدها لغير المؤلف. وفي المطبوع: «وقرأ اللؤلؤي».

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

المعنى: واذكر يوم يُعْرَض، وهذا العرض هو بالمباشرة، كما تقول: عرضتُ العود على النَّار والجاني على السَّوط، والمعنى: يقال لهم: أَذهبتم طيِّباتكم.

وقرأ جمهور القراء: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ على الخَبر ولذلك حسنت الفاءُ بعد ذلك.

[وقرأ ابن كثير، والحسن، والأَعرج، وأَبو جعفر، ومجاهد، وقتادة، وابن وثاب: ﴿آذهبتُم﴾ بهمزة مطوَّلة على التَّوبيخ والتَّقرير الَّذي هو في لفظ الاستفهام.

وقرأ ابن عامر: ﴿أَأَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزتين تقريراً أَيضاً[1]، والتَّوبيخ والتَّقرير إِخبارٌ[2] بالمعنى ولذلك حَسُنَت الفاءُ][3]، وإِلَّا فهي لا تَحْسُن في جواب على حدِّ هذه مع الاستفهام المحض.

و«الطَّيِّباتُ»: الملاذُّ، وهذه الآية وإِن كانت في الكفّار فهي رادعة لأُولي النّهى من المؤمنين عن الشَّهوات واستعمال[4] الطَّيبات، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: أَتظنُّون أَنَّا لا نعرف طيب الطَّعام؟ ذلك لُباب البُرِّ بصغار المعزى، ولكني رأيت[5] الله تعالى نعى على قوم أَنهم أَذهبوا طيِّباتهم في حياتهم الدُّنيا، ذكر هذا في كلامه مع الرَّبيع بن زياد[6].

---

(١) القراءتان بالاستفهام والخبر سبعيتان، الأولى لابن كثير وابن عامر وهما على أصولهما فيه، انظر السبعة (ص: ٥٩٨)، والتيسير (ص: ١٩٩)، والنشر (١/ ٣٦٦)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٤٤). «وقتادة» ليس في السليمانية والأسدية٣.

(٢) في نجيبويه: «إقرار».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في المطبوع: «واستكمال».

(٥) في أحمد٣ والمطبوع: «ولكنا رأينا». وفي السليمانية: «ولكن».

(٦) لم أقف على قول عمر الذي ذكره المؤلف مسنداً، ولكن أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (٩/ ٦٥٠) عن روح بن عبادة، عن حماد بن سلمة، عن الجريري عن أبي نضرة =

وقال أَيضاً نحوها لخالد بن الوليد حين دخل الشَّام، فَقُدِّم إِليه طعامٌ طيِّب، فقال عمر: هذا لنا، فما لفقراءِ المسلمين الَّذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشَّعير؟ فقال خالد: لهم الجنَّة، فبكى عمر وقال: لئن كان حظنا في الحطام وذهبوا بالجنَّة لقد باينونا بوناً بعيداً[١].

وقال جابر بن عبد الله: اشتريت لحماً بدرهم، فرآني عمر رضي الله عنه فقال: أَوَ كُلَّما اشتهى أَحدكم شيئاً اشتراه فأَكله؟ أَما تخشى أَن تكون من أَهل هذه الآية؟ وتلا: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ الآية[٢].

و﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾: العذابُ الَّذي اقترن به هوان، وهو عذاب العصاة المواقعين ما قد نُهوا عنه، وهذا بيِّن في عذاب الدُّنيا، فعذاب المحدود في معصية كالحرابة ونحوها مقترن بِهُونٍ، وعذاب المقتول في حرب لا هُونَ معه، فالهُونُ والهوان بمعنى.

= عن الربيع بن زياد الحارثي: أنه وفد إلى عمر رضي الله عنه فأعجبته هيئته ونحوه فشكا عمر رضي الله عنه طعاماً غليظاً أكله، فقال الربيع: يا أمير المؤمنين إن أحق الناس بمطعم لين وملبس لين ومركب وطيء لأنت، فضرب رأسه بجريدة وقال: والله ما أردت بهذا إلا مقاربتي، وإن كنت لأحسب فيك خيراً، ألا أخبرك مثلي ومثل هؤلاء كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا: أنفقها علينا، فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟ فقال الربيع: لا. قال: هذا مثلي ومثلهم. فقال عمر رضي الله عنه: إني لست أستعمل عمالي ليشتموا. وإسناده لا بأس به.

(١) منقطع، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٢١٧) عن معمر مختصراً، والطبري (٢١/ ١٤٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، كلاهما عن قتادة قال: ذكر لنا، فذكر القصة عن عمر رضي الله عنه.

(٢) له طرق عن عمر، أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٦) من طريق القاسم بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهم به، والقاسم بن عبد الله العمري متروك، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٦٧٢) من طريق مالك، عن يحيى بن سعيد الأنصاري: أن عمر بن الخطاب أدرك جابر ومعه لحم..فذكره، وهو منقطع، وأخرجه البيهقي أيضاً (٥٦٧٣) من طريق سعيد بن منصور، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن جابر به، وأبو حازم هو سلمة ابن دينار ثقة ثبت ولكنه لم يسمع من أحد من الصحابة كما في جامع التحصيل (٢٥٥)، وأخرجه أحمد في الزهد (ص: ١٢٣-١٢٤) عن الأعمش، عن حفص بن غياث، عن الأعمش، عن بعض أصحابه، قال: مر جابر بن عبد الله معلقاً لحماً على عمر، فذكره.

ثمَّ أَمر تعالى نبيَّه بذكر هودٍ وقومه عادٍ على جهة المثال لقريش، وهذه الأُخوَّة هي أُخوَّة القرابة؛ لأَنَّ هوداً كان من أَشراف القبيلة الَّتي هي عاد.

واختلف النَّاس في هذه الأَحقاف، أَين كانت؟

فقال ابن عبّاس[١]، والضَّحّاك: هي جبل بالشَّام[٢].

وقيل: كانت بلاد نخيل، وقيل: هي رمال بين مَهْرة وعدن.

وقال ابن عبّاس أَيضاً: بين عُمَان ومَهْرة[٣].

وقال قتادة: هي بلاد الشَّحر المواصلة للبحر اليمانيِّ[٤].

قال ابن إِسحاق: هي بين حضرموت وعُمان[٥].

والصَّحيح من الأَقوال: أَنَّ بلاد عادٍ كانت باليمن، ولهم كانت إِرَم ذاتُ العماد.

و(الأَحْقَافُ) جمع حقف، وهو الجبل المستطيل المُعْوَج من الرَّمل، قال الخليل: هي الرِّمال العظام[٦]، وكثيراً ما تحدث هذه الْأَحقاف في بلاد الرَّمل في الصَّحارى؛ لأَنَّ الرِّيح تصنع ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ اعتراضٌ مؤكد[٧] مقيم للحُجَّة أَثناءَ قصة هود[٨]؛ لَأنَّ قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو من نذارة هود.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٠-١٥١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) انظر معناه في تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٤). وفي نجيبويه ونور العثمانية: «الشجر».

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٣). وفي الأسدية٣: «ابن عباس» مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٦) انظر قوله في تفسير الثعلبي ٩/ ١٦. وفي الأصل: «الأحقاف».

(٧) سقط من المطبوع.

(٨) في السليمانية: «هؤلاء».

و﴿خَلَتِ﴾ معناه: مضت إِلى الأَرض الخلاءِ ومرَّت أَزمانها.

وفي مصحف عبد الله: (وَقَدْ خَلَت النُّذُرُ مِنْ قَبْلِهِ وبَعْدِهِ).

وروي أن فيه: (وَقَدْ خَلَت النُّذُرُ مِنْ بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ)(١).

و﴿ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير، بناءُ اسم الفاعل.

وقولهم: ﴿لِتَأۡفِكَنَا﴾ معناه: لِتَصْرِفَنَا.

وقولهم ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ تصميم على التَّكذيب، وتعجيز منهم له في زعمهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضًا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ / فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعًا وَأَبۡصَٰرًا وَأَفۡـِٔدَةً فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾. [٥/ ٩٢]

المعنى: قال لهم هود: إِنَّ هذا الوعيد ليس من قِبَلي، وإِنَّما الأَمر إلى الله، وعِلْم وقته عنده، وإِنَّما عليَّ أَن أُبَلِّغ فقط.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَأُبَلِّغُكُم﴾ بفتح الباءِ وشدِّ اللام.

قال أَبو حاتم: وقرأَ أَبو عمرو في كلِّ القرآن بسكون الباءِ وتخفيف اللّام(٢).

و﴿أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ﴾ أَي: مثلَ هذا من أَمر الله تعالى، وتجهلون خلْق أَنفسكم.

والضَّمير في ﴿رَأَوۡهُ﴾ يحتمل أَن يعود على (العذاب).

---

(١) وهما شاذتان، انظر الثانية في تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٥)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٥٤)، وأما الأولى فلم أقف عليها.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١١١). و«سكون الباء» ليس في أحمد٣.

ويحتمل أَن يعود على الشَّيءِ المَرْئيِّ الطَّالع عليهم، وهو الَّذي فسَّره قوله: ﴿عَارِضًا﴾.

والعارض: ما يعرض في الجوِّ من السَّحاب العارض[1] الممطر، ومنه قول الأعَشى:

[البسيط] يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً قَدْ بِتُّ أَرْمُقُهُ   كَأَنَّمَا الْبَرْقُ في حَافَاتِهِ الشُّعَلُ[2]

وقال أَبو عبيدة: العارض: الَّذي يُرى في أَقطار السَّماءِ عشيّاً، ثمَّ يصبح من الغد قد استوى[3].

ورُوي في معنى قوله: ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾: أَنَّ هؤلاءِ القوم كانوا قد قحطوا مدَّةً، فطلع عليهم هذا العارض على هذه الهيئة والجهة الَّتي كانوا يمطرون بها أَبداً، جاءَهم من قِبَل واد لهم يسمّونه المغيث. قال ابن عبّاس: ففرحوا به وقالوا: هذا عارض ممطرنا وقد كذب هودٌ فيما أَوعد به، فقال لهم هود عليه السَّلام: ليس الأَمر كما رأَيتم، بل هو ما استعجلتم به في قولكم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، ثمّ قال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

وفي قراءَة ابن مسعود: (مُمْطِرُنَا قَالَ هُودٌ بَلْ هُوَ)[5] بإِظهار المقدَّر[6]؛ لأَنَّ قراءَة الجمهور هي كقوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، أَي: يقولون: [سلام عليكم][7].

---

(١) من أحمد٣.

(٢) عزاه له في تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦)، وسمط اللآلي للبكري (١/ ٤٩٥). وفي المطبوع: «بت أرقبه».

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢١٣).

(٤) بهذا اللفظ لم أقف عليه، ولكن انظر الدر المنثور (١٣/ ٣٣٨). وفي أحمد٣: «وعد به».

(٥) المحتسب (٢/ ٢٦٥).

(٦) أشار في هامش أحمد٣: «المقدم».

(٧) سقط من أحمد٣.

قال الزَّجّاج: وقرأَ قوم: (ما استُعجِلتم) بضمِّ التّاءِ الأُولى وكسر الجيم[١].

و﴿رِيحٌ﴾ بدلٌ من المبتدأ في قوله: ﴿هُوَ مَا﴾.

و﴿مُّمْطِرُنَا﴾ نعتٌ لـ ﴿عَارِضٌ﴾، وهو نكرة إِضافته غير محضة؛ لأَنَّ التَّقدير: ممطر لنا في المستقبل، [فهو في حكم الانفصال][٢].

وقد مضى في غير هذه السُّورة قصص الرِّيح [الَّتي هبَّت عليهم][٣]، وأَنَّها كانت تحمل الظعينة كجرادة.

و﴿تُدَمِّرُ﴾ معناه: تُهلك، والدَّمارُ: الهلاكُ، ومنه قول جرير:

وكَـانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغَـا دهـراً فَدَمَّرَهُمْ دَمَـارَا[٤] [الوافر]

وقوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ ظاهره العموم ومعناه الخصوص في كلِّ ما أُمرت بتدميره.

وروي: أَنَّ هذه الرّيح رمتهم أَجمعين في البحر.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لا تَرَى إلا مَسَاكِنَهم﴾، أَي: لا تَرَى أَيُّها المخاطب شيئاً منهم.

وقرأَ عاصم وحمزة: ﴿لَا يُرَىٰٓ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾ رفعاً، التَّقدير: لا يُرى شيءٌ منهم، وهذه قراءَة ابن مسعود، وعمرو بن ميمون والحسن بخلاف عنهما، ومجاهد، وعيسى، وطلحة[٥].

---

(١) مثلها في البحر المحيط (٩/ ٤٤٦)، بلا نسبة، والذي في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤٥): وقرأ بعضهم: (قل بل هو ما استعجلتم)، بزيادة (قل) قبله، وبلا ضبط، ولا نسبة، وفي مختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٥٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١١٢): عن قراءة عَبْد الله: (قل بل ما استعجلتم بِهِ هِيَ)، وكلها شاذة.

(٢) سقط من نجيبويه.

(٣) ليس في أحمد٣، وكذا قوله: «في غير هذه السورة».

(٤) وتقدم منسوباً للفرزدق في تفسير الآية (١٧) من (سورة الإسراء). وفي الأصل وأحمد٣ والمطبوع: «ظُهْراً»، وفي السليمانية: «ظهوراً».

(٥) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٩٨)، والتيسير (ص: ٢٠٠). وفي السليمانية: بخلاف عنه، وفي أحمد٣: «وقرأ مجاهد».

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن، والجحدريُّ، وقتادة، وعمرو بن ميمون، والأَعمش، وابن أَبي إِسحاق، وأَبو رجاءٍ، ومالك بن دينار ـ يعني بلا خلاف عنهما خاصة ممن ذكر ـ: (لا تُرى) بالتّاءِ المنقوطة من فوق ومضمومة (مساكنُهم) رفعاً، ورويت عن ابن عامر[1].

وهذا نحو قول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] كَأَنَّهَا جَمَلٌ وَهْـمٌ وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا النَّحِيزَةُ وَالأَلْوَاحُ وَالْعَصَبُ[2]

ونحو قوله:

[الطويل] .... فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ[3]

وفي هذه القراءَة استكراهٌ.

وقرأ الأَعمش، وعيسى الهمداني: (إلا مَسْكَنُهُمْ) على الإِفراد[4] الَّذي هو اسم الجنس، والجمهور على الجمع في اللَّفظة، ووجه الإِفراد تصغير الشَّأْن وتقريبه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: ٦٧].

ثمَّ خاطب تعالى قريشاً ـ على جهة الموعظة ـ بقوله: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ فـ(مَا) بمعنى (الَّذي)، و﴿إِن﴾ نافية وقعت مكان (ما) ليختلف اللَّفظ

(١) في أحمد٣: «ابن عباس»، وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٦٥)، ووجه ابن عامر من طريق عبد الحميد بن بكار كما في جامع البيان (٤/ ١٥٩٠). وسقط من الأصل ما بين عمرو بن ميمون الأول والثاني، وأشار في حاشية المطبوع إلى اختلاف نسخه هنا.

(٢) من بائيته المشهورة، انظر العين (٤/ ١٠٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٩٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٥٢)، وأمالي القالي (١/ ٥٢)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/ ١٧٢). وفي أحمد٣: «كأنه»، وفي السليمانية: «كأنهم».

(٣) لذي الرُّمَّة أيضاً، وصدره: بَرَى النَّحْزُ والأَجْرَالُ ما في غُرُوضها، انظر عزوه له في تفسير الزمخشري (٤/ ١٢)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٠٣)، والجَرَاشِعُ: جمع جرشع وهو العظيم الغليظ، وقيل: الطَّويل. وفي السليمانية: «والجواشع».

(٤) وهي شاذة، عزاها للأعمش في المحتسب (٢/ ٢٦٥)، ولهما في البحر المحيط (٩/ ٤٤٧).

ولا يتَّصل (مَا) بـ(ما)؛ لأَنَّ الكلام كأَنَّه قال: في الَّذي ما مَكَّنَّاكم فيه، ومعنى الآية: ولقد أَعطيناهم من القوَّة والغنى والبسط في الأَموال والأَجسام ما لم نعطكم، ونالهم بسبب كفرهم هذا العذابُ، فأَنتم أَحرى بذلك إِذا كفرتم.

وقالت فرقة: ﴿إِن﴾ شرطية والجواب محذوف تقديره: في الَّذي إِنْ مَكَّنَّاكم فيه طغيتم. وهذا تنطُّع في التَّأْويل.

ثمَّ عدَّد تعالى عليهم نِعَم الحواس والإِدراك، وأَخبر أَنَّها لم تُغْن حين لم تستعمل على ما يجب.

و(مَا) نافية في قوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ﴾، ويُقَوِّي ذلك دخول ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾.

وقالت فرقة: (مَا) في قوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ استفهامٌ بمعنى التَّقرير، و﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ ـ على هذا ـ تأْكيد، وهذا على غير مذهب سيبويه في دخول (مِنْ) في الواجب[1].

و﴿فَحَاقَ﴾ معناه: نزل ولزم، وهو مستعمل في المكاره، والمعنى: جزاءَ ما كانوا به يستهزئون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٢٧ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝٢٨ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم﴾ مخاطبة لقريش على جهة التَّمثيل لهم بمأْرب وسدوم وحجر ثمود، وقوله تعالى: ﴿وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ يعني: لهذه القرى المُهْلَكَة.

وقوله: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ﴾ الآية، يعني: هلَّا نصرتهم أَصنامُهم الَّتي اتَّخذوها.

---

(١) في المطبوع: «الجواب»، وتقدم هذا المذهب مراراً.

و﴿قُرۡبَانًا﴾ إِمَّا أَن يكون المفعول الثّاني بـ ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾، و﴿ءَالِهَةَۢ﴾ بدلٌ منه.

وإِمَّا أَن يكون حالاً و﴿ءَالِهَةَۢ﴾ المفعول الثّاني، والمفعول الأَوَّل هو الضَّمير العائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾، التَّقدير: اتَّخذوهم.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡ﴾ معناه: انتلفوا[1] لهم حتى لم يجدوهم في وقت حاجة.

وقوله: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الإِشارة به تختلف بحسب اختلاف القراءَات في قوله: ﴿إِفۡكُهُمۡ﴾:

فقرأَ جمهور القراء بكسر الهمزة وسكون الفاءِ وضمِّ الكاف، فالإِشارة بـ (ذَلِكَ) على هذه القراءَة إِلى قولهم في الأَصنام: إِنَّها آلهة، وذلك هو اتِّخاذهم إِيَّاهَا آلِهَةً.

وكذلك هي الإِشارة في قراءَة من قرأَ: (أَفْكُهُمْ) بفتح الهمزة، وهي لغة في الإِفك، وهما بمعنى الكذب.

[٥/ ٩٣] وكذلك هي الإِشارة في قراءَة من قرأَ: / (أَفَكَهُمْ) بفتح الهمزة والفاءِ والكاف على الفعل الماضي، بمعنى: صَرَفهم، وهي قراءَة ابن عبّاس، وأَبي عِياض، وعِكرمة، وحنظلة بن النُّعمان.

وقرأَ أَبو عياض أَيضاً وعكرمة ـ فيما حكى الثَّعلبيُّ ـ : (أَفَّكَهُمْ) بشدِّ الفاءِ وفتح الهمزة والكاف، وذلك على تعدية الفعل بالتَّضعيف.

وقرأَ عبد الله بن الزبير: (آفَكَهُمْ) بالمدِّ وفتح الفاءِ والكاف على التَّعدية بالهمزة.

قال الزَّجّاج: معناها جعلهم يأْفكون، كما يقال: أَكْفَرَهم[2].

وقرأَ ابن عبّاس فيما روى قطرب: (آفِكُهُمْ) بفتح الهمزة والمد وكسر الفاء وضم الكاف على وزن فاعل بمعنى: صارِفُهم.

---

(١) في أحمد٣ والمطبوع والسليمانية: «أتلفوا».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤٦).

وحكى الفراءُ أَنَّه يقرأُ: (أَفَكُهُمْ) بفتح الهمزة والفاءِ وضمِّ الكاف[١]، وهي لغة في الإِفْك.

والإِشارة بـ(ذَلِكَ) على هذه القراءَات الَّتي ليست مصدراً يحتمل أَن تكون [إِلى الأَصنام، وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ يحتمل أَن تكون][٢] (مَا) مصدرية فلا تحتاج إِلى عائد، ويحتمل أَن تكون بمعنى (الذي)، فهناك عائد محذوف تقديره: يفترونه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ ابتداءُ وصْف قصة الجنِّ وَوفَادتهم على النَّبيِّ ﷺ.

و﴿صَرَفْنَآ﴾ معناه: رددناهم عن حالٍ ما، ويحتمل أَنَّها الاستماع في السَّماءِ.

ويحتمل أَن تكون كفرهم[٣] قبل الوفادة، وهذا بحسب الاختلاف هنا، هل هم الوفد أَو المُتَجَسِّسُونَ؟

وروي: أَنَّ الجنَّ كانت قبل مبعث النَّبيِّ ﷺ تسترق السَّمع من السَّماءِ، فلمَّا بُعث النَّبيُّ ﷺ حُرست بالشُّهب الرَّاجمة، فضاقت الجنُّ ذرعاً بذلك، فاجتمعت[٤] وأَتى رأْي مَلَئِهم على الافتراق في أَقطار الأَرض وطلب السَّبب الموجب لهذا الرَّجم والمنع من استراق السَّمع، ففعلوا ذلك.

واختلف الرُّواة بعْدُ:

فقالت فرقة: جاءَت طائفة من الجنِّ إِلى النَّبيِّ ﷺ وهو لا يشعر، فسمعوا القرآن، وَوَلَّوْا إِلى قومهم منذرين، ولم يعرف النَّبيُّ بشيءٍ من ذلك حتّى عرَّفه الله بذلك كلِّه، وكان سماعهم لقراءَته وهو بنخلة عند سوق عكاظ وهو يقرأُ في صلاة الفجر[٥].

---

(١) هذه ست قراءات شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٢٦٧)، وانظر الثالثة في تفسير الثعلبي (٩/ ١٩).

(٢) سقط من أحمد٣.

(٣) في المطبوع: «بُعْدهم»، مع الإشارة إلى النُّسخ الأخرى: «كفرهم»، وفي نجيبويه: «نفرهم».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) أخرجه مسلم (٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالت فرقة: بل أَشعره الله بوفادة الجنِّ عليه واستعد لذلك، ووفد عليه أَهل نصيبين منهم[١].

قال القاضي أَبو محمد: والتحرير في هذا: أَن النبي ﷺ جاءَه جنٌّ دون أَن يعرف بهم، وهم المتفرقون من أَجل الرَّجم، وهذا قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [الجن: ١][٢] الآية.

ثمَّ بعد ذلك وفد عليه وفد وهو المذكور صرفُه في هذه الآية، قال قتادة: صُرفوا إِليه من نِينَوى، وأُشْعر به قبل وروده، وقال الحسن: لم يشعر به[٣].

واختلف في عددهم اختلافاً متباعداً فاختصرته لعدم الصِّحَّة في ذلك، أَمَّا إن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كانوا سبعة نفر من أَهل نصيبين[٤].

وقال زِرٌّ: كانوا تسعة فيهم زَوْبعة[٥].

ورويت في ذلك أَحاديث عن عبد الله بن مسعود: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي خارج إِلى وفد الجنِّ، فمن يتبعني؟» فسكت أَصحابه، فقالها ثانية فسكتوا، فقال عبد الله: أَنا أَتْبعك، قال: فخرجت معه حتّى جاءَ شِعْب الحَجُونِ فأَدار لي دائرة وقال: «لا تخرج منها»، ثمَّ ذهب عنِّي، فسمعت لغطاً ودويّاً كدوي النُّسور الكاسرة، ثمَّ في آخر اللَّيل جاءَ رسول الله ﷺ بعد أَن قرأَ عليهم القرآن وعلَّمهم، وأَعطاهم زاداً في كلِّ عظم ورَوْثة، فقال: «يا عبد الله، ما رأَيت»؟ قال: فأَخبرته، فقال: «لقد كنت أَخشى أَن تخرج

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٨٦٠)، ومسلم (٤٥٠). وفي السليمانية: «واستشعر» بدل «استعد».

(٢) في السليمانية: «قول قتادة!».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٦).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٦٥) عن أبي كريب، والطبراني في الكبير (١١٦٦٠)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٢) من طريق أبي كريب، عن عبد الحميد الحماني، عن النضر بن عبد الرحمن الخزاز أبي عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. والنضر بن عبد الرحمن الخزاز ضعيف، وفي المطبوع من المعجم للطبراني، وفي الدر المنثور (١٣/ ٣٤٢) بلفظ: «تسعة» بدل «سبعة».

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٢).

فيتخطفك بعضهم»، قلت: يا رسول الله، سمعتُ لهم لغطاً، فقال: «إِنَّهم تَدَارَؤُوا في قتيل لهم فحكمتُ بالحقِّ بينهم»[١].

قال القاضي أَبو محمد: واضطربت الرِّوايات عن عبد الله بن مسعود، وروي عنه ما ذكرنا، وذكر عنه: أَنَّه رأَى رجالاً من الجنِّ وبهم شبه رجال الزُّطِّ[٢] السُّود الطوال حين رآهم بالكوفة[٣].

وروي عنه أَنَّه قال: ما شاهد أَحدٌ منَّا ليلة الجنِّ مع رسول الله ﷺ[٤]، فاختصرت هذه الرِّوايات وتطويلها لعدم صحَّتها.

وقوله: ﴿نَفَرًا﴾ يقتضي أَن المصروفين رجال لا أُنثى فيهم، فالنَّفر والرَّهط والقوم: الَّذين لا أُنثى فيهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ فيه تأَدُّب مع العالِم[٥] وتعليمٌ كيف يُتَعَلَّم.

وقرأَ جمهور النَّاس: ﴿قُضِيَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

---

(١) مرسل، هذا الأثر بهذا اللفظ أخرجه الطبري (٢١/ ١٦٦) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، مرسلاً، وانظر الروايات الواردة في هذا الباب وتخريجها في تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٩-٢٩٧).
و«بينهم»: من المطبوع، وفي الأصل: «فمن شاء يتبعني».

(٢) الزُّط: جيل أسود من السِّند تُنسب إليهم الثِّياب الزُّطِّيَّة. وفي نجيبويه: «الزنط».

(٣) ضعيف، قال ابن كثير في التفسير (٧/ ٢٩٥): قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي رافع، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ خط حوله، فكان أحدهم مثل سواد النحل، وقال لي: «لا تبرح مكانك»، فأقرأهم كتاب الله، فلما رأى الزُّط قال: كأنهم هؤلاء.. وإسناده ضعيف وذكره قتادة بلاغاً بلا إسناد، أخرجه الطبري في التفسير (٢٢/ ١٣٦).

(٤) أخرجه مسلم (٤٥٠) عن علقمة قال: سألت ابن مسعود: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا.

(٥) في أحمد٣ والسليمانية: «العلم».

وقرأ حبيب بن عبد الله بن الزبير[١]، وأَبو مجلز: (قَضَى) على بناءِ الفعل للفاعل، أَي قَضَى محمد القراءَة[٢].

وقال ابن عمر، وجابر بن عبد الله: قرأ عليهم سورة الرَّحمن، فكان إِذا قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيءَ من آلائك ربَّنا نكذِّب، ربنا لك الحمد، ولمَّا وَلَّت هذه الجملة تفرقت على البلاد منذرة للجنِّ،[٣] قال قتادة: ما أَسرع ما عقل القوم[٤].

---

(١) لعله خبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، روى عن: أبيه، وعائشة، وعنه: ابنه الزبير، والزهري، وقيل: إنه أدرك كعب الأحبار، وكان من النساك، يذكرون أنه كان يعلم علماً كثيراً لا يعرفون وجهه، توفي سنة (٩٣هـ)، تاريخ الإسلام (٦/ ٣٤٥).

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٣٧)، والبحر المحيط (٩/ ٤٥٠)، ولعل الصواب «خبيب» كما في القرطبي (١٦/ ٢١٦).

(٣) الإسنادان فيهما لين، خبر ابن عمر أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (٦٨) عن محمد بن عباد بن موسى، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٠١) من طريق محمد بن عباد، والطبري (٢٢/ ١٩٠) عن محمد بن عباد، وعمرو بن مالك البصري، والبزار في مسنده (٥٨٤٣) عن عمرو بن مالك كلاهما ـ محمد بن عباد، وعمرو بن مالك ـ عن يحيى بن سليم الطائفي، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه به، وفيه: قالت الجن: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب »، ومحمد ابن عباد بن موسى العكلي الملقب بسندول صدوق يخطىء، وعمرو بن مالك بن عمر الراسبي ضعيف، ويحيى بن سليم الطائفي صدوق سيء الحفظ، وإسماعيل بن أمية القرشي ثقة ثبت، وعند ابن أبي الدنيا عن محمد بن عباد به، وزاد عمرو بن سعيد بن العاص بين إسماعيل ونافع.
وأما خبر جابر بن عبد الله فأخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤١٧)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٢١٥) من طريق الوليد بن مسلم الدمشقي، عن زهير بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله به، وزهير بن محمد التميمي العنبري رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد، قال أحمد: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه يعني لما يروون عنه من المناكير، وسمعت البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة.اهـ.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤١)، والهداية لمكي (١١/ ٦٨٦٨). وفي المطبوع: «قاله قتادة».

قال القاضي أَبو محمد: فهنالك وقعت قصة سوادٍ وشِصَار وخُنافر وأَشباههم[١]، صلَّى الله على محمد عبده ورسوله وسلَّم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٣٢ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٣﴾.

المعنى: قال هؤلاءِ المنذرون لمَّا بلغوا قومهم: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا﴾، وهو القرآن العظيم، وخصّصوا موسى عليه السلام لأَحد أَمرين:

إِمَّا لأَنَّ هذه الطَّائفة [من الجنِّ][٢] كانت تتديَّن بدين اليهود.

وإِمَّا لأَنَّهم كانوا يعرفون أَنَّ / موسى قد ذكر محمداً ﷺ وبشَّر به، فأَشاروا إِلى موسى من حيث كان هذا الأَمر مذكوراً في توراته. [٥/ ٩٤]

وقال ابن عبّاس ـ في كتاب الثَّعلبيِّ ـ: لم يكونوا علموا أَمر عيسى عليه السَّلام، فلذلك قالوا: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾[٣]، وقولهم: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ يؤيد[٤] هذا.

و(ما بين يديه): هو التوراة والإِنجيل.

و﴿ٱلۡحَقِّ﴾ و«الطريق المستقيم»: هما بمعنىً يتقارب، لكن من حيث اختلف اللَّفظ ـ وربَّما كان الحقُّ أَعمَّ ـ وكان أَحدهما قد يقع في مواضع لا يقع فيها الآخر، حَسُن التَّكرارُ.

---

(١) انظر قصتهم في الإصابة (٢/ ٣٦٢) في ترجمة خنافر بن التوأم الحميري.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) مثله في مفاتيح الغيب (٢٨/ ٢٨)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١١٧) ولم أقف عليه مسنداً، ولم أجده في النسخة المطبوعة من «تفسير الثعلبي».

(٤) في السليمانية: «يرد».

و﴿دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾: هو محمد عليه السلام، والضَّمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى.

وقوله: ﴿يَغۡفِرۡ﴾ معناه: يغفر الله لكم.

وقوله: ﴿وَيُجِرۡكُم﴾ معناه: يمنعكم ويجعل دونكم جوار[١] حفظه حتّى لا ينالكم عذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ﴾ الآية، يحتمل أَن يكون من كلام المنذرين، ويحتمل أَن يكون من كلام الله تعالى لمحمد ﷺ، والمراد بها إِسماع الكفّار، وتعلق اللَّفظ إِلى هذا المعنى من قول الجنِّ: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾، فلمَّا حكى ذلك قيل: ومن لا يفعل هذا،[٢] فهو بحال كذا.

و«المُعْجز»: الذاهبُ في الأَرض الذي يبدي [عجز طالبه][٣] ولا يُقدر عليه.

ورُوي عن ابن عامر: (وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ) بزيادة (ميم)[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾، الضَّمير لقريش، وهذه آية مثل واحتجاج؛ لأَنَّهم قالوا: إِنَّ الأَجساد لا يمكن أَن تُبعث ولا تُعَاد، وهم مع ذلك معترفون بأَنَّ الله تعالى خلق السَّماوات والأَرض فأُقيمت عليهم الحُجَّة من أَقوالهم.

و«الرُّؤْية» في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ رؤْية القلب.

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَلَمۡ يَعۡيَ﴾ بسكون العين وفتح الياءِ الأَخيرة.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (يَعِيْ) بكسر العين وسكون الياءِ[٥]، وذلك على حذف.

---

(١) ليست في المطبوع، وفيه: «حفظة»، وفي أحمد٣: «حيواناً حفظة»، وفي نور العثمانية: «ويجعل ذنوبكم».

(٢) في أحمد٣ والمطبوع: «ومن لا يجب داعي الله». وفي السليمانية: «فمن» بدل «ومن».

(٣) في نجيبويه: «عجزه إليه».

(٤) شاذة، من رواية عبد الحميد بن بكار عنه كما في جامع البيان (٤/ ١٥٩٠). وفي المطبوع ونجيبويه: «ابن عبّاس»، وفي السليمانية: «عباس».

(٥) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، والمحتسب (٢/ ٢٦٩). وتكررت في السليمانية: «وسكون الياء على حذف».

والباءُ في قوله تعالى: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ زائدة مؤكدة، ومن حيث تقدّم نفيٌ في صدر الكلام حَسُن التَّأْكيد بالباءِ، وإن لم يكن المنفي[١] ما دخلت هي عليه، كما هي في قولك: ما زيد بقائم، كأَن بدل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أَوَ ليس الذي خَلَق.

وقرأَ ابن عبّاس، وجمهور الناس: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾.

وقرأَ الجحدريُّ، والأَعرج بخلاف وعيسى، وعمرو بن عبيد: ﴿يَقْدِرُ﴾ بالياءِ، على فعل مستقبل[٢]، ورجَّحها أَبو حاتم وغلَّط قراءَة الجمهور لِقلق الباءِ عنده[٣].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (بِخَلْقِهِنَّ قَادِرٌ) [بغير باءٍ][٤].

و﴿بَلَىٰٓ﴾ جواب بعد النَّفي المتقدِّم، فهي إِيجاب لِمَا نُفي، والمعنى: بل[٥] رأَوْا ذلك، أَيْ: لو نفعهم ووقع في قلوبهم، ثم استأْنف لفظ الإِخبار المؤكّد بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

المعنى: واذكر يوم، وهذا وعيد للكفّار من قريش وسواهم.

---

(١) في المطبوع: «النَّفْيُ».
(٢) هي عشرية ليعقوب بكماله، كما في النشر (٢/ ٣٥٥)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٩/ ٤٥١).
(٣) قال الأزهري في معاني القراءات (٢/ ٣١٣): وأجاز سيبويه، والمبرد، والزجاج، وأحمد ين يَحْيَى ما أنكره السجستاني، وهُم أعلم بهذا الباب منه، وقال في البحر المحيط (٩/ ٤٣٩): وكان أبو حاتم يطعن في بعض القرآن بما لا علم له به، جسارة منه، عفا الله عنه.
(٤) سقط من الأصل والسليمانية، وهي شاذة، عزاها له تفسير الزمخشري (٤/ ٣١٣)، وانظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٤).
(٥) في أحمد٣: «بلى».

و«العَرْضُ» في هذه الآية: عرض مباشرة، كما تقول: عرضت الجاني على السّوط.

والمعنى: يقال لهم: أَليس هذا العذاب حقّاً وقد كنتم تكذبون به؟ فيجيبون: بلى وربِّنا، فذلك تصديق حيث لا ينفع.

ورُوي عن الحسن أَنَّه قال: إِنَّهم ليعذَّبون في النَّار وهم راضون بذلك لأَنفسهم، يعترفون أَنَّه العدل، فيقول لهم المحاور من الملائكة عند ذلك: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أَي: بسبب كفركم[١].

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾، الفاءُ عاطفة هذه الجملة من الوصاة على هذه الجملة من الأَخبار عن حال الكفرة في الآخرة، والمعنى بينهما مرتبط، أَي: هذه حالهم مع الله فلا تستعجل أَنت فيما حُمِّلْته، واصبر له، ولا تخف في الله أَحداً.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾: (من) للتبعيض، والمراد: من حُفظت[٢] له مع قومه شدَّة ومجاهدة؛ كنوح وإِبراهيم وموسى وعيسى[٣] وغيرهم صلى الله عليهم أجمعين، هذا قول عطاءٍ الخُراسانيِّ والكلبي وغيره.

وقال ابن زيد ما معناه أَن ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس، قال: والرُّسل كلُّهم أُولوا عزم، ولكن قوله: ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾ يتضمَّن رسلاً وغيرهم، فبيَّن بعد ذلك جنس الرُّسل خاصة تعظيماً لهم، ولتكون القدوة المضروبة لمحمد عليه السلام أَشرف، وذكر الثَّعلبيُّ هذا القول عن عليِّ بن مهديِّ الطَّبريِّ.

وحكى عن أَبي القاسم الحكيم أَنَّه قال: الرُّسل عليهم السَّلام كلُّهم أُولوا عزم إِلَّا يونس عليه السَّلام[٤].

---

(١) لم أقف عليه، وتقدم مثل هذه اللفظة في (آل عمران) و(التوبة).

(٢) في أحمد٣: «حصلت».

(٣) ليس في المطبوع ولا نجيبويه.

(٤) انظر القولين في الثعلبي (٩/ ٢٥)، و«الكلبي» من أحمد٣، ولم أقف على ترجمة لعلي بن مهدي، ولا لأبي القاسم الحكيم.

وقال الحسين بن الفضل: هم الثّمانية عشر المذكورون في سورة الأَنعام[١]؛ لأَنَّه قال بعقب ذكرهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال مقاتل: هم ستَّة: نوح صبر على أَذى قومه طويلاً، وإِبراهيم صبر [على النّار][٢]، وإِسحاق صبر نفسه للذَّبح، ويعقوب صبر على الفقد[٣] لولده وعمى بصره، وقال ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ [يوسف: ١٨]، ويوسف صبر على السِّجن وفي البئر، وأَيّوب صبر على البلاءِ[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وانظر أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قد قال في موسى: «يرحم الله موسى، أُوذي بأَكثر من هذا فصبر»[٥]، ولا محالة أَنَّ لكلِّ نبيٍّ ورسول عزماً وصبراً.

وقوله: ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ معناه: لا تستعجل لهم عذاباً فإِنَّهم إِليه صائرون، ولا تستطل تعميرهم في هذه النِّعمة فإِنَّهم يوم يرون العذاب كأَنَّهم لم يلبثوا في الدُّنيا إِلَّا ساعةً، لاحتقارهم ذلك؛ لأَنَّ المنقضي من الزَّمان إِنَّما يصير عَدَماً، فكثيره الَّذي ساءَت عاقبته كالقليل.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب: (سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ)[٦].

وقرأَ جمهور القراء والنّاس: ﴿بَلَٰغٞۚ﴾، وذلك يحتمل معاني:

أَحدها: أَن يكون خبر ابتداءٍ، المعنى: هذا بلاغ، وتكون الإِشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ إِمَّا إِلى القرآن والشَّرع، أَي: هذا إِنذارٌ وتبليغ، وإِمَّا إِلى المدَّة الَّتي تكون كساعة [من نهار][٧]،

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٥). وفي المطبوع والسليمانية: «الحسن بن الفضل».
(٢) في الأصل: «للناس».
(٣) في الأسدية٣: «الذبح»، ولعله خطأ. وفي أحمد٣: «لفقد الولد».
(٤) تفسير السمعاني (٥/ ١٦٤)، «وفي البئر» ليست في المطبوع، ولا نجيبويه.
(٥) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢).
(٦) شاذة، انظر البحر المحيط (٩/ ٤٥٢).
(٧) ليس في أحمد٣ والسليمانية.

كأَنَّه قال: لم يلبثوا إِلَّا ساعة كانت بلاغهم، وهذا كما تقول: متاع قليل، ونحوه من المعنى.

والثّاني: أَن يكون ابتداءً والخبر محذوف.

والثّالث: ما قاله أَبو مجلز، فإِنَّه كان يقف على قوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾، ويقول: ﴿بَلَٰغٌ﴾ ابتداءٌ، وخبره متقدَّم في قوله: ﴿لَّهُمْ﴾[1]، وقدح النّاس في هذا القول بكثرة الحائل[2].

[٥/ ٩٥] وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، / وعيسى: (بَلَاغاً)، وهي قراءَة تحتمل المعنيْن اللذين في قراءَة الرَّفع، وليس يدخلها قول أَبي مجلز، [ونصبها بفعل مضمر.

وقرأَ أَبو مجلز][3]، وأَبو سراج الهذلي: (بَلِّغْ) على الأَمر.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (بَلاغٍ) بالخفض نعتاً للنَّهار[4].

وقرأَ جمهور النَّاس: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ بعضهم ـ فيما حكى هارون ـ: (فهل يَهلِكُ) على بناءِ الفعل للفاعل [وكسر اللَّام][5]، وحكاها أَبو عمرو عن الحسن وابن محيصن.

[وقرأَ أيضاً ابن محيصن][6]: (يَهْلَك) بفتح الياءِ واللَّام، قال أَبو الفتح: وهي مرغوب عنها[7].

---

(١) تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن (ص: ١٢٨).

(٢) نقل هذا القدح عن أبي حاتم مكي في الهداية (١١/ ٦٨٧٤)، لأن فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض.

(٣) سقط من أحمد٣ والسليمانية.

(٤) وثلاثتها شاذة، انظر الأولى والثانية في المحتسب (٢/ ٢٦٨)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤٠)، والكل في البحر المحيط (٩/ ٤٥٢).

(٥) سقط من نجيبويه.

(٦) من نجيبويه والسليمانية والمطبوع، وفي أحمد٣: «أيضاً».

(٧) وهما شاذتان، انظرهما مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٦٨)، والأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٤١) لأبي مجلز، ولم أجد نقل الداني.

وروى زيد بن ثابت عن النَّبيِّ ﷺ: (فهل يُهْلِكُ) بضمِّ الياءِ وكسر اللَّام (إلا القومَ الفاسقين) بالنَّصب[١].

وفي هذه الألفاظ وعيد محضٌ وإِنذارٌ بيِّنٌ، وذلك أَنَّ الله تعالى جعل الحسنة بعشر أَمثالها، والسَّيئة بمثلها[٢]، وأَمر بالطَّاعة ووعد عليها بالجنَّة، ونهى عن الكفر وأَوعد عليه بالنَّار، «فَلن يَهْلِك على الله إِلَّا هالك» كما قال ﷺ[٣].

قال الثَّعلبيُّ: يقال: إِن قوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أَرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين[٤].

كمل تفسير (سورة الأَحقاف)، والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

---

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٣٨) للحسن. وفي هامش السليمانية زيادة: «قراءةً» قبل: «فهل يهلك».

(٢) من الأسدية٣ وأحمد٣ والسليمانية.

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم (١٣١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) لم أجده في النسخة المطبوعة، ومثله في تفسير الثعالبي (٥/ ٢٢٧)، وبلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١١٦).